

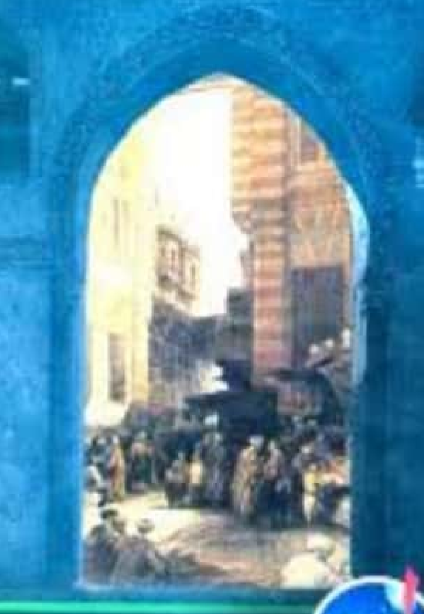
أكثر من ٥٠٠ حكاية في الوعظ والتذكير
وأخبار الصالحين والزّهاد والعابدين

تأليف

الإمام العلامة جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي

ابن الجوزي

المتوفى سنة ٥٩٧ هـ



تقديم وتحقيق وتعليق

عبد العزيز سيد هاشم الغزولي



تنبيه!

يوجد مخطوط بجامعة لايبزيك، اسمه:

"عيون الحكايات في سيرة سيد البريات".

وهو مرفوع على شبكة الألوكة...

والصواب أنه نسخة مِنْ كتاب:

"الوفا بفضائل المصطفى ﷺ".

وكتاب **"عيون الحكايات"** كتابنا هذا..

ولعل الناسخ - رحمه الله - خلط بين الكتابين...

والله أعلم



تأليف

الإمام العلامة جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي
ابن الجوزي
المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

تقديم وتحقيق وتعليق

عبد العزيز سيد هاشم الغزولي



أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين؛ وبعد..

فقد كان من توفيق الله سبحانه وتعالى علينا أن يسَّر لنا الاطلاع على هذا الكتاب وتحقيقه، وهو من الكتب النادرة التي جمعت كثيرًا من القصص والحكايات، ويتلخص عملي في هذا الكتاب فيما يلي:

١- نسخ المخطوطة.

٢- تقويم النص وشرح الكلمات الغريبة وتشكيلها.

٣- تخريج الأحاديث الواردة به وتخريج الآيات القرآنية.

٤- وضع عناوين للقصص في بداية كل قصة.

٥- التعليق على ما ورد من قصص في الكتاب ونقل ما ورد حول ذلك من أقوال العلماء بإجمال واختصار.

٦- وضع مقدمة للكتاب تشمل ترجمة للمؤلف، ثم وصفًا للمخطوطة وصحة نسبتها.

وأدعو الله سبحانه أن يتقبل هذا الجهد في إخراج هذا الكتاب، وأن يغفر لي زللي، وأن يتجاوز عما كان فيه من تقصير، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

ترجمة المصنِّف

عصره: عاش ابن الجوزي في القرن السادس الهجري، ذلك القرن الذي كان له تأثيرات واسعة على الساحة العربية سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، فمن الناحية السياسية، فقد ضاعت السلطة في العصر العباسي الثاني من أيدي الخلفاء العباسيين، وانتقلت إلى الأتراك ثم إلى البويهيين ثم إلى السلاجقة، ثم أخذت دولة السلاجقة في الانحلال والتفكك، وقام عليها حكام كثيرون استقل كل واحد منهم بجزء منها، واستقل الخليفة ببغداد حتى سقطت الخلافة على يد التتار سنة ٦٥٦ هـ.

وقد اضطربت الحالة الاجتماعية والاقتصادية، وظهر سوء توزيع الثروة بين الناس، ولم يكن هناك توازن بين دخول الناس وبين الضرائب المفروضة عليهم، ونعمت بعض

الطبقات بالأموال الطائلة والثروات الكبيرة والإسراف الشديد مع حرمان الآخرين.

ومن الناحية الدينية والفكرية؛ فقد تميَّز عصر ابن الجوزي بكثرة العلماء والمفكرين. وكانت بغداد قبلة للعلماء ولطلاب العلم، وبرع كثير منهم، وعرفوا بالنبوغ والتفوق في شتى فنون العلم من الفقه والحديث والتاريخ والأدب والجغرافيا والفلسفة، ومن هؤلاء: الجواليقي شيخ ابن الجوزي في الفقه والقراءات، وعماد الدين الأصبهاني، وفخر الدين الرازي.

كما ظهر طائفة من غلاة الصوفية خلطوا بين مسائل الكلام والفلسفة بعلمهم الذوقي، فظهرت الحكمة الإشراقية عند السهروردي ووحدة الوجود عند ابن عربي والحب الإلهي عند ابن الفارض.

وقد شهد هذا العصر كثيراً من النشاط الفكري الذي كان ثمرة لحركات علمية فيما سبقه من العصور، وقد سجَّل ابن الجوزى هذا في كتابه «تلبيس إبليس» من خلال نقده لطوائف المجتمع، فأبان تلبيس الشيطان على الصوفية الذين يخدعون الناس باسم التصوف، وكان شديد الذم والهجوم عليهم، كما أشار إلى بعض الحركات الفكرية المتصفة بالغلو مثل الباطنية وجاحدي البعث وغيرهم.

حياته: حياة ابن الجوزي سلسلة من الكفاح والسعي الدءوب في طلب العلم والانكباب على الدرس والتحصيل؛ فقد أخذ نفسه منذ الصغر بالجد والاجتهاد، وبالفضيلة والسيرة الزكية، حتى أصبح من كبار العلماء الذين سجلوا صفحات مشرقة في تاريخ الإسلام والمسلمين.

وابن الجوزي هو جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد من أولاد عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، ولُقِّبَ بابن الجوزي نسبة إلى جده الثامن جعفر الجوزي.

وقد ولد سنة عشر وخمسمائة هجرية على أرجح الأقوال في درب حبيب ببغداد، ومات أبوه وله من العمر ثلاث سنوات، فاعتنت به عمته، وحملته إلى الحافظ أبي الفضل بن ناصر، فاعتنى بتربيته؛ فحفظ القرآن وسمع الحديث من ابن ناصر.

وأحب الوعظ منذ صغره، فوعظ الناس وهو صبي صغير، وعُنِي بأمره شيخه ابن الزاغوني، وعلّمه الوعظ، وتفقّه على أبي بكرالدينوري الحنبلي وابن الفراء، وقرأ القرآن على سبط الخياط، وأخذ اللغة على أبي منصور ابن الجواليقي.

ولم يرحل ابن الجوزي في طلب الحديث، لكنه حفظ مسند الإمام أحمد وطبقات ابن سعد وتاريخ الخطيب والصحيحين والسنن الأربعة والحلية وعدة مؤلفات.

وعلى الرغم من انشغال ابن الجوزي بالعلم تعلماً وتعليماً، فقد كانت له اهتماماته

الاجتماعية، وقد تزوج وأنجب أولاداً، فكان له ثلاثة ذكور وخمس بنات، والذكور هم: عبد العزيز، وأبو القاسم علي، ومحيي الدين يوسف، والبنات هن: رابعة أم سبط ابن الجوزي، وشرف النساء، وزينب، وجوهرة، وست العلماء الصغيرة.

شخصيته: تميزت شخصية ابن الجوزي بصفات ومناقب عظيمة، بدأت تظهر عليه مبكراً؛ ذلك أنه كان وهو صبي ملتزماً، لا يخالط أحداً، ولا يأكل مما فيه شُبهة، ولا يلعب مع الصبيان، وكان شغوفاً بطلب العلم؛ يطلع على المصنفات في الفنون المختلفة، فأثمر ذلك عنده، واستمر طوال حياته باحثاً دؤوباً لا يمل من القراءة والكتابة وتحصيل العلم وتعليمه للناس، وذلك بِهِمَّة عالية واستغلال حَسَن مُوَفَّق للوقت، مع قوة ذاكرة وسرعة في الحفظ.

واتصف ابن الجوزي بعفة وزهد في الدنيا وتعبد وصلاح مع لجوء مستمر وارتكان دائم إلى الله عز وجل، كما ظهر لديه في بعض الأحيان اعتداد بالنفس وشيء من العجب والغرور.

شيوخه: تتلمذ ابن الجوزي على أيدي مشايخ وعلماء كثيرين، ذكرهم في كتاب صنّفه عن مشايخه، وعددهم سبعة وثمانون شيخاً إضافة إلى ثلاث نسوة، وكتاب مشيخة ابن الجوزي يوضح المدرسة التي تلقى عنها علمه حتى بلغ هذه المنزلة، ووصل إلى تلك المكانة التي تبوأها بين علماء عصره، كما أن الكتاب يعبر عن وفائه لأساتذته الذين تلقى عنهم العلم حيث سجّل فيه جهودهم العلمية، وخلّد ذكراهم، مما يدل على الوفاء والتواضع، ويعطي ضوءاً لطلبة العلم ليقتدوا به في ذلك، ومن هؤلاء المشايخ الذين كان لهم أثر كبير في حياة ابن الجوزي: أبو القاسم هبة الله محمد بن عبد الواحد الشيباني، وأبو البركات عبد الوهاب بن المبارك الأنماطي، وابن ناصر، وابن الطبري، وابن الزاغوني، والجواليقي، وابن عقيل، وغيرهم الكثير.

وقد كان لهؤلاء الشيوخ أثر كبير في شخصيته وعلمه، حيث اقتبس من علمهم واستفاد من فضلهم وأخلاقهم، وتعلم من ورعهم وزهدهم.

مجالس وعظه: تبوأ ابن الجوزي مكانة علمية ممتازة، نالت إعجاب الكثيرين من العلماء والمفكرين، وقد تجلّى نبوغه العلمي ومكانته السامية في مجالس وعظه التي عُرِفَ واشتهر بها، وتجمَّع الناس حولها، يستمعون إلى مواعظه التي أثّرت فيهم أيما تأثير، وذلك لما له من أسلوب رائع بليغ شديد التأثير في النفوس، حيث كان يستخدم في وعظه الكلام المنثور والمسجوع، ويجيد في خطبه أعظم إجادة بأسلوب جميل وعبارات ناضرة وكلمات متأنقة، فيجمع بين ضروب من الترغيب والترهيب، ويعتمد على القصص والآيات الكونية؛ مما كان له أعظم الأثر على الناس.

تلاميذه: وقد تتلمذ على يد ابن الجوزي خلق كثير، وأصبحوا من كبار العلماء في عصرهم، وممن حدَّث عنه ولده محيي الدين يوسف، وسبطه شمس الدين يوسف بن قُزُغْلي، والحافظ عبد الغني المقدسي، وابن قدامة الحنبلي، وابن الدبيني، وابن النجار... وغيرهم.

مؤلفاته: ابن الجوزي من العلماء الذين اهتموا بالتأليف والتصنيف، فكثرت كتبه ومؤلفاته، وكان يرى أن التصنيف أكثر إفادة وأبقى أثراً من التعليم بالمشافهة، وكان يحرص على تصنيف ما يفيد الناس وينفعهم، ويؤكد على ذلك فيقول: «وليس المقصود جمع شيء كيف كان، وإنما هي أسرار يطلع الله عز وجل عليها مَنْ شاء مِنْ عباده، ويوفقه لكشفها، فيجمع ما فرَّق أو يرتب ما شتت أو يشرح ما أهمل، هذا هو التصنيف المفيد» صيد الخاطر/٣١.

وهِمَّة ابن الجوزي العالية في التأليف لا تقتصر على فرع واحد من فروع المعرفة، فهو عالم موسوعي يبحث ويؤلف في كل العلوم المتاحة له، فكتب في علوم القرآن، وفي التاريخ والسِّيَر، وفي الحديث والفقه، وفي الجغرافيا والطب، وغير ذلك من العلوم.

وكان يسأل الله أن يبارك له في عمره، ويطوِّله له ليبلغ أمله من العلم والعمل، وبالإضافة إلى علو همته نراه حريصاً على الاستفادة من وقته، فترك لنا تراثاً غزيراً من المصنفات والمؤلفات في فروع العلم المختلف، وقد شهد له العلماء بكثرة التصنيف وغزارته، يقول ابن كثير: «وله في العلوم كلها اليد الطولى والمشاركات في سائر أنواعها من التفسير والحديث والتاريخ والحساب والنظر في النجوم والطب والفقه، وغير ذلك من اللغة والنحو، وله من المصنفات في ذلك ما يضيق هذا المكان عن تعدادها وحصر أفرادها» البداية والنهاية ٣١/١ .

ولا يمكن القطع بعدد مؤلفات ابن الجوزي نظراً لضياع كثير منها وفقده، والغالب أنها تدور مع الثلاثمائة ما بين المجلدات الكبيرة والرسالة الصغيرة، ومن هذه المصنفات:

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم - زاد المسير في علم التفسير - صفة الصفوة - صيد الخاطر - ذم الهوى - تلبيس إبليس - الوفا بفضائل المصطفى - التبصرة - المدهش - أحكام النساء - الطب الروحاني - تنبيه النائم الغُمر على مواسم العمر - الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء.

وقد أخذ ابن الجوزي قسطاً وافراً من ثناء العلماء عليه ومدحهم له، ومع ذلك فهناك مآخذ عليه مثل: أوهامه في الحديث، وغلطه في التصنيف، وخوضه في التأويل واعتداده بنفسه، والكمال لله وحده.

محنته ووفاته: لم يسلم ابن الجوزي من طعن الحُسَّاد الذين حسدوه وحقدوا عليه

بسبب مكانته وهجومه وانتقاده لأحوالهم، ووصل الأمر بهؤلاء إلى أن وشوا به إلى الخليفة الناصر، ونجحت الوشاية، فجاء مَنْ شتم ابن الجوزي وأهانه وقفل داره وأخذه مقبوضاً عليه، ورُحِّلَ إلى مدينة واسط فحُبِسَ بها، وظل خمس سنوات في هذا الحبس وفي تلك المحنة يغسل ثيابه، ويقوم بشئونه وحده وفي تلك المحنة يغسل ثيابه، ويقوم بشئونه وحده، وقد بلغ سن الكِبَر؛ فكان في ذلك شدة ومحنة نالته وأثّرت عليه.

وظل محبوساً حتى جاءه الفرج والخلاص بسبب ولده يوسف الذي نشأ واشتغل بالوعظ وهو صبي حتى صارت له مكانة في الوعظ، وتوصَّل إلى أم الخليفة التي تشفّعت لابن الجوزي، فأُطْلِقَ سراحه، وكان سِنُه آنذاك ثمانين سنة.

وعاد الشيخ إلى بغداد، فاستقبله أهلها فرحين مستبشرين لقدومه، ولم تحجزه الشيخوخة عن مجالس وعظه، فعاد إليها، وفي يوم السبت من شهر رمضان سنة سبع وتسعين وخمسمائة هجرية، وبينما كان يعظ الناس قطع مجلسه منشداً تلك الأبيات:

الله أسأل أن يُطَوِّل مدتي ... لأنال بالإنعام ما في نيتي
لي همة في العلم ما إن مثلها ... وهي التي جنت النحول هي التي
خلِقَتْ من العلق العظيم إلى المنى ... دعيت إلى نيل الكمال فلبتِ
كم كان لي من مجلس أشتاقه ... لو شُبِّهت حالاته لتشبهت بالجنة
أشتاقه لما مضت أيامه عطلاً ... وتعدو ناقة إن حنت

ثم عاد إلى بيته، فمرض خمسة أيام، وتوفي ليلة الجمعة بين العشاءين في اليوم الثالث عشر من شهر رمضان سنة سبع وتسعين وخمسمائة هجرية، وله من العمر سبعة وثمانون سنة، وبعد غسله صلى عليه ابنه أبو القاسم علي، ثم ذهبوا إلى جامع المنصور، فصلوا عليه وحملوه إلى مقبرة أحمد بباب حرب، فدفنوه هناك، وكان يوماً مشهوداً حضره جمع غفير من الناس، وحزنوا على وفاته حزناً شديداً، وباتوا يقرءون عند قبره القرآن.

وقد أوصى أن يكتب على قبره:

يا كثير العفو عمن ... كثر الذنب لديه
جاءك المذنب يرجو ... الصفح عن جرم يديه
أنا ضيف وجزاء ... الضيف إحسان إليه[1]

---

(١) يمكن الرجوع في ترجمة ابن الجوزي إلى: شمس الدين الذهبي: تذكرة الحفاظ جـ٤، ص:١٣٤٢،دار الكتب العلمية– بيروت،١٣٧٤هـ، سير أعلام النبلاء جـ٢١،ص: ٣٦٥، مؤسسة الرسالة– بيروت،الطبعة الثامنة،١٩٩٢م،ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، جـ ٤، ص: ٣٢٩، دار الفكر، ١٩٧٩م،الداودي: طبقات المفسرين جـ١،ص:٢٧٦ دار الكتب العلمية، د.ت،ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة جـ٦، ص: ١٥٧، دار الكتب العلمية– بيروت، ١٩٩٢م، ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان=

وصف المخطوطة وصحة نسبتها

يمكننا أن ندرج هذا مخطوط عيون الحكايات تحت علم حكايات الصالحين، ذلك العلم الذى ذكره المهتمين بتصنيف العلوم، «وهو من فروع علم التواريخ والمحاضرة، وقد اعتنى بأحوال الصلحاء والأبرار طائفةٌ، وأفردوها بالتدوين، وموضوعه وغايته ظاهرة جدًّا، ومنفعته اجل المنافع وأعظمها كما لا يخفى»[(١)].

ويأتى ابن الجوزى فى مقدمة الذين اعتنوا بأحوال الصالحين وحكاياتهم، وكان غرضه من هذه الحكايات الوعظ والتذكير , ولذا أغفل الأسانيد وحذفها، وقد أشار في الورقة الأولى من المخطوط إلى أنه قد ألّف الكتاب محذوف الأسانيد ليسهل على القارئ، ويفهم المستمع، وقال فى المقدمة: «لما كانت مجالس التذكير تقتضى ذكر الحكايات عن السلف، لأنها دليل السالك وقوت الطالب، وبها تقوى نفوس المريدين».

عن مالك بن دينار قال: الحكايات تُحَف الجنة، وقال الجنيد: الحكايات جُنْدٌ من جنود الله، تَقْوَى بها أبدان المريدين. فقيل له: هل لهذا مِنْ شاهد؟ قال: قوله تعالى: ﴿وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾[(٢)]. وقال آخر: استكثروا من الحكايات فإنها دُرَرٌ، فربما كانت فيها الدُّرَّة اليتيمة.

وقد جمعت بحمد الله وعونه ومَنّه من أخبار الصالحين والزُّهاد فى كتابي المسمى بصفة الصفوة ما يغنى ويكفى، وأفردت لكل عَلَم من الأخيار كتابًا يجمع أخباره: كعمر ابن الخطاب رضى الله عنه، وعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه، والحسن البصرى، وسعيد بن المسيب، وسفيان الثورى، وإبراهيم بن أدهم، والفضيل بن عياض، وأحمد بن حنبل، ومعروف الكرخى، وبشر الحافى، وغيرهم. إلا أنى آثرت إفراد الحكايات المبسوطات المطولات المختصات بالمواعظ ؛ لأن مجلس الذكر مفتقر إلى مثل ذلك ؛ فألّفت فى هذا الكتاب من عيون الحكايات ما يزيد على خمسمائة حكاية، وحذفت أسانيدها لتسهل مطالعتها، وتبان لمستمعها، وبالله التوفيق والعصمة، وله المِنَّة والنعمة».

=جـ٣، ص: ١٤٠، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٩٧٠م.ابن الدبيثي: ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد، جـ ١ ص: ٢٣٨، ١٩٧٤ م، الزركلي:الأعلام جـ ٣، ص: ٣١٦ دار العلم للملايين – بيروت، ط٩، ١٩٩٠م، ابن كثير: البداية والنهاية: جـ٧، ص: ٣٣، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨م، القسنطيني: الوفيات، ص: ٣٠١ منشورات دار الآفاق الجديدة – بيروت، ١٩٧١م، اليافعي: مرآة الجنان، ص: ٤٩. منشورات موسسة الأعلمى – بيروت ١٣٩٠. هـ ١٩٧٠م.

(١) انظر: مفتاح السعادة ٢٣٢/١، وكشف الظنون /٦٧٤، و د. يوسف ق خورى: العلوم عند العرب ص: ٥٨.

(٢) سورة هود، الآية رقم: ١٢٠.

ومع أننا لا نشك فى الهدف النبيل والغاية الطيبة التى أرادها ابـن الجـوزى مـن هـذا الكتاب، إلا أننا لا نوافقـه فيمـا ذكـره مـن حكايـات لا تصـح، ويشـعر القـارئ بحسـه وفطرته أنها ضعيفة أو موضوعة، خاصة ما يتعلق بحكايات الصوفية، ونتعجـب مـن ابـن الجوزى كيف أورد هذه الحكايات؟ وهو صاحب الصارم البتار والحجة القويـة والمنطـق العقلى والنقلى فى الرد على الصوفية فى كتابه الفذ تلبيس إبليس!!.

ولذا لن أتوقف طويلا في التعليق على كل قصـة وحكايـة وذكـر أسـانيدها والحكـم عليها، وإنما أكتفى بإشارات سريعة حتى لا يتضخـم الكتـاب، وأود أن أُنَبِّـه القـارئ ألا ينساق إلى تلك الحكايات التى يحكيها القُصَّاص عن المتصوفـة، والتـى أغلبهـا مِـنْ صُنْـع عقولهم، قالوها ليجمعوا الناس حولهم، ويربحوا من ذلك عَرَض زائل، ثم تناقلهـا كثـير من عامة المسلمين في سذاجة دون أن يتوقفوا عندها سائلين عـن إسنادها وصحتهـا، أو يعملوا عقولهم فيها، خاصة وأن منها ما يخالف صحيح المنقول من الكتاب والسُّنَّة.

أما عن وصف مخطوط عيون الحكايات، فإنه يشتمل على ٥٠٨حكاية، تدور أغلبهـا فى مجال الوعظ والتصوف وأخبار الصالحين والأخلاق والآداب.

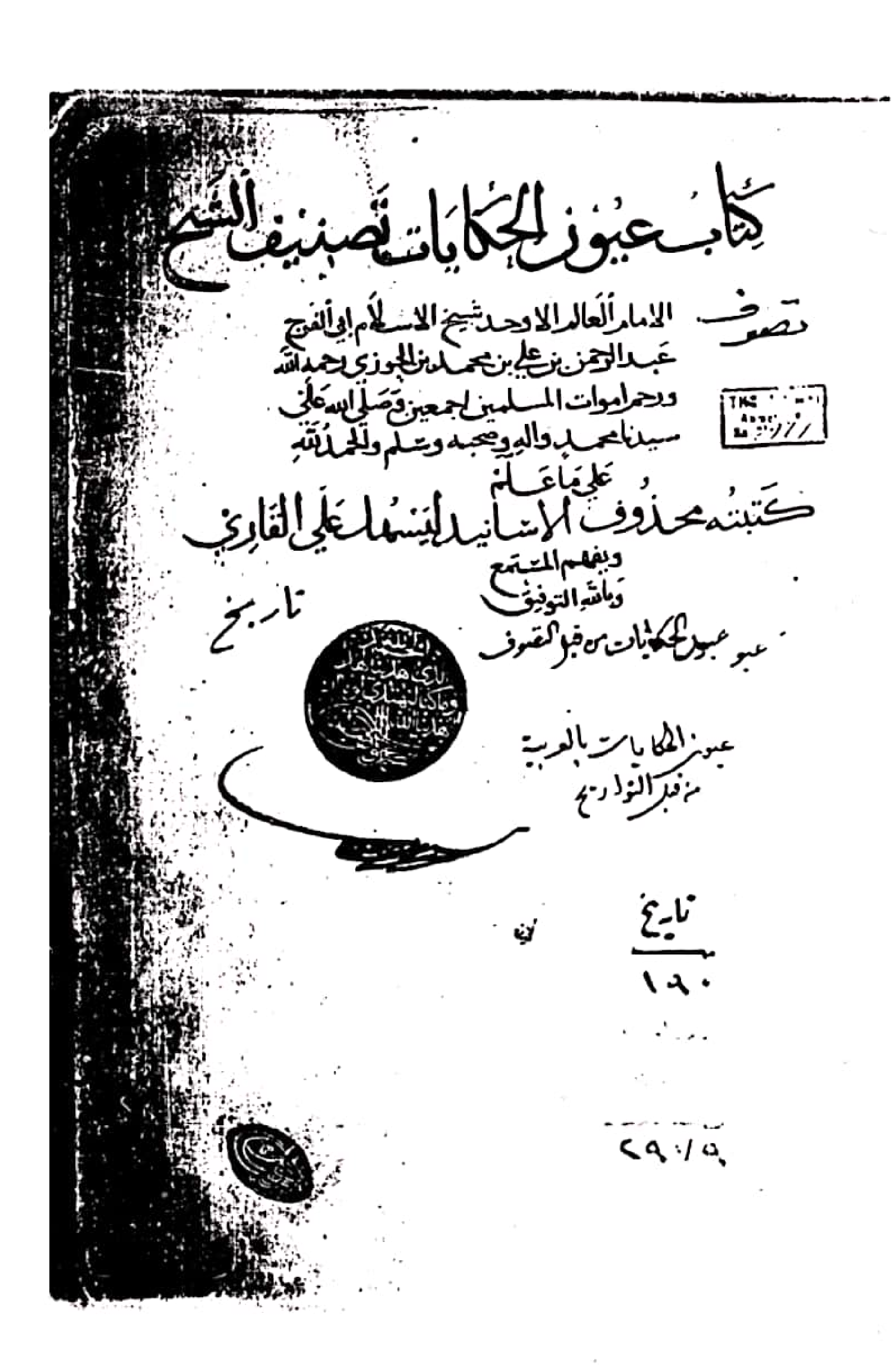
والكتاب من مخطوطات مكتبة أحمد الثـالث، ورقمـه: ٢٩٧٩، ولـه نسـخة مصـورة بمعهد المخطوطات، برقم: ٦١. أدب.

وقد كُتِبَتْ تلك النسخة فى القرن الثامن الهجرى، وخطها نسخ واضح.

والنسخة كاملة في مجلد واحـد، وعـدد أوراقهـا ٢٥٣ ورقـة، وتحتـوى الورقـة علـى صفحتين، وكل صفحة مكونة من ٢٤ سطرًا، وفى السطر عشر كلمات تقريبًا.

وأرجو من الله سبحانه أن يتقبل عملى، وأن يجعل فيه الخير والنفع، وأن يتجاوز عما كان فيه من نقص أو تقصير، والله الهادى والموفق إلى سواء السبيل.

وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



كتاب عيون الحكايات تصنيف الشيخ

الإمام العالم الأوحد شيخ الإسلام أبي الفرج
عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي رحمه الله
ورحم أموات المسلمين أجمعين وصلى الله على
سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم والحمد لله
على ما علم

كتبته محذوف الأسانيد ليسهل على القارئ
ويفهم المستمع
وبالله التوفيق

تصوف

تاريخ

عيون الحكايات من فن التصوف

عيون الحكايات بالعربية
من فن التواريخ

تاريخ
١٦٠

٢٩٠/٥

صورة الصفحة الأولى من المخطوط

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المصنف

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين.

قال الشيخ الإمام العالم الأوحد أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد ابن الجوزى رحمة الله تعالى عليه: الحمد لله الذى علمنا وأرشدنا وهدانا، وزادنا على الآمال أمثالها وأولانا، وصلى الله على أشرف البرية إنسانًا، وعلى أصحابه الذين كانوا أنصارًا له وأعوانًا، وسلم.

لما كانت مجالس التذكير تقتضى ذكر الحكايات عن السلف، لأنها دليل السالك وقوت الطالب، وبها تقوى نفوس المريدين، عن مالك بن دينار قال: الحكايات تُحَف الجنة، وقال الجنيد: الحكايات جُنْدٌ من جنود الله، تَقْوَى بها أبدان المريدين. فقيل له: هل لهذا مِنْ شاهد؟ قال: قوله تعالى: ﴿**وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ**﴾[١].

وقال آخر: استكثروا من الحكايات فإنها دُرَرٌ، فربما كانت فيها الدُّرَّة اليتيمة.

وقد جمعت بحمد الله وعونه ومَنّه من أخبار الصالحين والزُّهاد فى كتابي المسمى بصفة الصفوة ما يغنى ويكفى، وأفردت لكل عَلَم من الأخيار كتابًا يجمع أخباره: كعمر ابن الخطاب رضى الله عنه، وعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه، والحسن البصرى، وسعيد بن المسيب، وسفيان الثورى، وإبراهيم بن أدهم، والفضيل بن عياض، وأحمد بن حنبل، ومعروف الكرخى، وبشر الحافى، وغيرهم. إلا أنى آثرت إفراد الحكايات المبسوطات المطولات المختصات بالمواعظ ؛ لأن مجلس الذكر مفتقر إلى مثل ذلك ؛ فألّفت فى هذا الكتاب من عيون الحكايات ما يزيد على خمسمائة حكاية، وحذفت أسانيدها لتسهل مطالعتها، وتبان لمستمعها، وبالله التوفيق والعصمة، وله المِنّة والنعمة.

---

(١) سورة هود، الآية رقم: ١٢.

الحكاية الأولى
عمر بن الخطاب مع أمير حِمْص

عن عُمَيْر بن سعد الأنصارى[١] قال: بعثه عمر بن الخطاب رضى الله عنه عاملاً على حمص، فمكث حولاً لا يأتيه خبره، فقال عمر لكاتبه: اكتب إلى عمير، فوالله ما أراه إلا قد خاننا: إذا جاءك كتابى هذا، فأقبل بما جبيت[٢] من فَيْءِ المسلمين.

قال: فأخذ عمير جرابه، فجعل فيه زاده وقصعته، وعلّق إداوته[٣]، وأخذ عَنَزَته[٤]، ثم أقبل يمشى من حمص حتى دخل المدينة.

قال: فقدم وقد شَحُبَ لونه واغبر وجهه، وطالت سفرته، فدخل على عمر، وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

فقال عمر: ما شأنك؟ فقال عمير: ما ترى من شأني؟! ألست ترانى صحيح البدن ظاهر الدم؟! معى الدنيا أَجُرُّها بقرنها!.

قال: وما معك؟- وظن عمر أنه قد جاء بمال - فقال: معى جرابى أجعل فيه زادى، وقصعتى آكل فيها، وأغسل فيها رأسى وثيابى، وإداوتى أحمل فيها وضوئى وشرابى، وعنزتى أتوكأ عليها، وأجاهد بها عدوًّا إن عرض لى، فوالله ما الدنيا إلا تَبَعٌ لمتاعى.

قال عمر: فجئتَ تمشي؟ قال: نعم.

---

(١) عمير بن سعد بن عبيد بن النعمان بن قيس بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي. قال البغوي في معجم الصحابة: كان يقال له نسيج وحده، صحب رسول الله ﷺ وهو الذي رفع إلى النبي ﷺ كلام الجلاس بن سويد، كان يتيما في حجره وشهد فتوح الشام واستعمله عمر على حمص إلى أن مات وكان من الزهاد. وقال ابن سعد: توفي في خلافة معاوية. وقال البخاري وابن أبي حاتم عن أبيه: له صحبة، وزاد أبو حاتم: روى عن النبي ﷺ وروى عنه راشد بن سعد وحبيب بن عبيد زاد بن منده وابنه عبد الرحمن بن عمير، وذكره ابن سميع في الطبقة الأولى ممن نزل حمص من الصحابة، وقال الواقدي: كان عمر يقول: وددت أن لي رجالا مثل عمير بن سعد أستعين بهم على أعمال المسلمين. وأخرج ابن منده بسند حسن عن عبد الرحمن بن عمير بن سعد: قال لي ابن عمر: ما كان بالشام أفضل من أبيك. قال محمد بن سعد: مات عمير بن سعد في خلافة عمر. وقال غيره: في خلافة عثمان. وجاء في رواية أخرى: أنه مات في خلافة عمر، فصلى عليه ولا يثبت ذلك. انظر: الإصابة، جـ٣ ص: ٥٧٤.

(٢) جبى الخراج: جمعه.

(٣) الإداوة: إناء صغير يحمل فيه الماء، والجمع: أَدَاوَى.

(٤) العنزة: العصا.

قال: أما كان لك من أحد من المسلمين يتبرع لك بدابة تركبها؟ قال: ما فعلوه، وما سألتهم ذلك. فقال عمر: بئس المسلمون خرجت من عندهم.

فقال عمير: اتق الله يا عمر، قد نهاك الله عن الغيبة، وقد رأيتهم يصلون صلاة الغداة.

قال: فأين تغيبك؟ وأى شيء صنعت؟ قال: وما سؤالك يا أمير المؤمنين؟ فقال عمر: سبحان الله!

فقال عمير: أما إنى لولا أنى أخشى أن أَغُمَّك ما أخبرتك بغيبتى، حين أتيت البلد، فجمعت صلحاء أهلها، فوليتهم جباية فيئهم، حتى إذا جمعوه وضعته مواضعه، ولو أن لك منه شيء لأتيتك به.

قال: فما جئتنا بشيء؟ قال: لا. قال: جَدِّدُوا لعمير عهدًا.

قال: إن ذلك الشيء لا عملته لك ولا لأحد بعدك، والله ما سلمت، بل لم أسلم، لقد قلت لنصرانى: أخزاك الله، فهذا ما عَرَّضْتَنِى له يا عمر، وإن أشقى أيامى يوم خُلِّفْتُ معك.

ثم استأذنه، فأذن له فرجع إلى منزله، وبينه وبين المدينة أميال.

فقال عمر حين انصرف عمير: ما أراه إلا قد خاننا، فبعث رجلاً يقال له الحارث، وأعطاه مائة دينار، وقال: انطلق إلى عمير حتى تنزل به كأنك ضيف، فإن رأيت أثر شيء فأَقْبِلْ، وإن رأيت حالاً شديدًا فادفع إليه هذه المائة دينار، فانطلق الحارث فإذا هو بعمير جالس يُفْلِى قميصه إلى جانب الحائط، فسَلَّمَ عليه الرجل.

فقال له عمير: انزل يرحمك الله، فنزل، ثم سأله: من أين جئتَ؟ قال: من المدينة. قال: كيف تركت أمير المؤمنين؟ قال: صالحًا. قال: كيف تركت المسلمين؟ قال: صالحين. قال: أليس يقيم الحدود؟ قال: بلى، ضرب ابنًا له على فاحشة، فمات مِنْ ضَرْبه.

فقال عمير: اللهم أَعِنْ عمر ؛ فإنى لا أعلمه إلا شديدًا حبه لك.

قال: فنزل ثلاثة أيام، وليس لهم إلا قرصة من شعير، كانوا يخصونه بها ويطوون حتى أتاهم الجهد، فقال له عمير: إنك قد أجعتنا ؛ فإن رأيتَ أن تتحول عنا، فافعل.

قال: فأَخْرَجَ الدنانير، فدفعها إليه، فقال: بَعَثَ بها أمير المؤمنين إليك، فاستعن بها، فصاح، وقال: لا حاجة لى فيها، رُدَّهَا.

فقالت له امرأته: إن احتجت إليها، وإلا فضعها مواضعها.

فقال عمير: والله ما لى شىء أجعلها فيه!. فشَقَّتْ المرأة أسفل درعها، فأعطته خرقة، فجعلها فيه، ثم خرج فقسَّمها بين أبناء الشهداء والفقراء، ثم رجع والرسول يظن أنه يعطيه منها شيئًا، فقال له عمير: أَقْرِأْ منى أمير المؤمنين السلام.

فرجع الحارث إلى عمر، فقال: ما رأيتَ؟ قال: رأيت حالاً شديدًا. قال: فما صنع بالدنانير؟ قال: لا أدرى.

قال: فكتب إليه عمر: إذا جاءك كتابى هذا فلا تضعه من يدك حتى تقبل، فأقبل إلى عمر، فدخل عليه، فقال له عمر: ما صنعتَ بالدنانير؟ قال: صنعتُ ما صنعتُ، وما سؤالك عنها؟

قال: أُقْسِم عليك لتخبرنى ما صنعت بها، قال: قدَّمتها لنفسى.

قال: رحمك الله! فأَمَرَ له بوَسَقٍ[١] من طعام وثوبين، فقال: أما الطعام فلا حاجة لى فيه، قد تركت فى المنزل صاعين من شعير، إلى أن آكل ذلك قد جاء بالرزق، ولم يأخذ الطعام. وأما الثوبان فإن أم فلان عارية، فأخذهما ورجع إلى منزله، فلم يلبث أن هلك رحمه الله.

فبلغ ذلك عمر، فشَقَّ عليه، وخرج يمشى ومعه المشاؤون إلى بقيع الغرقد، فقال لأصحابه: لِيَتَمَنَّ كلٌّ منكم أمنية، فقال رجل: وددتُ يا أمير المؤمنين أن عندى مالاً فأعتق لوجه الله كذا وكذا. وقال آخر: وددت أن عندى مالاً فأنفق فى سبيل الله. وقال آخر: وددت أن لى قُوَّة، فأمتح[٢] بدلو زمزم لحجاج بيت الله. فقال عمر: وددت لو أن لى رجلاً مثل عمير بن سعد أَستَعِين به فى أعمال المسلمين.

* * *

الحكاية الثانية
أهل حِمْص يشكون أميرهم

حدثنا خالد بن معدان قال: استعمل عمر بن الخطاب رضى الله عنه بحمص سعيد ابن جُذَيم[٣]، فلما قَدِمَ عمر حمص قال: يا أهل حمص، كيف وجدتم عاملكم؟ فشكوه

(١) يقول الرازي في مختار الصحاح: الوَسْق أيضا ستون صاعا قال الخليل الوَسْقُ حمل البعير والوقر حمل البغل والحمار .

(٢) متح البئر: رفع الماء منه.

(٣) سعيد بن عامر بن حذيم بن سلامان بن ربيعة بن سعد بن جمح القرشي الجمحي من كبار الصحابة وفضلائهم، وأمه أروى بنت أبي معيط، أسلم قبل خيبر، وهاجر فشهدها وما بعدها، وولاه عمر حمص، وكان مشهورا بالخير والزهد، وروى عنه عبد الرحمن بن سابط الجمحي،=

– وكان يقال لأهل حمص: الكوفة الصغرى لشكايتهم العُمَّال – قالوا: نشكو أربعًا: لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار. قال: أعظم بها! قال: وماذا؟ قالوا: لا يجيب أحدًا بليل. قال: وعظيمة! قال: وماذا؟ قالوا: له يوم فى الشهر لا يخرج إلينا. قال: وعظيمة! قال: وماذا؟ قالوا: يغنظ[١] الغنظة بين الأيام– أي يأخذه موتة –.

قال: فجمع عمر بينهم وبينه، وقال: اللهم لا تُفَيِّل[٢] رأيي فيه اليوم، ما تشكون منه؟ قالوا: لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار. قال: والله إني كنتُ لأكره ذِكْرَه، وليس لأهلى خادم، فأعجن عجينى، ثم أجلس حتى يختمر، ثم أخبز خبزى، ثم أتوضأ، ثم أخرج إليهم.

فقال: ما تشكون منه؟ قالوا: لا يُجيب أحدًا بليل. قال: ما تقولون! قال: إن كنتُ لأكره ذكره، إني جعلت النهار لهم، وجعلت الليل لله عز وجل.

قال: وما تشكون منه؟ قالوا: إن له يومًا في الشهر لا يخرج إلينا! قال: ما تقولون؟ قال: ليس لى خادم يغسل ثيابى، ولا ثياب أُبَدِّلها، فأجلس حتى تجف، ثم أدلكها، ثم أخرج إليهم من آخر النهار.

قال: ما تشكون منه؟ قالوا: يغنظ الغنظة بين الأيام. قال: ما تقولون!

قال: شهدتُ مصرع خبيب الأنصارى[٣] بمكة، وقد بضعت قريش لحمه، ثم حملوه على جذعة، فقالوا: أتحب أن محمدًا مكانك؟ فقال: والله ما أحب أنى في أهلى وولدى، وأن محمدًا يُشَاك بشوكة، ثم نادى: يا محمد.

=وأرسل عنه شهر بن حوشب وغيره، وروى أبو يعلى من رواية بن سابط عن سعيد بن حذيم قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن امرأة من الحور العين أخرجت يدها لوجد ريحها كل ذي روح». الحديث مختصرا أخرجه أبو أحمد الحاكم وابن سعد مطولا، وفيه قصة لسعيد مع زوجته في تفرقته المال الذي يأتيه من عطائه.

قال ابن سعد في الطبقة الثالثة: مات سنة عشرين، وهو وال على بعض الشام لعمر، وروى البخاري من طريق الزهري، وقال: مات في زمن عمر. وقال أبو بكر البغدادي في تسمية من نزل حمص من الصحابة: استعمله عمر على حمص بعد عياض، فوليها دون نصف سنة ومات ولي في المحرم سنة عشرين ومات في جمادى الأولى. ومات بقيسارية وقال أبو عبيد: مات سنة إحدى وعشرين فالله أعلم. انظر: ابن حجر: الإصابة: جـ٣ ص:١١٠، وما بعدها.

(١) غنظ غَنْظًا: أشرف على الهلاك، ثم أفلت.

(٢) فَيَّلَ رأيه: ضَعَّفه وخطَّأه.

(٣) ستأتى قصته فى الحكاية التالية.

فما ذكرت ذلك اليوم وتَرْكِي نُصْرَته فى تلك الحال وأنا مشرك لا أؤمن بالله العظيم إلا ظننت أن الله لا يغفر لى بذلك الذنب أبدًا، فيصيبنى تلك الغنطة.

فقال عمر: الحمد لله الذى لم يُقَيِّل فراستي، فبعث إليه بألف دينار، وقال: استعن بها على أمرك! فقالت له امرأته: الحمد لله الذى أغنانا عن خدمتك، فقال لها: فهل لك فى خير من ذلك؟ ندفعها إلى مَنْ يأتينا بها أحوج ما نكون إليها[1]. قالت: نعم.

فدعا رجلا من أهله يثق به، فصررها صررًا. قال: انطلق بهذه إلى أرملة آل فلان، وإلى يتيم آل فلان، وإلى مسكين آل فلان، وإلى مبتلى آل فلان، فبقيت ذهيبة، فقال: أنفقى هذه، ثم عاد إلى عَمَلِه، فقالت: ألا تشترى لنا خادمًا؟ ما فعل ذلك المال؟! قال: سيأتيك أحوج ما تكونين إليه.

* * *

الحكاية الثالثة

استشهاد خبيب بن عدي

حدثنا أسد بن حارثة الثقفى عن أبى هريرة قال: بعث رسول الله ﷺ عشرة عينًا، وأمَّر عليهم عاصم بن ثابت الأنصارى، حتى إذا كانوا بالهدة بين عسفان ومكة ذُكِرُوا لحى من هذيل يقال لهم بنو لحيان، فنفروا إليهم بقريب من مائة رجل رامٍ، فاقتفوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم التمر فى منزل نزلوه، فقالوا: تمر يثرب، فاتبعوا آثارهم.

فلما أحس بهم عاصم وأصحابه لجئوا إلى موضع فدفد[2]، فأحاط بهم القوم، فقالوا لهم: انزلوا فأعطوا بأيديكم ولكم العهد والميثاق أن لا نقتل أحدًا.

فقال عاصم بن ثابت: أيها القوم، أما أنا فلا أنزل فى ذمة كافر، اللهم أخبر عنا نبيك، فرموهم بالنبل، فقتلوا عاصمًا، ونزل إليهم ثلاثة نفر على العهد والميثاق منهم خبيب وزيد بن الدثنة ورجل آخر، فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم، فربطوهم بها، فقال الرجل الثالث: هذا والله أول الغدر، والله لا أصحبكم، إن لى بهؤلاء أسوة - يريد القتلى- فجرُّوه وعالجوه، فأبى أن يصحبهم فقتلوه.

وانطلقوا بخبيب وابن الدثنة حتى باعوهما بمكة بعد وقعة بدر، فابتاع بنو الحارث بن عامر خبيباً، وكان حبيب هو قَتَلَ الحارث بن عامر يوم بدر، فلبث حبيب عندهم أسيرًا حتى أجمعوا قتله، فاستعار من بعض بنات الحارث مُوسِيً يستحد بها، فأعارته، فدرج

---

(١) يشير بذلك إلى التصدق بها في سبيل الله تعالى.

(٢) الفدفد: الأرض الواسعة المستوية التي لا شيء بها.

بُنَيٌّ لها وهي غافلة حتى أتاه، فوجدته مُجْلِسُه على فَخِذِه والموسى بيده.

قال: ففزعت فزعة عرفها خبيب، فقال: تخشين أن أقتله؟ ما كنتُ لأفعل ذلك. قالت: والله ما رأيت أسيرًا قط خيرًا من خبيب، والله لقد وجدته يومًا يأكل قُطْفًا من عنب في يده وإنه لموثوق بالحديد، وما بمكة من ثمرة، وكانت تقول: إنه لرزق رزقه الله خبيباً.

فلما خرجوا ليقتلوه في الحِلِّ قال لهم خبيب: دعوني أُصَلِّي ركعتين، فتركوه، فركع ركعتين، فقال: والله لولا أن تحسبوا أن ما بي جزع لزدت، اللهم أحصهم عددًا، واقتلهم بددًا، ولا تبق منهم أحدًا، وقال:

ولست أبالي حين أقتل مسلمًا ... على أي جنب كان في الله مصرع

وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شِلْو مُمَزَّع

ثم قام أبو سروعة عقبة بن الحارث فقتله، وكان خبيب هو سنَّ لكل مسلم قُتِل صَبْرًا الصلاة.

* * *

الحكاية الرابعة

جهاد وعبادة

عن جابر بن عبد الله – فيما يذكر من اجتهاد أصحاب رسول الله ﷺ في العبادة – قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة، فغشينا دارًا من دور المشركين، فأصبنا امرأة رجل منهم، ثم انصرف رسول الله ﷺ راجعًا، وجاء صاحبها، وكان غائبًا فذُكِرَ له مصابها، فحلف لا يرجع حتى يهريق في أصحاب رسول الله ﷺ دمًا.

فلما كان رسول الله ﷺ ببعض الطريق نزل في شِعْبٍ من الشعاب، وقال: «مَنْ رجلان يكلآنا[1] في ليلتنا مِنْ عدونا؟» فقال رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار: نحن نكلآنك يا رسول الله.

فخرجا إلى فم الشعب دون العسكر، ثم قال الأنصاري للمهاجري: أتكفيني أول الليل وأكفيك آخره، أم تكفيني آخره وأكف أوله؟ فقال المهاجري: بل اكفني أوله وأكفك آخره، فنام المهاجري وقام الأنصاري، فافتتح سورة من القرآن، فبينا هو يقرأها جاء زوج المرأة، فلما رأى الرجل قائمًا عرف إنه ربيئة[2] القوم، فانتزع له سهم،

---

(١) يحرسانا.

(٢) طَلِيعَةٌ، وحارسًا للقوم.

فبضعه[1] فيه، قال: فانتزعه فبضعه وهو قائم يقرأ فى السورة التى هو فيها، ولم يتحرك كراهية أن يقطعها!.

قال: ثم عاد له زوج المرأة بسهم آخر، فانتزعه فوضعه وهو قائم يصلى فى السورة التى هو فيها، ولم يتحرك كراهية أن يقطعها، ثم عاد إليه الثالثة بسهم، فوضعه فيه، فانتزعه فوضعه، ثم ركع وسجد، ثم قال لصاحبه: اقعد فقد أتيت.

فجلس المهاجرى، فلما رآهما صاحب المرأة هرب، فإذا الأنصارى يفوح دماً من رميات صاحب المرأة، فقال له أخوه المهاجرى: يغفر الله لك! ألا كنت آذنتنى أول ما رماك؟! فقال: كنت فى السورة فى القرآن قد افتتحتها أصلى بها، فكرهت أن أقطعها، وايم الله! لولا أن أُضَيِّعَ ثغرًا أمرنى رسول الله ﷺ بحفظه لقُطِعَ نَفْسِى قبل أن أقطعها.

* * *

الحكاية الخامسة

بين عبد الله والد الرسول وامرأة خثعمية

عن أبى الفياض الخثعمى قال: مَرَّ عبد الله بن عبد المطلب بامرأةٍ من خثعم يُقَال لها فاطمة بنت مُرٍّ، وكانت من أجمل الناس – أو أشبه– وأَعَفِّه، وكانت قد قرأت الكتب، وكان شباب قريش يتحدثون إليها، فَرَأَتْ نور النُّبُوة فى وجه عبد الله، فقالت: يا فتى مَنْ أنت؟ فأخبرها.

فقالت: هل لك أن تقع عليَّ وأعطيك من الإبل، فنظر إليها، ثم قال:

أما الحرام فالممات دونه
والحل لا حل فاستبينه
فكيف بالأمس الذى تنوينه

ثم مضى إلى امرأته آمنة بنت وهب، فكان معها، ثم ذكر الخثعمية وجمالها وما عرضت عليه، فأقبل إليها، فلم يَرَ منها من الإقبال عليه آخراً كما رأى منها أولاً، فقال: هل لكِ فيما قلتِ لى؟ فقالت: قد كان ذلك مرةً، فاليوم لا. فذهبت مثلاً.

وقالت: أى شيء صنعتَ بعدى؟ قال: وقعتُ على زوجتى آمنة بنت وهب.

قالت: أى والله! لستُ بصاحبة ريبة، ولكنى رأيت نور النبوة فى وجهك، فأردتُ أن يكون ذاك فِيَّ، وأبى الله إلا أن يجعله حيث جعله.

---

(١) أصابه بجرح فى جسده.

وبلغ شباب قريش ما عرضَتْ على عبد الله وتأبِّيه عليها، فذكروا ذلك لها، فأنشأت تقول:

إنـــي رأيـــت مخيلـــة لمعـــت فتـــلألأت بحنـــاتم القطـــر
فلمأتهـــا نـــورا يضـــيء لـــه مـــا حولـــه كإضـــاءة البـــدر
ورأيتـــه شَـــرَفاً أبـــوء بـــه مـــا كـــل قـــادح زنـــده يـــوري
للـــه ما زهريـــة سلبـــت ثوبيـــك مـــا استلبت وما تـــدري

وقالت أيضاً:

بنى هاشم ما غادرت من أخيكـم أمينـــة إذ للبـــاه يقتلحـــان
كمـا غـادر المصبـاح بعـد خبـوه فتـائل قـد ميثـت لـه بدهـــان
وما كل ما يحوى الفتى من تـلاده بحـزم ولا مـــا فاتـه لتوانـــى
فـأجمل إذا طـالبت أمـراً فإنـــه سـيكفيكه خـــلان يصطرعـــان
ســيكفيكه أمـــا يـــد مقفعلـــة وإمـــا يـــد مبســـوطه ببنـــان
ولـمـا قضـــت منه أمينة ما قضت نبـــا بصرى عنـــه وكل لســـان

وقد روى عن عروة وغيره قالوا: هذه المرأة اسمها قتيلة بنت نوفـل أخـت ورقـة بـن نوفل[١].

---

(١) ذكر هذه القصة ابن كثير فى البداية والنهاية، وعزاها إلى ابن إسحاق في السيرة، والبيهقى فى الدلائل، وفيها أن هذه المرأة هى أخت ورقة بن نوفل، ثم ذكرها مفصلة بسند عزاه إلى الخرائطى مشيرًا إلى أن هذه المرأة كاهنة من تبالة، وقال: قال أبو بكر محمد بن جعفر بن سـهل الخرائطي: حدثنا علي بن حرب حدثنا محمد بن عمارة القرشي حدثنا مسلم بـن خـالد الزنجي حدثنـا ابـن جريج عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس: قال لما انطلق عبد المطلب بابنه عبد الله ليزوجه مر به على كاهنة من أهل تبالة متهودة قد قرأت الكتب يقال لها فاطمة بنت مر الخثعمية فرأت نور النبوة في وجه عبدالله فقالت يا فتى هل لك أن تقع علي الآن وأعطيك مائة من الإبل فقال عبـد الله:

أمـــا الحـــرام فالممـــات دونـــه والحـــل لا حـــل فأســـتبينه
فكيـــف بالأمـــر الذي تبغينـــه يحمـــي الكريـم عرضـــه ودينـــه

ثم مضى مع أبيه فزوجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة فأقام عندها ثلاثـا ثـم إن نفسـه دعته إلى ما دعته إليه الكاهنة فأتاها فقالت ما صنعت بعدي فأخبرها فقالت والله ما أنا بصاحبـة ريبة ولكنني رأيت في وجهك نورا فـأردت أن يكـون في وأبـى اللـه إلا أن يجعلـه حيـث أراد ثـم أنشأت فاطمة
=

الحكاية السادسة

علي يرثي أبا بكر

عن أسيد بن صفوان، وكان قد أدرك النبي ﷺ قال: لما قُبِضَ أبو بكر الصديق، وسُجِّيَ عليه ارتجت المدينة بالبكاء كيوم قُبِضَ رسول الله ﷺ، فجاء علي بن أبى طالب مستعجلاً مسرعاً مسترجعاً، وهو يقول: اليوم انقطعتْ خلافة النبوة، حتى وقف على البيت الذى فيه أبو بكر مُسَجًّى.

فقال: رحمك الله يا أبا بكر، فلقد كنتَ إِلْفَ رسول الله ﷺ وأنيسه ومستراحه وثقته وموضع سره ومشاورته، وكنتَ أوَّل القوم إسلاماً وأخلصهم لله إيماناً وأشدهم يقيناً وأخوفهم لله وأعظمهم غنًى فى دين الله عز وجل وأحوطهم على رسول الله ﷺ وأحدهم على الإسلام وأحسنهم صحبة وأكثرهم مناقب وأفضلهم سوابق وأرفعهم درجة وأقربهم وسيلة وأشبههم برسول الله هَدْيًا وسمتاً ورحمةً وفضلاً وأوثقهم عنده وأكرمهم عليه، فجزاك الله عن رسوله وعن الإسلام أفضل الجزاء.

صَدَّقْتَ رسول الله حين كذّبه الناس، وكنت عنده بمنزلة السمع والبصر، سمَّاك الله فى تنزيله صِدِّيقاً، فقال: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾[1].

واسيته حين بخلوا، وقمتَ معه على المكاره حين قعدوا، صحبته فى الشدة أكرم صحبة، ثانى اثنين فأنت صاحبه فى الغار، والمُنَزَّل عليه السكينة ورفيقه فى الهجرة وخليفته فى دين الله وأمينه، أحسن الخلافة حين ارتدوا، قمتَ ما لم يقم به خليفة نبى، نهضتَ حين وهن أصحابُه، وبرزت حين استكانوا، وقويت حين ضعفوا، ولزمت

=إنـي رأيـت مخيلـة لمعـت ... فتلألأت بحنـاتم القطـر
فلمأتهـا نـورا يضـيء لـه ... مـا حولـه كإضـاءة البـدر
ورجوتهـا فخـرا أبـوء بـه ... مـا كـل قـادح زنـده يـوري
للـه مـا زهريـة سلبـت ... ثوبيـك مـا استلبت وما تـدري

وقالت فاطمة أيضا:

بني هاشم قد غادرت من أخيكم ... أمينـة إذ للبـاه يعتركـان
كما غادر المصباح عند خموده ... فتـائل قـد ميثـت لـه بدهـان
وما كل ما يحوي الفتى من تلاده ... بحـزم ولا مـا فاتـه لتوانـي
فـأجمل إذا طـالبت أمـرا فإنـه ... سـيكفيكه جـدان يعتلجـان
سـيكفيكه إمـا يـد مقفللـة ... وإمـا يـد مبسـوطة ببنـان
ولمـا حـوت منه أمينة ما حـوت ... حـوت منـه فخرا ما لذلك ثـان

(١) سورة الزمر، الآية رقم: ٣٣.

مناهج رسوله ؛ فكنت خليفته حقًا لن تنازع ولن تضارع برغم المنافقين وبكبت الكافرين وكره الحاسدين وصِغَر الفاسقين وغيظ الباغين.

قمتَ بالأمر حين فشلوا، ونطقتَ حين تتعتعوا، ومضيتَ بالنور إذ وقفوا، فاتبعوك فهُدُوا، وكنتَ أحفظهم صوتاً وأعلاهم فوقاً وأقلهم كلاماً وأصدقهم منطقاً وأطولهم صمتاً وأبلغهم قولاً وأكرمهم رأياً وأشجعهم نفساً وأشرفهم عملاً.

كنتَ والله للدِّين يعسوباً[1] أولاً حين نفر عنه الناس وآخراً حين أقبلوا، كنتَ للمؤمنين أباً رحيماً حين صاروا عليك عيالاً، حملتَ أثقال ما عنه ضعفوا، ورعيت ما أهملوا، وعلمت ما جهلوا، وشمَّرت إذ طلعوا، وعلوت إذ هلعوا، وصبرت إذ جزعوا، وأدركت أثار ما طلبوا، وراجعوا برأيك رشدهم فظفروا، ونالوا برأيك ما لم يحتسبوا.

كنتَ على الكافرين عذاباً صبًّا ولهبًا، وللمؤمنين رحمة وأنساً وحصناً، طِرْتَ -والله- بعنانها، وفُزْتَ بجنانها، وذهبتَ بفضائلها، وأدركتَ سوابقها، لم تَفْلُلْ حجتك، ولم تضعف نصرتك، ولم تجبن نفسك، ولم يُرَعْ قلبك، فلذلك كنتَ كالجبال لا تحركها العواصف ولا تزيلها القواصف.

كنتَ - كما قال رسول الله ﷺ - أَمَنَّ الناس عليه في صحبتك وذات يدك، وكنتَ - كما قال رسول الله ﷺ - ضعيفاً في بدنك قوياً في أمر الله عز وجل، متواضعاً في نفسك، عظيماً عند الله عز وجل، جليلاً في أعين الناس كثيراً في أنفسهم، لم يكن لأحد فيك مَغْمَزٌ ولا لقاتك فيك مهمز، ولا لأحدٍ فيك مطمع، ولا لمخلوق عندك هوادة، الضعيف الذليل عندك قوى عزيز حتى تأخذ بحقه، والقوى العزيز عندك ضعيف ذليل حتى تأخذ منه الحق، القريب والبعيد عندك سواء، وأقرب الناس عندك أطوعهم لله عز وجل وأتقاهم له، شأنك الحق والصدق والرفق، وقولك حُكْمٌ وحتم، ورأيك حلم وعزم، فسبقتَ والله سبقاً بعيداً، وأتعبتَ مَنْ بعدك إتعاباً شديداً، وفُزْتَ بالخير فوزاً مبيناً، فجللتَ عن البكاء، وعظمت رزيتك في السماء، وهَدَّتْ مصيبتك الأيام، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

رضينا عن الله عز وجل قضاءه، وسلَّمنا له أمره، والله لن يصاب المسلمون بعد رسول الله ﷺ بمِثْلِك أبداً، كنتَ للدِّين عِزًّا وحِرْزاً ولَهَفاً، وللمؤمنين فيه وحصناً وعشاً، وعلى المنافقين غلظةً وغيظاً، فألحقك الله بنبيك ﷺ، ولا حرمنا أجرك، ولا أضلنا بعدك.

فسكت الناس حتى انقضى كلامه، ثم بكوا حتى علت أصواتهم، وقالت: صدقت يا خِتْنَ رسول الله ﷺ.

---

(١) اليَعْسوبُ: أميرُ النَّحْلِ، وذكرُها، والرَّئيسُ الكبيرُ.

الحكاية السابعة

استشهاد عمر بن الخطاب

عن عمرو بن ميمون قال: أتيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه قبل أن يصاب بأيام بالمدينة وقف على حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف، قال: كيف فعلتما؟ أتخافان أن تكونا حَمَّلْتما الأرضَ ما لا تطيق؟! قالا: حملناها أمراً هى له مطيعة. قال: انظرا أن تكونا حملتما الأرض ما لا تطيق؟ قالا: لا. فقال عمر: إن سَلَّمَنِى الله لأدعنَّ أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى رجل بعدى أبداً!.

قال: فما أتت عليه الرابعة حتى أصيب. قال: إنى لقائم ما بينى وبينه إلا عبد الله بن عباس غداة أصيب، وكان إذا مَرَّ بين الصفين قال: استووا، حتى إذا لم يَرَ فيهن خللاً تقدَّم وكبَّر، وربما قرأ بسورة يوسف والنحل، أو نحو ذلك فى الركعة الأولى حتى يجتمع الناس، فما هو إلا أن كبَّر، فسمعته يقول: قتلنى - أو أكلنى - الكلب، حين طعنه، فطار العِلْجُ(١) بسكين ذات طرفين لا يَمُرُّ على أحد يميناً ولا شمالاً إلا طعنه، حتى طعن ثلاثة عشرة رجلاً، مات منهم سبعة. فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه بُرْنُساً، فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه. وتناول عمر بيد عبد الرحمن فقدَّمه.

فمن يلى عمر فقد رأى الذى أرى ، وأما نواحى المسجد فإنهم لا يدرون غير أنهم قد فقدوا صوت عمر وهم يقولون: سبحان الله! سبحان الله! فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة.

فلما انصرفوا قال: يابن عباس انظر مَنْ قتلنى؟ فجال ساعة، ثم جاء، فقال: غلام المغيرة. قال الصَّنَع؟ قال: نعم. قال: قاتله الله قد أمرت به معروفاً، الحمد لله الذى لم يجعل منيتى بيد رجل يَدَّعِى الإسلام، قد كنتَ أنت وأبوك تحبان أن يكثر العلوج بالمدينة - وكان العباس أكثرهم رقيقاً- قال: إن شئتَ فعلنا – أي: إن شئت قتلنا-. قال: كذبت بعد ما تكلموا بلسانكم وصلوا قبلتكم وحجوا حجكم.

فاحْتُمل إلى بيته، فانطلقنا معه وكان الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ، فقائل يقول: لا بأس. وقائل يقول: أخاف عليه، فأُتِىَ بنبيذ، فشربه، فخرج من جوفه، ثم أُتِىَ بلبن، فشربه، فخرج من جوفه، فعرفوا أنه ميت.

فدخلنا عليه، وجاء الناس يثنون عليه، وجاء رجل شاب، فقال: أبشر يا أمير المؤمنين سيرى الله لك من صحبة رسول الله ﷺ وقِدَمٍ فى الإسلام، ثم وُلِّيتَ فَعَدِلْتَ، ثم شهادة.

---

(١) العِلْج: الرَّجُلُ من كُفَّارِ العَجَمِ، ج: عُلوجٌ وأعْلاجٌ ومَعْلوجاءُ وعِلَجَةٌ.

قال: وددت أن ذلك كفافاً لا عليَّ ولا لِيَ.

فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض. قال: ردوا عليَّ الغلامَ. فقال: يابن أخى، ارفع ثوبك فإنه أنقى لثوبك وأتقى لربك، يا عبد الله بن عمر! انظر ما عليَّ من الدَّيْن. فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفاً - أو نحوه- فقال: إنْ وَفَّى له مال عمر أدِّه من أموالهم وإلا فسل فى بنى عدى بن كعب، فإن لم تف أموالهم، فسل فى قريش ولا تعدهم إلى غيرهم، وأدِّ عني هذا المال، انْطَلِقْ إلى عائشة أم المؤمنين، فقل: يقرأ عليك عمر السلام، ولا تقل أمير المؤمنين، فإنى لست اليوم للمؤمنين أميراً، وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يُدْفَنَ مع صاحبيه، فمضى وسلَّم واستأذن، ثم دخل عليها، فوجدها قاعدة تبكى، فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام، ويستأذن أن يُدْفَنَ مع صاحبه.

فقالت: كنتُ أريده لنفسى، ولأوثرن به اليوم على نفسى.

فلما أقبل قيل هذا عبد الله بن عمر قد جاء، فقال: أقعدونى فأسنده رجل إليه، فقال: ما لديك؟ فقال: الذى تحب يا أمير المؤمنين، أذنت.

فقال الحمد لله، ما كان شيء أهم إليَّ من ذلك، فإذا أنا قُبِضْتُ فاحملونى، ثم سَلِّمْ، وقل: يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لى فأدخلونى، وإن رَدَّتْ فردونى إلى مقابر المسلمين.

وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء تسير معها، فلما رأينها قمن فولجت عليه فبكت عنده ساعة، واستأذن الرجال فولجت داخلاً لهم، فسمعنا بكاءها من الداخل، فقالوا: أوصِ يا أمير المؤمنين، استخلف.

فقال: ما أحد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر والرهط الذى توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، فسَمَّى عليًّا وعثمان والزبير وطلحة وسعداً وعبد الرحمن، وقال يشهدكم عبد الله بن عمر، وليس له من الأمر شيء، كهيئة التعزية له، فإن أصابت الإمرة سعداً فهو ذلك، وإلا فليَسْتَعِنْ به أيكم ما أُمِّرَ، فإنى لم أعزله من عجزٍ ولا خيانة.

وقال: أُوصِي الخليفة من بعدى بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم، ويحفظ لهم حرمتهم، وأوصيه بالأنصار خيرًا-الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم - أن يقبل من محسنهم،وأن يغفو عن مسيئهم، وأوصيه بأهل الأمصار خيراً ؛ فإنهم ردء[١] الإسلام وجباة المال وغيظ العدو، وأن لا يُؤْخَذْ منهم إلا فَضْلَهم عن رضاهم، وأوصيه بالأعراب

---

(١) الردء: العون والقوة والعماد.

خيراً ؛ فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام أن يؤخذ من حواشى أموالهم، وترد فى فقرائهم، وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله أن يوفى لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، ولا يُكلَّفوا إلا طاقتهم.

فلما قبض خرجنا به، فانطلقنا نمشى، فسلَّم عبد الله بن عمر، وقال: يستأذن عمر ابن الخطاب. قالت: أدخلوه، فأدخل، فوُضِعَ هناك مع صاحبيه.

* * *

الحكاية الثامنة

ضرار بن ضمرة يصف عليًّا

عن أبى صالح قال: قال معاوية بن أبى سفيان لضرار بن ضمرة: صِفْ لى عليًّا. فقال: أو تعفنى. قال: بل تصفه. قال: أو تعفنى. قال: لا أعفيك.

قال: أما إذ لا بد ؛ فإنه والله كان بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته.

كان والله غزير الدمعة، طويل الفكرة، يُقَلِّب كفيه، ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب، كان والله كأحدنا يجيبنا إن سألناه، ويبتدينا إذا أتيناه، ويأتينا إذا دعوناه، ونحن والله مع تقربته لنا وقربه منا لا نُكَلِّمه هيبة، ولا نبتديه لعظمة، فإن تبسَّم فعن مِثْل اللؤلؤ المنظوم، يُعَظِّم أهل الدين، ويحب المساكين، لا يطمع القوى فى باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله.

فأشهد بالله لرأيته في بعض مواقفه، وقد أرخى الليل سجوفه [١]، وغارت نجومه، وقد مَثُلَ فى محرابه قابضاً على لحيته، يتململ تململ السليم [٢]، ويبكى بكاء الحزين، فكأنى أسمعه وهو يقول: يا دنيا! يا دنيا! أَبِـي تَعَرَّضْتِ؟! أم بِي تَشَوَّفْتِ؟! هيهات! هيهات! غُرِّي غيرى، قد بتتك [٣] ثلاثًا لا رجعة لى فيك، فعمرك قصير، وعيشك حقير، وخطرك كبير، آهٍ من قلة الزاد، وبُعْدِ السفر، ووحشة الطريق.

قال: فذرفت دموع معاوية على لحيته، فما تملكها وهو ينشفها بكمه، وقد اختنق القوم بالبكاء، ثم قال معاوية: رحم الله أبا الحسن، كان والله كذلك، فكيف حُزْنُك عليه يا ضرار؟

---

(١) جمع السُّجُف: وهو الستر، ويعنى: دخول الليل.

(٢) السَّلِيمُ: اللَّدِيغُ، أو الجَرِيحُ الذي أشْفَى على الهَلَكَةِ.

(٣) طلَّقتك.

قال: حُزْن مَنْ ذُبِحَ ولدها فى حجرها، فلا ترقا عبرتها، ولا يسكن حزنهما.

* * *

الحكاية التاسعة

من وصايا الإمام علي

حدثنا أحمد بن عبيد قال: أخبرنا على بن محمد المدائنى قال: قال كُمَيْل: – وبعض الروايات تزيد على بعض – قال: أخذ بيدى أمير المؤمنين على بن أبى طالب –كرَّم الله وجهه–، وأخرجنى إلى ناحيةٍ بالجَبَّان، فلما أسحرنا جلس، ثم تنفس، ثم قال: يا كميل ابن زياد إن هذه القلوب أوعية، وخيرها أوعاها، احفظ عنى ما أقول لك: الناس ثلاثة ؛ عالم ربانى، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق مُلَوِّن مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى ركنٍ وثيق.

يا كميل بن زياد، العلم خيرٌ من المال ؛ العلم يحرسك، وأنت تحرس المال، المال تُنْقِصُه النفقة، والعلم يزكو على الإنفاق، العلم حاكم والمال محكوم عليه.

يا كميل بن زياد، محبة العالم دين يدان به، العلم يُكْسِب العالمَ الطاعةَ فى حياته وجميل الأحدوثة بعد وفاته، ونفقة المال تزول بزواله.

يا كميل بن زياد، مات خُزَّان المال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقى الدهر أعيانهم مفقودة، وأمثالهم فى القلوب موجودة. هاهٍ إنَّ هاهنا –وأشار إلى صدره – لعلمًا جَمًّا لو أصيب له حامله.

ثم قال: اللهم بلى، أَصِبْه لفتى غير مأمون، يستعمل له الدين، ويستظهر بنعم الله على عباده، وبحججه على كتابه، أو منقاداً لأهل الحق لا بصيرة له فى أحيائه، يقدح الشك فى قلبه بأول عارض من شبهةٍ، اللهم لا إذًا ولا ذاك، أو منهوماً باللذات سلس القياد للشهوات، أو مغرى بجمع الأموال والادخار، وليس من دعاة الدين، أقرب سهامهم الأنعام السائمة، كذلك يموت العلم بموت حَمَلَتِه.

اللهم بلى، لا تخلوا الأرض من قائم لله بحجته ؛ إما ظاهر مشهور، وأما غائب مستور ؛ لئلا تبطل حُجَج الله عز وجل وبيناته.

وأين أولئك؟! أولئك الأَقَلُّون عدداً، الأعظمون عند الله قَدْراً، بهم يحفظ الله حجته حتى يؤدوها إلى نظرائهم، ويزرعوها فى قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة الأمر، فباشروا أرواح اليقين، واستلانوا ما استوعر المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى.

يا كميل بن زياد، أولئك خلفاء الله فى أرضه، ودعاته إلى دينه. هاهٍ هاهٍ! شوقاً إلى رؤيتهم، فأستغفر الله لى ولك.

* * *

الحكاية العاشرة

إني لأجد ريح الجنة

عن أنس بن مالك قال: غاب أنس بن النضر عم أنس بن مالك عن قتال بدر، فلما قَدِمَ قال: غِبْتُ فى أول قتال قاتله رسول الله ﷺ المشركين، إن أشهدنى الله عز وجل قتالا ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أُحُدٍ انكشف الناس، فقال: اللهم إنى أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء -يعنى المشركين-، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء -يعنى المسلمين-، ثم مشى بسيفه فَلَقِيه سعد بن معاذ فقال: أى سعد، والذى نفسى بيده إنى لأجد ريح الجنة دون أُحُدٍ، واهاً لريح الجنة!.

قال سعد: فما استطعت ما صنع. قال: فوجدناه من القتلى، به بضع وثمانون جراحة من ضربه بسيف وطعنه برمح ورمية بسهم، قد مَثَّلوا به، قال: فما عرفناه حتى عرفته أخته ببنانه.

قال أنس: فكنا نقول: هذه الآية: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾[١] فيه وفى أصحابه[٢] .

* * *

الحكاية الحادية عشر

لا آكل شيئًا حرَّمه الله

عن وهب بن منبه قال: سأله بعض أهل الطرار فقال: يا أبا عبد الله، هل سمعت ببلاء أو عذاب أشد مما نحن فيه؟ أما لو نظرتم ما أنتم فيه وإلى ما خلا لكان ما أنتم فيه مثل الدخان عند النار!

قال: أُتِيَ بامرأة من بنى إسرائيل يُقال لها سارة وسبعة بنين لها إلى مَلِكٍ كان يفتن الناس على أكل لحم الخنازير، فدعا أكبرهم، فقرَّب إليه لحم الخنزير، فقال: كُلْ.

قال: ما كنت لأكل شيئاً حرَّمه الله عزَّ وجلَّ أبدًا، فأمر به، فقطع يديه ورجليه، وقطعه عضوًا عضوًا حتى قتله.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية رقم: ٢٣.

(٢) قصة استشهاد أنس بن النضر صحيحة، في حديث رواه البخارى ومسلم وأحمد والترمذى وغيرهم.

ثم دعا بالذى يليه فقال له: كُلْ. فقال: ما كنت لأكل شيئًا حرَّمه الله تعالى عليَّ، فأمر بِقِدْرٍ من نحاسٍ، فملئت زفتاً، ثم أُغْلِيَتْ حتى غليت ألقاه فيها.

ثم دعا بالذى يليه، فقال: كُلْ. فقال: أنت أَذَلُّ وأَقَلُّ وأَهْوَنُ على الله مِنْ أنْ آكلَ شيئاً حرَّمه الله عليَّ! فضحك الملك، وقال: أتدرون ما أراد بشتمه إياى؟ أراد أن يُغضبنى ؛ فأُعَجِّلَ فى قتله، وليخطئنه ذلك، فأمر به، فحزَّ جلد عنقه، ثم أمر به أن يُسلخ جلد رأسه ووجهه، فسلخوه سلخاً.

فلم يزل يقتل كل واحد منهم بلون غير قتل أخيه حتى بقى أصغرهم، فالتفت إليه وإلى أمه، فقال لها أُذِيتُ لك مما رأيت، فانطلقى بابنك هذا، فأَخْلِى بـه، وأريديه على أن يأكل لقمة واحدة، فيعيش لك. قالت: نعم.

فَخَلَتْ به، فقالت: أى بُنَى، أتعلم أنه كان لى على كل رجل من إخوتك حق، ولى عليك حقان، وذلك أنى أرضعت كل رجل منهم حولين، فمات أبوك وأنت حمل فنفست بك، فأرضعتك لضعفك ورحمتى إياك أربعة أحوال، فأسألك بالله وحقى عليك لما صرت ولم تأكل شيئاً مما حرَّم الله عليك، ولا تلقين إخوتك يوم القيامة ولست معهم.

فقال: الحمد لله الذى أسمعنى هذا منك، فإنما كنت أخاف أن تريدننى على أن آكل مما حرَّم الله عليَّ، ثم جاءت به إلى الملك [فقالت:] ها هو ذا قد أردته، فأمره الملك أن يأكل، فقال: ما كنت لآكل شيئاً حرَّمه الله عز وجل عليَّ، فقتله وألحقه بإخوته، وقال لأمهم: إنى لأجدنى أرثى لك مما رأيت اليوم، ويحكِ! فكلى لقمة، ثم أصنع بكِ ما شئتِ، وأعطيكِ ما أحببتِ تعيشى به، قالت: أجمع بين ثكل ولدى ومعصية الله، فلو حييت بعدهم ما أردت ذلك، وما كنت لآكل شيئاً مما حرَّمه الله عز وجل عليَّ أبداً، فقتلها وألحقها ببنيها، رحمة الله عليهم.

* * *

الحكاية الثانية عشرة

حكاية بنت بائعة اللبن

حدثنا عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده أسلم قال: كنت مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو يعسُّ المدينة إذ عيي ؛ فاتكأ على جانب جدار فى جوف الليل، فإذا امرأة تقول لابنها: يا ابنتاه، قومى إلى ذلك اللبن، فامزقيه[1] بالماء. فقالت: يا

---

(١) اخلطيه.

أُمَّتاه، وما علمتِ ما كان من عزمة[١] أمير المؤمنين؟ فقالت: وما كان من عزمته يا بُنَيَّة؟ قالت: لقد أمر مناديًا، فنادى أن لا يشاب اللبن بالماء.

فقالت لها: يا ابنتاه قومى إلى اللبن فامذقيه بالماء، فإنك فى موضع لا يراك عمر ولا منادى عمر، فقالت الصبية لأمها: يا أمتاه والله ما كنت لأطيعه فى الملأ، وأعصيه فى الخلاء.

وعمر يسمع كل ذلك، فقال: يا أسلم، علّم الباب، واعرف الموضع، ثم مضى فى عسسه، فلما اصبح قال: يا اسلم، امضِ إلى الموضع، فانظر مَنِ القائلة، ومن المقول لها؟ وهل لهم من بعلٍ[٢]؟

فأتيت الموضع، فنظرت، فإذا الجارية أَيِّم لا بعل لها، وإذا تيك المرأة ليس لها بعل، فأتيتُ عمر وأخبرته، فدعا عمر ولده، فجمعهم: فقال: هل فيكم مَنْ يحتاج إلى امرأة أو زوجة، فلو كان بأبيكم حركة إلى النساء ما سبقه أحد منكم إلى هذه الجارية؟ فقال عبد الله: لى زوجة، وقال عبد الرحمن: لى زوجة، وقال عاصم: يا أبتاه لا زوجة لى، زَوِّجْنى.

فبعث إلى الجارية، فزَوَّجَها من عاصم، فولدت لعاصم بنتاً، وولدت الابنة عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه وعليهم.

* * *

الحكاية الثالثة عشرة

قصة صاحب الرغيف

عن أبى بردة قال: لما حضرت أبا موسى الوفاةُ قال: يا بَنِيَّ، اذكروا صاحب الرغيف؛ كان رجل يتعبد فى صومعةٍ - أراه سبعين سنة - لا ينزل إلا فى يوم واحدٍ. قال: فنسيه أو زيَّنَ[٣] الشيطان فى عينه امرأة، فكان معها سبعة أيام -أو سبع ليالٍ-، ثم كُشِفَ عن الرجل غطاؤه، فخرج تائباً.

وكان كلّما خطا خطوة صلّى وسجد، فآواه الليل إلى دكان عليه اثنا عشر مسكيناً، فأدركه الإعياء، فرمى بنفسه بين رجلين منهم، وكان ثَمَّ راهب يبعث إليهم كل ليلة أرغفة، فيعطى كل إنسان رغيفاً، ومرَّ على ذلك الرجل الذى خرج تائباً، فظن أنه

---

(١) أمره وفرضه على الرعية.

(٢) زوج.

(٣) فى أصل المخطوط كلمة غير واضحة.

مسكين، فأعطاه رغيفاً، فقال المتروك لصاحب الرغيف: مالك لم تعطنى رغيفى؟ فقال: أترانى أمسكته عنك، سل هل أعطيتُ أحدًا منكم رغيفين؟ قالوا: لا. فقال: والله لا أعطيك الليلة شيئاً.

فعمد التائب إلى الرغيف الذى دفعه إليه، فدفعه إلى الرجل الذى تُرِكَ، فأصبح التايب ميتاً.

قال: فوُزِنَتْ السبعون سنة بالسبع الليالى، فرجحت الليالى، فوزن الرغيف بالسبع الليالى، فرجح الرغيف، فقال أبو موسى: يا بَنِيَّ، اذكروا صاحب الرغيف.

وقد روى لنا حديث صاحب الرغيف على وجه آخر عن ابن مسعود قال: عَبَدَ اللهَ رجلٌ سبعين سنة، ثم أصاب فاحشة، فأحبط الله عمله، ثم أصابته زَمَانَةٌ[١] فأُقْعِدَ، فرأى رجلاً يتصدق على مساكين، فجاء إليه، فأخذ منه رغيفاً، فتصدق به على مسكين آخر، فغُفِرَ له ذنبه، ورُدَّ عليه عمل سبعين سنة.

* * *

الحكاية الرابعة عشرة

حديث بشر الحافي

حدثنا أبو أحمد بن كثير قال: سمعت إبراهيم الحربى يقول: قمتُ يوم الجمعة وراء بشر الحافى أركع، فقام رجل رثُ الحال والهيئة، فقال، يا قوم، احذروا أن أكون صادقاً، وليس مع الاضطرار اختيار، ولا ينفع سكون عند العدم ولا السؤال مع الوجود، ثَمَّ فَاقَةٌ رحمكم الله!

قال: فرأيت بشرًا أعطاه قطعة. قال إبراهيم: فقمت إليه، فأعطيته درهماً، فقلت: أعطنى القطعة؟ قال: لا أفعل. فقلت: هذان درهمان بعْنِي، فامتنع، فقلت: هذه عشرة دراهم، فقال لى:... شيء رغَّبْتُك فى دانق، تبذل فيه عشرةً صحاحاً.

فقلت: هذا رجل صالح. فقال لى: فأنا فى معروف هذا أرغب، ولست أستبدل بالنعم نقماً، وإلى أن آكل هذا فرج عاجل أو ميتة قاضية.

قال إبراهيم: فقلت: انظروا معروف مَنْ بيد مَنْ؟ فقلتُ: يا شيخ دَعْوَةً؟ فقال: أحيا الله قلبك، وجعلك مِمَّن يشترى نفسه بكل شيء، ولا يبعها بشيء.

* * *

---

(١) مرض.

الحكاية الخامسة عشرة

مع الزُّهَّاد الاوائل

عن علقمة بن مرثد قال: انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين: عامر بن عبد الله، وأويس القرنى، وهرم بن حيان، والربيع بن خثيم، وأبو مسلم الخولانى، والأسود بن يزيد، ومسروق بن الأجدع، والحسن بن أبى الحسن.

فأما عامر فإنْ كان ليصلى فيتمثل إبليس فى صورة الحَيَّة، فيدخل من تحت قميصه حتى يخرج من جيبه، فما يمسه.

فقيل له: ألا تُنَحِّى الحية عنك؟ فقال: إنى لأستحى من الله عز وجل أن أخاف سواه[1]!.

فقيل له: أن الحية لَتُدْرأ بدون ما تصنع، وإن النار لتتقى بدون ما تصنع؟ فقال: والله لأجتهدن، ثم والله لأجتهدن، فإن نجوتُ فبرحمة الله، وإن دخلتُ النار فبعد جهدى.

فلما احتُضِرَ بكى فقيل له: أتجزع من الموت فتبكى؟ فقال: وما لى لا أبكى، ومَنْ أحق بذلك منى، والله ما أبكى جزعاً من الموت، ولا حرصاً على دنياكم، ولكنى أبكى على ظمأ الهواجر وقيام الليل الشَّتِي، وكان يقول: اللهم فى الدنيا الهموم والأحزان، وفى الآخرة العذاب والحساب، فأين الروح والفرح؟!

وأما الربيع بن خثيم فإنه قيل له حين أصابه الفالج: لو تداويت؟ قال: لقد عرفت أن الدواء حق، ولكن ذكرت عاداً وثموداً وقروناً بين ذلك كثيراً، كانت فيهم الأوجاع، وكان فيهم الأطباء، فما بقى المُدَاوِي ولا المُدَاوَى[2]!.

وقيل له: ألا تذكر الناس؟ فقال: ما عن نفسى براضٍ، فأتفرغ من ذمها إلى أن أذم الناس، إن الناس خافوا الله فى ذنوب الناس وأمنوه على ذنوبهم.

وقيل له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحنا ضعفاء مذنبين، نأكل أرزاقنا، وننتظر آجالنا.

قال: وكان عبد الله بن مسعود إذا رآه قال: ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾[3] أما إنه لو رآك محمد ﷺ لأحبك.

---

(١) يجوز للمسلم قتل الحية ودفع ما يصيبه من ضرر وهو في الصلاة، وليس في فعل عامر هذا فضيلة.

(٢) هذا تعلل لا يصح في ترك التداوى والأخذ بالأسباب، وقد أمر النبي ﷺ بالتداوى، واستشار الأطباء، وكان هذا هدي الصحابة والسلف، وفي ترك التداوي مخالفة لأمر الرسول ﷺ، وليس ذلك من التوكل في شيء.

(٣) سورة الحج، الآية رقم: ٣٧.

وكان الربيع يقول: أما بعد، فأَعِدَّ زادك، وجِد فى جهازك، وكن وَصِىَّ نفسك.

وأما أبو مسلم الخولانى فإنه لم يكن يجالس أحداً يتكلم فى شىء من أمر الدنيا إلا تحوَّل عنه، فدخل ذات يوم المسجد، فنظر إلى نفر قد اجتمعوا، فرجا أن يكونوا على ذِكْرِ الله تعالى، فجلس إليهم، وإذا بعضهم يقول: قَدِمَ غلامى فأصاب كذا وكذا، وقال آخر: جهَّزت غلامى، فنظر إليهم، فقال: سبحان الله! أتدرون ما مَثَلِى ومَثَلُكم كمَثَل رجل أصابه مطر غزير وابل، فالتفتَ فإذا هو بمصراعين عظيمين، فقال: لو دخلتُ هذا البيت حتى يذهب هذا المطر، فدخل فإذا البيت لا سقف له، جلستُ إليكم، وإنما أرجو أن تكونوا على ذِكْرٍ وخير، فإذا أنتم أصحاب دنيا.

قال: وقال له قائل حين كَبُرَ ودقَّ: لو قَصَّرْتَ عن بعض ما تصنع؟ فقال: أرأيتم [لو] أرسلتم الخيل فى الحَلَبَة، ألستم تقولون لفارسها: ودعها وارفق بها، حتى إذا رأيتم الغاية لم تسبقوا منها شيئاً؟ قالوا: بلى.

قال: فإنى قد انصرفت الغاية، وإن لكل ساعٍ غاية، وغاية كل ساعٍ الموت، فسابق ومسبوق.

وأما الأسود بن يزيد فكان يجتهد فى العبادة، ويصوم حتى يخضرَّ ويصفرَّ، فكان علقمة بن نفيس يقول له: كم تُعَذِّبُ هذا الجسد؟ فيقول: إن الأمر جد، كرامة هذا الجسد أريد.

فلما احتضر بكى، فقيل له: ما هذا الجزع؟ فقال: ما لى لا أجزع، ومَنْ أحق بذلك منى، والله لو أُتِيتُ بالمغفرة من الله عز وجل لأَهَمَّنِى الحياء منه مما قد صنعتُ، إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير، فيعفو عنه فلا يزال مستحييًا منه.

قال: ولقد حج الأسود ثمانين حجة.

وأما مسروق بن الأجدع، فإن امرأته قالت: ما كان يوجد إلا وساقاه قد انتفختا من طول الصلاة. قالت: وإن كنتُ والله لأجلس خلفه أبكى رحمةً له مما يصنع، فلما احتُضِرَ بكى، فقيل له: ما هذا الجزع؟ قال: وما لى لا أجزع، وإنما هى ساعة فلا أدرى أين يُسْلَكُ بى، بين يدى طريقان لا أدرى إلى الجنة أم إلى النار.

وأما الحسن البصرى فما رأينا أحداً من الناس كان أطول حزناً منه، ما كنا نراه إلا حديث عهدٍ بمصيبةٍ، وقال: نضحك ولا ندرى لعل الله عز وجل اطلع على بعض أعمالنا فقال: لا أقبل منكم شيئاً! ويحكَ ابن آدم هل لك بمحاربة الله طاقة؟ إنه مَنْ قد عصى الله فقد حاربه، والله لقد أدركتُ سبعين بدرياً أكثر لباسهم الصوف، لو

رأيتموهم لقلتم مجانين، ولو رأوا أخياركم لقالوا: ما لهؤلاء خَلاق، ولو رأوا شراركم لقالوا: ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب!.

ولقد رأيت أقوامًا ما كانت الدنيا على أحدهم أهون من التراب تحت قدميه، ولقد رأيت أقوامًا عسى أحدهم لا يجد عشاء إلا قوتاً، ويقول: والله لأجعلن بعضه لله عز وجل، فيتصدق ببعضه، ولهو أحوج ممن يتصدق عليه!.

قال علقمة بن مرثد: فلما قدم عمر بن هبيرة العراق أرسل إلى الحسن وإلى الشعبى، فأمر لهما ببيت، فكانا فيه شهراً -أو نحوه- ثم إن الخَصِىّ[1] غدا عليهما ذات يوم، فقال: إن الأمير داخل عليكما، فجاء عمر يتوكأ على عصًا له، فسَلَّم، ثم جلس مُعَظِّماً لهما.

فقال: إن أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك يكتب إلىّ كتاباً أعرف أن فى إنفاذها الهلكة، فإن أطعته عصيتُ الله، وإن عصيتُه أطعتُ الله، فهل تريان فى متابعتى إياه فَرَجاً؟!

فقال الحسن: يا أبا عمرو أجب الأمير، فتكلم الشعبى بالحظ: فى حِلٍّ يابن هبيرة.

فقال: ما تقول أنت يا أبا سعيد؟ فقال: أيها الأمير، قد قال الشعبى ما قد سمعتَ! قال: ما تقول أنت؟ قال: أقول: يا عمر بن هبيرة، أَوْشَكَ أن ينزل بك مَلَكٌ من ملائكة الله تعالى فَظٌّ غليظ لا يعصى الله ما أَمَرَهُ، فيُخْرِجُكَ مِنْ سِعَة قصرك إلى ضيق قبرك، يا عمر بن هبيرة، إن تَتَّقِ الله يَعْصِمْكَ من يزيد بن عبد الملك، ولن يعصمَك يزيد بن عبد الملك من الله، يا عمر بن هبيرة، لا تأمنن أن ينظر الله إليك على أقبح ما تعمل فى طاعة يزيد بن عبد الملك، فيَغْلِق به باب المغفرة دونك، يا عمر بن هبيرة، لقد أدركتُ ناساً من صَدْر هذه الأمة كانوا على الدنيا وهى مقبلة أشدَّ إدباراً عنها من إقبالكم عليها وهى مدبرة، يا عمر بن هبيرة، إنى أُخَوِّفُكَ مقاماً خَوَّفَكَ الله، فقال: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾[2]، يا عمر بن هبيرة، إن تك مع الله فى طاعته كفاك يزيد بن عبد الملك، وإن تك مع يزيد على معاصى الله وَكَلَكَ الله إليه، فبكى عمر بن هبيرة، وقام بعَبْرَته.

فلما كان من الغد أرسل إليهما تأديهما وجوائزهما، فأكثر فيها للحسن، فكان فى جائزة الشعبى بعض الإقتار، فخرج الشعبى إلى المسجد، فقال: أيها الناس، من استطاع

---

(١) الخادم.

(٢) سورة إبراهيم، الآية رقم: ١٤.

منكم أن يؤثر الله على خلقه فليفعل، فوالذى نفسى بيده ما عَلِمَ الحسن منه شيئاً فجهلته، ولكنى أردت وجه ابن هبيرة، فأقصانى الله منه.

وأما أويس القرنى، فإن أهله ظنوا أنه مجنون، فبنوا له بيتاً على باب دارهم، فكانت تأتى عليه السنة والسنون لا يرون له وَجْهًا، وكان طعامه مما يلتقط من النوى، فإذا أمسى باعه لإفطاره، فإن أصاب حَشَفَةً حبسها لإفطاره، فلما وَلِيَ عمر بن الخطاب قال بالمَوْسِم[1]: يا أيها الناس قوموا، فقاموا. فقال: اجلسوا إلا مَنْ كان من أهل مُرَاد، فجلسوا. فقال: اجلسوا إلا مَنْ كان مِنْ قَرَن، فجلسوا إلا رجل، وكان عَمَّ أويس القرنى.

فقال له عمر: أَقَرَنِيٌّ أنت؟ قال: نعم. قال: أتعرف أويساً؟ قال: وما تسأل عن ذلك يا أمير المؤمنين، فوالله ما فينا أحمقولا أجن منه ولا أحوج منه، فبكى عمر، ثم قال: بك لا به، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يدخل الجنة بشفاعته مِثْلَ ربيعة ومضر»[2].

قال هرم بن حيان: فلما بلغنى ذلك قدمت الكوفة، فلم يكن لى هَمٌّ إلا طلبه، حتى سَقَطْتُ عليه جالساً على شاطئ الفرات نصف النهار يتوضأ، فعرفته بالنعت الذى نُعِتَ لى، فإذا رجل نحيل آدم شديد الأدمة أشعث مخلوق الرأس مهيب المنظر، قال: فسلمت عليه، فردَّ علىَّ، ونظر إلىَّ، ومددتُ إليه يدى لأصافحه، فأبى أن يصافحنى، فقلت: رحمك الله يا أويس وغفر لك، كيف أنت رحمك الله؟ ثم خنقتنى العبرة من حبى إياه ورقتى عليه لِمَا رأيتُ مِنْ حاله، حتى بكيتُ وبكى.

قال: وأنت فحياك الله يا هرم بن حيان، كيف أنت يا أخى؟ مَنْ دَلَّك علىَّ؟ قلتُ: الله. قال: لا إله إلا الله، سبحان ربنا، إنْ كان وعد ربنا لمفعولاً.

قلتُ: ومِنْ أين عَرَفْتَ اسمى واسم أبى وما رأيتك قبل اليوم ولا رأيتنى؟! قال: أنبأنى العليم الخبير، عرفت روحى روحك حين كلَّمت نفسى نفسك، إن المؤمنين يعرف بعضهم بعضاً، ويتحابون بروح الله عز وجل وإن لم يلتقوا، وإن نأت بهم الدار وتَشَرَّقَتْ بهم المنازل!

فقلت: حدثنى رحمك الله عن رسول الله ﷺ؟ قال: إنى لم أدرك رسول الله ﷺ،

---

(١) موسم اجتماع الحجيج.

(٢) أخرجه ابن ماجة عن الحارث بن أقيش، ورواه أحمد من حديث أبي برزة، ولفظهما: «إِنَّ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَتِهِ أَكْثَرُ مِنْ مُضَرَ»، ورواه هناد وابن السقطي وابن النجار، عن أبي هريرة بلفظ: «إن من أمتي من يدخل الجنة بشفاعته أكثر من ربيعة ومضر». انظر: سنن ابن ماجة، رقم ٤٣٢٢، وكنز العمال رقم ٣٤٠٦٩.

ولم يكن لى معه صحبة بأبى وأمى رسول الله، ولكنى قد رأيت رجالاً قد رأوه، ولست أحب أن أفتح على نفسى هذا الباب أن أكون مُحَدِّثاً أو قاصًا، أو مفتيًا، فى نفسى شغل عن الناس.

فقلت: أى أخى، اقرأ علىَّ آيات من كتاب الله أسمعها منك، وأوصنى بوصية أحفظها عنك، فإنى أحبك فى الله، فأخذ بيدى، فقال: أعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم، قال ربى -وأحق القول قوله ربى عزَّ وجل، وأصدق الحديث حديث ربى عزَّ وجل - ثم قرأ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاَعِبِينَ. مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ إلى قوله ﴿الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[1] فشهق شهقة، فنظرت إليه، وأنا أحسبه قد غُشِىَ عليه، ثم قال: يابن حيان، مات أبوك حيان، ثم يوشك أن تموت أنت، فإما إلى الجنة، وإما إلى النار، ومات أبوك آدم، وماتت أمك حواء، يابن حيان، مات نوح نبى الله، ومات إبراهيم خليل الله، ومات موسى نَجىُّ الله، ومات داود خليفة الرحمن، ومات محمد ﷺ وعلى جميع الأنبياء، ومات أبو بكر خليفة رسول الله ﷺ، ومات أخى وصديقى عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فقلت له: يرحمك الله! إن عمر لم يمت؟! قال: بلى، قد نعاه إلىَّ ربى عز وجل، ونعى إلىَّ نفسى، وأنا وأنت فى الموتى، ثم صَلَّى على النبى ﷺ، ودعى بدعوات خفافٍ، ثم قال: هذه وصيتى إياك ؛ كتاب الله ونَعْى المرسلين ونعى صالح المؤمنين، فعليك بذكر الموت، ولا يفارقن قلبك طرفه عين ما بقيت، وأنذر قومك إذا رجعتَ إليهم، وانصح للأمة جميعاً، وإياك أن تفارق الجماعة، فتفارق دينك وأنت لا تعلم ؛ فتدخل النار، ادع لى ولنفسك، ثم قال: اللهم إن هذا يزعم أنه يحبنى فيك، وزارنى من أجلك، فعَرِّفْنِى وجهه فى الجنة، وادخله علىَّ فى دار السلام، وأحفظه ما دام فى الدنيا حيًا، وأرضه من الدنيا باليسير، واجعله لما أعطيته من نعمك من الشاكرين، وأجزه عنا خيراً، ثم قال: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، لا أراك بعد اليوم رحمك الله، فإنى أكره الشهرة، والوحدةُ أحبُّ إلى لأنى كثير الغم ما دمت مع هؤلاء الناس حيًا فلا تسأل عنى، ولا تطلبنى، واعلم أنى منك على بال وإن لم أرك وترانى، واذكرنى وادع لى، فإنى أدعو لك وأذكرك إن شاء الله تعالى، فانطلقْ أنت ها هنا حتى آخذ أنا ها هنا، فحرصت إن أمشى معه ساعة، فأبى علىَّ، ففارقته أبكى وبكى، فجعلت أنظر فى قفاه حتى دخل بعض السكك، ثم سألت عنه بعد ذلك وطلبته فما وجدت أحداً يخبرنى عنه بشىء، رحمه الله وغفر له، وما أتت علىَّ جمعة إلا

---

(١) سورة الدخان، الآيات من ٣٨-٤٢.

وأنا أراه فى منامى مرة أو مرتين[(١)].

* * *

الحكاية السادسة عشر

حكاية أويس القرني مع عمر بن الخطاب

عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب من خلقه الأصفياء الأخفياء الأبرياء الشعثة رؤوسهم المُغْبَرَّة وجوههم الخَمِصَة بطونهم، الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم، وإن خطبوا المتنعمات لم يُنْكَحوا، وإن حضروا لم يُدعوا، وإن طلعوا لم يُفْرَح بطلعتهم، وإن مرضوا لم يُعادوا، وإن ماتوا لم يُشهدوا». قالوا: يا رسول الله، كيف لنا برجل منهم؟ قال: «ذاك أويس القرنى». قالوا: وما أويس القرنى؟ قال: «أشهل[(٢)] ذو صهوبة بعيد ما بين المنكبين معتدل القامة آدم شديد الأدم ضارب بذقنه إلى صدره رامٍ ببصره إلى موضع سجوده واضع يمينه على شماله يتلو القرآن يبكى على نفسه ذو طمرين[(٣)] لا يؤبه له مُتزر بإزار صوف ورداء صوف مجهول فى أهل الأرض معروف فى السماء لو أقسم على الله لأبر قسمه، إلا وإن تحت منكبه الأيسر لمعة بيضاء، إلا وإنه إذا كان يوم القيامة قيل للعُبَّاد ادخلوا الجنة، ويقال لأويس: قِفْ فاشفع، فيُشَفِّعُه الله فى مثل ربيعه ومضر، يا عمر ويا عليُّ إذا أنتما لقيتماه فاطلبا إليه أن يستغفر لكما» [(٤)].

قال: فمكثا يطلباه عشر سنين لا يقدران عليه، فلما كان فى آخر السنة التى هلك

---

(١) ينبغي الإشارة إلى تزيد القصاص فى إيراد الحكايات عن أويس وغيره من الصالحين، وكثير منها مليء بالمغالطات التى لاتصح، ومما جاء من ذلك في تلك القصة معرفة أويس لهرم بن حيان، وقوله: عرفت روحى روحك...إلخ، وهذه المقوله ستتردد كثيرًا في حكايات مع ذى النون المصرى وغيره من الصوفيه، مما يوكد على أن ذلك من تأليف القصاص، كذلك ورد في هذه القصة نعي أويس لعمر بن الخطاب، وهذه الأمر وغيرها من الكرامات التى يحكيها القصاص والصوفية، ولم ترد بسند صحيح.

(٢) الشَّهَلُ، والشُّهْلَةُ، بالضم: أَقَلُّ من الزَّرَق في الحَدَقَةِ، وأَحْسَنُ منه، أو أن تُشْرَبَ الحَدَقَةُ حُمْرَةً، وشَهِلَ، كفَرِحَ، واشْهَلَّ اشْهِلالاً، والنَّعْتُ: أَشْهَلُ وشَهْلاءُ.

(٣) مثنى الطِّمْرُ: وهو الثوبُ الخَلَقُ، أو الكِساءُ البالي من غيرِ الصُّوفِ، ج: أطمار.

(٤) ذكر ابن الجوزى هذا الحديث في صفة الصفوة دون إسناد، وقد وردت أحاديث عديدة في فضائل أويس القرني، منها ما رواه مسلم في صحيحه، عن عمر بن الخطاب قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول ثم إن خير التابعين رجل يقال له أويس وله والدة وكان به بياض فمروه فليستغفر لكم. انظر: صحيح مسلم ج: ٤ ص: ١٩٦٨.

فيها عمر قام على أبى قيس، نادى بأعلى صوته يا أهل الحجيج من اليمن أفيكم أويس؟ فقام شيخ كبير: فقال إنا لا ندرى ما أويس ولكن إن أخًا لى يقال له أويس، وهو أخمل ذكراً وأقل مالاً وأهون أمراً أن نرفعه إليك، وإنه ليرعى إبلنا حقير بين أظهرنا، فعَمَّى عليه عمر كأنه لا يريده، وقال: أين أخوك هذا؟ بِحَرَمِنَا هو؟ قال: نعم.

قال: وأين يُصاب؟ قال: بأراك عرفات.

قال: فركب عمر وعلى سراعاً إلى عرفات، فإذا هو قائم يصلى إلى شجرةٍ، والإبل حوله ترعى فشدا حماريهما، ثم أقبلا إليه، فقالا: السلام عليك ورحمة الله، فخفف أويس الصلاة، ثم قال: السلام عليكما ورحمة الله وبركاته. قالا: مَنْ الرجل؟ قال: راعى إبل وأجير قوم. قالا: لسنا نسألك عن الرعاية ولا عن الإجارة، ما اسمك؟ قال: عبد الله.

قالا: قد علمنا أن أهل السماوات والأرض كلهم عبيد الله، فما اسمك الذى سمَّتك به أمك؟ قال: يا هذان، ما تريدان إلىّ؟ قالا: وصف لنا محمد ﷺ أويساً القرنى، فقد عرفنا الصهوبة والشهولة، وأخبرنا أن تحت منكبك الأيسر لمعة بيضاء، فأوضحها لنا، فإن كانت بك، فأنت هو، فأوضح منكبه، فإذا اللمعة، فابتدراه يُقَبِّلانه، قالا: نشهد أنك أويس القرنى، فاستغفر لنا يغفر الله لك! قال: ما أخص باستغفارى نفسى ولا أحداً من ولد آدم، ولكنه فى البر والبحر المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، يا هذان قد شهَّر الله لكما حالى وعرَّفكما أمرى، فمن أنتما؟ قال على: أما هذا فعمر أمير المؤمنين، وأما أنا فعلى بن أبى طالب، فاستوى أويس قائماً، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، وأنت فجزاك الله عن نفسك خيراً. فقال عمر: مكانك يرحمك الله، حتى أدخل مكة، فآتيك بنفقةٍ من عطائى وفضل كسوة من ثيابى، هذا المكان ميعاد بينى وبينك.

قال: يا أمير المؤمنين، لا ميعاد بينى وبينك، لا أراك بعد اليوم تعرفنى، ما أصنع بالنفقة، ما أصنع بالكسوة، أما ترى علىَّ إزار من صوفٍ ورداء من صوف، متى ترانى أخرقهما؟ أما ترى أن نعلى مخصوفان متى ترانى أبليهما؟ أما ترى أنى قد أخذت من رعايتى أربعة دراهم، متى ترانى آكلها؟ يا أمير المؤمنين، إن بين يدى ويديك عقبة كئود لا يجاوزها إلا ضامر مخف مهزول، فأخِفَّ رحمك الله.

فلما سمع عمر ذلك ضرب بدِرَّته الأرض، ثم نادى بأعلى صوته: ألا ليت عمر لم تلده أمه! يا ليتها كانت عاقراً لم تعالج حملها! ألا مَنْ يأخذها بما فيها ولها!.

فقال أويس: يا أمير المؤمنين، مَنْ جذع الله أنفه خذ أنت هاهنا حتى آخذ أنا هاهنا، فولّى عمر ناحية مكة، وساق أويس إبله ، فوافى القوم بإبلهم، وخلّى عن الرعى، وأقبل على العبادة حتى لحق بالله عز وجل.

* * *

الحكاية السابعة عشر

الإمام علي يكتب عقد دار

عن شريح قال: اشتريت داراً بمائتى دينار، وكتب كتاباً، وأشهدت عدولاً، فبلغ ذلك عليَّ بن أبي طالبٍ، فقال لى: يا شريح بلغنى أنك اشتريت داراً، وكتبت كتاباً، وأشهدت عدولاً؟ قلت: قد كان ذلك يا أمير المؤمنين، فقال: إنه سيأتيك مَنْ لا ينظر فى كتابك، ولا يسألك عن بيتك، حتى يُخرجك منها شاخصاً، ويسلمك إلى قبرك خالصاً، ولو كنتَ أتيتنى كتبتُ لك كتاباً على هذه النسخة: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما اشترى عبد ذليل من ميت قد أُزْعِجَ بالرحيل، اشترى منه داراً تُعْرَف بدار الغرور، من الجانب الفانى، فى عساكر[1] الهالكين، وتجمع هذه الدار، ويشتمل عليها حدود أربعة ؛ الحد الأول منها ينتهى إلى دواعى الشتات، والحد الثانى ينتهى إلى دواعى المصيبات، والحد الثالث ينتهى إلى الهوى والردى، والحد الرابع إلى الشيطان المغوى، وفيه يُشرع باب هذه الدار، اشترى هذا المغرور بالأمل من هذا المزعوج بالأجل جميع هذه الدار بالخروج من عز القنوع والدخول فى دار الطمع، فما أدرك هذا المشترى فيما اشتراه من دَرَكٍ فعلى مليك أجسام الملوك وسالب نفوس الجبابرة ومزيل مُلْك الفراعنة مثل كسرى وتبع وحمير ومن بنى وشيَّد وزخرف ونجَّد وجمع واعتبد، ونظر بزعمه إلى الولد، أشخاصهم جميعاً إلى موقف العرض إذا وضع الكرسى لفصل القضاء، وخسر هنالك المبطلون، وسمع منادياً ينادى فى عَرَصاتها:

ما أبْيَن الحق لذى عينين   إن الرحيل آخر اليومين
تزودوا من صالح الأعمال   قد دنت النقلة والزوال

* * *

الحكاية الثامنة عشرة

رجل لا يحب الشهرة

حدثنا بكار بن عبد الله أنه سمع وهب بن منبه يقول: كان رجلٌ من أفاضل أهل زمانه، وكان يُزَار فيعظهم، فاجتمعوا إليه ذات يوم، فقال: إنا قد خرجنا من الدنيا،

(١) العَسْكَر: الكثير من كل شيء.

وفارقنا الأهل والأموال مخافة الطغيان، وقد خفتُ أن يكون قد دخل علينا فى حالنا هذه من الطغيان أكثر مما يدخل على أهل الأموال فى أموالهم، أو إنا يحب أحدنا أن تقضى له حاجته وإن اشترى بيعاً أن يُقَارب لمكان دينه، وإن لقى حُيِّيَ ووُقِّرَ لمكان دينه.

فشاع ذلك الكلام حتى بلغ المَلِكُ، فركب إليه الملك لِيُسَلِّم عليه، وينظر إليه، فلما رآه الرجل قيل له: هذا المَلِكُ قد أتاك لِيُسَلِّم عليك، فقال: وما يصنع؟ فقيل: للكلام الذى وعظتَ به، فسأل رده[1] هل عندك طعام؟ فقال: شيء من ثمر الشجر مما كنتَ تُفطر به، فأمر به، فأتى به على مِسْحٍ، فوُضِعَ بين يديه، فأخذ يأكل منه، وكان يصوم النهار، ولا يُفطر، فوقف عليه الملك، فسَلَّمَ عليه، فأجابه بإجابة خفية، وأقبل على طعامه يأكله.

فقال الملك: فأين الرجل؟ قيل له: هو ذا. قال: هذا الذى يأكل؟ قالوا: نعم. قال: فما عند هذا من خير، فأدبر.

فقال الرجل: الحمد لله الذى أذهبه عنى وهو لى لائم[2].

* * *

الحكاية التاسعة عشرة

نصيحة خالد بن صفوان لهشام بن عبد الملك

عن خالد بن صفوان بن الأهتم قال: أوفدني يوسف بن عمر إلى هشام بن عبد الملك فى وفد العراق، فقدمت عليه، وقد خرج مبتدئاً نفراً: بنيه وأهله وحشمه وحاشية من جلسائه، فنزل فى قاعٍ صحصح أفيح فى عامٍ قد بكر وسمه وتتابع وَلِيُّه وأخذت الأرض فيه زينتها من اختلاف ألوان نبتها من نور ربيع مونق[3]، فهو فى أحسن منظر

---

(١) هكذا فى الاصل.

(٢) ذكر ابن كثير في البداية والنهاية قصة رجل من الملوك المتقدمين وعظه بعض علماء زمانه في أمره الذي كان قد أسرف فيه وعتا وتمرد فيه واتبع نفسه هواها ولم يراقب فيها مولاها فوعظه بمن سلف قبله من الملوك والدول وكيف بادوا ولم يبق منهم أحد وأنه ما صار إليه عن غيره إلا وهو منتقل عنه إلى من بعده فأخذته موعظته وبلغت منه كل مبلغ فارعوى لنفسه وفكر في يومه وأمسه وخاف من ضيق رمسه فتاب وأناب ونزع عما كان فيه وترك الملك ولبس ذي الفقراء وساح في الفلوات وحظى بالخلوات وخرج عما كان الناس فيه من اتباع الشهوات وعصيان رب السموات، وقد ذكر قصته مبسوطة الشيخ الإمام موفق بن قدامة المقدسي رحمه الله في كتاب التوابين، وكذلك أوردها بإسناد متين الحافظ أبو القاسم السهيلي في كتاب الروض الأنف المرتب أحسن ترتيب وأوضح تبيين. أ.هـ.

(٣) أنيق وحسن.

وأحسن مختبر وأحسن مستمطر بصَعِيد كأن ترابه قطع الكافور حتى لو أن بضعة ألقيت فيه لم تترب، وقد ضُرِبَ له سرادق من حرير كان صنعه له يوسف بن عمر باليمن فيه أربعة أفرش من خز أحمر، مثلها عمامتها، وقد أخذ الناس بمجالسهم، فأخرجتُ رأسي من ناحية السماط، فنظر إليَّ مثل المستنطق لي. فقلت: أتم الله عليك يا أمير المؤمنين وسوَّغكها بِشُكْرِه، وجعل ما قلّدك من هذه الأمور رشداً وعاقبة ما يئول إليه حمداً، خلّصه لك بالتقى، وكثّره لك بالنماء، لا كدَّر عليك منة ما صفا، ولا خالط مسروره الردى ؛ فقد أصبحت للمسلمين ثقة ومستراحاً إليك يفزعون في مظالمهم وإليك يلجئون في أمورهم، وما أجد يا أمير المؤمنين -جعلني الله فداءك- شيئاً هو أبلغ في قضاء حقك وتوقير مجلسك لما منَّ الله عليَّ به مجالستك والنظر إليك وإلى وجهك من أن أُذَكّرَك نعمة الله عليك وعندك، فأُنَبِّهك على شكرها، وما أجد شيئاً هو أبلغ من حديث من تقدَّم قبلك من الملوك، فإن أَذِنَ لي أمير المؤمنين أخبرته.

وكان متكئًا فاستوى قاعداً، وقال: هات يابن الأهتم! فقلت: يا أمير المؤمنين، إن مَلِكاً من الملوك قبلكَ خرج في عام مثل عامنا هذا إلى الخورنق والسدير في عام قد بكر وسمه وتتابع وليه وأخذت الأرض فيه زينتها من اختلاف ألوان نبتها من نور ربيع مونق، فهو في أحسن منظر وأحسن مختبر وأحسن مستمطر بصعيدٍ كان ترابه قطع الكافور حتى لو أن بضعة ألقيت فيه لم تترب، وكان قد أُعْطَى فناء السن مع الكثرة والعِلْيَة والنماء، فنظر، فأبعد النظر، فقال: لِمَنْ هذا الذي أنا فيه؟ هل رأيتم مثل ما أنا فيه؟ هل أُعْطِيَ أحد مثل ما أُعْطِيتُ؟

وعنده رجل من بقايا حملة الحجة والمضى على أدب الحق ومنهاجه، فقال: أيها المَلِك، إنك قد سألتَ عن أمر، أفتأذن في الجواب؟ قال: نعم. قال: أرأيتك هذا الذي قد عجبت به أهو شيء لم يزل فيه، أم هو شيء صار إليك ميراثاً عن غيرك، وهو زائل عنك وصائر إلى غيرك؟ قال: فكذاك هو.

قال: أفلا أراك إنما عجبت بشيء يسير تكون فيه قليلاً، وتغيب عنه طويلاً، وتكون غداً بحسابه مرتهناً!.

قال: ويحك! فأين المهرب؟ وأين المطلب؟ قال: إما أن تقيم في مُلْكِك، فتعمل بطاعة ربك على ما ساءك وسرَّك ومضَّك وأرمضك، وأما أن تضع تاجك وتلبس أمساحك وتعبد ربك في هذا الجبل حتى يأتيك أجلك؟!

قال: فإذا كان السَّحَر، فاقْرَعْ عليَّ بابي، فإن اخترتُ ما أنا فيه كنتَ وزيراً لا تُعْصَى، وإن اخترتُ فلوات الأرض وقفر البلاد كنتَ رفيقاً لا تُخَالَف، فلما كان السَّحَر

قرع عليه بابه، فإذا هو قد وضع تاجه، ولبس أمساحه، وتهيَّأ للسياحة، فلزما - والله- الجبل حتى أتتهما آجالهما، وذلك حيث يقول أخو بنى تميم عدى بن زيد العبادى المرادى:

أيها الشامت المغتر بالدهر	أنت المُسَيَّر الموفور
أم لديك العهد الوثيق من الأيام	أم أنت جاهل مغرور
من رأيت المنون خلدن أم	من ذا عليه من أن يضام مجير
أين كسرى كسرى الملوك أبو	ساسان أم أين قبله سابور
وبنو الأصفر الكرام ملوك	الروم لم يبق منهم مذكور
وأخو الحصن إذ بناه وإذ دجلة	تُجبَى إليه والخابور
شاده مرمراً وجلَّله كلساً	فللطير في ذراه وكور
لم يَهَبْه ريب المنون فبان	الملك عنه فبابه مهجور
وتأمل رب الخورنق إذ	أشرف يوماً وللهدى تفكير
سره حاله وكثرة ما يملك	والبحر معرضاً والسدير
فارعوى قلبه فقال وما غبطة	حى إلى الممات يصير
ثم بعد الفلاح والملك والأمة	وارتهم هناك القبور
ثم أضحوا كأنهم ورق جف	فألوت به الصبا والدبور

فبكى هشام حتى أخضل لحيته، وبلَّ عمامته، وأمر بنزع أبنيته وتقلات فراشه وأهله وحشمه وحاشية من جلسائه ولزوم قصره.

قال: فاجتمعت الموالي والحشم على خالد بن صفوان، فقالوا: ما أردت إلى أمير المؤمنين؟ نغَّصْتَ عليه لَذَّته، وأفسدت عليه باديته، فقال لهم: إليكم عنى، فإنى عاهدت الله تعالى عهوداً لا أخلو بِمَلِك إلا ذَكَّرْتُه الله عز وجل.

* * *

الحكاية العشرون

نصائح الأوزاعي للمنصور

حدثنا عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعى قال: بعث إلىَّ أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين وأنا بالساحل، فأتيته، فلما وصلتُ إليه وسلَّمت عليه بالخلافة ردَّ علىَّ واستجلسنى، ثم قال: ما الذى بطَّأ بك عنا يا أوزاعى؟

قلت: وما الذى تريد يا أمير المؤمنين؟ قال: أريد الأخذ عنكم والاقتباس منكم؟ قلتُ: فانظر يا أمير المؤمنين أن تجهل شيئاً مما أقول لك! قال: وكيف أجهله وأنا أسألك

عنه، وفيه وجهت إليك وأقدمتك له؟ قلتُ: أن تسمعه، ثم لا تعمل به!

قال: فصاح بى الربيع، وأهوى بيده إلى السيف، فانتهره المنصور، وقال: هـذا مجلس مثوبة لا مجلس عقوبة، فطابت نفسى، وانبسطت فى الكلام، فقلـت: يـا أمير المؤمنين، حدثنى مكحول عن عطية بن بشر قال: قال رسول الله ﷺ: «أيما عبد جاءته موعظة من الله فى دينه، فإنها نعمة من الله سيقت إليه، فإن قبلها بشُكْر، وإلا كانت حجة من الله عليه، ليزداد بالله إثماً، ويزداد الله بها عليه سخطاً»[١].

يا أمير المؤمنين، حدثنى مكحول عن عطية بن بشر قال: قـال رسـول اللـه ﷺ: «أيمـا والٍ بات غاشاً لرعيته حرَّم الله عليه الجنة»[٢].

يا أمير المؤمنين، إن الذى ليَّن قلوب أمتكم لكم حين ولَّـاكم أمورهـم لقرابتكـم مـن نبيهم ﷺ، فقد كان بهم رءوفًا رحيماً مواسياً بنفسه لهم فى ذات يده، لم يغلـق دونهـم الأبواب، ولم يُقِمْ عليه دونهم الحجاب، يبتهج بالنعمة عندهم، ويبتئس لما أصـابهم مـن سوء - لحقيق أن يقوم له فيهم بالحق، يا أمير المؤمنين، قد كنـتَ فـى شـغل شـاغل مـن خاصة نفسك عن عامة النـاس الذيـن أصبحـتَ تملكهـم أحمرهـم وأسـودهم ومسـلمهم وكافرهم، وكلٌّ له عليك نصيب من العدل، فكيف بك إذا انبعث منهم قيـام وراء قيـام ليس منهم أحدًا إلا وهو يشكو بلية أدخلتَها عليه أو ظلامه سقتَها إليه.

يا أمير المؤمنين، حدثنى مكحول عن عروة بن رويم قال: كانت بيد رسول الله ﷺ جريدة يستاك بها ويُرَوِّع بها المنافقين، فأتاه جبريل، فقال: يـا محمـد، مـا هـذه الجريـدة التى قد كسرتَ بها قلـوب أمتـك، ومـلأت قلوبهـم بهـا رعبـاً؟ [٣] فكيـف بمـن شـقّق أبشارهم، وسفك دماءهم، وخرَّب ديارهم، وأجلاهم عن بلادهم، وغيَّبهم الخوفُ منه.

يا أمير المؤمنين، حدثنى مكحول عـن زيـادة بـن حارثـة عـن حبيـب بـن مسـلمة أن رسول الله ﷺ دُعِيَ إلى القصاص من نفسه في خدشٍ خدشه أعرابيـاً لـم يتعمـده، فأتـاه جبريل، فقال: يا محمد إن الله لم يبعثك جبَّاراً متكبراً، فدعا النبى ﷺ الأعرابى، فقـال: «اقتص منى». فقال الأعرابى: قد أحللتك -بأبى أنـت وأمـى - يـا رسـول اللـه ﷺ، مـا

---

(١) الحديث أورده السيوطي في الجامع الصغير، وحسَّنه، وعزاه إلى ابن عساكر عن عطيـة بـن قيـس، وأخرجه ابن أبي الدنيا في مواعظ الخلفاء.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا فيه وابن عدي في الكامل في ترجمة أحمد بن عبيد.

(٣) الحديث ذكره العراقي في تخريج الإحياء، وقال: خرجه ابن أبـي الدنيـا فيـه وهـو مرسـل وعـروة ذكره ابن حبان في ثقات التابعين.

كنتُ لأفعل ذلك أبداً، ولو أفنيتَ عليَّ نفسى، فدعا له بخير [١].

يا أمير المؤمنين، رُض نفسك لنفسك، وخذ لها الأمان من ربك، ما رغبت فى جنة عرضها السماوات والأرض التى يقول فيها رسول الله ﷺ: «لَقَيْدُ قوس أحدكم خير من الدنيا وما فيها» [٢]. يا أمير المؤمنين، إن المُلْكَ لو بقى لمن قبلك لم يصل إليك، وكذا لا يبقى لك كما لم يبق لغيرك.

يا أمير المؤمنين، تدرى ما جاء فى تأويل هذه الآية عن جَدِّكَ: ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا﴾ [٣] قال: الصغيرة التبسم، والكَبيرة الضحك، فكيف بما عَمِلَتْه الأيدى وحَصَدَتْه الألسن؟! يا أمير المؤمنين، بلغنى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: لو ماتت سَخْلَة [٤] على شاطئ الفرات ضَيْعَة لحسبت أنْ أُسْأَل عنها! فكيف بمن حُرِمَ عدلك وهو على بساطك.

يا أمير المؤمنين، تدرى ما جاء فى تأويل هذه الآية عن جَدِّكَ: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَى﴾ [٥] قال: يا داود إذا قعد الخصمان بين يديك، وكان لك فى أحدهما هوى فلا تتمنين فى نفسك أن يكون الحق له فيفلح على صاحبه، فامحوك من نبوتي، ثم لا تكون خليفتى، ولا كرامة يا داود! إنما جعلت رسلى إلى عبادى رعاء كرعاء الإبل لعلمهم بالرعاية ورفقهم بالسياسة ليخبروا الكثير ويدلوا الهزيل على الكلأ والماء.

يا أمير المؤمنين، إنك قد بُليت بأمرٍ لو عُرض على السماوات والأرض والجبال لأبين أن يحملنه وأشفقن منه.

يا أمير المؤمنين، حدثنى يزيد بن جابر عن عبد الرحمن بن أبى عمره الأنصارى أن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه استعمل رجلاً من الأنصار على الصدقة، فرآه بعد أيام مقيمًا،

---

(١) يقول العراقي في تخريج الإحياء: أخرجه ابن أبي الدنيا فيه، وروى أبو داود والنسائي من حديث عمر قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتص من نفسه. وللحاكم من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه: طعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في خاصرة أُسَيْد بن حُضَيْر، فقال أوجعتني قال اقتص... الحديث. قال صحيح الإسناد.

(٢) يقول العراقي: أخرجه ابن أبي الدنيا من رواية الأوزاعي معضلا لم يذكر إسناده ورواه البخاري من حديث أنس بلفظ «لَقَاب».

(٣) سورة الكهف، الآية رقم: ٤٩.

(٤) السَّخلة: الذكر والأنثى من ولد الضأن والمعز ساعة يولد، ج: سَخل، وسخال، وسُخْلان.

(٥) سورة ص، الآية رقم: ٢٦.

فقال له: ما منعك من الخروج إلى عملك؟ أما علمت أن لك مثل أجر المجاهد فى سبيل الله؟ قال: لا، وكيف ذلك؟! قال: لأنه بلغنى أن رسول الله ﷺ قال: «ما من والٍ يلى شيئاً من أمور الناس إلا أُتِىَ به يوم القيامة مغلولاً يده إلى عنقه يُوقَفُ على جسر فى النار ينتفض به ذلك الجسر انتفاضة تزيل كل عضو منه عن موضعه، ثم يُعاد فيحاسب، فإن كان محسناً نجا بإحسانه، وإن كان مسيئاً انخرق به ذلك الجسر، فهوى به فى النار سبعين خريفاً» فقال له عمر: مِمَّنْ سمعتَ هذا؟ فقال: من أبى ذر وسلمان، فأرسل إليهما عمر، فسألهما، فقالا: نعم، سمعناها من رسول الله ﷺ، فقال عمر: وا عمراه! مَنْ يتولاها بما فيها؟ فقال أبو ذر: مَنْ سلب الله أنفه، وألصق خده بالأرض[1].

فأخذ المنديل -يعنى المنصور-، فوضعه على وجهه، ثم بكى وانتحب، حتى أبكانى، ثم قلت: يا أمير المؤمنين، قد سأل جدك العباسُ النبىَّ ﷺ إمارة على مكة والطائف أو اليمن فقال له النبى ﷺ: «يا عم، نفس تُنَجِّيها خير من إمارةٍ لا تحصيها»[2] نصيحة منه لعمه وشفقة منه عليه، وأنه لا يغنى عنه من الله شيئاً إذ أُوحِىَ إليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[3] فقال: «يا عباس، يا صفية -عمى النبى ﷺ - ويا فاطمة بنت محمد، إنى لستُ أغنى عنكم من الله شيئاً، لى عملى ولكم عملكم»[4].

وقد قال عمر بن الخطاب: لا يقيم أميرَ الناس إلا حَصَف العقل أو نب العقد لا يطلع منه على عورة، ولا يخنق على غِرَّة، ولا يأخذه فى الله لومة لائم. وقال: للسلطان أربعة أمراء: فأمير ظلف[5] نفسه وعُمَّاله فذلك كالمجاهد فى سبيل الله، يد الله باسطة عليه بالرحمة، وأمير ضعيف ظلف نفسه وأرتع عماله بضعفه فهو على شفا هلاك إلا أن يُرحم، وأميرُ ظلف عماله وأرتع نفسه، فذلك الحُطَمة الذى قال رسول الله ﷺ: «شر

---

(١) الحديث ذكره المتقى الهندى في كتر العمال، وعزاه إلى البغوى عبد الرزاق وأبو نعيم وأبو سعيد النقاش في كتاب القضاة في المتفق، وفي سنده سويد بن عبد العزيز متروك.

(٢) أورد الحافظ العراقي الحديث في تخريج الإحياء، وقال: أخرجه ابن أبي الدنيا هكذا معضلا بغير إسناد، ورواه البيهقي من حديث جابر متصلا، ومن رواية ابن المنكدر مرسلا، وقال: هذا هو المحفوظ مرسلا. وأورده المتقي الهندى في كنز العمال، رقم: ١٤٧٦٦، وعزاه إلى ابن سعد عن الضحاك بن حمزة مرسلا، والبيهقي عن محمد بن المنكدر مرسلا، والبيهقي عن جابر، كما أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى في ترجمة العباس بن عبد المطلب ٤/٢٧.

(٣) سورة الشعراء، الآية رقم: ٢١٤.

(٤) أورده العراقي في تخريج الإحياء وقال: أخرجه ابن أبي الدنيا هكذا معضلا دون إسناده ورواه البخاري من حديث أبي هريرة متصلا دون قوله: «لي عملي ولكم عملكم».

(٥) ظلف نفسه عن شيء ما: منعها أن تفعله.

الرِّعاء الحُطَمة» [(١)] فهو الهالك، وأمير أرتع نفسه وعماله، فهلكوا جميعاً.

وقد بلغني يا أمير المؤمنين أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال حين أمر الله بمنافيخ النار فوضعت على النار تسعر ليوم القيامة، فقال له: «يا جبريل صف لي النار» فقال: إن الله عز وجل أمر بها، فأُوقِدَ عليها ألف عام حتى احْمَرَّت، ثم أوقد عليها ألف عام حتى اصْفَرَّت، ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسْوَدَّت، فهي سوداء مظلمة لا يضيء لهبها، ولا يُطفأ جمرها، والذي بعثك بالحق لو أن ثوباً من ثياب أهل النار أُظْهِرَ لأهل الأرض لماتوا جميعاً، ولو أن ذَنُوباً من شرابها صُبَّ في ماء الأرض جميعاً لقَتَلَ مَنْ ذاقه، ولو أن ذراعاً من السلسلة التي ذكر الله وُضِعَ على جبال الأرض جميعاً لَدُكَّتْ، ولو أن رجلاً أُدْخِلَ النار، ثم خرج منها لمات أهل الأرض من نتن ريحه وتشويه خَلْقِهِ.

فبكى النبي ﷺ، وبكى جبريل لبكائه، وقال: أتبكي يا محمد، وقد غفر الله ما تقدَّم من ذنبك وما تأخر؟! قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً». فقال: «ولِمَ بكيت يا جبريل؟ وأنت الروح الأمين، أمين الله على وحيه؟» فقال: أخاف أن أُبْتَلَى بما ابْتُلِيَ به هاروت وماروت، فهو الذي منعني من اتكالي على منزلتي عند ربي، فأكون قد آمنت مكره [(٢)].

وقد بلغني يا أمير المؤمنين، أن عمر بن الخطاب قال: اللهم إن كنت تعلم أنني أبالي إذا قعد الخصمان بين يدي على من مال الحق من قريب أو بعيد فلا تمهلني طرفة عين.

يا أمير المؤمنين، إن أشد الشدة القائم لله بحقه ، وإن أكرم الكرم عند الله التقوى، وإنه من طلب العز بطاعة الله رفعه الله وأعزه، ومن طلبه بمعصية الله أذلّه الله ووضعه، وهي نصيحتي، والسلام عليك.

ثم نهضت، فقال: إلى أين؟ فقلت: إلى الولد والوطن بإذن أمير المؤمنين إن شاء الله تعالى. قال: قد أذنت لك، وشكرت لك نصيحتك، وقبلتها بقبولها، والله الموفق للخير والمعين عليه، وبه أستعين، وعليه أتوكل، وهو حسبي ونعم الوكيل، ولا تخلني من مطالعتك إياي بمثلها، فإنك المقبول القول غير المتهم في النصيحة. قلت: أفعل إن شاء الله.

قال محمد بن مصعب: فأمر له بمال يستعين به على خروجه، فلم يقبله، وقال: أنا في غنى عنه، وما كنت لأبيع نصيحتي بعَرَض الدنيا كلها، وعرف المنصور مذهبه، فلم يجد عليه في رده.

* * *

---

(١) رواه أحمد في مسنده، ومسلم في صحيحه، والرعاء: هم الأمراء والحكام، والحطمة: الذي يظلم رعيته ولا يرحمهم.

(٢) يقول العراقي: الحديث بطوله أخرجه ابن أبي الدنيا هكذا معضلا بغير إسناد.

الحكاية الحادية والعشرون

من نصائح فضيل بن عياض لهارون الرشيد

حدثنا الفضل بن الربيع قال: حج أمير المؤمنين - يعنى الرشيد -، فأتانى، فخرجت مُسرعاً، فقلت: يا أمير المؤمنين، لو أرسلتَ إلىّ أتيتك! فقال: ويحك! قَدْ حَكَّ فى نفسى شيء، فانظر لى رجلاً أسأله.

فقلت: هاهنا سفيان بن عيينة، فقال: امضِ بنا إليه، فأتيناه، فقَرَعْتُ الباب، فقال: مَنْ ذا؟ قُلْتُ: أجب أمير المؤمنين، فخرج مسرعاً، فقال: يا أمير المؤمنين، لو أرسلتَ إلىّ أتيتك! فقال له: خُذْ لِمَا جئناك له رحمك الله، فحدَّثه ساعة، ثم قال له: عليك دَيْن؟ فقال: نعم. فقال: يا عباس، اقضِ دينه.

فلما خرجنا قال: ما أغنى عنى صاحبك شيئاً، انظر لى رجلاً أسأله، فقلتُ: هاهنا عبد الرزاق بن همام. قال: امضِ بنا إليه.

فأتيناه، فقرعتُ الباب، فقال: مَنْ ذا؟ قلتُ: أجب أمير المؤمنين، فخرج مسرعاً، فقال: يا أمير المؤمنين، لو أرسلتَ إلىّ أتيتك! فقال له: خذ ما جئناك له رحمك الله، فحادثه ساعة، ثم قال له: عليك دَيْن؟ فقال: نعم. فقال: يا عباس، اقضِ دينه.

فلما خرجنا قال: ما أغنى عنّى صاحبك شيئاً، انظر لى رجلاً أسأله، قلتُ: هاهنا الفضيل بن عياض. قال: امضِ بنا إليه.

فأتيناه فإذا هو قائم يصلى ؛ يتلو آية من القرآن يرددها. فقال: اقرع الباب، فقرعتُ الباب، فقال: مَنْ هذا؟ فقلتُ: أجب أمير المؤمنين. فقال: ما لى ولأمير المؤمنين، فقلتُ: سبحان الله! أما عليك طاعة؟ أليس قد رُوِىَ عن النبى ﷺ أنه قال: «ليس للمؤمن أن يُذِلَّ[1] نفسه». فنزل، ففتح الباب، ثم ارتقى إلى الغرفة، فأطفأ السراج، ثم التجأ إلى زاوية من البيت، فدخلنا، فجعلنا نجول عليه، فسبقت كفُّ هارون قَبْلِى إليه، فقال: يا لها من كف ما ألينها إن نَجَتْ غدًا من عذاب الله تعالى، فقلتُ فى نفسى: لَيُكَلِّمَنَّه الليلة بكلامٍ من قلب تقى.

فقال له: خذ لما جئناك له رحمك الله. فقال: إن عمر بن عبد العزيز لما وَلِىَ الخلافة دعى سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظى ورجاء بن حيوة، فقال لهم: إنى قد

---

(١) الحديث ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد، برقم: ١٢١٦٧عن المعلى بن زياد، عن الحسن البصرى أن النبي ﷺ قال: «ليس للمؤمن أن يذل نفسه». قيل: وما إذلاله نفسه؟ قال: «يتعرض من البلاء لما لا يطيق». وقال: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح.

ابتليت بهذا البلاء، فأشيروا عليَّ، فعدَّ الخلافة بلاء، وعددتَها أنت وأصحابك نعمة!.

فقال له سالم بن عبد الله: إن أردتَ النجاة من عذاب الله فليكن كبير المسلمين عندك أباً، وأوسطهم عندك أخاً، وأصغرهم عندك ولداً، فوَقِّرْ أباك، وأَكْرِمْ أخاك، وتَحَنَّنْ على ولدك. وقال له رجاء بن حيوة: إن أردت النجاة من عذاب الله عز وجل فأَحِبَّ للمسلمين ما تحب لنفسك، ثم مت إذا شئت.

وإنى أقول لك: إنى أخاف عليك أشد الخوف يوم تَزِلَّ فيه الإقدام، فهل معك رحمك الله مَنْ يُشِيرُ عليك بمثل هذا، فبكى هارون بكاءاً شديداً حتى غشى عليه، فقلتُ له: ارفق بأمير المؤمنين.

فقال: يابن أم الربيع، تقتله أنت وأصحابك، وأرفق به أنا، ثم فاق، فقال له: زدنى رحمك الله!.

فقال: يا أمير المؤمنين، بلغنى أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز شكى إليه، فكتب إليه عمر: يا أخى، أُذَكِّرُك طول سهر أهل النار فى النار مع خلود الأبد، وإياك أن يُنْصَرَفَ بك من عند الله، فيكون آخر العهد، وانقطاع الرجاء.

قال: فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر بن عبد العزيز، فقال له: ما أقدمك. قال: خلعتَ قلبى بكتابك، لا أعود على ولاية حتى ألقى الله، فبكى هارون بكاءاً شديداً، ثم قال: زدنى رحمك الله.

فقال: يا أمير المؤمنين، إن العباس عم المصطفى ﷺ جاء إلى النبى ﷺ، فقال: يا رسول الله، أَمِّرْنِى على إمارة، فقال له النبى ﷺ: «إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة، فإن استطعت أن لا تكون أميراً فافعل» [1] فبكى هارون بكاءاً شديداً، فقال له: زدنى رحمك الله!.

قال: يا حَسَنَ الوجه أنت الذى يسألك الله عز وجل عن هذا الخَلْقِ يوم القيامة، فإن استطعت أن تقى هذا الوجه من النار، فإياك أن تُصبح وتمسى وفى قلبك غِشٌّ لأحدٍ مِنْ رعيتك، فإن النبى ﷺ قال: «مَنْ أصبح لهم غاشاً لم يرح رائحة الجنة» [2].

فبكى هارون، وقال له: عليك دَيْن. قال: نعم، دَيْنٌ لربى لم يحاسبنى عليه، فالويل لى إن سائلنى، والويل لى إن ناقشنى، والويل لى إن لم أُلْهَمْ حُجَّتِى! قال: إنما أعنى من دَيْنَ

---

(١) انظر: هامش رقم: ٢، ص: ٤٤، وأخرج أحمد فى المسند عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكم ستحرصون على الإمارة وستصير حسرة وندامة».

(٢) سبق تخريجه ص: ٤٢.

العباد؟ قال: إن ربي لم يأمرني بهذا، إنما أمر أن أصدق وأطع أمره، فقال جل وعز: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُون. مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُون. إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾(١).

فقال له: هذه ألف دينار، خذها، فأنفقها على عيالك، وتَقَوَّ بها على عبادتك، فقال: سبحان الله! أنا أدلك على طريق النجاة، وأنت تكافئني بمثل هذا! سلّمك الله، ووفّقك، ثم صمت، فلم يُكَلِّمْنا، فخرجنا من عنده، فلما صِرْنا على الباب قال هارون: يا عباس إذا دللتني على رجل، فدُلَّنِي على مثل هذا، هذا سيد المسلمين، فدخلت عليه امرأة من نسائه، فقالت: يا هذا قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال، فلو قَبِلْتَ هذا المال، فتَفَرَّجنا به!.

فقال لها: مَثَلِي ومَثَلُكُم كمَثَلِ قوم كان لهم بعير يأكلون من كسبه، فلما كبر نحروه فأكلوا لحمه، فلما سمع هذا الكلام قال: ندخل، فعسى أن يقبل المال، فلما علم الفضيل، خرج، فجلس في السطح على باب الغرفة، فجاء هارون، فجلس إلى جنبه، فجعل يُكَلِّمُه، فلا يجيبه، فبينا نحن كذلك إذ خرجت جارية سوداء، فقالت: يا هذا، قد آذيتَ الشيخ منذ الليلة، فانصرف رحمك الله!، فانصرفنا.

* * *

الحكاية الثانية والعشرون
بين بهلول وهارون الرشيد

عن الفضل بن الربيع قال: حججت مع هارون الرشيد، فمررنا بالكوفة، فإذا بهلول المجنون يهذي، فقلتُ له: اسكت ؛ فقد أقبل أمير المؤمنين، فسكت، فلما حاذاه الهودج قال: يا أمير المؤمنين، حدثني أيمن بن نايل قال: حدثنا قدامة بن عبد الله العامري قال: «رأيت النبي ﷺ بمِنًى على جملٍ، وتحت رحلٍ رَثٌّ، ولم يكن ثَمَّ طَرْدٌ ولا ضَرْبٌ ولا إليكَ إليكَ» (٢).

قلتُ: يا أمير المؤمنين، إنه بهلول المجنون!. قال: قد عرفته، قُلْ يا بهلول، فقال: يا أمير المؤمنين:

هب أنك ملكت الأرض طراً ... ودان لك البلاد فكان ماذا؟
أليس غداً مصيرك جوف قبرٍ ... ويحثو التراب هذا ثم هذا

---

(١) سورة الذاريات، الآيات رقم: ٥٦-٥٨.

(٢) رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح والنسائي وابن ماجه.

قال: أجدتَ يا بهلول، أفغيره؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين؟ مَنْ رزقه الله جَمَالاً ومالاً فعفَّ في جَمَاله، وواسى في ماله كُتِبَ في ديوان الأبرار. قال: فظن أنه يريد شيئاً قال: فإنا قد أمرنا لك بقضاء دَيْنِك.

قال: لا تفعل يا أمير المؤمنين، لا تقضى دَيْناً بدَيْن، ارْدُدِ الحق إلى أهله، واقضِ دَيْنَ نفسك من نفسك، فإن نفسك هذه نفس واحدة، إن هلكتْ -والله- ما تنجبر منها. قال: إنا قد أمرنا أن يُجْرَى عليك.

قال: لا تفعل يا أمير المؤمنين، لا يعطيك وينساني، أجرى على الذى أجرى عليك، لا حاجة لى فى جرايتك، ثم ولَّى وأنشأ يقول:

توكلت على الله ... وما أرجو سوى الله

وما الرزق من الناس ... بل الرزق على الله

* * *

الحكاية الثالثة والعشرون

إيثار عند الموت

حدثنا ابن أسباط - أو غيره- أن أبا جهم بن حذيفة قال: انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عمى ومعى شربة من ماء وإناء، فقلت: إن كان به رمق سقيته من الماء، ومسحت به وجهه، فإذا أنا به ينشَغ[1] فقلتُ: أسقيك، فأشار أن نعم. فإذا رجل يقول: آه، فأشار ابن عمى: انطلق به إليه، فإذا هو هشام ابن العاص أخو عمرو، فأتيته، فقلتُ: أسقيك، فسمع آخر يقول: آه، فأشار هشام انطلق به إليه، فجئته فإذا هو قد مات، ثم رجعت إلى هشام، فإذا هو قد مات، ثم أتيت ابن عمى، فإذا هو قد مات.

وحدثنا عن الواقدى وابن الأعرابى قالا: أُتِيَ عكرمةُ بن أبى جهل بالماء، فنظر إلى سهل بن عمرو ينظر إليه، فقال: ابدءوا بذا، فنظر إلى سهيل بن عمرو ينظر إليه فقال:ابدءوا بذا، فنظر سهل إلى الحارث بن هشام ينظر إليه، فقال: ابدءوا بهذا.

فماتوا كلهم قبل أن يشربوا، فمر بهم خالد بن الوليد، فقال: بنفسى أنتم.

* * *

الحكاية الرابعة والعشرون

حكاية ملك الموت مع رجل أسرف على نفسه في جمع المال

عن يزيد بن ميسرة قال: كان رجل ممن مضى جمع مالاً وولداً، فأوعى، ثم أقبل على نفسه وهو فى أهله، فقال: انْعَمِى سنين، فأتاه مَلَكُ الموتُ، فقرعَ البابَ، فخرجوا إليه

---

(١) يسيل منه الدم.

وهو متمثل بمسكين، فقال لهم: ادعوا لى صاحب الدار، فقالوا: يخرج سيدنا إلى مثلك، ثم مكث قليلاً، ثم عاد، فقرع باب الدار، وصنع مثل ذلك. وقال: أخبروه أنى مَلَكُ الموت.

فلما سمع سيدهم قعد فزَعاً، وقال: لِينُوا له بالكلام، فقالوا: ما تريد غير سيدنا بارك الله فيك، قال: لا. فدخل عليه، فقال له: قُمْ فأوصِ ما كنتَ موصياً، فإنى قابض نفسك قبل أن أخرج، فصاح أهله، وبكوا، ثم قال: افتحوا الصناديق والتوابيت، وافتحوا أوعية المال، وافتحوا أوعية الذهب والفضة، ففتحوها جميعاً.

فأقبل إلى المال يلعنه ويسبه ويقول: لُعِنْتَ من مال، أنت الذى أنسيتنى ربى تبارك وتعالى، وأغفلتنى عن العمل لآخرتى حتى بلغنى أجلى، فتكلم المال، فقال: لا تسبنى، ألم تكن وضيعاً فى أعين الناس، فرفعتك؟ ألم يُرَ عليك من أثرى وكنت تحضر سدد الملوك، فتدخل، ويحضر عباد الله الصالحون فلا يدخلون؟ ألم تكن تخطب بنات الملوك والسادة فتُنْكَح؟ ويخطب عباد الله الصالحون فلا يُنْكَحون؟ ألم تكن تنفقنى فى سبيل الجبت والطاغوت فلا أتعاصى، ولو أنفقتنى فى سبيل الله لم أتعاصى؟ عليك، فأنت اليوم أَلْوَم منى!، إنما خُلِقْتُ أنا وأنتم يا بنى آدم من تراب، فمنطلق ببر ومنطلق بإثم، فهكذا يقول المال، فاحذروا[1].

* * *

الحكاية الخامسة والعشرون
حكاية رجلان يتركان المُلْكَ ويتوبان إلى الله

عن عبد الرحمن بن عبد الله، عن أبيه عبد الله بن مسعود قال: بينما رجل ممن كان قبلكم فى مملكته، فتفكر، فعلم أن ذلك منقطع عنه، وإنما هو فيه فقد شغله عن عبادة ربه، فانساب ذات ليلة من قصره، فأصبح فى مملكة غيره، وأتى ساحل البحر، فكان يضرب اللَّبِنَ بالآجر[2]، فيأكل ويتصدق بالفضل، فلم يزل كذلك حتى رقى أمره إلى ملكهم، فأرسل ملكهم إليه أن يأتيه، فأبى، فأعاد عليه الرسول، فأبى أن يأتيه، وقال: ما له وما لى؟!

فركب الملك، فلما رآه الرجل ولى هارباً، فلما رأى الملك ذلك ركض فى أَثَره، فلم يدركه، فناداه: يا عبد الله، إنه ليس عليك منى بأس، فأقام حتى أدركه، فقال له: مَنْ أنت يرحمك الله؟ قال: أنا فلان ابن فلان صاحب ملك كذا وكذا، تفكرت فى أمرى، فعلمت أن ما أنا فيه منقطع، وأنه قد شغلنى عن عبادة ربى، فتركته وجئت هاهنا أعبد

---

(١) ذكر ابن الجوزى هذه الحكاية على سبيل التمثيل والتخيل، وهى لا تخلو من عظة وعبرة.

(٢) الطوب.

ربى عز وجل، فقال: ما أنت بأحوج إلى ما صنعتَ منى، ثم نزل عن دابته، فسيبها، ثم تبعه، فكانا جميعاً يعبدان الله عز وجل، فدعوا الله أن يميتهما جميعاً، فماتا.

قال عبد الله: لو كنت برميلة مصر لأريتكما قبريهما بالنعت الذى نعت لنا رسول الله ﷺ [(١)].

* * *

الحكاية السادسة والعشرون

موعظة وتوبة

حدثنا إبراهيم بن بشار قال: كنت يوماً من الأيام ماراً مع إبراهيم بن أدهم فى صحراء إذ أتينا على قبر مُسَنَّم [(٢)]، فترحَّم عليه وبكى.

فقلت: قبر مَنْ هذا؟ فقال: هذا قبر حميد بن جابر أمير هذه المدن كلها كان غارقاً فى بحار الدنيا، ثم أخرجه الله عز وجل، فاستنقذه، لقد بلغنى أنه سُرَّ ذات يوم بشيء من ملاهى مُلْكِه ودنياه وغروره وفتنته، قال: ثم نام فى مجلسه ذلك مع مَنْ يخصه من أهله، قال: فرأى رجلاً واقفاً على رأسه بيده كتاب، فناوله، ففتحه، وإذا فيه مكتوب بالذهب: لا تؤثرن فانياً على باق، ولا تغترن بمُلْكِكَ وقَدْرِك وسلطانك وخدمك وعبيدك ولذاتك وشهواتك، فإن الذى أنت فيه جسيم لولا أنه عديم، وهو مُلْكٌ لولا أن بعده هلاك، وهو فرح وسرور لولا أنه لهو وغرور، وهو يوم لو كان يوثق فيه بغدٍ، فسارع إلى أمر الله عز وجل، فإن الله تعالى قال: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[(٣)].

قال: فانتبه فزعاً، وقال: هذا تنبيه من الله عز وجل وموعظة، فخرج من مُلْكِه لا يُعْلَم به، وقصد هذا الجبل، فتعبد فيه، فلما بلغنى قصته قصدته، فسألته، فحدثنى ببدء أمره، وحدثته ببدء أمرى، فمازلت أقصده حتى مات، ودفن هاهنا، فهذا قبره رحمه الله.

* * *

الحكاية السابعة والعشرون

سعيد بن المسيب يُزَوِّج ابنته لرجل فقير

عن أبى وداعه قال: كنت أجالس سعيد بن المسيب، ففقدنى أياماً، فلما جئته قال: أين كنت؟ قلت: توفيت أهلى، فاشتغلتُ بها، فقال: ألا أخبرتنا، فشهدناها؟!.

---

(١) رواه أحمد وأبو يعلى بنحوه وفي إسنادهما المسعودي وقد اختلط.

(٢) مُعَلَّم بشيء عال.

(٣) سورة آل عمران، الآية رقم ١٣٣.

قال: ثم أردتُ أن أقوم، فقال: هل استجددت امرأة، فقلتُ: يرحمك الله! ومَنْ يزوجنى، ولا أملك إلا درهمين - أو ثلاثة -.

فقال: أنا. فقلت: أو تفعل؟ قال: نعم، ثم حمد، وصلى على النبى ﷺ، وزَوَّجَنى على درهمين - قال: أو ثلاثة-، فقمتُ وما أدرى ما أصنع من الفرح، فصرت إلى منزلى، وجعلت أتفكر مِمَّنْ آخذ ومِمَّنْ أستدين، فصليتُ المغرب، وانصرفتُ إلى منزلى، وكنت وحدى، فقَدَّمْتُ عشائى أفطر، وكان خبزاً وزيتاً، فإذا الباب يُقْرَع؟ فقلت: مَنْ هذا؟ قال: سعيد.

قال: ففكرت فى كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب، فظننت أنه قد بدا له، فقلت: يا أبا محمد، ألا أرسلتَ إلىَّ فآتيك.

قال: لا أنت أحق أن تُؤْتَى. قلتُ: فما تأمر. قال: إنك كنتَ رجلاً عَزَباً، فزُوِّجْتَ، فكرهت أن أُبَيِّتَك الليلة وحدك، وهذه امرأتك، فإذا هى قائمة مِنْ خَلْفه فى طوله، ثم أخذ بيدها، فدفعها فى البيت، وردَّ الباب، فسقطت المرأة من الحياء، فاستوثقتُ من الباب، ثم تقدمتها إلى القصعة التى فيها الزيت والخبز، فوضعتها فى ظل السراج لكى لا تراه، ثم صعدت إلى السطح، فرميت الجيران، فجاءونى، فقالوا: ما شأنك؟

فقلت: ويحكم! زوَّجنى سعيد بن المسيب ابنته اليوم، وقد جاء بها على غفلة! فقالوا: سعيد بن المسيب زوَّجك؟! قلت: نعم. وها هى فى الدار.

قال: ونزلوا هم إليها، وبلغ أمى، فجاءت، وقالت: وجهى من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أُصْلِحَها إلى ثلاثة أيام!

قال: فأقمت ثلاثاً، ثم دخلت بها، فإذا هى مِنْ أجمل الناس، وإذا هى أحفظ الناس لكتاب الله وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ، وأعرفهم بحق زوج.

قال: فمكثت شهراً لا يأتينى سعيد ولا آتيه، فلما كان قُرْبَ الشهر أتيت سعيداً وهو فى حَلَقَتِه، فسلمت عليه، فرد علىَّ السلام، ولم يكلمنى حتى تفوَّض أهل المجلس، فلما لم يبق غيرى قال: ما حال ذلك الإنسان؟

قلت: خيراً يا أبا محمد! على ما يحب الصديق، ويكره العدو. قال: إن رابك شىء فالعصا، فانصرفت إلى منزلى، فوجَّه إلىَّ بعشرين ألف درهم.

قال عبد الله بن سليمان: وكانت بنت سعيد بن المسيب خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاَّه العهد، فأبى سعيد أن يُزَوِّجه، فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد

حتى ضربه مائة سوط فى يوم بارد، وصَبَّ عليه جرة ماء، وألبسه جُبَّة صوف!.

قال عبد الله: وابن أبى وداعة هذا هو كثير بن المطلب بن أبى وداعة.

* * *

الحكاية الثامنة والعشرون

زواج ابنة أبى الدرداء

حدثنا ثابت: قال خطب يزيد بن معاوية إلى أبى الدرداء، فردَّه، فقال رجل من جلساء يزيد: أصلحك الله! تأذن لى فى أن أتزوجها!.

قال: اغرب، ويلك! قال: فَائْذَنْ أصلحك الله! قال: نعم. فخطبها، فأنكحها أبو الدرداء الرجلَ.

قال: فسار ذلك فى الناس أن يزيد خطب إلى أبى الدرداء، فردَّه، وخطب إليه رجل من ضعفاء المسلمين، فأنكحه.

فقال أبو الدرداء: إنى نظرت للدرداء، ما ظنكم بالدرداء إذا قامت على رأسها الخصيان، ونظرت فى بيوت يلتمع فيها بصرها أين دينها منها يومئذ؟!.

* * *

الحكاية التاسعة والعشرون

حكاية حممة وذكره البعث

حدثنا مطر الوراق قال: بات هرم بن حيان عند حممة صاحب رسول الله ﷺ، قال: فبات حممه يبكى ليلته كلها حتى أصبح، فلما أصبح قال له هرم: يا حممة، ما أبكاك؟ قال: ذكرت ليلة صبيحتها تبعثر القبور، فيخرج مَنْ فيها.

قال: وبات حممه عندهم، فبات ليلته يبكى حتى أصبح، فسأله حين أصبح: ما الذى أبكاك؟ قال ذكرت ليلة صبيحتها تتناثر نجوم السماء، فأبكانى ذلك.

قال: وكانا يصطبحان أحياناً بالنهار، فيأتيان سوق الريحان، فيسألان الله الجنة، ويدعوان، ثم يأتيان الحدادين فيتعوذان من النار، ثم يتفرقان إلى مكان لهما[1].

---

(١) يقول ابن حجر في الإصابة: حممة الدوسي روى أبو داود ومسدد والحارث في مسانيدهم وابن أبي شيبة في مصنفه وابن المبارك في كتاب الجهاد من طريق حميد بن عبد الرحمن الحميري أن رجلا يقال له حممة من أصحاب النبي ﷺ غزا أصبهان زمن عمر فقال اللهم إن حممة يزعم أنه يحب لقاءك اللهم إن كان صادقا فاعزم له بصدقة وإن كان كاذبا فاحمل عليه وإن كره الحديث=

الحكاية الثلاثون

حكاية عن محاسبة ابن الخطاب

قال العباس بن عبد المطلب: كنت جاراً لعمر بن الخطاب، فما رأيت أحداً من الناس كان أفضل من عمر ؛ إن ليله صلاة، وإن نهاره صيام، وفى حاجات الناس، فلما توفى عمر سألت الله أن يرينيه فى النوم، فرأيته فى النوم مقبلاً من سوق المدينة، فسلّمت عليه وسلّم، ثم قلت له: كيف أنت؟ قال: بخير. فقلت له: ما وجدت؟ قال: الآن حين فرغت من الحساب، ولقد كاد عرشي يهوى بى لولا أنى وَجَدْتُ ربًّا رحيماً.

قلت: وقد قال ابن عمر: رأيت أبى في المنام، فقلت: كيف صنعت؟ قال: خيراً كاد عرشي يهوى بى لولا أنى لقيت رباً غفوراً. وقال لى: منذ كم فارقتكم؟ قلت: من اثنى عشرة سنة. فقال: إنما انفلتُّ الآن من الحساب [(١)].

* * *

الحكاية الحادية والثلاثون

حكاية عمر بن عبد العزيز مع جارية حسناء

عن الهيثم بن عدى قال: كانت لفاطمة ابنة عبد الملك بن مروان زوجة عمر بن عبد العزيز جارية ذات جمال فائق، وكان عمر رحمه الله مُعْجَباً بها قبل أن تُفْضِى إليه الخلافة، فطلبها منها، وحَرِصَ، فأبت وغارت من ذلك، فلم يزل فى نفس عمر، فلما استُخْلِفَ أمرت فاطمة بالجارية فأُصْلِحَتْ، ثم حُلِّيَتْ ؛ فكانت حديثاً فى حسنها وجمالها، ثم دخلت فاطمة بالجارية على عمر، فقالت: يا أمير المؤمنين، إنك كنت بفلانة جاريتى معجباً، وسألتنيها، فأبيت ذلك عليك، وإن نفسى قد طابت لك اليوم، فدونكها.

فلما قالت ذلك استبان الفرح فى وجهه، ثم قال: ابعثى بها إلىَّ، ففعلت، فلما دخلتْ عليه نظر إلى شيء أعجبه، فازداد بها عجباً، فقال لها: ألْقِ ثوبك.

فلما همَّتْ أن تفعل قال: على رسلك، اقعدى، أخبرينى لِمَنْ كنتِ؟ ومِنْ أين أنت لفاطمة؟ قالت: كان الحجاج بن يوسف أغرم عاملاً كان له من أهل الكوفة مالاً، وكنتُ فى رقيق ذلك العامل، فاستقضانى عنه مع رقيق له وأموال، فبعث بى إلى عبد الملك بن مروان، وأنا يومئذ صبيه، فوهبنى عبد الملك لابنته فاطمة. قال: وما فعل ذلك

=وفيه أنه استشهد وإن أبا موسى قال إنه شهيد وروى أحمد في الزهد من طريق هرم بن حيان أنه بات عند حممة صاحب رسول الله ﷺ.

(١) هذه الحكايات وأمثالها من الغيبيات التى لا يُعْتَدُّ فى إثباتها بالرؤى والمنامات، فضلا عن عدم صحة سندها.

العامل؟ قال: هلك. قال: وما ترك ولداً؟ قالت: بلى. قال: وما حالهم؟ قالت: سيئة.

قال: شدى عليك ثوبك، ثم كتب إلى عبد الحميد عامله أن سرِّحْ لى فلان ابن فلان على البريد، فلما قدم قال له: ارفع إلىَّ جميع ما أغرم الحجاج إباك، فلم يرفع إليه شيئا إلا دفعه إليه، ثم أمر بالجارية، فدُفِعَتْ إليه، فلما أخذ بيدها قال: إياك وإياها، فإنك حديث السن، ولعل أباك أن يكون قد وطئها!.

فقال: يا أمير المؤمنين، هى لك. قال: لا حاجة لى فيها. قال: فابتعها منى. قال لستُ إذا ممن ينهى النفس عن الهوى، فمضى بها الفتى، فقالت له الجارية: فأين موجدتك بى يا أمير المؤمنين؟ فقال: إنها لعلى حالها، ولقد ازدادت، فلم تزل الجارية فى نفس عمر حتى مات.

* * *

الحكاية الثانية والثلاثون

بين عمر بن الخطاب ووجهاء قريش

عن جرير قال: سمعت الحسن قال: حضر باب عمر بن الخطاب سهيل بن عمرو والحارث بن هشام وأبو سفيان بن حرب ونفر من قريش من تلك الرؤساء، وصهيب وبلال وتلك الموالى الذين شهدوا بدراً، فخرج إذن عمر، فأذن لهم، وترك هؤلاء، فقال أبو سفيان: لم أر كاليوم قط ؛ يأذن لهؤلاء العبيد، ويتركنا على بابه لا يلتفت إلينا!.

فقال سهيل بن عمرو - وكان رجلاً عاقلاً -: أيها القوم، إنى والله قد أرى الذى فى وجوهكم، إن كنتم غضاباً فأغضبوا على أنفسكم، دُعِىَ القوم ودُعِيتم، فأسرعوا وأبطأتم، فكيف بكم إذا دُعُوا يوم القيامة، وتُرِكْتم؟! أما والله لَمَا سبقوكم إليه من الفضل ما لا يرون أشد عليكم فوتاً من بابكم هذا الذى تنافستم عليه. قال: ونفض ثوبه، وانطلق. قال الحسن: وصدق والله سهيل، لا يجعل الله عبداً أسرع إليه كعبد أبطأ بطاعته.

* * *

الحكاية الثالثة والثلاثون

ضيوف أبي الدرداء

عن محمد كعب أن ناساً نزلوا على أبى الدرداء ليلةً قَرَّةً [(١)]، فأرسل إليهم بطعامٍ ساخنٍ، ولم يرسل إليهم بلُحُفٍ.

---

(١) شديدة البرودة.

فقال بعضهم: لقد أرسل إلينا بالطعام مما هنانا مع القَرِّ، لا أنتهى أو أُبَيِّن له، قال الآخر: دَعْه، فأتى، فجاء حتى إذا قام على الباب رآه جالساً وامرأته ليس عليهما من الثياب إلا ما لا يذكر، فرجع الرجل، فقال: ما أراك بت إلا بنحو مما بتنا به؟!

قال: إن لنا داراً ننتقل إليها، قدَّمنا لحفنا وفرشنا إليها، ولو ألفيت عندنا منه شيئاً لأرسلنا إليك به، وإن بين أيدينا عقبة كئوداً المُخِفُّ فيها خير من المُثْقِل، أفهمتَ ما أقول لك؟! قال: نعم.

* * *

الحكاية الرابعة والثلاثون

نجاة الله لملك متمرد

عن بكر بن عبد الله المزنى قال: كان فيمن كان قبلكم مَلِكٌ، وكان متمرداً على ربه عز وجل، فغزاه المسلمون، فأخذوه سَلَماً، فقالوا: بأى قِتْلَةٍ نقتله؟ فأجمع رأيهم على أن يجعلوا له قمقماً عظيماً، ويحشوا تحته النار، ولا يقتلوه حتى يُذِيقُوه طعم العذاب، ففعلوا ذلك به.

قال: فجعل يدعو آلهته واحداً واحداً ؛ يا فلان بما كنت أعبدك وأصلى لك وأمسح وجهك فأنقذنى مما أنا فيه، فلما رآهم لا يغنون عنه شيئاً رفع رأسه إلى السماء، وقال: لا إله إلا الله، ودعى الله مخلصاً، فصبَّ الله عليه مثعباً[1] من السماء، فأطفأ تلك النار، وجاءت ريح فاحتملت ذلك القمقم، فجعل يدور بين السماء والأرض وهو يقول: لا إله إلا الله.

فقذفه الله عز وجل إلى قوم لا يعبدون الله عز وجل، وهو يقول: لا إله إلا الله، فاستخرجوه، فقالوا: ويحك! ما لك؟ فقال: أنا مَلِكُ بنى فلان، كان من أمرى، وكان من أخذنى، فقص عليهم القصة ؛ فآمنوا[2].

* * *

الحكاية الخامسة والثلاثون

من كرامات العلاء بن الحضرمي

عن قدامة بن حماطة قال: سمعت سهم بن منجاب قال: غزونا مع العلاء ابن الحضرمى[3] دارين، فدعا بثلاث دعوات، فاستُجِيبَ له فيهن.

---

(١) سيل مار، والثَّعْبُ: مَسيلُ الوادي.

(٢) هذه من الحكايات المؤلفة التى يحكيها القصاص ولا أساس لها.

(٣) يقول ابن حجر فى الإصابة: العلاء بن الحضرمي وكان اسمه عبد الله بن عماد بن أكبر بن=

نزلنا منزلنا، فطلب الماء ليتوضأ، فصلى ركعتين، وقال: اللهم أنا عبدك وفي سبيلك نقاتل عدوك، اللهم اسقنا غيثاً نتوضأ منه ونشرب، فإذا توضأنا لم يكن لأحد فيه نصيب غيرنا، فسرنا قليلاً فإذا نحن بماء حين أقلعت عنه السماء، فتوضأنا منه وتزودنا وملأت إداوتي وتركتها مكانها حتى أنظر هل أستجيب له أم لا؟ فسرنا قليلاً، ثم قلت لأصحابي: نسيت إداوتي، فجئت إلى ذلك المكان فكأنه لم يصبه ماءٌ قط، ثم سرنا حتى أتينا دارين، والبحر بيننا وبينهم، فقال: يا عليم يا حليم يا عظيم، أنا عبدك وفي سبيلك نقاتل عدوك، اللهم فاجعل لنا إليهم سبيلاً، فتقحم بنا البحر، فخضنا ما يبلغ لبودنا، فخرجنا إليهم، فلما رجع أخذه وجع البطن، فمات، فطلبنا له ماء نُغَسِّله، فلم نجد، فلففناه في ثيابه، ودفناه، فسرنا غير بعيد، فإذا نحن بماء كثير، فقال: بعضنا لبعض: لو رجعنا فاستخرجناه، ثم غسلناه، فرجعنا، فطلبناه، فلم نجده، فقال رجل من القوم: إني سمعته يقول: يا علي يا عظيم يا حكيم، أَخْفِ عليهم موتي - أو كلمة غيرها-، ولا تُطْلِع على عورتي أحداً، فرجعنا وتركناه.

وقال عمر بن ثابت البصري قال: دخلت حَصَاةٌ في أُذُن رجل من أهل البصرة، فعالجها الأطباء، فلم يقدروا عليها حتى وصلت إلى صماخه، فأسهرت ليلة ونَغَّصَتْ عليه عيش نهاره. قال: فأتى رجلاً من أصحاب الحسن، فشكى ذلك إليه، فقال: ويحك! إن كان شيء ينفعك الله به، فأدع الله بدعوة العلاء بن الحضرمي صاحب رسول الله ﷺ، فإنها دعوته التي دعا بها في القفار، وهي دعوته التي دعا بها في البحار!.

قال: وما هي؟! قال: يا علي يا عظيم يا حكيم يا عليم.

قال: فدعا بها، فخرجت من أذنه ولها طنين حتى صَكَّتْ الحائط، وبرأ الرجل.

* * *

=ربيعة بن مالك بن عويف الحضرمي وكان عبد الله الحضرمي أبوه قد سكن مكة وحالف حرب ابن أمية والد أبي سفيان وكان للعلاء عدة إخوة منهم عمرو بن الحضرمي وهو أول قتيل من المشركين وماله أول مال خمس في المسلمين وبسببه كانت وقعة بدر واستعمل النبي صلى الله عليه وسلم العلاء على البحرين وأقره أبو بكر ثم عمر مات سنة أربع عشرة وقيل سنة إحدى وعشرين روى عن النبي صلى الله عليه وسلم روى عنه من الصحابة السائب بن يزيد وأبو هريرة وكان يقال إنه مجاب الدعوة وخاض البحر بكلمات قالها وذلك مشهور في كتب الفتوح.

الحكاية السادسة والثلاثون

أولياء الله

عن وهب قال: قال الحواريون: يا عيسى مَنْ أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون؟ فقال عيسى عليه السلام: الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها، وإلى أجل الدنيا حين نظروا إلى عاجلها، فأماتوا منها ما خشوا أن يميتهم، وتركوا ما علموا أن سيتركهم، فصار استكثارهم منها استقلالاً، وذُكْرُهُمْ إياها فواتاً، وفرحهم بما أصابوا منها حزناً، فما عارضهم مِنْ نائلها رفضوه، وما عارضهم من رفعتها بغير الحق وضعوه.

خَلِقَتِ الدنيا عندهم فليسوا يجددونها، وخَرِبَتْ بينهم فليسوا يعمرونها، وماتت في صدورهم فليسوا يحيونها بعد موتها، فيبنون بها آخرتهم، ويبيعونها،فيشترون بها ما يبقى لهم. رفضوها فكانوا برفضها فرحين، وباعوها فكانوا ببيعها رابحين، نظروا إلى أهلها صرعى، قد خلَتْ فيهم، فأحيوا ذكر الموت، وأماتوا ذكر الحياة، ويحبون الله، ويحبون ذكره ويستضيئون بنوره.

لهم خبر عَجَبٌ، وعندهم الخبر العَجَبُ، بهم قام الكتاب، وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب، وبه نطقوا، وبهم علم الكتاب، وبه علموا، ليسوا يرون نائلاً مع ما نالوا، ولا أماناً دون ما يرجون، ولا خوفاً دون ما يحذرون .

* * *

الحكاية السابعة والثلاثون

أبو مسلم مع امرأته

عن عثمان بن عطاء قال: كان أبو مسلم الخولاني إذا انصرف من المسجد كبَّر على باب منزله، فكبَّرت امرأته، فإذا كان في صحن داره فتجيبه امرأته، فإذا بلغ باب بيته كبَّر، فتجيبه امرأته.

فانصرف ذات ليلةٍ، فكبَّر عند باب داره، فلم يجبه أحد، فلما كان في الصحن كبَّر، فلم يجبه أحد، فلما كان في باب بيته كبَّر، فلم يجبه أحد، وكان إذا دخل بيته أخذت امرأته رداءه ونعليه، ثم أتته بطعامه.

قال: فدخل البيت، وإذا البيت ليس فيه سراج، وإذا امرأته جالسة في البيت منكسة تنكث في الأرض بعود معها، فقال لها: مالك؟ قالت: أنت لك منزلة من معاوية، وليس لنا خادم، فلو سألته، فأخدمنا وأعطاك.

فقال: اللهم من أفسد عليَّ أهلي فأعمى بصره.

قال: وكانت قد جاءتها امرأة قبل ذلك، فقالت: زوجك له منزلة من معاوية، فلو قُلْتِ له يسأل معاوية يُخْدِمه ويعطيه عشتم.

قال: فبينا تلك المرأة جالسة في بيتها أنكرت بصرها، فقالت: ما لسراجكم طُفِيءَ؟ قالوا: فَعَرَفَتْ ذنبها، فأقبلت إلى أبي مسلم تبكي، وتسأله أن يدعو الله عز وجل يرد عليها بصرها، فرحمها أبو مسلم، فدعا الله عز وجل لها، فردَّ عليها بصرها.

وفي رواية أخرى رجعت امرأته إلى حالها الأول.

* * *

الحكاية الثامنة والثلاثون

صلة بن أشيم مع السبع في الصلاة

حدثنا حماد بن جعفر بن زيد أن أباه أخبره قال: خرجنا في غزاة إلى كابل، وفي الجيش صلة بن أشيم، فنزل الناس عند العتمة، فقلت: لأرمقن عمله، فأنظر ما يذكر الناس من عبادته، فصلى العتمة، ثم اضطجع فالتمس غفلة الناس حتى إذا قلتَ هدأت العيون وثب، فدخل غيطة قريباً منه، ودخلتُ في أثره، فتوضأ، ثم قام يصلي.

قال: وجاء أسد حتى دنا منه. قال: فصَعَدْتُ في شجرة.

قال: فتراه التفت أو عدَّه جُرْذاً[1]، حتى سجد، فقلت: الآن يفترسه، فجلس، ثم سلم، فقال: أيها السبع، اطلب الرزق من مكان آخر، فولّى وإن له زئيراً تصدع الجبال منه، فما زال كذلك. فلما كان عند الصبح جلس فحمد الله عز وجل بمحامدٍ لم أسمع بمثلها إلا ما شاء الله، ثم قال: اللهم إني أسألك أن تجيرني من النار، أو مثلي يجترى أن يسألك الجنة. ثم رجع، فأصبح كأنه بات على الحشايا، وأصبحتُ وبي من الفترة شيء الله به عليم.

قال: فلما دنونا من أرض العدو قال الأمير: لا يشذن أحد من العسكر. قال: فذهبت بغلته بثقلها، فأخذ يصلي، فقالوا له: إن الناس قد ذهبوا. قال: إنهما خفيفتان. قال: فدعا، ثم قال: اللهم إني أقسم عليك أن ترد بغلتي وثقلها. قال: فجاء، حتى قامت بين يديه. قال: فلما لقينا العدو حمل هو وهشام بن عامر.

قال: فصنعا بهم طعناً وضرباً وقتلاً، فكسر ذلك العدوَّ، فقالوا: رجلان من العرب صنعا بنا هذا، فكيف لو قاتلونا؟! فأعطوا المسلمين حاجتهم.

فقيل لأبي هريرة: إن هشام بن عامر - وكان يجالسه- ألقى بيده إلى التهلكة، وأخبر

---

(١) فأرًا.

خبره، فقال: كلا، ولكنه التمس هذه الآية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (١).

* * *

الحكاية التاسعة والثلاثون

درس في الصبر من أم سليم

عن أنس قال: مات ابن لأبى طلحة من أم سليم فقالت لأهلها: لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه. قال: فجاء، فقرَّبت إليه عشاءً، فأكل وشرب، ثم تصنَّعت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك، فوقع بها، فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها قالت: يا أبا طلحة، أرأيت لو أن قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت، فطلبوا عاريتهم أَلَهُمْ أن يمنعونهم؟! قال: لا. قالت: فاحتسب ابنك.

فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ، فأخبره بما كان، فقال رسول الله ﷺ: «بارك الله لكما فى ليلتكما». قال: فحملت، وكان رسول الله ﷺ فى سفر وهى معه، وكان رسول الله ﷺ إذا أتى المدينة من سفرٍ لا يطرقها طروقاً، فدنوا من المدينة، فضربها المخاض، فأُحْبِسَ عليها أبو طلحة، وانطلق رسول الله ﷺ، فقال أبو طلحة: إنك لتعلم يا رب أنه يعجبنى أن أخرج مع رسول الله ﷺ، إذا خرج، وأدخل معه إذا دخل، وقد احتسبت بما ترى.

قال: تقول أم سليم: يا أبا طلحة، ما أجد الذى كنت أجد، فانطلقنا، وضربها المخاض حين قدما، فولدت غلاماً، فقالت: يا أنس لا يرضعنه أحد حتى تغدو على رسول الله ﷺ، فلما أصبحت احتملته، فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ، فصادفته ومعه مِيْسِم، فلما رآنى قال: «لعلَّ أم سليم ولدت». قلت: نعم. فوضع الميسم، وجئت به، فوضعه فى حجره، فدعا رسول الله ﷺ بعجوة من عجوة المدينة، فلاكها فى فيه، حتى ذابت، ثم قذفها فى فِيِّ الصبى، فجعل الصبى يتلمظ، فقال رسول الله ﷺ: «انظروا إلى حب الأنصار التمر». قال: فمسح وجهه، وسمَّاه عبد الله(٢).

* * *

---

(١) سورة البقرة، الآية رقم: ٢٠٧.

(٢) الحديث صحيح أخرجه أحمد فى مسنده ومسلم فى صحيحه عن أنس.

الحكاية الأربعون

حكاية المرأة الكئيبة المحزونة

عن ابن يسار -يعنى مسلماً- قال: قدمت البحرين واليمامة فى تجارةٍ، فإذا بالناس مقبلين ومدبرين نحو منزل، فقصدته، فإذا أنا بامرأة جالسة فى مُصَلّى، عليها ثياب غليظة، وإذا هى كئيبة محزونة قليلة الكلام، وإذا كل مَنْ رأيت ولدها وخولها وعبيدها، والناس إليهم بالبياعات والتجارات، فقضيت حاجتى، ثم أتيتها، فودعتها، فقالت: حاجتنا إليك أن تأتينا إن عدت إلينا لحاجةٍ ؛ فننزل بك حاجتك.

قال: فانصرفت، فلبثت حيناً، ثم أنى توجهت إلى بلدها فى حاجةٍ، فلما قدمتها لم أر دون منزلها شيئاً مما كنت رأيت، فأتيت منزلها، فلم أر أحداً، فأتيت الباب، فاستفتحت، فإذا أنا بضحك امرأة وكلامها، ففتح لى، فدخلت فإذا أنا بها جالسة فى بيت، وإذا عليها ثياب حسنة رقيقة، وإذا الضحك الذى سمعت ضحكها وكلامها، وإذا امرأة معها فى بيتها فقط، فاستكبرت ذلك، وقلتُ: لقد رأيتك على حالين فيهما عجب: حالك فى قدمتى الأولى، وحالك هذه؟ قالت: لا تعجب، فإن الذى رأيت من حالى الأولى إنى كنت فيما رأيت من الخير والسعة، وكنت لا أصاب بمصيبة فى ولدٍ ولا خَوَل [1] ولا مال، ولا أُوَجِّه فى تجارةٍ إلا سلمت، ولا يباع لى شيء إلا أربح فيه، فتخوَّفت أن لا يكون لى عند الله خير، فكنت مكتئبة حزينة لذلك، وقلتُ: لو كان لى عند الله خير ابتلانى، فتوالت على المصائب فى ولدى الذى رأيت وخولى ومالى، فما بقى لى منه شيء، ورجوت أن يكون الله عز وجل أراد بى خيراً فابتلانى وذكرنى، ففرحت لذلك وطابت نفسى.

قال: فانصرفت فلقيت عبد الله بن عمر، فأخبرته خبرها، فقال: أرى والله هذه ما فاتها أيوب النبى ﷺ إلا بقليل، لكنى تخرَّق مطرفى هذا -أو كلمة نحوها-، فأمرت به أن يصلح، فلم يعمل على ما كنت أريد ؛ فأحزننى ذلك.

* * *

الحكاية الحادية والأربعون

أبو تراب والحلاق والأمير

عن أحمد بن جعفر الحذّاء قال: سمعت أبا على الحسين بن خيران الفقيه قال: مرَّ أبو تراب النخشبي بمزيِّن، فقال له: تحلق رأسى لله عز وجل؟ فقال له: اجلس، فجلس، فبينما هو يحلق رأسه مرَّ به أمير من أهل بلده، فسأل حاشيته، فقال لهم: أليس هذا أبو

---

(١) الخَوَل: ما أعطاكَ الله تعالى من النَّعَمِ والعَبيدِ والإماءِ، وغيرِهِم.

تراب؟ قالوا: نعم.

قال: أيش معكم من الدنانير؟ فقال له رجل من خاصته: معى خريطة[1] فيها ألف دينار، فقال: إذا قام فأعطه واعتذر إليه، وقل له: لم يكن معنا غير هذا.

فجاء الغلام إليه فقال له: الأمير يقرأ عليك السلام، وقال لك: ما حضر معنا غير هذه الدنانير. فقال: ادفعها إلى المزين. فقال له المزين: أى شيء أعمل بها؟ قال: خُذْهَا.

فقال: لا والله، لو أنها ألفا دينار ما أخذتها، فقال له أبو تراب: مُرَّ إليه، وقل له: إن المزين ما أخذها، فخذها أنت فاصرفها فى مهامك.

* * *

الحكاية الثانية والأربعين
حكاية شاب صالح

قال أبو عبد الله مؤذن مسجد بنى حرام: جاورنى شاب، فكنت إذا أذَّنت للصلاة وأقمت فكأنه فى نفرة قفاى، فإذا صليت صَلَّى، ثم لبس نعليه، ثم دخل منزله، فكنت أتمنى أن يُكَلِّمَنى أو يسألنى حاجة، فقال لى ذات يوم: يا أبا عبد الله، عندك مصحف تُعِرْنى، أقرأ فيه، فأخرجت إليه مصحفاً، فدفعته إليه، فضمَّه إلى صدره، ثم قال: ليكونن اليوم لى ولك شأن، ففقدته ذلك اليوم، فلم أره يخرج، وأقمت للمغرب والعشاء، فلم يخرج، فلما صليت جئت إلى الدار التى هو فيها، فإذا فيها دلو ومطهرة، وإذا به ميت، والمصحف فى حِجْره، فأخذت المصحف من حجره، واستعنت بقوم على حمله حتى وضعناه على سريره، وبقيت ليلتى أُفَكِّر مَنْ أُكَلِّم حتى نُكَفِّنَه، فأذَّنت للفجر بوقت، ودخلت المسجد لأركع فإذا بضوء فى القبلة، فدنوت منه، فإذا كفن ملفوف فى القبلة، فأخذته، وحمدت الله عز وجل، وأدخلته البيت، وخرجت، وأقمت الصلاة، فلما سلَّمت إذا عن يمينى ثابت البنانى ومالك بن دينار وحبيب الفارسى وصالح المرى.

فقلت لهم: يا إخوانى ما غدا بكم؟ قالوا: مات فى جوارك الليلة أحد؟ قلتُ: مات شاب كان يصلى معى الصلاة. فقالوا لى: أرناه، فلما دخلوا عليه كشف مالك بن دينار الثوب عن وجهه، ثم قبَّل موضع سجوده، ثم قال: أنت بأبى يا حَجَّاج إذا عُرِفْتَ فى موضعٍ تحوَّلت منه إلى موضع غيره حتى لا تُعْرَف، خذوا فى غسله.

وإذا مع كل واحدٍ منهم كفن، فقال كل واحد منهم: أنا أُكَفِّنه، فلما طال ذلك منهم قُلْتُ لهم: إنى فكَّرت فى أمره الليلة مَنْ أُكَلِّم حتى نُكَفِّنَه، فأتيت المسجد،

---

(١) وعاء من جلد أو نحوه.

فأذِّنت، ثم دخلت لأركع، فإذا كفن ملفوف، لا أدرى من وضعه، فقالوا: يُكَفَّن فى ذلك الكفن، فكفّناه، وأخرجناه، فما كدنا نرفع جنازته مِنْ كثرة مَنْ حضره مِن الجمع.

* * *

الحكاية الثالثة والأربعون

رجل من الصالحين يصبر على مرضه

حدثنا أبو عبد الله البراثى قال: قال لِى خلف البرزائى: أُتِيتُ برجلٍ مجذوم ذاهب اليدين والرجلين أعمى، فجعلته مع المُجَذّمِين، فغفلت عنه أياماً، ثم ذكرته، فقلت: يا هذا إنى غفلت عنك، فكيف حالك؟ فقال لى: حبيبى الذى أحاطت محبته بأحشائي، فلا أجد لما أنا فيه من ألم مع محبته - لا يغفل عنى.

فقلت له: إنى نسيت. قال: إن لى مَنْ يذكرنى، وكيف لا يذكر الحبيب حبيبه، وهو نصب عينه بآية العقل واللب.

قلت: ألا أزوجك امرأة تُنَظِّفك مِنْ هذه الأقذار؟ فبكى ثم تنفس، وسما ببصره نحو السماء، وقال: يا حبيب قلبى، ثم أغمى عليه، وأفاق.

فقلت: ما تقول؟ فقال: كيف تزوجنى، وأنا مَلِكُ الدنيا وعروسها؟! قلت: أى شيء عندك من مُلْك الدنيا وأنت ذاهب اليدين والرجلين، أعمى يأكل كما تأكل البهائم؟! فقال: رضاى عن سيدى إذا بلى جوارحى، وأطلق لسانى بذكره.

قال: فوقع منى بكل منزلة، فما لبث إلا يسيراً حتى مات، فأخرجت له كَفَناً فيه طول، فقطعت منه، فأُتِيتُ فى منامى، فقيل لى: يا خَلَف، بَخِلْتَ على وَلِيٍّ ومُحِبِّى بكَفَنٍ طويل، فقد رددنا عليك كفنك، وكفّناه من عندنا بالسندس والإستبرق.

قال: فصرت إلى بيت الأكفان، فإذا الكفن مُلْقى.

* * *

الحكاية الرابعة والأربعون

من صفات عباد الله المحبين

عن بشر بن الحارث قال: رأيت رجلاً فى طريق الشام، وعليه عباءة قد عقدها مستوفزًا كأنه وحشى، فقلت له: رحمك الله من أين جئت؟ قال لى: مِنْ عنده. فقلت: وإلى أين تريد؟ قال: إليه. فقلت له: ففيم النجاة يرحمك الله؟! قال: فى التقوى والمراقبة لمن أنت له مبتغى.

قلت: فأوصينى. قال: لا أراك تَقْبَل.

قلت: أرجو أن أقبل إن شاء الله. قال: فِرَّ منهم ولا تأنس بهم، واستوحش من الدنيا فإنها تُعَرِّضُك للعطب، ثم قال: مَنْ عرف الدنيا لم يطمئن إليها، ومن أبصر ضررها أعدَّ لها دواءها، ومن عرف الآخرة ألح فى طلبها، ومن توهمها اشتاق إلى ما فيها ؛ فهان عليه العمل.

ثم قال: فكيف لو توهمت مَنْ يملكها ومن زخرفها ومن قال لها كونى فكانت، وتزيَّنى فتزينت، فالاشتياق إلى مالكها أولى بقلوب المشتاقين وأطيب لعيش المستأنسين.

ثم قال: قد أنسوا بربهم، فالأمر فيما بينه وبينهم سليم، صافوه بالعقول، ودققوا له الفطن فسقاهم من كأس حبة شربه، فظلوا فى عيشتهم أرْوِياء، وفى ربِّهم عطاشًا، ثم قال: يا هذا، أتفهم ما أقول، وإلا فلا تتعبنى. قلت: بلى رحمك الله أنى أفهم جميع ما قلت.

فقال: الحمد لله الذى فهَّمك، ورأيت فى وجهه السرور، ثم قال: خذ إليك هم الذين لا يملون كاسات تُحَفِه، فالحكمة فى قلوبهم سائلة متواصلة لأنهم الأكياس الذين لم تدنسهم المطامع ولم تقطعهم عن الله القواطع، ليوث فى تعززهم أغنياء فى توكلهم، أقوياء فى تقلبهم ألين الخلق عريكة، وأشده حياء، وأشرفه مطلباً، لا يتطاولون ولا يتماوتون، فهم صفوة الله فى خلقه وضياء من خالص عباده.

ثم قال لى: إن للقلوب الحبيبة من دون هذا مقطع، نفعنا الله وإياك بما علمنا، السلام عليك ورحمة الله.

قال بشر: فطلبت إليه أن أصحبه، فأبى علىَّ وقال: لست أنساك، فلا تنسنى، ومضى وتركنى.

قال بشر، فلقيت عيسى بن يونس، فحدثته بقصته، فقال لى، لقد أنس بك، وذلك الرجل الصالح أنه رجل من خيار الناس يأوى فى الجبل، وإنما يدخل فى المدينة فى كل جمعة لصلاة الجمعة، ويبيع فى ذلك اليوم حطباً يكفيه إلى الجمعة الأخرى، وعجباً له كيف كلَّمك، لقد حفظتَ عنه كلاماً حسناً.

* * *

الحكاية الخامسة والأربعون

حكاية عن نبي الله عيسى

عن ابن عباس قال: خرج عيسى ابن مريم يستسقى بالناس، فأوحى الله تعالى إليه لا تستقى ؛ معك خطَّاء، فأخبرهم بذلك، فقال: من كان من أهل الخطايا فليعتزل، فاعتزل

الناس كلهم إلا رجل مصاب بعينه اليمنى، فقال له عيسى: مالك لا تعتزل؟! قال: يا روح الله، ما عصيت الله طرفة عين، ولقد التفتُّ، فنظرت بعينى هذه إلى قَدَمِ امرأة من غير أن كنت أردت النظر إليها، فقلعتها![1]، ولو نظرت إليها باليسرى لقلعتها!.

قال: فبكى عيسى حتى ابتلت لحيته بدموعه، ثم قال: فادعو لنا ؛ أنت أحق بالدعاء منى، وإنى معصوم بالوحى وأنت لم تُعْصَم، ولم تعص، فتقدَّم الرجل، فرفع يديه، وقال: اللهم إنك خلقتنا وقد علمت ما نعمل من قبل أن تخلقنا، فلم يمنعك ذلك أن لا تخلقنا، فكما خلقتنا وتكفَّلت بأرزاقنا، فأرسل السماء علينا مدراراً.

فوالذى نفس عيسى بيده ما خرجت الكلمة تامة من فيه حتى أرخت السماء عزاليها[2] وسُقِىَ الحاضر والباد.

* * *

الحكاية السادسة والأربعون

شاب خائف من النار

حدثنا منصور بن عمار قال: خرجت ذات ليلة، وظننت إنى قد أصبحت، فإذا علىَّ ليل، فقعدت عند باب صغير، فإذا بصوت شاب يبكى ويقول: وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتى إياك مخالفتك، وقد عصيتك حين عصيتك وما أنا بكلامك جاهل ولا لعقوبتك متعرض ولا بنظرك مستخف، ولكن سوَّلت لى نفسى، وغلبتنى شقوتى، وغرنى سِترك المُرْخِيُّ علىَّ، عصيتك بجهلى وخالفتك بجهدى، فالآن مِنْ عذابك مَنْ يستنقذنى؟! وبحبل مَنْ أتصل إذا قَطَعْتَ حبلك علىَّ، وا سوءتاه على ما مضى من أيامى فى معصية ربى!، يا ويلى كم أتوب وكم أعود!، قد حان لى أن أستحيى من ربى.

قال منصور: فلما سمعت كلامه قلتُ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ...﴾[3] الآية.

فسمعتُ صوتاً واضطراباً شديداً، ومضيتُ لحاجتى، فلما أصبحنا رجعتُ فإذا أنا بجنازة على الباب، وعجوز تذهب وتجىء، فقلت لها: مَنْ الميت؟ فقالت: إليك [عنى]

---

(١) هذا من المبالغات الفجة التى يرفضها العقل، ولا سند لها من الشرع.

(٢) العَزْلاء: مصب الماء من القربة ونحوها، ج: عَزالى، وعُزَالي، ويقال: أرسلت السماء عزاليها، أى: انهمرت بالمطر.

(٣) سورة التحريم، الآية رقم: ٦.

لا تُجَدِّدْ عليَّ أحزاني! فقلت: إنى رجل غريب.

فقالت: هذا ولدى، مَرَّ بنا البارحة رجل، لا جزاه الله خيراً، فقرأ آية فيها ذكر النار، فلم يزل ابنى يضطرب ويبكى، حتى مات.

قال منصور: هكذا والله صفة الخائفين يا ابن عمار.

* * *

الحكاية السابعة والأربعون
من حكايات أبي جهير الصالح

حدثنا صالح المرى - وسياق الحديث للخراز - قال: قال مالك بن دينار: أغدو عليَّ يا صالح إلى الجَبَّان ؛ فإنى قد وعدت نفراً من إخوانى، تأتى أبا جهير ومسعود الضرير، فتسلم عليه.

قال صالح: وكان أبو جهير هذا رجلاً قد انقطع إلى زاوية، فتعبَّد فيها، ولم يكن يدخل البصرة إلا يوم جمعة فى وقت الصلاة، ثم يرجع من ساعته، فغدوت لموعد مالك إلى الجبان، فانتهيت إلى مالك، وقد سبقنى، وإذا معه محمد بن واسع وثابت البنانى وحبيب، فلما رأيتهم قد اجتمعوا قلت: هذا والله يوم سرور، فانطلقنا نريد أبا جهير.

قال: فكان مالك إذا مرَّ بموضع نظيف قال مالك: يا ثابت صَلِّ هاهنا لعله يشهد غداً، فأتينا موضعه، فسألنا عنه، فقالوا: الآن يخرج إلى الصلاة، فانتظرناه، فخرج علينا رجل - إن شئتَ قلتَ رجل قد نُشِرَ من قبره - قال: فوثب رجل، فأخذ بيده حتى أقامه عند باب المسجد، فأمهل يسيراً، ثم دخل فصلى ما شاء الله، ثم أقام الصلاة، فصلينا معه، فلما قضى صلاته جلس كهيئة المهموم، فتؤامر القوم فى السلام عليه، فتقدَّم محمد بن واسع، فسلَّم عليه، فرد عليه السلام، فقال: مَنْ أنت ؛ لا أعرف صوتك؟ قال: أنا من أهل البصرة.

قال: ما اسمك يرحمك الله؟ قال: أنا محمد بن واسع. قال: مرحباً وأهلاً، أنت الذى يقول هؤلاء القوم - وأومأ بيده إلى البصرة - إنك أفضلهم لله، أنت إن قمت تشكر ذلك، اجلس، فجلس.

فقام ثابت البنانى، فسلَّم عليه، فرد عليه السلام، وقال: من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا ثابت البنانى. قال: مرحباً بك يا ثابت، أنت الذى تزعم أهل هذه القرية بأنك من أطولهم صلاة، اجلس فلقد كنتُ أتمناك على ربى.

فقام إليه حبيب أبو محمد، فسلَّم عليه، فرد عليه السلام، وقال: من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا حبيب أبو محمد.

فقال: مرحباً بك يا أبا محمد، أنت الذى يزعم هؤلاء القوم أنك لم تسأل الله شيئاً إلا أعطاك، فهلا سألته أن يخفى لك ذلك المجلس يرحمك الله! وأخذ بيده، فأجلسه إلى جنبه.

فقام إليه مالك بن دينار، فسلَّم عليه، فرد عليه السلام، وقال: من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا مالك بن دينار. قال: بخٍ بخٍ! أبو يحيى! إن كنتَ كما يقولون، أنت الذى يزعم هؤلاء القوم إنك أزهدهم، اجلس، فلقد تمت أمنيتى على ربى فى عاجل الدنيا.

قال صالح: فقمت لأسلِّم عليه، فأقبل على القوم، فقال: انظروا كيف تكونون غداً بين يدى الله فى مجمع القيامة.

قال: فسلَّمت عليه، فرد على السلام، وقال: من أين أنت يرحمك الله؟ قلت: أنا صالح المرى. قال: أنت الفتى القارئ؟ قلت: نعم.

قال: اقرأ يا صالح ؛ فلقد كنت أحب أن أسمع قراءتك. قال صالح: فحصرنى والله ما كنت قد فقدته، فابتدأت، فقرأت، فما استممت الاستعاذة حتى خرَّ مغشيًّا، ثم أفاق، فقال: عُدْ فى قراءتك، فقرأت: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾[1] فصاح صيحة، ثم أكبَّ لوجهه، وجعل يخور، ثم هدأ، فدنونا منه، فإذا هو قد خرجت نفسه، فخرجنا، فسألنا: هل له أحد؟ فقالوا: عجوز تخدمه، فبعثنا إليها، فجاءت، فقالت: ما له؟ قلنا: قُرِئَ عليه القرآن، فمات.

قالت: حُقَّ له -والله- من ذا الذى قرأ عليه؟ لعله صالح القارئ؟! قلنا: نعم، وما يدريك من صالح؟ قالت: لا أعرفه، غير أنى كثيرًا ما كنتُ أسمعه يقول: إن قرأ علىَّ صالح قتلنى.

قلت: فهو الذى قرأ عليه. قالت: هو الذى قتل حبيبى. فهيَّأناه ودفناه، رحمة الله عليه.

* * *

الحكاية الثامنة والأربعون

نصائح راهب لعبد الواحد بن زيد

حدثنا عبد الواحد بن يزيد قال: مررت براهب فناديته: يا راهب، مَنْ تعبد؟ قال: الذى خلقنى وخلقك. قلت: فعظيمٌ هو؟ قال: عظيم المنزلة، قد جاوَزَتْ عظمته كل شيء.

---

(١) سورة الفرقان، الآية رقم: ٢٣.

قلت: فمتى يُرْزَقُ العبدُ الإنسَ بالله؟ قال: إذا صفا الود خلصت المعاملة.

قلت: متى يصفو الود؟ قال: إذا اجتمع الهم، فصار فى الطاعة.

قلت: متى تخلص المعاملة؟ قال: إذا كان الهم همًّا واحداً.

قلت: كيف تحليتَ بالوحدة؟ قال: لو ذُقْتَ حلاوة الوحدة لاستوحشت إليها من نفسك!.

قلت: ما أكثر ما يجد العبد من الوحدة؟ قال: الراحة من مداراة الناس والسلامة من شرهم.

قلت: بما يستعان على قلة المطعم؟ قال: بالتحرى فى المكسب.

قلت: زدنى. قال: كُلْ حلالاً، وارقد حيث شئت.

قلت: فأين طريق الراحة؟ قال: خلاف الهوى.

قلت: ومتى يجد العبد الراحة؟ قال: إذا وضع قدمه فى الجنة.

قلت: لِمَ تخليت من الدنيا وتعلقت فى هذه الصومعة؟

قال: لأنه من مشى على الأرض عثر وخاف اللصوص، فتعلقت فيها، وتحصنت بمن فى السماء من فتنة أهل الأرض ؛ لأنهم سُرَّاق العقول، فخفت أن يسرقوا عقلى، وذلك أن القلب إذا صفا ضاقت عليه الأرض ؛ فأَحَبَّ قرب السماء، وفَكَّرَ فى قرب الأجل، فأَحَبَّ أن يرتحل إلى الله عز وجل.

قلت: يا راهب مِنْ أين تأكل؟ قال: من زرعٍ لم أبذره، بَذَرَه اللطيف الخبير الذى نَصَبَ الرحا يأتيها بالطحين -وأشار إلى ضرسه-.

قلت: كيف ترى حالك؟ قال: كيف يكون حال من أراد سفراً بلا أهبة، ويسكن قبراً بلا مؤنس، ويقف بين يدى حَكَمٍ عَدْلٍ، ثم أرسل عينيه، فبكى.

قلت: ما يبكيك؟ قال: ذكرتُ أياماً مضت من أجلى لم أُحَقِّق فيها عملى، وفكَّرت فى قلة الزاد فى عقبة هبوط إلى جنة أو إلى نار.

قلت: يا راهب، بما يستجلب الحزن؟ قال: بطون الغربة، وليس الغريب من مشى من بلدٍ إلى بلدٍ، ولكن الغريب صَالِحٌ بين فُسَّاقٍ.

ثم قال: إن سرعة الاستغفار توبة الكذابين، لو علم اللسان بما يستغفر لجف فى

الحنك، إن الدنيا منذ يوم ساكنها الموت ما قرَّت بها عين، كلما تزوجت الدنيا زوجاً طلّقه الموت.

ثم قال: عند صحيح الضمائر يغفر الله الكبائر، وإذا عزم العبد على ترك الآثام أتته من السماء الفتوح والدعاء المستجاب الذى تُحَرِّكه الأحزان.

قلت: فأكون معك يا راهب؟ قال: ما أصنع بك ومعى مُعْطِى الأرزاق وقابض الأرواح يسوق إلىّ الرزق، ولا يقدر على ذلك غيره، والسلام عليك.

* * *

الحكاية التاسعة والأربعون

حكاية عن ابن لهارون الرشيد

عن عبد الله بن الفرج العابد قال: احتجتُ إلى صانع يصنع لى شيئاً من أمر الروزجاريين[١]، فأتيت السوق، فجعلت أرمق الصناع فإذا فى أواخرهم شاب مُصْفَّر بين يديه زنبيل[٢] ومَرٌّ [٣]، وعليه جبة صوف ومئزر صوف، فقلت له: تعمل؟ قال: نعم. قلت: بكم؟ قال: بدرهم ودانق. فقلت له: قُمْ.

فقال: على شريطة. قلت: ما هى؟ قال: إذا كان وقت الظهر، وأذّن المؤذن خرجت، فتطهرت، وصليت فى المسجد جماعة، ثم رجعت، فإذا كان وقت العصر فكذلك، قلت: نعم.

فقام معى، فجئنا المنزل، فوافقته على ما ينقله من موضع إلى موضع، فشدَّ وسطه، وجعل يعمل ولا يكلمنى بشيء حتى أذن المؤذن للظهر، فقال: يا عبد الله قد أذن المؤذن. قلت: شأنك، فخرج، فصلى، فلما رجع عمل عملاً جيداً إلى العصر، فلما أذن المؤذن قال لى: قد أذن المؤذن. قلت: شأنك. فخرج، فصلى، ثم رجع، فلم يزل يعمل إلى آخر النهار، فوزنت له أجرته، وانصرف.

فلما كان بعد أيام احتجنا إلى عمل، فقالت لى زوجتى: اطلب لنا ذاك الصانع، فإنه قد نصحنا فى عملنا، فجئت السوق، فلم أره، فسألت عنه، قالوا: تسأل عن ذلك المُصْفَرِّ المشئوم الذى لا نراه إلا من سبت إلى سبت لا يجلس إلا وحده فى آخر الناس، فانصرفت، فلما كان يوم السبت أتيت السوق، فصادفته، فقلت: تعمل، فقال: قد

---

(١) عمال البناء.

(٢) مقطف.

(٣) المَرُّ: الحبل، والمسحاة.

عرفت الأجرة والشرط. قلتُ: استخر الله عز وجل. فقام، فعمل على النحو الذى كان عمل، فلما وزنت لـه الأجرة زدتـه، فـأبى أن يـأخذ الزيـادة، فـألححت عليـه، فضجر وتركنى، ومضى، فغَمَّنى ذلك، فاتبعته وداريته حتى أخذ أجرتـه فقـط، فلمـا كـان بعـد مدة احتجنا إليه فمضيت فى يوم السبت، فلم أصادفه، فسألت عنه، فقيل لى: هو عليل، وقال لى مَنْ يخبر أمره: إنما كان يجيء إلى السوق مـن سبت إلى سبت، فيعمـل بدرهـم ودانق يتقوت كل يوم بدانق، وقد مرض.

فسألت عن منزله، فأتيته وهو فى بيت عجوز، فقلت: الشاب الروزجارى؟ فقـالت: هو عليل منذ أيام، فدخلت عليه فوجدته لَمًّا[1] به، وتحت رأسـه لبنـة، فسلّمت عليـه، وقلت: لك حاجة؟ قال: نعم، إن قبلتَ. قلتُ: أقبل إن شاء الله.

قال: إذا أنا مِتُّ فبع هذا المرو، واغسل جبتى هـذه الصـوف، وهـذا المئزر، وكَفِّنـى بها، وافْتقْ جيب الجبة ؛ فإن فيه خاتماً، فخذه، ثم تنظر يوم يركب هارون الرشيد فقـف له فى موضع يراك، فكلِّمْه، وأره الخاتم، فإنه سيدعو بك، فسلِّم إليه الخاتم، ولا يكـون هذا إلا بعد دفنى. قلت: نعم. فلما مات فعلت بـه مـا أمرنـى، ثـم نظرت اليوم الـذى يركب فيه الرشيد، فجلست له على الطريق، فلما مرَّ ناديته: يا أمير المؤمنين لك عنـدى وديعة، ولوَّحت بالخاتم، فأمر، فأُخِذْتُ، وحُمِلْتُ حتى دخـل إلى داره، ثـم دعـى بـى، ونَحَّى جميع مَنْ عنده، وقال: من أنت، فقلت: عبد الله بن الفرج.

فقال: هذا الخاتم مِنْ أين لك؟ فحدثته قصة الشاب، فجعل يبكى حتى رحمتـه، فلمـا آنس إلىَّ قلت: يا أمير المؤمنين مَنْ هو منك؟

قال: ابنى. قلت: كيف صار إلى هذه الحال. قـال: وُلِدَ لى قبـل أن ابتلـى بالخلافـة، فنشأ نشوءًا حسنًا، وتعلم القرآن والعلم، فلما وليت الخلافة تركنى، ولم ينل من دنيـاى شيئاً، فدفعتُ إلى أمه هذا الخاتم، وهو ياقوت، ويساوى مالاً كثيراً، وقلتُ لها: تدفعيـن هذا إليه وتسأليه أن يكون معه ؛ فلعله أن يحتاج إليه يوماً مـن الأيـام، وكـان بَـرًّا بأمـه، فتوفيت أمه، وما عَرفْتُ له خبراً إلا ما أخبرتنى، فإذا كان الليل فاخرج معى إلى قبره.

فلما كان الليل خرج وحده يمشى معـى حتـى أتينـا قـبره، فجلس إليـه فبكـى بكـاءً شديداً، فلما طلع الفجر قمنا، فرجع، ثـم قـال: تعـاهدنى فـى الأيـام حتـى أزور قـبره، فكنت أتعاهده فى الليل، فيخرج يزوره، ثم يرجع.

قال عبد الله بن الفرج: ولم أعلم أنه ابن الرشيد حتى أخبرنى الرشيد أنه ابنه.

---

(١) أى أنه مرض مرضًا شديدًا ألم بجميع جسده.

وقال ابن أبى الطيب: قد رويت هذه الحكاية أبسط من هذه، فكتبتها فى كتاب الصفوة.

* * *

الحكاية الخمسون

من حكايات إبراهيم بن أدهم

حدثنا يحيى بن أسود الكلابى - من أهل عسقلان- قال: كان إبراهيم بن أدهم أجيراً لى فى بستان سنة أبتذله[١] فيما يُبْتَذَل فيه الأجير، فزارنى إخوان لى فى بستانى، فقلت لإبراهيم: ائتنا برمان حلو، فجاءنا برمان لم نحمده، فقلتُ: أنت فى هذا البستان منذ سنة لا تعرف موضع الجيد الحلو من الحامض.

قال: فأى موضع هو من البستان، فوصفته له، وأنكرت أمره، وإذا رجل قد أقبل على نجيب [٢] له يسأل عن إبراهيم بن أدهم، فأخبرته بمكانه عندى فنزل إليه، فرأيته قد قبَّل يديه وعظَّمه، فقال له إبراهيم: ما جاء بك؟ فقال: مات بعض مواليك فجئتك بميراثه ثلاثين ألف درهم.

فقال: ما لكم واتِّباعى؟ قال الرجل: قد تعنيت من بلخ فأقبلها منى. فقال للرجل: ابسط إزارك، وصب عليه ما معك، ففعل، فقال إبراهيم: اقسمه ثلاثة أثلاث، فقسَّمه. فقال: ثلث لك لعنائك من بلخ إلى هاهنا، وثلث اقسمة فى المساكين ببلخ، وثلث أنت يا يحيى - يعنى الذى استأجره- قسِّمْه فى مساكين أهل عسقلان.

* * *

الحكاية الحادية والخمسون

رؤيا عمر بن عبد العزيز

عن أبى حازم قال: قدمت على عمر بن عبد العزيز، وقد ولى الخلافة، فلما نظر إلىَّ عرفنى ولم أعرفه فقال: ادن منى، فدنوت منه. فقلت: أنت أمير المؤمنين؟ قال: نعم. فقلت: ألم تكن عندنا بالمدينة أميراً، فكان مركبك وطيًّا وثوبك نقيًّا ووجهك بهيًّا وطعامك شهيًّا وقصرك مشيداً وخدمك كثيراً، فما الذى غيَّرك وأنت أمير المؤمنين؟! فبكى ثم قال: يا أبا حازم، كيف لو رأيتنى بعد ثلاث فى قبرى وقد سالت حدقتاى على وجنتى، ثم جف لسانى وانشق بطنى وجرت الديدان فى بدنى لكنت أشد

---

(١) أستخدمه.

(٢) جمل.

إنكاراً!، أَعِدْ عليَّ الحديث الذى حدثتنى بالمدينة.

قلت: يا أمير المؤمنين، سمعت أبا هريرة يقول: سمعت النبى ﷺ يقول: «إن بين أيديكم عقبة كئود مُضَرَّسَة لا يجوزها إلا كل ضامرٍ مهزول» [١].

قال: فبكى بكاء طويلاً، ثم قال لى: يا أبا حازم أما ينبغى لى أن أضمر نفسى لتلك العقبة، فعسى أنجوا منها يومئذ، وما أظن بأنى مع هذا البلاء الذى ابتليت به من أمور الناس بناجٍ، ثم رقد، ثم تكلّم الناس، فقلتُ: أَقِلُوا الكلام، فما فعل به ما ترون إلا سهر الليل، ثم تَصبب عرقاً فى يوم الله أعلم كيف كان، ثم بكى حتى علا نحيبه، ثم تبسَّم، فسبقتُ الناس إلى كلامه، فقلت: يا أمير المؤمنين، رأيت منك عجباً ؛ نحيبك، ثم تبسمت؟ فقال لى: وقد رأيتَ ذاك؟ قلت: نعم، ومَنْ كان حولك من الناس رآه.

---

(١) الحديث ذكره السيوطى وصححه فى الجامع الصغير برقم: ٢٢١٩عن أبي الدرداء، أن النبي ﷺ قال: «إن أمامكم عقبة كؤود لا يجوزها المثقلون»، وعزاه إلى الحاكم في المستدرك والبيهقي في شعب الإيمان. وعقبة كئود: هى الشاقة، والمثقلون: أي من الذنوب.

وقال الإمام العجلوني فى كشف الخفاء، حديث رقم: ١٨٢١ «فاز المخفون». رواه الحاكم وصحح إسناده، وتمام في فوائده عن أم الدرداء أنها قالت قلت لأبي الدرداء ما يمنعك أن تبتغي لأضيافك ما تبتغي الرجال لأضيافهم؟ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول أمامكم عقبة كؤود لا يجوزها المثقلون، فأنا أريد أن أتخفف لتلك العقبة، ورواه ابن المظفر في فضائل العباس بزيادة «إن». ورواه الطبراني بسند صحيح عن أم الدرداء بلفظ قالت قلت له تعني أبا الدرداء ما لك لا تطلب كما يطلب فلان وفلان، فقال إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن ورائكم عقبة كؤودا،ذكره ابن الأثير في النهاية بلفظ: إن بين أيدينا عقبة كؤودا لا يجوزها إلا الرجل المخف، ورواه الطبراني أيضا عن أنس بلفظ خرج رسول الله ﷺ يوما وهو آخذ بيد أبي ذر فقال يا أبا ذر أما علمت أن بين أيدينا عقبة كؤودا لا يصعدها إلا المخفون، قال رجل يا رسول الله أمن المخفين أنا أم من المثقلين قال عندك طعام يوم، قال نعم، وطعام غد قال نعم وطعام بعد غد، قال لا، قال لو كان عندك طعام ثلاث كنت من المثقلين، وقال في المقاصد ويروى في الحلية لأبي نعيم في قصة عمر ابن الخطاب أنه مر بأويس وعرض عليه نفقة فأباها، وقال يا أمير المؤمنين إن بين يدي ويديك عقبة كؤودا لا يجوزها إلا كل ضامر مخف، وقال القاري فاز المخفون، وفي لفظ نجا المخفون، وهلك المثقلون وهو معنى حديث أبي الدرداء رفعه أمامكم عقبة إلى آخر ما تقدم، وزاد فأنا أريد أن أتخفف لتلك العقبة، قال الحاكم صحيح الإسناد. وما أحسن ما قيل:

قالوا تزوج فلا دنيا بلا امرأة ... وراقب الله واقرأ آي ياسينا
لما تزوجت طاب العيش لي وحلا ... وصرت بعد وجود الخير مسكينا
جاء البنون وجاء الهم يتبعهم ... ثم التفت فلا دنيا ولا دينا
هذا الزمان الذي قال الرسول لنا ... خفوا الرحال فقد فاز المخفونا

فقال لى: يا أبا حازم إنى لما وضعت رأسى، فرقدتُ، فرأيت كأن القيامة قد قامت، واجتمع الخَلْقُ، فقيل: إنهم عشرون ومائة صف، فملئوا الأفق أمة محمد من ذلك ثمانون صفًا مهطعين إلى الداعى، ينتظرون متى يُدْعَوْنَ إلى الحساب إذ نودي: أين عبد الله بن عثمان أبو بكر الصديق؟ فأجاب، فأخذَتْه الملائكة، فوقّفوه أمام ربه عز وجل، فحوسب، ثم نجى، وأخذَتْه ذات اليمين، ثم نودى بعمر، فقرَّبته الملائكة، فوقّفوه أمام ربه عز وجل، فحوسب، ثم نجي، وأُمِرَ به ذات اليمين إلى الجنة، ثم نودى بعثمان، فأجاب، فحوسب حساباً يسيراً، ثم أمر به إلى الجنة، ثم نودى على ابن أبى طالب، فحوسب، ثم أمر به إلى الجنة، فلما قرب الأمر منى أُسْقِطَ فى يدى، ثم جعل يؤتى بقوم لا أدرى ما حالهم، ثم نودى أين عمر بن عبد العزيز؟ فصُبِبْتُ عرقاً، ثم سئلت عن الفتيل والنقير[1] والقطمير[2] وعن كل قضية قضيت بها، ثم غفر لى، فمررت بجيفة ملقاة، فقلتُ للملائكة: مَنْ هذا؟ قالوا: هذا إن كلمته كلّمك، فوكزته برجلى، فرفع رأسه إلىَّ، وفتح عينيه، فقلت له: من أنت؟ فقال لى: من أنت؟ قلت: أنا عمر بن عبد العزيز. قال: ما فعل الله بك؟ قلت: تفضَّل علىَّ، وفعل بى ما فعل بالخلفاء الأربعة الذين غفر لهم، وأما الباقون ما أدرى ما فعل بهم. فقال لى: هنيئاً لك ما صرت إليه! قلت: من أنت؟ قال: أنا الحجاج، قدمت على الله، فوجدته شديد العقاب، فقتلنى بكل قتلةٍ قتلة، وها أنا موقوف بين يدى الله عز وجل أنتظر ما ينتظر الموحدون من ربهم عز وجل ؛ إما إلى جنةٍ، وإما إلى نار.

قال أبو حازم: فعاهدت الله بعد رؤيا عمر بن عبد العزيز أن لا أقطع على أحدٍ بالنار ممن يقول لا إله إلا الله.

* * *

الحكاية الثانية والخمسون

حكاية الحية

حدثنا إيان بن عبد الجبار قال: كنا عند سفيان بن عيينة وهو يحدثنا إذ التفتَ إلى شيخ إلى جنبه، فقال: يا أبا عبد الله، حَدِّثْنا حديث الحَيَّة؟ فقال الشيخ: حدثنى محمد بن عيينة قال: خرج حميرى بن عبد الله إلى متصيد له، فلما أقفرت به الأرض انسابت حَيَّة من بين قوائم دابته، فقامت على ذنبها، فقالت: آونى آواك الله فى ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله!

---

(١) النقير، قيل: هو النقطة التي في ظهر النواة.

(٢) القِطْمِير والقِطْمار، بكسرهما: شَقُّ النَّواةِ، أوِ القِشْرَةُ التي فيها، أوِ القِشْرَةُ الرَّقيقَةُ بين النَّواةِ والتَّمْرَةِ، أو النُّكْتَةُ البَيْضاءُ في ظَهْرِها.

فقال لها: ومما آويك؟ قالت: من عدو قد غشينى يريد أن يقطعنى إرباً إرباً!. قال لها: وأين أويك؟ قالت: فى جوفك إن أردت المعروف. قال: ومن أنت؟ قالت: من أهل لا إله إلا الله. قال لها: فها جوفى، فصيَّرها فى جوفه، فإذا هو بفتى قد أقبل ومعه صمصامة له قد وضعها على عاتقه، فقال: أيها الشيخ، الحية التى أضلت بكنفك وأناخت بفنائك؟ قال: ما رأيتُ شيئاً. قال: عظمت كلمه خرجت من فيك؟ قال: ما جاء منك أعظم، ترانى أقول ما رأيت شيئاً، وتقول لى مثل هذا! فولّى الفتى مدبراً، فلما توارى قالت الحية: يا عبد الله.

انظر هل يراه بصرك؟ قال: ما أرى شيئاً. قالت: اختر إحدى منزلتين: إما أن أنكت قلبك نكتة أجعله رميماً أو أرث كبدك رثاً، فأخرجه من أسفلك قطعاً. قال لها: والله ما كافئتينى يرحمك الله! قالت له: ما اصطناعك للمعروف إلى من لا تعرف؟ لولا جهلك وقد عرفتَ منى العداوة التى كانت بينى وبين أبيك قبل، وقد علمت أنه ليس عندى مال أعطيكه ولا دابة أحملك عليها. قال: أردت المعروف -والتفت فإذا بفى جبل- قال: فإن كان لا بد ففى هذا الجبل، ثم نزل يمشى فإذا هو فى الجبل بفتىً قاعد كأن وجهه القمر ليلة البدر، فقال له الفتى: يا شيخ ما لى أراك مستبسلاً للموت آيباً من الحياة؟!

فقال: من عدوٍ فى جوفى آويته من عدوه، وقص عليه القصة.

فقال له الفتى: أتاك الغوث، ثم ضرب بيده إلى ردائه، فأخرج منه شيئاً، فأطعمه إياه، فاختلجت وجنتاه، ثم أطعمه ثانية، فوجد تمخضاً فى بطنه، ثم أطعمه الثالثة فرمى بالحية من أسفله قطعاً، فقال له: أخبرنى من أنت يرحمك الله؟! فما أحد أعظم علىَّ مِنّة منك؟ قال له: أما تعرفنى؟ أنا المعروف، إنه اضطربت ملائكة سماء سماء من خذلان الحية إياك، فأوحى الله إلىّ أن يا معروف أغث عبدى، وقل له: أردت شيئاً لوجهى فآتيتك ثواب الصالحين، وأعقبتك عقبى المحسنين، ونجيتك من عدوك[1]!.

* * *

الحكاية الثالثة والخمسون
بين حاتم الأصم وشقيق البلخى

عن عبد الله بن سهل قال: سمعت حاتماً الأصم يقول: اختلفتُ إلى شقيق ثلاثين سنة، فقال لى يوماً: أى شيء تعلمتَ؟

(١) هذه القصة على سبيل التمثيل للعمل السيء والمعاصى بتلك الحية التى أرادت إهلاك من آواها، بينما كانت النجاة فى المعروف والعمل الصالح.

فقلت: رأيت رزقى من عند ربى، فلم أشتغل إلا بربِّى، ورأيت الله وَكَّلَ بى مَلَكَيْن يكتبان علىَّ كلَّ ما تكلمتُ بـه ؛ فلـم أنطـق إلا بـالحَق، ورأيـتُ أن الخَلْـقَ ينظـرون إلى ظاهرى، والرب تعـالى إلى بـاطنى، فرأيـت مراقبتـه أولى، فسَقَطَتْ عنـى رؤيـة الخَلْـق، ورأيت أن لله مستحثاً يدعو الخلق إليه -يعنى مَلَكَ الموت- فاستعددت له متـى جـاء لا أحتاج أن يقيلنى.

فقال لى: يا حاتم، ما خاب سعيك!.

قال: وقال حاتم: سمعت شقيق البلخى يقول: وافقنى الناس فى أربعـة أشياء قـولاً، وخالفونى فيها فعلاً. قالوا: إنا عبيد لرب واحد، وهم يعملون عمل الأحرار، وقالوا: إن الله لأرزاقنا كفيل، ولا تطمئن قلوبهم إلا بالشيء، وقالوا: إن الآخـرة خـير مـن الأولى، وهم يجمعون المال للدنيا، وقالوا: لا بد من الموت، وهـم يعملون أعمال قوم لا يموتون.

* * *

الحكاية الرابعة والخمسون

موعظة من الشّعر

عن الربيع عن الحسن أن قوماً أتوا عمر بن الخطاب، فقالوا: يا أمير المؤمنـين، إن لنـا إماماً شاباً إذا صلى لا يقوم من المحراب حتى يتغنى بقصيدةٍ؟! فقال عمـر: فـامضوا بنـا إليه، فقاموا حتى أتوه، فقرعوا عليه الباب، فخرج الشاب، فقـال: يـا أمير المؤمنـين مـا الذى جاء بك؟ قال: بلغنى أمر ساءنى. قال: فإنى أعتبك!.

قال: يا أمير المؤمنين ما الذى بلغك؟ قال: بلغنى إنك تتغنى! قال: إنها موعظـة أعـظ بها نفسى! قال عمر: قُلْ.

قال: فإنى أخاف الشنعة أن أقول بين يديك؟ فقال عمر: بلى، إن كان كلاماً حسـناً قلتُ معك، وإن يكن قبيحاً نهيتك عنه، فأطرق الفتى، ثم أنشأ يقول:

وفـــؤادٍ كلمـــا عاتبتـــه ... عـاد فـى اللـذات ينعـى تعبـى
لا أراه الدهـــر إلا لاهيـــاً ... فـى تماديـه فقـد بـرَّح بـى
يـا قريـن السـوء كـم هـذا ... الصبى فى العمر كذا بـاللعب
وشـباب بـان منـى فمضـى ... قبـل أن أقضـى منـه أربـى
مـا أُرَجِّـي بعـده إلا الفنـا ... ضيَّـق الشـيب علـىَّ مطلبـى
ويـح نفسـى مـا أرهـا أبـداً ... فـى جميـل لا ولا فـى أدبـى
نفس لا كنت ولا كان الهـوى ... راقبـى المولى وخافـى وارهبـى

قال: فبكى عمر، وقال: هكذا فليغن كل من غنى، وقال عمر وأنا أقول:

نفس لا كنت ولا كان الهـــوى   راقبـــي المولى وخافـــي وارهبـى

* * *

الحكاية الخامسة والخمسون

من حكايات أبي عامر الواعظ

حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن العلاء قال: حدثنى أبى قال: سمعت أبا عـامر الواعـظ يقول: بينا أنا جالس فى مسجد رسول الله ﷺ جاءنى غلام أسود برقعـة فقرأتهـا، فـإذا فيها مكتوب:

بسم الله الرحمن الرحيم: متعك الله بمسامرة الفكرة، ونعَّمك بمؤانسة العَبْرَة، وأفردك بحب الخلوة، يا أبا عامر، أنا رجل من إخوانك، بلغنى قدومك المدينة ؛ فسررت بذلك، وأحببت زيارتك، وبى من الشوق إلى مجالستك والاستماع لمحادثتك ما لو كـان فوقـى لأظلنى، ولو كان تحتى لأقلنى، فسألتك بالذى حباك بالبلاغة لما أتحفتنى جنـاح التوصـل بزيارتك، والسلام.

قال أبو عامر: فقمت مع الرسول حتى أتى بى إلى فناء، فأدخلنى منزلاً رحبـاً خَربـاً، فقال لى: قف ها هنا حتى أستأذن لك، فوقفت، فخرج إلىَّ، فقال لى: لُـجْ[1]، فدخلت فإذا بيت مفرد فى الخَرِبَةِ له باب من جريد النخل، وإذا بكهلٍ قاعد مستقبل القبلة بحالـةٍ من الوَلَهِ مكروباً ومن الخشية محزوناً، قد ظهرت فى وجهه أحزانه، وذهبت مـن البكـاء عيناه، ومرضت أجفانه، فسلَّمت عليه، فردَّ علىَّ السلام، ثم تحلل، فإذا هو أعمى أعـرج مسقام، فقال لى: يا أبا عامر، غسَّل الله مِنْ ران الذنوب قلبك! لم يزل قلبى إليك توَّاقـا وإلى استماع الموعظة منك مشتاقاً، وبى جرح نغل[2] قد أعيا الواعظـين دواؤه، وأعجـز المتطببين شفاؤه، وقد بلغنى نفع مراهمك للجراح، والألم، فلا تألو رحمك الله فى إيقاع الترياق[3] وإن كان مُرَّ المذاق، فإنى ممن يصبر على ألم الدواء رجاء للشفاء.

قال أبو عامر: فنظرت إلى منظر بهرنى، وسمعت كلاماً قطعنى، فأفكرت طويلاً، ثم تأتى من كلامى ما تأتّى، وسهل من صعوبته ما منه دقَّ لى، فقلت: يا شـيخ، ارم ببصـر قلبك فى ملكوت السماء، وأجِـلْ سـمع معرفتـك فـى سُكّان الأرجـاء، وتنقّـل بحقيقـة إيمانك إلى جنة المأوى ؛ فترى فيها ما أعد الله للأوليـاء، ثـم تشـرَّف علـى نـارٍ تلظـى ؛

---

(١) ادخل.

(٢) نغل الجرح: فسد.

(٣) الدواء.

فترى ما أعد الله فيها للأشقياء، فشتان ما بين الدارين، أليس الفريقان فى الموت سواء؟

فقال أبو عامر: فأنَّ أنّة، وصاح صيحة، وزفر والتوى، وقال: يا أبا عامر، وقع والله دواؤك على دائى، وأرجو أن يكون عندك شفائى، زدنى رحمك الله!

فقلت له: يا شيخ، الله عالم بسريرتك، مُطَّلِع على حقيقتك، مشاهدك فى خلوتك، بعينه كنت عند استتارك من خلقه ومبارزته، فصاح صيحة كصيحته الأولى، ثم قال: مَنْ لفقرى؟! مَنْ لفاقتى؟! مَنْ لذنبى؟! مَنْ لخطيئتى؟! أنت لى يا مولاى، وإليك منقلبى، ثم خرَّ ميتاً رحمه الله.

قال أبو عامر: فأُسْقِطَ فى يدى، وقلت: ماذا جنيتُ على نفسى، فخرجَتْ إلىَّ جارية عليها مَدْرَعَةٌ من صوف وخمار من صوف، قد ذهب السجود بجبهتها وأنفها، واصْفَرَّ لطول القيام لونها، وتورَّمَتْ قدمها، فقالت: أحسنتَ والله يا حادى قلوب العارفين ومثير أشجان عليل المحزونين، لا نَسِيَ لك هذا المقام رب العالمين، يا أبا عامر، هذا الشيخ والدى، مبتلى بالسقم منذ عشر سنين، صلّى حتى أُقْعِدَ، وبكى حتى عَمِيَ، وكان يتمناك على الله، ويقول: حضرت مجلس أبى عامر البيانى، فأحيا موات قلبى، وطرد وسن نومى، وإن سمعته ثانية قتلنى، فجزاك الله من واعظٍ خيراً، ومتّعك فى حكمتك بما أعطاك.

ثم أكبَّت على أبيها تُقَبِّل عينيه، وهى تبكى وتقول: يا أبى! يا أبتاه! يا من أعماه البكاء على ذنبه، يا أبتى! يا أبتاه! يا من قتله ذكر وعيد ربه، ثم علا البكاء والنحيب والاستغفار والدعاء، وجعلت تقول: يا أبتى! يا أبتاه! يا حليف الحرقة والبكاء، يا أبتى! يا أبتاه! يا جليس الابتهال والدعاء، يا أبتى! يا أبتاه! يا صريخ المُذَكِّرين والخطباء، يا أبتى! يا أبتاه! يا قتيل الوُعَّاظ والحكماء.

قال أبو عامر: فأجبتها: أيتها الباكية الحيرى والنادبة الثكلى، إن أباك نحبه قد قضى، ووَرَدَ دار الجزاء، وعاين كل ما عمل، وعليه يحصى، فى كتابٍ عند ربى لا ينسى، فمُحْسِنٌ فله الزلفى، أو مُسِيء فوارد دار مَنْ أسى.

فصاحت الجارية كصيحة أبيها، وجعلت ترشح عرقاً، وخرجت مبادراً إلى مسجد رسول الله ﷺ المصطفى، وفرغت إلى الصلاة والدعاء والاستغفار والتضرع والبكاء، حتى كان عند العصر، فجاءنى الغلام الأسود ينادى بجنازتهما، وقال: احضر الصلاة عليهما، فحضرت الصلاة عليهما ودفنهما، فسألت عنهما، فقيل لى: من ولد الحسن بن على بن أبى طالب عليه السلام.

قال أبو عامر: فما زلت جزعاً مما جنيت، حتى رأيتهما فى المنام، عليهما حلتان خضراوتان، فقلت: مرحباً بكما وأهلاً! فما زِلْتُ حَذِراً مما وعظتكما به، فما صنع الله بكما؟ فقال الشيخ: أنت شريكى فى الذى نلته مستأهلاً ذك أبا عامر:

وكل من أيقظ ذا غفلةٍ فنصف ما يعطاه للآمر
من رد عبداً آبقاً مذنباً كان كمن قد راقب القاهر
واجتمعا فى دار عدنٍ وفى جوار ربٍّ سيد عامر

* * *

الحكاية السادسة والخمسون

حكاية الصوفى وصاحب القصر

حدثنا محمد بن داود الدينورى قال: سمعت أبا إسحاق الهروى يقول: كنت مع ابن الخيوطى بالبصرة، فأخذ بيدى، وقال: قم بنا حتى نخرج إلى الأُبُلَّة! فلما قربنا من الأبلة ونحن نمشى على ساكنى الأبلة فى الليل، والقمر طالع مررنا بقصر لجندى فيه جارية تضرب بالعود، وفى جانب القصر فى ظل القمر فقير بخرقتين، فسمع الفقير الجارية وهى تقول:

كل يوم تتلون غير هذا بك أجمل

فصاح الفقير، وقال: أعيديه، فهذا حالى مع الله تعالى، فنظر صاحب الجارية إلى الفقير، فقال لها: اتركى العود، وأقبلى عليه، فإنه صوفى، فأَخَذَتْ تقول: والفقير يقول: هذا حالى مع الله، والجارية تردد إلى أن صاح الفقير صيحة، وخَرَّ مغشيًّا عليه، فحركناه، فإذا هو ميت، فقلنا: مات الفقير، فلما سمع صاحب القصر بموته نزل، وأدخله إلى القصر، فاغتممنا، وقلنا: هذا يكفيه من غير وجه، فصعد الجندى، وكسَّر كل ما كان بين يديه، فقلنا: ما بعد هذا الأخير، ومضينا إلى الأبلة فبتنا، وأعلمنا الناس، فلما أصبحنا رجعنا إلى القصر، وإذا الناس مقبلون من كل وجهٍ إلى الجنازة، كأنما نودى فى البصرة، حتى خرج القضاة والعدول وغيرهم، وإذا الجندى يمشى خلف الجنازة حافياً حاسراً حتى دُفِنَ، فلما هم الناس بالانصراف قال الجندى للقاضى والشهود: اشهدوا أن كل جارية لى حُرَّة لوجه الله تعالى، وكل ضياعى وعقارى حُبِسَ فى سبيل الله، ولى فى صندوق أربعة آلاف دينار، وهى فى سبيل الله، ثم نزع الثوب الذى كان عليه، فرمى به، وبقى بسراويله، فقال القاضى: عندى متزران من وجههما تَقَبَّلْهُما! فقال: شأنك! فأخذهما فاتَّزَرَ بواحد، واتشح بالآخر، وهام على وجهه، فكان بكاء الناس عليه أكثر منه على الميت.

* * *

الحكاية السابعة والخمسون

موعظة سالم بن عبد الله لعمر بن عبد العزيز

حدثنا معمر بن سليمان الرقى عن قراب بن سليمان أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى سالم بن عبد الله: سلام عليك، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، أما بعد، فإن الله عز وجل ابتلانى بما ابتلانى به من أمر هذه الأمة من غير مشورة منى فيها ولا طلب منى لها، إلا قَدَر من الرحمن قَدَّره علىَّ، فأسأل الله الذى ابتلانى بما ابتلانى به أن يعيننى على ما ولاّنى من أمر عباده وبلاده، وأن يرزقنى فيهم العمل بطاعته، وأن يرزقهم منى الرأفة والرحمة، وأن يرزقنى منه السمع والطاعة وحسن المؤازرة، فإذا جاءك كتابى هذا فابعث إلىَّ بكُتُب عمر وسيرته وقضائه فى أهل القبلة وأهل الذمة ؛ فإنى سائر بسيرته ومُتَّبِع أَثَرَه إنْ الله أعاننى على ذلك إن شاء الله، والسلام.

قال: فكتب إليه سالم بن عبد الله: من سالم بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز، سلام عليك، فإنى أحمد الله إليك الذى لا إله إلا هو، أما بعد، فإن الله عز وجل لا يَقْدِر أحد قَدْرَه، سبحانه وتعالى عما يشركون، خلق الدنيا لِمَا أراد، فجعل لهما مدة قصيرة كان ما بين أولها وآخرها ساعة من نهار، ثم قضى عليها وعلى أهلها، الفناء، فقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[1]. ولا يَقْدِر أهلها منها على شيء حين تفارقهم ويفارقونها، أنزل بذلك كتاباً، وبعث به نبياً، وقدَّم فى ذلك بالوعد والوعيد، ووصل فيه القول، وضرب فيه الأمثال، وشرع دينه فيه، فأحلَّ فيه الحلال، وحرَّم فيه الحرام، وقَصَّ فأحسن القصص، ثم إنك يا عمر بن عبد العزيز ليس تعدو أن تكون رجلاً من بنى آدم، يكفيك من الطعام والشراب ما يكفى رجلاً منهم، وقد وُلِّيتَ اليوم أمراً عظيماً، ليس يَلِيَه غيرك دون الله، فإن استطعت أن تقفى مَنْ كان قبلك، ولا تخسر نفسك وأهلك يوم القيامة فافعل، ولا قوة إلا بالله، فإنه كان فيما مضى قبلك رجال عملوا ما عملوا وأماتوا ما أماتوا وأحيوا ما أحيوا حتى ولد فى ذلك رجال ونشئوا وفطنوا أنها السُّنة، فلم يسدوا على العباد باب رخاء إلا فتح الله عليهم باب بلاء، فإن استطعت أن تفتح عليهم أبواب الرخاء فافعل، فإنك إن تفتح منها باباً إلا سد الله عنك باب بلاء، ولا منعك من نزع عامل أن يقول لا أجد من يكفينى عمله، فإنك إن كنت تعمل لله وتنزع لله أباح الله لك أعواناً، وأتى بهم، وإنما قَدْر العَوْن بقَدْر النية، فمن تمت نيته تم عون الله إياه، ومن قصر فى النية قصر فى العون بقدر ذلك، وإن استطعت أن تجيء يوم القيامة لا يتبعك أحد بمظلمة ويجيء من كان

---

(١) سورة القصص، الآية رقم: ٨٨.

قبلك وهم غابطون لك بقلة أتباعهم فافعل، ولا قوة إلا بالله، فإنهم قد عالجوا نوع الموت، وعاينوا هول المطلع، وانفقأت أعينهم التى كانت لا تنقضى لذتها، وانشقت بطونهم التى كانت لا يشبعون فيها، واندقت رقابهم غير موسدين بعد تظاهر الفُرُش والمرافق والسُّرُر والخدم، وصاروا جيفاً فى بطون الأرض تحت آكامها، لو كانوا إلى جنب مساكين تأذوا من ريحهم بعد إنفاق ما لا يحصى من الطيب، وكان ذلك إسرافاً فإنا لله وإنا إليه راجعون، ما أعظم ما ابْتُلِيتَ به يا عمر! واقطع الذى سبق إليك من أمر هذه الأمة، فمن بعثت من عمالك فازجره زجراً شديداً شَبِهاً بالعقوبة عن أخذ الأموال وسفك الدماء إلا بحقها، المالَ المالَ يا عمر، الدمَ الدمَ يا عمر، فإنك لا عُدَّة لك من هول جهنم من عامل بلغك ظُلْمَه ولم يُغيِّر، فاللهَ اللهَ يا عمر، واعلم أنك إن اجترأت على ذلك أوشكت أن يُؤتى بك صغيراً ذليلاً، وإن أنت اجتنبت ذلك وجدت راحته فى سمعك وقلبك.

كتبتَ إلىَّ تسألنى أن أبعث إليك بكتب عمر وسيرته وفضائله، وإن عمر عمل فى غير زمانك وبغير رجالك، ووُلِّيتَ فى زمن مَنْ يعلم بعد ما عمل ما عمل، فظهر ما يعلم، وأنا أرجو إن تَحَمَّلْتَ على النحو الذى عمل به عمر بعد الذى رأيتَ، ويكون من الظلم أن تكون أفضل عند الله منزلة من عمر، وقُلْ كما قال العبد الصالح: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[١].

* * *

الحكاية الثامنة والخمسون

زهد بشر بن الحارث

حدثنا أبو القاسم الأنبارى قال: حدثنى بعض أصحابنا قال: غدوت على بشر بن الحارث يوماً، فجئت إلى الباب لأطرقه، فسمعتُ همهمة فى الدهليز، فأصغيت فإذا بشر فى الدهليز وبين يديه بطيخة وهو يعاتب نفسه، ويقول: ويحك! أكلتيها فكان أى شيء؟! وجعل يكرر هذا - أو نحوه -، فطال ذلك علىَّ وكثر، فلما تعالى النهار دققت الباب، فقال: مَنْ هذا؟ قلت: أنا فلان. فقال: ادخل.

فلما دخلت وقعدت قلت: يا أبا نصر، ما يحل لك ما تصنع بنفسك! أى شيء هذه حتى تعاتب نفسك هذا العتاب الطويل، وقد فسح الله فيها ورخص؟! وأى شيء هذه مما يُنْكَرُ بِأَكْلِهَا؟! فقال لى: صبرت على الأيام حتى تولّت، وألزمت نفسى الصبر حتى استمرت:

---

(١) سورة هود، الآية رقم: ٨٨.

وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى فـإن طمعت تاقت وإلا تسلـتِ

قال: ورمى بالبطيخة، وقال: خذها، ثم أنشأ يقول:

وإنَّ كَـدِّى لشـبع بطنـى ببيـع دينـى مـن المحالـة
مـن نـال دنيـا بغيـر ديـن نـال وبـالاً علـى وبالـه

* * *

الحكاية التاسعة والخمسون

حكاية رفيقين فى رحلة الحج

حدثنا محمد بن الحسين قال: حدثنى مخول قال: جاءنى بهيـم يومـاً، فقـال: تعلـم لى رجل مِنْ جيرانك وإخوانك يريد الحج برضاه يرافقنى؟ قلت: نعم، فذهبت به إلى رجـل من الحى له صلاح ودين، فجمعت بينهما، وتواطئـا علـى المرافقـة، ثـم انطلـق بهيـم إلى أهله، فلما كان بَعْدُ أتانى الرجل فقال: يا هذا أحب أن تزوى عنـى صـاحبك، وتطلـب رفيقاً غيرى!.

فقلت: ويحك! ولِمَ؟ فوالله ما أعلم بالكوفة له نظيراً فـى حسـن الخُلُق والاحتمـال، ولقد ركبت معه البحر فلم أر إلاخيراً.قال: ويحـك! حُدِّثْـتُ أنـه طويـل البكـاء لا يكـاد يفتر، فهذا ينغص علينا العيش سفرنا كله.

قلت: ويحك! إنما يكون البكاء أحيانا عند التذكرة يرق القلب، فيبكى الرجل، أو مـا تبكى أنت أحياناً؟ قال: بلى، ولكنه قد بلغنى عنه أمر عظيم من كثرة بكائه!

قلت: اصحبه، فلعلك أن تنتفع به. فقال: أستخير الله، فلما كان اليوم الذى أرادا أن يخرجا فيه جيء بالإبل ووطئ لهما، فجلس بهيم فى ظل حائط، فوضع يده تحت لحيتـه، وجعلت دموعه تسيل على خديه ثم على لحيته ثم على صدره، حتى والله رأيت دموعـه على الأرض.

فقال صاحبى: يا مخول قد ابتدأ صاحبك! ليس هـذا لى برفيـق. فقلـت: ارْفُـقْ، لعلـه ذكر عياله ومفارقته إياهم، فرقَّ، وسمعها بهيم، فقال: يا أخى والله مـا هـو ذاك، ومـا هو إلا أنى ذكرت بها الرحلة إلى الآخرة. قال: وعلا صوته بالنحيب، فقال لى صاحبى: والله ما هى بأول عداوتك لى وبغضك إياى! وأنا مـا لى ولبهيـم؟! إنمـا كـان ينبغـى أن يرافق بين بهيم وبين داود الطائى وسلام أبي الأحوص، حتى يبكى بعضهـم إلى بعـض ؛ فُيشْفَوْنَ أو يموتون جميعاً!.

قال: فلم أزل أرفق به، وقلت: ويحك! لعلها خير سفرة سافرتها. قال: وكـان كثير

الحج رجلاً صالحاً إلا أنه كان تاجراً موسراً مقبلاً على شأنه، ولم يكن صاحب حزنٍ ولا بكاء. فقال لى: قد وقعتُ مَرَّتِى هذه! ولعلها أن تكون خيرة!

قال: وكُلُّ هذا الكلام لا يعلم به بهيم، ولو علم بشيء منه ما صَاحَبَه، فخرجا جميعاً حتى حجًّا ورجعا، ما يرى كل واحد منهما أن له أخاً غير صاحبه، فلما جئت أُسَلِّم على جارى قال لى: جزاك الله يا أخى عنى خيراً، ما ظننت أن فى هذا الخَلْق مثل أبى بكرٍ، كان والله يتفضل علىَّ فى النفقة وهو مُعْدَم وأنا موسر، وفى الخدمة وأنا شاب قوىّ وهو شيخ ضعيف، ويطبخ لى وأنا مُفْطِر وهو صائم!.

فقلت: فكيف كان أمرك معه فى الذى كنت تكرهه من طول بكائه؟ قال: ألفت والله ذلك البكاء وسَرَّ قلبى حتى كنت أساعده عليه، حتى تأذى بنا الرفقة، ثم والله ألفوا ذلك، فجعلوا إذا سمعونا نبكى يبكون، وجعل بعضهم يقول لبعض: ما الذى جعلهم أولى بالبكاء منا والمصير واحد؟! فيبكون ونبكى.

قال: ثم خرجت من عنده، فأتيت بهيماً، فسلَّمْتُ عليه، وقلت: كيف رأيت صاحبك؟ فقال: كخير صاحب، كثير الذكر لله، طويل التلاوة للقرآن، سريع الدمعة، محتمل لهفوات الرفيق، جزاك الله عنى خيراً.

* * *

الحكاية الستون

بكاء يزيد بن مرثد

عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال: قلت ليزيد بن مرثد: ما لى لا أرى عينيك تجفان من الدموع؟! فقال: وما سؤالك عن هذا؟ قلت: عسى أن ينفعنى الله به. فقال: هو ما ترى. قلت: فهذا يكون فى خلواتك؟ قال: والله إن ذلك ليعروننى[1] وقد قُرِّبَ إلىَّ طعامى ؛ فيحول بينى وبين أكله، وإن ذلك ليعروننى وقد دنوت من أهلى ؛ فيحول بينى وبين ما أريد حتى يبكى أهلى لبكائى، ويبكى صبياننا، وما يدرون ما يبكينا؟! وحتى تقول زوجتى: يا ويحها ماذا خُصَّتْ به من نساء المسلمين من الحزن معك؟! ما ينفعنى معك عيش ولا تقر عينى بما تقر به عين النساء مع الرجال أزواجهن!.

قلت: يا أخى ما الذى أحزنك؟ قال: والله يا أخى لو أن الله تعالى لم يتواعدنى إن أنا عصيته إلا أن يحبسنى فى حمامٍ لكنت حَرِيًّا أن لا تجف لى دمعة؟! فكيف وقد تواعدنى إن أنا عصيته أن يسجننى فى جهنم.

* * *

---

(١) عراه الأمرُ، واعتراه: ألَمَّ به وأصابه.

الحكاية الحادية والستون

من حكايات الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز

حدثنا سهل بن يحيى المروزى قال: أخبرنى أبى عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال: لما دَفَنَ عمرُ بن عبد العزيز سليمانَ بن عبد الملك، وخرج من قبره سمع للأرض رجةً، فقال: ما هذه؟ فقيل: هذه مراكب الخلافة قربت إليك لتركبها، فقال: ما لى ولها؟! نَحُّوها عنى! قَرِّبوا إلىَّ بغلتى، فقُرِّبَتْ إليه بغلته، فركبها، فجاء صاحب الشُّرَط يسير بين يديه بالحربة، فقال: تَنَحَّ عنى! مالك ولى؟! إنما أنا رجل من المسلمين.

فسار وسار معه الناس حتى دخل المسجد، فصعد المنبر، واجتمع الناس إليه فقال: أيها الناس، إنى قد ابْتُليت بهذا الأمر من غير رأى كان منى فيه ولا طلبةٍ له ولا مشورة من المسلمين، وإنى قد خلعتُ ما فى أعناقكم من بيعتى ؛ فاختاروا لأنفسكم، فصاح الناس صيحة واحدة: قد اخترناك يا أمير المؤمنين، ورضيناك، فَلِىْ أمورنا باليمن والبركة.

فلما رأى الأصوات قد هدأت، ورضى الناس به جميعاً، حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى ﷺ وقال: أوصيكم بتقوى الله ؛ فإن تقوى الله خُلْف عن كل شيء، [وليس من تقوى الله عز وجل خلف، واعملوا لآخرتكم ؛ فإنه من عمل لأمر لآخرته كفاه الله عز وجل أمر دنياه، وأصلحوا سرائركم يصلح الله لكم علانيتكم، وأكثروا ذكر الموت وأحسنوا الاستعداد قبل أن ينزل بكم، فإنه هادم اللذات، وإن من لا يذكر من آبائه- فيما بينه وبين آدم عليه السلام — أبًا حيًّا لمعرق له فى الموت.

وإن هذه الأمة لم تختلف فى ربها عز وجل ولا فى نبيها ﷺ ولا فى كتابها، وإنما اختلفوا فى الدينار والدرهم، وإنى والله لا أعطى أحدًا باطلاً، ولا أمنع أحدًا حقًّا.

ثم رفع صوته حتى أسمع الناس فقال: يا أيها الناس، من أطاع الله وجبت طاعته، ومن عصى الله فلا طاعة له، أطيعونى ما أطعت الله، فإن عصيت الله فلا طاعة لى فيكم.

ثم نزل، فدخل، فأمر بالستور فهُتِكَتْ، والثياب التى كانت تبسط للخلفاء فحُمِلَتْ، وأمر ببيعها وإدخال ثمنها فى بيت مال المسلمين، ثم ذهب يتبوأ مقيلاً فأتاه ابنه عبد الملك، فقال له: يا أمير المؤمنين، ماذا تريد أن تصنع؟ فقال: يا بنى، أَقِيل. فقال: تقيل ولا ترد المظالم!. فقال: أي بنى! إنى قد سهرت البارحة فى أمر عمك سليمان، فإذا صليتُ الظهر رددت المظالم.

قال: يا أمير المؤمنين، مَنْ لك أن تعيش إلى الظهر؟ قال: ادن منى يا بنى، فدنا منه، فالتزمه وقبَّل بين عينيه ، وقال: الحمد لله الذى أخرج من صلبى من يعيننى على دينى، فخرج ولم يقل، وأمر مناديه ينادى: ألا من كانت له مظلمة فليرفعها.

فقام إليه رجل ذمى من أهل حمص أبيض، فقال: يا أمير المؤمنين، أسألك كتاب الله، قال: وما ذاك؟ قال: العباس بن الوليد اغتصبنى ارضى، والعباس حاضر، فقال له: يا عباس، ما تقول؟ قال: أقطعنيها أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك، وكتب بها سجلاً. فقال عمر: ما تقول يا ذمى؟ قال: يا أمير المؤمنين، أسألك كتاب الله عز وجل.

فقال عمر:[كتاب الله][(1)] أحق أن يتبع من كتاب الوليد بن عبد الملك، قُمْ فاردد عليه يا عباس ضيعته، فردها عليه.

وجعل لا يدع شيئاً مما كان فى يده بيد أهل بيته من المظالم إلا ردها مظلمة مظلمة، فبلغ ذلك عمر بن الوليد بن عبد الملك، فكتب إليه: إنك قد أزريت على مَنْ كان قبلك من الخلفاء، وعبت عليهم، وسرت بغير سيرتهم بُغْضاً لهم وشيناً لمن بعدهم مِنْ أولاهم، قطعتَ ما أمر الله به أن يُوصل إذ عمدت إلى أموال قريش ومواريثهم، فأدخلتها بيت المال جوراً وعدواناً، فاتق الله يا بن عبد العزيز، وراقبه، واعلم أنك بعين جبار، ولن تزل على هذا.

فلما قرأ عمر بن عبد العزيز كتابه كتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمر بن الوليد، السلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، أما بعد فقد بلغنى كتابك، وسأجيبك بنحو منه، أما أَوَّلُ شأنك ابنَ الوليد كما زُعِمَ فأُمُّك بَنّانة أَمَةَ السكون، كانت تطوف فى سوق حمص، وتدخل حوانيتها، ثم الله أعلم بها، اشتراها ذبيان بن ديان من فَيْءِ المسلمين، فأهداها لأبيك، فحملت بك، فبئس المحمول! وبئس المولود! ثم نَشَأْتَ فكنتَ جباراً عنيداً، تزعم أنى من الظالمين، لِمَا حرمتك وأهل بيتك فى الله عز وجل الذى فيه حق القرابة والمساكين والأرامل، وإن أظلم منى وأَتْرَكَ لحق الله مَن استعملك صبياً سفيها على حد المسلمين، تحكم فيهم برأيك، ولم يكن له فى ذلك نية إلا حب الوالد لولده، فويل لك! وويل لأبيك! ما أكثر خصمائكما يوم القيامة! وإن أظلم منى وأترك لعهد الله من استعمل الحجاج بن يوسف يسفك الدماء الحرام، ويأخذ المال الحرام، وإن أظلم منى وأترك لعهد الله من استعمل قرة بن شريك أعرابياً جافياً على مصر، أَذِنَ له فى المعازف واللهو والشرب! فرويداً يابن

---

(١) ما بين المعكوفتين ممطموس وغير واضح في المخطوط، وقد أخذناه من كتاب ابن الجوزى: سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد.

بنانة! فلو التقتا حلقتا البطان[١]، وردَّ الفيء إلى أهله لتفرغتُ لك ولأهل بيتك، فوضعتهم على المحجة البيضاء، فطالما تركتم الحق، وأخذتم في بُنيَّات الطُّرُق[٢]، وما وراء هذا ما أرجو أن أكون رأيته بيع رقبتك، وقَسْمُ ثمنك بين اليتامى والمساكين والأرامل، فإنَّ لكُلٍّ فيك حقاً، والسلام علينا، ولا سلام الله على الظالمين.

ولما بلغت الخوارج سيرة عمر، وما رَدَّ من المظالم، اجتمعوا، وقالوا: ما ينبغي لنا أن نقاتل هذا الرجل.

* * *

الحكاية الثانية والستون

حكاية لإبراهيم بن أدهم مع شيخ صالح

حدثنا عبد الله بن الفرج قال: حدثني إبراهيم بن أدهم بابتدائه كيف كان؟ قال: كنت يوماً في مجلس لي، له منظرة إلى الطريق، فإذا أنا بشيخ عليه أطمار[٣]، وكان يوماً حاراً، فجلس في فَيْء[٤] القصر ليستريح، فقلت للخادم: اخرج إلى هذا الشيخ فأقرئه مني السلام، وسَلْه أن يدخل إلينا، فقد أخذ بمجامع قلبي، فخرج إليه، فقام معه، فدخل إليَّ، وسَلَّمَ، فرددت عليه السلام، واستبشرت بدخوله، وأجلسته إلى جنبي، وعرضت عليه الطعام، فأبى أن يأكل، فقلت له: مِنْ أين أقبلت؟ فقال: من وراء النهر. فقلت: أين تريد؟ قال: الحج إن شاء الله.

قال: وكان ذلك أول يوم من العشر - أو الثاني -، فقلت: في هذا الوقت؟! فقال: يفعل الله ما يشاء. فقلت: في الصحبة. فقال: إن أحببتَ ذلك.

حتى إذا كان الليل قال لي: قُمْ، فلبست ما يصلح للسفر، وأخذ بيدي، وخرجنا من بَلْخ، فمررنا بقرية لنا، فلقيني رجل من الفلاحين، فأوصيته ببعض ما أحتاج إليه، فقدَّم إلينا خبزاً وبيضاً، وسألنا أن نأكل، فأكلنا وجاءنا بماء، فشربنا، ثم قال: بسم الله، قُمْ، فأخذ بيدي، فجعلنا نسير، وأنا أنظر إلى الأرض تُجْذَب من تحتنا كأنها الموج، فمررنا

---

(١) جاء في مجمع الأمثال للميداني: التَقَتْ حَلْقَتَا البطَان يقولون: البطَان للقَتب الحِزَام الذي يُجْعَل تحت بطن البعير، وفيه حلقتان، فإذا التَقَتَا فقد بلغَ الشَّدُّ غايتَه. يضرب في الحادثة إذا بلغت النهايةَ.

(٢) بُنَيَّاتُ الطريق: هي الطُّرُق الصغار تتشعب من الجادَّة، وهي التُّرَّهاتُ. ويقال في المثل: دَعْ عَنْكَ بُنَيَّاتِ الطَّرِيقِ. أي عليك بمُعْظَم الأمر، ودَعِ الروغان.

(٣) جمع طِمْر، بالكسر: وهو الثوبُ الخَلَقُ، أو الكِساءُ البالي من غيرِ الصُّوفِ.

(٤) ظل.

بمدينة بعد مدينة، فجعل يقول: هذه مدينة كذا، هذه مدينة كذا، هـذه الكوفـة، ثـم إنـه قال لى: الموعد ها هنا فى مكانك هذا فـى الوقـت - يعنـى مـن الليـل -حتـى إذا كـان الوقت إذا به قد أقبل، فأخذ بيدى، فقال: بسم الله، فجعل يقول: هذا منزل كذا، هـذا منزل كذا، هذه فَيْد، وهذه المدينة، وأنا أنظر إلى الأرض تُجْذَب من تحتنا كأنهـا المـوج! فصرنا إلى قبر رسول الله ﷺ، فزرناه، ثم فارقنى، وقال لى: الموعد فى الوقت فـى الليـل فى المصلى، حتى إذا كان الوقت خرجت، فإذا به فى المصلى، فأخذ بيدى، ففعل كفعله الأول والثانى، حتى أتينا مكة فى الليل، ففارقنى، فقبضت عليه، فقلتُ: الصحبة! فقال: إنى أريد الشام. فقلتُ: أنا معك. فقال لى: إذا انقضى الحج، فالموعد هاهنا عنـد زمـزم، حتى إذا انقضى الحج إذا به عند زمزم، فأخذ بيدى، فطفنا بالبيت، ثم خرجنا من مكـة، ففعل كفعله الأول والثاني والثالث، وإذا نحن ببيت المقدس، فلما دخل المسجد قـال لى: عليك السلام، أنا على المُقَام إن شاء الله هاهنا، ثم فارقنى، فما رأيتـه بعـد، ولا عرَّفَنِى اسمه، فرجعت إلى بلدى أسير سير الضعفاء منزلاً بعد منزل حتى رجعت إلى بلخ، فهذا أول أمرى.

* * *

الحكاية الثالثة والستون

من حديث إبراهيم بن أدهم

حدثنا إبراهيم بن أدهـم قـال: لقيـت رجـلاً بالإسـكندرية يقـال لـه: أسـلم بـن زيـد الجهنى، فقال: منْ أنت يا غلام؟ فقلت: شاب من أهل خراسان. قال: مـا حملـك علـى الخروج من الدنيا. قلت: زهداً فيها ورجاء ثواب الله.

قال: إن العبد لا يتم رجاؤه لثواب الله حتى يحمل نفسه على الصبر. فقال لـه رجـل ممن كان معه: وأى شيء الصبر؟ قال: إن أدنى منازل الصبر أن يكون العبد راضياً لنفسه على احتمال مكاره الأنفس. قال: قلت: ثم مه؟ قال: إذا كـان محتمـلاً للمكـاره أورث الله قلبه نوراً. قلت: فماذا النور؟ قال: سراج يكون فى قلبـه يُفَـرِّق بـين الحـق والبـاطل والمتشابه، ثم قال: يا غلام إذا صحبـتَ الأخيـار أو حـادثت الأبـرار فإيـاك أن تُغْضِبَهـم عليك لأن الله تعالى يغضب لغضبهم، ويرضى لرضاهم، يا غلام، احفـظ عنـى واحتمـل واعقل!.

قال: فسالت عيناى، وقلت: والله ما حملنى على مفارقة أبوىَّ والخروج من مـالى إلا حب الأثرة لله تعالى مع الزهد فى الدنيا، فقال: إياك والبخل. قلت: وما البخـل؟ قـال: أما البخل عند أهل الدنيا فهو أن يكون الرجل ضنيناً بماله، وأما عنـد أهـل الآخـرة فهـو

الذى يضن بنفسه عن الله تعالى، ألا وإن العبد إذا جاد بنفسه لله أورث الله قلبه الهدى والتقى، وأُعْطِيَ السكينة والوقار والعمل الراجح والعقل الكامل، ويُفْتَح له مع ذلك أبواب السماء، فهو ينظر إلى أبوابها بقلبه كيف تفتح.

فقال له رجل من أصحابه: أضربه وأوجعه ؛ فأنا نرى غلاماً قد وُفِّقَ لولاية الله، فتعجب الشيخ من قول أصحابه: قد وفق لولاية الله، فقال لى المتكلم: يا غلام إنك ستصحب الأخيار فكن لهم أرضاً يطأون عليك، وإن ضربوك وشتموك وطردوك، فإذا فعلوا ذلك ففكِّر فى نفسك: مِنْ أين أتيت؟ فإنك إن فكرت فى نفسك أيَّدك الله بنصره وفقَّهك فى الدين حتى يقبلوا بقلوبهم عليك، واعلم أن العبد إذا قلاه الأخيار واجتنبت صحبته الورعون وأبغضه الزاهدون فإن ذلك استعتاب من الله له، فإن أعتب الله أقبل بقلوبهم عليه، وإن تمرَّد على الله أورث الله قلبه الضلالة والظلمة مع حرمان الرزق وجفاء من الأهل ومقت من المليكة، ولم يبالِ الله فى أى أوديته أهلك، فقلت: إنى صحبت رجلاً بين الكوفة ومكة، فرأيته إذا أمسى يصلى ركعتين، ثم يتكلم بكلام خفى بينه وبين نفسه، فإذا جفنه من ثريد عن يمينه وكوز من ماء، فكان يأكل من طعامه ويطعمنى، فبكى الشيخ عند ذلك، وبكى من حوله، وقال: يا بنى، ذاك أخى داود، ومسكنه من وراء بلخ بقريةٍ يقال لها المازرة الطيبة، وإنها لتفاخر البقاع بسكون داود فيها.

يا غلام، ما قال لك؟ وما علَّمك؟ قلت: علَّمنى اسم الله الأكبر. فقال الشيخ: ما هو؟ فقلت: إنه يتعاظم علىَّ أن أنطق به، فإنى سألت به مرة، فإذا رجل أخذ بحجرى فقال: سَلْ تُعْطَ، ففزعت فزعاً شديداً، فقال: لا روع عليك، أنا أخوك الخضر[1]، إن

---

(١) حياة الخضر ومقابلته لبعض الأشخاص من الحكايات المتداولة بين كثير من الصوفية والعامة، وهى حكايات لا تثبت ولا تصح، والثابت أن الخضر قد مات كما جزم بذلك كثير من العلماء، كالإمام ابن حجر الذى يقول في الإصابة جـ٢، ص:٢٢١ وما بعدها: نقل أبو بكر النقاش في تفسيره عن علي بن موسى الرضا وعن محمد بن إسماعيل البخاري أن الخضر مات وأن البخاري سئل عن حياة الخضر فأنكر ذلك واستدل بالحديث أن على رأس مائة سنة لا يبقى على وجه الأرض ممن هو عليها أحد وهذا أخرجه هو في الصحيح عن ابن عمر وهو عمدة من تمسك بأنه مات، وأنكر أن يكون باقيا.
وقال أبو حيان في تفسيره الجمهور على أنه مات ونقل عن ابن أبي الفضل المرسي أن الخضر صاحب موسى مات لأنه لو كان حيا لزمه المجيء إلى النبي صلى الله عليه وسلم والإيمان به واتباعه [ص:٢٩٩] وقد روى عن النبي ﷺ قال: «لو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي».
ونقل أبو الحسين بن المنادي في كتابه الذي جمعه في ترجمة الخضر عن إبراهيم الحربي أن الخضر=

أخى داود علّمك اسم الله الأعظم، فإياك أن تدعو به على رجل بينك وبينه نزغ؛ فتهلكه هلاك الدنيا والآخرة، ولكن ادع الله أن يثبت به قلبك، ويشجع به جبنك ويقوى به ضعفك، ويؤنس به وحشتك، ويُؤَمِّنَ به روعتك.

ثم قال لى: يا غلام، إن الزاهدين فى الدنيا اتخذوا الرضا عن الله لباساً وحبه دثار والأثرة له شعاراً، فتفضّل الله عليهم ليس كتفضله على غيرهم، ثم ذهب، فتعجب الشيخ من قولى.

ثم قال: إن الله سيبلغ بمن كان فى مثالك ومن تبعك من المهتدين، يا غلام أما أنا قد أفدناك وجهدناك وعلّمناك مما علمنا، ثم قال بعضهم لبعض: لا يُطمع فى السهر مع الشبع، ولا يُطمع فى الأنس بالله مع الأنس بالمخلوقين، ولا يطمع فى إلهام الحكمة مع

=مات، وبذلك جزم بن المنادى المذكور ونقل أيضا عن علي بن موسى الرضا عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال صلّى رسول الله ﷺ ذات ليلة صلاة العشاء في آخر حياته فلما سلّم قال: «أرأيتكم ليلتكم هذه فإن على رأس مائة سنة لا يبقى على وجه الأرض أحد». وأخرجه مسلم من حديث، وأخرجه الترمذي من طريق أبي سفيان عن جابر.

وذكر ابن الجوزي في جزئه الذي جمعه في ذلك عن أبي يعلى بن الفراء الحنبلي قال: سئل بعض أصحابنا عن الخضر هل مات فقال نعم قال وبلغني مثل هذا عن أبي طاهر بن العبادي وكان يحتج بأنه لو كان حيا لجاء إلى النبي ﷺ. قلت: ومنهم أبو الفضل بن ناصر والقاضي أبو بكر بن العربي وأبو بكر بن محمد بن الحسين النقاش.

وقال أبو الحسين بن المنادي: بحثت عن تعمير الخضر وهل هو باق أم لا فإذا أكثر المغفلين مغترون بأنه باق من أجل ما روى في ذلك قال والأحاديث المرفوعة في ذلك واهية والسند إلى أهل الكتاب ساقط لعدم ثقتهم وخبر مسلمة بن مصقله كالخرافة وخبر رياح كالريح قال وما عدا ذلك كله من الأخبار كلها واهية الصدور والأعجاز لا يخلو حالها من أحد أمرين إما أن تكون أدخلت على الثقات استغفالا أو يكون بعضهم تعمد ذلك وقد قال الله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد قال وأهل الحديث يقولون إن حديث أنس منكر السند سقيم المتن وإن الخضر لم يراسل نبيا ولم يلقه قال، ولو كان الخضر حيا لما وسعه التخلف عن رسول الله ﷺ والهجرة إليه.

قال: وقد أخبرني بعض أصحابنا أن إبراهيم الحربي سئل عن تعمير الخضر فأنكر ذلك وقال هو متقادم الموت. قال: وروجع غيره في تعميره، فقال: من أحال على غائب حي أو مفقود ميت لم ينتصف منه، وما ألقى هذا بين الناس إلا الشيطان. أ. هـ بتصرف.

ويقول ابن كثير في البداية والنهاية: وقد تصدى الشيخ أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله في كتابه عجالة المنتظر في شرح حالة الخضر للأحاديث الواردة في ذلك من المرفوعات فبين أنها موضوعات ومن الآثار عن الصحابة والتابعين فمن بعدهم فبين ضعف أسانيدها ببيان أحوالها وجهالة رجالها وقد أجاد في ذلك وأحسن الانتقاد أ.هـ.

ترك التقوى، ولا يطمع فى الصحة فى أمورك مع مخالطة الظلمة، ولا يطمع فى حب الله تعالى مع محبتك المال والسرف، ولا تطمع فى لين القلب مع الجفاء للناس، ولا تطمع فى الرقة مع فضول الكلام، ولا تطمع فى رحمة الله مع ترك الرحمة للمخلوقين، ولا تطمع فى الرشد مع ترك مجالسة العلماء. ثم قال بعضهم لبعضٍ: اللهم احجبنا عنه، فما أدرى كيف ذهبوا!.

* * *

الحكاية الرابعة والستون

كلكم يبكى لنفسه لا لى

حدثنا يزيد بن الصلت الجوشى قال: دخلت على رجل عابد بالبصرة، فوجدت أباه عند رأسه وأمه عند رجليه وزوجته عن يمينه وصبيته عن يساره، فقلت: ما تجد؟ فقال: مثل دبيب النمل بين جلدى وعظامى.

قال: فبكى أبوه، فقال له: أيها الشيخ الكبير، ما الذى يبكيك؟ قال: أبكى فراقك، وما أتعجل بالوحدة بعدك.

قال: فبكت أمه وزوجته وصبيته، فنظر إلى أمه، فقال لها: أيتها الوالدة الرفيقة الشفيقة ما الذى يبكيك؟ قالت: أبكى فراقك، وما أتعجل من الوحشة بعدك.

فقال لامرأته: ما الذى يبكيك، قالت: أبكى فراقك، وما أتعجل من الوحشة بعدك .

فنظر إلى أولاده، فقال: معشر اليتامى بعد قليل، ما الذى يبكيكم؟ قالوا: نبكى فراقك وما تتعجل من الوحشة بعدك.

فقال: أقعدونى، فلما أقعدوه قال: كلكم يبكى للدنيا، أمَا منكم من يبكى لما يلقاه وجهى من التراب؟! أما منكم من يبكى لمسائلة منكر ونكير؟! أما منكم من يبكى بمقامى بين يدى ربى؟! قال: ثم صاح صيحة، فمات.

* * *

الحكاية الخامسة والستون

حكاية التاجر مع اللص الذى يريد قتله

عن الحسن عن أنس قال: كان رجل من أصحاب رسول الله ﷺ من الأنصار يكنى: أبو معلق، وكان تاجراً يتجر بمال له ولغيره يضرب به فى الآفاق، وكان ناسكاً ورعاً،

فخرج مرة، فلقيه لص مُقَنَّع[١] في السلاح، فقال له: ضع ما معك، فإني قاتلك!.

قال: ما تريد إلى دمي شأنك بالمال؟! قال: أما المال فلي، ولست أريد إلا دمك.

قال: أما إذا أبيت، فذرني أُصَلِّ أربع ركعات، قال: صَلِّ ما بدا لك.

فتوضأ، ثم صلى أربع ركعات، فكان من دعائه في آخر سجدة بأن قال: يا ودود يا ذا العرش المجيد يا فعال لما يريد، أسألك بعزك الذى لا يرام ومُلْكِكَ الذى لا يُضام وبنورك الذى ملأ أركان عرشك أن تكفيني شر هذا اللص، يا مغيث أغثني، يا مغيث أغثني، يا مغيث أغثني.

قال: «دعا بها ثلاث مرات، فإذا هو بفارس قد أقبل بيده حربه واضعها بين أذني فرسه، فلما بصر به اللص أقبل نحوه، فطعنه، فقتله، ثم أقبل إليه، فقال: قُمْ.

قال: مَنْ أنت بأبي أنت وأمي؟ فقد أغاثني الله بك اليوم! قال: أنا مَلَكٌ من أهل السماء الرابعة دعوتَ بدعائك الأول، فسمعت لأبواب السماء قعقعة، ثم دعوتَ بدعائك الثاني، فسمعت لأهل السماء ضجة، ثم دعوتَ بدعائك الثالث، فقيل: هذا دعاء مكروب، فسألت الله عز وجل أن يولينى قتله».

قال أنس: فاعلم أنه من توضأ، وصلى أربع ركعات، ودعا بهذا الدعاء، أستجيب له مكروباً كان أو غير مكروب[٢].

* * *

الحكاية السادسة والستون
حكاية رجل صالح يعتزل الناس

حدثنا أبو الهيثم عن عبد الله بن غالب أنه حدَّثه قال: خرجت إلى الجزيرة، فركبنا السفينة فرست بنا إلى جانب قرية عادية في سفح جبل خراب ليس فيها أحد. قال: فخرجت، فطوَّفت في ذلك الخراب أتأمل آثارهم، وما كانوا فيه، فدخلت بيتاً يشبه أن

---

(١) مُقَنَّع بالسلاح:، أي: يغطي وجهه وجسده بدروع الحديد.

(٢) يقول ابن حجر في الإصابة:جـ٧، ص:٣٥٦: أبو معلق الأنصاري استدركه أبو موسى، وأخرج من طريق بن الكلبي عن الحسن عن أبي بن كعب أن رجلا كان يكنى أبا معلق الأنصاري خرج في سفرة من أسفاره فذكر قصة له مع اللص الذي أراد قتله قال أبو موسى: أوردته بتمامه في كتاب الوظائف. قلت: ورويناه في كتاب مجابي الدعوة لابن أبي الدنيا قال حدثنا عيسى بن عبد الله النهمي: أخبرني فهر بن زياد الأسدي عن موسى بن وردان عن الكلبي - وليس بصاحب التفسير- عن الحسن عن أنس بن مالك... وذكر الحديث.

يكون مأهولاً، فقلت: إن لهذا شأنا، فرجعت إلى أصحابى، فقلت: إن لى إليكم حاجة، فقالوا: وما هى؟ قلت: تقيمون على الليلة. قالوا: نعم. فدخلت ذلك البيت، فقلتُ: إن يكن له أهل فسيأتون إليه إذا جن الليل، فلما جن الليل سمعت صوتاً قد انحط من رأس الجبل يُسَبِّحُ الله ويُكَبِّرُه ويحمده، فلم يزل الصوت يدنو حتى دخل البيت، قال: ولم أر فى ذلك البيت شيئاً إلا جَرَّة - وليس فيها شيء - ووعاء ليس فيه طعام، قال: فصلى ما شاء الله أن يصلى، ثم انصرف إلى ذلك الوعاء، فأكل منه طعاماً، ثم حمد الله عز وجل، ثم أتى إلى تلك الجَرَّة، فشرب منها شراباً، ثم قام، فصلى حتى أصبح، فلما أصبح أقام الصلاة، فصليت خلفه، فقال: يرحمك الله دخلتَ بيتى بغير إذنى!.

فقلت: يرحمك الله!، لم أرد إلا الخير. قلت: رأيتك أتيت هذا الوعاء، فأكلت منه طعاماً، وقد نظرت قبل ذلك، فلم أر فيه شيئاً؟ قال: أجل، ما من طعام أريده من طعام الناس إلا أكلته من هذا الوعاء، ولا شراباً أريده من شراب الناس إلا شربته من هذه الجرة، قلت: وإن أردتَ السمك الطرىَّ؟! قال: وإن أردت السمك الطرى. فقلت: يرحمك الله! إن هذه الأمة لم تؤمر بالذى صنعت!، أُمِرَتْ بالجماعة والمساجد لفضل الصلوات فى الجماعة وعيادة المرضى واتباع الجنائز. قال: هاهنا قرية فيها كل ما ذَكَرْتَ، وأنا صائر إليها. قال: فكاتبنى حيناً حتى انقطع كتابه، فظننت أنه مات.

قال: وكان عبد الله بن غالب لما مات وُجِدَ فى قبره ريح المسك.

* * *

الحكاية السابعة والستون

لماذا تفر مني؟!

عن محمد بن محمد بن ثوابة الصوفى قال: كنت مصاعداً إلى الجبل فى باب حلوان فى أيام الشتاء وعلىَّ دثار وسروالان أحدهما مبطن، والبَرْد على غاية ما يكون من الشدة، فلقينى رجل عليه خرقتان لا يتوارى بغيرهما، فعارضته مراراً، ويروغ منى، فقلت: لأى شيء تفرُّ منى؟! أَسَبُعٌ أنا؟! فقال: لو لقينى سبعون سبعاً كان أهون علىَّ مِنْ لقائك! فقلت: أنا أمرُّ كذا، وأنت تمضى كذا، قُلْ لى شيئاً ومُرَّ فى ودائع الله! فقال لى: تسمع. فقلت: نعم. فأنشأ يقول:

إذا ما عَدَتِ النفس ... عن الحق زجرناها
وإن مالت إلى الدنيا ... عن الأخرى منعناها
تخادعنا ونخدعها ... وبالصبر غلبناها

لهـا خـوف مـن الفقـر وفـى الفقـر أغناهـا

قال: فجئت إبراهيم بن شيبان بعد أربعة أيام - أو خمسة- وقد فَرَّقْتُ جميع ما علىَّ من الدثار، فلما دخلت عليه قال: مَنْ لقيتَ؟ فوصفت له، فقال: أبو محمد البسطامى، فى ذلك اليوم خرج من عندنا، أى شيء جرى بينك وبينه؟

فحدثته، فأمر ابنه، فكتبها.

* * *

الحكاية الثامنة والستون

دعوة أم صالحة

حدثنا خالد بن خداش وإسماعيل إبراهيم قالا: حدثنا صالح المرى عن ثابت عن أنس - والمعنى واحد - قال: عُدْنَا شاباً من الأنصار، فلم نبرح حتى قَضَى[1]، فأغمضناه، ومددنا عليه الثوب، وله أمٌّ عجوز عند رأسه، فالتفتَ إليها بعضنا، فقال: يا هذه، احتسبى مصيبتك عند الله. قالت: وما ذاك؟ أمات ابنى؟ قلنا: نعم. قالت: أحق ما تقولون؟ قلنا: نعم. فمدَّت يديها إلى السماء، وقالت: اللهم إنى آمنت بك، وهاجرت إلى رسولك، رجاء أن تغيثنى فى كل شدة، فلا تَحْمِلْ علىَّ هذه المصيبة اليوم.

قال أنس: فكشف الثوب عن وجهه، وقعد، فما برحنا حتى طعمنا معه.

* * *

الحكاية التاسعة والستون

حكاية الرجل الزاهد الذى توفي في الجبل

حدثنا أبو عتبة الخواص قال: حدثنى رجل من الزهاد ممن كان يسيح فى الجبال. قال: لم يكن لى هِمَّةٌ فى شيء من الدنيا ولا لذة إلا فى لُقْيَتِهِمْ - يعنى الأبدال والزُّهَّاد-، قال: فأتى يوم على ساحل من سواحل البحر ليس تسكنه الناس، ولا تُرْمَى إليه السفن إذا أنا برجل قد خرج من بعض تلك الجبال، فلما رآنى هرب، وجعل يسعى، واتَّبعه، فسقط على وجهه، وأدركته فقلتُ: ممن تهرب رحمك الله! فلم يكلمنى، فقلت: إنى أريد الخير، عَلِّمْنى. قال: عليك بلزوم الحق حيث كنت، فوالله ما أنا بحامد لنفسى، فأدعوك إلى مثل عملها، ثم صاح صيحة، فسقط ميتاً، فمكثت لا أدرى كيف أصنع به، وهجم الليل علينا، فتنحيت ناحية عنه، فأُريتُ فى منامى كأن

---

(١) مات.

أربعة نفر هبطوا من السماء على جبل، فحفروا له، ثم كفّنوه، وصلوا عليه، ثـم دفنـوه، فاستيقظت فزعاً للذى رأيت، فذهب عنى النوم بقية الليل، فلمـا أصبحـت انطلقـت إلى الموضع، فلم أره فيه، فلم أزل أطلب أثره، وأنظر حتى رأيت قبراً جديداً ظننت أنه القـبر الذى رأيت فى منامى.

* * *

الحكاية السبعون

حكاية الشاب الذي مشى على الماء

عن يوسف بن الحسن قال: لما استأنست بذى النون المصرى قلت: أيهـا الشيخ، مـا كان بـدء شـأنك؟ قـال: كنـت شـاباً صـاحب لهـو ولعـبٍ، ثـم تُبْـتُ وتركـت ذلـك، وخرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام، ومعى بضيعة، فركبت فـى المركـب مـع تجار مـن مصر، وركب معنا شاب صبيـح[1] كـأن وجهـه يشـرق، فلمـا توسـطنا فَقَـدَ صـاحب المركب كيساً فيه مال، وأمر بحبس المركب، ففتّش مَنْ فيـه، وأتعبهـم، فلمـا وصلـوا إلى الشاب ليفتشوه وثب وثبة من المركب حتى جلس على أمواج البحر، وقام له الموج على مثال سرير، ونحن ننظر إليه من المركب، ثم قال: يا مولاى، إن هـؤلاء اتهمونـى، وإنـى أقسم يا حبيب قلبى أن تأمر كل دابـةٍ فـى هـذا المكـان أن تخـرج رأسـها وفـى أفواههـا جوهرا!.

قال ذو النون: فما تـم كلامـه حتـى رأينـا دواب البحـر أمـام المركـب وحواليـه قـد أخرجت رءوسها، وفى فم كل واحدة منها جوهر مضى يتلألأ ويلمع، ثم وثب الشاب مـن المـوج إلى البحـر، وجعـل يتبختـر علـى مـتن المـاء، ويقـول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُـدُ وَإِيَّـاكَ نَسْتَعِينُ﴾[2]، حتى غاب عن بصرى، فهذا الذى حملنى علـى السياحة، وذكـرت قـول النبى ﷺ: «لا يزال فى هذه الأمة ثلاثون قلوبهم علـى قلـب خليـل الرحمـن كلمـا مـات واحد أبدل الله مكانه واحداً»[3].

---

(١) الصباحة: الجمال.

(٢) سورة الفاتحة، الآية رقم: ٥.

(٣) الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده عن عبادة بن الصامت، و الطبراني في معجمه الكبيـر، وقـال المناوي في فيض القدير ١٦٨/٣ قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح غير عبد الواحد بن قيس، وقد وثقه العجلي وأبو زرعة وضعفه غيرهما.

ويقول المناوى: وقد جاء في هذا عدة أخبار منها ما هو ضعيف وما هـو موضـوع، وللصوفيـة في هذا الباب كلام طويل لكن ليس عليه دليل ولا برهان بل هو من التخيلات المخصة والله أعلم.

وذكر العجلوني فى كشف الخفاء هذا الحديث برقم: ٣٥، وقال: عزاه في اللآلئ لمسند أحمد عن عبادة بن الصامت مرفوعا، وفي لفظ له عنه الأبدال في هذه الأمـة ثلاثـون رجـلا قلوبهـم علـى=

الحكاية الحادية والسبعون

درس في الصبر والرضا

عن الأوزاعى قال: حدثنى بعض الحكماء قال: خرجت وأنـا أريـد الربـاط حتـى إذا كنت بعريش مصر - أو دونه - إذا أنا بمظلةٍ، وإذا فيها رجل قـد ذهبـت يـداه ورجـلاه وبصره، وإذا هو يقول: اللهم إنى أحمدك حمداً يوافى محامد خلقك كفضلك على سـائر خلقك ؛ إذ فضلتنى على كثير ممن خلقتَ تفضيلاً.

فقلت: والله لأسألنه أَعُلِّمَه أو أُلْهِمَه، فدنوت منه، فسلَّمت عليه، فردَّ علـيَّ السـلام، فقلت: إنى سائلك عن شيء تخبرنى به، قـال: إن كـان عنـدى منه علـم أخبرتك بـه. فقلتُ: على أى نعمة تحمده عليها؟ أم على أى فضيلة تشكره عليها؟!

قال: أليس ترى ما قد صنع بى. قلت: بلى. قال: فوالله لو أن اللـه عـز وجـل صـب عليَّ من السماء نـاراً فـأحرقتنى، وأمـر الجبـال فدمرتنـى، وأمـر البحـار فغرَّقتنـى، وأمـر الأرض فخسفت بى مـا ازددت لـه إلا حُبًّـا وشـكراً، وإن لى إليـك حاجـة، بُنَـيٌّ كـان يتعاهدنى لوقت صلاتى، ويطعمنى عند إفطارى، وقد فقدته منذ أمس، انظـر هـل تجيئـه لى؟ فقلت: إن فى قضاء حاجة هذا العبد لقربة إلى الله تعالى، فخرجت فـى طلبـه حتـى إذا كنت بين كثبان الرمل إذا بسبع قد افترس الغـلام يأكلـه، فقلـت: إنـا للـه وإنـا إليـه راجعون، كيف آتى هذا العبد الصالح من وجهٍ رفيق، فأخبره الخبر ؛ لئلا يموت، فأتيتـه، فسلَّمت عليه، فرد على السلام، فقلت: إنى سـائلكَ عـن شـيء، أتخبرنى بـه؟ قـال: إن كان عندى منه علم أخبرتك به. قلت: أنت أكرم على اللـه عـز وجـل منزلـة أم أيـوب عليه السلام؟ قال: بل أيوب كان أكرم على الله عز وجل منـى وأعظـم منزلـة. فقلـت: أليس ابتلاه فصبر، حتى استوحش منه من كان يأنس بـه، وصـار غرضًـا لُمـرَّار الطريـق؟ قال: بلى. قلت: فإن ابنك الذى أخبرتنى من قصته ما أخبرتنى خرجتُ فـى طلبـه حتـى

=قلب إبراهيم خليل الرحمن إلى آخر ما تقدم بلفظه، ثم قال فيها: وحكى عبد الله بن أحمد عـن أبيه أنه منكر تفرد به الحسن بن ذكوان، قال ابن كثير وهو كمـا قـال، ووثـق البخـاري الحسـن المذكور، وضعفه الأكثرون، حتى قال أحمد: أحاديثه أباطيل، ثم قال فيها أيضا: ولا يخفى ما فيـه من التحامل، فإن رجال الحديث مختلف فيهم، فهـو حسـن على رأي جماعـة مـن الأئمـة، وقـال الزركشي أيضا هو حسن، وقال في التمييز تبعا للأصل له طرق عن أنس مرفوعـا بألفـاظ مختلفـة وكلها ضعيفة انتهى.

وأقول: لكنه يتقوى بتعدد طرقه الكثيرة منها ما في الحلية عن ابن عمر رفعـه خيـار أمتـي في كـل قرن خمسمائة، والأبدال أربعون، فلا الخمسمائة ينقصون، ولا الأربعون، كلما مات رجـل أبـدل الله مكانه آخر، وهم في الأرض كلها .

إذا كنت بين كثبان من رمال إذا بسبع قد افترس الغلام يأكله!.

فقال: الحمد لله الذى جعل فى قلبى حسرة من الدنيا.

قال: ثم شهق شهقة، فمات. فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، مَنْ يعيننى على غَسْلِه وتكفينه ودفنه، فبينا أنا كذلك إذا بركب يريدون الرباط، فأشرت إليهم، فأقبلوا، فقالوا: ما أنت وهذا؟ فأخبرتهم بالذى كان من أمره، فثنوا أرجلهم، فغسلناه بماء البحر وكفناه بأثواب كانت معهم، ووَلِيتُ الصلاة عليه من بينهم، ودفناه فى مظلته تلك، ومضى القوم إلى رباطهم، وبت تلك الليلة أنساً به، فلما مضى من الليل مثل ما بقى إذا أنا بصاحبى فى روضةٍ خضراء عليه ثياب خضر قائماً يتلو الوحى.

فقلت: أليس أنت صاحبى؟ قال: بلى. قلت: فما الذى صيَّرك إلى ما ارى؟ قال: وردت من الصابرين على درجةٍ لم ينالوها إلا بالصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء.

قال الأوزاعى: ما زلت أحب أهل البلاء منذ حدثنى الحكيم بهذا الحديث.

* * *

الحكاية الثانية والسبعون
حكاية الرجل المجاهد ووديعته

عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: بينا عمر بن الخطاب يعرض الناس مرَّ به رجل معه ابن له على عاتقه، فقال عمر: ما رأيت غراباً بغرابٍ أشبه من هذا بهذا! فقال الرجل: أما والله يا أمير المؤمنين لقد ولدته أمه وهى ميتة، قال: ويحك! وكيف ذلك؟

قال: خرجت فى بعث كذا وكذا، وتركتها حاملاً، وقلتُ: أستودع الله ما فى بطنك، فلما قدمت من سفرى أُخْبِرْتُ أنها قد ماتت، فبينا أنا ذات ليلة قاعد فى البقيع مع بنى عم لى نظرت، فإذا ضوء شبيه السراج فى المقابر، فقلت لبنى عمى: ما هذا؟ قالوا: لا ندرى غير أنا نرى هذا الضوء كل ليلة عند قبر فلانة، فأخذت معى فأساً، ثم انطلقت نحو القبر، فإذا القبر مفتوح، وإذا هو فى حجر أُمِّه، فدنوت، فنادى منادٍ: أيها المستودع ربه خُذْ وديعتك، أما لو استودعته أمَّه لوجدتها، فأعدت الصبى، وانضم القبر.

* * *

الحكاية الثالثة والسبعون
رسالة من أبي ذر

عن نافع الطاحى قال: مررت بأبى ذر، فقال لى: مَنْ أنت؟ قلت: مِنْ أهل العراق.

قال: أتعرف عبد الله بن عامر؟ قلت: نعم. قال: فإنه كان يقرأ معي ويلزمني، ثم طلب الإمارة، فإذا قدمتَ البصرة، فتَرَآى له، فإنه سيقول: لك حاجة؟ فقلْ: أخلنى، فقل له: أنا رسول أبى ذر إليك، وهو يقرئك السلام، ويقول لك: إنا نأكل من التمر، ونشرب من الماء، ونعيش كما تعيش. فلما قدمت ترائيت له، فقال: لك حاجة؟ فقلت: أخلنى أصلحك الله! فقلت: أنا رسول أبى ذر إليك - فلما قلتها خشع لها قلبه- وهو يقرأ عليك السلام، ويقول: إنا نأكل من التمر، ونروى من الماء، ونعيش كما تعيش. قال: فحل إزاره، ثم أدخل رأسه فى جيبه[1]، ثم بكى حتى ملأ جيبه بالبكاء.

* * *

الحكاية الرابعة والسبعون

آخر خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز

حدثنا أبو سليم الهذلى قال: خطب عمر بن عبد العزيز، فقال: أمَّا بعد، فإن الله لم يخلقكم عبثاً، ولم يجعل من أمركم سُدَى، وإن لكم معاداً ينزل الله عز وجل فيه فى الحكم والقضاء بينكم، فخاب وخسر مَنْ خرج مِنْ رحمة الله، وحُرِمَ الجنة التى عرضها السماوات والأرض، واشترى قليلاً بكثير وفانياً بباق وخوفاً بأمن، ألا ترون أنكم فى أسلاب[2] الهالكين، وسيخلفها بعدكم الباقون كذلك؟! حتى يَرِدُوا إلى الوارثين. فى كل يوم وليلة يشيعون غادياً ورائحاً إلى الله عز وجل قد قضى نحبه وانقضى أجله، حتى يغيبوه فى صدع من الأرض فى بطن صدع، ثم تَدَعُوه غير مُمَهَّدٍ ولا مُوَسَّدٍ، قد خلع الأسباب، وفارق الأحباب، وسكن التراب، وواجه الحساب مرتهناً بعمله فقيراً إلى ما قدَّم غنياً عما ترك، فاتقوا الله قبل نزول الموت، وايم الله، إنى لا أقول لكم هذه المقالة، وما أعلم عند أحد من الذنوب ما أعلم عندى! وما يبلغنى عن أحد منكم حاجةً إلا أحببت أن أسد من حاجته ما قدرت عليه، وما يبلغنى أن أحداً منكم لا يسعه ما عندى إلا وددت أنه يمكننى تغييره ؛ حتى يستوى عيشنا وعيشة. وايم الله، لو أردت غير ذلك من العمارة والعيش لكان اللسان منى به ذلولاً عالماً بأسبابه، ولكن سبق من الله عز وجل كتاب ناطق وسُنّة عادلة، دلَّ فيها على طاعته، ونهى فيها عن معصيته.

ثم وضع طرف ردائه على وجهه، فبكى وشهق، وبكى الناس، فكانت آخر خطبة خطبها.

* * *

---

(١) جيب القميص: فتحته من جهة الصدر.

(٢) جمع سلب، وهو ما يسلب.

الحكاية الخامسة والسبعون

عَجِّلُوا فِي جهازِي

عن عبد الملك بن عمير عن ربعى بن حراش - وبعضهم يزيد على بعض - قال: كنا إخوة ثلاثة، وكان أعبدنا وأصومنا وأفضلنا الأوسط منا، فغبت غيبة إلى السواد، ثم قدمت على أهلي، فقالوا: أدرك أخاك فإنه فى الموت، فخرجت أسعى إليه، فانتهيت وقد قضى وسُجِّيَ بثوب، فذهبت ألتمس كفنه، فرجعت، وقد كشف الثوب عن وجهه، وقال: السلام عليكم! فقلت: أى أخى، أحياة بعد الموت؟ قال: نعم، إني لقيت ربى تعالى بعدكم، فتلقانى بروح وريحان ورب غير غضبان، وإنه كسانى ثياباً خضراً من سندس وإستبرق، وإنى وجدت الأمر أسهل مما فى أنفسكم، فاعملوا ولا تغتروا، إنى لقيت رسول الله ﷺ، فأَقْسَمَ أن لا يبرح حتى آتيه، فعجلوا فى جهازى، ثم طُفِيَ، فما شبَّهت خروج نفسه إلا كحصاةٍ أُلْقِيَتْ فى ماء، فرست، فذُكِرَ ذلك لعائشة، وصدَّقت بذلك، وقالت: قد كنا نتحدث أن رجلاً من هذه الأمة يتكلم بعد موته. قال: وكان أقومنا فى الليلة الباردة وأصومنا فى اليوم الحار.

* * *

الحكاية السادسة والسبعون

حديث بين رجلين صالحين

عن أبى جعفر السائح قال: حُدِّثْنا - وغيره يزيد بعضهم على بعض فى الحديث - أن عامر بن عبد قيس كان من أفضل العابدين، ففرض على نفسه فى كل يوم ألف ركعة يقوم عند طلوع الشمس، فلا يزال قائماً إلى العصر، ثم ينصرف، وقد انتفخت ساقاه وقدماه، فيقول: يا نفس، إنما خُلِقْتِ للعبادة يا أمارةً بالسوء، والله لأعملن بك عملاً لا يأخذ الفراش منك نصيباً.

قال: وهبط وادياً يقال له: وادى السباع، وفى الوادى عابد حبشى يقال له حممة، فانفرد عامر فى ناحية وحممه فى ناحية يصليان، فلا هذا ينصرف إلى هذا، ولا هذا ينصرف إلى هذا أربعين يوماً وأربعين ليلة[1] إذا حان وقت الفريضة صليا، ثم أقبلا يتطوعان، ثم انصرف عامر بعد أربعين يوماً، فجاء إلى حممة، فقال: مَنْ أنت يرحمك الله؟! قال: دعنى وهمى. قال: أقسمت عليك. قال: أنا حممة. قال عامر: لئن كنت حممة الذى ذُكِرَ لى لأنت أعبد مَنْ فى الأرض، فأخبرنى عن أفضل خَصْلَة؟ قال: إنى لَمُقَصِّرٌ، ولولا مواقيت الصلاة تَقْطَعُ علىَّ القيام والسجود لأحببت أن أجعل عمرى

---

(١) فى تلك الحكاية من المبالغات ما يرفضه الشرع، ولا يثبت أمام العقل.

راكعاً ووجهى مفروشاً حتى ألقاه، ولكن الفرائض لا تدعنى أفعل ذلك، فمَنْ أنت يرحمك الله؟! قال: أنا عامر بن عبد قيس. قال: إن كنت عامر بن عبد قيس الذى ذُكِرَ لى فأنت أعبد الناس، فأخبرنى بأفضل خَصْلَة. قال: إنى لَمُقَصِّرٌ، ولكن واحدة ؛ عظمت هيبة الله عز وجل فى صدرى ؛ حتى ما أهاب شيئاً غيره، فاكتنفته السباع، فأتاه سبع، فوثب عليه مِنْ خلفه، فوضع يديه على منكبيه، وعامر يتلو هذه الآية: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾[1]. فلما رأى السبع أنه لا يكترث له ذهب.

فقال له حممة: بالله يا عامر ما هَالَكَ ما رأيت؟ قال: إنى لأستحيى من الله أن أهاب شيئاً سواه. قال حممة: لولا أن الله ابتلانى بالبطن، فإذا أكلنا فلا بد من الحَدَث، ما رآنى ربى إلا راكعاً وساجداً، وكان يصلى فى اليوم والليلة ثمان مائة ركعة، ويعاتب نفسه، ويقول: إنى لَمُقَصِّرٌ!.

* * *

الحكاية السابعة والسبعون
حكاية الراعى الأمين

حدثنا عبد العزيز قال: قال نافع: خرجت مع عبد الله بن عمر فى بعض نواحى المدينة، ومعه أصحاب له، فوضعوا سفرة لهم، فمر بهم راعٍ، فقال له عبد الله: تعال ؛ فأصب من طعامنا. فقال: إنى صائم. فقال عبد الله: فى مثل هذا اليوم الشديد حره، وأنت فى هذه الشعاب، فى آثار هذه الغنم بين الجبال ترعى، وأنت صائم؟!

فقال الراعى: أبادر أيامى الخالية [2].

فعجب له ابن عمر، وقال: هل لك أن تبيعنا شاة من غنمك نجتزرها[3] ونطعمك من لحمها ما تفطر عليه، ونعطيك ثمنها؟!

فقال: إنها ليست لى، إنها لمولاى. قال: فما عسى أن يقول مولاك إن قلت أكلها الذئب؟ فمضى الراعى وهو رافع إصبعيه إلى السماء، وهو يقول: فأين الله؟!

قال: فلم يزل ابن عمر يقول: قال الراعى: فأين الله، فما عدا أن قدم المدينة، فبعث

---

(١) سورة هود، الآية رقم: ١٠٣.

(٢) يشير الراعى بذلك إلى قوله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ سورة الحاقة: الآية رقم: ٢٤.

(٣) نذبحها.

إلى سيده، فاشترى منه الراعى والغنم، فأعتق الراعى، ووهب له الغنم.

* * *

الحكاية الثامنة والسبعون

من نصائح الحسن بن أبي الحسن لعمر بن عبد العزيز

حدثنا أبو صالح كاتب الليث بن سعد قال: أخذ بها من الليث بن سعد رسالة الحسن بن أبى الحسن إلى عمر بن عبد العزيز رحمهما الله: أما بعد، فأعلم يا أمير المؤمنين أن الدنيا دار ظعن، وليست بدار إقامة، وإنما أهبط إليها آدم من الجنة عقوبة، وقد يحسب مَنْ لا يدرى ما ثواب الله أنها ثواب ومَنْ لم يدر ما عقاب الله أنها عقاب! ولها فى كل حين صرعة، وليست صرعة كصرعة، هى تهين مَنْ أكرمها، وتُذِلُّ من أعزها، وتصرع من آثرها، ولها فى كل حين قتلى، فهى كالسم يأكله من لا يعرفه وفيه حتفه، فالزاد منها تركها، والغناء فيها فقرها.

فكن فيها يا أمير المؤمنين كالمداوى جرحه يصبر على شدة الدواء مخافة طول البلاء، يحتمى قليلاً مخافة ما يكره طويلاً، فإن أهل الفضائل كان منطقهم فيها بالصواب، ومشيهم بالتواضع، ومطعمهم الطيِّب من الرزق، مغمضى أبصارهم عن المحارم، فخوفهم فى البَرِّ كخوفهم فى البحر، ودعاؤهم فى السراء كدعائهم فى الضراء، لولا الآجال التى كُتِبَتْ لهم ما تقارت أرواحهم فى أجسادهم خوفاً من العقاب وشوقاً إلى الثواب، عَظُمَ الخالق فى أنفسهم، فصَغُرَ المخلوقين فى أعينهم.

واعلم يا أمير المؤمنين أن التفكر يدعو إلى الخير والعمل به، وأن الندم على الشر يدعو إلى تركه، وليس ما يفنى -وإن كان كثيراً- بأهل أن يؤثر على ما يبقى -وإن كان طلبه عزيزاً- واحتمال المونة المنقطعة التى تعقب الراحة الطويلة خير من تعجيل راحة منقطعة تعقب موتة باقية وندامة طويلة، فاحذر هذه الدنيا الضارعة الخاذلة القاتلة التى قد تزينت بخِدَعِهَا، وقتلت بغرورها، وخدعت بآمالها، فأصبحت كالعروس المَجْلِيَّة، فالعيون إليها ناظرة والقلوب عليها والهة والنفوس لها عاشقة، وهى لأرواحهم كلهم قاتلة، فلا الباقى بالماضى معتبر، ولا الآخر لما رأى من أثرها على الأول مزدجر، ولا العارف بالله المصدق له حين أخبره عليها مُذَكِّرٌ، قد أبت القلوب لها إلا حباً، وأبت النفوس لها إلا عشقاً، ومن عشق شيئاً لم يلهم نفسه غيره، ولم يفعل شيئاً سواه مات فى طلبه، وكان أثر الأشياء عنده، فهما عاشقان طالبان مجتهدان: فعاشق قد ظفر منها بحاجته، فاغتر وطغى ونسى ولهى ؛ فغفل عن مبتدأ خَلْقِه، وضيَّع ما إليه معاده، فقَلَّ فى الدنيا لَبْثُه حتى زالت عنه قدمه، وخانته منيته على شر ما كان حالاً وأطول ما

كان فيها أملاً ؛ فعظم ندمه، وكثرت حسرته، مع ما عالج من سكرته، فاجتمعت عليه سكرة الموت وكربته، وحسرة الفوت بغُصَّتِهِ، فغير موصوف ما نزل به، وآخر مَيِّتٌ مات من قبل أن يظفر منها بحاجته، فمات بغمه وكمده، ولم يدرك فيها ما طلب، ولم يُرِحْ نفسه من التعب والنَّصَبِ، فخرجا جميعاً بغير زاد، وقدما على غير مهاد، فاحذرها يا أمير المؤمنين الحذر كله ؛ فإنما مَثَلُها كمَثَل الحَيَّة لَيِّنٌ مسها، تقتل بسُمِّها، فأعرض عما يعجبك فيها لقلة ما يصحبك منها، وضع عنك همومها لما قد أيقنت به من فراقها، واجعل شدة ما اشتد منها رجاء ما ترجو بعدها، وكن عند آنس ما تكون فيها أحذر ما تكون لها ؛ فإن صاحب الدنيا كلما اطمأن منها إلى سرور صَبَّحَتْه من سرورها بما يسوءه، وكلما ظفر منها بما يحب انقلبت عليه بما يكره، فالسار منها لأهلها عار، والنافع منها غداً ضار، وقد وصل الرخاء فيها بالبلاء، وجعل البقاء فيها إلى فناء، فسرورها بالحزن مشوب، والناعم فيها مسلوب.

فانظر يا أمير المؤمنين إليها نظر الزاهد المفارق، ولا تنظر [نظر] المبتلى العاشق، واعلم أنها تزيل الثاوى[1] بالساكن، وتفجع المترف فيها الأمن، ولا يرجع فيها ما تولى منها وأدبر، ولا بد ما هو آتٍ منها ينتظر، ولا يتبع ما صفا منها إلا كَدَر، فاحذرها فإنَّ أمانيها كاذبة وآمالها باطلة وعيشها نكد وصفوها كدر، وأنت منها على خطر، إما نعمة زائلة، وإما بلية نازلة، وإما مصيبة فادحة، وإما مَنِيَّةٌ قاضية، فلقد كدرت المعيشة لمن عقل، فهو من نعيمها على خطر، ومن بليتها على حذر، ومن المنية على يقين، فلو كان الخالق تبارك وتعالى اسمه لم يخبر عنها بخذر، ولم يضرب لها مثلاً، ولم يأمر فيها بزهدٍ لكانت الدنيا قد أيقظت النائم، ونبهت الغافل، فكيف وقد جاء عن الله عز وجل منها زاجر، وفيها واعظ؟! فما لها عنده قَدْرٌ ولا وزن من الصِّغَر، فلهى عنده أصغر من حصاة فى الحصى، ومن مقدار فى النوى، ما خلق الله عز وجل خلقاً فيما بلغنا أبغض إلى الله تعالى منها، ما نظر إليها منذ خلقها، ولقد عُرِضَتْ على نبينا محمد ﷺ بمفاتيحها وخزائنها لا ينقصه ذلك عند الله عز وجل جناح بعوضة، فأبى أن يقبلها، وما منعه من القبول لها مع ما لا ينقصه الله شيئاً مما عنده كما وعده إلا أنه علم أن الله عز وجل أبغض شيئاً فأبغضه، وصغَّر شيئاً فصغَّره، ولو قبلها كان الدليل على محبته قبوله إياها، ولكنه كره أن يخالف أمره أو يحب ما أبغض خالقه أو يرفع ما وضع مليكه.

قال محمد بن الحسين: وكان فى آخر هذه الرسالة: ولا تأمن أن يكون هذا الكلام عليك حجة، نفعنا الله وإياك بالموعظة، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

* * *

---

(١) ثوى بالمكان، نزل به، وأطال المكث فيه.

الحكاية التاسعة والسبعون

من حكايات الأمم السابقة

حدثنا مالك بن فضالة عن الحسن أن رجلاً كان يقال له عُقَيْب كان يعبد الله عز وجل على جبل، وكان فى ذلك الزمان رجل يُعَذِّب الناس بالمُثُلات[(١)]، فمر به جبار، فقال عقيب: لو نزلت إلى هذا، فأمرته بتقوى الله عز وجل كان أوجب علىَّ، فنزل من الجبل، فقال له: يا هذا اتق الله.

فقال له الجبار: يا كلب مثلك يأمرنى بتقوى الله، لأعذبنك عذاباً لم يُعَذِّب به أحدٌ من العالمين، فأمر به أن يسلخ من قدميه إلى رأسه وهو حَىٌّ، فسُلِخَ، فلما بلغ بطنه أنَّ أنةً، فأوحى الله تعالى إليه: عقيب، اصبر أخرجك من دار الحزن إلى دار الفرح، ومن دار الضيق إلى دار السعة، فلما بلغ السلخ إلى وجهه صاح، فأوحى الله إليه: عقيب، أبكيت أهل سمائى وأهل أرضى، وأذهلت ملائكتى عن تسبيحى، لأن صحت الثالثة لأصبن عليهم البلاء صبًّا، فصبر حتى سُلِخَ وجهه مخافة أن يأخذ قومه العذاب.

* * *

الحكاية الثمانون

قصة الأعرابي وعتقه الجارية

حدثنا الأصمعى حدثنا شبيب بن شيبة الخطيب قال: كنا بطريق مكة وبين أيدينا سُفْرَة لنا نتغذى فى يوم قائظ[(٢)]، فوقف علينا أعرابى ومعه جارية له زنجية، فقال: يا قوم، أفيكم أحد يقرأ كلام الله، حتى يكتب لى كتاباً. فقلت له: أصب من غدائنا حتى نكتب لك ما تريد. فقال: إنى صائم.

فعجبنا من صومه فى البَرِّيَّة، فلما فرغنا من غدائنا دعونا به، فقلنا: ما تريد؟ فقال: أيها الرجل، إن الدنيا قد كانت ولم أكن فيها، وستكون ولا أكون فيها، وإنى أردت أن أعتق جاريتى هذه لوجه الله عز وجل وليوم العقبة، تدرى ما يوم العقبة؟ العقبة قوله عز وجل: ﴿فَلاَ اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ. فَكُّ رَقَبَةٍ﴾[(٣)]. اكتب ما أقول لك، ولا تزيدن علىَّ حرفاً، هذه فلانة خادمة فلان، قد أعتقتها لوجه الله عز وجل ليوم لعقبة.

قال شبيب: فقدمت البصرة، وأتيت بغداد، فحدَّثت بهذه الحديث المهدى. قال: مائة نسمة تعتق على عُهْدَة الأعرابى.

---

(١) جمع مثلة، وهى العقوبة.

(٢) شديد الحر.

(٣) سورة البلد، الآيات ١١-١٣.

الحكاية الحادية والثمانون

حكاية العقرب مع الحية

حدثنا يوسف بن الحسن قال: كنت مع ذى النون المصرى على شاطئ غدير، فنظرت إلى عقربٍ أعظم ما تكون على شط الغدير واقف، فنظر فإذا بضفدع قد خرج من الغدير، فركبتها العقرب، فجعلت الضفدع تسبح حتى عبرت.

فقال ذو النون المصرى: إن لهذه العقرب شأناً، فامض بنا، فجعلنا نقفو أثرها، فإذا رجل نائم سكران، وإذا حَيَّة قد جاءت، فصعدت من ناحية سرته إلى صدره، وهى تطلب أذنه، فاستحكمت العقرب من الحية، فضربتها، فانقلبت، وانفسخت، ورجعت العقرب إلى الغدير، فجاءت الضفدع، فركبتها، فعبرت.

فحرك ذو النون الرجل النائم، ففتح عينيه، فقال: يا فتى، انظر مما نجاك الله، هذه العقرب جاءت فقتلت هذه الحية التى أرادتك، ثم أنشأ ذو النون يقول:

يا غافلاً والجليل يحرسه ... من كل سوء يدور فى الظُّلَم

كيف تنام العيون عن مَلِك ... يأتيك منه فوائد النعم

فنهض الشاب، وقال: إلهى هذا فعلك بمن عصاك، فكيف رفقك بمن يطيعك؟! ثم ولى، فقلت: إلى أين؟ قال: إلى البادية، والله لا عدت إلى المُدُن أبداً.

* * *

الحكاية الثانية والثمانون

قصة الرجل الذي في الكهف

حدثنا محمد بن أبى عبد الله الخزاعى قال: حدثنى رجل من أهل الشام أنه دخل كهف جبل فى ناحية عن طريق الناس، فإذا هو بشيخ مكبوب على وجهه، وإذا هو يقول: إن كنتَ أطلت جهدى فى دار الدنيا، وتطيل شقائى فى الآخرة، لقد أهملتنى وأسقطتنى من عينك أيها الكريم!.

قال: فسلمت، فرفع رأسه، فإذا دموعه قد بَلّت الأرض، فقال: ألم تكن الدنيا واسعة؟! وأهلها لكم أناساً؟!

فلما رأيت من عقله ما رأيت قلت: رحمك الله! اعتزلت الناس، واعتزلت فى هذا الموضع؟!

فقال: وأنت ابن أخى فجئت، ما ظننت أنه أقرب لك إلى الله، فابتغ إلى ذلك سبيلاً،

فلن تجد مبتغاه من غيره عوضاً.

قلت: فالمطعم؟ قال: أَقِلَّ ذلك عند الحاجة إليه، وإنا إذا أردنا ذلك تنبت الأرض وقلوب الشجر.

فقلت: ألا أخرجك من هذا الموضع، فآتى بك أرض الريف والخصب؟ فبكى ثم قال: إنما الريف والخصب حيث يطاع الله عز وجل، وأنا شيخ كبير أموت الآن، لا حاجة لى فى الناس.

* * *

الحكاية الثالثة والثمانون

حكاية الراهب مع الإسكافي

حدثنا مخلد بن الحسن عن الخلد بن أيوب قال: كان عبد من بنى إسرائيل فى صومعة ستين سنة، وإنه أُتِىَ فى منامه فقيل له: إن فلاناً الإسكافى خير منك!.

فلما انتبه قال: رؤيا، ثم سكت. فلما كان فى القائلة رأى مثل ذلك، فلم يزل يرى مثل ذلك فى منامه مراراً، فنزل عن صومعته، فأتى الإسكافى، فلما رآه الإسكافي قام من عمله، وجعل يتمسح به، وقال له: ما أنزلك من صومعتك؟ قال: أنت أنزلتنى، أَخبِرْنِى ما عملك؟ فكأنه كَرِهَ أن يخبره، ثم قال: أجل أعمل النهار وأكسب، فما رزق الله من شيء أتصدق بنصفه، وآكل مع عيالى النصف، وأصوم النهار، فانطلق مِنْ عنده، فلما كان بعد ذلك قيل للراهب: سَلْه مِمَّ صفرة وجهه؟ فأتاه، فقال: مِمَّ صفرة وجهك؟ فقال: إنى رجل لا يكاد يُرفع لى أحد إلا ظننت أنه فى الجنة وأنا فى النار.

قال: فإنما فُضِّلَ على الراهب بإزرائه على نفسه.

* * *

الحكاية الرابعة والثمانون

رؤيا لرابعة العدوية بعد موتها

حدثنا عيسى بن مرحوم العطار قال: حدثتنى عبدة بنت أبى شوال، وكانت من جياد إماء الله، وكانت تخدم رابعة قال: كانت رابعة تصلى الليل كله، فإذا طلع الفجر هجعت فى مصلاها هجعة خفيفة، حتى يُسْفِرَ الفجر، فكنت أسمعها تقول إذا وثبت من مرقدها ذلك –وهى فزعة–: يا نفس كم تنامين؟! وإلى كم تقومين؟! يوشك أن تنامى نومةً لا تقومى منها إلا لصرخة يوم النشور.

قالت: فكان هذا دأبها دهرها، حتى ماتت، فلما حضرتها الوفاة دعتنى، فقالت: يا

عبدة، لا تُؤْذِنِي بموتي، وكَفِّنِينِي في جبتي هذه -جبة من شعر[١] كانت تقوم فيها إذا هدأت العيون -.

قالت: فكفناها في تلك الجبة، وفي خمار صوف كانت تلبسه. قالت عبدة: فرأيتها بعد ذلك بسنةٍ -أو نحوها - في معانٍ، وعليها حلة إستبرق خضراء وخمار من سندس أخضر لم أر شيئاً قط أحسن منه!.

فقلت: يا رابعة، ما فَعَلَتِ الجُبَّة التي كفنَّاك فيها والخمار الصوف؟ قالت: إنه والله نُزِعَ عني، وأُبْدِلْتُ به هذا الذي ترينه عليَّ، وطُوِيَتْ أكفاني، وخُتِمَ عليها، ورُفِعَتْ في عِلِّيين ليكمل لي بها ثوابها يوم القيامة.

فقلت لها: لهذا كنتِ تعملين أيام الدنيا؟ قالت: وما هذا عندما رأيت من كرامة الله عز وجل لأوليائه؟! قالت: فقلت: ما فَعَلَتْ عبيدة بنت أبي كلاب؟ فقالت: هيهات! هيهات! سبقتنا والله إلى الدرجات العلى. قالت: قلت: وبِمَ؟ وقد كنتِ عند الناس أكبر منها؟! قالت: إنها لم تكن تبالي على أي حال أصبحت من الدنيا وأمست.

قالت: فقلت: ما فعل أبو مالك -يعني ضيغماً -؟ قالت: يزور الله عز وجل متى شاء؟ قالت: فقلت: فما فعل بشر بن منصور؟ فقالت: بخٍ! بخٍ! أُعْطِيَ والله فوق ما كان يأمل. قالت: فقلت: فمريني بأمر أتقرب به إلى الله عز وجل؟ قالت: عليكم بكثرة ذكر الله، أوشك أن تغتبطي بذلك في قبرك[٢].

* * *

الحكاية الخامسة والثمانون

قصة عجيبة لأبي مسلم الخولاني

عن عطاء عن أبيه قال: قالت امرأة أبي مسلم الخولاني: أبا مسلم، ليس لنا دقيق؟ فقال: عندك شيء؟ قالت: درهم بعنا به غزلاً.

---

(١) صوف.

(٢) حوت هذه الحكاية -وغيرها كثير من حكايات الصوفية - على أحداث تتعلق بالأمور السمعية والدار الآخرة، والمعروف ان المنامات لا يُعَوَّل عليها في مثل هذه الأمور التي تستقى من الشرع قرآناً وسُنَّة، وقد أمرنا الشارع أن لا ندخل أحدًا من أهل القبلة في الجنة أو في النار، وما يراه البعض من رؤى - على فرض صدقها وصحتها- فالواجب أن لا ينظر إليها على أنها أحكام شرعية، وإنما هي فقط مجرد رؤى يُستبشر بها إن كانت صالحة، ولا تُتَّخذ ذريعة لتمجيد أشخاص وتعظيمهم، لأن هذا مخالف للشرع، ويأباه العقل.

قال: ابغينيه وهاتِ الجراب، فدخل السوق، فوقف على رجل يبيع الطعام، فوقف عليه سائل، فقال: يا أبا مسلم، تَصَدَّقْ علىَّ، فهرب منه، وأتى حانوتاً آخر، فتبعه السائل، فقال: تَصَدَّقْ علينا فلما أضجره أعطاه الدرهم، ثم عمد إلى الجراب، فملأه من نحاتة النجارين مع التراب، ثم أقبل إلى باب منزله، فنقر الباب -وقلبه مرعوب من أهله، فلما فتح الباب رمى بالجراب وذهب، فلما فتحت الجراب إذا هى بدقيق حوارى[1]، فعجنت وخبزت. فلما ذهب من الليل الهوِّى[2] جاء أبو مسلم، فنقر الباب، فلما دخل وَضَعَتْ بين يديه خوانًا وأرغفة حوارى، فقال: من أين لكم هذا؟ قالت: يا أبا مسلم، من الدقيق الذى جئت به. فجعل يبكى ويأكل.

* * *

الحكاية السادسة والثمانون

حديث ذى النون

حدثنا سعيد بن عثمان، قال ذو النون: كنتُ سائراً فى بعض الخلوات، فخرجتُ إلى ساحل البحر، فنظرت إلى تعطمط[3] اليم وتلاطم الأمواج، فجعلت أنظر كيف يضرب بعضه بعضاً، وينقدح منه مثل شعاع النار، وكان يوماً صائفاً شديداً حره، فنزلت أريد الماء، فإذا أنا بشخص كالشىء البالى واقف يصلى، قد اتَّزر بمآزر الأحزان، وارتدى بأردية الأشجان، وتسربل بالهموم، فسلمت، فأوجز فى صلواته، ورد علىَّ، فقال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا ذا النون، قلت: حبيبى من أين علمت أنى ذو النون؟ فقال: عرفت روحى روحك بفسخ رتق انفتاق حجب القلوب!. فقلت: يا هذا إنى أراك وحيداً؟ فقال: وما الإنسان بغير الله إلا نقص فى التوكل. فقلت: أما تنظر تعطمط هذا اليم وتلاطم هذه الأمواج؟ كيف يضرب بعضه بعضاً ويقدح مثل شعاع النار؟ فقال: هو ذا أنظر إليه، وأحسبك عطشاناً، فقلت: دلنى على الموضع الذى يشرب منه الماء حتى أشرب، فقال: إن لله عباداً سقاهم بكأس الود شربةً، فذاقوا منها طعم لباب المعرفة والمحبة، فقلت: ومن لى بذاك؟ قال: أولئك أقوام لقوه بأنفس روحانية وقلوب سماوية وهموم مرضية، فلو رأيتهم لرأيت أنفساً جزعة وقلوباً فزعة وأعيناً دمعة، أولئك الذين أخلصوا فاسْتُخِصُّوا، وعقلوا فعلموا، ووجدوا فرحلوا ؛ فانفتح لهم نور القلوب فنظروا بأماق[4] فى باطن ضمير مكنون خفى الأسرار إلى

---

(١) ناعم منخول.

(٢) الهوي بالفتح الحين الطويل من الزمان، وقيل هو مختص بالليل.

(٣) هكذا فى الأصل.

(٤) مَأْق العين، ومُؤْقُها ومُؤْقِيها وماقِيها وماقُها ومُوقِئُها ومَأْقِيها ومُوقُها وأُمْقُها ومُقْيُتُها، بضمهما:=

عرصة[١] النور، فقلت: صف المحبة. فقال: إن المحب لله قد غرق فى بحار الحزن حتى وصل إلى قرار الكمد[٢] ولا شيء أكمد للقلوب من خوف الفراق، والمحب لله لم يعظم عنده جنة ولا نار، ثم شهق فمات رحمه الله.

* * *

الحكاية السابعة والثمانون
حكاية العابد الذى فى الجبل

حدثنا أحمد بن سهل قال: حدثنا أبو فروة السابح وكان والله من العاملين لله بمحبته قال: بينا أنا أطوف فى بعض الجبال سمعت صوتاً وراء جبل، فقلت: إن هاهنا لأمر، فاتبعت الصوت فإذا بهاتف يهتف: يا من أنسنى بذكره، وأوحشنى من خلقه، وكان لى عند مسرتى أرحم اليوم عبرتى، وهب لى من معرفتك ما ازداد به تقرباً إليك، يا عظيم الصنيعة إلى أوليائه، اجعلنى اليوم من أوليائك المتقين.

قال: ثم سمعت صرخة، ولم أرَ أحداً، فأقبلت نحوها، فإذا أنا بشيخ مَغْشِيٌ عليه، وقد بدا بعض جسده، فغطينه، ثم لم أزل عنده حتى أفاق، فقال: مَنْ أنت رحمك الله؟! فقلت: رجل من بنى آدم. قال: إليكم عنى! فمنكم هربت، ثم بكى، وقام، فانطلق، وتركنى، فقلت: رحمك الله! دلنى على الطريق، فأومأ بيده إلى السماء، فقال: ها هنا.

* * *

الحكاية الثامنة والثمانون
قصة العابد الذي هَمَّ بالمعصية

عن عبد الرحمن بن زيد بن بأسلم عن أبيه قال: كان فى بنى إسرائيل رجل يتعبد فى صومعته، فمكث كذلك زماناً طويلاً، فأشرف ذات يوم فإذا هو بامرأة، ففُتِنَ بها وهم بها، فأخرج رجله لينزل إليها، فأدركه الله بسابقة، فقال: ما هذا الذى أريد أن أصنع، ورَجَعَتْ إليه نفسه، وجاءته العصمة ؛ فندم، فلما أراد أن يُعِيدَ رجله فى الصومعة قال: هيهات! هيهات! رِجْلٌ خرجت تريد تعصى الله تعود معى! لا يكون ذلك والله أبداً![٣]، فتركها -والله- مُعَلَّقه من الصومعة تصيبها الأمطار والرياح والشمس

-طَرَف العين مما يَلِي الأَنْفَ، وهو مَجْرَى الدَّمْعِ من العَيْنِ، أو مُقَدَّمُها، أو مُؤَخَّرُها، ج: آماقٌ وأمْآقٌ ومَواق ومَآق.

(١) العَرْصَةُ: كلُّ بُقْعَةٍ بيْنَ الدُّورِ واسِعَةٍ ليس فيها بِناءٌ ج: عِراصٌ وعَرَصاتٌ وأعْراص.

(٢) شدة الحزن.

(٣) هذا من المبالغة الممقوتة التى يرفضها الشرع، وهى أيضًا تتنافى مع العقل!.

والثلج؛ حتى تقطعت فسقطت، فشكر الله له ذلك، فأُنْزِلَ في بعض الكتب: وذو الرجل، ذكره بذلك.

* * *

الحكاية التاسعة والثمانون

رؤيا رجل صالح

حدثنا السَّرِيُّ بن يحيى عن والان بن عيسى أبي مريم، وكان من الصالحين قال: اغترنى القمر لَيلة، فخرجت إلى المسجد، فصلّيت ما قضى الله لى وسبَّحت، فغلبتنى عيناى، فرأيت جماعة علمت أنهم ليسوا من الآدميين بأيديهم أطباق عليها أرغفة ببياض الثلج، فوق كل رغيف درة أمثال الرمان، فقالوا: كُلْ، قلتُ: إنى أريد الصوم. قالوا: يأمرك صاحب هذا البيت أن تأكل، فأكلت، وجعلتُ آخذ ذلك الدُّر لأحتمله، فقيل لى: دَعْه نَغْرِسْه لك شجراً تُنبت لك خيراً من هذا! فقلت: أين؟ فقيل: فى دار لا تخرب، وتثمر ولا تتغير، ومُلْك لا ينقطع، وثياب لا تَبْلى، فيها رضوى وعَيْن وقرة العين أزواج رضيات مرضيات راضيات، لا يُغِرْنَ ولا يَغَرْنَ، فعليك بالانكماش فيما أنت فيه، فإنما هى غفوة حتى ترتحل، فتنزل الدار، فما مكث إلا جمعتين حتى توفى.

قال السرى بن يحيى: فرأيته فى الليلة التى توفى فيها، وهو يقول لى: ألا تعجب من شجر غرس لى يوم حدَّثْتك وقد حمل؟! قلت: بماذا حمل؟ قال: لا تسأل ما لا يقدر أحد على صفته، لم يُرَ مِثْل الكريم إذا حلَّ به مطيع.

* * *

الحكاية التسعون

موعظة ابن زياد الأوزاعي

حدثنا محمد بن إدريس قال: سمعت أبا صالح -كاتب الليث - يذكر عن الهقل بن زياد الأوزاعى أنه وعظ، فقال فى موعظته: أيها الناس، تَقَوُّوا بهذه النِّعَم التى أصبحتم فيها على الهرب من نار الله - جل وعز- الموقدة التى تطلع على الأفئدة، فإنكم فى دار الثواء فيها قليل وأنتم فيها مُؤَجَّلُون خلائف من بعد القرون الذين استقبلوا من الدنيا أنفها وزهرتها، فهم كانوا أطول منكم أعماراً وأمد أجساماً وأعظم آثاراً، فخددوا[١] الجبال، وجابوا[٢] الصخور، ونَقَّبُوا فى البلاد مؤيدين ببطش شديد وأجسام كالعماد،

---

(١) حفروا وشقوا.

(٢) قطعوا.

فما لبثت الأيام والليالى أن طوت مددهم، وعفت[(١)] آثارهم، وأخربت ديارهم، وأنست ذكرهم، فما تحس منهم من أحد ولا تسمع لهم ركزاً، كانوا بلَهْو الأمل آمنين، لثياب قوم غافلين أو لصاح قوم نادمين، ثم إنكم قد علمتم الذى نزل بساحتهم بياتاً من عقوبة الله عز وجل، فأصبح كثير منهم فى ديارهم جاثمين، وأصبح الباقون ينظرون فى آثار نقمة وزوال نعمة ومساكن خاوية فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم، وعبرة لمن يخشى، وأصبحتم من بعدهم فى أجل منقوص ودنيا مقبوضة، فى زمان قد ولّى عفوه وذهب رخاؤه، فلم يبق منه إلا جُمَّة[(٢)] شر وصبابة[(٣)] كدرٍ وأهاويل عِبَر وعقوبات غِيَر وإرسال فتن وينابيع زلال ورذالة خَلَفٍ، بهم ظهر الفساد فى البر والبحر، فلا تكونوا أشباهاً لمن خدعه الأمل، وغرَّه طول الأجل، ويبلغ بالأمانى، فنسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن وعى نذره وانتهى، وعقل سراه ؛ فمهَّد لنفسه.

* * *

الحكاية الحادية والتسعون

حكاية رجل صابر على البلاء

حدثنا محمد بن معاوية الأزرق قال: حدثنى شيخ لنا قال: التقى يونس وجبريل عليهما السلام فقال يونس: يا جبريل دلنى على أعبد أهل الأرض؟ قال: فأُتِيَ به على رجل قد قَطَعَ الجذام يديه ورجليه، وهو يقول: متعتنى بهما حيث شئت، وسلبتهما حيث شئت، وأبقيت لى فيك الأمل، يا بار يا وصول.

قال يونس: يا جبريل إنما سألتك أن ترينيه صوَّاماً قوَّاماً. فقال: إن هذا كان قبل البلاء هكذا، وقد أُمِرْتُ أن أسلبه بصره.

قال: فأشار إلى عينيه، فسالتا، فقال: متعتنى بهما حيث شئت، وسلبتهما حيث شئت، وأبقيت لى فيك الأمل، يا بار، يا وصول.

فقال جبريل: هلم تدعو الله وندعوه معك ؛ فيرد عليك يديك ورجليك وبصرك ؛ فتعود إلى العبادة التى كنتَ فيها!

قال: ما أحب ذلك! قال: ولِمَ؟ قال: أمَّا إذا كانت محبته فى هذا فمحبته أحب إلىَّ من ذلك.

---

(١) غَطَّتْ وطمست.

(٢) الجمة: مجتمع شعر الرأس، ويعنى بجمة الشر: كثرته وقلة الخير.

(٣) الصبابة: البقية القليلة من الشىء.

قال يونس: يا جبريل ما رأيت أحداً أعبد من هذا قط!

قال جبريل: يا يونس، هذا طريق لا يوصل إلى الله تعالى بشيء أفضل منه.

* * *

الحكاية الثانية والتسعون
من حكايات لقمان مع ابنه

عن سعيد بن المسيب قال: قال لقمان لابنه: يا بني، لا ينزلن بك أمر رضيته أو كرهته إلا جَعَلْتَ في الضمير منك إن ذلك خير لي!.

قال: أمّا هذه فلا أقدر أن أعطيكها دون أن أعلم ما قلتَ أنه كما قلتَ.

قال: يا بني، فإن الله قد بعث نبياً هَلُمَّ بنا حتى نأتيه، فعنده بيان ما قلتُ لك، قال: اذهب بنا يا أبه، فخرج هو على حمار وابنه على حمار، وتزودوا ما يصلحهما، ثم سارا أياماً وليالي حتى تلقتهما مفازة[1]، فأخذا أهبتهما لها، فدخلاها، فساروا ما شاء الله أن يسيرا حتى ظهرا وقد تعالى النهار واشتد الحر ونفذ الماء والزاد، واستبطآ حماريهما، فنزل لقمان، ونزل ابنه، فجعلا يعتدان[2] على سوقهما، فبينما هما كذلك نظر لقمان أمامه فإذا سواد ودخان، فقال في نفسه: السواد شجر، والدخان عمران وناس، فبينما هما يشتدان وطئ ابن لقمان على عظمة نأت على الطريق، فدخلت في باطن القدم حتى ظهر من أعلاها، فَخَرَّ ابن لقمان مغشيًّا عليه، فحانت من لقمان التفاتة، فإذا هو بابنه صريع، فوثب إليه، فضمَّه إلى صدره، واستخرج العظم بأسنانه، وشق عمامة كانت عليه، فرأب بها رجله، ثم نظر إلى وجه ابنه، فذرفت عيناه، فقطرت قطرة من دموعه على خد الغلام، فانتبه لها، فنظر إلى أبيه، وهو يبكي، فقال: يا أبه، تبكي وأنت تقول هذا خير لي، كيف يكون هذا خير لي وقد نفد الطعام والماء، وبقيت أنا وأنت في هذا المكان؟! فإن ذهبت وتركتني على حالي ذهبت بهمٍ وغمٍ ما بقيتَ، وإن بقيتَ معي متنا جميعاً، فكيف يكون هذا خيراً؟!

قال: أما بكائي يا بني فوددت أني أفديك بجميع حظي من الدنيا، ولكني والد، ومني رِقَّة الوالد، وأما قولك كيف يكون هذا خيراً لي، فلعلَّ ما صُرِفَ عنك يا بني أعظم مما ابتُليتَ به، ولعل ما ابتليت به أيسر مما صُرِفَ عنك، فبينا هو يحاوره نظر لقمان أمامه، فلم ير ذلك الدخان والسواد، فقال في نفسه: لم أره؟! قال: قد رأيت، ولكن

---

(١) صحراء.

(٢) يجريان.

لعلَّ ربى أن يكون قد أحدث بما رأيت شيئاً، فبينا هو يتفكر فى هذا نظر أمامه، فإذا هو بشخص قد أقبل على فرس أبلق، عليه ثياب بياض وعمامة بيضاء يمسح الهـواء مسحاً، فلم يزل يرمقه بعينه حتى كان قريباً منه، فتوارى عنه، ثم صاح به فقـال: أنـت لقمـان؟ قال: نعم.

قال: أنت الحكيم؟ قال: كذلك يقال.

قال: ما قال لك ابنك هذا السَّفيه؟ قال: يا عبد الله، مَنْ أنت أسمع كلامـك ولا أرَ وجهك؟!

قال: أنا جبريل لا يرانى إلا مَلَكٌ مُقَرَّب أو نبى مرسل، لولا ذلك لرأيتنى. قال: فمـا قال لك ابنك هذا السفيه؟ قال لقمان فى نفسه: إن كنتَ أنت جبريل، فـأنت أعلـم بما قاله ابنى منى.

فقال: جبريل: ما لى بشىء من أمركما علم إلا أن حَفَظَتَكُمَا[1] أتونـى، وقـد أمرنـى ربى بخسف هذه المدينة ومـا يليهـا ومـن فيهـا، فـأخبرونى أنكمـا تريـدان هـذه المدينـة، فدعوت ربى أن يحبسكما عنى بما شاء، فحبستكما عنى بمـا ابتلـى بـه ابنـك، ولـولا مـا ابتلى به ابنك لخسفت بكما مع مَنْ خسفتَ.

قال: ثم مسح جبريل يده على قدم الغلام ؛ فاستوى قائماً، ومسح يـده علـى الـذى كان فيه الطعام ؛ فامتلأ، ومسح يده على الذى كان فيه الماء ؛ فامتلأ مـاء، ثـم حملهمـا وحماريهما، فإذا هما فى الدار التى خرجا منها.

* * *

الحكاية الثالثة والتسعون

حكاية ذي النون مع الشاب الذي في العريش

حدثنا يوسف بن الحسين قال: سمعت ذا النون يقول: بينا أنا أسير على جبـل لبنـان فى جوف الليل إذ أنا بعريش من ورق البلوط، وإذا بشاب قد أخرج رأسه من العريـش بوجه أحسن من القمر، فقال: شهد لك قلبى فى النـوازل بمعرفـة درجـة التفضيـل لـك، وكيف لا يشهد لك قلبى بذلك، ولا يحسن قلبى إن يألف غيرك، هيهـات! لقـد خـاب لديك الْمُقَصِّرون عنك، ثم أدخل رأسه فى عريشه، وفاتنى كلامه، فلم أزل واقفـاً إلى أن طلع الفجر، ثم أخرج رأسه، فنظـر إلى القمـر، فقـال: أشرقت بنـورك وأنـارت بنـورك الظلمات، وحجبت جلالك عن العيون، فوصلت ببحر معارف القلوب.

---

(١) أى: الملائكة الموكلة بحفظكما.

ثم قال: بالتجائى إليك فى حزنى لتنظر إلىَّ نظرة مَنْ ناديته فأجاب، فوثبت إليه، فسلَّمت عليه، فردَّ علىَّ السلام، فقلت: يرحمك الله أسألك عن مسألة؟ قال: لا. قلت: ولِمَ ذاك؟ قال: ما خرج روعك من قلبى! قلت: حبيبى، وما الذى أفزعك منى؟ قال: بطالتك فى يوم شغلك، وتركك الزاد ليوم معادك، وقُوَّتُك على الظنون يا ذا النون، فصرخت، ووقعت مَغْشِيًا علىَّ، فما أفقت إلا بِحَرِّ الشمس، فرفعت رأسى، فلم أره، ولا العريش!، فسرتُ وفى قلبى منه حسرة.

* * *

الحكاية الرابعة والتسعون

هذه الدنيا فاحذروها

حدثنا جرير عن ليث قال: صحب رجل عيسى بن مريم، فانطلقا، فانتهيا إلى شط نهر، فجلسا يتغديان ومعهما ثلاثة أرغفة، فأكلا رغيفين، وبقى رغيف، فقام عيسى إلى النهر، فشرب، ثم رجع، فلم يجد الرغيف، فقال للرجل: مَنْ أخذ الرغيف؟ قال: لا أدرى. فانطلق ومعه صاحبه، فرأى ظبية ومعها خَشَفَان[١]، فدعا أحدهما، فأتاه، فذبحه فاشتوى منه، فأكل هو وذلك الرجل، ثم قال: للخشف: قُمْ بإذن الله، فقام، فذهب، فقال: للرجل: أسألك بالذى أراك هذه الآية مَنْ أخذ الرغيف؟ قال: ما أدرى، ثم انتهيا إلى ماء، فأخذ عيسى بيد الرجل، فمشيا على الماء، فلما جاوزا قال: أسألك بالذى أراك هذه الآية مَنْ أخذ الرغيف؟ قال: لا أدرى، فانتهيا إلى مفازة، فجلسا، فأخذ عيسى تراباً - أو كثيباً - ثم قال: كُنْ ذهباً بإذن الله، فصار ذهباً، فقسَّمه ثلاث أثلاث، فقال: ثلث لى، وثلث لك، وثلث للذى أخذ الرغيف. قال: أنا أخذت الرغيف.

قال: فكُلُّه لك، وفارقه عيسى، فانتهى إليه رجلان فى المفازة ومعه المال، فأرادا أن يأخذاه منه ويقتلاه. فقال: هو بيننا أثلاثاً. قال: فابعثوا أحدكم إلى القرية حتى يشترى طعاماً، قال: فبعثوا أحدهم، فقال: الذى بُعِثَ: لأى شيء أقاسم هؤلاء هذا المال، لكنى أضع فى هذا الطعام سُمًّا، فأقتلهما، ففعل وقال: ذانك: لأى شيء نجعل له ثلث المال، ولكن إذا رجع إلينا قتلناه، وقسَّمناه بيننا، فلما رجع إليهما قتلاه، وأكلا الطعام، فماتا، فبقى ذلك المال فى المفازة، وأولئك قتلى عنده.

قال: عبد الله بن محمد: وفى غير حديث إسحق بن إسماعيل: فمر بهما عيسى على تلك الحال، فقال: هذه الدنيا فاحذروها[٢].

---

(١) الخَشْفُ، مُثَلَّثَةً: وَلَدُ الظَّبْيِ أوَّلَ ما يُولَدُ، أو أوَّلَ مَشْيِهِ، أو التي نَفَرَتْ من أولادِها وتَشَرَّدَتْ.

(٢) أورد السيوطى هذه الحكاية في تفسيره الدر المنثور، وعزاها إلى ابن جرير عن السدي وابن عساكر من طريق السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس.

الحكاية الخامسة والتسعون

من مواعظ إبراهيم بن أدهم

حدثنا إبراهيم بن بشار الخراسانى قال: خرجت أنا وإبراهيم بن أدهم وأبو يوسف الغسولى وأبو عبد الله السنجارى يريد الإسكندرية، فمررنا بنهر الأردن، فقعدنا نستريح، وكان مع أبى يوسف كسيرات يابسات، فألقاها بين أيدينا، فأكلناها وحمدنا الله عز وجل، فقمت أسعى لأتناول ماءً لإبراهيم، فبادر إبراهيم فدخل النهر حتى بلغ الماء إلى ركبتيه، فقال: بكفيه فى الماء، فملأها، ثم قال: بسم الله، وشرب الماء، ثم قال: الحمد لله، ثم إنه أخرج من النهر، فمد رجليه، ثم قال: يا أبا يوسف لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم والسرور لجالدونا بالسيوف أيام الحياة على ما نحن فيه من لذيذ العيش وقلة التعب.

فقلت له: يا أبا إسحاق، طلب القوم الراحة والنعيم، فأخطئوا الطريق المستقيم، فتبسم وقال: من أين لك هذا الكلام؟ قال: إبراهيم بن بشار: وأمسينا مع إبراهيم بن أدهم ليلة، وليس معنا شيء نفطر عليه، ولا لنا حيلة، فرآنى مغتماً حزيناً، فقال: يا بن بشار ماذا أنعم الله على الفقراء والمساكين من النعيم والراحة؟! لا يسألهم يوم القيامة عن زكاة ولا حج ولا عن صدقة ولا عن صلة رحم ولا عن مواساة، وإنما يسأل ويحاسب فيها هؤلاء المساكين، أغنياء فى الدنيا فقراء فى الآخرة، أعزة فى الدنيا أذلة فى الآخرة، لا تغتم ولا تحزن، فرزق الله مضمون سيأتيك، نحن والله الملوك الأغنياء، نحن الذين قد تعجلنا الراحة فى الدنيا، لا نبالى على أى حال أصبحنا وأمسينا ذا أطعنا الله عز وجل، ثم قام إلى صلاته، وقمت إلى صلاتى، فما لبثنا إلا ساعة، وإذا نحن برجل قد جاء بثمانية أرغفة وتمر كثير، فوضعه بين أيدينا، وقال: كلوا رحمكم الله. قال: فسلَّم، وقال: كُلْ يا مغموم.

فدخل سائل، فقال: أطعمونا شيئاً، فأخذ ثلاثة أرغفة مع تمر، فدفعها إليه، وأعطانى ثلاثه، وأكل رغيفين، وقال: المواساة من أخلاق المؤمنين.

قال ابن بشار: وقلت لإبراهيم بن أدهم: أَمُـرَّ اليوم أعمـلِ فـى الطين. فقال: يابن بشار، إنك ومطلوب يطلبك مَنْ لا تفوته، وتطلب ما قد كُفِيتَه، كأنك بما قد غاب قد كُشِفَ لك، وبما أنت فيه قد نُقِلَ عنك، يابن بشار، إنك لم تر حريصاً محروماً ولا ذا فاقة مرزوقاً، ثم قال لى: ما لك حيلة؟ فقلت: لى عند البقال: دانق. فقال: عز علىَّ بك! تملك دانقاً وتطلب العمل[1].

---

(١) هذا يخالف الشرع الذى أمر بالسعى على المعاش، وحث على العمل، وكسب المال الحلال،=

قال ابن بشار: ومضيت مع إبراهيم بن أدهم إلى طرابلس، ومعى رغيفان، ما لنا شيء غيرهما، وإذا سائل سأل، فقال لى: ادفع إليه ما معك، فتَلَبَّثتُ، فقال: ما لك؟ أعطه، فأعطيته وأنا متعجب من فعله، فقال: يا أبا إسحاق إنك تلقى غداً مَنْ لم تلقه قط، إنك تلقى ما سلفتَ، ولا تلقى ما خلَّفتَ ؛ فمَهِّدْ لنفسك، فإنك لا تدرى متى يفجأك أمر ربك.

قال: فأبكانى كلامه، وهوَّن علىَّ الدنيا، فلما نظر إلىَّ أبكى قال: هكذا فكن.

قال ابن بشار: وبينا نحن فى بعض السياحة أنا وإبراهيم بن أدهم والغسولى والسنجارى مررنا بمقبرة، فتقدم إلى قبر، فوضع يده عليه، ثم قال: رحمك الله يا فلان، ثم تقدم إلى آخر، فقال: مثل ذلك، فعل ذلك بسبعة من القبور، ثم قام قائماً بين تلك القبور، فنادى: يا فلان بن فلان -بأعلى صوته- لقد مُتُّمْ وخلفتمونا، ونحن بكم سريعاً لاحقون، ثم بكى، حتى عرق فى فكره، ثم رجع بعد ساعة، فأقبل إلينا بوجهه ودموعه تنحدر كاللؤلؤ الرَّطِب، فقال: إخوتى، عليكم بالمبادرة والجد والاجتهاد، سارعوا وسابقوا، فإن نعلاً سبقت أو فقدت أختها سريعة اللحاق بها.

* * *

الحكاية السادسة والتسعون
حكاية أبو الحسن الفقيه مع الأمير طولون

حدثنا أبو الحسن الفقيه الصفار قال: كنا عند الحسن بن سفيان النسوى الإمام، وقد اجتمع إليه طائفة من أهل الفضل ارتحلوا إليه من أطباق الأرض والبلاد البعيدة لاقتباس العلم وكتابة الحديث، فخرج يوماً إلى مجلسه الذى كان يُملى فيه الحديث، فقال: اسمعوا ما أقول لكم قبل أن نشرع فى الإملاء، قد علمنا أنكم من أبناء النِّعَم وأهل الفضل، هجرتم أوطانكم، وفارقتم دياركم فى طلب العلم واستفادة الحديث، فلا يخطرن ببالكم أنكم قضيتم بهذا على التحشم للعلم حقاً، أو أديتم ما تحملتم من الكلف والميثاق من فرضه فرضاً، فإنى أحدثكم ببعض ما تحملته فى طلب العلم من المشقة والجهاد وما كشف الله عنى وعن أصحابى ببركة العلم وصفوة العقيدة من الفتك والضيق ؛ اعلموا أنى كنت فى عنفوان شبابى ارتحلت من وطنى لطلب العلم واستملاء الحديث، فاتفق حصولى بمصر فى تسعة نفر من أصحابى طلبة العلم وسامعى الحديث، وكنا نختلف إلى شيخ كان أرفع أهل عصره فى العلم منزلة وأرواهم للحديث وأعلاهم

=وحذَّر من الكسل وسؤال الناس، وأن يكون الرجل عالة على غيره، ولم يؤثر عن رسول الله ﷺ ولا عن أحد من أصحابه مثل ذلك.

إسناداً وأصحهم رواية، فكان يملى علينا كل يوم مقداراً يسيراً من الحديث، حتى طالت المدة، وخفت النفقة، ودعتنا الضرورة إلى بيع ما صحبنا من ثوب وخرقة، إلى أن لم يبق لنا قوت يوم، فطوينا ثلاثة أيام بلياليهن، وأصبحنا بكرة اليوم الرابع، ولا حَوْلَ بأحد منا من الجوع.

فأحوجت الضرورة إلى كشف قناع الحشمة وبذل الوجه، فلم تسمح أنفسنا بذلك، ولم تطب قلوبنا، وأنف كل واحد منا من ذلك، والضرورة تحوج إلى السؤال على كل حال، فوقع اختيار الجماعة على كتابة رقاع بأسمائنا وإرسالها قرعة فمن ظهر اسمه كان هذا القائم بالسؤال واستماحة القلوب لنفسه ولجميع أصحابه، فظهرت القرعة التى اشتملت على اسمى، فتحريت، ولم تسامحنى نفسى المسألة واحتمال المذلة، فعدلت إلى زاوية من المسجد، فصليت ركعتين طويلتين، ودعوت الله سبحانه بأسمائه العظام وكلماته الرفيعة لكشف الضر وسياقة الفرج.

فلم أفرغ من الدعاء، حتى دخل المسجد شاب حسن الوجه نظيف الثوب طيب الرائحة، يتبعه خادم فى يده منديل، فقال: مَنْ منكم الحسن بن سفيان، فرفعت رأسى من السجدة، وقلت: أنا الحسن بن سفيان، فما حاجتك؟ فقال: إن الأمير طولون يقرئكم السلام، ويعتذر إليكم من الغفلة عن تَفَقُّد أحوالكم والتقصير الواقع فى حقوقكم، وقد بعث بما يكفى فى نفقة الوقت، وهو زائركم غداً بنفسه، ومعتذر إليكم بلفظه، ثم وضع بين يدى كل واحد منا صرة فيها مائة دينار، فعجبنا من ذلك وتحيَّرنا جداً، وقلت للشاب: ما القصة؟

فقال: أنا أحَد خدَم الأمير طولون المختصين به، دخلت عليه بكرة يومى هذا مُسَلِّمًا فى جملة أصحابى، فقال لى وللقوم: أنا أحب أن أخلو يومى هذا، فانصرفوا أنتم إلى منازلكم، فانصرفت أنا والقوم، فلما عدت إلى منزلى، لم يستو قعودى حتى أتانى رسول الأمير مسرعاً يطلبنى حثيثاً، فأسرعت، فوجدته منفردًا فى بيت، واضعاً يمينه على خاصرته لوجع مُمِضٍ اعتراه فى داخل حشاه، فقال لى: أتعرف الحسن بن سفيان وأصحابه؟ فقلت: لا.

فقال: اقصد المحلة الفلانية والمسجد الفلانى، واحمل هذه الصرر، وسلّمها فى الوقت إليه وإلى أصحابه، فإنهم منذ ثلاثة أيام جياع بحالة صعبة ومَهِّدْ عذرى لديهم، وعرفهم إنى صبيحة الغد زائرهم ومتعذر شفاهاً إليهم.

قال الشاب: فسألته عن السبب الذى دعاه إلى هذا، فقال: دخلت هذا البيت منفرداً على أن أستريح ساعة، فلما هدأت عينى رأيت فى المنام فارساً فى الهواء متمكناً تمكن

من يمشى بُسُط الأرض، وبيده رمح، فجعلت أتعجب من ذلك، فنزل إلى باب هذا البيت، ووضع سافلة رمحه على خاصرتى، فقال: قم، فأدرك الحسن بن سفيان وأصحابه، قم فأدركهم، قم فأدركهم، قم فأدركهم، فإنهم منذ ثلاثة أيام جياع فى المسجد الفلانى.

فقلت له: مَنْ أنت؟ فقال: أنا رضوان صاحب الجنة، فمنذ أصاب رمحه خاصرتى أصابنى وجع شديد، فعَجِّلْ إيصال هذا المال إليهم ليزول هذا الوجع عنى، قال: الحسن: فعجبنا من ذلك، وشكرنا الله تعالى، ولم تطب أنفسنا بالمقام ليلاً يزورنا الأمير، ولا تَطَّلِع الناس على أسرارنا ؛ فيكون ذلك سبب ارتفاع اسم وانبساط جاه، ويتصل ذلك بنوع من الرياء والسمعة، فخرجنا تلك الليلة من مصر، وأصبح كل واحد منا واحد عصره وفريد دهره فى العلم والفضل.

فلما أصبح الأمير طولون، فأحَسَّ بخروجنا أمر بابتياع تلك المحلة بأسرها ووقفها على ذلك المسجد وعلى مَنْ نزل به من الغرباء وأهل الفضل وطلبة العلم نفقة لهم لئلا تختل أمورهم ولا يصيبهم من الخلل ما أصابنا، وذلك كله من قوة الدين وصفو الاعتقاد، والله ولى التوفيق.

* * *

الحكاية السابعة والتسعون
من نصائح الحسن البصري

حدثنا أبو عبيدة التاجى قال: سمعت الحسن يقول: حادثوا القلوب، فإنها سريعة الدثور، واقْدَعُوا[1] هذه الأنفس، فإنها طُلَّعة[2]، وأنها تنزع إلى شر غاية، وأنكم إن تقاربوها لم يبق لكم من أعمالكم شيء، وتَصَبَّرُوا وتَسَدَّدوا، فإنما هى ليالى تُعَدُّ، وإنما أنتم ركب وقوف يدعى أحدكم، فيجيب ولا يلتفت، انتقلوا بصالح ما بحضرتكم، فإن هذا الحق قد أجهد الناس، وحال بينهم وبين شهواتهم، وإنما صبروا على هذا الحق من عرف فضله ورجا عاقبته، وإن من حمد الدنيا ذم الآخرة، وإن الله تعالى لم يعط الآخرة على طلب الدنيا، وإن صاحب الدنيا منها على حرف، يا ابن آدم خذ منها بتقدير فإنه لا سبيل إلى بقاء الدنيا، ولا بد من لقاء الله عز وجل، يا ابن آدم تحب أن تُذكر بحسناتك، وتكره أن تذكر بسيئاتك، وتبغض على الظن، وتقسم وأنت على اليقين، قد علم كل مؤمن أنه موكل به ملكان يحفظان عليه قوله وعمله، يا ابن آدم إن لك عاجلة

---

(١) قدع: كَفَّ، ومنع، وكبح.

(٢) متطلعة إلى ما ليس عندها.

ولك عاقبة، فبِعْ عاجلتك بعاقبتك يجمع لك كلتاهما، ولا تبع عاقبتك بعاجلتك، فتخسرهما كلتيهما.

إن أحق الناس بهذا القرآن من اتبعه بعلمه، وإن كان لا يقرأه. قال عمر بن الخطاب: قد أتى عليَّ حين، وأنا أحسب أن من قرأ القرآن يريد به وجه الله عز وجل وما عنده، وقد خيل لى بأخرة أن أقواماً يريدون به الناس وما عندهم، ألا فأريدوا الله بأعمالكم، ألا وإنما كنا نعرفكم إذ النبى ﷺ [بين ظهرانينا، وإذ ينزل الوحي، وإذ ينبئنا الله من أخباركم، ألا وإن النبي ﷺ قد انطلق وانقطع الوحى][1]، وإنما أعرفكم بما أقول لكم من أظهر منكم خيرًا ظننا به خيراً وأحببناه عليه، ومن أظهر منكم شراً ظننا به شراً وأبغضناه عليه، سراركم بينكم وبين ربكم تعالى، الثواء ها هنا قريب، أنتم خير أمتكم، وأمتكم خير الأمم، فى كل يوم وليلة ترذلون، وقد أسرى بخياركم، فما الذى تنتظرون؟ المعاينة فكأنها والله الذى لا إله إلا هو قد كانت. أتنتظرون أن يُبعث نبى بعد نبيكم؟ فيسبق لكم معه سابقة، ألا إنه لا نبى بعد نبيكم، ولا كتاب بعد كتابكم، ولا أمة بعد أمتكم، أنتم تسوقون الناس، والساعة تسوقكم، وإنما يُنتظر بأولكم أن يلحق آخركم، رحم الله امرأ عرف، ثم صبر وتصبر، فإن أقواماً قد جزعوا، فانتزع الجزع أبصارهم، فلا هم أدركوا ما طلبوا، ولا هم رجعوا إلى ما تركوا، اتقوا هذه الأهواء المتفرقة الضالة المضلة البعيدة من الله عز وجل التى جماعها الضلالة ومعادها النار.

يا ابن آدم، دينك دينك، فإنما هو لحمك ودمك، فإن سلم لك دينك سلم لحمك ودمك، وإن تكن الأخرى -ونعوذ بالله -فإنها نار لا تطفأ وحجر لا تبلى ونفس لا تموت، يا ابن آدم، إنك موقوف بين يدى ربك عز وجل، ومرتهن بعملك، فخذ مما فى يديك لما بين يديك عند الموت يأتيك الخبر، إنك مسئول فأَعِدَّ جواباً، إن العبد لن يزال بخير ما كان له واعظ من نفسه، وكانت المحاسبة من همته، ابن آدم لا تحقرن شيئاً من طاعة الله عز وجل وإن قلَّ في نفسك وصَغُرَ ؛ فإنه ليس شىء من طاعة الله تعالى بصغير، ابن آدم لا تحقرن شيئاً من معصية الله عز وجل وإن قلَّ فى نفسك وصَغُرَ، فإنه ليس شىء من معصية الله بصغير، إن أعلام الخير بيِّنة، وإن أعلام الشر بينة، وخير الأمور ما حمدت عواقبها، وشر الأمور ما ذمَّت عواقبها، وقد خُيِّرْتم فاختاروا، فخذوا الحلال، ودعوا الحرام، دعوا ما يريبكم إلى ما لا يريبكم، خذوا صفو الدنيا ودعوا كدرها.

---

(١) لا يوجد هذا الجزء فى المخطوط، وهو من خطبة لعمر بن الخطاب، أوردها الإمام أحمد فى المسند.

يا ابن آدم، جمعاً جمعاً! وشرطاً شرطاً!، جمعاً فى وعاء وشدًّا فى وكاء، ركوب الذلول ولبوس اللين، ثم قيل مات، فأفضى – والله – إلى الآخرة، إن المؤمن عمل أياماً يسيرة، استهان بالدنيا فضمها لآخرته وتزود منها، فلم تكن الدنيا فى نفسه بزاد، ولم يَرْحَبْ فى نعيمها، ولم يفرح برخائها، ولم يتعاظم فى نفسه شيء من البلاء نزل به مع احتسابه الأجر عند الله تعالى، وكان الأكياس من المسلمين يقولون: إنما هو الغدو والرواح، أعط من الدلجة والاستقامة، لا يلبثك أن تقدم على خير، إن الله تعالى لا يخدع عن حسه، ولا يعطى بالأماني، يا ابن آدم، عليك عملك، فانظر على أى حال تلقاه، فإن لأهل التقوى علامات يعرفون بها صدق الحديث وأداء الأمانة ووفاء باالعهد وقلة الفخر والخيلاء، وصلة الرحم ورحمة الضعفاء وبذل المعروف وحسن الخلق واتباع العلم.

[ومنا] أعلاج عجم، وأعراب لا فقه ولا دين، ومنافق مُكَذِّب وأمير مسرف، نعر بهم الناعر، فخرجوا ليسعوا معه، فراش نار وذباب طمع، تبيع أقوام بثمن غير شيء، وتزخرف وتدعو الناس: انظروا، وقد نظرنا يا أفسق الفاسقين، أما أهل الدنيا فغروك، وأما أهل الآخرة فمقتوك، إن المؤمن حليم لا يجهل، وإن جُهِلَ عليه حَلُمَ، ولا يظلم، إن ظُلِمَ غَفَرَ، ولا يبخل، وإن بُخِلَ عليه صبر، إن المؤمنين نظروا، فلما علموا أن هذا الأمر محاسبة كسبوا المال من حله، وأكلوا طيباً، وأنفقوا قصداً، وقدَّموا فضلاً، فوالله ما تكاثرت حسنة فى أنفس القوم عملوا بها لله عز وجل، ولا تهاونوا بسيئة أمرهم بها الشيطان، وإن صغرت، اتخذوا عباد الله خَوَلاً يحكمون فى دمائهم وأموالهم ما يشاؤون.

قال عمر بن الخطاب: حسب المؤمن من الغى أن يستبين له من نفسه ما يخفى على الناس، وأن يجد على الناس فيما يأتى، وأن يؤذى جليسه فيما لا يعنيه(١).

يا ابن آدم، أنت ليومك فإن أدركته فدونك، يا ابن آدم ترك الخطيئة أهون علىَّ من معالجة التوبة، يا ابن آدم، إنك لا تزال بخير ما لم تصب كبيرة، عليك نفسك، عليك قلبك وعملك، يا ابن آدم لا تكن بما فى يديك أوثق منك بما فى يدى الله تعالى، لقد صحبت أقواماً إلى أن لقيتكم كان –والله الذى لا إله إلا هو – فيما أحل الله لهم أزهد منكم فيما حرم الله عليكم، ولهم كانوا بدينهم أبصر به بقلوبهم منكم بأبصاركم، وهم

---

(١) أخرج أبو نعيم في الحلية عن أبي جعفر محمد بن علي رضي الله عنه قال: «ما من عبادة أفضل من أن يسأل، وما يدفع القضاء إلا الدعاء، وإن أسرع الخير ثوابا البر، وأسرع الشر عقوبة البغي، وكفى بالمرء عيبا أن يبصر من الناس ما يعمى عليه من نفسه، وأن يأمر الناس بما لا يستطيع التحول عنه، وأن يؤذى جليسه بما لا يعنيه».

كانوا بحسناتهم أن ترد عليهم أخوف منكم أن تعذبوا على سيئاتكم، يا ابن آدم عِفَّ عما حرَّم الله عليك تكن عابداً، وارض بقسم الله تكن غنيا، وأحسن جوار من جاورك مؤمناً، أحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً، وأقل الضحك فإن الضحك يميت القلب.

ابن آدم لا تعلق قلبك بالدنيا، فتعلقه بشر معلق، قطع حبالها وأغلق عليك أبوابها، حسبك أيها المرء وما بلغك المحل! هيهات! ذهبت الدنيا بحال بالها وبقيت الأعمال، قلائد فى أعناق بنى آدم، إن الله عز وجل اختار نبيكم ﷺ على علم به، اختاره لنفسه، وأنزل عليه كتابه، وجعله رسولاً إلى خلقه، ثم وضعه من الدنيا موضعاً، حتى إذا نظر أهل الدنيا إلى مكانه منها ومكانها منه قات منها قوتاً، ثم قال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾(١) فرَغِبَ أقوام عن سُنَّة نبيهم ؛ فأبعدهم الله، أمرنا أن نأخذ بأخذه، وأن نتخلق بخلقه، وأن نهتدى بهَدْيه، وقد قال قوم على عهد نبيهم: إنا والله نحب ربنا عز وجل ؛ فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾(٢)، فجعل الله تعالى اتباع سُنَّة محمد ﷺ عَلَماً لمحبته، ثم جعل على كل قول دليلاً من عمل بصدقه أو بكذبه، فإذا قال العبد قولاً حسناً، وعمل عملاً حسناً رفع الله تعالى قوله بعمله، وإذا قال العبد حسناً، وعمل عملاً سيئاً ردَّ الله تعالى القول على العمل، وذلك فى كتاب الله المنزل: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾(٣).

* * *

الحكاية الثامنة والتسعون
من نصائح عيسى عليه السلام

حدثنا عمر بن سليم قال: بلغنى أن عيسى بن مريم خرج على أصحابه عليه مَدْرَعَةٌ من صوف وكساء من صوف، وتِبَّان(٤) حافياً مجزوز الرأس والشاربين باكياً شعثاً مُغْبَرَّ اللون من الجوع، يابس الشفتين من العطش، طويل شعر الصدر والذراعين والساقين، فقال: السلام عليكم، أنا الذى أنزلت الدنيا منزلتها بإذن الله، ولا عجب ولا فخر يا بنى إسرائيل، تهاونوا بالدنيا تهن عليكم، أهينوا الدنيا تكرم الآخرة عليكم، ولا تهينوا

---

(١) سورة الأحزاب، الآية رقم ٢١.

(٢) سورة آل عمران، الآية رقم: ٣١.

(٣) سورة فاطر، الآية رقم: ١٠.

(٤) سروال صغير يستر عورته.

الآخرة فتكرم الدنيا عليكم، فإن الدنيا ليست بأهل الكرامة، كل يوم تدعو إلى الفتنة والخسارة.

ثم قال: تدرون أين بيتى؟ قالوا: أين بيتك يا روح الله؟ قال: بيتى المساجد، وطيبى الماء، وأدمى الجوع، ودابتى رجلى، وسراجى بالليل القمر، وصلاتى فى الشتاء مشارق الشمس، وطعامى ما يبس، وفاكهتى وريحانى بقول الأرض مما يأكل السباع والأنعام، ولباسى الصوف، وشعارى الخوف، وجلسائى الزمنى والمساكين، أصبح وليس لى شيء، وأمسى وليس لى شيء، وأنا طيب النفس غير مكترث مَنْ أغنى منى وأربح منى[1].

وذُكِرَ أنه لبس جبة الصوف عشر سنين، كلما تخرَّق منها شيء خاطه بالشرط[2]، ولم يَدَّهن رأسه أربع سنين متواليات، ثم دهنه دَهْنَة بودك الشحم، وقال: يا بنى إسرائيل، اتخذوا المساجد بيوتا، والقبور دوراً كأمثال الأضياف، ألا ترون إلى طير السماء لا يزرعن ولا يحصدن، وإله السماء يرزقهن، يا بنى إسرائيل، كلوا من خبز الشعير، ومن بقول الأرض، واعلموا أنكم لم تؤدوا شكر ذلك، فكيف فيما كان من فضل.

قال: وبلغنا أن عيسى قال لأصحابه: إن كنتم إخوانى وأصحابى فوطنوا أنفسكم على العداوة والبغضاء من الناس، فإن لم تفعلوا فلستم بإخوانى ولا أصحابى، إنكم لن تدركوا ما تريدون إلا بترككم ما تشتهون، إنكم لن تنالوا ما تريدون إلا بصبركم على ما تكرهون، وإياكم والنظرة، فإنها تزرع فى القلب الشهوة، فطوبى لمن كان نَظَرُه فى قلبه، ولم يكن قلبه فى نظره، ما أبعد ما فات، وما أقرب ما هو آتٍ، ويحٌ لصاحب الدنيا كيف يموت ويذرها، ويأمنها وتمكر به، وثيق بها وتغره، ويح للمغترين قد أزِفَهم ما يكرهون وجاءهم ما يوعدون، وفارقوا ما يحبون، لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله، فتقسوا قلوبكم، وإن كانت لينة، فإن القلب القاسى بعيد من الله، ولكن لا تشاءون.

* * *

الحكاية التاسعة والتسعون

من نصائح سعيد الحرمي

عن سعيد الحربى أنه كان يقول: شباب مكتهلون فى حداثة أسنانهم، غنية عن الشر أعينهم، منزهة عن اللهو أسماعهم، ثقيلة عن الباطل أرجلهم، خمص البطون من كسب الحرام، أرضى عباد الله، قد نظر الله إليهم فى جوف الليل محنية على آخر القرآن

---

(١) الخبر ذكره ابن عساكر عن معتمر بن سليمان. وأورده ابن كثير في قصص الأنبياء.

(٢) الخوص المفتول.

أصلابهم، سائلة على الخدود دموعهم، كلما مروا بآية من ذكر الجنة بكوا إليها شوقاً، وكلما مروا بآية من ذكر النار صرخوا منها فرقا، كأن زفير النار فى آذانهم، وكان الآخرة نصب أعينهم.

قد أكلت الأرض جباههم من السجود وركبهم، وغَيَّرَ السهر والظمأ ألوانهم، تأهبوا للموت، فأحسنوا الأُهْبَة، وأعدوا، فأحسنوا العدة، وكانوا فى ليلهم أهل سهر وأهل بكاء، وكانوا فى نهارهم أهل فكر وأهل ظمأ، إذا ذكروا الدنيا اشتدت زهادتهم فيها لمعرفتهم بفنائها، وإذا ذكروا الآخرة عظمت فيها رغبتهم لمعرفتهم ببقائها، فصغرت الدنيا فى أعينهم، وأبغضتها أنفسهم، فذلَّت من بعد صعوبة، وأطاعتهم من بعد عصيان.

الحياة عندهم فى الدنيا مصيبة لخوف الفتنة، والقتل عندهم نعمة لما يرجون بعده من الروح والراحة، ولا تفتر بالضحك شفاههم، ولا تفارق الأحزان قلوبهم، ادخروا ما قدَّموا من الأعمال لما يخافون من عظيم الأهوال، فركبوا الأسنة من خوفه، وبذلوا مهج النفوس له، فلما التقى الزحفان وصُفَّ الفريقان، فنظروا إلى السهام قد فُوِّقَتْ، وإلى الرماح قد أشرعت، وإلى السيوف وقد انْتُضِيَتْ، وأرعدت الكتيبة بصواعق الموت، استخفوا وعيد الكتيبة بوعيد الله، ولم يستخفوا وعيد الله بالكتيبة.

ثم مضوا قدماً حتى زالت رءوسهم عن أبدانهم، وغارت خيولهم فى عساكرهم، فوطئتهم بحوافرها، وداستهم بسنابكها، فلما انصرف الفريقان، ورجع الزحفان أسرعت إليهم سباع الأرض، وانحطت عليهم طير السماء، فكم من يد قد زالت عن موضعها، قد أطال الاعتماد عليها فى جوف الليل صاحبها، وكم من رجل قد فارقت مستقرها قد طال فى جوف الليل قيامها، وكم من كَبِدٍ قد شُقَّ عنها حجابها، قد كان يشتد فى الهواجر ظمؤها، وكم من عين فاضت من خشية الله فى منقار طائر، قد كان يشتد فى الليل سهرها وبكاؤها!

هنيئاً لهم ما أصابوا، هنيئاً! غُفِرَتْ ذنوبهم مع أول قطرة من دمائهم، وآمنوا من الضغطة فى قبورهم، خرجوا من القبور مسرورين، شاهرين السيوف، قد نجوا من العقاب، وأمنوا من الحساب، فأى دار كرامة نزلوا؟! وأى نعيم فيها استقبلوا؟!

لا تنزل بهم الآفات، ولا تحدث بهم البليات، دخلوا الجنة آمنين، وعانقوا فيها الحور العين، وستعبر عليهم الخدم بلذاتهم قبل الدعاء بها، فكم من مستقبل يوما لا يستكمله، وكمن من مرتجٍ لغد ليس من أجله، لو تنظرون إلى الأجل ومسيره لأبغضهم الأمل وغروره.

* * *

الحكاية المائة

في قضاء الله الخير

حدثنا الأعمش عن مسروق قال: كان رجل بالبادية له كلب وحمار وديك، فالديك يوقظهم للصلاة، والحمار ينقلون عليه الماء، ويحمل لهم خباءهم، والكلب يحرسهم، فجاء الثعلب، فأخذ الديك ؛ فحزنوا لذهاب الديك.

وكان الرجل صالحاً، فقال: عسى أن يكون خيراً، ثم مكثوا ما شاء الله، ثم جاء ذئب، فخرق بطن الحمار ؛ فقتله، فحزنوا لذهاب الحمار، فقال الرجل الصالح: عسى أن يكون خيراً، ثم مكثوا ما شاء الله بعد ذلك، ثم أصيب الكلب، فقال الرجل: عسى أن يكون خيراً.

ثم مكثوا ما شاء الله، فأصبحوا ذات يوم فنظروا، فإذا قد سُبِيَ مَنْ حولهم، وإنما أُخِذَ أولئك بما كان عندهم من الصوت والجلبة، ولم يكن عند أولئك شيء يَجْلِب، قد ذهب كلبهم وحمارهم وديكهم.

* * *

الحكاية الحادية بعد المائة

حكاية ابن عبيد الزاهد مع جاريته

حدثنا محمد بن عبيد الزاهد قال: كانت عندى جارية، فبعتها، فتتبعتها نفسى، فصرت إلى مولاها مع جماعة من إخوانى، فسألته أن يقيلنى ويربح عشرين ديناراً، فأبى علىَّ، فانصرفت من عنده، فَرُمْتُ فطرى، فلم أقدر عليه، فبت ساهراً لا أدرى ما أصنع، فخشى أن أعاوده، فأخرجها إلى المدائن، فلما رأيت ما بى من الجهد كتبت اسمها فى راحتى، واستقبلت القبلة، فكلما طرقنى طارق من ذكرها رفعت يدى إلى السماء، وقلت: يا سيدى، هذه قصتى، حتى إذا كان فى السَّحَر من اليوم الثانى إذا أنا برجل يدق علىَّ الباب، فقلت: مَنْ هذا؟

فقال: أنا مولى الجارية، فنزلت، فإذا أنا به. قال: خُذ الجارية، بارك الله لك فيها. فقلت: خذ دنانيرك والربح.

قال: ما كنت لآخذ منك ديناراً ولا درهما. قلت: ولِـمَ ذاك؟ قال: لأنه أتانى آتٍ الليلة فى منامى، فقال: لى: رُدّ الجارية على ابن عبيد.

* * *

الحكاية الثانية بعد المائة

حكاية الجارية والقَصَّاب

حدثنا بكر بن عبد الله المزنى أن قصاباً[١] وَلِعَ[٢] بجارية لبعض جيرانه، فأرسلها أهلها إلى حاجة لهم فى قرية أخرى، فتبعها، فراودها عن نفسها ، فقالت: لا تفعل ؛ لأن أشد حباً لك منى، ولكنى أخاف الله!

قال: فأنت تخافينه، وأنا لا أخافه، فرجع تائباً.

فأصابه العطش حتى كاد ينقطع عنقه، وإذا هو برسول لبعض بنى إسرائيل، فسأله قال: مالك؟ قال: العطش.

قال: تعالَ حتى ندعوا، حتى تظلنا سحابة، حتى ندخل القرية. قال: ما لى من عمل، فادعو به. قال: فأنا أدعو، وأمِّنْ أنت.

قال: فدعا الرسول، وأَمَّـنَ هو، فأظلتهما سحابة، حتى انتهيا إلى القرية، فأخذ القَصَّاب إلى مكانه، فمالت السحابة عليه، فرجع الرسول، فقال له: زعمت أن ليس لك عمل، وأنا الذى دعوت، وأنت الذى أَمَّنْتَ، فأظلتنا، ثم تبعتك، لتخبرنى ما أمرك.

فأخبره، فقال الرسول: التائب إلى الله بمكان ليس أحد من الناس بمكانه!.

* * *

الحكاية الثالثة بعد المائة

حكاية عابد بنى إسرائيل مع زوجته وأحد الجبارين

عن ميسرة قال: كان رجل من بنى إسرائيل من عباد بنى إسرائيل يعمل بالمسحاة[٣]، وكانت له امرأة أجمل نساء بنى إسرائيل، فبلغ جَبَّاراً من جبابرة بنى إسرائيل جمالها، فأرسل إليها عجوزاً، فقال: خَبِّبيها[٤] عليه، وقولى لها: ترضين أن تكونى عند مثل هذا الذى يعمل بالمسحاة، ولو كنتِ عندى لحليتك بالذهب، وكسوتك الحرير، وأخدمتك الخدم، وكانت تُقَرِّب إليه فطره، وتفرش له فراشاً، فلم تفعل، وتغَيَّرت.

فقال: يا هنتاه! ما هذا الخُلُق الذى لا أعرفه منك؟ قالت: هو ما ترى، فطَلَّقَها، وتَزَوَّجَها جَبَّار بنى إسرائيل، فلما دخلت عليه وأُرْخِيَت الستور عَمِيَ وعميت، فأهوى

---

(١) القصار: الجزَّار.

(٢) ولع: أحب حبًا شديدًا.

(٣) آلة الحفر كالفأس ونحوها.

(٤) أفسديها.

بيده ليلمسها، فجفَّتْ يده، فأهوت بيدها تلمسه، فجفت يدها، وصُمًّا وخُرسا، ونزعت منهما الشهوة، فلما أصبحا رفعت الستور فإذا هم صم عمى خرس، فَرُفِعَ خبرهما إلى نبى بنى إسرائيل، فرفع خبرهما إلى الله تعالى، فقال: إنى لست أغفر لهما أبداً، ظَنَّا أنْ ليس بعينى ما عملا بصاحب المسحاة.

وعن سلمان قال: كان فى بنى إسرائيل امرأة، فذكر بمعنى الحكاية.

* * *

الحكاية الرابعة بعد المائة

حكاية إبليس مع نبي الله موسى

عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم قال: بينما موسى جالس فى بعض مجالسه أقبل إبليس وعليه برنس له يتلون فيه ألواناً، فلما دنا منه خلع البرنس، فوضعه، ثم أتاه فقال له: السلام عليك يا موسى. قال له موسى: مَنْ أنت؟ قال: أنا إبليس. قال: أنت ؛ فلا حيَّاك الله، ما جاء بك؟ قال: جئت لأُسَلِّم عليك لمنزلتك من الله ومكانك منه. قال: فما الذى رأيتُ عليك؟ قال: به أختطف قلوب بنى آدم. قال: فما الذى إذا صنعه الإنسان استحوذت عليه؟ قال: إذا أعجبته نفسه، واستكثر عمله، ونسى ذنوبه، استحوذت عليه، وأُحَذِّرك ثلاثاً: لا تخل بامرأة لا تحل لك ؛ فإنه ما خلا رجل بامرأة لا تحل له إلا كنت صاحبه دون أصحابى أفتنه بها، ولا تعاهد الله عهداً إلا وفيت به، فإنه ما عاهد الله أحد عهداً إلا كنت صاحبه دون أصحابى حتى أحول بينه وبين الوفاء، ولا تخرجن صدقة إلا أمضيتها، فإنه ما أخرج رجل صدقة، فلم يمضها إلا كنت صاحبه دون أصحابى حتى أحول بينه وبين الوفاء بها، ثم ولَّى وهو يقول: يا ويله -ثلاثا- علم موسى ما يُحَذِّر به بنى آدم.

* * *

الحكاية الخامسة بعد المائة

حكاية برصيصا العابد

حدثنا عبد المنعم بن إدريس عن أبيه قال: ذكر وهب بن منبه أن عابداً كان فى بنى إسرائيل، وكان من أعبد أهل زمانه، وكان فى زمانه ثلاثة إخوة لهم أخت، وكانت بكراً، فخرج البَعْث[1] عليهم، فلم يدروا عند مَنْ يخلفون أختهم، ولا مَنْ يأمنون عليها، فأجمع رأيهم على أن يخلفوها عند عابد بنى إسرائيل، فأتوه، فسألوه، فأبى ذلك، فلم يزالوا به حتى أطمعهم، فقال: أنزلوها فى بيت حذاء صومعتى، فأنزلوها فى ذلك

(١) الخروج لقتال العدو.

البيت، ثم انطلقوا، وتركوها، فمكثت فى جوار ذلك العابد زماناً ينزل إليها الطعام من صومعته، يضعه عند باب الصومعة، ثم يغلق بابه، ويصعد فى صومعته، ثم يأمرها، فتخرج من بيتها، فتأخذ ما وضع لها من الطعام.

فتلطف له الشيطان، فلم يزل يُرَغِّبُه فى الخير، ويُعَظِّم عليه خروج الجارية من بيتها نهاراً، ويُخَوِّفه أن يراها أحد، فيعلقها، فلم يزل به حتى مشى إليها بطعامها، فوضعه على باب بيتها، ولا يكلمها.

قال: فلبث بذلك زمانا، ثم جاء إبليس، فرغَّبه فى الخير والأجر، وقال: له: لو كنت تمشى إليها بطعامها حتى تضعه فى بيتها كان أعظم لأجرك.

قال: فلم يزل به، حتى مشى إليها بطعامها، فوضعه فى بيتها، فلبث بذلك زماناً، ثم جاءه إبليس، فرغبه فى الخير، وحضه عليه، وقال: لو كنت تكلمها، وتحدثها ؛ فتأنس بحديثك، فإنها قد استوحشت وحشة شديدة.

فلم يزل به حتى حدثها زماناً يَطَّلِعُ إليها من فوق صومعته، وتخرج الجارية من بيتها، ثم أتاه إبليس، فقال: لو كنت تنزل إليها، فتقعد على باب صومعتك وتحدثها، وتقعد هى على باب بيتها فتحدثك كان آنس لها، فلم يزل به حتى أنزله، فأجلسه على باب صومعته يحدثها وتقعد على باب بيتها، فلبثا زماناً يتحدثان، ثم جاءه إبليس، فرغبه فى الخير، فقال: لو خرجت من صومعتك، فجلست قريباً من باب بيتها، فحدثتها كان آنس لها، فلم يزل به حتى فعل، فلبثا بذلك زماناً.

ثم جاءه إبليس، فقال: لو دنوت من باب بيتها، ثم قال: لو دخلت البيت فحدثتها، ولم تتركها تبرز وجهها كان أحسن، فلم يزل به حتى دخل البيت، فجعل يحدثها نهاره كله، فإذا أمسى صعد صومعته، ثم أتاه إبليس بعد ذلك، فلم يزل يُزَيِّنُها له حتى ضرب العابد على فَخِذِها وقَبَّلها!، فلم يزل إبليس يُحَسِّنها فى عينه ويُسَوِّل له، حتى وقع عليها، فأحبلها، فولدت غلاماً، فجاءه إبليس، فقال له: أرأيت إن جاء إخوة الجارية، وقد ولدت منك، كيف تصنع، فاعمد إلى ابنها، فاذبحه وادفنه، فإنها ستكتم ذلك عليك مخافة إخوتها، ففعل، فقال له: أتراها تكتم ما صنعتَ بها، خذها فاذبحها وادفنها مع ابنها، فذبحها، وألقاها فى الحفيرة مع ابنها، فمكث بذلك ما شاء الله، حتى أقبل إخوتها من الغزو، فجاءوه، فسألوه عن أختهم، فنعاها لهم، وترحَّم عليها، وبكاها، وقال: كانت خير امرأة، وهذا قبرها، فأتى إخوتهاالقبر، فبكوا أختهم، وترحموا عليها، وأقاموا على قبرها أياماً، ثم انصرفوا إلى أهاليهم.

فلما جنهم الليل، وأخذوا مضاجعهم أتاهم الشيطان فى اليوم، فبدأ بأكبرهم، فسأله عن أختهم، فأخبره بقول العابد وبموتها، فكذّبه الشيطان، وقال: لم يصدقكم أمر أختكم، إنه أحبل أختكم، وولدت منه غلاماً، فذبحه وذبحها معه فَرَقًا منكم، وألقاهما فى حفرة خلف باب البيت، وأتى الأوسط فى منامه، فقال له مثل ذلك، ثم أتى أصغرهم، فقال له: مثل ذلك، فلما استيقظ القوم، استيقظوا متعجبين لما رأى كل واحد منهم، فأقبل بعضهم على بعض يقول: لقد رأيت عجباً، فأخبر بعضهم بما رأى.

فقال كبيرهم: هذا حلم ليس بشىء، فقال صغيرهم: لا أرجع حتى آتى ذلك المكان، فأنظر فيه، فانطلقوا، ففتحوا الموضع، فوجدوا أختهم وابنها مذبوحين، فسألوا عنها العابد، فصدَّق قول إبليس، فاستعدوا عليه مَلِكَهم، فأُنزِلَ من صومعته، وقدَّموه ليصلب، فلما أوثقوه على الخشبة أتاه الشيطان فقال: قد علمتَ أنى صاحبك الذى فتنتك فى المرأة حتى أحبلتَها وذبحتَها وابنها، فإن أنتَ أطعتنى اليوم، وكفرت بالله الذى خلقك، خلّصتُك مما أنت فيه، فكفر العابد بالله، فلما كفر خلّى الشيطان بينه وبين أصحابه، فصلبوه، ففيه نزلت هذه الآية: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِيءٌ مِنْكَ﴾[1] إلى آخر الآية[2].

* * *

الحكاية السادسة بعد المائة

حكاية فى الجود والإيثار

حدثنا أبو عبد الله الواقدى القاضى قال: ضِقْتُ مرة وأنا مع يحيى بن خالد البرمكى، وحضر عيد، فجاءتنى الجارية، فقالت: قد حضر العيد، وليس عندنا من آلته شىء، فمضيت إلى صديق لى من التجار، فعرفته حاجتى إلى القرض، فأخرج لى كيساً مختوماً فيه ألف ومائتا درهم، فأخذته، وانصرفت إلى منزلتى، فما استقررت فيه حتى جاءنى صديق لى هاشمى، فشكا إلىّ تأخر عليه وحاجته إلى القرض، فدخلت إلى زوجتى، فأخبرتها، فقالت: على أى شىء عزمتَ؟ قلت: على أن أقاسمه الكيس.

قالت: ما صنعتَ شيئاً، أتيت رجلاً سوقة، فأعطاك ألفا ومائتى درهم، وجاءك رجل له من رسول ﷺ رحم ماسة، تعطيه نصف ما أعطاك السوقة، أعطه الكيس كله،

---

(١) سورة الحشر، الآية رقم: ١٦.

(٢) أخرج هذه الحكاية عبد الرزاق وابن راهويه وأحمد في الزهد وعبد بن حميد والبخاري في تاريخه وابن جرير وابن المنذر والحاكم وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان عن علي ابن أبي طالب، وأخرجها ابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس.

فأخرجت الكيس كله، فدفعته إليه، ومضى صديقى التاجر إلى الهاشمى، وكان له صديقاً، فسأله القرض، فأخرج له الهاشمى الكيس، فلما رأى ختامه عرفه وانصرف إلىّ، فأخبرنى بالأمر.

وجاء فى رسول يحيى بن خالد يقول: إنما تأخر رسولى عنك لشغلى بحاجات أمير المؤمنين، فركبت إليه، فأخبرته خبر الكيس، فقال: يا غلام هات تلك الدنانير، فجاءه بعشرة آلاف دينار، فقال: خذ ألفى دينار لك، وألفى دينار لصديقك التاجر، وألفين للهاشمى، وأربعة آلاف لزوجتك، فإنها أكرمكم.

* * *

الحكاية السابعة بعد المائة

مِنْ خُطَب الإمام علي

عن عبد الله بن صالح العجلى قال: أخبرنى رجل من بنى شيبان أن على بن أبى طالب خطب، فقال: الحمد لله، أحمده وأستعينه، وأؤمن به، وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليزيح به علتكم، وليوقظ به غفلتكم، واعلموا أنكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت، وموقوفون على أعمالكم، ومجازون بها، فلا تغرنكم الحياة الدنيا، فإنها دار بالبلاء محفوفة، وبالفناء معروفة، وبالغدر موصوفة، وكل ما فيها إلى زوال، وهى من أهلها دول وسجال، لا تدوم أحوالها، ولن يسلم من شرها نزالها، بينا أهلها منها فى رخاء وسرور، إذا هم منها فى بلاء وغرور، أحوال مختلفة، وتارات منصرفة، العيش فيها مذموم، والرخاء فيها لا يدوم، وإنما أهلها فيها أغراض مستهدفة بسهامها، وتقبضهم بحِمَامِها، وكلٌّ حتفة فيها مقدور، وحظه فيها موفور، واعلموا عباد الله إنكم وما أنتم فيه من زهرة الدنيا على سبيل مَنْ قد مضى ممن كان أطول منكم أعماراً وأشد منكم بطشاً، وأعمر دياراً، وأبعد آثاراً، فأصبحت أصواتهم، هامدة وأجسادهم بالية، وديارهم خالية، وآثارهم عافية، فاستبدلوا بالقصور المشيدة والنمارج الممهدة الصخور والأحجار المسندة فى القبور اللاطية المخلدة التى قد بيَّن الخراب فناءها، وشيِّد بالتراب بناءها، فمحلها مقترب، وساكنها مغترب بين أهل، عمارة موحشين، وأهل محله متشاغلين، لا يستأنسون بالعمران، ولا يتواصلون تواصل الجيران والأخوان على ما بينهم من قرب الجوار ودنو الدار، وكيف يكون بينهم تواصل، وقد طحنهم بكلكله البلى، وأظلتهم الجنادل والثرى؟! فأصبحوا بعد الحياة أمواتاً، وبعد غضارة العيش رُفاتاً، فجع بهم الأحباب، وسكنوا التراب، فظعنوا، فليس لهم أيادى، هيهات! هيهات! ﴿كَلاَّ إِنَّهَا

كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[1]، وكأن قد صرتم إلى ما صاروا إليه من البلى والوحدة فى دار المثوى، وارتهنتم فى ذلك المضجع، وضمَّكم ذلك المستودع، فكيف بكم لو قد تناهت الأمور، وبعثرت القبور، وحُصِّلَ ما فى الصدور، ووقفتم للتحصيل بين يدى الملك الجليل؟! فطارت القلوب لإشفاقها من سالف الذنوب، وهُتِكَتْ عنكم الأستار، فظهرت العيوب والأسرار، هنالك تجزى كل نفس ما أسلفت، جعلنا الله وإياكم عاملين بكتابه، متبعين لأوليائه، حتى يحلنا وإياكم دار المقامة، إنه حميد مجيد.

* * *

الحكاية الثامنة بعد المائة

حكاية عجيبة وموعظة بليغة

عن النعمان بن بشير قال: وفدنى أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى عشرة من العرب إلى اليمن، فبينما نحن ذات [يوم] نسير، مررنا إلى جانب قرية أعجبتنا عمارتها، فقال بعض أصحابنا: لو ملنا إليها، فدخلنا، فإذا هى قرية أحسن ما رأيت كأنها زخارف الرَّقْم، وإذا قصر أبيض بفنائه شيب وشبان، وإذا جوارٍ نواهد أبكارًا، وهن يدرن، وسطهن جارية قد علتهن جمالاً بيدها دف تضرب به، وهى تقول:

معشر الحساد موتوا كمداً ... كذا نكون ما بقينا أبدا

غيب عنا من نعانا حسداً ... وكان وحده التقى الأنكدا

وإذا غدير من ماء، وسرح كثير الماشية والإبل والبقر والخيل والأفلاء، وإذا قصور مستديرة، فقلت لأصحابى: لو وضعنا رحالنا، فتأخذ العيون مما ترى حظاً، وتقصى النفوس منها وطراً، فبينا نحن نضع رحالنا أقبل قوم من قِبَلِ القصر الأبيض على أعناقهم البسط، فبسطوا لنا، ثم مالوا علينا بأطايب الطعام والشراب، واسترحنا وأرحنا، ثم نهضنا للرحلة، فأقبل القوم، فقالوا: إن سيد هذه القرية يقرئكم السلام، ويقول: اعذرونى على تقصير كان منى، فإنى مشغول بعرس لنا، وإن أحببتم المقام، فأقيموا، فدعونا لهم وباركنا، فعمدوا إلى ما بقى من ذلك الطعام، فملئوا به سفرنا، فقضيت سفرى، ورجعت منتكباً لتلك الطريق، فعبرت برهةً من الدهر وفدى معاوية فى عشرة من العرب ليس معى أحد ممن كان فى الوفد، فبينا أنا أحدثهم حديث القرية وأهلها قال رجل منهم: أليس هذا الطريق الآخذ إليها، فانتهينا إليها فإذا هى دكادك وتلول، وأما القصور فخراب ما يبين منها إلا الرسوم، وأما الغدير فليس فيه قطرة، وأما السرح فقد

---

(١) سورة المؤمنون، الآية رقم: ١٠٠.

عفى ودثر أمره، فبينا نحن وقوف معجبون لاح لنا شخص من ناحية القصر الأبيض، فقلت لبعض الغلمان: انطلق حتى نستشرى ذلك الشخص، فما لبث أن جاء مرعوباً، فقلت له: ما وراءك؟ فقال: أتيت ذلك الشخص، فإذا عجوز عمياء، فراعتنى، فلما سَمِعَتْ قالت: أسألك بالذى بلّغك سالماً إلا أحمدت على عينيك، ودرجتُ حتى دخلتُ نَقَباً فى التل، ثم قالت: سَلْ عما بدا لك؟ فقلت: أيتها العجوز الغابرة من أنت؟ وممن أنتِ؟ فأجابتنى بصوت ما يبين: أنا عميرة بنت ذويل سيد أهل القرية فى الزمان الأول، أنا ابنة من كان يقْرِى وينزل، ويحنو على الضيفان، والليل! إليك!:

ومـن معشـر صـاروا رميمـاً أبوهم كريم أبو الجحاف بالخير ذويل

فقلت: ما فعل أبوك وقومك؟ قالت: أفناهم الزمان، وأبادتهم الليالى والأيام، وبَقِيتُ بعدهم كالفَرْخ بواهى الوَكْر، فقلت: هل تذكرين زماناً كان لكم فيه عروس وجوارٍ وسطهن جارية بيدها دف تضرب به، وتقول:

أيهـا الحسـاد موتـوا كمـداً

فشَهقَتْ، واستعبرت، وبكت، وقالت: أى والله، إنى لأذكر ذلك العام والشهر واليوم والعرس، كانت أختى، وأنا صاحبة الدف، فقلت لها: هل لك أن نحملك على أوطأ دوابنا، ونغذوك بغذاء أهلنا؟ قالت: كلا، عزيز علىَّ أن أفارق هذه الأعظم حتى أؤول إلى ما آلوا إليه.

فقلت: من أين طعامك وشرابك؟ قالت: تَمُرُّ الرَّكْب، فيُلْقُون إلىَّ من الطعام ما يكفينى، والذى اكتفى به اليسير، وهذا الكوز مملوء ماء، ما أدرى من يأتينى به، ولكن أيها الركب معكم امرأة؟ قلنا: لا. قالت: فمعكم من الثياب البياض؟ قلنا: نعم. فألقينا إليها ثوبين جديدين، فتخللت بهما، وقالت: رأيت البارحة كأنى عروس أتهادى من بيت إلى بيت، وقد ظننت أن هذا يوم أموت فيه، فأردت امرأة تلى أمرى، فلم تزل تحدثنا حتى مالت، فنزعت نزعاً يسيراً، وماتت، فيممناها، وصلينا عليها، ودفناها.

فلما قدمت على معاوية حدثته الحديث، فبكى، ثم قال: لو كنت مكانكم لحملتها، ثم قال: ولكن سبق القدر.

* * *

الحكاية التاسعة بعد المائة

وصية الراهب للمسافرين

حدثنا عبد الرحمن بن حفص الجمحى أن قوماً أرادوا سفراً، فحادوا عن الجادة،

فانتهوا إلى راهب منفرد في ناحية من الناس، فنادوه، فأشرف عليهم من حبيسه ذلك، فقالوا: إنا قد ضللنا عن الطريق؟ قال: هاهنا، وأومأ لهم إلى السماء، فعلم القوم الذى أراد.

فقال بعضهم لبعض: سلوه، فقالوا: إنا سائلوك، أفمجيبنا أنت؟ قال: سلوا ولا تكثروا، فإن النهار لن يرجع، والعمر لن يعود، والطالب حثيث فى طلبه ذو اجتهاد. قال: فعجب القوم من كلامه، فقالوا: ما الخَلْق غداً عند مليكهم؟ قال: على نيتهم. قالوا: فإلامَ الموئل؟ قال: إلى المقدم.

قالوا: فأوصنا؟ قال: تزودوا على قدر سفركم، فإن خير الزاد ما بلغ البغلة. قال: ثم أرشدهم على المحجة، وأدخل رأسه فى حبيسه.

* * *

الحكاية العاشرة بعد المائة

حكاية إبليس والرجل الذي أراد قطع الشجرة

عن المبارك بن فضالة عن الحسن قال: كانت شجرة تُعْبَد من دون الله، فجاء إليها رجل، فقال: لأقطعن هذه الشجرة، فجاء ليقطعها غَضَبًا لله، فلقيه الشيطان فى صورة إنسان، فقال: ما تريد؟ قال: أريد أقطع هذه الشجرة التى تعبد من دون الله. قال: إذا أنت لم تعبدها فما يضرك مَنْ عبدها؟

قال: لأقطعنها[1]. فقال له الشيطان: هل لك فيما هو خير من ذلك؟ لا تقطعها ولك ديناران كل يوم إذا أصبحت عند وسادك! قال: فمن لى بذلك؟ قال: أنا.

فرجع، فأصبح، فوجد دينارين عند وسادة، ثم أصبح بعد ذلك، فلم يجد شيئاً، فقام غضبان ليقطعها، فتمثل له الشيطان فى صورته، فقال: ما تريد؟

قال: أريد أقطع هذه الشجرة التى تعبد من دون الله. قال: كذبت ما لك إلى ذلك سبيل، فذهب ليقطعها، فضرب به الأرض، وخنقه حتى كاد أن يقتله، فقال: تدرى مَنْ أنا؟ أنا الشيطان، جئتَ أول مرة غَضَباً لله، فلم يكن لى عليك سبيل، فرَغَّبْتُك بالدينارين، فتركتها، فلما فقدتهما، جئت غَضَبَاً للدينارين، فسُلِّطْتُ عليك.

* * *

الحكاية الحادية عشرة بعد المائة

من حكايات إبراهيم بن أدهم

حدثنا إبراهيم بن بشار قال: صحبت إبراهيم بن أدهم ست سنين وأشهراً، كان

---

(١) فى رواية أخرى لهذه الحكاية: أن الشيطان أراد أن يمنع الرجل عن قطع الشجرة، فتصارعا، فصرع الرجلُ الشيطانَ وانتصر عليه.

كثير الصمت، وكان لا يسألنا عن شيء حتى نسأله، وكان فمه قد أُلْجِمَ من طول الصمت، وكنت إذا رأيته كأنه ثكلى، وكأن أحزان الدنيا وهمومها قد رَكبت عليه، وقد أكبده الحزن، وكنا نجيء إلى المبولة، فنرى أثر بوله كأنه علق الدم، فكنا نستدل على أن هذا من كَمَدِ الحزن.

وكان يوصينا، فيقول: أقلوا معرفة الناس، ولا تعرفوا إلى مَنْ لا تعرفونه، وأنكروا مَنْ تعرفون.

قال ابن بشار: وخرجت أنا وإبراهيم وأبو يوسف الغسولى وأبو عبد الله السنجارى، فركبنا المركب في البحر نريد الغزو، فلما هممنا بالمسير قام رجل من الركاب، فقال: يا قوم، هاتوا ديناراً ديناراً نتزود، وما كان معنا قليل ولا كثير إلا لباساً، فقام إبراهيم بن أدهم، فخرج من المركب إلى الساحل، فما كان بأسرع من أن جاء بأربعة دنانير، كأنى أنظر إليهن تبرق حتى أعطاها الرجل، فسرنا واتفقت معنا مراكب من تنيس ودمياط والإسكندرية وعسقلان، فكانت ستة عشر أو سبعة عشر مركباً.

فبينا نحن نسير فى بعض الليل هبت علينا ريح سوداء مظلمة، وهاج البحر، واضطربت الأمواج علينا اضطراباً شديداً، فأشرفنا على الهلكة، فأقبلوا عُنُقًا واحداً يتضرعون، وإبراهيم ملتف نائم فى فروة -أو قال: فى لباده- غير مكترث، فقال له رجل من المُطَّوِّعة: يا عبد الله، ترى ما أشرفنا عليه من الغرق، وأنت راقد لا تقوم فتدعو الله معنا، فرفع رأسه إلى السماء، فلم نر شفتيه تتحرك، ولا سمعنا منه كلاماً، فما كان بأسرع من أن سمعنا قائلاً لا ندرى من البحر أو من السماء: يا أيتها الريح العاتية ويا أيتها الأمواج المضطربة اسكنى، فإن فوقك إبراهيم بن أدهم، فانكشفت عنا الريح، وذهبت الظلمة، وهدأ البحر، وسارت المراكب.

فلما أصبحنا اجتمعت المراكب، فقال رؤساء المراكب: أسمعتم الصوت؟ قالوا: نعم، قد سمعنا. قالوا: إذا بلغنا إلى الساحل، فليعرض كل رجل منكم رجاله حتى نقع على هذا الرجل، فيدعو الله لنا بدعوة.

فانتهينا إلى حصن لم يغزهم أحد، وكان باب الحصن من حديد، فقال إبراهيم: قولوا كما أقول: لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد، فرأينا الحصن يتساقط منه حجر، ثم قال: قولوا كما أقول الثانية: لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد، فأقبل يتساقط حجراً حجراً، قال: فقولوا الثالثة مثل ما أقول لكم، قولوا: لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد، فتساقط، وانفرج لهم الحصن، فقال: ادخلوا على بركة الله، وكان قد أوصاهم أن لا يغلوا ونحو ذلك، فقال: احفظوا الوصية التى أوصيكم.

قال: فغنمنا غنيمة، حتى أشحنا المركب من الرقيق وغيره، ثم سرنا واتفقت المراكب، فلما سلَّم الله، وصرنا إلى المرسى خرج إبراهيم بن أدهم وتبعناه، ولم يزرأ من القسم شيئاً، فرأينا رجُلاً ممن كان معنا بعد، فسألناه أى شىء كان حالكم فى المقسم؟ فقال: أصاب كل رجل منا عشرين ومائة دينار، وما وصل إلينا نحن قليل ولا كثير.

* * *

الحكاية الثانية عشر بعد المائة

حكاية محمد بن منصور مع معروف الكرخي

حدثنا سعيد بن عثمان قال: كنا عند محمد بن منصور يوماً، وعنده جماعة من أصحاب الحديث وجماعة من الزهاد، فسمعته يقول: صمت يوماً، وقلت: لا آكل إلا حلالاً، فمضى يومى، ولم أجد شيئاً، فواصلت اليوم الثانى واليوم الثالث والرابع حتى إذا كان وقت الفطر قلت: لأجعلن فطرى الليلة عند من يزكى الله طعامه، فصرت إلى معروف الكرخى، فسلَّمت عليه، وقعدت حتى صلَّى المغرب.

وخرج مَنْ كان معه فى المسجد، فما بقى إلا أنا وهو ورجل آخر، فالتفتَ إلىَّ، وقال: يا طوسى؟ قلت: لبيك. قال: تَحَوَّل على أخيك فتعشَّ معه، فقلت فى نفسى: صمت أربعة أيام، وأفطر على ما لا أعلم! فقلت: ما بى من عشاء، فتركنى، ثم ردَّ القول علىَّ، فقلت: ما بى من عشاء، ثم فعل ذلك الثالثة، فقلتُ ما بى من عشاء، فسكت عنى ساعة، ثم قال لى: تقدَّم، فتحاملت وما بى من تحامل من شدة الضعف، فقعدت عن يساره، فأخذ يدى اليمنى، فأدخلها إلى كمه الأيسر، فأخذت من كمه سفرجلة معضوضة، فأكلتها، فوجدت فيها طعم كل طعام طيب، واستغنيت بها عن الماء.

قال: فسأله رجل كان حاضر معنا: أنت يا أبا جعفر؟ قال: نعم، وأزيدك أنى ما أكلت منذ ذلك حلوًا ولا غيره إلا أصبت فيه طعم تلك السفرجلة، ثم التفت محمد بن منصور إلى أصحابه، فقال: أنشدكم الله إن حدثتم بهذا عنى وأنا حى(١).

* * *

الحكاية الثالثة عشرة بعد المائة

بين يحيى بن معاذ ورجل مبتلى

حدثنا أحمد بن بكر قال: سمعت يحيى بن معاذ الرازى يقول: كنت فى سياحتى،

---

(١) عقَّب ابن الجوزى على هذه الحكاية بقوله: محمد بن منصور ثقة صالح.

فبينا أنا في بعض الخلوات لاح كوخ من قصب، فقصدت نحوه، فإذا أنا بشيخ مبتلى، قد أكل الدود لحمه، فوقع في قلبي له رحمة، فقلت له: يا شيخ، أتحب أن أسأل الله أن يُقَوِّيك؟ قال: فرفع رأسه إليّ، وهو أعمى، فنظر إليّ، وقال: يا يحيى بن معاذ الرازي، وإن لك عنده هذه الدالة، فلِمَ لا تسأله أن يبغض إليك شهوة أكل الرمان.

قال يحيى بن معاذ: وكنت قد اعتقدت مع الله تعالى ترك الشهوات ما خلا الرمان، فإني لم أقدر على تركه لحبي له، ثم نظر إليّ وقال: يا يحيى بن معاذ، احذر أن تتعرض لأولياء الله[١].

* * *

الحكاية الرابعة عشرة بعد المائة

حكاية عجيبة لرجل يدفن في قبره

عن عبد الحميد بن محمود قال: كنت عند ابن عباس، فأتاه رجل، فقال: أقبلنا حجاجاً حتى إذا كنا بالصفا توفي صاحب لنا، فحفرنا له فإذا أسود[٢] قد أخذ اللحد، فحفرنا له قبراً آخر، فإذا أسود قد أخذ اللحد، فحفرنا له قبراً آخر، فإذا أسود قد أخذ اللحد كله.

قال: فتركناه، وأتيناك نسألك: ما تأمرنا؟ قال: ذلك عمله الذي كان يعمل، اذهبوا، فادفنوه في بعضها، فوالله لو حفرتم له في الأرض كلها لوجدتم ذلك.

قال: فألقيناه في حفرة منها، فلما قضينا سفرنا أتينا امرأته، فسألناها عنه، فقالت: كان رجل يبيع الطعام، فيأخذ قوت أهله كل يوم، ثم ينظر مثله من قصب الشعير، فيقطعه فيخلطه في طعامه، وكان يأكل ما كان يأخذ[٣]!.

---

(١) في هذه الحكاية كثير من المغالطات، ولا ينبغي كما ورد فيها أن يجلس هذا الرجل المبتلى حتى يأكل الدود لحمه دون أن يتداوى، بل إنه ينكر على يحيى بن معاذ أن يسأل الله له الشفاء، ثم إنه ويحيى يريان أن أكل الرمان شهوة ينبغي تركها، والمعلوم أن الله سبحانه وتعالى أمرنا بالأخذ بالأسباب وبالتداوي والتضرع إليه في رفع البلاء، كما أنه سبحانه لم يُحَرِّم على الإنسان الطيبات من الفاكهة وألوان الطعام طالما أن الإنسان يأكل من الحلال دون إسراف أو تبذير.

(٢) ثعبان.

(٣) لعل المفهوم من كلام المرأة أن زوجها هذا كان يخلط الشعير على طعامه حتى يصير خمرًا، وأنه كان بذلك مداومًا على تناول الخمر، وعلى أية حال فإن المعنى الذى ينبغي أن نتوقف عنده وأن نخرج به من هذه القصة هو الاستعداد للقبر بالعمل الصالح لأن العمل هو رفيق الإنسان في تلك الشدة والمحنة، فإن كان العمل صالحًا كان نعم الرفيق، وجاء صاحبه في صورة حسنة ومنظر=

الحكاية الخامسة عشر بعد المائة

حكاية الرجل الفقير وحب اللؤلؤ

حدثنا أحمد بن ناصح المصيصى قال: كان شيخ يتعبد، وكان لـه عيـال، فـإذا أمسـى أخرج الغزل فباعه، واشترى لهم طعاماً وقطناً، فخـرج ذات يـوم ومعـه الغـزل، فباعـه، فلقيه أخ له، فشكى إليه الحاجة، فدفع إليه ثمن الغـزل، ورجـع إلى عيالـه، فقـالوا: أيـن الطعام؟ أين القطن؟ فقال: استقبلنى فلان، فشكى إلىّ الحاجة، فدفعت إليه ثمـن الغـزل. قالوا: فكيف نصنع، وليس لنا شيء؟

وكان فى بيته قصعة مكسورة وجَرَّة، فذهب بهما إلى السوق، فلـم يشترهما أحـد، فمر به رجل معه سمكة منتفخة ليس يشتريها أحد، فقـال لـه صـاحب السـمكة: بعنـى كاسدك بكاسدى، فدفع ما كان معه إليه، وأخذ السمكة، فجاء بها إلى عيالـه، فقـالوا: ما نصنع بهذه؟ قال: تشوونها، فنأكلها، لعل الله أن يأتيكم بـرزق، فشـقوا بطنهـا فـإذا حبة لؤلؤ، فأخبروا الشيخ، فقال: انظروا، فإن كـانت مثقوبـة فهـى لبعـض النـاس، وإن كانت غير مثقوبة فهى رزق رزقنا الله عز وجل، فنظروا فإذا هى غير مثقوبة.

فلما أصبح غدا بها على بعض إخوانه من أصحاب الجواهر، فدفعها إليه، فقال: مـن أين لك هذه؟ قال: رزق رزقنا الله. قال: هى تساوى ثلاثـين ألفـاً، وفـلان أوفـى منـى، فاذهب بها إليه، فجاء بها إليه، فقال: يا فلان، مِنْ أين لك هذه؟ ما أثمنها! قـال: رزق رزقنا الله. قال: هى تساوى سبعين ألفاً، لا تساوى أكثر مـن هـذا، هـات مـن يقبضهـا لك، فدفع إليه سبعين ألفا، فدعا الحمالين، فحملوها حتى إذا صار إلى منزله قَيَّض الله له سائلاً، فقال: أعطنا مما أعطاك الله.

فقال: قد كنا بالأمس مثل حالك، خذ نصف هذا المال، فلما قسَّم المال، وأخذ كـل واحد نصفه قال له السائل: بارك الله لك، إنما أنا رسول ربك بعثنى أختبرك(١).

-جميل، وإن كان العمل سيئًا لزم صاحبه في قـبره في صـورة قبيحـة، ومنظـر شـنيع، نسـال الله سبحانه أن يرزقنا العمل الصالح ليكون رفيقًا لنا.

(١) فى هذه الحكاية الكثير من العبر والعظات ؛ كالصبر على الفقر، والكرم والإيثـار، وشـكر نعمـة الله، وانتظار الفرج مـن اللـه سبحانه، ولعلهـا مـأخوذة مما قَصَّه النبي ﷺ في حكايـة الأعمـى والأبرص والأقرع، والتى يقول فيها ﷺ: «إن ثلاثة مِنْ بني إسـرائيل أبـرص وأقـرع وأعمـى أراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكا. فأتى الأبرص فقَالَ: أي شيء أحب إليـك؟ قَـالَ: لـون حسـن وجلد حسن ويذهب عني الذي قد قذرني الناس. فمسحه فذهب عَنْه قذره وأعطي لونـا حسـنا وجلدا حسنا. قال: فأي المال أحب إليك؟ قَالَ: الإبل أو قَالَ البقر. فأعطي ناقـة عشـراء فقَـالَ-

الحكاية السادسة عشر بعد المائة

من نصائح الحسن البصري

حدثنا أبو عبيدة التاجى قال: دخلنا على الحسن فى مرضه الذى مات فيه، فقال: مرحباً بكم وأهلاً، حياكم الله بالسلام، وأحلنا وإياكم دار السلام، هذه علانية حسنة إن صبرتم وصدقتم وأيقنتم، ولا يكونن حظكم من هذا الخبر رحمكم الله أن تسمعوا بهذه الأذن، ويخرج من هذه الأذن، فإنه من رأى محمداً ﷺ رآه غادياً رائحاً، لم يضع لبنة على لبنة، ولا قصبة على قصبة، ولكنه وقع له علم، فشمَّر إليه، الوحا الوحا، ثم النجا النجا، علامَ تعرجون؟ أتيتم ورب الكعبة كأنكم والأمر معاً، رحم الله عبداً جعل العيش عيشاً واحداً، فأكل كسرة، ولبس خلقاً، ولصق بالأرض، واجتهد فى العبادة، وبكى على الخطيئة، وهرب من العقوبة، وابتغى الرحمة حتى يأتيه أجله، وهو على ذلك، وإذا شئت أن تلقاه مضيعاً، تلج فى الباطل تقول: من ذا الذى يحظر علىَّ مالى؟ يا لكع يحظره عليك الذى أعطاكه، رحم الله عبداً كسب طيباً، وأنفق قصداً، وقدَّم فضلاً ليوم فقره وفاقته وجهوا هذه الفضول حيث وجهها الله عز وجل، وضعوها موضعها،

=بارك الله لك فيها.

فأتى الأقرع فقَالَ: أي شيء أحب إليك؟ قَالَ: شعر حسن ويذهب عني هذا الذي قذرني الناس. فمسحه فذهب عَنْه وأعطي شعرا حسنا. قَالَ: فأي المال أحب إليك؟ قَالَ: البقر فأعطي بقرة حاملا قَالَ بارك الله لك فيها.

فأتى الأعمى فقَالَ: أي شيء أحب إليك؟ قَالَ: أن يرد الله إلي بصري فأبصر الناس. فمسحه فرد الله إليه بصره. قَالَ: فأي المال أحب إليك؟ قَالَ: الغنم. فأعطي شاة والدا. فأنتج هذان وولد هذا، فكان لهذا واد مِنْ الإبل ولهذا واد مِنْ البقر ولهذا واد مِنْ الغنم. ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقَالَ: رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيرا أتبلغ به في سفري. فقَالَ: الحقوق كثيرة. فقَالَ: كأني أعرفك: ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيرا فأعطاك الله؟ فقَالَ: إنما ورثت هذا المال كابرا عَنْ كابر. فقَالَ: إن كنت كاذبا فصيرك الله إِلَى ما كنت. وأتى الأقرع في صورته وهيئته فقَالَ له مثل ما قَالَ لهذا ورد عليه مثل ما رد هذا. فقَالَ: إن كنت كاذبا فصيرك الله إِلَى ما كنت.

وأتى الأعمى في صورته وهيئته فقَالَ: رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري. فقَالَ: قد كنت أعمى فرد الله إلي بصري فخذ ما شئت ودع ما شئت فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله عَزَّ وَجَلَّ. فقَالَ: أمسك مالك فإنما ابتليتم فقد رضي عَنْك وسخط عَلَى صاحبيك» مُتَفَقٌ عَلَيْهِ.

فإن الذين كانوا قبلكم كانوا يأخذون من الدنيا بلاغًا، ويبتاعون بالفضل أنفسهم من الله عز وجل، إن الله تعالى قسم الدنيا للبلاء، وأباح الآخرة للجزاء، وإن الله تعالى أعطى الدنيا بقسم، وأعطى الآخرة بالعمل، وإن المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيه، ولكن أتاه من الله عز وجل، فأخذه عنه، وإن سبيل الله تعالى سبيل واحد، جماعه الهدى، ومصيره الجنة، وإن سبيل الشيطان سبيل متفرقة، جماعه الضلالة، ومصيرها إلى النار، وإن هذا الإيمان -والله- ليس بالتمنى ولا بالتحلى، ولكن ما وقر فى القلوب، وصدقته الأعمال.

* * *

الحكاية السابعة عشر بعد المائة

حكاية عن شارب خمر تائب

حدثنا جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار قال: بينا أنا أطوف بالبيت الحرام، وقد أعجبنى كثرة الحجاج والمعتمرين، فقلت: يا ليت شعرى! مَنْ المقبول فيهم فأهنيِّه؟ ومَنْ المردود منهم، فأعزيه؟.

فلما كان فى الليل أريت فى منامى كأن قائلاً يقول: مالك بن دينار تتفكر فى الحاج والمعتمرين، قد والله غفر الله للقوم أجمعين، الصغير والكبير، والذكر والأنثى، الأسود والأبيض، والعربى والأعجمى، ما خلا رجل واحد، فإن الله عليه غضبان، وقد رد عليه حجه، وضرب به وجهه، قال: مالك، فنمت بليلة لا يعلمها إلا الله عز وجل، وحسبت أن أكون ذلك الرجل، فلما كان فى الليلة الثانية رأيت فى منامى مثل ذلك، غير أنه قيل لى: ولست ذلك الرجل، بل هو رجل من خراسان، من مدينة تدعى بلخ، يقال له: محمد بن هرون البلخى، الله عليه غضبان، وقد رد عليه حجه، وضرب وجهه.

قال مالك: فلما أصبحت أتيت قبائل خراسان، وهم مجتمعون بمكة، ثم سلمت، وقلت: أفيكم البلخيون؟ قالوا: نعم. فقلت: فيكم رجل يقال له: محمد بن هرون البلخى. قالوا: بخ! بخ! يا مالك تسأل عن رجل ليس بخراسان أعبد ولا أزهد منه! فعجبت من جميل الثناء عليه، وما رأيت فى منامى، فقلت: أرشدونى إليه. قالوا: إنه منذ أربعين سنة يصوم النهار، ويقوم الليل، ولا يأوى إلا الخراب، تظنه فى خراب مكة، فجعلت أجول فى الخراب، وإذا به قائم خلف جدار، وإذا يده اليمنى مقطوعة معلقة فى عنقه، وقد ثقب ترقويه، فأدخل فيها سلسلة، ومدها إلى قيدين فى قدميه، وهو ساجد وراكع، فلما أحسن بهمس قدمى من ورائه انفتل، فقال: مَنْ تكون؟ ومِنْ أين تكون؟ فقلت: أنا مالك بن دينار من أهل البصرة. قال: أنت مالك الذى يذكر عنك

أهل العراق العلم والزهد؟ قلت: العالم الله عز وجل، والزاهد عمر بن عبد العزيز، قَدِرَ على الدنيا، فزهد فيها، وأنا أزهدنى الفقر.

قال: يا مالك، فماذا جاء بك إلىَّ، قد رأيت لى رؤيا اقصصها علىَّ، فقلتُ: أستحى أن أقصصها عليك. قال: لا تستحى يا مالك، فقصصتها عليه، فبكى طويلاً، وقال: يا مالك هذه الرؤيا تُرَى لى منذ أربعين سنة، يراها فى كل سنة رجل زاهد، مثلك إنى من أهل النار. قلت: بينك وبين الله ذنب عظيم؟ قال: نعم ذنبى عظيم أعظم من السماوات والأرض والكرسى والعرش! قلت: يا هذا، حدثنى بذنبك لأُحَذِّرَ الناس العمل به، قال: يا مالك، كنت رجل أكثر شرب هذا المُسْكِرَ، فشربت يوماً عند خدن[1] لى حتى إذا ثملت وزال عقلى، خرجت، فأتيت منزلى، فقرعت الباب على أهلى، وكانت ابنة عمى، ففتحت الباب، فدخلت فإذا والدتى تحصب[2] تنوراً لنا حتى قد أبيض جوفه، فلما رأتنى أتمايل بسكرى، أقبلت علىَّ تغطينى وتقول: هذا آخر يوم من شعبان، وأول ليلة من رمضان، يصبح الناس غداً صواماً، وتصبح أنت سكراناً، أما تستحى من الله، فرفعت يدى فلكذتها، فقالت: تعست، فغضبت من قولها، فحملتها بسكرى، فرميتها فى التنور، فلما رأتنى امرأتى، حملتنى فأدخلتنى القيطون[3]، وأجافت الباب فى وجهى مخافة أن تسمع الجيران.

فلما كان فى آخر الليل، وذهب سكرى، ورجع ذهنى دعوت ابنة عمى لتفتح الباب، فأجابتنى بجواب فيه جفاء، فقلت: ويلك ما هذا الجفاء الذى لم أعرفه منك؟ فقالت: تستأهل أن لا أرحمك، قلت: ولِمَ؟ قالت: قد قتلت أمك، رميت بها فى التنور، فقد احترقت، فلما سمعت ذلك لم أتمالك أن قلعت الباب، وخرجت إلى التنور، فإذا هى فيه كالرغيف المحترق، فالتفت فإذا أنا بقدوم، فوضعت يدى على عتبة الباب، فقطعتها بيدى الشمال، وثقبت ترقوى فأدخلت فيها السلسلة، وقيَّدت قدمى هذين القيدين، وكان ملكى ثمانية آلاف دينار، فتصدقت بها قبل مغيب الشمس، وأعتقت ستة وعشرين جارية وثلاثة وعشرين عبداً، وأوقفت ضياعى فى سبيل الله، وأنا منذ أربعين سنة أصوم النهار، وأقوم الليل، ولا أفطر إلا فى كل أربعين يوماً[4] على قبضة حمص، وأحج البيت الحرام فى كل سنة، ويرى لى فى كل سنة رجل عالم مثلك مثل هذه الرؤيا!

---

(١) صديق.

(٢) تُلْقِى بالحطب فى التنور، وهو الفرن.

(٣) القَيْطُونُ المخدع بلغة أهل مصر، أو الحجرة الشتوية.

(٤) هذا من المبالغة التى لا تعقل.

قال مالك: فنفضت يدى فى وجهه، وقلت: يا مشئوم، كدتَ أن تحرق الأرض ومَنْ عليها بنارك، وغبت عنه بحيث أسمع حسه، ولا أرى شخصه، فرفع يده إلى السماء، وجعل يقول: يا فارج الهم وكاشف الغم مجيب دعوة المضطرين ويا ركنى الوثيق ويا خالق البحر العميق ويا إلهى بالتحقيق يا فتاح يا من بيده لكل خير مفتاح أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصى ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، لا تقطع رب رجائى، وأنا أرجوك، ولا تخيب دعائى، وأنا أدعوك، أسألك لذة العيش قبل الموت، ولذة النظر إلى وجهك الكريم.

قال مالك: فأتيت منزلى، فرأيت النبى ﷺ فى منامى، وهو يقول: يا مالك، لا تُقنِّط الناس من رحمة الله، ولا تيئسهم من عفوه، إن الله عز وجل قد اطلع من الملأ الأعلى على محمد بن هارون، فاستجاب له دعوته، وأقاله عثرته، أغد إليه، فقل له: إن الله يجمع الأولين والآخرين يوم القيامة فى صعيد، فيقتص للجماء من القرناء، ولا يذهب عليه مثقال ذرة، ويقول تبارك وتعالى: وعزتى وجلالى لأجزين اليوم بعشر معشار الذر، حتى اقتص للمظلوم ممن ظلمه، ويجمع بينك يا محمد بن هارون وبين أمك، فيحكم لها عليك، ويأمر الملائكة يقودونك بسلاسل غلاظ إلى النار، فإذا قذفت فيها مقدار ثلاثة أيام من أيام الدنيا ولياليها ؛ لأنى آليت على نفسى أن لا يشرب المسكر عبد من عبيدى ويقتل النفس التى حَرَّمْتُ إلا أذيقه طعم النار، ولو كان إبراهيم خليلى، ثم أطرح فى قلب أمك الرحمة لك، فألهمها أن تستوهبك منى، فأهبك لها، فتأخذ بيدها، فتدخلان الجنة. قال مالك: فلما أصبحت غدوت إلى الشيخ، وأخبرته برؤياى، فوالذى قبض روحه لكأنما كانت حياته حصاة طرحت فى طشت فيه ماء، فمات رحمه الله، فكنت فيمن صلّى عليه.

* * *

الحكاية الثامنة عشر بعد المائة

ابن أدهم يطلب الزاد الحلال

عن إبراهيم بن أدهم قال: سألت بعض المشايخ عن الحلال، فقالوا: إن أردتَ الحلال فعليك ببلاد الشام، فمضيت إلى بلاد الشام، فصرت إلى المصيصة، فأقمت بها أياماً على أن يصفو لى الحلال، فلم يصف لى ذلك، فسألت المشايخ عن الحلال، فقالوا: إن أردت الحلال فعليك بطرسوس، فخرجت إلى طرسوس، فاضطررت فيها فبينا أنا كذلك جيت إلى باب البحر أطلب العمل، فجانى رجل، فاكترانى[1] أنظر له بستاناً له، فأكريته

---

(١) اكترى: استخدم رجلا لعمل ما بالأجر.

نفسي، فمكثت في البستان أياماً كثيرة، فإذا أنا بخادم قد أقبل ومعه نفر، فجاء إلى مجلسه فقال: يا ناطور[1] يا ناطور فقلت: لبيك. فقال: فاذهب، فأتنا بأكبر رمان تقدر عليه وأطيبه، فأخذت زنبيلي[2]، فأقبلت إليه برمان كبار فكسر الخادم واحدة فإذا هي حامضة، فقال: ويحك يا ناطور، أما تستحي مني أنت منذ كذا وكذا في البستان تأكل من الفاكهة لا تعرف الحلو من الحامض.

قال: فقلت له: والله ما أعرف الحلو من الحامض، ولا أكلت من بستانك شيئاً، فأقبل على أصحابه يقول: رأيتم أعجب من كلام ذا، لو كنت إبراهيم بن أدهم زاد عليَّ ذا، فوليت وجهي عنه.

فلما كان من الغد إذا أنا به قد أقبل ومعه عنق من الناس، فلما رأيت الناس قد أقبلوا كأنه سبق إلى قلبي أنه بث ما كان من قبل، فأقبل الناس يدخلون البستان، واختلطت بالناس فهم يدخلون وأنا خارج، فهربت ولم ألق أحداً منهم.

* * *

الحكاية التاسعة عشر بعد المائة

بين الدينوري ورجل فقير

عن أبي عبد الله الدينوري أنه كان جالساً يوماً فدخل عليه فقير، عليه أثار الضر قال: فطالبتني نفسي أن أجيئه بشيء، فهممت أن أرهن نعلي، فمنعتني نفسي، وقالت: كيف يتم لك طهارة مع الحفاء، فقلت: أرهن ركوتي، فمنعتني أيضاً، وقالت: فبأي شيء تتوضأ، فهممت أن أرهن منديلي، فمنعتني نفسي، وقالت: تبقى مكشوف الرأس، فقلت: وما في ذلك، فجعلت أراجعها في ذلك، فقام الفقير فشد وسطه، وأخذ عصاه بيده، ثم التفت إليَّ فقال: يا خسيس النفس احفظ منديلك، فإني خارج، فاعتقدت مع الله أن لا آكل الخبز حتى ألقاه، فقيل إنه أقام ثلاثين سنة لم يأكل الخبز.

* * *

الحكاية العشرون بعد المائة

المعروف لا يضيع

عن عكرمة أن مَلِكاً قال لأهل مملكته: لئن تصدق أحد بشيء لأقطعن يده.

فجاء رجل إلى امرأة فقال: تصدقي عليَّ؟ قالت: كيف أتصدق عليك؟ والملك يقطع

---

(١) الناطور، والناظور: سيد القوم، أو المتولي إدارة شيء ما.

(٢) الزنبيل: الوعاء.

يد كل من يتصدق. قال: أسألك لوجه الله لما تصدقت عليَّ، فتصدقت عليه برغيفين، فأرسل الملك إليها، فقطع يديها، ثم إن الملك قال لأمه: دلينى على امرأة جميلة أتزوجها.

قالت: إن هاهنا امرأة ما رأيت مثلها قط، ولكن بها عيب شديد. قال: أى شىء بها؟ قالت: قطعاء اليدين، فأرسل إليها، فلما نظر إليها أعجبته، فقال: أتريدين أن أتزوجك؟ قالت: نعم، فتزوجها، ودخل بها، فحسدها ضرائر لها، فخرج الملك يقاتل غزواً له، فكتب ضرائرها إليه أنها فاجرة، وقد ولدت غلاماً، فكتب الملك إلى أمه: خذى ذلك الغلام فاحمليه على عنقها، واضربى جبينها، وأخرجيها من الدار إلى الصحراء.

قال: فدعتها أمه، فأمرت بالصبى، فحُمِلَ على عنقها، وأخرجت من دار الملك إلى الصحراء، فبينا هى تمشى، والصبى على عنقها، إذ مرَّت بنهر، فنزلت لتشرب فند الصبى عن رقبتها فى الماء فغرق، فجلست تبكى، فبينا هى كذلك مر بها رجلان فقالا لها: ما يبكيك؟ قالت: ابنى كان على عنقى، فسقط فى الماء، فغرق. فقالا لها: أتحبين أن نخرجه لك؟ قالت: إى والله. قالت: فدعو الله عز وجل، فخرج ابنها إليها، وقالا لها: أتحبين أن تُرَدَّ يديك؟ قالت: نعم، فدعو الله عز وجل، فاستوت يداها، فقالا لها: أتدرين مَنْ نحن؟ قالت: لا. قالا: نحن رغيفاك اللذين تصدقت بهما[1].

* * *

الحكاية الحادية والعشرون بعد المائة

حكاية امرأة عجوز عابدة

حدثنا عثمان الرجاى قال: خرجت من بيت المقدس أريد بعض القرى فى حاجة، فلقيتنى عجوز عليها جبة صوف وخمار صوف، فسلمت، فردت عليَّ السلام ثم قالت: يا بنى من أين أقبلت؟ فقلت: من هذه القرية.

قالت: وأين تريد؟ قلت: إلى بعض القرى فى حاجة. قالت: كم بينك وبين أهلك ومنزلك؟ قلت: ثمانية عشر ميلاً. قالت: ثماينة عشر ميلاً فى حاجة، إن هذه لحاجة مهمة. قلت: أجل. قالت: فما اسمك؟ قلت: عثمان. فقالت: يا عثمان، ألا سألت صاحب القرية أن يوجه إليك بحاجتك ولا تتعنى.

قال: ولَمْ أعلم الذى أرادت قلت: يا عجوز، ليس بينى وبين صاحب القرية معرفة. قالت: يا عثمان، وما أوحش بينك وبين معرفته، وقطع بينك وبين الاتصال به، فعرفت الذى أرادت، فبكيت.

---

(١) قال ابن الجوزى بعد ذكر هذه القصة: وسياق الحكاية لابن أبى الدنيا.

فقالت: مِنْ أى شىء تبكى، من شىء كنت فعلته ونسيته، أو شىء نسيته وذكرته؟ قلت: لا، بل من شىء كنت أنسيته وذكرته. قالت: يا عثمان، احمد الله الذى لم يتركك فى حيرتك أتحب الله عز وجل؟ قلت: نعم.

قالت: فاصدقنى. قلت: أى والله إنى لأحب الله عز وجل. قالت: فما الذى أفادك من طرائف حكمته إذا وصلك إلى محبته. قال: فبقيت لا أدرى ما أقول. فقالت: يا عثمان لعلك ممن يحب أن يكتم المحبة، فبقيت بين يديها لا أدرى ما أقول.

فقالت: يأبى الله أن يُدَنِّسَ طرائف حكمته وخفى معرفته ومكنون محبته بممارسة قلوب البطالين. قلت: رحمك الله لو دعوت لى الله عز وجل أن يشغلنى بشىء من محبته، فنفضت يدها فى وجهى، فأعدت القول أقتضى الدعاء، فقالت: يا عبد الله، امْضِ لحاجتك فقد علم المحبوب ما ناجاه الضمير من أجلك. ثم ولَّت، وقالت: لولا خوف السلب لبحت بالعجب، ثم قالت: آه من شوق لا يبرأ إلا بك، ومن جنان لا يسكن إلا إليك، فإن لوجهى الحياء منك، وإن لقلبى الرجوع إليك.

قال عثمان: فوالله ما ذكرتها إلا بكيت وغشى علىَّ.

* * *

الحكاية الثانية والعشرون بعد المائة

رسالة إلى النيل

حدثنا لهيعة عن قيس بن الحجاج قال: لما فتحت مصر أتى أهلها إلى عمرو بن العاص حين دخل بئونة من أشْهُرِ العجم(١)، فقالوا: أيها الأمير، إن لنيلنا هذا سُنة لا يجرى إلا بها.

فقال لهم عمرو: ما ذاك؟ فقالوا: إذا دخلت ثنتا عشرة ليلة من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها، فأرضينا أباها، وحملنا عليها من الحلى والثياب أفضل ما يكون، ثم ألقيناها فى النيل، فقال لهم عمرو: إن هذا لا يكون فى الإسلام، وإن الإسلام يهدم ما كان قبله، فأقاموا بئونة وأبيب ومسرى لا يجرى قليلاً ولا كثيراً حتى هموا بالجلاء منها، فلما رأى ذلك عمرو بن العاص كتب إلى عمر بذلك.

فكتب إليه عمر: أنك قد أصبت بالذى فعلت لأن الإسلام يهدم ما كان قبله، وكتب بطاقة داخل كتابه، وكتب إلى عمرو أنى قد بعثت إليك ببطاقة داخل كتابى إليك، فألقها فى النيل.

---

(١) وردت فى نسخة أخرى: القبط.

فلما قدم كتاب عمر إلى عمرو بن العاص أخذ البطاقة فإذا فيها: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر، أما بعد، فإن كنت تجرى من قِبَلَكَ فلا تجرِ، وإن كان الواحد القهار هو الذى يجريك، فنسأل الواحد القهار أن يجريك.

فألقى البطاقة فى النيل قبل يوم الصليب بيوم، وقد تهيأ أهل مصر للجلاء والخروج لأنه لا تقوم مصلحتهم فيها إلا بالنيل، فلما ألقى البطاقة أصبحوا يوم الصليب، وقد أجراه الله ست عشرة ذراعاً فى ليلة واحدة، فقطع الله تعالى تلك السُّنة السوء عن أهل مصر إلى اليوم.

* * *

الحكاية الثالثة والعشرين بعد المائة
بين عمر بن الخطاب وأعرابي شاعر

عن عبد الوهاب بن عبد الله بن أبى بكرة قال: وقف أعرابى على عمر رضى الله عنه فقال: يا عمر الخير جزيت الجنة:

اكْسُ بنياتى وأُمَّهُنّه
فقد بقينا بالسؤال جنة
أقسم بالله لتفعلنه

قال: فإن لم أفعل يكون ماذا؟ قال: إذاً أبا حفص لأ مضينه

قال: فإن مضيت يكون ماذا؟ قال: تالله عن حالى لتسألنه:

يوم يكون الأعطيات منة
والواقف المسئول بينهنه
إما إلى نار وإما إلى جنة

قال: فبكى عمر حتى اخْضَلَّتْ لحيته، وقال لغلامه: يا غلام أعطه قميصى هذا لذلك اليوم، لا لشعره، ثم قال: أما والله ما أملك غيره.

* * *

الحكاية الرابعة والعشرون بعد المائة
عزاء جميل

حدثنا محمد بن على المدائنى قال: قال محمد بن جعفر: مات أخ لبعض ملوك اليمن فعزَّاه بعض العرب فقال: أعلم أن الخَلْق للخالق والشكر للمنعم والتسليم للقادر ولا بد مما هو كائن، وقد جاء ما لا يُرَدُّ ولا سبيل إلى رجوع ما قد فات، وقد أقام معك ما

سيذهب عنك أو ستتركه، فما الجزع مما لا بد منه؟ وما الطمع فيما لا يرجى؟ وما الحيلة فيما سينتقل أو تنتقل عنه؟ وقد مضت لنا أصول نحن فروعها فما بقى الفرع بعد أصله فأفضل الأشياء عند المصائب الصبر وإنما أهل هذه الدنيا سَفر لا يحلون الركاب إلا فى غيرها فما أحسن الشكر عند النعم والتسليم عند الغِيَر، فاعتبر بمن رأيت من أهل الجزع، فإن رأيت الجزع رَدَّ أحداً منهم إلى ثقة من درك، فما أولاك به.

واعلم أن من أعظم المصيبة سوء الخلف منها، فأفق والمرجع قريب، واعلم إنما ابتلاك المنعم وأخذ منك المعطى وما ترك أكثر فإن أُنْسِيتَ الصبر فلا تغفل الشكر وكُلاً فلا تدع، واحذر من الغفلة استلاب النعم وطول الندامة فما أصغر المصيبة اليوم مع عظم المصيبة غدا وإنما نحن فى الدنيا غرض تنتصل فينا المنايا ونهب المصائب، مع كل جرعة شرق وفى كل أكلة غصص ولا تنال نعمة إلا بفراق أخرى ولا يستعمل مُعمر يوماً من عُمره إلا بهدم ما قبله ولا يحيا له أثر إلا مات له أثر، فنحن أعوان الحتوف على أنفسنا، وأنفسنا تسوقنا إلى الفناء فمن أين نرجو البقاء، وهذا الليل والنهار لا يرفعان فى شىء شَرَفاً إلا شرعاً فى هدم ما رفعا وتفريق ما جمعا، فاطلب الخير وأهله، واعلم أن خيراً من الخير معطيه، وأن شراً من الشر فاعله.

* * *

الحكاية الخامسة والعشرون بعد المائة

حكاية شاب عفيف

حدثنا أبو عبد الله البلخى أن شاباً كان فى بنى إسرايل لم ير شاباً قط أحسن منه، وكان يبيع القفاف، فبينا هو ذات يوم يطوف بقفافه خرجت امرأة من دار ملك من ملوك بنى إسرايل، فلما رأته رجعت مبادرة، فقالت لابنة الملك: يا فلانة، إنى رأيت شاباً بالبيت يبيع القفاف لم أر شاباً قط أحسن منه!.

فقالت: أدخليه، فخرجت إليه، فقالت: يا فتى ادخل نشتر منك، فدخل فأغلقت الباب دونه، ثم قالت: ادخل، فدخل، فأغلقت باباً آخر دونه، ثم استقبلته بنت الملك كاشفة عن وجهها ونحرها، فقال لها: استترى عافاك الله. فقالت: إنا لم نَدْعُك لهذا، إنما دعوناك لكذا -يعنى المراودة عن نفسه- فقال لها: اتق الله.

قالت: إنك إن لم تطاوعنى على ما أريد أخبرت الملك أنك إنما دخلت علىَّ تكابرنى عن نفسى، فأبى، ووعظها، فأبت، فقال: ضعوا لى وضوءاً، فقالت: أعَلَىَّ تتعلل؟ يا جارية، ضعى له وضوءًا فوق الجوسق[1] وهو مكان لا يستطيع أن يفر منه، ومن

(١) فى أعلى القصر.

الجوسق إلى الأرض أربعون ذراعاً، فلما صار فى أعلى الجوسق قال: اللهم إنى دُعيت إلى معصيتك، وإنى أختار أن أُصبِّرَ نفسى، فألقيها من هذا الجوسق ولا أركب المعصية، ثم قال: بسم الله، وألقى نفسه من أعلى الجوسق.

قال: فأهبط الله إليه ملكاً فأخذ بضبعيه، فوقع قائماً على رجليه، فلما صار فى الأرض قال: اللهم إنك إن شئت رزقتنى رزقاً يغنينى عن بيع هذه القفاف، فأرسل الله إليه جراداً نم ذهب، فأخذ منه حتى ملأ ثوبه، فقال: اللهم إن كان هذا رزقاً رزقتنيه فى الدنيا، فبارك لى فيه، وإن كان ينقصنى مما عندك فى الآخرة فلا حاجة لى به.

قال: فنودى أن هذا الذى أعطيناك جُزء من خمسة وعشرين جزءاً لصبرك على إلقائك نفسك من هذا الجوسق.

فقال: اللهم لا حاجة لى فيما ينقصنى مما لى عندك فى الآخرة، قال: فرُفِع.

* * *

الحكاية السادسة والعشرون بعد المائة
حوار بين سرى السقطى ونفر من الجن

حدثنا الجنيد بن محمد قال: سمعت سرى السقطى يقول: بدوت يوماً من الأيام، وأنا حَدَث، فطاب وقتى، وجُن علىَّ الليل، وأنا بفناء جبل لا أنيس به، فنادانى منادٍ من جوف الليل: لا تدور القلوب فى الغيوب حتى تذوب النفوس من مخافة فوت المحبوب.

قال: فتعجبت وقلت: جِنىٌّ ينادينى أم إنسى؟ قال: بل جِنىٌّ مؤمن بالله عز وجل، ومعى أحداثى. قلت: فهل عندهم ما عندك؟ قال: نعم وزيادة.

قال: فنادانى الثانى منهم: لا يذهب من البدن الفترة إلا بدوام الغربة. قال: فقلت فى نفسى: ما أبلغ كلامهم.

فنادانى الثالث منهم: من أنس به فى الظلام لا يبقى له اهتمام.

قال: فصعقت، فما أفقت إلا برائحة الطِّيب، وإذا نرجسة على صدرى، فشممتها، فأفقت فقلت: وصية يرحمكم الله. فقالوا جميعاً: إى والله إن يحيى به إلا قلوب المتقين فمن طمع فى غير ذلك فقد طمع فى غير مطمع، ومن اتبع طبيباً مريضاً دامت علته، وودعونى ومضوا، وقد أتى علىَّ حين به فلا أزال أرى بركة كلامهم موجودة فى خاطرى.

* * *

الحكاية السابعة والعشرون بعد المائة

من حكايات سفيان الثوري

عن عبد الرحمن بن يعقوب قال: قدم علينا شيخ من هراة يكنى أبا عبد الله شيخ صدق، فقال لي: دخلت المسجد في السَّحَر، فجلست إلى زمزم فإذا شيخ قد دخل من باب زمزم، وقد سدل ثوبه على وجهه، فأتى البئر، فنزع بالدلو، فشرب، فأخذت فضلته، فشربتها، فإذا سويق لوز لم أذق قط أطيب منه!.

ثم التفت، فإذا الشيخ قد ذهب، ثم عدت من الغد في السَّحَر، فجلست إلى زمزم، فإذا الشيخ قد دخل من باب زمزم، فأتى البئر، فنزع بالدلو، فشرب، فأخذت فضلته، فشربتها، فإذا ماء مضروب بعسل لم أذق قط أطيب منه!.

ثم التفت، فإذا الشيخ قد ذهب، ثم عدت من الغد في السَّحَر، فجلست إلى زمزم، فإذا الشيخ قد دخل من باب زمزم، فأتى البئر، فنزع بالدلو، فشرب، وأخذت فضلته، فشربتها، فإذا سكر مضروب بلبن لم أر قط أطيب منه، فأخذت ملحفته، فلففتها على يدي، وقلت: يا شيخ بحق هذه البنية عليك من أنت؟ قال: تكتم عليَّ حتى أموت. قلت: نعم. قال: أنا سفيان بن سعيد الثوري.

* * *

الحكاية الثامنة والعشرون بعد المائة

وصايا ومواعظ غالية

حدثنا أبو عبيدة التاجي قال: سمعت الحسن يقول: ابن آدم، وسعت لك الدنيا، فأغفلت أمر الآخرة، وقرب لك في الأجل، وأمرت بالعمل، وحق الله أفضل، ولن يرضى عنك إلا بما افترض عليك، يا ابن آدم، إذا رأيت الناس في الخير فنافسهم فيه، وإذا رأيتهم في هَلَكَة فذرهم وما اختاروا لأنفسهم، لقد رأينا أقوامًا آثروا عاجلتهم على عاقبتهم ؛ فذلوا، إنما هما هَمَّان اجتمعا في قلبك: فهَمٌّ من الله عز وجل، وهَمٌّ هذا العدو، فرحم الله عبداً وقف عند هَمِّه، فإن كان من هذا العدو، وقف فإنما هي دعوة منه - والله - ما نستطيع أن نجده، إن المؤمن وَقّاف منان، وليس بحاطب الليل، إن هذا المؤمن وثاق من الله عز وجل أوثق به المؤمن عن هلكته.

يا ابن آدم إنك لا تصيب حقيقة الإيمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك، وحتى تبدأ بصلاح ذلك العيب من نفسك فتصلحه، فإذا فعلت ذلك لم تصلح عيبًا إلا وجدت عيبًا آخر تريد أن تصلحه، فإذا فعلت ذلك كان شغلك في حاجة نفسك، وأحب العباد

إلى الله من كان كذلك، ظهر الجفاء وقلَّ العلماء وتركت السُّنَّة، لقد صحبت أقواما ما كانت صحبتهم إلا قرة عين لكل مؤمن، فوالله ما بقى اليوم من أحد نأخذ عنه، ذهب الخيار وبقى مترف صاحب دنيا.

ابن آدم إنك لم تجمع إيماناً وخيانة ابن آدم كيف تكون مؤمناً ولا تأمن جارك، يا ابن آدم كيف تكون مسلماً، ولا يسلم الناس منك، المؤمن فى الدنيا كالغريب لا يجزع مِنْ ذُلِّهَا، ولا ينافس أهلها فى عِزِّها، لأهلها حال، وله حال أخرى قد أَهَمَّتْه، الناس منه فى راحة، ونفسه منه فى شغل، إن المؤمن لا يصبح إلا خائفاً، وإن كان محسناً، ولا يمسى إلا خائفاً، وإن كان محسناً، ولا يعلم له إلا ذلك، لأنه بين مخافتين: بين ذنب قد مضى لا يدرى ما يصنع الله فيه، وبين أجل قد بقى لا يدرى ما يصيبه من الهلكات! فرحم الله عبداً تفكَّر واعتبر فأبصر.

أَجدُّوا أيها القوم، فقد آن لكم أن تبصروا، إن الدنيا لَمَّا فُتِحَتْ على أهلها كلبها[١] -والله- أسوأ الكلب حتى عدا بعضهم على بعض بالسيف، وحتى استحل بعضهم حرمة بعض، فيالَهذا فساداً! ما أكبره! والذى نفس الحسن بيده ما أصبح فى هذه القرية من مؤمن إلا وقد أصبح مهموماً محزوناً، ففروا إلى ربكم، فإنه ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله عز وجل.

إن الموت فَضَحَ الدنيا فلم يدع لذى لبٍ بعده فرحاً، فيالها من موعظة ما أبلغها! لو وافقت من القلوب حياة، أبلغ موعظة وأسرع نسياناً!.

إن المؤمن عمد إلى دنياه، فهدمها، فبنى بها آخرته ولم يهدم آخرته بدنياه، وإن المنافق آثر شهوته على رضا ربه عز وجل، واتخذ الدنيا إلهاً ابن آدم لا غنى بك عن نصيبك من الدنيا، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أفقر، فعليك بنصيبك من الآخرة، فإنه سيأتى بك على نصيبك من الدنيا، فينتظمه لك انتظاما، فيزول معك حيث ما زلت.

رحم الله أقواماً كانت الدنيا عندهم، فأدوها إلى من ائتمنهم عليها، ثم راحوا خفافاً، قال عمر: طالبان: فطالب الآخرة مدرك ما طلب لا فوت عليه، وطالب الدنيا عسى أن يصيب منها قليلاً، وما يفوته منها أكثر.

لقد صحبت أقواماً كأنما كانوا يبصرون إلى الآخرة يحسبهم الجاهل مرضى، وهم والله أصحة قلوبهم.

رحم الله عبداً عرض نفسه وعمل على كتاب الله عز وجل، وإن وافق ما فى كتاب

---

(١) كلب الدنيا: الحرص والشَّرَه والتنافس فيها.

الله حمد الله حمداً، وسأله الزيادة، وإن خالف ما فى كتاب الله أعتب، ورجع من قريب، إن الدنيا قد أذنت بزوال، لا يدوم نعيمها، ولا تؤمن فجائعها، يبلى جديدها، ويسقم صحيحها، ويفتقر غنيها، مثّالة بأهلها، لعَّابة بهم على كل حال.

إنه ليس من دنياك إلا ما صَيَّرْتَ أمامك، فلا تدخر عن نفسك مالك، ولا تتبع نفسك ما قد علمت أنك تارك خلف ظهرك، ولكن تزود لبعد الشقة، وَجَدًّا قبل أن ينزل بك قضاء الله تعالى، فيحول دون الذى تريد، فإذا أنت قد ندمت، ولا يغنى الندامة عنك شيئاً، صَاحِبْ الدنيا بجسدك، وفارقها بقلبك وهمك، ولينفعك ما قد رأيت من الغِيَر، وخَلِّ بين [أهل] الدنيا وبين ما هم فيه، فإنه قليل بقاؤه مزخرف وباله، وليزدك إعجاب أهلها بها كراهةً لها، وطمأنينة أهلها فيها حذراً منها وفراراً، واكْدَحْ لما خُلِقْتَ له، واجعل فيه شغلك وفراغك، فأنت ناظر إلى ما عملت ومسئول، وإذا أصبحت فانتظر الموت، وإذا أمسيت فكذلك.

إنكم أصبحتم فى دار مذمومة خُلِقَتْ فتنة، وضُربَ لها أجلاً إذا انتهت إليه تنفذ، دار قلعة ما رضى لخلقه الطمأنينة إليها ولا الركون إليها، صرف الآيات وضرب الأمثال فى العيب لها والنهى عنها والرغبة فى غيرها، مَنْ صحبها بالبغض لها والزهادة فيها سعد بها، ومن صحبها بالرغبة فيها والمحبة لها شقى بها، [وذهب حظه من الله عز وجل، ثم أسلمته إلى ما لا صبر له عليه ولا طاقة له به من عذاب الله وسخطه، فأمرها صغير، ومتاعها قليل، والفناء عليها مكتوب، وأهلها متحولون عنها إلى منازل لاتبلى، ولا يغرها طول عمر فلا تكن يا ابن آدم مغتراً بها ؛ فإن هول المطلع ومفظعات الأمور كما هى أمامك لم يخلص منها شيء حتى الآن، ولا بد والله من ذلك المسلك وحضور تلك الأمور كلها، فإما بعافية من شرها ونجاة من هولها، وإما بالهلكة التى ليس بعدها خير، فبادر أجلك، ولا تقل غداً غداً، لا تدرى متى إلى الله تصير.

يا ابن آدم لا تحقرن شيئاً من الخير، فإنك إذا رأيته سرَّك مكانه، ولا تحقرن شيئاً من الشر، فإنك إذا رأيته ساءك مكانه، يا ابن آدم طَأْ الأرض بقدميك فإنها عن قريب قبرك، يا ابن آدم لم تزل فى هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك، يا ابن آدم بُسِطَتْ لك صحيفة، ووُكِّلَ بك مَلَكَان كريمان أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك، يا ابن آدم فأَقِلَّ أو أكثر، فإذا مت - يا ابن آدم - طويت صحيفتك، ثم قُلِّدَ بها فى عنقك، ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[1]، يا ابن آدم لقد عدل عليك من جعلك حسيب نفسك، يا ابن آدم لا تعمل شيئاً من الخير رياءً، ولا تتركه حياء.

* * *

---

(١) سورة الإسراء، الآية رقم: ١٤.

الحكاية التاسعة والعشرون بعد المائة

من وصايا الإمام علي

حدثنا على بن محمد المدائنى قال: بلغنا أن على بن أبى طالب رضى الله عنه وقف موقفاً، فبكى الناس ووعظ، فقال فيما قال: الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار عافية لمن فهم عنها، ومطلب ربح لمن سالم، فيها مساجد أنبياء الله، ومهبط وحيه، ومصلى ملائكته، ومتجر أوليائه، فيها اكتسبوا الرحمة وربحوا العافية، فمَنْ ذا يذمها وقد آذنت ببينها ونعت نفسها وأهلها، فتمثلت ببلائها وشوقت بسرورها إلى السرور تخويفاً وتحذيراً وترغيباً، فذَمَّهَا قوم غداة الندامة، وحمدها آخرون ذكرتهم فذكروا، ووعظتهم فانتهوا، فأيها الذّام للدنيا المعتز بتغريرها، متى اسْتُذِمَّتْ إليك؟ متى غَرّتْكَ المنازل؟ أتى بك في الثرى أم بمضاجع أمهاتك فى البلى؟ كم رأيت موروثاً؟ كم عللت بكفيك عليلاً؟ كم مَرَّضْتَ مريضاً؟ بيديك تطلب له الشفاء، وتستوصف له الأطباء، لم تنفعه بشفاعتك، ولم تسعفه بطلبتك!، مَثَّلَتْ لك الدنيا غداة مصرعه مصرعك، ومضجعه مضجعك.

ثم التفتَ إلى المقابر، فقال: يا أهل الغربة، ويا أهل التربة، أمَّا الدور فقد سَكَنَتْ، وأما الأموال فقد اقتسمت، وأما الأزواج فقد نُكِحَتْ، فهذا خبر ما عندنا، فهاتوا خبر ما عندكم، ثم التفت إلينا، فقال: أما لو أُذِنَ لهم لأخبروكم: إن خير الزاد التقوى[1].

* * *

---

(١) قال الإمام على هذه الموعظة عند ذم رجل الدنيا عنده، ويقول الإمام القرطبى في تفسير: ﴿وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون﴾ الأنعام: ٣٢: ليس من اللهو واللعب ما كان من أمور الآخرة، فإن حقيقة اللعب ما لا ينتفع به واللهو ما يلتهى به، وما كان مرادا للآخرة خارج عنهما؛ وذم رجل الدنيا عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال علي: الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار نجاة لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزود منها. وقال محمود الوراق:

لا تتبع الدنيا وأيامها ... ذما وإن دارت بك الدائرة

من شرف الدنيا ومن فضلها ... أن بها تستدرك الآخرة

وروى أبو عمر بن عبد البر عن أبي سعيد الخدري، قال قال رسول اللهﷺ: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان فيها من ذكر الله أو أدى إلى ذكر الله والعالم والمتعلم شريكان في الأجر وسائر الناس همج لا خير فيه». وأخرجه الترمذي عن أبي هريرة، وقال: حديث حسن غريب.

الحكاية الثلاثون بعد المائة

عفة العلماء وعزتهم

حدثنا مقاتل بن صالح الخراسانى قال: دخلت على حماد بن سلمة، فإذا ليس فى البيت إلا حصير، وهو جالس عليه ومصحف يقرأ فيه وجراب فيه علمه ومطهرة يتوضأ فيها، فبينما أنا عنده جالس دق داقٌّ الباب، فقال: يا صبية، اخرجى، فانظرى من هذا؟ فقالت: رسول محمد بن سليمان.

قال: قولى له يدخل وحده، فدخل، فناوله كتاباً، فتناوله، فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن سليمان إلى حماد بن سلمة، أما بعد، فصبَّحك الله بما صبَّح به أولياءه وأهل طاعته، وقعت مسألة فإننا نسألك عنها والسلام.

فقال: يا صبية، هلمى الدواة، ثم قال لى: اقلب الكتاب، واكتب: أما بعد، وأنت فصبَّحَك الله بما صبَّح به أولياءه وأهل طاعته، إنا أدركنا العلماء، وهم لا يأتون أحداً فإن كانت وقعت مسألة، فأْتِنَا وسَلْنَا عما بدا لك، وإن أتيتنى فلا تأتنى إلا وحدك،ولا تأت بخيلك ورجلك ؛ فلا أنصحك،ولا أنصح نفسى، والسلام.

فبينا أنا عنده جالس دق داق الباب فقال: صبية، اخرجى فانظرى مَنْ هذا؟ فقالت: هذا محمد بن سليمان. قال: قولى له ليدخل وحده، فدخل، ثم سَلَّمَ، ثم جلس بين يديه، فقال: ما لى إذا نظرت إليك امتلأت رعباً. فقال حماد: سمعت ثابت البنانى يقول: سمعت أنس بن مالك يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن العالم إذا أراد بعلمه وجه الله هابه كل شيء، وإذا أراد أن يكتنز به الكنوز هاب من كل شيء»[(١)]... فقال: ما تقول يرحمك الله فى رجل له ابنان وهو عن أحدهما أرضى، فأراد أن يجعل له فى حياته ثلثى ماله؟ قال: لا تفعل، رحمك الله، فإنى سمعت ثابتاً البنانى يقول: سمعت أنس بن مالك يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله إذا أراد أن لا يعذب عبده بماله وفقه عند موته لوصية جائزة»[(٢)].

---

(١) الحديث أورده السيوطى فى الجامع الصغير، وضَعَّفه، وعزاه إلىالديلمى فى مسند الفردوس عن أنس.وقال العراقى فى تخريج الحديث: هذا معضل وروى أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب من حديث واثلة بن الأسقع: «من خاف الله خوف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله خوفه الله من كل شيء». وللعقيلي في الضعفاء نحوه من حديث أبي هريرة وكلاهما منكر.

(٢) أورد هذا الحديث المتقى الهندى في كنز العمال، رقم: ٤٦١٣١،بلفظ: «إذا أراد الله أن يعذب غنيا على غناه وفقه عند موته بوصية حائرة» ضمن قصة حماد بن سلمة، وعزى الخبر إلى ابن عساكر وابن النجار.

قال: فحاجة إليك؟ قال: هات ما لم تكن رزية فـي ديـن. قـال أربعين ألـف درهـم تأخذها تستعين بها على ما أنت عليه.

قال: ارْدُدْهَا على مَنْ ظلمته بها. قال: والله ما أعطيك إلا ما ورثته!.

قال: لا حاجة لى فيها، إزوها عنى، زوى الله عنك أوزارك.

قال: فغير هذا؟ قال: هات ما لم يكن رزية فى دين.

قال: تأخذها فتُقَسِّمُها. قال: فلعلى إن عدلت فى قسـمتها أن يقـول بعض مَـنْ لـم يرزق منها إنه لم يعدل، فيأثم، إزوها عنى ذوى الله عنك أوزارك.

* * *

الحكاية الحادية والثلاثون بعد المائة

حكاية شقيق البلخي مع موسى الكاظم

حدثنا خُشَام بن حاتم الأصم قال: حدثنى أبى قال: قال شقيق بن إبراهيـم البلخـى: خرجت حاجاً فنزلت القادسية، فبينما أنا أنظر إلى الناس فى تربيتهـم وكـثرتهم، وأنظـر إلى العماريات والخيم، فقلت: اللهم إن هؤلاء وفدك فلا تردهم خائبين، فنظرت إلى فتى حسن الوجه شديد السمرة تعلوه فوق ثيابه ثوب من صوف مشتمل بشملة، فى رجليـه نعلان، وقد جلس منفرداً، فقلت فى نفسى هذا الفتى من الصوفية يريـد أن يكـون كَـلاً على الناس فى طريقهم، والله لأمضين إليه فلأُوَبِّخَنّه، فدنوت منه، فلما رآنى مقبلاً قال: يا شقيق ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾[1]، ثم تركنى ومضى، فقلت فى نفسى: إن هذا الأمر عظيم، قد تكلّم علي ما فى نفسـى، ونطق باسـمى، ومـا هـذا إلا عبد لله صالح، لأُلْحَقَنّه، ولأسألنه أن يَحِلّنِي، فأسرعت فى أثره، فلم ألحقه، وغاب عـن عينى، فلما نزلنا واقصة إذا به يصلى وأعضاؤه تضطـرب ودموعـه تجـرى، فقلـت: هـذا صاحبى، أمضى إليه، فاستحله، فصبرت حتى جلس، فـأقبلت نحوه، فلمـا رآنـى مقبـلاً قال: يا شقيق اتل: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَـنَ وَعَمِـلَ صَالِحًـا ثُـمَّ اهْتَـدَى﴾[2]، ثـم تركنى، ومضى، فقلت: إن هذا الفتى لمن الأبدال ؛ قد تكلّـم علـى سِـرِّى مرتـين، فلمـا نزلنا رىالاً إذا بالفتى قائم على البئر، وبيده ركوة يريد أن يستقى ماء، فسـقطت الركـوة من يده فى البئر، وأنا أنظر إليه، فرأيته قد رمق السـماء، وسـمعته يقـول: أنـت ربـى إذا ظمئت من الماء، وأنت قُوتى إذا أردت الطعام، اللهم سيدى ما لى سواها فلا تعدمنيها.

---

(١) سورة الحجرات، الآية رقم ١١.

(٢) سورة طه، الآية رقم: ٨٢.

قال شقيق: فوالله، لقد رأيت البئر وقد ارتفع ماؤها، فمد يده، وأخذ الركوة، وملأها ماء، فتوضأ وصلى ركعات، ثم مال إلى كثيب رمل، فجعل يقبض بيده، ويطرحه في الركوة، ويُحَرِّكه، ويشرب، فأقبلت إليه، وسلَّمْتُ عليه، فرَدَّ عليَّ السلام، فقلتُ: أطعمني من فضل ما أنعم الله عليك، فقال: يا شقيق لم تزل نعمة الله علينا ظاهرة وباطنة، فأَحْسِنْ ظَنَّك بربك، ثم ناوَلَنِي الركوة، فشربت فإذا سويق وسكر، فوالله ما شربت قط ألذ منه ولا أطيب ريحاً، فشبعت ورويت، وأقمت أياماً لا أشتهي طعاماً ولا شراباً، ثم لم أره حتى دخلنا مكة، فرأيته ليلة إلى جنب قبة الشراب في نصف الليل يصلي بخشوع ولين وبكاء، فلم يزل كذلك حتى ذهب الليل، فلما رأى الفجر جلس في مُصلاه يُسَبِّحُ الله، ثم قام، فصلى الغداة، وطاف بالبيت سبعاً، وخرج، فتبعته، فإذا له حاشية وموال، وهو على خلاف ما رأيته في الطريق، ودار به الناس من حوله يُسَلِّمُون عليه، فقلت لُبعض مَنْ رأيته: مَنْ هذا الفتى؟ فقال: هذا موسى بن جعفر ابن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

فقلت: قد عجبت أن تكون هذه العجائب إلا لمثل هذا السيد.

* * *

الحكاية الثانية والثلاثون بعد المائة

غدًا سيأتي برزقه

حدثنا أبو مسروق قال: قال أبو عبد الله أحمد بن عاصم الأنطاكي قال: جاء رجل إلى محمد بن سيرين فقال: إني سألت عن خير أهل البصرة، فدَلُّوني عليك، فقال له محمد: مُرّ حتى أدلك على خير أهل البصرة، فأخذ في ثوبه كِسَرًا كانت عنده، فخرجنا حتى أتينا خُصًّا في ناحية البصرة، فإذا برجل له صبيان وهم يطلبون مندشياً يأكلون، وهو يقول: والله ما أنا الذي خلقتكم، ولا شققت لكم سمعاً ولا بصراً، وإن الذي خلقكم وشق أسماعكم وأبصاركم سيجيئكم بأرزاقكم[(١)].

فقال محمد للرجل: اسْمَعْ. قال: فدعاه، فخرج إليه، فقال: هذه كِسَرٌ قد جئناك بها؟ قال: جئتَ بها في وقتها، فبينا هو كذلك جاء مالك بن دينار، فناداه، فقال: هذان درهمان قد جئت بهما.

قال: لا حاجة لي فيهما، عندي ما يقوتهم اليوم. فقال له مالك: تأخذهما لغدٍ!

---

(١) كان الأولى بهذا الرجل أن يسعى بنفسه ويُحَصِّل رزق أولاده، ولا يتعلل بما قال، ولا ريب في كلامه، فالله سبحانه هو الخالق الرازق، وقد أمرنا بطلب الرزق والسعي على المعاش والأخذ بالأسباب.

فقال: يا مالك، تخوفنى بعد ما كنتَ أرى أنك تفعل هذا، وأحسب أنه قال: إن بقينا إلى غد فسيجيئنا رزقه.

* * *

الحكاية الثالثة والثلاثون بعد المائة

من كرامات الأولياء

حدثنا يوسف بن الحسين قال: تذاكروا عند ذى النون مواهب الأولياء وكراماتهم، فذكروا أن إبراهيم بن أدهم كان على جبل مع أصحاب له، فقال بعض أصحابه: إن فلانا صب الماء فى مسرجته، فاتّقَد ولم ينطفئ السراج ليلته!

فقال إبراهيم: لو أن الصادق قال للجبل زُلْ -وضرب برجله الجبل- لزال. قال: فتحرك الجبل حتى خشوا.

قال: فضرب برجله ثانية، وقال: اسْكُنْ، فإنما ضربتك مثلاً لأصحابى، فسكن الجبل!.

فقال ذو النون: لو أن عبداً قال للحائط: أطعمنا رطباً، وضرب بيده إلى الحائط لأطعمهم الله عز وجل.

قال يوسف: فتناثر الرطب. فاغتم ذو النون والتقطناه، وأكلت أنا منه، ثم قال: أعوذ بك أن تقطعنى بك عنك[1].

* * *

الحكاية الرابعة والثلاثون بعد المائة

حِكَم ومواعظ

حدثنا جعفر بن محمد بن الحسين الرامهرمزى قال: سمعت أبى يقول: سمعت أبا معاوية الأسود وهو على صور طرسوس فى جوف الليل يبكى، ويقول: ألا من كانت الدنيا همه طال فى القيامة غداً همه، ومن خاف ما بين يديه ضاق فى الدنيا ذرعه، ومن خاف الوعيد لهى من الدنيا عما يريد.

يا مسكين إن كنت تريد لنفسك الجزيل، فأقلل نومك بالليل الطويل، اقبل من اللبيب الناصح إذا أتاك بأمر واضح، لا تهتمن بأرزاق من تخلف فلست بأرزاقهم تكلف، وَطِّنْ نفسك للمقال إذا وقفت بين يدى رب العزة للسؤال، قدِّم صالح الأعمال

---

(١) هذه الحكايات وأمثالها يتناقلها الصوفية والقصاص، وأغلبها حكايات بأسانيد مردودة لا تصح.

ودع كثرة الأشغال، بادر ثم بادر قبل نزول ما يحـازر، إذا بلـغ روحـك التراقى انقطـع عنك ما أحببت أن تلاقى، كأنى بها وقد بلغت الحلقوم وأنت في سكرات مغموم، وقد انقطعت حاجتك إلى أهلك وأنت تراهم حولك، وبقيت مرتهنـاً بعملـك، الصبر مـلاك الأمر وفيه أعظم الأجر، فاجعل ذكر الله تعالى من جل كيانك... لسانك.

قال: ثم بكى أبو معاوية بكاء شديداً، وقال: أواه من يوم يتغير فيه لونـى، ويتلجلـج فيه لسانى، ويجف فيه ريقى، ويقل فيه زادى. فقيل له: يا أبا معاوية: لمـن هـذا الكـلام؟ قال: لحكيم.

* * *

الحكاية الخامسة والثلاثون بعد المائة

حكاية رجل يسب الصحابة

حدثنا خلف بن تميم قال: سمعت بشيراً - ويكنى أبا الخصيب - قال: كنت رجـلاً تاجراً موسرًا، وكنت أسكن مدائن كسرى، فأتانى أجيرى، فذكر أن فى بعض خانـات المدائن رجل قد مات، وليس يوجد له كفن، فأقبلت حتى دخلت ذلك الخـان، فدفعـت إلى ميت مُسَجَّى، وعلى بطنه لبنة، ومعه نفر من أصحابه، فذكروا من عبادته، وفضلـه، فبعثت أشترى الكفن وغيره، وبعثت إلى حافر يحفر له، وهَيَّأْنا له لَبِناً، وجلسـت أُسَخِّن له ماء لنُغَسِّله، فبينا نحن كذلك وثب الميت وثبة، فنَـدَّت اللبنـة عـن بطنـه، وهـو يدعـو بالويل والثبور والنار.

قال: فتصدع أصحابه به عنه. قال: فدنوت حتى أخذت بعضده، وهززته، ثم قلـت: ما أنت؟ وما حالك؟ فقال: صحبت مشيخة من أهل الكوفة ، فأدخلونى فى رأيهم فـى سب أبى بكر وعمر والبراءة منهما.

قال: قلت: استغفر الله، ثم لا تعد.

قال: فأجابنى، وقال: وما ينفعنى، وقد انْطُلِقَ بى إلى مدخلى من النار، فأريته، وقيـل لى: إنك سترجع إلى أصحابك، فتحدثهم بما رأيت، ثم تعـود إلى حـالك، فمـا انقضـت كلمته حتى مال ميتاً على حاله الأول.

قال: فانتظرت حتى أتيت بالكفن، فأخذته، ثم قمت، فقلت: لا كفنتـه ولا غسـلته، ولا صليت عليه، ثم انصرفت، فأُخْبِرْتُ بعد أن القوم الذين كانوا معه كانوا على رأيـه، وولوا غسله ودفنه والصلاة عليه، وقالوا: ما الذى أنكرتم من صاحبنا؟ إنما كانت خطفة من الشيطان تكلّم على لسانه.

قال خلف: قلتُ: يا أبا الخصيب هذا الذى حدثتنى شهدتَه؟ قال: بصر عينى، وسمع أذنى. قال: فأنا أؤديه إلى الناس.

* * *

الحكاية السادسة والثلاثون بعد المائة

وصايا ونصائح أب عند وفاته

حدثنا أحمد بن عبيد عن ابن الكلبى قال: لما نزل بعبد الله بن شداد الموت دعا ابنًا له يقال له محمد، فأوصاه، وكان فيما أوصاه أن قال له: يا بنى إنى أرى دواعى الموت لا تقلع، ومن مضى لا يرجع، ومن بقى فإليه ينزع، وإنى أوصيك بوصية فاحفظها: عليك بتقوى الله تعالى، وليكن أولى الأمر بك الشكر لله، وحسن الثناء عليه فى السر والعلانية، واعلم أن الشكور مُزَادٌ، والتقوى خير زاد، فكن يا بنى كما قال الحطيئة العبسى:

ولست أرى السعادة جمع مال ... ولكن التقى هو السعيد
وتقوى الله خير الزاد ذخراً ... وعند الله للأتقى مزيد
وما لا بد أن يأتى قريب ... ولكن الذى يمضى بعيد

ثم قال: يا بنى لا تزهدن فى معروف، فإن الدهر ذو صروف، والأيام ذات نوائب على الشاهد والغائب، فكم من راغبٍ قد كان مرغوباً إليه! وطالب قد كان مطلوباً إليه!، واعلم أن الزمان ذو ألوان، ومن يصحب الزمان يرى الهوان، وكن يا بنى كما قال أخو بنى وائل:

وعَدِّدْ من الرحمن فضلاً ونعمة ... عليك إذا ما جاء للخير طالب
وإن امرؤ لا يرتجى الخير عنده ... يكن هيناً ثقلاً على من يصاحب
أرى دولاً هذا الزمان بأهله ... وبينهم فيه تكون النوائب
إذا قلت فى شىء نعم فأتمه ... فإن نعم دَيْنٌ على الحر واجب
وإلا فقل لا تسترح وأرح بها ... لكيلا يقول الناس إنك كاذب
ومن ذا الذى ترجو الأباعد نفعه ... إذا هو لم تصلح عليه الأقارب

ثم قال: يا بنى وإن غلبت يوماً على المال، فلا تدع الحيلة على كل حال، فإن الكريم محتال والدنىء عيَّال، وكن أحسن ما يكون فى الظاهر حالاً أقل ما يكون فى الباطن مالاً، فإن الكريم من كرمت عند الحاجة طبيعته، وظهرت عند الناس نعمته، وكن كما قال ابن حذاق العبدى:

وجدت أبى قد أورثه أبوه خلالاً قد قعد من المعالى
وأكرم ما تكون علىَّ نفسى إذا ما قل فى الأزمان مالى
فتحسن سيرتى وأصون عرضى ويجمل عند أهل الرأى حالى
وإن نلت الغنى لم أغل فيه ولم أخصص بجفوتى الموالى

ثم قال: يا بنى، وإن سمعت يوماً كلمة حاسد، فكن كأنك لست بالشاهد، فإنك إن أمضيتها حياء لها رجع العيب على من قالها، وقد كان يقال: إن الأديب العاقل هو الفَطِن المتغافل، وكن كما قال حاتم بن عبد الله:

وما من شيمى شتم ابن عمى وما أنا مخلف من يرتجينى
وكلمة حاسد من غير ذنب سمعت فقلت مُرِّى فانفذينى
فعابوها عليه ولم تعبنى ولم يعرق لها يوما جبينى
وذو الوجهين يلقانى طليقا وليس إذا تغيب يأتسيني
بصرت بعيبه فصفحت عنه محافظة على حسبى ودينى

ثم قال: يا بنى كن جواداً بالمال فى مواضع الحق، بخيلاً بالأسرار على جميع الخلق، فإن أحد جود المرء الإنفاق فى مواضع البر والبخل بمكتوم السر، وكن كما قال قيس ابن الخطيم:

أجود بمكنون التلاد فإننى بسرك عن ما سألنى لضنين
إذا جاوز الاثنين سر فإنه بنشر وتكثير الحديث قمين
فإن ضيع الأقوام سرى فإننى كتوم لأسرار العشير أمين
وعندى له يوماً إذا ما ائتمنته مكان سويداء الفؤاد كمين

ثم قال: يا بنى لا تؤاخين أخاً حتى تتفقد موارده ومصادره، فإذا استطبت الخبرة ورضيت العشرة، فآخه على إقاله العثرة والمواساة فى العشرة، وكن كما قال المقنع الكندى:

ابل الرجال إذا أردت إخاهم وتوسمن أمورهم وتفقد
فإذا ظفرت بذى الأمانة والتقى فيه التدين قرير عين فاشدد
ومتى تريك ولا محالة زلة فعلى أخيك بفضل حلمك فاردد

ثم قال: يا بنى إذا أحببت حبيباً، فلا تفرط، وإذا أبغضت بغيضاً، فلا تشطط، فإنه كان يقال: أحب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هونًا ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما، وكن كما قال هدبة العذرى:

وكن مغفلاً للعذر واصفح عن الخنا   فإنك رائى ما حييت وسامع
وأحبب إذا أحببت حباً مقارناً   فإنك لا تدرى متى أنت نازع
وأبغض إذا بغضت بغضاً مقارناً   فإنك لا تدرى متى أنت راجع

ثم قال: يا بنى عليك بصحبة الأخيار وصدق الحديث، وإياك وصحبه الأشرار، فإنها شنار وعار، وكن كما قال مسكين الدارمى:

اصحب الأخيار وارغب فيهم   رُبَّ مَنْ صُحْبَتُه مثل الجرب
واصدق الناس إذا حدثتهم   ودع الكذب فمن ساء كذب
رب مهزول سمين عرضه   وسمين الجسم مهزول الحسب

ثم قال: يا بنى إذا أحببت من الإخوان، فآخِ مَنْ يُعَدُّ لنوائب الأزمان، وعليك بذوى الألباب الذين نفقتهم الآداب وزينتهم الأحساب، فإنهم أطيب مختبراً وأكرم محتضراً وأعذب معتصراً، واحذر إخاء كل جهول وصحبة كل عجول، فإنه لا يغفر الزلة، وإن عرف العلة، سريع غضبه، عال لهبه إن سأل ألحف، وإن وعد أخلف، يرى ما يعطيك غُرْمًا، وما يأخذ منك غُنْماً، فهو يرضيك ما طمع فيك، وإذ ينتهى من خيرك مال إلى غيرك، فاحذر إخاء مثله، وهو ممن يقول فيه الشاعر:

لا تؤاخ الدهر جنساً راضعاً   ملهب الشر قليل المنفعة
ما ينل منك فأحلى مغنم   ويرى طرقانه أن تمنعه
يسأل الناس ولا يعطيهم   هبلته أمه ما أطمعه

ثم قال: يا بنى، من عاب على الزمان، واتكل على صلة الإخوان قطعه صديقه، ومله رفيقه، واحتماه الأهلون، وظفر به الشامتون، فشمر فى البلاد تشمير المرتاد طالباً بالكفاف القناعة والعفاف تعش حميداً وتمت فقيدا، وقد قال النابغة الجعدى، وقيل العدوة بن الورد:

إذا المرؤ لم يطلب معاشاً لنفسه   شكا الفقر أو لام الصديق فأكثرا
وصار على الأدنين كَلاًّ وأوشكت   صلات ذوى القربى له أن ينكرا
فسر فى بلاد الله والتمس الغنا   تعش ذا يسار أوتموت فتعذرا
وما طلب الحاجات فى كل وجهة   من الناس إلا مَنْ أجد وشمَّرا
ولا ترض من عيش بدون ولا يتم   وكيف ينام الليل من كان معسرا

ثم قال: يا بنى، لتكن إخوانك وخلانك وأهل بطانتك أُولِى الدِّينَ والعفاف والمروءات والعقل والأخلاق الجميلة، فإنى رأيت إخوان المرء يده التى يبطش بها، وأسنانه الذى يصول به، وجناحه الذى ينهض به، فاصحب هؤلاء، واتخذهم إخواناً،

وعلى الخيرات أعوانا، واجتنب الصغار والأخطار اللئام الأقذار الذين لا يحامون على حسب، ولا يعرجون على نسب، ولا يصبرون على نائبة، ولا ينظرون فى عاقبة، فإنهم إن رأوك فى رخاء سألوك، وإن رأوك فى شدة أسلموك، ولعلهم أن يكونوا عليك مع بعض الأعداء، واعلم أن الرجل بلا صديق كيد الشمال بلا يمين، وقد قال الشاعر:

أخاك أخاك إن من لا أخا له ... كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاح
وإن ابن عم المرء فاعلم جناحه ... وهل ينهض البازى بغير جناح

اصحب الأخيار، واخلط نفسك بالأبرار، وطهرها من الفجار ؛ فإن المرء يُعْرَف بقرينه، ويُنْسَب إلى أهل خليطه، وقد قال الشاعر:

وقارن إذا قارنت حراً فإنما ... يزين ويزرى بالفتى قرناؤه
ولن يهلك الإنسان إلا إذا أتى ... من الأمر ما لم يرضه أصفياؤه

قد جمعت لك يا بنى جوامع صلاح نفسك، فاستفتح مسامع عقلك، تفهم ما وصفت لك بالتجارب، ترد المحل الذى فيه صلاح عواقب أمورك، واعلم أنه من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، ومن نظر فى العواقب نجا، ومن نجا درج، ومن اعتبرا بصر، ومن فهم علم، وفى التوانى والإفراط تكون الهلكة، وفى التأنى السلامة، وزراع البِّر يحصد السرور، والقليل مع القناعة فى العز خير من كثير مع السرور فى المذلة، والتقوى نجاة، والطاعة ملك، وحليف الصدق موفق، وصاحب الكذب مخذول، وصديق الجاهل تعب، ونديم العاقل مغتبط، فإذا جهلت فاسأل، وإذا ندمت فاقلع، وإذا غضبت فأمسك، وإن مننت فاكتم، ومن كافأك بالشكر، فقد أدى إليك الصنيعة، ومن أقرضك الثناء فاقضه الفعل، ومن بدأك ببره شغلك بشكره، فتفهم ما قد وفد منى إليك، واجعله مثالاً بين عينيك، فإن الذى أفدتك من وصيتى، أبلغ فى وفدك من عطيتى، وضع الصنائع عند الكرام وذوى الأحساب، ولا تضعن معروفك عند اللئام، فتضيعه، فإن الكريم يشكرك، ويرصد لك بالمكافأة، واللئيم يحسب ذلك حتماً، ويؤل معك إلى المذمة، وقد قال الشاعر:

إذا أوليت معروفاً لئيماً ... فعدك قد قتلت له قتيلا
وكن من ذاك معتذراً إليه ... وقل إنى أتيتك مستقيلا
فإن تغفر فمجترمى عظيم ... وإن عاقبت لم تظلم قتيلا
وإن أوليت ذا وفاء ... فقد أودعته شكراً طويلا

* * *

الحكاية السابعة والثلاثون بعد المائة

حكاية أبي سليمان المغربي

حدثنا محمد بن داود قال: سمعت أبا سليمان المغربي يقول: كنت أحمل الحطب من الجبل، وأتقوت منه، وكان طريقي فيه التحري، فرأيت جماعة من البصريين في النوم منهم الحسن البصري وفرقد ومالك، فسألتهم عن حالي، فقلت: أنتم أئمة المسلمين، دلوني على الحلال الذي ليس لله فيه تَبِعَة، ولا للخَلْق فيه مِنّة، فأخذوا بيدي، وأخرجوني من طرسوس إلى مَرْج[1] فيه خبازى فقالوا لي: هذا الحلال الذي ليس لله فيه تبعه، ولا لمخلوق فيه منة.

قال: فمكثت آكل منه نصف سنة، ثلاثة أشهر في دار السبيل نيًّا ومطبوخًا، فصار لي حديث، فقلت: هذه فتنة، فخرجت من دار السبيل، فكنت آكله ثلاثة أشهر أُخَر، فأوجدني الله عز وجل قلباً طيباً حتى قلت: إن كان أهل الجنة بهذا القلب الذي لي، فهم والله في شيء طيب، وما كنت آنس بكلام الناس، فخرجت مرة من باب فلميه على صهيرج يعرف بالمديف، فجلست عنده فإذا أنا بفتى قد أقبل من ناحية لامس يريد طرسوس، وقد بقي معي قطيعات من ثمن الحطب الذي كنت أجيء به من الجبل، فقلت: أنا قد قنعت بهذا الخبازى، فأُعْطِي هذه القطع هذا الفقير ليشتري بها شيئاً إذا دخل طرسوس، ويأكله، فلما دنا مني أدخلت يدي إلى جيبي لأخرج الخرقة، فإذا أنا بالفقير قد حرَّك شفتيه، وإذا كل ما حولي من الأرض ذهب يتقد حتى كاد يخطف بصري، ولبسني منه هيبة، فجاز، ولم أُسَلِّم عليه من هيبته.

قال أبو بكر يعني محمد بن داود: وزادني أبو الفرج بن إبان في هذه الحكاية قال: فقلت له: فرأيتَه بعد ذلك؟ قال: نعم خرجت يوماً خارج طرسوس، فإذا أنا بالفتى جالس تحت برج من الأبرجة، وبين يديه ركوة فيها ماء، فسَلَّمْتُ عليه، ثم استدعيت منه موعظة، فمد رجله، فقلب الماء، ثم قال لي: كثرة الكلام ينشف الحسنات كما انشفت الأرض هذا الماء، قُمْ فهذا يكفيك.

* * *

الحكاية الثامنة والثلاثون بعد المائة

رؤيا للمنصور في منامه

حدثنا أبو سهل الكاتب قال: حدثني طيفور قال: كان سبب إحرام المنصور من مدينة السلام أنه نام ليلة، فانتبه فزعاً، ثم عاود النوم، فانتبه فزعاً، ثم راجع النوم، فانتبه

---

(١) المَرْجُ: المَوْضِعُ تَرْعى فيه الدَّوابُّ، وإرْسالُها لِلرَّعْيِ، والخَلْطُ.

فزعاً، فقال: يا ربيع. قال: لبيك يا أمير المؤمنين.

قال: لقد رأيت فى منامى عَجَبًا!. قال: ما رأيت جعلنى الله فداك؟ قال: رأيت كأن آتياً أتانى يهمهم بشيء لم أفهمه، ثم عاودت النوم، فعاودنى يقول: ذلك الشيء، ثم عاودنى بقوله حتى فهمته وحفظته، وهو يقول:

كأنى بهذا القصر قد باد أهله ... وعرى منه أهله ومنازله

وصار رئيس القوم من بعد بهجةٍ ... إلى جَدَثٍ يبنى عليه جنادلة

وما أحسبنى يا ربيع إلا قد حانت وفاتى، وحضر أجلى، وما لى غير ربى، قُمْ فاجعل لى غُسْلاً، ففعلت، فقام، واغتسل، وصلى ركعتين، وقال: أنا عازم على الحج، فهيا إلى الحج، فخرج، وخرجنا حتى إذا انتهى إلى الكوفة نزل النجف، فأقام أياماً، ثم أمر بالرحيل، فتقدمت نوابه وجنده، وبقيت أنا وهو فى القصر والمكارية وشاكريته بالباب، فقال: يا ربيع جئنى بفحمة من المطبخ، وقال لى: اخرُجْ، فكن مع دابتى إلى أن أخرج، فلما خرج وركب رجعت إلى الموضع كأنى أطلب شيئاً، فوجدته قد كتب على الحائط:

إلامَ يهوى أن يعيش ... وطول عيش قد يضره

تفنى بشاشته ويبقى ... بعد حلو العيش مُرُّه

وتصرف الأيام حتى ... ما يرى شيئاً يسره

كم شامت لى إن هلكت ... وقائل لله دره

* * *

الحكاية التاسعة والثلاثون بعد المائة

بين سعيد بن المسيب ووال ظلوم

عن على بن الحسن قال: وَلّى علينا عبد الملك بن مروان طارقاً مولى عثمان بن عفان. قال على: فمشيت إلى سالم بن عبد الله وإلى القاسم بن محمد وإلى أبى سلمة بن عبد الرحمن فقلت: اذهبوا بنا إلى هذا الرجل حتى نُسَلِّمَ عليه ندفع بذلك عن أنفسنا قال: فأتيناه، فسلمنا عليه، فأجلسنا عنده، ثم قال: أيكم سعيد بن المسيب؟ قال: فكَلَّمَهَ القاسم بن محمد، فقال له: أصلحك الله، إن سعيد بن المسيب قد رفعت عنه الولاة إيتانها، وقد ألزم نفسه المسجد، فليس ينزح منه قال: رغب أن يأتينى، والله! لأقتلنه، والله! لأقتلنه -ثلاثاً -.

قال القاسم: فضاق بنا المجلس حتى قمنا، فجئت المسجد، فتطلعت فيه، فإذا سعيد

عند أسطوانة جالس، فدخلت إليه، فأخبرته بما كان، وقلت له: أرى لك أن تخرج الساعة إلى مكة، فتَعْتَمِر، وتقيم بها. قال: ما حضرنى فى ذلك نية، وإن أحب الأعمال إلىَّ ما نويت.

فقلت له: إنى أرى أن تخرج إلى بعض منازل إخوانك، فتقيم فيه حتى تنظر ما يكون من الرجل. قال: فكيف أصنع بهذا الداعى الذى يدعونى فى كل يوم وليلة خمس مرات، والله لا دعانى إلا أجبته على أى حال كان!

قلت: فإنى أرى أن تقوم من مجلسك هذا، فتجلس إلى بعض هذه الأساطين، فإنك إن طلبت فإنما تطلب عند أسطوانتك! قال: ولِمَ أقوم من موضعى هذا الذى قد أبلانى الله فيه ما أبلانى، الله فيه العافية من كذا وكذا سنة.

قلت: يرحمك الله، أما تخاف على نفسك كما يخاف الناس؟ فقال لى: والله ولا أحلف بالله كاذباً، ما خفت شيئاً سواه. قلت له: فبماذا أقوم من عندك رحمك الله؟ فقد غممتنى. فقال: تقوم بخير، أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن ينسيه ذكرى.

قال: فانصرفت من عنده، فجعلت أسأل هل كان فى المسجد خبر ولا أخبر إلا بخير. قال: فأقام علينا واليًا سنة لا يذكره ولا يخطر بباله حتى إذا عُـزِلَ وصار بوادى القِرَى من المدينة على خمس مراحل قال لغلامه وهو يُوَبِّخُه: ويحك! أمسك! واسوْتاه مِنْ على بن الحسين والقاسم بن محمد ومن سالم بن عبد الله ومن أبى سلمة بن عبد الرحمن حلفت بين أيديهم ثلاثة أيمان لأقتلن سعيد بن المسيب، والله ما ذكرته إلا فى ساعتى هذه!. فقال له غلامه: يا مولاى تأذن لى أن أُكَلِّمَك. قال له: نعم. قال: فما أراد الله لك خيرًا مما أردته لنفسك إذ أنساك ذكره!. قال: فقال له: اذْهَبْ، فأنت حُرٌّ لوجه الله تعالى.

* * *

الحكاية الأربعون بعد المائة

إنى أخاف الله

عن الحسن قال: كانت امرأة بَغِيٌّ لها ثلث الحسن لا تُمَكِّن من نفسها إلا بمائة دينار، وإنه أبصرها عابد فأعجبته، فذهب فعمل بيديه وعالج، فجمع مائة دينار، ثم جاء إليها، فقال: إنك أعجبتنى، فانطلقت، فعملت بيدى وعالجت حتى جمعت مائة دينار، فقالت: ادخل، فدخل، وكان لها سرير من ذهب، فجلست على سريرها، ثم قالت له: هلم. فلما جلس منها مجلس الخاتن ذكر مقامه بين يدى الله، فأخذته رعدة، فقال لها:

أتركينى أخرج ولك المائة دينار. قالت: ما بدا لك؟ وقد زعمتَ أنك رأيتنى، فأعجبتك، فذهبت فعالجت وكددت حتى جمعت مائة دينار، فلما قدرت علىَّ فعلت الذى فعلت؟!

فقال: خَوْفِى من الله، ومن مقامى بين يديه، وقد أُبْغِضْتِ إلىَّ، فأنت أبغض الناس إلىَّ، فقالت: إن كنتَ صادقاً، فما لى زوج غيرك!. فقال: دعينى أخرج، فقالت: إلا أن تجعل أن تتزوج بى. قال: لا، حتى أخرج. قالت: فلى عليك إن أنا أتيتك أن تتزوجنى. قال: لعل.

فتقنّع بثوبه، ثم خرج إلى بلده، وارتحلت تائبة نادمة على ما كان منها حتى قدمت البلدة، فسألت عن اسمه ومنزله، فدُلَّتْ عليه، فقيل له: إن الملكة قد جاءتك، فلما رآها شهق شهقة، فمات. قال: فأُسْقِطَ فى يدها، وقالت: أمَّا هذا فقد فاتنى، فهل له من قريب؟ قالوا: أخوه رجل فقير.

قالت: فإنى أتزوجه حبًّا لأخيه، فتزوجته، فنشر الله منهما سبعة أنبياء![1].

* * *

الحكاية الحادية والأربعون بعد المائة
حكاية ذي النون مع شيبان

حدثنا محمد بن أحمد بن سلمة قال: حدثنى سالم قال: بينما أنا سائر مع ذى النون فى جبل لبنان قال لى: مكانك يا سالم حتى أعود إليك، فغاب عنى فى الجبل ثلاثة أيام، وأنا أنتظره إذا هاجت النفس أطعمتها من نبات الأرض وسقيتها من ماء الغُدران، فلما كان بعد الثلاث رجع إلىَّ مُتَغَيِّرَ اللون ذاهل العقل، فقلت له بعد ما رجعتْ إليه نفسه: يا أبا الفيض، أَسَبُعٌ عارضك؟ فقال: لا، دعنى من تخويف البشرية، إنى دخلت كهفاً من كهوف هذا الجبل، فرأيت رجلاً أبيض الرأس واللحية أشعث أغبر نحيفاً، كأنما أخرج من قبره ذا منظرٍ مَهُول، وهو يصلى، فسَلَّمْتُ عليه بعد ما سَلَّمَ، فرَدَّ علىَّ السلام، وقام إلى الصلاة، فما زال راكعاً وساجداً حتى صلى العصر، واستند إلى حجر مقابل المحراب، فجعل يسبح، ولا يكلمنى، فبدأته بالكلام، فقلت له: رحمك الله! توصينى بشىء، ادْعُ الله عز وجل لى بدعوة. فقال: يا بنى آنسك الله بقربه. ثم سكت فقلت: زدنى.

---

(١) هذه الحكاية من الإسرائيليات التى لا تصح، خاصة ما جاء فيها من كلام منكر في نهايته من أن الله سبحانه جعل من نسلها سبعة أنبياء، فهذا كلام منكر لا يصح على أنبياء الله، وهو من وضع القصاص والكذابين.

فقال: مَنْ آنسه الله بقربة أعطاه أربع خصال: عِزًّا من غير عشيرة، وعلماً من غير طلب، وغنى من غير مال، وأنساً من غير جماعة، ثم شهق شهقة فلم يفق إلا بعد ثلاثة أيام حتى توهمت أنه ميِّت، فلما كان بعد ثلاثة أيام قام فتوضأ من عين ماء إلى جنب الكهف، وقال لى: يا بنى، كم فاتنى من الفرائض صلاةً أو صلاتان أو ثلاثة؟ فقلت: قد فاتتك صلاة ثلاثة أيام بلياليهن. فقال: عن ذكر الحبيب هيج شوقى، ثم حب الحبيب أذهل عقلى، وقد استوحشت من ملاقاة المخلوقين، وآنست بذكر رب العالمين، انصرف عنى بسلام.

فقلت له: يرحمك الله! وقفت عليك ثلاثة أيام، وبكيت.

فقال: أَحِب مولاك، ولا تُردْ بحبه بدلاً، فالمحبون لله تعالى هم تيجان العُبَّاد وعلم الزهاد وأصفياء الله وأحباؤه، ثم صرخ صرخة، فحركته فإذا هو قد فارق الدنيا، فما كان إلا هنيهة إذا بجماعة من العُبَّاد منحدرين من الجبل حتى واروه تحت التراب، فسألت: ما اسم هذا الشيخ، فقالوا: شيبان المصاب.

قال سالم: سألتُ أهل الشام عنه، فقالوا: كان مجنوناً خرج من أذى الصبيان. قلت: تعرفون مِنْ كلامه شيئاً؟ قالوا: نعم، كلمة واحدة كان يغنى بها إذا ضجر: إذا بك لم أجن يا حبيبى، فبمن؟ قال سالم: فقلت: غُمِّيَ والله عليكم.

* * *

الحكاية الثانية والأربعون بعد المائة
ومن يتق الله يجعل له مخرجا

عن أمير المؤمنين الواثق عن المعتصم قال: بلغنى أن رجلاً ركب فى البحر ومعه عشرة آلاف دينار قال: فبينا نحن نسير فى اللجج سمعنا قائلاً يقول: مَنْ أُعَلِّمُه كلمة لا يقع فى شدة إلا فرَّج الله عنه بعشرة آلاف دينار، فقلت: أنا. فقال: ارم بها فى البحر، فرميت بها. فقال: قل: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[1] فقال أهل المركب: ومن لا يحسن أن يقول هذا؟ ذهبت الدنانير، فلا والله ما استتموا الكلام حتى عصفت ريح عظيمة قطعت المركب، وغرق القوم، وأفلتُّ أنا على لوح، وأنا أقول الكلمات، فرَمَى بى اللوح إلى الساحل، فإذا لنا بقصر، وإذا امرأة جالسة، فقالت: مَنْ أنت؟ فأخبرتها، فقالت: أنا امرأة من أهل البصرة، وهذا القصر فيه عفريت لا يغرق فى هذا البحر شيء إلا أخذ جزء المتاع وجعله فيه، فقم لا يجيء فيقتلك، فبينا

(١) سورة الطلاق، الآيتان رقم: ٢، ٣.

أنا أحدثها إذا سواد قد أقبل، فلما رأيته جعلت أقول الكلمات، فلما سمعها صار رماداً، فقلت: قومي قد كفى الله أمره، فقمنا وأخذنا من ذلك القصر ما كثر ثمنه وخف محمله، فلما مَرَّ بنا مركب لَوَّحْنَا إليه، فحملنا إلى البصرة، فقالت: امْضِ إلى موضع كذا وكذا، فمضيت إليهم، يعني: فأخبرتهم خبر المرأة، فقالوا: فقدناها من ثلاث سنين.

فقلت: قوموا معي، فجاءوا، فلما رأوها أكبوا عليها، فقالت: هذا من أعظم الناس عليَّ مِنَّة، زوجوني إياه، فتزوجتها.

* * *

الحكاية الثالثة والأربعون بعد المائة

عاقبة من أراد بوعظه الدنيا

حدثنا أبو الفضل الربعي قال: حدثني أبي قال: بينما المنصور ذات يوم يخطب، وقد علا بكاؤه قام رجل فقال: يا وَصَّاف تأمر بما تجتنبه وتنهى عما ترتكبه بنفسك، فابدأ بنفسك، ثم بالناس، فنظر إليه المنصور، وتأمله مَلِيًّا، ثم قال-وقطع الخطبة -: يا عبد الجبار خُذْه إليك، فأخذه عبد الجبار وعاد إلى خطبته حتى انتهى، وقضى الصلاة، ثم دخل، ودعا بعبد الجبار، فقال له: ما فعل الرجل؟ قال: محبوس عندنا يا أمير المؤمنين. قال: أَمْلِ له، ثم عَرِّض له بالدنيا، فإن صدف عنها، فلعمري إنه لمريد، وإن كلامه ليقع موقعاً حسناً، وإن مال إلى الدنيا، ورغب فيها، إن لي فيه أَدَبًا يردعه عن الوثوب على الخلفاء وطلب الدنيا بعمل الآخرة، فراح عبد الجبار، فدعا بالرجل وقد دعا بغدائه، فقال له: ما حملك على ما صنعتَ؟ قال: حق كان لله في عنقي فأديته إلى خليفته. قال: ادْنُ فكُلْ. قال: لا حاجة لي فيه. قال: وما عليك من أكل الطعام، إن كانت نيتك حسنة، فدنا وأكل، فلما أكل طمع فيه، فتركه أياماً، ثم دعاه فقال: لهى عنك أمير المؤمنين وأنت محبوس، فهل لك في جاريةٍ تؤنسك وتسكن إليها.

قال: ما أكره ذلك، فأعطاه جارية، ثم أرسل إليه: هذا الطعام قد أكلتَ والجارية قد قَبِلْتَ، فهل لك في ثياب تكتسيها وتكسو عيالك إن كان لك عيال، ونفقة تستعين بها على أمرك إلى أن يدعوك أمير المؤمنين. قال: ما أكره ذلك. فأعطاه، ثم قال له: ما عليك أن تصنع خلَّة تبلغ بها الوسيلة من أمير المؤمنين - إن أردت الوسيلة عنده- إذا ذكر لي. قال: وما هي؟ قال: أُوَلِّيك الحِسْبَة والمظالم، فتكون أحد عُمَّاله تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر.

قال: وما أكره ذلك، فولاَّه الحسبة والمظالم، فلما أتى عليه شهر قال عبد الجبار

للمنصور: الرجل الذى تَكَلَّمَ بما تكلم، فأمرت بحبسه قد أكل من طعام أمير المؤمنين، ولبس من ثيابه، وعاش فى نعمته، وصار أحد ولاته، وإن أحب أمير المؤمنين أن أدخله فى زى الشيعة فعلت!.

قال: فأَدْخِلْه، فخرج عبد الجبار إلى الرجل، فقال: قد دعا بك أمير المؤمنين، وقد أعلمته أنك أحد عُمَّاله على المظالم والحسبة، فادْخُلْ عليه فى الذى يحب، فألبسه قباء، وعلّق عليه خنجراً فى وسطه وسيفاً بمعاليق، وأرسل جمته، فدخل فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين.

قال: وعليك، ألستَ القائم بنا والواعظ لنا ومذكرنا بأيام الله على رءوس الملأ؟ قال: نعم. قال: فكيف حُلْتَ عن مذهبك؟ قال: يا أمير المؤمنين، فَكَّرْتُ فى أمرى، فإذا أنا قد أخطأت فيما تَكَلَّمْتُ به، ورأيتنى مصيباً فى مشاركة أمير المؤمنين فى أمانته.

قال: هيهات! أخطاتَ! أَسْلَمَتْكَ الحفرة! هبناك يوم أعلنت الكلام، وظننا أنك أردتَ الله به، فكففنا عنك، فلما تبين لنا أنك أردت الدنيا جعلناك عظة لغيرك حتى لا يجترئ بعدك مجترئٍ على الخلافة، أخرجه يا عبد الجبار، فاضرب عنقه، فأخرجه فقتله!.

* * *

الحكاية الرابعة والأربعون بعد المائة
بين القاضي والخليفة

عن صالح بن كيسان أن الوليد بن يزيد ولّى سعد بن إبراهيم على قضاء المدينة، وأراد الوليد الحج، فاتخذ قبة من ساجٍ، ليجعلها حول الكعبة ليطوف هو ومن أحب من أهله ونسائه فيها، وكان فظًا متجبراً، فأراد بزعمه أن يطوف فيها حول البيت ويطوف الناس وراء القبة، فحملها على الإبل من الشام، ووجَّه معها قائداً من قواد الشام فى ألف فارس، وأرسل معه مالاً يُقَسِّمُه فى أهل المدينة، فقدم بها فنصبت فى مصلى رسول الله ﷺ، ففزع لذلك أهل المدينة واجتمعوا، وقالوا: إلى مَنْ نفزع فى هذا الأمر؟ فقالوا: إلى سعد بن إبراهيم، فأتاه الناس، فأخبروه الخبر، فأمرهم أن يضربوها بالنار، فقالوا: لا نطيق ذلك، معها قائد فى ألف فارس من أهل الشام، فدعي مولى له، فقال: هلم الجراب، فأتاه بجراب فيه درع عبد الرحمن التى شهد فيها بدراً، فنصبها عليه، وقال: هلم بغلتى، فأتاه ببغلته، فركبها فما تخلف عنه يومئذ قرشى ولا أنصارى، حتى إذا أتاها قال: علىَّ بالنار، فأتى بنار، فأضرمها فيها، فغضب القائد، فقيل له: هذا قاضى أمير المؤمنين، ومعه الناس، ولا طاقة لك به، فانصرف راجعاً إلى الشام، وشَبِعَ عبيد أهل المدينة من الناطف مما استلبوه من حديدها، فلما بلغ ذلك الوليد كتب إليه: وَلِّ القضاء

رجلاً، وأَقْدِمْ علينا، فولّى القضاء رجلاً، وركب حتى أتى الشام، فأقام ببابه أشهراً لا يؤذن له حتى نفدت نفقته، وأضَرَّ به طول المقام.

فبينا هو ذات عشية فى المسجد إذا هو بفتى فى صفراء سكران، فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا خال أمير المؤمنين سكران يطوف فى المسجد. فقال لمولى له: هلم السوط، فأتاه بسوط فقال: علىَّ به، فأتى به سكران، فضربه فى المسجد ثمانين سوطاً، فركب بغلته، ومضى راجعاً إلى المدينة، فأُدخِلَ الفتى على الوليد مجلوداً، فقال: مَنْ فعل هذا به؟ قال:مدني كان فى المسجد. فقال: علىَّ به.

فلُحِقَ على مرحلة، فدخل عليه فقال: يا أبا إسحاق ماذا فعلت بابن أخيك؟ فقال: يا أمير المؤمنين إنك وليتنا أمراً من أمورك، وإنى رأيت حقاً لله ضائعاً سكران يطوف فى المسجد، وفيه الوفود ووجوه الناس، فكرهت أن يرجع الناس عنك بتعطيل الحدود، فأقمت عليه حده.

فقال: جزاك الله خيراً، وأمر له بمال، وصرفه إلى المدينة، ولم يذاكره شيئاً من أمر القبة، ولا عن فعله فيها.

* * *

الحكاية الخامسة والأربعون بعد المائة

من مناقب سري السقطي

حدثنا مظفر بن سهل المقرى قال: حدثنا علان الخياط، وجرى بينى وبينه مناقب سرى السقطى، فقال لى علان: كنت جالساً مع سرى يوماً، فوافتنا امرأة فقالت: يا أبا الحسن أنا من جيرانك أُخِذَ ابنى الطائف[1] البارحة، وأنا أخشى أن يؤذيه، فإن رأيت أن تجيء معى أو تبعث إليه!

قال علان: فتوقعت أن يبعث إليه، فقام وكبَّر، وطوَّل فى صلاته، فقالت المرأة: يا أبا الحسن، الله! الله!، إنى أخشى أن يؤذيه السلطان، فسَلَّمَ، وقال لها: أنا فى حاجتك.

قال علان: فما برحت حتى جاءت امرأة جارة المرأة، فقالت: الحقى، فقد خلوا ابنك. قال علان: وأى شيء تتعجب من هذا؟! اشترى كر لوز بستين ديناراً وكتب فى روزناجحة ثلاثة دنانير ربحاً، فصار اللوز بتسعين ديناراً،، فأتاه الدلال فقال: أريد ذلك اللوز، قال: خُذْه. قال: بكم؟ قال: بثلاثة وستين دينار. قال الدلال: إن اللوز قد صار الكر بتسعين. فقال له: قد عقدت بينى وبين الله عز وجل عقداً لا أحله لا أبيعه إلا

---

(١) الشرطة.

بثلاثة وستين ديناراً. فقال له الدلال: إني قد عقدت بيني وبين الله عقداً أن لا أغش مسلماً، لستُ آخذه منك إلا بتسعين، فلا الدلال اشترى منه، ولا سرى باعه.

قال علان: كيف لا يستجاب دعاء مَنْ هذا فعله.

* * *

الحكاية السادسة والأربعون بعد المائة

دعاء مستجاب

حدثنا محمد بن عبد العزيز بن سلمان العابد قال: سمعت دهماً –وكان من العابدين – يقول: اليوم الذى لا آتى فيه عبد العزيز كنت مغموماً، فأبطات عليه ذات يوم، ثم أتيته، فقال: ما الذى أبطأ بك؟ قلت: خيراً. قال: على كل حال؟ قال: شُغِلْنا بالعيال، كنت ألتمس لهم شيئاً. قال: فوَجَدتَّه لهم؟ قلت: لا. قال: هلم فلندع، فدعى وأمَّنت، ودعوت وأمَّن، ثم نهضنا لنقوم، فإذا والله الدنانير والدراهم تتناثر فى حجورنا! فقال: دونك يا إبراهيم، ومضى، ولم يلتفت إلىَّ، فأخذتها، فإذا مائة دينار ومائة درهم.

قال محمد: فقلت له: ما صنعتَ بها؟ قال: احتبست قوت عيالى جمعة حتى لا يشغلنى عن عبادته وشكره وخدمته فِكْرٌ فى شىء من عرض الدنيا، ثم أمضيتها فى سبيل الله، فقال محمد: بحق والله لهؤلاء يرزقون بغير حساب.

* * *

الحكاية السابعة والأربعون بعد المائة

دعوة مستجابة

حدثنا أبو ضمرة عاصم بن أبى بكر الزهرى قال: سمعت مالك بن أنس يقول: كان يونس بن يوسف من العباد – أو قال: من خيار الناس – فأقبل ذات يوم وهو رائح من المسجد، فلقيته امرأة، فوقع فى نفسه منها، فقال: اللهم إنك جعلت لى بصرى نعمة، وقد خشيت أن يكون علىَّ نقمة، فاقبضه إليك.

قال: فعمى، وكان يروح إلى المسجد يقوده ابن أخ له، فإذا استقبل به الأسطوانة اشتغل الصبى يلعب مع الصبيان، فإذا نابته حاجة حصبه، فأقبل إليه، فبينا هو ذات يوم صحوة فى المسجد أحس فى بطنه بشىء، فحصب الصبى، فشُغِلَ الصبى مع الصبيان حتى خاف الشيخ على نفسه، فقال: اللهم إنك جعلت لى بصرى نعمة، فخشيت أن يكون علىَّ نقمة، فسألتك قبضه إليك، وقد خشيت الفضيحة، فرده إلىَّ، فانصرف إلى منزله صحيحاً يمشى.

قال مالك: فرأيته أعمى ورأيته صحيحاً.

* * *

الحكاية الثامنة والأربعون بعد المائة

دعوة بقيِ بن مخلد

عن عبد الرحمن بن أحمد قال: سمعت أبي يقول: جاءت امرأة إلى ابن مخلد[١] فقالت: إن ابني قد أسره الروم، ولا أقدر على مال أكثر من دويرة، ولا أقدر على بيعها، فلو أشرت إلى من يفديه بشيء، فليس لي ليل ولا نهار ولا نوم ولا قرار. فقال: نعم، انصرفي حتى أنظر في أمره إن شاء الله.

قال: وأطرق الشيخ، وحَرَّك شفتيه. قال: فلبثنا مدة، فجاءت المرأة ومعها ابنها، وأخذت تدعو له، وتقول: قد رجع سالماً، وله حديث يُحَدِّثُك به، فقال الشاب: كنت في يدي بعض ملوك الروم مع جماعة من الأسارى، وكان له أفنان[٢] يستخدمنا كل يوم يخرج إلى الصحراء لنخدمه، ثم يردنا، وعلينا قيودنا، فبينا نحن نجيء من العمل بعد المغرب انفتح القيد من رجلي، ووقع على الأرض، ووصف اليوم والساعة، فوافق الوقت الذي جاءت المرأة، ودعا الشيخ. قال: فنهض إلى الذي كان يحفظني، وصاح عليَّ، وقال: كَسَرْتَ القَيْدَ؟ قلت: لا، إنه سقط من رجلي. قال: فتحيَّر وأخبر صاحبه وأحضر الحداد، وقَيَّدُوني، فلما مشيت خطوات سقط القيد من رجلي، فَتَحَيَّرُوا من أمري، فدعوا رهبانهم، فقالوا لي: ألك والدة؟ قلت: نعم.

قالوا: قد وافق دعاءها الإجابة، وقالوا: أطلقك الله، فلا يمكننا تقييدك، فزَوَّدوني وأصحبوني إلى ناحية المسلمين[٣].

---

(١) قال ابن الجوزي بعد هذه القصة: قلت: ابن مخلد هذا اسمه بقي بن مخلد، ويكنى أبا عبد الرحمن من كبار الحفاظ المحدثين، سمع الإمام أحمد بن حنبل وغيره، وله التصانيف الكثيرة، منها مسنده، فإنه روى فيه عن ألف وثلاثمائة صحابي، بل يزيدون على هذا العدد، وشيوخه أعلام، فإنه روى عن مائتي رجل وأربعة وثلاثين جمهور مشاهير.

(٢) حدائق.

(٣) هذه الحكاية مشابهة لقصة عوف بن مالك، وقد أوردها القرطبي في تفسير، في تفسير قول الله تعالى من سورة الطلاق: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا، ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل...﴾ وقال: قال أكثر المفسرين فيما ذكر الثعلبي: إنها نزلت في عوف بن مالك الأشجعي. روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: جاء عوف بن مالك الأشجعي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إن=

الحكاية التاسعة والأربعون بعد المائة

رؤيا لرابعة العدوية

حدثنا مسمع بن عاصم قال: قالت رابعة العدوية: أُعْلِلْتُ عِلَّة قطعتنى عن التهجد وقيام الليل، فمكثت أياماً أقرأ جزئين إذا ارتفع النهار لِمَا يذكر أنه يعدل قيام الليل، ثم رزقنى الله العافية، فكنت قد سكنت إلى قراءة جزئين بالنهار، وانقطع عنى قيام الليل، فبينا أنا ذات ليلة راقدة رأيت فى منامى كأنى رفعت إلى روضة خضراء ذات قصور ونبت حسن، فبينا أنا أطوف فيها أتعجب من حسنها إذا أنا بطائر أخضر وجارية تطارده كأنها تريد أخذه، فشغلنى حُسْنُه عن حسنها، فقلت لها: دعيه ما تريدين منه، فوالله ما رأيت طائراً أحسن منه.

فقالت: فهلا أريك شيئاً أحسن منه؟ قلت: بلى.

فأخذت بيدى، فأدارتنى فى تلك الرياض حتى انتهيت إلى باب قصر، فاستفتحت،

=ابني أسره العدو وجزعت الأم. وعن جابر بن عبدالله: نزلت في عوف بن مالك الأشجعي أسر المشركون ابنا له يسمى سالما، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا إليه الفاقة وقال: إن العدو أسر ابني وجزعت الأم، فما تأمرني؟ فقال عليه السلام: (أتق الله واصبر وآمرك وإياها أن تستكثرا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله). فعاد إلى بيته وقال لامرأته: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني وإياك أن نستكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله. فقالت: نعم ما أمرنا به. فجعلا يقولان؛ فغفل العدو عن ابنه، فساق غنمهم وجاء بها إلى أبيه؛ وهي أربعة آلاف شاة. فنزلت الآية، وجعل النبي صلى الله عليه وسلم تلك الأغنام له. في رواية: أنه جاء وقد أصاب إبلا من العدو وكان فقيرا. قال الكلبي: أصاب خمسين بعيرا. وفي رواية: فأفلت ابنه من الأسر وركب ناقة للقوم، ومر في طريقه بسرح لهم فاستاقه. وقال مقاتل: أصاب غنما ومتاعا فسأل النبي صلى الله عليه وسلم: أيحل لي أن آكل مما أتى به ابني؟ قال: (نعم). ونزلت: «ومن يتق الله يجعل له مخرجا. ويرزقه من حيث لا يحتسب».

وقال الحافظ ابن حجر فى الإصابة: روى بن مردويه من طريق الكلبي عن أبى صالح عن بن عباس قال جاء عوف بن مالك الأشجعي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إن ابني أسره العدو وجزعت أمه فما تأمرني قال آمرك وإياها أن تستكثروا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله فقالت المرأة نعم ما أمرك به فجعلا يكثران منها فغفل عنه العدو فاستاق غنمهم فجاء بها إلى أبيه وهي أربعة آلاف شاة فنزلت ومن يتق الله يجعل له مخرجا الآية. ورواه الخطيب في ترجمة سعيد بن القاسم البغدادي من تاريخه عن رواية جويبر عن الضحاك عن ابن عباس كذلك، ورواه السدي في تفسيره كذلك، وأخرجه الحاكم في المستدرك من طريق علي بن بذيمة عن أبي عبيدة بن عبدالله بن مسعود عن أبيه قال جاء رجل أراه عوف بن مالك فذكره معناه وأخرجه الثعلبي من وجه آخر ضعيف، وزاد أن الابن يسمى سالما، وساق القصة بالمعنى.

ففتح لها باب، فخرق إلى بستان، فدَخَلَتْ، ثم قالت: افتحوا باب القبة، ففتح لها باب شاع منه شعاع استنار من ضوء نوره ما بين يدى وخلفى، فدخلت ثم قالت: ادخلى، فدخلت، فإذا وصائف بأيديهم المجامر، فقالت لهن: أين تردن؟ فقلن: نريد فلاناً قُتِلَ فى البحر شهيداً نُجَمِّره،فقالت لهن:ألا تجمرن هذه المرأة؟ فقلن: كان لها فى ذلك، فتركته، فأرسلت يدها من يدها، ثم أقبلت علىَّ بوجهها وقالت:

صلاتك نور والعباد رقود ونومك ضد للصلاة عنيد

وعمرك غنم إن عقلت وركبه يسير ويفنى دايباً ويبيد

ثم غابت عنى، واستيقظت، فوالله ما ذكرتها، فتوهمتها إلا طاش عقلى.

* * *

الحكاية الخمسون بعد المائة

القاضي يحكم على الخليفة

حدثنا عمر بن أبى بكر عن نمير المدنى قال: قدم علينا أمير المؤمنين المنصور المدينة ومحمد بن عمران الطلحى على قضائه وأنا كاتبه، فاستعدى الجمالون على أمير المؤمنين فى شيء ذكروه، فأمرنى أن أكتب إليه كتاباً بالحضور معهم وإنصافهم، فقلت: تعفينى من هذا، فإنه يعرف خطى.

فقال: اكتب، فكتبت، ثم ختمته. [فقال]: والله لا يمضى به غيرك، فمضيت به إلى الربيع، وجعلت أعتذر إليه، فقال: لا عليك، فدخلت عليه بالكتاب ثم خرج الربيع فقال للناس - وقد حضر وجوه أهل المدينة والأشراف وغيرهم -: إن أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم: إنى قد دعيتُ إلى مجلس الحكم فلا أعلمن أحداً قام إلىَّ إذا خرجت أو بدأنى بالسلام.

قال: ثم خرج المسيب بين يديه والربيع، وأنا خلفه، وهو فى إزار ورداء، فسَلَّمَ على الناس، فما قام إليه أحدٌ، ثم مضى حتى بدأ بالقبر، فسَلَّمَ على رسول الله ﷺ، ثم التفت إلى الربيع، فقال: ويحك يا ربيع! أخشى أن يرانى ابن عمران فيدخل عليه هيبة، فيتحول عن مجلسه، وبالله لئن فعل لا وَلِىَ لى ولايه أبداً.

قال: فلما رآه ابن عمران وكان متكئاً أطلق رداءه عن عاتقه ثم احتبى به، ودعا بالخصوم وبالجمالين، ثم دعى بأمير المؤمنين، ثم ادعى عليه القوم، فقضى لهم عليه، فلما دخل الدار قال الربيع: اذهب، فإذا قام، وخرج من عنده الخصوم، فادعه يا أمير المؤمنين، والله ما دَعَا بك إلا بعد أن فرغ من أمور الناس جميعاً، فدعاه، فلما دخل عليه

سَلّمَ، فرَدَّ عليه السلام، وقال: جزاك الله عن دينك وعن نبيلك وعن حسبك وعن خليفتك أحسن الجزاء، قد أمرت لك بعشرة ألف دينار، فاقبضها، فكانت عامة أموال محمد بن عمران من تلك الصلة.

* * *

الحكاية الحادية والخمسون بعد المائة

قاضي الرقة يحكم على الأمير

حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عمي مصعب بن عبد الله قال: كان عبيد بن ظبيان قاضي الرقة، وكان الرشيد إذ ذاك بها، فجاءه رجل فاستعدى إليه من عيسى بن جعفر، فكتب إليه ابن ظبيان: أما بعد، أبقى الله الأمير وحفظ وأتم نعمه عليه، أتاني رجل فذكر أنه فلان بن فلان وأن له على الأمير أبقاه الله خمسمائة ألف درهم، فإن رأى الأمير أبقاه الله أن يحضر مجلس الحكم أو يوكل وكيلاً يناظر خصمه فعل، ودفع الكتاب إلى الرجل فأتى باب عيسى فدفع الكتاب إلى حاجبه فأوصله إليه، فقال له: قُلْ له: كُلْ هذا الكتاب؟ فرجع إلى القاضي، فأخبره، فكتب إليه: أبقاك الله وحفظك وأمتع بك حضر رجلٌ يقال له فلان بن فلان ذكر أن له عليك حقاً فصر معه إلى مجلس الحكم أو وَكِّلْ وكيلاً إن شاء الله، ووجه بالكتاب مع عونين من أعوانه، فحضرا باب عيسى ودفعا الكتاب إليه، فغضب ورمى به فانطلقا فأخبراه فكتب إليه: حفظك الله وأبقاك وأمتع بك لا بد أن تصير أنت وخصمك إلى مجلس الحكم فإن أبيت أنهيت أمرك إلى أمير المؤمنين إن شاء الله، ثم وجَّه بالكتاب مع رجلين من أصحابه وقعدا على باب عيسى حتى خرج، فقاما إليه ودفعا إليه كتاب القاضي، فلم يقرأه ورمى به فأبلغاه، فختم قطمره، وانصرف فقعد في بيته، وبلغ الخبر الرشيد، فدعاه، فسأله عن أمره، فأخبره بالقصة حرفاً حرفاً، فقال لإبراهيم بن عثمان: صِرْ إلى باب عيسى بن جعفر، فاختم أبوابه كلها ولا يخرجن منها أحد، ولا يدخلن عليه أحد حتى يُخْرِجَ إلى الرجل من حقه أو يصير معه إلى الحكم، فأحاط إبراهيم بداره خمسين فارساً، وغلقت أبوابه، فظن عيسى أنه قد حدث للرشيد رأي في قتله، ولم يعلم ما سبب ذلك، وجعل يُكَلِّم الإخوان من خلف الباب، وارتفع الصياح من منزله وصراخ النساء، فأمرهن أن يَسْكُنَّ، وقال لبعض غلمان إبراهيم: ادع لي يا إسحاق لأُكَلِّمه، فأعلموه ما قاله، فجاء حتى صار إلى الباب، فقال عيسى: ويلك![1].

* * *

---

(١) ها هنا نقص في الكتاب صفحتان من المخطوط حتى منتصف الحكاية الثالثة والخمسون بعد المائة.

الحكاية الثالثة والخمسون بعد المائة

قد كنت أسلمت فيك مقتبلاً فهات ادخل أعطنى سلمى

قال المأمون: لله درك لكأنما شق لك عن قلبى، أنشدنى أنصف بيت للعرب.

قلت: قول ابن أبى عروية المدنى:

إنى وإن كان ابن عمى غائباً   لمزاحم من خلفه وورائه

ومفيده نصرى وإن كان امرأ   متزحزحاً فى أرضه وسمائه

وأكون والى سره فأصونه   حتى يحن علىَّ وقت أدائه

فإذا الحوادث أجحفت بسوامه   قربت صحيحتنا إلى جربائه

وإذا دعى بأسمى لأركب مركباً   صعباً قعدت له على سيسائه

وإذا أتى من وجهه بطريقة   لم اطلع مما وراء خبائه

وإذا ارتدى ثوباً جميلاً لم أقل   يا ليت أن علىَّ فضل ردائه

فقال: أحسنت يا نصر ما شئت، أنشدنى الآن أقنع بيت للعرب،فأنشدته قول ابن عبدك:

إنى امرؤ ولم أزل وذاك   من الله أديبا أعلم الأدبا

أقيم بالدار ما اطمأنت بى الدار   وإن كنت نازحاً طربا

لا أحتوى خله الصديق   ولا أتبع نفسى شيئاً إذا ذهبا

أطلب ما يطلب الكريم   من الرزق بنفسى وأحمد الطلبا

إنى رأيت الفتى الكريم   إذا رغبته فى صنيعة رغبا

والعبد لا يطلب العلا   ولا يعطيك شيأ إلا إذا رُهِبا

مثل الحمار الموقع السوء   لا يحسن مشيًا إلا إذا ضُرِبا

ولم أجد عروة الخلائق إلا   الدين -لّما اختبرت -والحسبا

قد يرزق الخافض المقيم   وما شد بعبسِ رحْلاً ولا قَتَبَا

ويحرم الرزق ذو المطية   والرحل ومن لا يزال مغتربا

قال: أحسنت يا نصر ما شئت، أفعندك ضدها، قلت: نعم أحسن منه. قال: هات، فأنشدته:

ندا المعروف غيم حيث   كانت تحملها كفور أو شكور

قال: أحسنت يا نصر، فأخذ القرطاس، وكتب شيئاً لا أدرى ما هو ثُمَّ قال: كيف تقول أفعل من التراب؟ قلت: اترب. قال: والطين: قلت: طن. قال: فالكتاب ماذا؟ قلت: مترب مطين.

قال لى: هذه أحسن من الأولى، فكتب لى بخمسين ألف درهم، ثم أمر الخادم أن يأتى بى إلى الفضل بن سهل، ومضيت معه فلما قرأ الكتاب قال: يا نصر لحنت أمير المؤمنين؟ قلت: كلا، ولكن هشيماً لحَّانه، فأمر لى بثلاثين ألفاً، فخرجت إلى منزلى بثمانين ألف درهم.

قلت: وقد حدثنا بهذه الحكاية من طرق أخر، وفيها: فلما قرأ الفضل الكتاب قال: بمَ استأهلت أن يأمر لك بخمسين ألف درهم؟ فحدثته الحديث، فقال: لحنت أمير المؤمنين، فقلت إنما لحن هشيم، فأمر لى بأربعين ألفاً، فانصرفت بكلمة أفادوها بتسعين ألف درهم.

* * *

الحكاية الرابعة والخمسون بعد المائة

حكاية رجل يعذب في قبره

حدثنا العباس بن عبد الله قال: سمعت محمد بن يوسف يقول: سمعت أبا سنان يقول: وكان رجلاً هائلاً يدور فى جبال بيت المقدس قال: نزلت على رجل فقال: امض بنا نعزى جاراً لنا مات أخوه، فذهبت معه فإذا رجل جَزِعٌ لا يقبل العزاء، فقلنا له: يا هذا اتق الله عز وجل واعلم أن الموت سبيل لا بد منه وهو آتٍ على هذا الخلق أجمعين.

فقال: قد علمت أن الأمر كما تقولون، ولكن أبكى على ما أمسى وأصبح فيه أخى، فقلنا: سبحان الله! هل أطلعك الله على الغيب.

فقال: إنما أجزع لما رأيت لَمَّا دفنته وسويت التراب عليه، إذا صوتٌ من القبر يقول: أوَّاه. فقلت: أخى، والله أخى. فكشفت التراب، فقيل لى: يا عبد الله لا تنبشه، فرددت التراب كما كان، فلما ذهبت أقوم قال: أوَّاه. فقلت: أخى، والله أخى. ثم كشفت التراب، فقيل لى: لا تفعل، فرددت التراب كما كان.

فلما ذهبت أقوم إذا هو يقول: أوَّاه. فقلت: والله لا تركت نبشه، فنبشته فإذا هو مُطَوَّق بطوق من نار قد التمع عليه ناراً، فطمعت أن أقطع ذلك الطوق، فضربته بيدى لأقطعه، فذهبت أصابعى. قال: وأخرج إلينا يده فإذا أصابعه الأربع قد ذهبت.

قال: فأتيت الأوزاعى، فحدثته؟ فقلت: يا أبا عمر، ويموت اليهودى والنصرانى والكافر، ولا يرى مثل هذا؟! فقال: نعم أولئك لا شك أنهم فى النار، ويريكم الله عز وجل فى أهل التوحيد لتعتبروا.

* * *

الحكاية الخامسة والخمسون بعد المائة

حكاية امرأة رياح العبسي

حدثنا أبو يوسف البزار قال: تزوج رياح العبسي امرأة، فسابَّها، فلما أصبح قامت إلى عجينها. فقال: لو نظرتِ امرأة تكفيك هذا، فقالت: إنما تزوجت رياحاً العبسي، لم أرانى تزوجت جَبَّاراً عنيداً، فلما كان الليل نام ليختبرها، فقامت ربع الليل، ثم نادته: قم يا رياح. فقال: أقوم، ولم يقم. فقامت الربع الآخر، ثم نادته: قم يا رياح، فقال: أقوم، ولم يقم، فقامت الربع الآخر، ثم نادته قم يا رياح، فقال: أقوم.

فقالت: مضى الليل، وعسكر المحسنون، وأنت نائم، ليت شعرى! مَنْ غَرَّنى بك يا رياح، وقامت الربع الباقى.

* * *

الحكاية السادسة والخمسون بعد المائة

التجارة مع الله

عن وهب بن منبه قال: كان فى بنى إسرايل عابد فلبث سبعاً لم يطعم هو وعياله شيئاً، فقالت له امرأته: لو خرجت فطلبت لنا شيئاً، فخرج فوقف مع العمال، فاستؤجر العمال وصرف الله عنه الرزق، فقال: والله لأعملن اليوم مع ربى، فجاء إلى ساحل البحر فاغتسل، وإنْ[1] زال راكعاً وساجداً حتى إذا أمسى أتى أهله، فقالت له امرأته: ماذا صنعت؟ قال: قد عملت مع أستاذ لى وقد وعدنى أن يعطينى، ثم غدا إلى السوق، فوقف مع العمال، فاستؤجر العمال، وصرف الله عنه الرزق، ولم يستأجره أحد.

فقال: والله لأعملن مع ربى فجاء إلى ساحل البحر، فاغتسل وإن زال راكعاً وساجداً حتى إذا أمسى أقبل إلى منزله، فقالت له امرأته: ماذا صنعت؟ قال: إن أستاذى قد وعدنى أن يجمع لى أجرتى، فخاصمته امرأته، وبرزت عليه، فلبث ينقلب ظهرًا لبطن وبطناً ظهر، وصبيانه يتضاغون جوعاً، ثم غدا إلى السوق فاستؤجر العمال، وصرف الله عنه الرزق ولم يستأجره أحد.

فقال: والله لأعملن اليوم مع ربى، فجاء إلى ساحل البحر، فاغتسل وإن زال راكعاً وساجداً حتى إذا أمسى قال: إلى أين أمضى؟ تركت أقواماً يتصاغون جوعاً، ثم تحامل على جهد منه، فلما قرب من باب داره سمع ضحكاً وسروراً، وشم رائحة قديد وشواء، فأخذ على بصره، وقال: أنا نائم أم يقظان، تركت أقواماً يتضاغون جوعاً،

---

(١) إن، بمعنى: ما.

وأشم رائحة شواء، وأسمع ضحكاً وسروراً، ثم دنا من باب داره، فطرق الباب، فخرجت امرأته، وقد حسرت عن ساعديها وهي تضحك في وجهه، ثم قالت: يا فلان قد جاءنا رسول أستاذك، جاءنا بدنانير ودراهم وكساء وودك ودقيق، وقال: إذا جاء فلان فأقرءوه السلام، وقولوا له: إن أستاذك يقول لك: قد رأيتُ عملك، فرضيته، فإن أنت زدتني في العمل زدتك في الأجرة.

* * *

الحكاية السابعة والخمسون بعد المائة

من يشفع لي؟

عن ربيعة بن عثمان التيمي قال: كان رجل على معاصي الله ثم إن الله أراد به خيراً وتوبة، فقال لزوجته: إني التمس شفيعاً إلى الله، فخرج إلى الصحراء فجعل يصيح: يا سماء اشفعي لي، يا أرض اشفعي لي، يا ملائكة اشفعي لي، فأدركه الجهد فخرَّ مغشياً عليه، فبُعِثَ إليه مَلَك، فأجلسه، ومسح رأسه، وقال له: أبشر فقد قبل الله توبتك.

فقال: رحمك الله! مَنْ كان شفيعي إلى الله؟ قال: خشيتك شفعت لك إلى الله.

* * *

الحكاية الثامنة والخمسون بعد المائة

من وصايا الإمام علي

عن ابن عباس قال: قال عمر بن الخطاب: وضع علي بن أبي طالب اثنتي عشرة كلمة لو أن الناس عملوا بها لتأدب كل واحد حتى لا يخطئ، منها قوله:

ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك عنه ما تحبه، ولا تظن بكلمة خرجت من أحد شراً، وأنت تجد لها في الخير محملاً، وإذا أردت أمرين فخالف أقربهما إلى الهوى، فإن أكثر ما يكون الخطأ مع اتباع الهوى، وإذا كانت لك إلى الله حاجة فابدأ بالصلاة على النبي ﷺ، فإن الله أكرم من أن يسأل حاجتين، فيقضي إحداهما ويمنع الأخرى، ومن أحب الذكر فليستشعر الصبر، ومن أحب الحياة فليوطن نفسه على المصائب، ومن يصن عرضه فلْيَدَع المراء، ومن أحب الرئاسة فليصبر على مضض السياسة، ولا تسأل عما لم يكن ففي الذى كان لك شغل، ومن الحزن المعالجة قبل الإمكان والأناة بعد الفرصة، والتثبت نصف الظفر كما أن الهم نصف الهرم، وإذا حذرت أمراً لم تقع فيه فإن حذر وقوعك فيه تنجيك منه.

* * *

الحكاية التاسعة والخمسون بعد المائة

حكاية فى العفاف والقناعة

حدثنا أحمد بن الحسين قال: سمعت أبا عبد الله المحاملى: يقول صليت صلاة العيد يوم فطر فى جامع المدينة، فلما انصرفت قلت فى نفسى: أدخل على داود بن على أُهَنِّيه، وكان ينزل قطعية الربيع، فجئته وقرعت عليه الباب، فأذن لى، فدخلت وإذا بين يديه طبق فيه أوراق هندباء وغضارة فيها نخالة، وهو يأكل فهنيته، وتعجبت من حاله، فرأيت أن جميع ما نحن فيه من الدنيا ليس بشىء، فخرجت من عنده، ودخلت على رجل يعرف بالجرجانى، فلما علم بمجيئى إليه خرج حاسر الرأس حافى القدمين، وقال لى: ما عنّى القاضى أيده الله؟ فقلت: مُهِمٌّ. قال: ما هو؟ قلت: فى جوارك داود بن على ومكانه من العلم معلوم، وأنت فكثير الرغبة فى الخير تغفل عنه، وحدثته بما رأيت منه، فقال لى: داود شرس الخُلُق، اعلم القاضى أنى وَجَّهْتُ إليه البارحة ألف درهم مع غلامى ليستعين بها فى بعض أموره، فرَدَّهَا، وقال للغلام: قُلْ له: بأى عين رأيتنى، وما الذى بلغك فى حاجتى حتى وجَّهت إلىّ بهذا؟

قال: فتعجبت من ذلك، وقلت له: الدراهم فإنى أحملها إليه أنا، فدعى بها ودفعها إلىّ، ثم قال: يا غلام ناولنى الكيس الآخر، فجاءه بكيس، فوزن ألفًا أخرى، وقال: تلك له وهذه لموضع القاضى وعنائه.

قال: فأخذت الألفين، وجئت إليه، فقرعت بابه، فخرج، وكَلَّمَنِى من وراء الباب، وقال: ما رَدَّ القاضى؟ قلت: حاجة أكلمك فيها، فدخلت وجلست ساعة، ثم أخرجت الدراهم، وجعلتها بين يديه، فقال: هذا جزاء من ائتمنك على سِرِّه، إنما أدخلتك إلىّ بأمانة العلم، ارجع فلا حاجة لى فيما معك.

قال المحاملى: فرجعت وقد صغرت الدنيا فى عينى، ودخلت على الجرجانى، فأخبرته بما كان، فقال: أما أنا فقد أخرجت هذه الدراهم لله عز وجل، فلا ترجع إلى مالى، فليتول القاضى إخراجها على أهل السير والعفاف على ما يراه.

* * *

الحكاية الستون بعد المائة

نصيحة من رجل فى الصحراء

حدثنا أبا صالح الدمشقى قال: كنت أدور فى جبل اللكام أطلب الزهاد والعباد، فرأيت رجلاً عليه مرقعة جالساً على حجر مطرقاً إلى الأرض، فقلت له: يا شيخ ما

تصنع هاهنا؟ قال: أنظر وأرعى. قلت له: ما أرى بين يديك إلا الحجارة فما الذى تنظر وترعى؟ قال: فتغير لونه، ثم نظر إلىّ مغضباً، وقال: انظر خواطر قلبى، وأرعى أوامر ربى، وبحق الذى أظهرك علىَّ إلا جُزْتَ عنى.

فقلت له: كَلِّمْنى بشىء أنتفع به حتى أمضى؟ فقال: من لزم الباب أثبت فى الخدم، ومن أكثر ذكر الذنوب أكثر الندم، ومن استغنى بالله أمن العدم، ثم تركنى ومضى.

* * *

الحكاية الحادية والستون بعد المائة
حكاية جِنِّيٍّ صالح

حدثنا عبد الله بن محمد القرشى قال: حدثنى أبى قال: كان على بن أبى طالب كثيرًا ما إذا خطب يوم الجمعة يقول: يا أيها الناس عليكم بالمعروف واذكروا فعل الجِنِّي.

قال: فقال أبو الأشتر: انطلق بنا إلى أمير المؤمنين حتى نسأله عن هذا الجنى ما أمره؟ فقد أكثر فيه. قال: فأتينه أنا والأشتر حتى دخلنا عليه وهو فى بيت المال، فقال: ما راعنى بكما فى هذه الساعة؟ قلنا: يا أمير المؤمنين سمعناك تقول عليكم بالمعروف واذكروا فعل الجنى، فقال: أو ما تدرون ما هو؟ قالوا: لا. قال: فذاك كان فيكم. قالوا: من؟ قال: مالك بن خزيم الهمذانى خرج حاجاً فى رهطٍ من أصحابه حتى إذا كانوا فى بعض الطريق قال لهم: اسندوا، فقد قدرتم على الماء. قال: فأسندوا فرقدوا فبينا هم كذلك طلع القمر من آخر الليل فانساب عليهم شجاع[1] من الجبل، فأطاف بالقوم وبصر به فتى منهم فأدنى منه العصا، وأطاف بالقوم فلما انتهى إلى الشيخ أهوى الفتى بالعصا وخشى أن يسبقه إلى الشيخ، فيلسعه فضربه فأخطأه، ففزع الشيخ فقال: مه؟ قال: الشجاع من حيث بدا. فقال: ارقدوا، فقد قدرتم على الماء، فما استيقظوا إلا بالشمس.

فقاموا، فأخذ كل إنسان بخطام رحالته يطلبون الماء فإذا هم على ضَلَلٍ، فلما رأى ذلك الشجاع ناداهم من الجبل فقال:

يا أيها القوم لا ماء أمامكم   حتى تسوسوا المطايا يومها الدأبا
ثم اسندوا منه فالماء عن كثب   عين رواء وماء يذهب اللعبا

قال: فأسندوا فإذا عين راكدة،فشربوا واستقوا وسقوا إبلهم وصدروا.

---

(١) ثعبان.

فلما رجعوا، وكانوا بأدنى الجبل قالوا: يا أبا حزيم لو استعدتنا من ذلك الماء، فأسندوا إلى الجبل، فطلبوا الماء، فإذا هم على ضلل، فلما رأى ذلك الشجاع ناداهم من الجبل:

يا مال عنى جزاك الله صالحةً ... هذا وداع لكم منى وتسليم
لا يزهدن فى اصطناع العرف من أحدٍ ... إن الذى يحرم المعدوم محروم
أنا الشجاع الذى أنجيت من رَهِق ... شكرت ذلك أن الشكر مقسوم
من يفعل الخير لا يعدم مغبته ... ما عاش والشر منه الغب مذموم

* * *

الحكاية الثانية والستون بعد المائة

بين شيبان وهارون الرشيد

حدثنا زيد بن العباس قال: لما حج هارون الرشيد قيل له: يا أمير المؤمنين قد حج شيبان العام قال: اطلبوه لى فطلبوه فآتوه به فقال: له يا شيبان عظنى فقال: يا أمير المؤمنين أنا رجل ألكن لا أفصح بالعربية فجئنى بمن يفهم كلامى فأتى برجل يفهم كلامه فقال: له بالنبطية قل له: يا أمير المؤمنين إن الذى يخوفك قبل أن تبلغ المأمن أنصح لك من الذى يؤمنك قبل أن تبلغ الخوف فقال له: أى شيء تفسير هذا؟ قال: قل له: الذى يقول لك اتق الله فإنك رجل من هذه الأمة استرعاك الله عليها وقلدك أمورها وأنت مسئول عنها فاعدل فى الرعية واقسم بالسوية وانفر فى السرية واتق الله فى نفسك، هذا الذى يخوفك فإذا بلغت المأمن أمنت هو أنصح لك ممن يقول: أنتم من أهل بيت مغفور لكم وأنتم قرابة نبيكم وفى شفاعته فلا يزال يؤمنك حتى إذا بلغت الخوف عطبت.

قال: فبكى هارون حتى رحمه من حوله، ثم قال: زدنى. قال: حسبك، ثم خرج.

* * *

الحكاية الثالثة والستون بعد المائة

عاقبة الملك الذي هدم كوخ العجوز الفقيرة

حدثنا عبد المنعم عن أبيه عن وهب قال: بنى جبار قصراً فى أرضه فشيَّده، فجاءت عجوز مسلمة فبنت إلى ظهر قصره كوخاً تعبد الله فيه فركب الجبار يوماً وطاف بفناء القصر فرأى الكوخ فقال: ما هذا؟ فقيل له: امرأة هاهنا ثاوية فأمر به فهدم ولم تكن المرأة حاضرة فجاءت فرأته قد هُدِمَ فقالت: مَنْ هدم هذا؟ فقيل لها: إن الملك ركب فرآه فأمر بهدمه فرفعت طرفها إلى السماء وقالت: يا رب أنا لم أكن، فأنت أين كنت؟

قال: فأمر الله عز وجل جبريل أن يلقيه على من فيه ؛ فقلب بما فيه.

* * *

الحكاية الرابعة والستون بعد المائة

من مواعظ أبي حازم

حدثنا غياث بن يزيد عن الزهرى قال: لما ولى إبراهيم بن هشام كنت معه وكنت مؤدباً له ومشيراً عليه فقال لى يوماً: ها هنا أحد ممن لقى السلف يحدثنا؟ فقلت: نعم هاهنا أبو حازم الأعرج صاحب أبى هريرة فأرسل إليه فجاء فسلم فقال: يا أعرج حدثنا فقال: ما بالأعرج إليكم من حاجة ولولا خوفكم ما أتاكم.

فقال له: فما النجاء مما نحن فيه؟ قال: أن تؤثروا الله على خلقه وتأخذوا المال من حلة فتضعوه فى حقه. قال: ومن يطيق ذلك؟ قال: إن كنت تريد من الدنيا ما تكتفى به فإن أدنى ما فيها يجزئك وإن لم يكن فيها شيء يجزئك فليس فيها شيء يغنيك.

قال: فما لنا نكره الموت؟ قال: لأنك جعلت متاعك نصب عينك، فأنت تكره فراقه، ولو قدمته أمامك لأحببت اللحوق به.

فقال الزهرى: بالله أيها الأمير ما سمعت كلاماً قط أحسن من هذا ولا أصوب! وإنه لجارى مدة كذا وكذا ما عرفته!.

قال: أجل يابن شهاب لو كنت من الأغنياء لجالستنى وعرفتنى، فقال: غمزتنى يا أبا حازم؟! قال: نعم وما هو أشد من ذلك كان الرجل إذا علم استغنى بعلمه عما سواه وكانت الأمراء تغشى العلماء وتقتبس منها فكان فى ذلك صلاح للفريقين للولاة والرعية، فلما أن غشيتموهم تركوا الاقتباس منكم، وقالوا: لولا أنهم علموا أن ما فى الدنيا أفضل منا لما آتونا ولا عظّمونا، فكان فى ذاك هلاك الفريقين للولاة والرعية.

فقال له إبراهيم: يا أبا حازم ارفع إلىّ حوائجك. فقال: هيهات هيهات! قد رفعت حوائجى إلى مَنْ يملك السماوات والأرض، فما أعطانى منها قبلتُ وما زوى عنى رضيت، ولى مالان لا أبتغى بهما بدلاً: الرضا عن الله، والزهادة.

قال: يا أبا حازم ائتنا، فإنك إن لم تأتنا أتيناك. قال: دعنى ومنزلى فإن لى فيه سعة واعمل لنفسك لعلك أن تنجو.

قلت: وهذه الحكاية قد ذكرت على وجه آخر، وقد ذكرتها بعد الخمسين والخمسمائة، ولأبى حازم حكاية طويلة مع سليمان بن عبد الملك ستأتى إن شاء الله.

* * *

الحكاية الخامسة والستون بعد المائة

المسيء يكفيك مساوئه

حدثنا حميد عن بكر بن عبد الله المزنى أن رجلاً كان يغشى بعض الملوك فيقف بحذاء الملك فيقول: أحسن إلى المحسن بإحسانه والمسيء سيكفيه مساوئه فحسده رجل على ذلك الكلام والمقام فسعى به إلى الملك، فقال: إن هذا الذى يقوم بحذائك ويقول ما يقول زعم أن الملك أبخر[1]، فقال له الملك: وكيف يصح ذلك عندى؟ قال: تدعو به إليك فإنه إذا دنى منك وضع يده على أنفه لئلا يشم ريح البخر! فقال له: انصرف حتى أنظر فخرج من عند الملك فدعى الرجل إلى منزله، فأطعمه طعاماً فيه ثوم، فخرج الرجل من عنده فجاء إلى الملك، فقام بحذائه فقال: أحسن إلى المحسن بإحسانه والمسيء يكفيه مساوئه. فقال له الملك: ادن منى، فدنى منه فوضع يده على فيه مخافة أن يشم الملك منه ريح الثوم، فقال الملك فى نفسه: ما أرى فلاناً إلا قد صدقنى، وكان الملك لا يكتب بخطه إلا جائزة أو صلة أو معروف فكتب له كتاباً بخطه إلى عامل من عماله: إذا أتاك صاحب كتابى هذا فاذبحه واسلخه وأحش جلده تبناً وابعث به إلىّ، فأخذ الكتاب، وخرج فلقيه الرجل الذى سعى به، فقال: أي هذا الكتاب. قال: كتب لى الملك بخطه إلى عامل من عماله. فقال: هبه لى أغنى به. قال: هو لك. قال: فأخذ الكتاب، ومضى إلى العامل، فقرأه العامل، فقال: تدرى ما فى كتابك؟ قال: خط الملك بالجائزة والصلة. قال: إن فى كتابك يأمرنى أن أذبحك وأسلخك وأحشو جلدك تبناً وأبعث بك إليه.

قال: إن الكتاب ليس هو لى، اللهَ اللهَ فيَّ، راجع الملك. قال: ليس لكتاب الملك مراجعة، فذبحه وسلخه وحشا جلده تبناً، وبعث به إلى الملك. قال: وجاء الرجل كما كان يجيء، فقال: أحسن إلى المحسن بإحسانه والمسيء سيكفيه مساوئه.

فقال له الملك: ما فعل الكتاب الذى كتبته لك بخطى؟ قال: لقينى فلان فاستوهبه منى، فوهبته له. قال له الملك: إنه ذكر أنك تزعم أنى أبخر. قال: ما فعلت! قال: فلِمَ وضعت يدك على أنفك حين دنوت منى. قال: لأنه أطعمنى طعاماً فيه ثوم، فكرهت أن يشم الملك منى ريح الثوم.

قال: صدقت، اذهب فقم ذلك المقام، وقل: ما كنت تقول!.

* * *

---

(١) البخر: النتن والرائحة الكريهة في الفم.

الحكاية السادسة والستون بعد المائة

رؤيا رجل صالح

حدثنا عبد الله الصنعانى قال: سمعت حوثرة بن محمد المقرئ يقول: رأيت يزيد بن هارون الواسطى فى المنام بعد موته بأربع ليال، فقلتُ: ما فعل الله بك؟ قال: تقبل منى الحسنات وتجاوز عنى السيئات ووهب لى التبعات.

قلت: وما كان بعد ذلك؟ قال: وهل يكون من الكريم إلا الكرم غفر لى ذنوبى وأدخلنى الجنة. قلت: بما نلت الذى نلت؟ قال: بمجالس الذكر وقولى الحق وصدقى فى الحديث وطول قيامى فى الصلاة وصبرى على الفقر.

فقلت: منكر ونكير حق؟ قال: أى والله، أى والله الذى لا إله إلا هو، لقد أقعدانى وسألانى: مَنْ ربك، وما دينك، ومَنْ نبيك؟ فجعلت أنفض لحيتى البيضاء من التراب، وقلت: مثلى يسأل[1]، أنا يزيد بن هارون الواسطى، كنت فى دار الدنيا ستين سنة أُعَلِّمُ الناس. قال أحدهما: صدق هو يزيد بن هارون، نَمْ نومة العروس فلا روعة عليك بعد اليوم.

- قال أحدهما: أكتبت عن جرير بن عثمان؟ قال: نعم، وكان ثقة فى الحديث. قال: ثقة ولكنه كان يبغض علياً أبغضه الله -، وقد روى لنا فى هذه الحكاية ما هو أعجب مما ذكرنا، حدثنا سعيد بن سافرى الواسطى: قال: كنت فى مجلس أحمد بن حنبل فقال له رجل: يا أبا عبد الله رأيت يزيد بن هارون فى النوم، فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لى ورحمنى وعاتبنى. قلت: غفر لك ورحمك وعاتبك؟ قال: نعم، قال لى: يا يزيد بن هارون كتبت عن جرير بن عثمان؟ قلت: برب العزة ما علمت إلا خيراً. قال: إنه كان يبغض أبا الحسن على بن أبى طالب.

* * *

الحكاية السابعة والستون بعد المائة

حكاية أبى تراب والنسر والظبى

حدثنا إبراهيم الخواص قال: سمعت حسناً أخا سنان يقول: سمعت أبا تراب النخشى يقول: كنت أنا وجماعة من أصحابى قد خرجنا إلى مكة، فمضيت على طريق ومضوا على طريق، وكان قد أصابنا جوع شديد، فلما افترقنا صاد أصحابى ظبياً، فذبحوه وشووه وجلسوا ليأكلوا إذا نسر قد انقض عليهم فاحتمل ربع الظبى. قالوا:

---

(١) هذا من مبالغات القصاص والمتصوفة.

فأقبلنا ننظر إليه ولا نقدر عليه.

قال أبو تراب: فلما اجتمعنا بمكة قال لهم: أى شىء كان خبركم،، فأخبرونى خبرهم، وما كان من قصة الظبى، فقلت لهم: إنى كنت سائراً، فإذا بنسر قد ألقى إلىّ ربع ظبى مشوى، وكان أكلنا فى وقت واحد.

* * *

الحكاية الثامنة والستون بعد المائة

حكاية مريد صالح عند وفاته

حدثنا أحمد بن منصور قال: سمعت أستاذى أبا يعقوب السوسى يقول: جاءنى مريد بمكة فقال لى: يا أستاذ أنا غداً الظهر أموت!، فخُذْ هذا النصف دينار فاحفر بربع دينار قبراً وبربع دينار حنوط، وادفنى فى هذا الذى علىَّ فإنى قد طهرته، فحملت هذا الكلام منه على أنه قد لحقه خفه من قلة الغذاء،، ثم بقيت أراعيه إلى الظهر إلى الغد، فلما صلى تَوَجَّهَ نحو الكعبة، واضطجع، فحركته بعد ساعة، فإذا هو ميت، فقلت: سبحان من له أسرار لا يعلمها إلا هو! من أبلاها إليه، أنا أستاذه، وليس لى من هذا الشيء، فجعلته على المغتسل، فلما وضأته فتح عينيه فى وجهى، فقلت: يا بنى أحياةً بعد الموت؟ فقال بلسان فصيح: أنا حى، وكل محب لله حى[1].

* * *

الحكاية التاسعة والستون بعد المائة

أُحْسِنُ خيرًا من الغناء

حدثنا الحسن بن حضر قال: أخبرنى رجل من أهل بغداد عن أبى هاشم المذكر قال: أردت البصرة فجئت إلى سفينة أكتريها، وفيها رجل ومعه جارية، فقال الرجل: ليس ها هنا موضع، فسألته الجارية أن يحملنى، فحملنى، فلما سرنا دعا الرجل بالغداء، فوضع فقالوا: أنزلوا ذلك المسكين ليتغدى، فأنزلت على أنى مسكين، فلما تغدينا قال: يا جارية، هاتى شرابك، فشرب، وأمرها أن تسقينى، فقلت: رحمك الله! إن للضيف حقاً. فتركنى فلما دب فيه النبيذ قال: يا جارية، هاتى العود، وهاتى ما عندك، فأخذت العود، وغنت:

فكنا كغصنى بانة ليس واحدٍ ... يزول على الحالات عن رأى واحد
تبدل لى خلا فخاللت غيره ... وخليته لما أراد تباعدى

---

(١) يبدو بوضوح الوضع على هذه الحكاية.

فلــو أن كفــى لــم تردنــى أبنتهـــا ولــم يصطحبهـا بعـد ذلـك سـاعدى
ألا قبَّـــــح الرحمـــن كل ممـــاذق يكون أخًا فى الخفض لا فى الشدائد

ثم التفتَ إلىَّ، فقال: تُحْسِـن مثـل هـذا؟ فقلـت: أُحْسِـنُ خيراً منـه، فقـرأت: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ. وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ. وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾[1].

فجعل يبكى فلما انتهيت إلى قولـه: ﴿وَإِذَا الصُّحُـفُ نُشِـرَتْ﴾[2] قـال: يـا جاريـة، اذهبى فأنت حرة لوجه الله تعالى، وألقى ما معه من الشراب فى الماء، وكسر العـود ثـم دنا إلىَّ، فأعتقنى، وقال: يا أخى أترى الله يقبل توبتى؟

فقلت: إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين. قـال: فآخيتـه بعـد ذلـك أربعـين سـنة حتى مات قبلى، فرأيته فى المنام، فقلت له: إلامَ صرت بعدى؟ فقال: إلى الجنة. فقلـت: يا أخى بِمَ صرت إلى الجنة؟ قال: بقراءتك علىَّ ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾.

* * *

الحكاية السبعون بعد المائة
حكاية فتاة عابدة

حدثنا عفان بن مسلم قال: قال لى حماد بن سلمة: ألحَّ علينا المطر سنةً مـن السـنين، وفى جوارى امرأة متعبدة لها بنات أيتام، فوكف السقف عليهم، فسمعها وهـى تقـول: يا رفيق ارفق بى، فسكن المطر، فأخذت صرة فيها عشرة دنانير، وقرعت بابها، فقالت: اللهم اجعله حماد بن سلمة، فقال: أنا حماد، سمعتك وقد ناديت بالمطر، فقلت: يا رفيق ارفق بى، فما بلغ من رفقه بك؟ قالت: سَكَّنَ المطـر، وأَدْفَـأَ الصبيـان، وجفَّـف البيـت، فأخرجت الدنانير، وقلت: انتفعى بهذه، فإذا صبية عليهـا مدرعـة مـن صـوف تسـتبين خروقها قد خرجت علىَّ، وقالت: ألا تسكت يا حماد تعترض بيننا وبين ربنا، ثم قالت: يا أماه، قد علمنا لما شكونا مولانا إنه سيبعث إلينا بالدنيا ليطردنا عن بابه، ثـم الصقـت خدها على التراب، وقالت: أما أنا وعزتك لا زايلت بابك، وإن طردتنى، ثم قـالت: يـا حماد، رُدَّ -عافاك الله - دنانيرك إلى الموضع الذى أخرجتها منه، فإنا رفعنا حوائجنـا إلى مَنْ لا يخشى العالمين.

* * *

---

(١) سورة التكوير: الآيات رقم: ١-٣.

(٢) سورة التكوير، الآية رقم: ١٠.

الحكاية الحادية والسبعون بعد المائة

ابن أدهم مع رفقة من أصحابه

حدثنا أبو إبراهيم اليمانى قال: خرجنا نسير على شاطئ البحر مع إبراهيم بن أدهم فأتينا جبلاً يقال له كفرفير، وأمسينا على الحسن فمررنا بغيضة فيها حطب يابس وشجر كثير، فقلنا: يا أبا إسحاق، لو بتنا الليلة بشاطئ البحر، وأوقدنا من هذا الحطب.

قال: افعلوا فوجهنا رجلاً إلى الحصن، فأتى بنار، وجمعنا الحطب، وأوقدنا، وأخرجنا خبزاً كان معنا لنأكله، فقال بعض أصحابنا: ما أحسن هذا الجمر لو كان لنا لحم شويناه عليه، فقال إبراهيم بن أدهم: إن الله لقادر أن يطعمكم.

قال: فإذا بأسد يطرد أيلاً[1]، فلما دنا منا وقع فاندق عنقه، فقام إليه إبراهيم، وقال: بعث إلينا، فذبحناه وبتنا نشوى من لحمه، والأسد واقف ينظر إلينا.

* * *

الحكاية الثانية والسبعون بعد المائة

دعاء وابتهال ومناجاة

حدثنا محمد بن محمود السمرقندى قال: سمعت يحيى بن معاذ الرازى يقول: إلهى أدعوك بلسان نعمتك، فأجبنى بلسان كرمك، يا من ربَّانى فى الطريق بنعمه، وأشار لى فى الورود إلى كرمه، معرفتى بك دليلى عليك، وحبى لك شفيعى إليك، يا من أعطانا خير ما فى خزائنه وهو الإيمان به قبل السؤال لا تمنعنا عفوك مع السؤال، إلهى إن إبليس لك عدو وهو لنا عدو وإنك لا تغيظه بشيء هو أنكى له من عفوك، فاعف عنا.

قال: وسمعته يقول: لولا أن العفو من صفته ما عصى أهل معرفته، إذا كان توحيد ساعة واحدة هدم كفر خمسين سنة، فتوحيد خمسين سنة ما يصنع بالذنوب؟! إنى لأرجو أن يكون توحيد لم يعجز عن هدم ما قبله من كفرٍ لا يعجز عن محو ما بعده من ذنب.

وسمعته يقول: يا من يغضب على من لا يسأله لا تمنع من قد سألك، إلهى لا تنس لى دلالتى عليك، وإشارتى بالربوبية إليك، وانظر إلى مقامى فى فنائك، رفعت إليك يداً بالذنوب مغلولة، وعيناً بالرجاء مكحولة، فاقبلنى لأنك مَلِكٌ لطيف، وارحمنى لأنى عبد ضعيف، هذا سرورى بك خائفاً، فكيف سرورى بك آمناً؟ هذا سرورى بك فى المحابس، فكيف سرورى بك فى تلك المجالس؟ هذا سرورى بك فى قراطق الخدمة،

(١) غزالاً.

فكيف سرورى بك فى علائل النعمة؟ هذا سرورى بك فى دار الفناء، فكيف يكون سرورى بك فى دار البقاء؟

يكاد رجائى لك مع الذنوب يغلب رجائى لك مع الأعمال ؛ لأنى أجدنى أعتمد فى الأعمال على الإخلاص، فكيف لا أحذرها، وأنا بالآفات معروف، وأجدنى أعتمد فى الذنوب على عفوك، فكيف لا تغفرها، وأنت بالجود موصوف، لا تخرجنى من الدنيا حتى تشوقنى إليك، إلهى ليس لى لسان ناطق ولا عمل صادق أدل به عليك، وأتقرب به إليك، أخرست المعاصى لسانى، وطمست عيوب بيانى، فما لى وسيلة من عملى، ولا شفيع من أملى إلا ما أرجع إليه من إحسانك إلىّ، وجميل بلائك لدى، فأتوسل بلسان نعمك إلى مأمول كرمك، إلهى أجبنى إنك إن أجبتنى غفرت لى سيئاتى، وإن لم تجبنى لم تقبل منى حسناتى، يا من ألزمنى طاعة لا حاجة به إليها لا تمنعنى مغفرة لا غنى بى عنها، أنت تحب أن أحبك مع الغنى منك عنى، وأنت إله فكيف لا أحب أن أحبك مع الحاجة منى إليك، وأنا عبد رميت إليك بنفس لم يتولَ معها غيرك، إلهى كيف لا أرجوك تغفر لى ذنبا رجاؤك ألقانى فيه، أرجو الذى أحيا اليوم بنعمة آمالنا أن يُصلح غداً بكرمه أحوالنا، والذى أظهر اليوم منا الحسنات وستر علينا السيات أن تقبل غداً منا الحسنات وتغفر لنا السّيئات، فمن شأن المحسن إتمام إحسانه، ومِنْ سَتْر الذنب اتباعه بغفرانه، أنا أعلم أن من حبسته الأمال عليك أوصلته القربة إليك، ومن أوصلته القربة إليك نال مأموله لديك، وسيلتى إليك نعمتك علىَّ، وشفيعى لديك إحسانك إلىّ، كيف أفرح وقد عصيتك، وكيف أحزن وقد عرفتك، وكيف أدعوك وأنا عاص، وكيف لا أدعوك وأنت كريم، أحب نفسى وقد عصيتك، وكيف لا أحبها وقد عَرَفَتْك؟ كيف أمتنع بالذنب من الدعاء، ولا أراك تمنع المذنب من العطاء، إن عفوت فخير راحم، وإن عذّبت فغير ظالم، إلهى ضيَّعت بالذنب نفسى، فارددها بالعفو علىَّ، إلهى أسألك تذللاً، فأعطنى تفضلاً، هذا طيب السؤال، فكيف بطيب النوال؟ إلهى أخافك لأنى عبد خاطئ، وأرجوك لأنك إله كريم، فاقبلنى لأنك لطيف، وارحمنى لأنى ضعيف، إلهى ارحمنى لقدرتك علىَّ -أو لحاجتى إليك-، إلهى! إلهى! حاجتى! حاجتى! سبحانك! سبحانك! ما أقدرك عليها! وما أحوجنى إليها! ذنوب مزدحمة على عاقبة مبهمة، إلهى سلامة إن لم يكن كرامة، كيف أعتمد فيك على المعذرة؟ وإنما خلاصى لديك بالمغفرة.

* * *

الحكاية الثالثة والسبعون بعد المائة

حكاية سلمان الفارسي

عن عبد الله بن عباس قال: حدثني سلمان الفارسي قال: كنت رجلاً فارسياً من أهل أصبهان من قريةٍ لها حى، وكان أبى دهقان قريته، وكنت أحب خلق الله إليه فلم يزل لى حبه إياى حتى حبسنى فى بيته كما تحبس الجواد الجارية، واجتهدت فى المجوسية حتى كنت قطن النار الذى يوقدها لا أتركها تخبو ساعةً، وكانت لأبى ضيعة عظيمة، فشغل فى بنيان له يوماً، فقال لى: يا بنى قد شغلت هذا اليوم عن ضيعتى، فاذهب فاطلعها وأمرنى فيها ببعض ما تريد، فخرجت أريد ضيعته، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى، فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون، وكنت لا أدرى ما أمر الناس لحبس أبى إياى، فلما مررت بهم دخلت أنظر ما يصنعون، فلما رأيتهم أعجبتنى صلاتهم ،ورغبت فى أمرهم، وقلت: هذا والله خير من الذى نحن عليه، فوالله ما تركتهم حتى غربت الشمس، وتركت ضيعة أبى، فلم آتها، فقلت لهم: أين أَصْلُ هذا الدين؟ قالوا: بالشام، ثم رجعت إلى أبى، وقد بعث فى طلبى، وشغلته عن عمله كله، فلما جئته قال: أى بنى، أين كنت؟ فقلت: مررت بناسٍ يصلون، فأعجبنى ما رأيت من دينهم، فما زلت عندهم حتى غربت الشمس.

قال: أى بنى، ليس فى ذلك خير، دينك ودين آبائك خير منه. قلت: كلا والله إنه لخير من ديننا.

قال: فخافنى، فجعل فى رجلى قيداً، ثم حبسنى فى بيته. قال: وبعثت إلى النصارى، فقلت لهم: إذا قدم عليكم ركب من الشام تجار من النصارى، فأخبرونى بهم، فقدم عليهم ركب من الشام، فأخبرونى بهم، فقلت: إذا قضوا حوائجهم، وأرادوا الرجعة إلى بلادهم، فآذنونى بهم، فلما أرادوا الرجعة ألقيت الحديد من رجلى، ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام، فقلت: مَنْ أفضل أهل هذا الدين؟ قالوا: الأسقف فى الكنيسة، فجئته فقلت: إنى قد رغبت فى هذا الدين، وأحببت أن أكون معك أخدمك فى كنيستك، أخدمك وأتعلم منك.

قال: فادخل، فدخلت معه، فكان رجل سوء، يأمرهم بالصدقة، فإذا جمعوا إليه منها شيئاً اكتنزه لنفسه، ولم يعطه المساكين حتى جمع سبع قلال من ذهب، وأبغضته بغضاً شديداً لما رأيته يصنع، ثم مات، فاجتمعت إليه النصارى ليدفنوه، فأخبرتهم بفعله، وأريتهم موضع كنزه، فلما استخرجوا القلال قالوا: والله لا ندفنه أبداً، فصلبوه، ثم رجموه بالحجارة، ثم جاءوا برجل آخر، فجعلوه مكانه، فما رأيت رجلاً أرى أنه أزهد

منه فى الدنيا ولا أرغب فى الآخرة ولا أدأب منه ليلاً ولا نهاراً، فأحببته، وأقمت معه، فلما حضرته الوفاة قلت له: يا فلان إلى مَنْ توصى بى؟

قال: أى بنى والله ما أعلم أحداً اليوم على ما كنت عليه إلا رجلاً بالموصل وهو فلان، فالحق به، فلحقت به، فوجدته خير رجل، فلما حضرته الوفاة قلت: يا فلان ما تأمرنى؟ قال: يا بنى والله ما أعلم رجلاً على ما كنت عليه إلا رجلاً بنصيبين وهو فلان، فالحق به، فلحقت به، فأقمت معه خير رجل فلما حُضِرَ قلت: ما تأمرنى.

قال: والله ما أعلم أحداً بقى على أمرنا إلا رجلاً بعمورية، فلحقت به، فأقمت عند رجل على هدى أصحابه، واكتسبت حتى كانت لى بقرات وغنيمة، ثم نزل به أمر الله عز وجل، فقلت: ما تأمرنى؟

قال: أى بنى والله ما أعلمه أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس، ولكنه قد أظلك زمان نبى مبعوث بدين إبراهيم، يخرج بأرض العرب مهاجراً إلى أرض بين حَرَّتَيْن، به علامات لا تخفى، يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد، فافعل.

فلما مات مكثت بعمورية ما شاء الله، ثم مر بى نفر من كلب تجاراً، فقلت لهم: تحملونى إلى أرض العرب، وأعطيكم بقراتى هذه وغنيمتى؟

قالوا: نعم، فأعطيتهموها وحملونى حتى قدموا بى وادى القرى ظلمونى، فباعونى من رجل من يهود، فكنت عنده، ورأيت النخل، ورجوت أن يكون البلد الذى وصف لى صاحبى، فبينا أنا عنه قدم عليه ابن عم له من المدينة من بنى قريظة، فابتاعنى منه، فاحتملنى إلى المدينة، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبى، فأقمت بها، وبعث الله رسول الله ﷺ، فأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق، ثم هاجر إلى المدينة، فوالله إنى لفى رأس عذق أعمل فيه بعض العمل، وسيدى جالس إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه، فقال: فلان، قاتل الله بنى قيلة، والله إنهم الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعم أنه نبى، فلما سمعتها أخذتنى رعدة حتى ظننت أنى ساقط على سيدى، ونزلت عن النخلة، فجعلت أقول لابن عمه ذلك: ماذا تقول؟ ماذا تقول؟ فغضب سيدى، فلكمنى لكمة شديدة، ثم قال: ما لك ولهذا؟ أقبل على عملك.

قال: قلت: لا شىء، إنما أردت أستبثه عما قال: وكان عندى شىء قد جمعته، فلما أمسيت أخذته، ثم ذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو بقباء، فدخلت عليه، فقلت له: إنه

قد بلغني أنك رجل صالح، ومعك أصحاب لك غرباء ذو حاجة، وهذا شيء عندي صدقة، فرأيتكم أحق به من غيركم، فقَرَّبْتُه إليه، فقال لأصحابه: كلوا، وأمسك يده، فلم يأكل، فقلت في نفسي: هذه واحدة، ثم انصرفت، فجمعت شيئاً، ثم جئته به، فقلت: إني رأيتك لا تأكل الصدقة، وهذه هدية أكرمتك بها، فأكل رسول الله ﷺ، وأمر أصحابه فأكلوا معه، فقلت في نفسي: هاتان اثنتان، ثم جئت رسول الله ﷺ وهو ببقيع الغرقد وقد تبع جنازة وعليه شملتان له وهو جالس في أصحابه، فسَلَّمْتُ عليه، ثم استندت أنظر إلى ظهره، هل أرى الخاتم الذي وَصَفَ لي صاحبي، فلما رآني رسول الله ﷺ استدبرته، فعرف أني أستثبت في شيء وُصِفَ لي، فألقى رداءه عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم، فعرفته، فانكببت عليه أُقَبِّلُه، وأبكي، فقال لي رسول الله ﷺ: «تَحَوَّلْ» فتحولت، فقصصت عليه حديثي، كما حدثتك يابن عباس، فأعجب رسول الله ﷺ أن يسمع ذلك أصحابه، ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله ﷺ بدر وأحد.

قال: ثم قال لي رسول الله ﷺ: «كَاتِبْ يا سلمان» فكاتبت صاحبي على ثلاثمائة نخلة أحييها له، وأربعين أوقية. فقال رسول الله: «أعينوا أخاكم»، فأعانوني بالنخل الرجل بثلاثين وَدِيَّة، والرجل بعشرين، والرجل بخمس عشرة، والرجل بعشرة، حتى اجتمعت لي ثلاثمائة وَدِيَّة، فقال لي رسول الله ﷺ: «اذهب يا سلمان، ففقر لها، فإذا فرغت، أنا أكون أضعها بيدي» ففقرت لها حتى إذا فرغت جئته، فأخبرته، فخرج معي إليها، فجعلنا نقرب إليه الودي، ويضعه رسول الله ﷺ بيده، فوالذي نفس سلمان بيده ما ماتت منها ودية، فأديت النخل، وبقي عليَّ المال، فأُتِيَ رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن، فقال: «ما فعل الفارسي المكاتب؟» فدعيت له، فقال: «خُذْ هذه، فأَدِّ بها ما عليك». قلت: وأين تقع هذه مما عليَّ؟ قال: «خُذْهَا، فإن الله عز وجل سيؤدي بها عنك»، فأخذتها، فوزنت لهم منها - والذي نفس سلمان بيده - أربعين أوقية، فأوفيتهم حقهم، وعُتِقْتُ، فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق، ثم لم يفتني معه مشهد(١).

* * *

الحكاية الرابعة والسبعون بعد المائة

حكاية لإبراهيم الخواص مع نصراني دخل في الإسلام

حدثنا حامد الأسود صاحب إبراهيم الخواص قال: كان إبراهيم إذا أراد سفراً لم

---

(١) قصة إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه أوردها الإمام أحمد في مسنده، في مسند الأنصار رضي الله عنهم، حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه.

يحدث به أحداً، ولم يذكره وإنما يأخذ رَكْوَتَه ويمشى، فبينا نحن معه فى مسجده تناول ركوته ومشى، فاتبعته، فلم يكلمنى حتى وافينا الكوفة، فأقام بها يومه وليلته، ثم خرج نحو القادسية، فلما وافاها قال لى: يا حامد إلى أين؟ قلت: يا سيدى خرجت بخروجك.

قال: أنا أريد مكة إن شاء الله. قلت: وأنا إن شاء الله أريد مكة، فمشينا يومنا وليلتنا، فلما كان بعد أيام إذا شاب قد انضم إلينا فى بعض الطريق، فمشى معى يوما وليلة لا يسجد لله عز وجل سجدة، فعرَّفْتُ إبراهيم، وقلت: إن هذا الغلام لا يصلى، فجلس وقال له: يا غلام، ما لك لا تصلى، والصلاة أوجب عليك من الحج؟ فقال: يا شيخ ما علىَّ من صلاة! قال: ألست برجل مسلم؟ فقال: لا. قال: فأى شىء أنت؟ قال: نصرانى، ولكن إشارتى فى النصرانية إلى التوكل، وادَّعت نفسى أنها قد أحكمت حال التوكل، فلم أُصَدِّقْها فيما ادعت حتى أخرجتها إلى هذه الفقلاة التى ليس فيها موجود غير المعبود، أثير ساكنى، وامتحن خاطرى، فقام إبراهيم، ومشى وقال: دَعْه يكون معك،، فلم يزل سائرًا إلى أن وافينا بطن مُر، فقام إبراهيم، ونزع خلقانه، وطَهَّرَها بالماء، ثم جلس وقال له: ما اسمك؟ قال: عبد المسيح.

فقال: يا عبد المسيح، هذا دهليز مكة، وقد حَرَّم الله تعالى على أمثالك الدخول إليه وقرأ: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـذَا﴾[1] والذى أردت أن تستكشف من نفسك، فقد بان لك، فاحذر أن تدخل مكة، فإن رأيناك بمكة أنكرنا عليك.

قال حامد: فتركناه، ودخلنا مكة، وخرجنا إلى الموقف، فبينا نحن جلوس بعرفات إذا هو قد أقبل وعليه ثوبان، وهو مُحْرِم يتصفح الوجوه حتى وقف علينا، فأكب على إبراهيم يُقَبِّل رأسه، فقال: ما وراءك يا عبد المسيح؟

فقال: هيهات أنا اليوم عبد مَنْ المسيح عبده. فقال له: إبراهيم حدثنى بحديثك؟ فقال: جلست مكانى حتى أقبلت قافلة الحاج، فقمت، وتنكرت فى زى المسلمين كأنى مُحْرِم، فساعة وقعت عينى على الكعبة اضمحل عندى كل دين سوى الإسلام، فأسلمت، واغتسلت، وأحرمت، وها أنا أطلبك يومى، فالتفت إلينا إبراهيم، وقال: يا حامد، انظر إلى بركة الصدق فى النصرانية، كيف هداه إلى الإسلام، وصحبنا حتى مات بين الفقراء.

* * *

---

(١) سورة التوبة، الآية رقم: ٢٨.

الحكاية الخامسة والسبعون بعد المائة

سري وكوز الماء البارد

حدثنا الخلدى قال: سمعت جنيداً يقول: دخلت على سرى، وهو جالس يبكى وبين يديه كوز مكسور، فجلست حتى سكت، وقلت له: ما يبكيك؟

فقال: كنت صائماً، فجاءت ابنتى بكوز فيه ماء، فعلّقته هناك، فقالت: يبرد لك لتفطر عليه، فحملتنى عينى، فرأيت كأن جارية قد دخلت علىَّ من هذا الباب عليها قميص فضة، وفى رجليها نعلان لم أر قط قدمًا فى نعل أحسن منها! قلت لها: لمن أنت؟ قالت: لمن لا يبرد الماء فى الكيزان الخضر،، وضربت بكمها الكوز، فرمت به، وهو هذا، ثم انتبهت.

قال حينئذ: فمكثت اختلف إليه مدة طويلة أرى الكوز بين يديه مكسوراً، قد كثر عليه التراب وهو لا يرفعه.

* * *

الحكاية السادسة والسبعون بعد المائة

بكاء فتح الموصلي

حدثنا إسماعيل بن هشام عن بعض أصحاب فتح الموصلى قال: دخلت عليه يوماً، وقد مد كفيه يبكى حتى رأيت الدموع من بين أصابعه تنحدر، فدنوت منه لأنظر إليه، فإذا دموعه قد خالطها صفرة، فقلت: بالله يا فتح، بكيت الدم؟! فقال: لولا أنك حلّفتنى بالله عز وجل ما أخبرتك، بكيت دماً.

فقلت: على ماذا بكيت الدموع؟ وعلى ماذا بكيت الدم؟

فقال: بكيت الدموع على تخلفى عن واجب حق الله، وبكيت الدم على الدموع خوفاً أن يكون ما صحت لى الدموع؟ قال الرجل: فرأيت فتحاً بعد موته فى المنام، فقلت: ما صنع الله بك؟ فقال: غفر لى.

فقلت: ما صنع فى دموعك؟ فقال: قربنى ربى عز وجل، وقال لى: يا فتح الدمع على ماذا؟ قلت: يا رب على تخلفى عن واجب حقك. قال: فالدم لم بكيت؟ قلت: يا رب على دموعى خوفاً أن لا تصح لى.

قال لى: يا فتح ما أردت بهذا كله، وعزتى لقد صعد إلى حافظاك أربعين سنة بصحيفتك ما فيها خطيئة.

* * *

الحكاية السابعة والسبعون بعد المائة

بكاء أحد العُبَّاد

حدثنا ابن مسروق قال: سمعت سرياً يقول: بينا نحن نسير فى بلاد الشام ملنا عن الطريق ناحية جبل عليه عابد، فقال رجل من القوم: إنا قد ملنا عن الطريق، وهاهنا عابد، فميلوا بنا إليه نسأله لعل الله عز وجل أن يُوَفِّقَه أن يكلمنا، فملنا إليه، فوجدناه يبكى.

قال سرى: فقلت له: ما أبكى العابد؟ قال: ما لى لا أبكى وقد توعرت الطرق، وقَلَّ السالكون فيها، وهُجِرَتْ الأعمال، وقَلَّ الراغبون فيها، وقلَّ الحق، ودرس هذا الأمر، فلا أراه إلا فى لسان كل بطال ينطق بالحكمة ويفارق الأعمال، قد افترش الرخصة وتمهد التأويل، واعتل بذلل العاصين، ثم صاح صيحة، وقال: كيف سكنت قلوبهم إلى روح الدنيا، فانقطعت عن روح ملكوت السماء، ثم ولى صارخاً، وهو يقول: وا غَمَّاه من فتنة العلماء! وا كرباه من حَيْرَة الأدلاء، وخال حوله، ثم قال: أين الأبرار من العلماء، أين الأخيار من الزهاد، ثم بكى وقال: شغلهم والله ذكر طول الوقوف وهَمُّ الجواب عن ذكر الجنة والنار والثواب، ثم قال: أنا استغفر الله من شهوة الكلام، تنحوا عنى، فخليناه يبكى، وقد ملئنا منه غماً وهمًّا.

* * *

الحكاية الثامنة والسبعون بعد المائة

حكاية الشبلي مع راهب

حدثنا على بن أحمد البغدادى قال: سمعت أبا بكر الشبلى يقول: وردت إلى الشام من مكة فرأيت راهباً فى صومعة، فقلت: يا راهب، لماذا حبست نفسك فى هذه الصومعة؟ قال: ليتوفر عملى. فقلت: يا راهب ولمن تعمل؟ قال: لعيسى بن مريم!

قلت: بأى شيء استحق عيسى هذه العبادة منك دون الله؟ قال: لأنه مكث أربعين يوماً لم يطعم ولم يشرب؟ قلت له: ومن يعمل ذلك يستحق العبادة؟ فقال: نعم.

قال الشبلى: فقلت للراهب: فاستوفها منى، فمكثت تحت صومعته أربعين يوماً لا آكل ولا أشرب[1]، فقال لى: ما دينك؟ فقلت: محمدى، فنزل وأسلم على يدى وحملته إلى دمشق، وقلت: اجمعوا له شيئاً ؛ فإنه قريب العهد بالإسلام، وانصرفت وتركته مع الصوفية.

* * *

(١) هذا كلام يتناقض مع العقل، ولا يصح.

الحكاية التاسعة والسبعون بعد المائة

بين حاتم الأصم وراهب دخل في الإسلام

عن حاتم الأصم قال: مررت براهب فقلت له: يا راهب بحق معبودك ألا سألت معبودك أن يظهر لنا آية؟ فقال لى: وأى آية تريد؟ فقلت: نخلة عليها رطب. فأدخل الراهب رأسه إلى صومعته، ثم أخرجه، فقال: التفت وراءك.

قال: فإذا نخلة عليها رطب، ثم قال: يا حنيفى سألتك بمعبودك ألا سألت معبودك أن يظهر لنا آية، فقلت: وأى شيء تريد، قال: زرع حول النخلة. فخررت ساجداً، وقلت في سجودى: اللهم إن كنت تعلم أنى إنما أدعوك غيرةً لدينك، فأظهر لنا هذه الآية، فرفعت رأسى، فإذا بزرع حول النخلة، فقلت له: يا راهب، بحق معبودك بِمَ دعوت؟

قال: يا هذا إنه وقع فى قلبى الإسلام قبل أن تأتينى، فرددت رأسى إلى صومعتى، وخررت ساجداً إلى قبلتكم، وقلت: اللهم إن كان ما ألقيت فى قلبى حقاً، فأظهر لى هذه الآية.

قال حاتم: أرى الشيئين فى موضع واحد، فأسلم الراهب.

* * *

الحكاية الثمانون بعد المائة

حكاية للحسن البصري مع شاب في مغارة

قال الحسن بن أبى الحسن البصرى: كنت فى مقابر البصرة وقد دفنا رجلاً من الزهاد، فأصحرت، فإذا بمغارة، فقلت: لعلها لبعض الفساق فاطلعت فيها، وإذا بإنسان حَسَن الوجه عليه مدرعة من شعر قائم يصلى فسلمت وجلست فركع وسلم وأقبل علىَّ، وقال: عليكم السلام ورحمة الله وبركاته، فقلت: حبيبى من أى بلدٍ أنت؟ قال: من بلاد الشام. قلت: فَفِيمَ قصدت إلى هاهنا؟ قال: سمعت بالبصرة ومن فيها من الزاهدين والعابدين، فقصدت لأقتبس من علمهم وزهدهم. قال الحسن: فقلت: من أين طعامك وشرابك؟ قال: من أوراق الشجر وماء الغدران. قلت: حبيبى آتيك بقرصين من طعام تستعين بها على عبادة الله. قال: إليك عنى، فمالى عهد بالطعام منذ سنين. قلت: أحب أن تتحرم بطعامنا. قال: إن كنت تحب، فأتنى بقرصين من الشعير وملح جريش.

قال الحسن: فولَّيت راجعاً إلى منزلى، فاختبزت قرصين، وأخذت عليهما مِلْحًا جريشاً، وإذا بسبع رابض بباب المغارة، فقلت فى نفسى: إنا لله، لا يكون السبع قد

افترس الشاب، فوقفت ناحية، ونظرت إليه، فإذا هو على الهيئة التى تركته عليها قائم يصلى، فصحت به: يا فتى أصاب عقلك أم شغفك حب الله، فأنت غافل؟ فانفتل من صلاته، وهو يقول: ما الذى ترى؟ قلت: سبعاً رابضاً بباب المغارة. فقال: لو كنت تخاف ممن خلق السبع لكان أولى بك، ثم أقبل على السبع، فقال: أيها السبع إنما أنت كلب من كلاب الله، فإن كان قد أذن لك فى شىء، فما أقدر أن أمنعك رزقك، وإن كان الله تعالى لم يأذن لك فى شىء فما لى ولك، حجزت بينى وبين زوارى؟ فلما قال هذا رأيت السبع يزأر ويضرب بذنبه، ثم ولى هارباً كأن الأسِنّة تطلبه.

فأتيت الشاب، وقلت: حبيبى قد أتيتك بالذى طلبت، فأخذ القرصين فأبصرهما ملياً، ثم بكى بكاءاً شديداً، ثم وضعهما من يده، ورمى بطرفه نحو السماء، ونادى: أسألك بمعاقد العز من عرشك إن كان لى عندك خير فاقبضنى إليك، فما استتم الكلمة حتى فارق الدنيا، فوليت، فجمعت أصحابنا من الزهاد والصالحين لنأخذ فى جهازه، فلما رجعنا إلى المغارة لم نر فيها أحداً، وإذا هاتف يهتف بى -أسمع الصوت ولا أرى الشخص-: يا أبا سعيد، رُدَّ الناس ؛ فإن الشاب قد حُمِلَ.

* * *

الحكاية الحادية والثمانون بعد المائة
السيدة عائشة عند موتها

حدثنا عبد الله بن أبى مليكة أنه حدثه ذكوان حاجب عائشة أنه جاء عبد الله ابن عباس يستأذن على عائشة قال: فجئت وعند رأسها ابن أخيها عبد الله بن عبد الرحمن، فقلت: هذا ابن عباس يستأذن، فأكب عليها ابن أخيها، فقال: هذا عبد الله بن عباس. فقالت، وهى تموت: دعنى من ابن عباس، فقال: يا أمتاه، إن ابن عباس من صالحى بنيك، يُسَلِّم عليك، ويُوَدِّعُك. فقالت: ائذن له إن شئت.

فأدخلته، فلما جلس قال: أبشرى! فقالت: أيهاً، فقال: ما بينك وبين أن تلقى محمداً ﷺ والأحبة إلا أن تخرج الروح من الجسد، كنتِ أحب نساء رسول الله ﷺ إلى رسول الله، ولم يكن رسول الله ﷺ يحب إلا طيباً، وسقطت قلادتك ليلة الأبواء، فأصبح رسول الله ﷺ حتى تصبح فى المنزل، وأصبح الناس وليس معهم ماء، فأنزل الله عز وجل أن: ﴿تَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾[1]، فكان ذلك فى سببك، وأنزل الله براءتك من فوق سبع سماوات، جاء بذلك الروح الأمين، فأصبح ليس مسجد من مساجد الله يُذْكَرُ فيه الله إلا يتلى فيه آناء الليل و آناء النهار.

---

(١) جزء من الآية، ٤٣ من سورة النساء، وتبدأ الجملة بحرف الفاء.

فقالت: دعنى منك يابن عباس، والذى نفسى بيده لوددت أنى كنت نسياً منسياً.

* * *

الحكاية الثانية والثمانون بعد المائة

الأمير فى قائمة الفقراء

حدثنا مالك بن دينار قال: لما أتى عمر رضى الله عنه الشام طاف بكورها[١] فنزل بحضرة حمص، فأمر أن يكتبوا له فقراءهم فرفع إليه الكتاب فإذا فيه سعيد بن عامر بن خذيمة أميرها. فقال: مَنْ سعيد بن عامر؟ فقالوا: أميرنا.

قال: أميركم؟ قالوا: نعم، فتعجب عمر، ثم قال: كيف يكون أميركم فقيراً؟ أين عطاؤه؟ أين رزقه؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين، لا يمسك شيئاً، فبكى عمر ثم عمد إلى ألف دينار فصرها ثم بعث بها إليه، وقال: أقرؤه منى السلام، وقولوا له: بعث بهذه إليك أمير المؤمنين تستعين بها على حاجتك.

قال: فجاء بها الرسول إليه، فنظر فإذا هى دنانير، فجعل يسترجع، فقالت له امرأته: ما شأنك يا فلان؟ أمات أمير المؤمنين؟ قال: بل أعظم من ذلك! قالت: فظهرا به، قال: بل أعظم من ذلك؟ قالت: فأمر من أمر الساعة؟ قال: بل أعظم من ذلك. قالت: فما شأنك؟ قال: الدنيا آتتنى، الفتنة دخلت علىَّ.

قالت: فاصنع بها ما شئت. قال: عندك عَوْن؟ قالت: نعم، فأخذ دريعة[٢] له فصر الدنانير فيها صرراً ثم جعلها فى مخلاة، ثم اعترض جيشاً من جيوش المسلمين، فأمضاها كلها، فقالت له امرأته: رحمك الله لو كنت حبست منها شيئاً نستعين به! فقال لها: إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى أهل الأرض لملأت الأرض ريح مسك»[٣] وإنى والله ما كنت لأختارك عليهن فسكتت.

---

(١) جمع كَوْرة، وهى المدينة.

(٢) تضغير درع، ويعنى به قطعة صغيرة من القماش.

(٣) أخرج أحمد والبخاري عن أنس. أن رسول الله ﷺ قال: «غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملأت ما بينهما ريحا، ولنصيفها على رأسها - يعني الخمار - خير من الدنيا وما فيها». وأخرج الطبرانى فى الأوسط بإسناد جيد عن أنس ابن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحاً، ولأضاءت ما بينهما، ولتاجها على رأسها خير من الدنيا وما فيها». وأخرج أحمد في الزهد عن عمر بن الخطاب. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو اطلعت امرأة من نساء أهل-

الحكاية الثالثة والثمانون بعد المائة

من أقوال يحيى بن معاذ

حدثنا محمد بن محمود السمرقندى قال: سمعت يحيى بن معاذ الرازى يقول: الغربة ديار الزاهدين، ولا يرتفع للمؤمن إلا حسنة أو سيئة، فأما الحسنة فهى حسنة، وأما السيئة فمعها حسنات ؛ لأنه لا يأتى سيئة إلا وهو يخاف أن يؤخذ بها والخوف حسنة، ويرجو أن يعفى عنها، والرجاء حسنة، فإذا ذنب المؤمن ثعلب بين أسدين.

قال: وسمعته يقول فى صفة الأولياء: هم من الحكمة فى مجالس قدس وأطايب غرس وفوائد أنس.

قال: وسمعته يقول: أبيت عليَّ أية، فكأنى لم أقرأها، ولا سمعت بها قوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[1] أفتراه أمر فلم يفعل أو فعل فلم يجبه، فكيف يكون حال عبد قد وقع بين كرم الله تعالى وشفاعة الرسول.

وسمعته يقول: وسبيل أرنا عارفاً، قال: فأين أنتم فأريكم؟

وقال: عجباً لقوم عموا عن العرفاء يطلبون الخلفاء.

وسمعته يقول: المحنة تأتيهم بحقائق المحبة.

وسمعته يقول: من لم تزل نعمته عنه فى حياته زال عن نعمته بوفاته.

وقال: ترك الدنيا مهر الآخرة ومن قوة اليقين ترك ما يرى لما لا يرى، أيها المريدون، إن اضطررتم إلى طلب الدنيا فاطلبوها ولا تحبوها، اشغلوا بها أبدانكم وعلقوا بغيرها قلوبكم، فإنها دار ممر، وليست بدار مقر، الزاد منها والمقيل فى غيرها.

وقال: فى الموت ما هو أشد من الموت، خوف الفوت أشد من هول الموت، ولست أبكى على نفسى إن ماتت، إنما أبكى على حاجتى إن فاتت. يا بن آدم ما لك تأسف على مفقود لا يرده عليك الفوت، وتفرح بموجود لا يتركه فى يدك الموت.

وسمعته يقول: التوحيد كله فى كلمة واحدة، ما تصور فى الأوهام فهو بخلافه.

=الجنة إلى الأرض لملأت الأرض ريح مسك». وأخرج ابن أبي الدنيا في صفة الجنة عن ابن عباس. لو أن امرأة من نساء أهل الجنة بصقت في سبعة أبحر كانت تلك الأبحر أحلى من العسل. وأخرج ابن أبي شيبة وهناد بن السري عن كعب قال: لو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت كفها لأضاء ما بين السماء والأرض.

(١) سورة محمد، الآية رقم: ١٩.

وسمعته يقول: لولا أن العفو من صفته ما عصاه أهل معرفته، هو ألقاهم في الذنب يوم سَمَّى نفسه العفو الغفور، ألقاهم في الذنب ليعرفهم به فاقتهم إليه، ثم عفا عنهم ليعرفهم بالعفو كرامتهم عليه ، وذنب أفتقر به إليه أحب إليَّ من عمل أُدِلُّ به عليه.

وقال: مسكين من علمه حجيجه ولسانه خصمه وفهمه القاطع لعذره.

وسئل: ما العبادة؟ فقال: حرفة حانوتها الخلوة، وربحها الجنة.

وقال: إن الحكيم يشبع من ثمار فِيهِ.

* * *

الحكاية الرابعة والثمانون بعد المائة

حكاية للجنيد

حدثنا الجنيد قال: أرقت ليلة فرمت السكون، فما وجدته، ثم اجتهدت في قضاء ورد لي فلم أقدر، ثم حرصت على دراسة شيء من القرآن فلم أقدر، ووقع بي انزعاج شديد، فأخذت ثوبي على كتفي، وخرجت، وذاك آخر الليل، فلما توسطت الدرب عثرت بإنسان ملتف في عباءة، فرفع رأسه وقال: إلى الساعة؟

فقلت: سيدي عن موعد تقدم؟ قال: لا، ولكني سألت محرك القلوب أن يُحَرِّكَ قلبك، فقلت: قد فعل، حاجة؟ قال: نعم. قلت: ما هي؟ قال: يا أبا القاسم متى يكون الداء دواء؟ فقلت: إذا خالفت النفس هواها صار داؤها دواؤها. قال: فتنفس، وقال: قد أجبتها بهذا الجواب الليلة سبع مرات، فقالت: لا، أو أسمعه من جنيدها، قد سمعت منه، ثم مضى، فما رأيته بعد ذلك.

* * *

الحكاية الخامسة والثمانون بعد المائة

حكاية لحاتم الأصم

عن علي بن الموفق قال: سمعت حاتم كر - وهو الأصم- يقول: لقينا الترك، وكان بيننا جولة، فرماني تركي بوهق[١] فقلبني عن فرسي، ونزل عن دابته، فقعد على صدري، وأخذ بلحيتي هذه الوافرة، وأخرج من خفه سكيناً ليذبحني، فوحق سيدي ما كان قلبي عنده ولا عند سِكِّينه، إنما كان قلبي عند سيدي أنظر ماذا يُنْزِل بي القضاء منه.

---

(١) وهق: الوهق - بالتحريك وقد يسكن -: هو حبل كالطول تشد به الابل والخيل لئلا تند.

فقلت: سيدى قضيتَ عليَّ أن يذبحنى هذا، فعلى الرأس والعين، إنما أنا لك وملكك، فبينما أنا أخاطب سيدى، وهو قاعد على صدرى آخذ بلحيتى ليذبحنى رماه بعض المسلمين بسهمٍ، فما أخطأ حَلْقَه، فسقط عنى، فقمت أنا إليه، وأخذت السكين من يده، فذبحته.

فما هو إلا أن تكون قلوبكم عند السيد حتى ترون من عجائب لطفه ما لم تروا من الآباء والأمهات.

* * *

الحكاية السادسة والثمانون بعد المائة
من حكايات بشر بن الحارث

حدثنا عبد الله بن محمد الرشيدى قال: قال لى أيوب العطار: كنت خارجاً من باب حرب، فلقينى بشر بن الحارث فقال: يا أيوب، انظر إلى جميل ما ينشر وقبيح ما يستر كنت اليوم خارجاً من باب حرب، فلقينى رجلان، فقال أحدهما لصاحبة: هذا بشر الذى يُصَلِّى كل يوم ألف ركعة، ويواصل كل ثلاثة أيام، والله يا أيوب ما صليت ألف ركعة مكاناً واحداً ولا واصلت ثلاثاً قط إلا إنى أحدثك عن بدء أمرى؟ فقلت: نعم.

قال: بينا أنا أمشى رأيت قرطاساً على وجه الأرض فيه اسم الله عز وجل، فنزلت إلى النهر، فغسلته وكنت لا أملك من الدنيا إلا درهماً فيه خمسة دوانق، فاشتريت بأربعة دوانيق مسكاً وبدانق ماء ورد، وجعلت أتتبع اسم الله عز وجل، وأُطَيِّبه، ثم رجعت إلى منزلى، فأتانى آتٍ فى منامى، فقال: يا بشر كما طَيَّبت اسمى لأطين ذكرك كما طهرته لأطهرن قلبك.

* * *

الحكاية السابعة والثمانون بعد المائة
الحسن البصرى وآية تمنعه من الطعام

حدثنا صالح عن خليد بن حسان قال: أمسى الحسن صائماً، فجئناه بطعام عند إفطاره، فلما قرب إليه عرضت له هذه الآية: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيمًا. وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾[1] قال: فتقلصت يده عنه، فقال: ارفعوه، فرفعناه، فأصبح صائماً، فلما أراد أن يفطر ذكر الآية، ففعل ذلك أيضاً.

فلما كان اليوم الثالث انطلق ابنه إلى ثابت البنانى ويحيى البكاء وأناس من أصحاب

---

(١) سورة المزمل، الآيتان رقم: ١٢،١٣.

الحسن، فقال: أَدْرِكُوا أبى، فإنه لم يذق طعاماً منذ ثلاثة أيام كُلَّمَا، قرَّبنا إليه الطعام ذكر هذه الآية: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالاً وَجَحِيمًا﴾ فتركه، قال: فأتوه، فلم يزالوا به حتى سَقَوْه شربة من سويق.

* * *

الحكاية الثامنة والثمانون بعد المائة

هكذا حال الدنيا

حدثنا عبد الله بن محمد القرشى قال: كان رجل من أهل النعمة واليسار له جارية، وكان مشغوفاً بحبها، وكان يتمنى الولد منها، فمكثت عنده سنين ثم إنها اشتملت على حملٍ، فاشتد سروره بذلك، وطالت عليه الأيام لشوقه إلى ولدها حتى إذا استكملت شهورها، وضربها الطلق عرضت له علة فمرض أياماً يسيرة، وهى فى طَلْقِها، ثم إن الموت نزل به، وولدت الجارية غلاماً فى الليلة التى مات فيها، فقال رجل من قريش - يعتبر بذلك - شعرًا:

فى من مضى لك إن فكَّرت معتبر ... وفى الليالى وفى الأيام مزدجر
بينا الفتى بلذيذ العيش مغتبط ... إذ صار فى القبر لا عين ولا أثر
لو لم ير المرء إلا ما يعاينه ... لكان فيه له وعظ ومدكر
أما رأيت ابن حفص يرتجى ذَكَراً ... من مسه زانها مع دلها خفر
لما دنا ذاك منها وامتلى فرحًا ... ومد عينيه للمولود ينتظر
إذا المنية قد وافته من كثب ... والصفو لا بد مقرون به الكدر
فهو يعالج كرب الموت مشتغلاً ... وتلك فى الطَّلْقِ قد حلت بها الغير
لم يلبث المرء حتى مج مهجته ... واتبع الموت مولود له ذِكْر
يا يُتْمه قبل أخذ القابلات له ... أضحى يتيماً ولم يقطع له السرر
من ذا يُهَنَّا به؟ من ذا يسر به؟ ... لا يعرف الأب إن ألفى له عمر
يا لهفتى للذى ولَّى بحسرته ... وللصغير الذى لم ينجه الصغر
هذا قضاء إله الناس فاصطبرى ... فالصبر أفضل شىء ناله بشر

قال ابن أبى الدنيا: هذه الحكاية كانت لنا، ثم صارت لغيرنا.

* * *

الحكاية التاسعة والثمانون بعد المائة

منصور بن المعتمر لا يتولى القضاء

عن زائدة بن قدامة قال: صام منصور بن المعتمد أربعين سنة قام ليلها وصام نهارها،

وكان الليل يبكى، فتقول له أمه: يا بنى قتلت قتيلاً؟ فيقول: أنا أعلم بما صنعت بنفسى. قال: فإذا أصبح كحَّل عينيه ودهن رأسه وبرق شفتيه وخرج إلى الناس، فأخذه يوسف بن عمر عامل الكوفة يريده على القضاء فامتنع وأبى.

قال: فدخلت عليه، وقد جىء بالقيد ليقيد. قال: فجاءه خصمان فقعدا بين يديه فلم يسألهما ولم يكلمهما، وقيل ليوسف بن عمر: إنك لو نثرت لحمه لم يَلِ لك قضاء، فخلّى عنه.

* * *

الحكاية التسعون بعد المائة

حكاية الإخوة الثلاثة مع ملك الروم

حدثنا على بن اليزيدى بطرسوس قال: حدثنى أبى وكان أول من سكن طرسوس حين بناها أبو مسلم، وكان حج شيخاً قديماً.

قال: كان يغازينا من الشام ثلاثة إخوة فرسان شجعان، وكانوا لا يخالطون العسكر كانوا يسيرون وحدانا، وينزلون كذلك، فإذا رأوا العدو لم يقاتلوا ما كُفُّوا، فغزوا مرة، فلقيهم الطاغية فى جمع كثير من البطارقة، فالتقوا، فقاتلوا المسلمين، فقتلوا وأَسَرُوا، فقال بعضهم لبعض: قد ترون ما قد نزل بالمسلمين، وقد وجب علينا أن نبذل أنفسنا ونقاتل، فتقدموا وقالوا لمن بقى من المسلمين: كونوا وراء ظهورنا، وخلوا بيننا وبين القتال نكفيكم إن شاء الله، فقاتلوا وأنكوا وقهروا الروم، فقال ملك الروم لمن معه من البطارقة: من جاءنى برجل من هؤلاء قدمته وبطرقته، فألقت الروم أنفسها عليهم، فأخذوهم أسرى لم يصب رجل منهم كَلْمٌ به، فقال ملك الروم: لا غنيمة ولا فتح أعظم من أحد هؤلاء، فرحل حتى أتى بهم القسطنطينية، فعرض عليهم النصرانية، وقال: إنى أجعل فيكم الملك، وأزوجكم بناتى، فأبوا عليه، ونادوا: يا محمداه! فقال الملك: ما يقولون؟ قالوا: يدعون نبيهم. فقال لهم الملك: إن أنتم أجبتمونى، وإلا أغليت قدوراً ثلاثاً فيها الزيت حتى إذا بلغت إناها[1] ألقيت كل واحد منكم فى قِدْر، فأمر بثلاث قدور، فنصبت، ثم صب فيها الزيت، ثم أمر أن يوقد تحتها ثلاثة أيام يُعْرَضُون فى كل يوم على تلك القدور ويدعونهم إلى النصرانية وإلى أن يزوجهم بناته، ويجعل المُلك فيهم، فيأبون أن يجيبوه، فأقاموا على الإسلام، فنادى الأكبر ودعاه إلى دينه، فأبى وناشده، وقال: إنى ملقيك فى هذه القدر فأبى، فألقاه فى قدر منها، فما هو إلا أن سقط فيها حتى ارتفعت عظامه تلوح، ثم فعل بالثانى مثل ذلك، فلما رأى صبرهم على

---

(١) شدة حرها.

ما فعل بهم وحفظهم لدينهم ندم الملك، وقال: فعلت هذا بقوم لم أرَ أشجع منهم، فأمر بالصغير، فأُدْنِيَ منه، فجعل يفتنه عن دينه بكل أمر، فأبى، فقام إليه عِلْج من أعلاجه، فقال: أيها الملك، ما تجعل لى إن فتنته؟ قال: أبطرقك. قال: قد رضيت. قال: بماذا تفتنه؟ قال: قد علم الملك أن العرب أسرع شيء إلى النساء، وقد علمت الروم أن ليس فيهم امرأة أجمل من ابنتى فلانة، فادفعه إلىّ حتى أُخَلِّيه معها فإنها ستفتنه. قال: فضرب الملك بينه وبين العلج أجلاً أربعين يوماً، ودفعه إليه، فجاء به، فأدخله مع ابنته، وأخبرها بالذى فارق عليه الملك وبالأجل الذى ضربه بينه وبينه، فقالت له: دعه، فقد كفيتك أمره، فأقام معها نهاره صائمًا وليله قائمًا لا يفتر من العمل حتى مضى أكثر الأجل، فسأل الملكُ العلجَ: ما حال الرجل؟ فرجع إلى ابنته، فقال لها: ما صنعتِ؟ قالت: ما صنعت شيئاً! هذا رجل فقد أخويه فى هذه البلدة، فأخاف أن يكون امتناعه من أجل أخويه كلما رأى آثارهما، ولكن استزد من الملك فى الأجل، وانقلنى وإياه إلى بلد غير هذا البلد الذى قتل فيه أخواه. فسأل العلج الملك فزاده فى الأجل أياماً، وأذن له فى خروجهما فأخرجهما إلى قرية أخرى، فمكث على ذلك أياماً صائم النهار قائم الليل حتى إذا بقى من الأجل ثلاثة أيام قالت له الجارية ليلة من الليالى: يا هذا، إنى أراك تقدس ربًّا عظيماً، وإنى دَخَلْتُ معك فى دينك، وتركت دين آبائى، فلم يثق بذلك منها حتى أعادت عليه مراراً، فقال لها: فكيف الحيلة فى الهرب والنجاة مما نحن فيه؟ فقالت: أنا أحتال لك، وجاءته بدواب، فقالت له: قم بنا نهرب إلى بلادك، فركبا وكانا يسيران ذات ليلة سمعا وقع خيل، فقالت له الجارية: أيها الرجل، ادع ربك الذى صدقته وآمنت به أن يخلصنا من عدونا، فإذا هو بأخويه ومعهما ملائكة رسل إليه، فسلَّم عليهما، ثم سألهما عن حالهما، فقالا: ما كانت إلا الغطسة التى رأيت حتى خرجنا فى الفردوس، وإن الله أرسلنا إليك لنشهد تزويجك بهذه الفتاة، فزَوَّجُوه إياها، ورجعوا وخرج إلى بلاد الشام، فأقام معها، وكانوا مشهورين بذلك، معروفين بالشام فى الزمن الأول، وقد قيل فيهما من الشعر ما أنسيته غير هذا البيت:

سيعطى الصادقين بفضل صدق   نجاة فى الحياة وفى الممات[١]

* * *

الحكاية الحادية والتسعون بعد المائة

من حكايات معروف الكرخي

حدثنا الفضل بن محمد الرقاشى قال: رأيت يوماً من الأيام معروفًا الكرخى يبكى

---

(١) بالطبع هذه من القصص المؤلفة، ولا يخفى ذلك على فطنة القارئ.

فقلت: ما يبكيك؟ قال: ذهب الأخوان، وشح الناس على الدنيا، وتركوا الدين، ونسوا الآخرة، ثم قام، ومشى، ومشيت معه إلى دكان أخيه، فسَلَّمَ على أخيه، وقعد وكان أخوه دقاقاً، فقال له أخوه: اجلس ساعة فإن لى شغلاً، ثم قام الأخ، وذهب فى حاجته، فرأى معروف الأرامل والضعفاء جلوساً، فأخذ يفرق عليهم الدقيق بلا شيء إلى أن نظَّف الدكان، فجاء أخوه، فقال: أفقرتنى، فقام معروف ورجع إلى مسجده، ففتح صاحب الدكان الصندوق وإذا المجري مملوء دراهم، فوزنها فإذا به قد ربح لكل درهم سبعين، فلما كان بعد ساعة إذا هو يعدو إلى معروف، ويقول: غداً تجيء إلى دكانى ساعة، فقال على التجربة: لا يجيء هذا ولا كرامة. ثم قال: سبحانه! مِنْ مَلِكٍ يعطى من يشاء كما يشاء، ولو سألناه الدنيا بها فيها لم يمنعنا ذلك، ولكن سألناه أن يحمينا عنها، ففعل ذلك.

* * *

الحكاية الثانية والتسعون بعد المائة

ثمن الجلسة في بيت الله الحرام

حدثنا على بن محمد الشيرازى قال: سمعت إبراهيم بن أحمد الخواص يقول: رأيت شاباً فى الطواف مُتَّزِرًا بعباءة، متشحاً بأخرى، كثير الطواف والصلاة، فوقعت فى قلبى محبته، ففُتِحَ عليَّ بأربعماية درهم، فجئت بها إليه، وهو جالس خلف المقام، فوضعتها على طرف عباءته، وقلت له: يا أخى، اصرف هذه القطيعات فى بعض حوائجك، فقام وبدَّدها فى الحصى، وقال: يا إبراهيم، اشتريت من الله هذه الجلسة بسبعين ألف دينار، وتريد أن تخدعنى عن الله عز وجل بهذا الوسخ؟!

قال إبراهيم: فما رأيت أذل من نفسى، وأنا أجمعها من بين الحصى، وما رأيت أعز منه، وهو ينظر إليَّ.

وقد حدثنا بهذه الحكاية من طريق آخر عن الخواص، وفيه: فنبذها، وقال لى: يا هذا، اشتريت هذه الجلسة بروحى وبمائة ألف دينار تريد أن تفسدها عليَّ بهذا.

* * *

الحكاية الثالثة والتسعون بعد المائة

حكاية رجل ضعيف يرعاه الله

حدثنا على بن محمد قال: سمعت إبراهيم الخواص يقول: سلكت البادية ستة عشر طريقاً على غير الجادة، فأعجب ما رأيت فيها رجل ليس له يدان ولا رجلان، وعليه من البلاء أمر عظيم، وهو يزحف زحفاً، فتحيَّرت منه وسلَّمت عليه.

فقال: وعليك السلام يا إبراهيم. فقلت له: بِمَ عرفتنى، ولم ترنى قبلها؟ فقال: الذى جاء بك عرَّف بينى وبينك. فقلت: صدقت، إلَى أين تريد؟ فقال: إلى مكة. قلت: ومن أين أنت؟ قال: أنا من بخارى.

فبقيت متعجباً أنظر إليه، فنظر إلى شزراً، وقال: يا إبراهيم تعجب من قَوِىٍّ يحمل ضعيفاً، ويرفق به، ثم دمعت عيناه، فقلت: لا يا حبيبي، فتركته على حاله ومضيت، فلما دخلت مكة رأيته فى الطواف، وهو يزحف زحفاً.

* * *

الحكاية الرابعة والتسعون بعد المائة

حكاية العابد والمرأة التي أرادت فتنته

عن عبد الله بن وهب قال إبراهيم -لا أراه إلا عن أبيه -: إن عابداً من عباد بنى إسرائيل كان يتعبد فى صومعة، فجاء نفر من الغواة إلى امرأة بَغِىٍّ، فقالوا لها: لعلك تَزلِّيه، فجاءته فى ليلة مطيرة مظلمة، فنادته فأشرف عليها، فقالت له: يا عبد الله، آونى إليك، فتركها، وأقبل على صلاته ومصباحه ثاقب، فقالت: يا عبد الله، آونى إليك، أما ترى الظلمة والمطر؟

فلم تزل به حتى آواها إليه، فاضطجعت قريباً منه، فجعلت تُرِيه محاسن خَلْقِها حتى دعته نفسه إليها، فقال: لا والله، حتى أنظر: كيف صبرك على النار؟ فتقدم إلى المصباح، فوضع إصبعاً من أصابعه فيه حتى احترقت، ثم عاد إلى صلاته، فدعته نفسه أيضاً، وعاود المصباح فوضع إصبعه الأخرى حتى احترقت. فلم تزل نفسه تدعوه، وهو يعود إلى المصباح حتى احترقت أصابعه جميعها، وهى تنظر، فصعقت، وماتت.

* * *

الحكاية الخامسة والتسعون بعد المائة

شيخ صالح ينزعج من تحقيق خاطره

عن أبى عثمان النيسابورى قال: خرجنا جماعة مع أستاذنا أبى حفص النيسابورى إلى خارج نيسابور، فجلسنا، فتكلم الشيخ علينا، فطابت أنفسنا، ثم بصرنا بأيِّل[1] قد نزل من الجبل حتى برك بين يدى الشيخ، فأبكاه ذلك بكاءً شديداً فلما هدأ سألناه فقلت له: يا أستاذ تكلمت علينا، وطابت أوقاتنا، فلما جاء هذا الوحش، وبرك بين يديك أزعجك، وأبكاك، فنحب أن نعرف فقه ذلك؟

---

(١) ظبي.

فقال: نعم، رأيت اجتماعكم حولى، وقد طابت قلوبكم، فوقع فى قلبى: لو أن شاةً ذبحتها، ودعوتهم عليها، فما تَحَكَّمَ هذا الخاطر حتى جاء هذا الوحش، فنزل بين يدى، فخُيِّلَ لى أنى مثل فرعون الذى سأل ربه أن يجرى له النيل، فأجراه له، وقلت: ما يؤمنى أن يكون الله تعالى يعطينى كل حظ لى فى الدنيا، وأبقى فى الآخرة فقيراً لا شىء لى، فهذا الذى أزعجنى.

* * *

الحكاية السادسة والتسعون بعد المائة

حكاية إبراهيم الخواص مع الشيطان

أخبرنا محمد بن زياد المقيم بكلواذا، وكان قد بكى حتى ذهبت عيناه، قال: سألت إبراهيم الخواص عن أعجب ما رأيت فى البادية، قال: كنت ليلة من الليالى فى البادية، فنمت على حجر، فإذا أنا بشيطان قد جاء، وقال: قُمْ من هاهنا! فقلت: اذهب. فقال: إنى أرفسك، فتهلك، فقلت: افعل ما شئت، فرفسنى، فوقعت رجله علىَّ كأنها خرقة! فقال: أنت وَلِّىُّ الله، من أنت؟ قلت: أنا إبراهيم الخواص. قال: صدقت، ثم قال: يا إبراهيم معى حلال وحرام، فأما الحلال فرُمَّان من الجبل المباح، وأما الحرام فحيتان مررت على صَيَّادَيْن وهما يصطادان، فتخاونا، فأخذت الخيانة، فكُلْ أنت الحلال ودع الحرام.

* * *

الحكاية السابعة والتسعون بعد المائة

من حكايات المتصوفة

حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن شاذان الرازى قال: سمعت أبا بكر الحرى يقول: سمعت سَرِيًّا السقطى يقول: مكثت عشرين سنة أطوف بالساحل أطلب صادقاً، فدخلت يوماً إلى مَعاذ، فإذا أنا بزمنى[1] وعميان ومُجَذَّمين قعود.

فقلت: ما تصنعون ها هنا؟ قالوا: ننتظر شيخاً يمد يده علينا، فنعافى، فقلت: إن كان يرينى صادقًا فاليوم، فجلست، فخرج كهل، وعليه مدرعة من شَعْرٍ، فسلم وجلس، ثم أمر يده على عَمْيٍ هذا فأبصر، وأمر يده على زمانه هذا فصح، وأمرَّ يده على جذام هذا فبرأ، ثم قام مولياً فضربت يدى إليه، فقال لى: يا سَرِىُّ، خَلِّ عنى فإنه غيور، لا يَطَّلِعُ على سِرِّك، فيراك قد سكنت إلى غيره ؛ فتسقط من عينه.

وقد أخبرنا بهذه الحكاية من طريق آخر، وفيه مكثت أربعين سنة أسأل الله أن يرينى

(١) مرضى.

وَلِيًّا، فصعدت جبل اللكام، فرأيت جماعة مرضى، فقالوا لى: إذا كان فى كل شهر فى مثل هذا اليوم يجلس هاهنا، فيأتينا رجل، فيدعو لنا، فأقبل، فقرأ عليهم، وانصرف، فلحقته، فقلت: قِفْ أُكَلِّمْكَ، فالتفت، فقال لى: يا سَرِيُّ لا تعامل غيره ؛ فتسقط من عينه.

* * *

الحكاية الثامنة والتسعون بعد المائة

حكاية فى الأمانة

حدثنا محمد بن سهل بن عسكر البخارى قال: كنت أمشي فى طريق مكة إذ رأيت رجلاً مغربياً على بغل وبين يديه منادٍ ينادى من أصاب همياناً[1] فله ألف دينار. قال: وإذا إنسان أعرج عليه أطمار رثة يقول للمغربى: أَيْش علامة الهميان؟ فقال: كذا وكذا، وفيه بضائع القوم، وأنا أعطى من مالى ألف دينار، فقال الفقير: مَنْ يقرأ الكتابة؟ قال ابن عسكر: فقلت: أنا أقرأ. قال: اعدلوا بنا ناحية من الطريق، فعدلنا، فأخرج الهميان، فجعل المغربى يقول: حبتان لفلانة ابنة فلان بخمسمائة، وحبة لفلان بمائة، وجعل يعد، فإذا هو كما قال. فقال: خذ ألف دينار التى وعدت على وجادة الهميان. فقال الأعرج: لو كانت قيمة الهميان عندى بعرتين ما كنت تراه؟ فكيف آخذ منك ألف دينار على ما هذا قيمته، وقام ومضى ولم يأخذ منه شيئاً.

* * *

الحكاية التاسعة والتسعون بعد المائة

من حكايات أبي عبد الله المغربي

حدثنا إبراهيم بن شيبان قال: سمعت أبا عبد الله المغربى يقول: ما رأيت ظلمة منذ سنين كثيرة! قال إبراهيم: وذلك أنه كان يتقدمنا بالليل المظلم ونحن نتبعه وهو حاف حاسر، فكان إذا عثر أحدنا يقول: يميناً شمالاً، ونحن لا ندرى ما بين أيدينا، فإذا أصبحنا نظرنا إلى رجله كأنها رجل عروس خرجت من خدرها، وكان يقعد لأصحابه يتكلم عليهم فما رأيته انزعج إلا يوماً واحداً كنا على الطور وهو قد استند إلى شجرة خرنوب، وهو يتكلم علينا، فقال فى كلامه: لا ينال العبد مراده حتى ينفرد فرداً بفردٍ، فانزعج واضطرب، ورأيت الصخور قد تدكدكت، وبقى فى ذلك ساعات، فآفاق، وكأنه قد نشر من قبرٍ.

* * *

---

(١) الهِمْيانُ: كِيسٌ للنَّفَقَةِ يُشَدُّ في الوَسَطِ.

الحكاية المائتان

حكاية رجل صالح مع الثعبان

عن إبراهيم الهروى قال: بينما رجل فى مسير له فى يـوم صائف عـدل إلى شـعبٍ، فأصاب فيه مغارة. قال: فدخلت فيها، فمـا لبثـت أن دخـل علـىَّ ثعبـان كأنـه النخلـة، فتطوق فى شق المغارة، فجعل ينظر إلىَّ، فقلت فى نفسى: لعلـى رزق لـه، ولـم يهيلنـى أمره، فما لبثت أن خرج من المغارة، ثم أقبل إلىَّ وفى فِيهِ رغيف حوارى قد ذهبـت منـه غطة، فوضعه عند رأسى، ورجع إلى موضعه، فتطـوق فيـه، فقمـت، فـأكلت الرغيـف، فلما برد النهار خرجت، فسرت، فلقينى رفقة، فقالوا: مِنْ أين جئت؟ فقلـت: مِـنْ هـذا الشعب؟ قالوا: هل رأيت ما رأينا؟ قلت: وما هو؟ قالوا: اعترض علينا فى الرفقة ثعبـان، وقام على ذنبه ونفخ، وكان معنا إنسان ظريف فيه أدب، فقال: أظن هذا جائعاً، فرمـى إليـه رغيفـاً حواريًـا، فـأخذه الثعبـان، ومضـى. فقلـت: أنـا أكلـت الرغيـف، ومضيـت وخليتهم.

* * *

الحكاية الأولى بعد المائتين

حكاية قارئ القرآن عند مقبرة ابن طولون

حدثنا محمد بن على المرادانى قال: كنت أجتاز بتربة أحمد بن طولـون، فـأرى شـيخاً عند قبره يقرأ ملازما للقبر، ثم إنى لم أره مدة، ثم رأيته بعد ذلك فقلت: ألسـت الـذى كنت أراك عند قبر أحمد بن طولون، وأنت تقرأ عليه، فقال: بلى، قد كان ولينـا رئاسـة فى هذا البلد، وكان له علينا بعض العـدل إن لـم يكـن الكـل ؛ فـأحببت أن أقـرأ عنـده وأصله بالقرآن.

قلت: لِمَ انقطعت عنه؟ فقال له: رأيته فى النـوم، وهـو يقـول لى: أحـب أن لا تقـرأ عندى! فكأنى أقول له: لأى سبب؟ فقال: ما تمر بى آية إلا قرعـت بهـا، وقيـل لى: مـا سمعت هذه.

* * *

الحكاية الثانية بعد المائتين

من مواعظ بشر الحافي

حدثنا محمد وهو ابن نعيم بن الهيضم قال: دخلت على بشر فى علته فقلت: عظنى. قال: إن فى هذه الدار نملة تجمع الحب فى الصيف لتأكلـه فـى الشتاء، فلمـا كـان يـوم أخذت حبة فى فمها، فجاء عصفور فأخذها والحبة، فلا ما جمعت أكلت ولا ما ملكت نالت.

قلت: زدنى. قال: ما تقول فيمن القبر مسكنه، والصراط جوازه، والقيامة موقفه، والله مسائله، ولا يعلم إلى جنةٍ يصير فَيُهَنَّى، أو إلى نار فَيُعَـزَّى، فـوا طـول حزنـاه! ووا عِظَم مصيبتاه! زاد البكاء فلا عزاء واشتد الخوف فلا أمن.

قال: وقال لى بشر مراراً كثيرة: انظـر خـبرك مـن أيـن هـو؟ وانظـر مسـكنك الـذى تتقلب فيه كيف هو؟ وأقل من معرفة الناس، ولا تحب أن تحمد، ولا تحب الثناء.

* * *

الحكاية الثالثة بعد المائتين

حكاية رجل يحفظ مال اليتيم

حدثنا أبو القاسم عبيد الله بن سليمان قال: كنت أكتب لموسى بن بُغا، وكنا بـالرى وقاضيها إذ ذاك أحمد بن بذيل الكوفى، فاحتاج موسى أن يجمـع ضيعـة هنـاك كـان لـه فيهـا سـهام ويعمرهـا، فكـان لـه فيهـا سـهم ليتيـم، فصـرت إلى أحمـد بـن بذيـل - أو فاستحضرت أحمد بن بذيل - وخاطبته أن يبيع علينا حصة اليتيم، ويأخذ الثمن، فامتنع، وقال: ما باليتيم حاجة إلى البيع، ولا آمن أن أبيع ماله وهو مُستغن عنـه، فيحـدث علـى المال حادثة، فأكون قد ضَيَّعْتُه عليه، فقلت: إنا نعطيك فى ثمن حصته ضعف قيمتها.

فقال: ما هذا إلىَّ بعذر فى البيع! والصورة فى المال إذا كثر مثله إذا قَلَّ.

قال: فأدرته بكل لون وهو يمتنع، فأضجرنى، فقلت له: أيها القاضى لا تفعـل ؛ فإنـه موسى بن بغا، فقال لى: أَعَزَّكَ الله، إنه الله تبارك وتعالى.

قال: فاستحييت من الله أن أعاوده بعد ذلك، وفارقته، فدخلت على موسى، فقـال: ما عملتَ فى الضيعة، فقصصـتُ عليـه الحديـث، فلمـا سـمع إنـه اللـه بكـى، ومـا زال يكررها، ثم قال: لا تتعرض لهذه الضيعة، وأبصر فى أمر هذا الشيخ الصالح، فإن كانت له حاجة فاقضها.

قال: فأحضرته، وقلت له: إن الأمير قد أعفـاك مـن أمـر هـذه الضيعـة، وذلـك أنـى شرحت له ما جرى بيننا، وهو يستعرض حوائجك.

قال: فدعا له، وقال: هذا الفعل أحفظ لنعمته، وما لى حاجـة إلى إدرار رزقـى، فقـد تأخر منذ شهر، وأضر بى ذلك! قال: فأطلقت له جارية.

* * *

الحكاية الرابعة بعد المائتين

بين ابن عياد ومنصور بن عمار

حدثنا منصور بن عمار قال: حدثنا رجل من العباد: أن عندنا رجل من أهل الخوف والاجتهاد من أهل واسط يكنى أبا عياد، وقد برز على العباد والمجاهدين عندنا، ولا يأكل إلا من كد يده، وليس يكسب في اليوم إلا دانقين يفطر على إحداهما ويتصدق بالآخر، فهل يَخِفُّ عليك أن تنطلق إليه، فإنه يتمناك على ربه ويحب أن يعرض كلامك على قلبه، ولو رأيته لرجوت أن تنتفع برؤيته!

فقلت: ما أحوجني إلى ذلك! فانطلق بنا إليه، فانطلقنا حتى أتينا باب حجرته، فقرعنا الباب، فأذن، فدخلنا، فإذا أنا برجل متخلع القلب متوحش من الناس قد أنس بوحدته فإذا رأيته علمت أنه مذعور قد هيجت وجهه عبادته وأخلق ظمأ الهواجر وسهر الليالي حدته، وعليه أزار خيش إلى نصف ساقه وفوق سرته.

فلما نظرت إليه أسكتني هيبته وخشعت حتى كأني لم أر مهيباً غيره وجبنت من موعظته، فلما صرت إلى مجاورته قال له الرجل: هذا منصور بن عمار الذي كنت تشتاق إليه، فصافحني وأخذ يدي اليمنى، وقال: مرحباً حيَّاك الله بالسلام ونعمنا وإياك في الدنيا بالأحزان، ثم أدخلني بيتاً قد احتفر فيه قبراً، ثم أقبل عليَّ وقال: إن نفسي لم تزل مشتاقة إليك، تحب أن تعرض قسوة قلبها عليك، أخبرك أن لي جرحاً قديماً قد أعيا المعالجين، فتلافاه برفقك، وضَعْ عليه ما تعلم أنه يلائمه من مراهمك، فقلت له: كيف يعالج مثلي مثلك، وجرحي أثقل من جرحك!

قال: وإن كان كذلك فإني مشتاق إليه، فقلت له: لئن كنت تمسكت باحتفار قبرك في منزلك ومَقَتَّ نفسك بما أريتها من وصيتك ومن كفن تشتريه قبل موتك، فإن لله عباداً اقتطعتهم الحرمة عن النظر إلى قبورهم أولئك الذين لم تر عينيك أرعى لحرمات الله ولا أصرف قلوباً عما كره الله منهم إذ علموا أن لله يوماً يخسر فيه المبطلون، فصاح صيحة انتفضتُ لها فرقاً، وخرَّ على وجهه في قبره صَعِقاً، وجعل يركض برجليه، ويخور، فخفت إن مات أن أكون قد شرعت في قتله، فاسترجعت، وندمت على عظتي له، فخرجت إلى طَحَّان قريب من منزله، فقصصت عليه وأَحَلْتُ الذنب على الذي ساقني إليه، وأعلمته أني تركته يرتكض كالذبيحة في حفرته، ولامني الطحان وقال: ادخل لتعينني عليه، فدخلنا، فعالجناه حتى أخرجناه من الحفرة، فإذا به قد تَسَلَّخ بعض جسده، فالتفت إليَّ الطحان مغضباً، فخرجت وتركته صريعاً، ثم عاودته عند الظهر، فإذا هو على حاله، ثم رجعت عند المغرب، وإذا به لم يفق من غشيته، فبت بليلةٍ لم يمر

عليَّ مثلها من الحزن، فلما أصبحت غدوت عليه، فإذا أنا به قاعد فى مشرقة فى الدار، وهو متعصب بشريط من صداع به، وإذا بخرقة ملصقة على موضع السلخ من جسده، فلما رآنى فرح فرحاً شديدًا، واستقبلنى ثم قال: المعاودة رحمك الله، فوليت مسرعاً!.

* * *

الحكاية الخامسة بعد المائتين

سفيان الثوري يزور إبراهيم بن أدهم

عن شعيب بن حرب قال: خرجت مع سفيان بن سعيد الثورى من الكوفة يريد زيارة إبراهيم بن أدهم بالمصيصة، قال: فدخلنا المصيصة، ولم يطعم قبل ذلك ثلاثة أيام، فسألنا عن إبراهيم بن أدهم، فدلونا عليه، فإذا به نائم فى الشمس فى وسط جامع المصيصة رأسه فى درمابقته، فجئت إليه فحركته وقلت له: صديقك سفيان الثورى، فوثب إليه وعانقه وجلسا يتذكران، فقال سفيان: يا أبا إسحاق أى شىء نعمل؟ قال: نخرج إلى الحصاد، فخرجنا، فأكرينا أنفسنا بدرهمين، وحصدنا، فلما فرغنا فرح صاحب الزرع، وقال: تعالوا كل يوم.

قال شعيب: فقال لى سفيان: امْضِ واشترِ لنا ما يصلح، فاشتريت لهم طعاماً، وجئت به، فوضعته بين أيديهم، فقال سفيان لإبراهيم: كُلْ. فقال إبراهيم لسفيان: أنت أكبر وأعلم، كُلْ أنت، فلم يزالا يتماريان حتى قال سفيان لإبراهيم: دعنى من هذا، تضمن لى أنا نصحنا فى العمل، وأن هذا الطعام لا يشوبه شبهة حتى آكل؟! فقال إبراهيم: لا.

قال سفيان: فليس لى إليه حاجة! فقال إبراهيم: ولا لى رغبة فيما زهدت فيه، فانصرفنا، وتركنا الطعام بحاله.

* * *

الحكاية السادسة بعد المائتين

حكاية أبو سعيد الخراز مع رجل صالح

حدثنا أبو سعيد الخراز قال: كنت بمكة ومعى رفيق لى من الورعين، فأقمنا ثلاثة أيام لا نأكل شيئاً، وكان بحذائنا فقير معه كويرة وركوة مغطاة بقطعة خيش، وربما كنت أراه يأكل خبزاً حوارى، فقلت فى نفسى: والله لأقولن لهذا نحن الليلة فى ضيافتك، فقلت له، فقال لى: نعم وكرامة، فلما جاء وقت العشاء جعلت أراعيه، ولم أر معه شيئاً، فمسح يده على شاربه، فوقع على يده شىء، فناولنى فإذا درهمان لا تشبه

الدراهم، فاشترينا خبزاً وإداماً، فلما مضى لذلك مدة جئت إليه، فسَلَّمْتَ عليه، وقلت: إنى ما زلت أراعيك تلك الليلة، وأنا أحب أن تعرفنى بما وصلتَ إلى ذلك، فإن كان يبلغ بعملٍ حدثنى. فقال: يا أبا سعيد ما هو إلا حرف واحد. قلت: ما هو؟ قال: تُخرِج قَذْرَ الخَلْقِ من قلبك تصل إلى حاجتك.

* * *

الحكاية السابعة بعد المائتين

أحمد بن نصر يقرأ القرآن بعد وفاته

حدثنا إبراهيم بن إسماعيل بن خلف قال: كان أحمد بن نصر حنبلى، فلما قتل فى المحنة وصلب أخبرت أن الرأس يقرأ القرآن، فمضيت فبت بقرب من الرأس مشرفا عليه، وكان عنده رجاله وفرسان يحفظونه فلما هدأت العيون سمعت الرأس يقرأ: ﴿أَلَمْ. أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ﴾[1]، فاقشعر جلدى، ثم رأيته بعد ذلك فى المنام وعليه السندس والاستبرق وعلى رأسه تاج، فقلت له يا أخى ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لى وأدخلنى الجنة، إلا أنى كنت مغموماً ثلاثة أيام. قلت: ولم؟ قال: رأيت رسول الله ﷺ مرَّ بى، فلما بلغ خشبتى حوَّل وجهه عنى! فقلت له: يا رسول الله، قُتِلْتُ على الحق أو على الباطل؟ فقال: «أنت على الحق، ولكن قتلك رجل من أهل بيتى[2]، فإذا بلغت إليك أستحيى منك».

قلت: أحمد بن نصر كان كبير القدر عزيز العلم آمراً بالمعروف سمع من مالك بن أنس وحماد بن زيد وهشيم، قتله الواثق بيده لامتناعه من القول بخلق القرآن، وكان قتله بسُرَّمَنْ رَأَى، وأمر بحمل رأسه إلى بغداد، فنصبت فى الجانب الشرقى أياماً وفى الجانب الغربى أياماً، وصلب بدنه بسُرَّمَنْ رَأَى.

قال أحمد بن على بن ثابت: لم يزل رأسه مصلوباً ببغداد وجسده مصلوبا بسُرَّمَنْ رَأَى ست سنين إلى أن حط وجمع رأسه وبدنه، ودفن بالجانب الشرقى فى المقبرة المعروفة بالمالكية، رحمه الله.

* * *

(١) سورة العنكبوت، الآيتان رقم: ١، ٢.

(٢) يعني بذلك الخليفة العباسى الواثق بالله، وانظر: تعليق ابن الجوزى على هذة القصة عقبها، ومعلوم أن هذه القصة، وما ورد فيها من حديث من المنامات التي لا يُعَوَّل عليها .

الحكاية الثامنة بعد المائتين

حكاية إبراهيم الخواص والقفاف التي كان يصنعها للأيتام

حدثنا معمر بن أحمد بن محمد الأصبهاني قال: سمعت أبا مسلم السقّاء يقول: سمعت بعض أصحابنا يحكي عن إبراهيم الخواص أنه قال: كان لي وقت فترة، فكنت أخرج كل يوم إلى شط نهر كبير وكان حواليه خوص، فكنت أقطع شيئاً من ذلك وأشقه قفافاً، فأطرحه في ذلك النهر، وأتسلى بذلك، وكأني كنت مطالباً به، فجرى وقتي على ذلك أياماً كثيرة، ففكرت يوماً، وقلت: أمضي خلف ما أطرحه في الماء من القفاف، لأنظر أين يذهب، فمشيت على شط النهر ساعات، ولم أعمل ذلك اليوم حتى أتيت في الشط موضعاً وإذا عجوز قاعدة على شط النهر تبكي، فقلت لها: ما لكِ تبكين؟ فقالت: اعلم أن لي خمسة من الأيتام مات أبوهم، فأصابني الفقر والشدة، فأتيت هذا الموضع، فجاءت على رأس الماء قفاف من الخوص، فأخذتها وبعتها وأنفقتها عليهم وأتيت اليوم الثاني والثالث، والقفاف تجيء على رأس الماء، وكنت أخذها وأبيعها حتى اليوم، فجئت اليوم في الوقت وأنا منتظرة، وما جاءت!

قال إبراهيم الخواص: فرفعت يدي إلى السماء، وقلت: اللهم لو علمت أن لي خمسة من العيال لزدت في العمل، وقلت: للعجوز لا تغتمي فإني الذي كنت أعمل ذلك، فمضيت معها ورأيت موضعها، وكانت فقيرة، فقمت بأمرها وأمر عيالها سنين، أو كما قال.

* * *

الحكاية التاسعة بعد المائتين

زهد وقناعة

حدثنا خالد بن هامان قال: سمعت إبراهيم بن إسحاق وهو الحربي يقول: أجمع عقلاء كل أمة أنه من لم يجر مع القدر لم يتهنى بمعيشة ؛ كأن يكون قميصي أنظف قميص وإزاري أوسخ إزار ما حدثت نفسي أنهما يستويان قط وما شكوت إلى أمي ولا إلى أختي ولا إلى امرأتي ولا إلى بناتي الحُمَّى قط، والرجل هو الذي يدخل غَمَّه على نفسه، ولا يغم عياله، كانت لي شقيقة[1] أربعين سنة ما أخبرت بها أحداً قط، ولي عشر سنين أبصر بفرد عين ما أخبرت أحداً، واقْتَتُّ ثلاثين سنة برغيفين - يعني كل يوم - إن جاءتني بهما أمي أو أختي أكلت، وإلا بقيت جائعاً عطشان إلى الليلة الثانية، وأفنيت ثلاثين سنة من عمري برغيف وأربع عشرة تمرة، إن كان برنياً أو سقماً أو

---

(١) الشقيقة: وجع في أحد شقي الرأس، أو ما يسمى بالصداع النصفي.

عشرين إن كان دقلاً، ومرضت ابنتي، فمضت امرأتي، فأقامت عندها شهراً، فقام إفطاري في هذا الشهر بدرهم ودانقين ونصف، ودخلت الحمام، واشتريت لهم صابونا بدانقين، فقامت نفقة شهر رمضان كله بدرهم وأربعة دوانيق ونصف.

* * *

الحكاية العاشرة بعد المائتين

حكاية في صبر العلماء على الفقر والحاجة

حدثنا أبا الحسين بن شمعون قال: قال لي أحمد بن سليمان القطيعي: أضقت إضاقة، فمضيت إلى إبراهيم الحربي لأبثه ما أنا فيه، فقال لي: لا يضق صدرك فإن الله من وراء المعونة، وإني أضقت مرة حتى انتهى أمري في الإضاقة إلى أن عدم عيالي قوتهم، فقالت لي الزوجة: هب أني وإياك نصبر، فكيف نصنع بهاتين الصبيتين، فهات شيئاً من كتبك حتى نبيعه أو نرهنه فصببت بذلك، وقلت: اقترضي لهما شيئاً، وأنظريني بقية اليوم والليلة، وكان لي بيت في دهليز داري فيه كتبي، فكنت أجلس به للنَّسْخ وللنظر، فلما كان في تلك الليلة إذا داق يدق الباب فقلت: من هذا؟ فقال: رجل من الجيران. فقلت: ادخل. فقال: أطفئ السراج حتى ادخل فكبيت على السراج شيئاً. وقلت: ادخل، فدخل وترك إلى جانبي شيئاً وانصرف، فكشفت السراج، ونظرت وإذا منديل له قيمة، وفيه أنواع الطعام، وكاغد فيه خمسمائة درهم فدعوت الزوجة، وقلت: أنبهي الصبيان حتى يأكلوه، ولما كان من الغد قضينا دَيْناً كان علينا من تلك الدراهم، وكان وقت مجيء الحاج من خراسان، فجلست على بابي من غد تلك الليلة، وإذا بجَمَّال يقود جملين عليهما حملان ورقاً، وهو يسأل عن منزل إبراهيم الحربي، فانتهى إليَّ، فقلت: أنا إبراهيم الحربي، فحط الجملين، وقال: هذان الجملان أنفذهما لك رجل من أهل خراسان، فقلت: من هو؟ فقال: قد استحلفني أن لا أقول من هو.

* * *

الحكاية الحادية عشرة بعد المائتين

بين إبراهيم الحربي وابنته

حدثنا أبو القاسم بن الجلي قال: اعْتَلَّ إبراهيم الحربي عِلَّةً حتى أشرف على الموت، فدخلت إليه يوماً فقال لي: يا أبا القاسم أنا في أمر عظيم مع ابنتي ثم قال: لها قومي، فاخرجي إلى عمك، فخرجت فألقت على وجهها خماراً، فقال إبراهيم: هذا عمك كَلِّمِيهِ، فقالت: لي يا عم، نحن في أمرٍ عظيم لا في الدنيا ولا في الآخرة، الشهر والدهر ما لنا طعام إلا كِسَر يابسة وملح، وربما عدمنا الملح، وبالأمس قد وَجَّه إليه المعتضد ألف

دينار مع بدر فلم يأخذها، ووجَّه إليه فلان وفلان، فلم يأخذ وهو عليل، فالتفت الحربى إليها، وتَبَسَّم، فقال: يا بنية إنما خفتِ الفقر؟ قالت: نعم. قال: انظرى فى تلك الزاوية، فنظرت وإذا كتب فقال: لى هناك اثنا عشر ألف جزء لغة وعربية، كتبتها بخطى إذا مت فوجهى كل يوم بجزء بيعه بدرهم، فمن كان عنده اثنا عشر ألف درهم فليس فقير.

* * *

الحكاية الثانية عشرة بعد المائتين

إبراهيم الحربي وموت ولده النجيب

حدثنا محمد بن خلف وكيع قال: كان لإبراهيم الحربى ابن وكان لـه إحدى عشرة سنة قد حفظ القرآن ولقّنه من الفقه شيئاً كثيراً قال: فمات فجئت أُعَزِّيه. قال لى: كنت أشتهى موت هذا!

قال: قلت: يا إسحاق أنت عالم الدنيا تقول مثل هذا فى صبى قد أنجب ولقنته الحديث والفقه؟ قال: نعم رأيت فى النوم كأن القيامة قد قامت وكأن صبياناً بأيديهم قلال فيها ما يستقبلون الناس يسقونهم، وكان اليوم يوماً حاراً شديداً حَرُّه. قال: فقلت لأحدهم: اسقنى من هذا الماء؟ قال: فنظر إلىّ، وقال: ليس أنت أبى! فقلت: فأيش أنتم؟ فقال: نحن الصبيان الذين متنا فى دار الدنيا وخلفنا أبانا، فنستقبلهم، فنسقيهم الماء. قال: فلهذا تمنيت موته.

* * *

الحكاية الثالثة عشرة بعد المائتين

معي مؤنسي وزادي ورفيقي

حدثنا محمد بن عيسى القرشى قال: حثني إبراهيم بن المهلب أبو الأشهب السايح قال: رأيت بين النعاسة والخزيمية غلاماً قائماً يصلى عند بعض الأميال قد انقطع عن الناس، فانتظرته حتى قطع صلاته ثم قلت له: ما معك مؤنس؟ قال: بلى. قلت: وأين هو؟ قال: أمامى وخلفى وعن يمينى وعن شمالى وفوقى.

فعلمت أن عنده معرفة فقلت: أما معك زاد؟ قال: بلى. قلت: أين هو؟ قال: الإخلاص لله عز وجل والتوحيد له والإقرار بنبيه ﷺ وإيمان صادق وتوكل واثق.

قلت: هل لك فى مرافقتى؟ قال: الرفيق يشغل عن الله ولا أحب أن أرافق أحداً فاشتغل عنه طرفة عين فيقطعنى عن بعض ما أنا فيه.

قلت: أما تستوحش فى البَرِّيَّة وحدك؟ فقال: إن الأنس بالله قطع عنى كل وحشة حتى لو كنت بين السباع ما خفتها ولا استوحشت منها.

قلت: فمن أين تأكل؟ فقال: الذى غذّانى فى ظُلَم الأحشاء صغيراً قد تكفّل برزقى كبيراً. قلت: ففى أى وقت تجيئك الأسباب؟ قال: لى حد معلوم ووقت مفهوم إذا احتجت إلى الطعام أصبته فى أى موضع كنت، وقد علم ما يصلحنى، وهو غير غافل عنى.

قلت: ألك حاجة؟ قال: نعم. قلت: وما هى؟ قال: إن رأيتنى فلا تكلمنى ولا تُعْلِم أحداً أنك تعرفنى! قلت: لك ذاك، فهل حاجة غيرها؟ قال: نعم. قلت: وما هى؟ قال: إن استطعت أن لا تنسانى فى دعائك وعند الشدائد إذا نزلت بك فافعل. قلت: كيف يدعو مثلى لمثلك وأنت أفضل منى خوفاً وتوكلاً؟! قال: لا تقل هذا، إنك قد صليت لله عز وجل وصمت قبلى ولك حق الإسلام بمعرفة الإيمان. قلت: فإن لى أيضاً حاجة. قال: وما هى؟ قلت: ادع الله لى. قال: حجب الله طرفك عن كل معصية وألهم قلبك الفكر فيما يرضيه حتى لا يكون لك هم إلا هو.

قلت: حبيبى متى ألقاك، وأين أطلبك، فقال: أما الدنيا فلا تحدث نفسك بلقائى فيها، وأما الآخرة فإنها بجمع المتقين، وإياك أن تخالف الله فيما أمرك وندبك إليه، وإن كنت تبغى لقائى فاطلبنى مع الناظرين إلى الله تبارك وتعالى فى زمرتهم.

قلت: وكيف علمت ذاك؟ قال: بغض طرفى له عن كل محرم، واجتنابى فيه كل منكر ومأثم، وقد سألته أن يجعل جنتى النظر إليه، ثم صاح، وأقبل يسعى حتى غاب عن بصرى.

* * *

الحكاية الرابعة عشرة بعد المائتين
حكاية رجلين تآخا في الله

حدثنا محمد بن داود قال: سمعت أبا بكر الفوطى وأبا عمرو بن الأدمى يقولان: كنا متآخيان فى الله عز وجل، خرجنا من بغداد نريد الكوفة، فلما صرنا فى بعض الطريق إذا نحن بسَبُعَيْن رابضين على الطريق، فقال أبو بكر لأبى عمرو: أنا أكبر منك سناً فدعنى أتقدمك فإن كانت حادثة اشتغلا بى عنك وجزت أنت. فقال له أبو عمرو: نفسى ما تسامحنى بهذا ولكن نكون جميعاً فى مكان واحد فإن كانت حادثة كنا جميعاً، فجازا جميعاً بين السبعين فلم يتحركا ومرَّا سالمين.

زاد جعفر: قال ابن جهضم: هذا ميراث الموافقة فى المحبة.

* * *

الحكاية الخامسة عشرة بعد المائتين

توبة الفضيل بن عياض

حدثنا على بن حشرم قال: أخبرنى رجل من جيران الفضيل بن عياض قال: كان الفضيل يقطع الطريق وحده، فخرج ذات ليلة ليقطع الطريق فإذا هو بقافلة قد انتهت إليه ليلاً، فقال بعضهم لبعض: اعدلوا بنا إلى هذه القرية فإن أمامنا رجل يقطع الطريق يقال له الفضيل.

قال: فسمع الفضيل، فأرعد فقال: يا قوم أنا الفضيل جوزوا والله لأجتهدن أن لا أعصى الله أبداً، فرجع فترك ما كان عليه.

وقد بلغنا من طريق آخر أنه ضافهم تلك الليلة وقال: أنتم آمنون من الفضيل وخرج يرتاد لهم علفاً، ثم رجع فسمع قارئًا يقرأ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ﴾[1] فصاح ومزّق ثيابه وقال: بلى والله قد آن قد آن، فكان مبتدأ توبته.

* * *

الحكاية السادسة عشرة بعد المائتين

الغِيبَة بالقلب

حدثنا أحمد بن محمد الطوسى قال: سمعت إبراهيم الآجرى، وكان من أفاضل أمة محمد ﷺ قال: سمعت أستاذنا إبراهيم الآجرى الكبير يقول: كنت يوماً قاعداً على باب المسجد فى يوم شاتٍ إذ مَرَّ بى رجل عليه خرقتان، فظننت أنه من هؤلاء الذين يسألون، فقلت فى نفسى لو عمل هذا بيده لكان خيراً له!.

قال: ومضى الرجل، فلما كان بالليل أتانى مَلَكَان، فأخذا بضبعى، فأدخلانى المسجد الذى كنت على بابه قاعداً، فإذا رجل نائم عليه خرقتان فكشف عن وجهه فإذا هو الذى مَرَّ بى فقالا لى: كُلْ لحمه.

فقلت: ما اغتبته قالا: بلى، حدثتك نفسك بغيبته ومثلك لا يرضى منه بمثل هذا فانتبهت فزعاً فمكثت ثلاثين يوماً أقعد على باب المسجد لا أقوم منه إلا لفرض أنتظر أن يمر بى، فأستحله، فلما كان يوم الثلاثين مَرَّ بى على حاله والخرقتان عليه، فوثبت إليه، فغمز وغمزت خلفه، فلما خفت أن يفوتنى قلت: يا هذا أكلمك، فالتفت إلى ثم قال: يا إبراهيم، وأنت أيضاً ممن يغتاب المؤمنين بقلبه؟ قال: فسقطت مغشياً علىَّ، وأفقت وهو عند رأسى، فقال: أتعود؟ قلت: لا، ثم غاب عنى، فلم أره بعد ذلك!.

* * *

---

(١) سورة الحديد، الآية رقم: ١٦.

الحكاية السابعة عشرة بعد المائتين

من حكايات المتصوفة

عن إبراهيم الآجرى أن يهودياً جاء يقتضيه شيئاً من ثمن قصب، فكَلَّمَه، فقال له: أرنى شيئاً أعرف به شرف الإسلام وفضله على دينى حتى أسلم، فقال: أو تفعل؟ قال: نعم. قال: هات رداءك فأخذه فجعله فى رداء نفسه، ولف رداءه عليه ورمى به فى النار، نار أتون الأجر، ودخل فى أثره، وأخذ الرداء وخرج من النار، ففتح رداء نفسه، فإذا هو صحيح، وأخرج رداء اليهودى حراقاً أسود من جوف رداء نفسه، فأسلم اليهودى.

قلت: إبراهيم الآجرى هذا هو الصغير، وهو الذى حكى عن إبراهيم الآجرى الحكاية التى ذكرناها قبل هذه، كلاهما من الزهاد.

* * *

الحكاية الثامنة عشرة بعد المائتين

ابن علية يترك القضاء من أجل ابن المبارك

حدثنا حماد بن سلمة وحماد بن زيد أن عبد الله بن المبارك كان يتجر فى البُرِّ، وكان يقول: لولا خمسة ما أتجرت، فقيل له: يا أبا محمد من الخمسة؟ فقال: سفيان الثورى وسفيان بن عيينة والفضيل بن عياض ومحمد بن السماك وابن علية.

قال: وكان يخرج، فيتجر إلى خراسان، فما ربح من شىء أخذ القوت للعيال ونفقة الحج، والباقى يصل به إخوانه الخمسة، فقدم سنة فقيل له: قد وَلِىَ ابن علية القضاء، فلم يأته ولم يصله بالصرة التى كان يصله بها في كل سنة، فبلغ ابن علية أن ابن المبارك قد قدم، فركب إليه، فلم يرفع به عند الله رأساً، ولم يكلمه، فانصرف، فلما كان من الغد كتب إليه رقعة فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، أسعدك الله بطاعته، وتولاك بحفظه، وحاطك بحياطته قد، كنت منتظرا لبرك وصلتك... بها، وجئتك أمس، فلم تكلمنى، ورأيتك واجداً علىَّ، فأى شىء رأيت منى حتى أعتذر إليك منه.

فلما وردت الرقعة على عبد الله، فدعا بالدواة والقرطاس، وقال: يأتى هذا الرجل، وإلا تقشر له العظائم، ثم كتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم:

يا جاعل الدين له بازيًا ... يصطاد أموال المساكين
احتلت للدنيا ولذاتنا ... بحيلة تذهب بالدين
فصرت مجنوناً بها بعد ما ... كنت دواء للمجانين

أيـــن روايتـــك فـــى ســـــردها   عـــن ابـــن عـــون وابـــن ســـيرين
أيـــن روايـــاتك فـــى ســـــردها   لـــترك أبـــــواب الســـــلاطين
إن قلـــت: أُكْرِهْتُ فـــذا باطـل   ذل حمـــار العلم فـــــى الطين

فلما وقف ابن علية على هذه الأبيات قام من مجلس القضاء، [ودخل] على هارون، وقال: يا أمير المؤمنين، الله! الله! أرحم شيبتى، فإنى لا أصبر على القضاء. فقال له هارون: لعل هذا المجنون أغرى بقلبك.

فقال: الله! الله! أنقذنى أنقذنى، أنقذك الله، فأعفاه من القضاء، فلما اتصل ذلك بعبد الله بن المبارك وجَّه إليه بالصرة.

قلت: ابن علية اسمه إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم أبو بشر الأسدى من أهل البصرة وأصله من الكوفة روى عن أيوب وابن عون وغيرهما.

وفى رواية أخرى: يا جاعل العلم له بازياً...، وفيها زيادة أبيات منها:

يـــا حـــامل الديـــن علـــى كفـــه   كحمـــــل صيـــــاد لشـــــاهين
لا تبـــع الديـــن بدنيـــا كمـــا   يفعـــل ضـــلال الرهـــــابين

وفى رواية أخرى: أن ابن علية وَلِىَ صدقات البصرة، فكتب إليه ابن المبارك: ابْعَثْ إلىّ مَنْ قِبَلَكَ من الفقراء أستعين بهم، فكتب إليه هذه الأبيات.

وفى رواية أخرى أن شريك بن عبد الله النخعى استشار ابن المبارك فى القضاء فنهاه، فلما سافر ابن المبارك دخل شريك فى القضاء، وكتب إلى ابن المبارك يعتذر بأنه أُكْرِهَ، فكتب إليه هذه الأبيات.

* * *

الحكاية التاسعة عشر بعد المائتين

حكاية شاب أسرف على نفسه

حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم الفهرى عن أبيه أن فتى كان على عهد الحسن، وكان مفرطاً فى حق الله، فبينا هو كذلك فى تفريطه أخذه الله بالمرض أخذةً شديدةً، فلما آلمه الوجع نادى بصوتٍ منكسر محزون: إلهى وسيدى أقلنى عثرتى وأقمنى من صرعتى فأنى لا أعود ؛ فأقامه الله من صرعته فرجع فى أشد مما كان من الخطأ فبينا هو كذلك أخذه الله أخذة ثانية فقال: إلهى وسيدى اقمنى المرة من صرعتى لا أعود، فأقامه الله من صرعته فرجع إلى أشد ما كان من الخطأ، فبينا هو كذلك وقد غلب الجهل عليه أخذه الله أخذةً ثالثةً فبينا هو وقد اشتدت عليه قال بصوت ضعيف: إلهى وسيدى أقلنى

عثرتى وارحمنى من صرعتى فإنى لا أعود أبداً فأقامه الله من صرعته، فرجع شراً مما كان فبينا هو مارا فى بعض أيامه، وكان الحسن وأيوب السختيانى ومالك بن دينار وصالح المرى قد خرجوا يستقون، فنظر إليه الحسن وهو يضرب بأردانه وينظر إلى أعطافه، فقال: يا فتى، خَفِ الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فهو يراك. فقال: إليك عنى يا أبا سعيد، فأنا أحداث نريد أن ندق الدنيا دقًّا.

فقال الحسن: كأنكم والله بالموت قد نزل بساحة هذا الشاب، فيَرُضّه رَضًّا، فبينا الحسن فى مجلسه أقبل أخو الفتى إليه، فقال: يا أبا سعيد، إن الفتى الذى كنت تَعِظُه هو أخى، وقد وقع فى سكرات الموت وغُصَصِه، فقال الحسن لأصحابه: قوموا بنا حتى ننظر ما فعل الله به، فلما أقبل الحسن قرع الباب، فقالت أمه: مَنْ بالباب؟ فقال: الحسن.

فقالت: يا أبا سعيد مثلك أى شيء تعمل على باب ولدى، وولدى لم يترك ذنباً إلا ركبه ولا محرماً إلا انتهكه، فقال: استأذنى لنا عليه فإن ربنا عز وجل يقيل العثرات، فولّت إليه، فقالت: يا بنى، الحسن بالباب فقال: يا أماه أترى الحسن جاءنى عائداً أو مُوَبِّخاً، افتحى له الباب، ففتحت، فدخل الحسن، فلما نظر إليه يعالج سكرات الموت قال له: يا فتى استقل الله يقلك.

قال: يا أبا سعيد، إنه لا يفعل! قال: وتصف الله بالبخل، وهو الجواد الكريم. قال: يا أبا سعيد إنى عصيته فأمرضنى فاستقلته فأقالنى، وعوفيت فعصيته فأمرضنى، فاستقلته فأقالنى، وهذه الخامسة، فلما استقلته نادانى منادٍ من زاوية البيت أسمع الصوت ولا أرى الشخص: لا لبيك ولا سعديك قد جَرّبْنَاك مِرَاراً فوجدناك كَذّاباً.

فقال الحسن لأصحابه: قوموا بنا، فلما أن خرج الحسن قال الفتى لأمه: هذا الحسن قد يئسنى من سيدى، وسيدى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، يا أماه إذا رأيتنى وقد تَحَوّل السواد بياضاً، ورشح للموت جبينى، وغارت العينان واصفر البنان وانقطع البيان، فخذى المدرعة من تحت رأسى، وضعى خدى على الثرى، واستوهبينى من سيدى، فإن سيدى يقبل التوبة ويعفو، فلما نظرت إليه يعالج سكرات الموت أخذت المدرعة من تحت رأسه ووضعت خده على التراب، وشدت وسطها بحبل من ليف، ونشرت شعرها، ورفعت يديها نحو السماء، ثم نادت: إلهى وسيدى، أسألك بالرحمة التى رحمت بها يعقوب، فجمعت بينه وبين ولده، وأسألك بالرحمة التى رحمت بها أيوب، فكشفت عنه البلاء إلا رحمت ولدى، ووهبت له ذنبه، فلما مات الفتى سَمِعَتْ هاتفاً يهتف، ويقول: أيتها المرأة، إن الله رحم ولدك، ووهب له ذنبه، وسمع الحسن

هاتفاً يقول: يا أبا سعيد، إن الله تعالى قد رحم الفتى، وهو من أهل الجنة، فحضر الحسن وجميع أصحابه جنازته.

* * *

الحكاية العشرون بعد المائتين
بين سليمان بن حرب وبشر الحافى

عن سليمان بن حرب قال: مكثت شهراً أشتهى أن أرى بشر بن الحارث فلم يقدر أو كما قال. قال: فخرجت يوماً من منزلى إلى المسجد فإذا أنا برجل -أوقال: بشيخ - كثير الشعر طويل الشارب عليه أطمار حسنة -قال: مرقعة -معه جراب وجهه إلى الحائط فهو يدخل يده فى الجراب، فيخرج منه كِسَراً فيأكل فقلت له: أنت من الجند؟ قال: لا. قلت: فأنت خراسانى؟ قال: أنا آوى ببغداد. قلت: فما جاء بك إلى هاهنا؟ قال: جئت إليك لأسمع منك حديثاً فى الوقت. قلت: الاسم؟ قال: وما تصنع باسمى. قلت: أشتهى أعرف اسمك. فقال: أنا أبو نصر. قلت: الاسم أريد؟ قال: ليس أخبرك باسمى، وأن أخبرتك باسمى لم أسمع منك شيئاً. قلت: أخبرنى باسمك وإن شئت فاسمع، وإن شئت فلا تسمع. قال: أنا بشر بن الحارث. قلت: الحمد لله الذى لم يمتنى حتى رأيتك. أو كما قال: ووقفت عليه، فجعلت أبكى، ثم جلست بين يديه، فتحدثنا ساعة، ثم قلت له: يا أبا نصر، أردتَ أن تدخل بلداً أنا فيه، فلا تنزل عندى؟ فقال: ليس لى مقام إنما كنت بعبادان. فقلت: يا أبا نصر كتبى كلها بين يديك. قال: السلام عليك، وبكى وبكيت، ومضى.

* * *

الحكاية الحادية والعشرون بعد المائتين
حكاية أحمد بن عيسى مع كلاب الصيد

حدثنا يحيى بن المؤمل عن أستاذه أبى بكر الدقاق قال: سمعت أحمد بن عيسى الخراز يقول: كنت يوماً أمشى فى الصحراء، فإذا قريب من عشر كلاب من كلاب الرعاة قد شدوا علىَّ، فلما قربوا منى جعلت أستعمل المراقبة، فإذا كلب أبيض قد خرج من بينهم، وحمل على الكلاب، فطردهم عنى، ولم يفارقنى حتى تباعدت عن الكلاب، ثم التفت فلم أره، وكان لى مُعَلِّم يختلف إلى يعلمنى الخوف، فقال لى يوماً: إنى معلمك خوفاً يجمع لك كل شىء. قلت: ما هو؟ قال: مراقبة الله.

* * *

الحكاية الثانية والعشرون بعد المائتين

أبو سليمان الهاشمي يخطب رابعة العدوية

حدثنا النقاش قال: سمعت أبا خليفة يقول: كان أبو سليمان الهاشمى له بالبصرة كل يوم غلة ثمانين ألف درهم، فبعث إلى علماء البصرة يستشيرهم فى امرأة يتزوجها، فأجمعوا على رابعة، فكتب إليها: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد، فإن ملكى من غلة الدنيا كل يوم ثمانين ألف درهم وليس يمضى إلا قليل حتى أتمها مائة ألف إن شاء الله، وأنا أخطبك نفسك، وقد بذلت لك من الصداق مائة ألف، وأنا مُصَيِّر إليك من بعد أمثالها، فأجيبينى، فكتبت إليه: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإن الزهد فى الدنيا راحة القلب والبدن، والرغبة فيها تورث الهم والحزن، فإذا أتاك كتابى هذا فهَيِّئ زادك، وقدِّم لمعادك، وكن وَصِيَّ نفسك، ولا تجعل وصيك غيرك، وصُمْ دهرك، واجعل الموت فطرك، فما يسرنى أن الله عز وجل خَوَّلَنِي أضعاف ما خولك، فيشغلنى بك عنه طرفه عين والسلام.

* * *

الحكاية الثالثة والعشرون بعد المائتين

لقمة بلقمة

حدثنا سلام يعنى ابن مسكين قال: حدثنا ثابت أن امرأة كانت تأكل طعاماً، فأتاها سائل سأل، ولم يبق من طعامها غير لقمة، فلما رفعتها إلى فيها، فأدخلت بعضها فاها، فجاءها السائل، فأخرجت اللقمة من فيها، فأطعمتها السائل، فأتاها الأسد، وأخذ صبياً لها فذهب به، فإذا هى برجل قد أقبل إلى الأسد، فأخذ بلحييه، ففلقهما حتى استخرج الصبى من فيه، فسلّمه إلى أمه فقال لها: لقمة بلقمة.

وقد روى هذه الحكاية أحمد بن مروان المالكى فى كتاب المجالسة مرفوعة من حديث عكرمة عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال: «أتى سائل امرأة فى فمها لقمة فأخرجت اللقمة فناولتها السائل، فلم تلبث أن ولدت غلاماً فلما ترعرع، جاء ذئب، فاحتمله فخرجت تعدو فى أثر الذئب، تقول: ابنى ابنى، فأمر الله مَلِكًا: الحق الذئب، فخذ الصبى منه، وقل لأمه: إن الله يقرئك السلام، ويقول: هذه لقمة بلقمة»[1].

* * *

---

(١) الحديث ذكره السيوطى فى الجامع الصغير، وعزاه إلى ابن صصرى فى أماليه عن ابن عباس.

الحكاية الرابعة والعشرون بعد المائتين

حكاية جعفر بن يحيى مع رجل وجاريته

حدثنا على بن زيد كاتب العباس بن المأمون قال: حدثنى إسحاق بن إبراهيم الموصلى قال: حدثنى أبى قال: حج الرشيد ومعه جعفر بن يحيى البرمكى وكنت معهم فلما صرنا إلى مدينة الرسول قال لى جعفر بن يحيى: أحب أن تنظر لى جارية ولا تبقى غاية فى حذاقتها بالغناء والكمال وبالظروف والأدب قال: فأُرْشِدْتُ إلى جارية لرجل، فدخلت عليه، فرأيت رسوم النعمة، وأخرجها إلىَّ، فلم أر أجمل منهما، ولا أصبح منها، ولا آدب، ثم تَغَنَّتْ لى أصواتاً، فأجادتها، فقلت لصاحبها: قُلْ ما شئتَ.

قال: أقول لك قولاً لا أنقص منه. قلت: قل. قال: أربعين ألف دينار. قلت: قد أخذتها وأشرط عليك نظرةً. قال: ذلك لك، فأتيت جعفر بن يحيى. فقلت: قد أصبت حاجتك على غاية الكمال والظروف والأدب والجمال ونقاء اللون وجوده الغناء وقد اشترطت نظرة، فاحمل المال، وسِرْ بنا.

قال: فحملنا المال على حمالين، وجاء جعفر مستخفياً، فدخل على الرجل فأخرجها، فلما رآها جعفر أعجب بها، وعرف أن قد صدقته، ثم غَنَّتْ، فازداد عجباً، فقال لى: اقطع أمرها.

فقلت لمولاها: هذا المال قد وزناه ونفذناه، فإن قنعت وإلا فتوجَّه إلى من شئت لينقده، فقال: لا، أقنع بما قلتم. فقالت الجارية: يا مولاى فى أى شىء أنت؟ فقال: قد عرفتِ ما كنا فيه من النعمة، وما كنتُ فيه من انبساط اليد، وقد انقبضت عن ذلك لتغير الزمان علينا، فقدرت أن تصيرى إلى هذا الملك، فتنبسطى فى شهواتك وإرادتك.

فقالت الجارية: والله يا مولاى لو ملكت منك ما ملكت منى ما بعتك بالدنيا وما فيها، وبعد، فاذكر العهد، وقد كان حلف لها أن لا يأكل لها ثمناً.

قال: فتغرغرت عين المولى وقال: اشهدوا أنها حرة لوجه الله، وإنى قد تزوجتها وأمهرتها دارى. فقال لى جعفر: انهض بنا.

قال: فدعوت الحمالين ليحملوا المال، فقال جعفر: لا والله لا يصحبنا منه درهم، ثم أقبل على مولاها، فقال: هو لك مباركاً لك فيه، أَنْفِقْه عليها وعليك. قال: وقمنا، فخرجنا.

* * *

الحكاية الخامسة والعشرون بعد المائتين

حكاية حبيب العجمي مع الرجل الخراساني

حدثنا السرى بن يحيى قال: قدم البصرة رجل من أهل خراسان، وهم أن يسكن البصرة ومعه عشرة آلاف درهم، ثم هم بالخروج إلى الحج هو وامرأته فسأل لمن يودع العشرة آلاف درهم فقالوا: حبيب أبو محمد العجمى فأتى إليه فقال: إنى حاج وامرأتى، هذه العشرة ألف درهم أريد أن تشترى بها داراً بالبصرة، فشاور حبيب أصحابه أن يشترى بالعشرة ألف درهم دقيقاً ويتصدق به! فقالوا: إنما وضعها عندك لتشترى بها منزلاً، فقال: أتصدق بها وأشترى له من ربه منزلاً فى الجنة[1]، فإن رضى، وإلا دفعنا إليه دراهمه، فاشترى دقيقاً وخبزاً، وتصدق به، فلما أن قدم الخراسانى من مكة أتى حبيباً، فقال: يا أبا محمد أنا صاحب العشرة آلاف درهم، فلا أدرى اشتريت لنا بها منزلاً، أو تردها علىَّ فأشترى بها.

فقال: اشتريت لك منزلاً فيه قصور وأشجار وأثمار وأنهار، فانصرف الخراسانى إلى امرأته فقال: إن حبيباً إنما اشترى لنا من ربه المنزل فى الجنة، فقالت له: يا فلان، أرجو أن يكون الله قد وفّق حبيباً وما قدَّر لبثنا فى الدنيا، فارجع إليه، فليكتب لنا كتاباً بعهدة المنزل، فأتى الرجل إلى حبيب فقال له: يا أبا محمد قد قبلنا ما اشتريت لنا، فاكتب لنا كتاب عهده.

فقال: نعم، فدعى من يكتب، فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما اشترى حبيب أبو محمد من ربه عز وجل لفلان الخراسانى، اشترى له منزلاً فى الجنة بقصوره وأنهاره وأشجاره ووصائفه بعشرة آلاف درهم، فعلى ربه سبحانه أن يدفع هذا المنزل إلى فلان الخراسانى، ويبرئ حبيباً من عهدته،، فأخذ الخراسانى الكتاب، وانطلق به إلى امرأته، فأقام الخراسانى نحواً من أربعين يوماً، ثم حضرته الوفاة، فأوصى امرأته: إذا غسلونى وكفّنونى، فادفعِى هذا الكتاب إليهم يجعلوه فى أكفانى، ففعلوه ودفن الرجل، فوجدوا على ظهر قبره رقًا فيه مكتوب كتاب أسود فى صورة الرق براءة لحبيب العجمى أبى محمد من المنزل الذى اشتراه لفلان، وقد دفع الله إلى الخراسانى ما شرط له حبيب، فأتى حبيب بالكتاب، فجعل يقرأه ويُقبّله، ويبكى، ويمشى إلى أصحابه، ويقول: هذه براءتى من ربى عز وجل.

قلت: ومن المحتمل أن يكون هذا المودع قد قال لحبيب: تَصَرَّفْ فى المال كيف

---

(١) هذا الكلام يخالف الشرع والدين، وفي فعله هذا تضييع للأمانة، والشرع يلزمه برد المبلغ الذى ائتمن عليه.

شئت حتى استخار الصدقة، وقد روى نحو هذه الحكاية عن مالك بن دينار، وأنا أذكرها فى عقيب هذه.

* * *

الحكاية السادسة والعشرون بعد المائتين

حكاية مالك بن دينار مع شاب يبني قصرًا

حدثنا جعفر بن سليمان قال: مررت أنا ومالك بن دينار بالبصرة فبينا نحن ندور فيها مررنا بقصر يُعَمَّر، وإذا شاب جالس ما رأيت أحسن وجهاً منه، وإذا هو يأمر ببناء القصر، ويقول: افعلوا وامنعوا، فقال لى مالك: ما ترى هذا الشاب؟ وإلى حسن وجهه وحرصه على هذا البناء! ما أحوجنى إلى أن أسأل ربى يُخَلِّصُه، فلعله يجعله فى شباب الجنة.

يا جعفر ادخل إليه. قال جعفر: فدخلنا، فسلمنا، فرد السلام، ولم يعرف مالكاً، فلما عرَّفوه إياه قام إليه، فقال: حاجة؟ قال: كم نويت أن تنفق على هذا القصر؟ قال: مائة ألف درهم. قال: ألا تعطينى هذا المال، فأضعه فى حقه، وأضمن لك على الله تبارك وتعالى! قصراً خيراً من هذا القصر بولدانه وخدمه وقبابه وخيمه من ياقوتة حمراء مرصع بالجواهر ترابه الزعفران وبلاطه المسك أفيح من قصرك هذا، لا يخرب لم يمسه يدان، ولم يبنه بناء ، قال له الجليل: كُنْ، فكان.

قال: أجلنى الليلة، وبَكِّرْ علىَّ غداً. قال جعفر: فبات مالك وهو يفكر فى الشاب، فلما كان فى وقت السحر دعا وأكثر من الدعاء، فلما أصبحنا غدونا، فإذا بالشاب جالس، فلما عاين مالكاً هش إليه، ثم قال: ما تقول فيما قلت بالأمس؟ قال: نعم. فأحضر البدر ودعا بدواة وقرطاس، ثم كتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما ضمن مالك بن دينار لفلان بن فلان، إنى ضمنت لك على الله قصراً بدل قصرك بصفته كما وصفت لك، والزيادة على الله، واشتريت لك بهذا المال قصراً فى الجنة أفيح من ظل ظليل بقرب العزيز الجليل، ثم طوى الكتاب، ودفعه إلى الشاب، وحملنا المال، فما أمسى مالك، وقد بقى عنده مقدار قوت ليلة، فما أتى على الشاب أربعين يوماً حتى صلَّى مالك ذات يوم الغداة، فلما انفتل، فإذا بالباب فى المحراب موضوع، فأخذه مالك، فنشره، فإذا فى ظهره مكتوب بلا مداد: هذه براءة من الله العزيز الحكيم لمالك بن دينار، إنا وفينا الشاب القصر الذى ضمنت له وزيادة مثله سبعين ضعفاً.

قال: فبقى مالك متعجباً، وأخذ الكتاب، فقمنا، فذهبنا إلى منزل الشاب، فأقبلنا فإذا الباب مُسَوَّد، والبكاء فى الدار، فقلنا: ما فعل الشاب؟ قالوا: مات بالأمس، فأحضرنا

الغاسل، فقلنا: أنت غسلته؟ قال: نعم. قال مالك: فحدثنا كيف صنعت؟ قال: قال لى قبل الموت: إذا أنا مت وكفنتنى فاجعل هذا الكتاب بين بدنى وكفنى، فإنى أطالب مالك غداً بما ضمن لى بين يد ربى، فجعلت الكتاب بين كفنه وبدنه، ودفنته معه، فأخرج مالك الكتاب. فقال الغاسل: هذا الكتاب بعينه، والذى قبضه، لقد جعلته بين كفنه وبدنه بيدى! قال: فكثر البكاء، فقام شاب، فقال: يا مالك خذ منى مائتى ألف درهم، واضمن لى مثل هذا، فقال: هيهات! قد كان ما كان، وفات ما فات، والله يحكم ما يريد فى خلقه، فكلما ذكر مالك الشاب يبكى، ويدعو له.

* * *

الحكاية السابعة والعشرون بعد المائتين

حكاية شاب صالح

حدثنا محمد بن داود قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن يحيى الجلاء قال: سمعت أبى يقول: كنت عند معروف فى مجلسه، فدخل عليه رجل فقال: يا أبا محفوظ رأيت فى هذه الليلة. قال: وما رأيت رحمك الله؟ قال: اشتهى علىَّ أهلى سمكاً، فذهبت إلى السوق، فاشتريت لهم سمكة، وحملتها مع حَمَّال، فمشى معى، فلما سمعنا أذان الظهر قال الحمال: يا عَمِّ هل لك أن نصلى، فكأنه أيقظنى من غفلة. فقلت: نعم، نصلى، فوضع الطبق والسمكة على مستراح، ودخل إلى المسجد، فقلت فى نفسى: الغلام قد جاد بالطبق، أجود أنا بالسمكة. فلم يزل يركع إلى أن أقيمت الصلاة، فصلينا جماعة، وركع بعد الصلاة، وخرجنا فإذا الطبق على حالة موضوع، فجئت إلى البيت، وحدثت أهلى بهذا، فقالوا لى: قُلْ له: يأكل معنا من هذا السمك؟ قلت له: تأكل معنا من هذا السمك؟ فقال: أنا صائم.

فقلت له: فأفطر عندنا. فقال: نعم، أرونى طريق المسجد، فأريته، فدخل المسجد، وجلس إلى أن صلينا المغرب، فجئت إليه، فقلت له: تقوم رحمك الله! فقال: أو نصلى عشاء الآخرة، فقلت فى نفسى: هذه ثانية – يريد أن فيه خيرًا– فلما صلينا جئت به إلى منزلى، ولنا ثلاثة أبيات: بيت فيه أنا وأهلى، وبيت فيه صبية مقعدة وُلِدَتْ كذلك لها فوق العشرين سنة، وبيت كان فيه ضيفنا.

فبينا أنا مع أهلى إذ دق داق الباب فى آخر الليل، فقلت: مَنْ يدق؟ فقالت: أنا فلانة؟ فقلت: فلانة قطعة لحم مطروحة فى البيت، كيف تمشى؟ فقالت: أنا هى، افتحوا، ففتحنا لها، فإذا هى.

فقلت: أَيْش الخبر؟ فقالت: سمعتكم تذكرون ضيفنا هذا بخير، فوقع فى نفسى أن

أتوسل إلى الله عز وجل به، وقلت: اللهم بحق ضيفنا هذا وبجاهه عندك[1] إلا أطلقت أسرى، فاستويت وقمت فى عافية، كما ترون، فقمت إليه أطلبه فى البيت، فإذا البيت خالٍ ليس فيه أحد، فجئت إلى الباب، فوجدته مغلقاً بحاله، فقال لى معروف: نعم، فيهم صغارٌ وكبار -يعنى الأولياء-.

* * *

الحكاية الثامنة والعشرون بعد المائتين

عاقبة نظرة حرام

حدثنا أبو عمرو بن علوان قال: خرجت يوماً إلى سوق الرحبة فى حاجة، فرأيت جنازة، فتبعتها لأصلى عليها، ووقفت فى جملة الناس حتى يدفن الميت، فوقعت عينى على امرأة مسفرة عن غير تعمد، فلحجت بالنظر، واسترجعت واستغفرت الله، وعدت إلى منزلى، فقالت لى عجوز لى: يا سيدى ما لى أرى وجهك أسود؟ فأخذت المرآة، فإذا وجهى أسود، فرجعت إلى سِرِّى أنظر مِنْ أينِ ذهبت؟ فذكرت النظرة، فانفردت فى موضع أستغفر الله، وأسأله الإقالة أربعين يوماً، فخطر فى قلبى: أن زُرْ شيخك الجنيد، فانحدرت إلى بغداد، فلما جئت الحجرة التى هو فيها، طرقت الباب فقال لى: ادخل يا أبا عمرو، تذنب بالرحبة، ونستغفر لك ببغداد!.

* * *

الحكاية التاسعة والعشرون بعد المائتين

حكاية أبيات شعر لأبي نواس

عن محمد بن نافع قال: كان أبو نواس لى صديقاً، فوقعت بينى وبينه هجرة فى آخر عمره، ثم بلغتنى وفاته، فتضاعف علىَّ الحزن، فبينا أنا بين النائم واليقظان إذا أنا به، فقلت: أبو نواس؟ قال: لاتَ حِينَ كُنْيَة. قلت: الحسن بن هانئ؟ قال: نعم. قلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لى بأبيات قلتها تحت بنى الوسادة، فأتيت أهله، فلما أحسوا بى، أجشهوا بالبكاء، فقلت لهم: هل قال أخى شعراً قبل موته؟ قالوا: لا نعلم إلا أنه دعا بدواة وقرطاس، وكتب شيئاً لا ندرى ما هو، قلت: ائذنوا لى، فدخلت إلى مرقده، فإذا بيابه لم يحرك بعد، فرفعت وسادة، فلم أر شيئاً، ثم رفعت أخرى، فإذا أنا برقعة فيها مكتوب:

---

(١) هذا الكلام مخالف للعقيدة الصحيحة، ولا يجوز التوسل بحق أو جاه أشخاص من الناس – مهما كانوا-، وأذكر القارئ بأن كثيرًا من هذه الحكايات المخالفة للشرع لم تحدث، وإنما ألَّفها جماعة من القصاص والصوفية، بغرض الترويج لبضاعتهم.

يا رب إن عظمت ذنوبى كثرة ... فلقد علمت بأن عفوك أعظم

إن كان لا يرجوك إلا محسن ... فمن الذى يدعو ويرجو المجرم

أدعوك رب كما أمرت تضرعاً ... فإذا رددت يدى فمن ذا يرحم

ما لى إليك وسيلة إلا الرجا ... وجميل عفوك ثم إنى مسلم

* * *

الحكاية الثلاثون بعد المائتين

وكيع وابن إدريس يرفضان منصب القضاء

حدثنا حماد بن المؤمل أبو جعفر الضرير الكلبى قال: حدثنى شيخ على باب بعض المحدثين قال: سألت وكيعاً عن مقدمه هو وابن إدريس وحفص على الرشيد، فقال لى: ما سألنى عن هذا أحد قبلك، قدمنا على هارون أنا وعبد الله بن إدريس وحفص بن غياث فأقعدنا بين السريرين، وكان أول من دُعِيَ أنا، فقال لى هارون: يا وكيع، فقلت: لبيك يا أمير المؤمنين، فقال: إن أهل بلدك طلبوا منى قاضياً، وسمُّوك لى فيمن سمُّوا، وقد رأيت أن أشركك فى أمانتى وصالح ما أدخل فيه من أمر هذه الأمة، فخُذْ عهدك، وامْضِ.

فقلت: يا أمير المؤمنين، أنا شيخ كبير، وإحدى عينى ذاهبة، والأخرى ضعيفة، فقال هارون: اللهم عفواً! خُذْ عهدك أيها الرجل وامْضِ، فقلت: يا أمير المؤمنين، والله لئن كنتُ صادقاً إنه لينبغى أن تقبل منى، ولئن كنتُ كَاذباً فما ينبغى أن تولى القضاء كَذّاباً، فقال: اخرج، فخرجت، ودخل ابن إدريس، وكان هارون قد وُسِمَ له من ابن إدريس وسم - يعنى خشونة جانبه - فدخل، فسمعنا صوت ركبتيه على الأرض حين برك، وما سمعناه يُسَلِّمُ إلا سلاماً خفياً، فقال له هارون: أتدرى لِمَ دعوتك؟ قال: لا.

قال: إن أهل بلدك طلبوا منى قاضياً، وإنهم سمُّوك لى فيمن سمُّوا، فقد رأيت أن أشركك فى أمانتى، وأُدْخِلَك فى صالح ما أدخل فيه من أمر هذه الأمة، فخُذْ عهدك، وامْضِ.

فقال له ابن إدريس: ليس أَصْلُح للقضاء، فنكث هارون بإصبعه، وقال: إنى وددت أنى لم أكن رأيتك. قال له ابن إدريس: وأنا وددت أنى لم أكن رأيتك، فخرج.

ثم دخل حفص بن غياث، فقال له كما قال لنا، فقَبِلَ عهده وخرج، فأتانا خادم معه ثلاثة أكياس: فى كل كيس خمسة آلاف، فقال: إن أمير المؤمنين يقرئكم السلام، ويقول: قد لزمتكم فى شخوصكم مؤنة، فاستعينوا بهذه فى سفركم.

قال وكيع: فقلت له: أقرأ أمير المؤمنين السلام، وقل له: قد وقعت منى بحيث يحب أمير المؤمنين، وأنا عنها مُستغنٍ وفى رَعَيَّة أمير المؤمنين من هو أحوج إليها منى، فإن رأى أمير المؤمنين أن يصرفها إلى من أحب، وأما ابن إدريس، فصاح به، وقال: مُرَّ مِنْ هاهنا، وقَبِلَهَا حفص،فخرجت الرقعة إلى ابن إدريس من بيننا: عافانا الله وإياك، سألناك أن تدخل فى أعمالنا، فلم تفعل، ووصلناك من أموالنا، فلم تقبل، فإذا جاءك ابنى المأمون، فحَدِّثْه إن شاء الله.

فقال للرسول: إذا جاءنا مع الجماعة حَدَّثْنَاه إن شاء الله، ثم مضينا، فلما صرنا إلى الباسرية حضرت الصلاة، فنزلنا نتوضأ، قال وكيع: فنظرت إلى شُرْطى محموم نائم عليه سواد، فطرحت كسائى عليه، وقلت: يُدْفَأ إلى أن أتوضأ، فجاء ابن إدريس، فاستلبه، ثم قال لى: رحمته لا رحمة الله!، فى الدنيا أحد يرحم مثل هذا؟ ثم التفت إلى حفص، وقال له: يا حفص، قد علمت حين خضبتَ لحيتك، ودخلت الحمام إنك ستلى القضاء، والله لا كَلَّمْتُك حتى تموت، فما كَلَّمَه حتى مات.

* * *

الحكاية الحادية والثلاثون بعد المائتين

بين القاضى وزوجة الخليفة

حدثنا يحيى بن الليث قال: باع رجل من أهل خراسان جمالاً بثلاثين ألف درهم من مرزبان المجوسى وكيل أم جعفر، فماطله بثمنها، وحبسه، فطال ذلك على الرجل، وأتى مرزبان، فأعطاه ألف درهم، فرجع إلى الرجل، فأخبره، فقال: عُدْ إليه، فقل له: إذا ركبتَ غداً فطريقك على القاضى تحضر، وأُوَكِّل رجلاً يقبض المال، وأخرج، فإذا جلس القاضى، فادَّعِ عليه بما بقى لك من المال، فإذا أَقَرَّ حبسه حفص، وأخذت مالك.

فرجع إلى مرزبان، فسأله فقال: انتظر فى باب القاضى، فلما ركب من الغد وثب إليه الرجل، فقال: إن رأيتَ أن تنزل إلى القاضى حتى أُوَكِّلَ بقبض المال وأخرج، فنزل مرزبان، فتقدما إلى حفص بن غياث، فقال الرجل: أصلح الله القاضى، لى على هذا الرجل تسعة وعشرون ألف درهم. فقال حفص: ما تقول يا مجوسى. قال: صَدَقَ أصلح الله القاضى. قال: ما تقول يا رجل فقد أَقَرَّ لك. قال: يعطينى ما لى، أصلح الله القاضى!، فأقبل حفص على المجوسى، فقال: ما تقول؟ قال: هذا المال على السيدة.

قال: أنت أحمق، تُقِرُّ، ثم تقول: على السيدة، ما تقول يا رجل؟ قال: أصلح الله القاضى، إن أعطانى مالى، وإلا حَبِسْتَه.

قال حفص: ما تقول يا مجوسى. قال: المال على السيدة. قال حفص: خُذُوا بيده إلى الحبس، فلما حُبِسَ بلغ أم جعفر الخبر، فغضبت وبعثت إلى السندى: وجِّهْ بمرزبان، وكانت القضاة تَحْبِسُ الغرماء فى الحبس، فعجل السندى، فأخرجه، وبلغ حَفْصًا الخبر، فقال: أَحْبِس أنا، ويُخرِج السندى، لأجلست مجلسى هذا أو يُرَد مرزبان إلى الحبس، فجاء السندى إلى أم جعفر، فقال: الله! الله فىَّ!، إنه حفص بن غياث، وأخاف من أمير المؤمنين أن يقول لى: بأمر مَنْ أخرجته، رُدِّيه إلى الحبس. فقالت أم جعفر لهارون: قاضيك هذا أحمق، حبس وكيلى، واستخف به، فمُرْه لا ينظر فى الحكم، وتولَّ أمره إلى أبى يوسف، فأمر لها بالكتاب، وبلغ حفص الخبر، فقال: أَحْضِرْ لى شهوداً حتى أُسَجِّل لك على المجوسى بالمال، فجلس حفص، فسجَّل على المجوسى، وورد كتاب أمير المؤمنين مع خادم له، فقال: هذا كتاب أمير المؤمنين.

قال: مكانك، نحن فى شىء حتى نفرغ منه، فقال: كتاب أمير المؤمنين. قال: انظر ما يقال لك. فلما فرغ حفص من السجل أخذ الكتاب من الخادم، فقرأه، فقال له: اقرأ على أمير المؤمنين السلام، وأخبره أن كتابه ورد، وقد أنفذت الحكم.

فقال الخادم: قد والله عرفتَ ما صنعت، أَبَيْتَ أن تأخذ كتاب أمير المؤمنين بما فعلت، فقال حفص: قُلْ له ما أحببت، فجاء الخادم، فأخبر هارون، فضحك، وقال للحاجب: مَنْ لحفص بن غياث بثلاثين ألف درهم.

فركب يحيى بن خالد، فاستقبل حفصًا منصرفًا من مجلس القضاء، فقال: أيها القاضى، قد سررت أمير المؤمنين اليوم، وأمر لك بثلاثين ألف درهم، فما كان السبب فى هذا؟ قال: تَمَّمَ الله سرور أمير المؤمنين، وأحسن حفظه وكلائته، ما زدت على ما أفعل كل يوم.

قال: علىَّ ذاك؟! قال: ما أعلم إلا أن يكون سجلت على مرزبان المجوسى بمال وجب عليه. فقال يحيى بن خالد: فمن هذا سُرَّ أمير المؤمنين. فقال حفص: الحمد لله كثيراً، فقالت أم جعفر لهارون: لا أنا ولا أنت إلا أن تعزل حفصاً، فأبى عليها، ثم ألحت عليه، فعزله عن الشرقية، وولاه القضاء على الكوفة، فمكث عليها ثلاث عشرة سنة، وكان أبو يوسف لَمَّا وَلِىَ حفص قال لأصحابه: تعالوا نكتب نوادر حفص، فلما وردت أحكامه وقضاياه على أبى يوسف قال له أصحابه: أين النوادر التى زعمتَ تكتبها؟ فقال: ويحكم إن حفصاً أراد الله، فوفّقه.

* * *

الحكاية الثانية والثلاثون بعد المائتين

حكاية الحارث والجنيد

أخبرنا جعفر الخلدى في كتابه قال: سمعت الجنيد بن محمد يقول: كان الحارث كثير الضُّرِّ، واجتاز بى يوماً وأنا جالس على بابنا، فرأيت على وجهه زيادة الضر من الجوع، فقلت: يا عم، لو دخلت إلينا نلت من شيء عندنا، وعمدت إلى بيت عمى، وكان أوسع من بيتنا لا يخلو من أطعمة فاخرة لا يكون مثلها فى بيتنا سريعاً، فجئت بأنواع كثيرة من الطعام، فوضعته بين يديه، فمد يده، فأخذ لقمة، فرفعها إلى فيه، فرأيته يلوكها ولا يزدردها، فوثب وخرج وما كلّمنى، فلما كان الغد لقيته فقلت: يا عم سررتنى، ثم نغّصت علىَّ؟

قال: يا بنى، أما الفاقة فكانت شديدة، وقد اجتهدت فى أن أنال من الطعام الذى قدَّمته إلىَّ، ولكن بينى وبين الله تعالى علامة إذا لم يكن الطعام مُرْضِياً ارتفع إلى أنفى منه زفورة، فلم تقبله نفسى، فقد رميت بتلك اللقمة فى دهليزكم، وخرجت.

* * *

الحكاية الثالثة والثلاثون بعد المائتين

حبيب بن صهبان ومشهد من القادسية

حدثنا حفص بن غياث عن الأعمش عن حبيب بن صبهان قال: شهدت القادسية. قال: فانهزموا حتى أتوا المدائن. قال: وتبعناهم. قال: فانتهينا إلى دجلةٍ، وقد قطعوا الجسر، وذهبوا بالسفن، فانتهينا إليها، وهى تطفح، فأقحم رجل منا فرسه، وقرأ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ كِتَابًا مُؤَجَّلاً﴾[1] قال: فعبر، ثم تبعه الناس أجمعون، فعبروا، فما فقدوا عِقالاً، ما خلا رجل منهم انقطع قَدَحًا كان مُعَلَّقًا بسرجه، فرأيته يدور فى الماء.

قال: فلما رأونا انهزموا من غير قتالٍ، فبلغ سهم الرجل منا ثلاث عشرة دابة، وأصابوا من الجامات الذهب والفضة.

قال: فكان الرجل منا يعرض الصحفة يبدلها بصحفة من فضة يعجبه بياضها، فيقول: مَنْ يأخذ صفراء ببيضاء[2].

* * *

---

(١) سورة آل عمران، الآية رقم: ١٤٥.

(٢) قال ابن الجوزى في نهاية القصة: حبيب بن صهبان شهد فتح المدائن وروى عن عمار بن ياسر.

الحكاية الرابعة والثلاثون بعد المائتين

حكاية شاب عفيف

أخبرنا أحمد بن سعيد بن العابد عن أبيه قال: كان عندنا بالكوفة شاب يتعبد لازم المسجد الجامع، وكان حسن الوجه حسن الصمت، فنَظَرَتْ إليه امرأة ذات جمالٍ وعقل، فشغفت به وطال عليها ذلك، فلما كان ذات يوم وقفت له على طريقه، وهوَ يريد المسجد، فقالت له: يا فتى، اسمع منى كلمات أكلمك بها، ثم أعمل ما شئت، فمضى ولم يكلمها، ثم وقفت له بعد ذلك على طريقه وهو يريد منزله، فقالت له: يا فتى اسمع منى كلمات أكلمك بها، فأطرق مَلِيًّا، وقال لها: هذا موقف تهمةٍ، وأنا أكره أن أكون للتهمة موضعاً.

فقالت له: والله ما وقفت موقفى هذا جهالة منى بأمرك، ولكن معاذ الله أن تشرف العُبَّاد إلى مثل هذا منى، والذى حملنى على أن لقيتك فى هذا الأمر بنفسى لمعرفتى أن القليل من هذا عند الناس كثير، وأنتم معشر العباد فى مثال القوارير أدنى شىء يعيبه، وجملة ما أكلمك به أن جوارحى كلها مشغولة بك،، فالله الله فى أمرى وأمرك.

قال: فمضى الشاب إلى منزله، فأراد أن يصلى، فلم يعقل كيف يصلى، وأخذ قرطاساً، وكتب كتاباً، ثم خرج من منزله، فإذا بالمرأة، واقفة فى موضعها، فألقى إليها الكتاب، ورجع إلى منزله، وكان فى الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم، اعلمى أيتها المرأة أن الله تبارك وتعالى إذا عُصِىَ حَلُمَ، فإذا عاود العبد المعصية ستره، فإذا لبس لها ملابسها غضب الله عز وجل لنفسه غضبة تضيق منها السماوات والأرضين والجبال والشجر والدواب، فمن ذا يطيق غضبه، فإن كان ما ذكرتِ باطلاً، فإنى أذكرك يوماً ما تكون فيها السماء كالمهل، وتصير الجبال كالعهن، وتجثوا الأمم لصولة الجبار العظيم، وإني والله قد ضعفت عن إصلاح نفسى، فكيف بإصلاح غيرى. وإن كان ما ذكرتِ حقاً، فإنى أدلك على طبيب هو أولى بالكلوم الممرضة والأوجاع المرمضة، ذلك الله رب العالمين، فاقصديه على صدق المسألة، فإنى متشاغل عنكِ بقوله عز وجل: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الأَزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلاَ شَفِيعٍ يُطَاعُ. يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى الصُّدُورُ﴾[١] فأين المهرب من هذه الآية؟

ثم جاءت بعد ذلك بأيام، فوقفت له على طريقه، فلما رآها من بعيد أراد الرجوع إلى منزله لئلا يراها، فقالت: يا فتي، لا ترجع، فلا كان الملتقى بعد هذا أبداً إلا بين يدى الله عز وجل، وبكت بكاءً شديداً، ثم قالت: أسأل الله عز وجل الذى بيده مفاتيح

---

(١) سورة غافر، الآيتان رقم: ١٨، ١٩.

قلبك أن يُسَهِّل ما قد عَسُرَ من أمرك، ثم تبعته، فقالت: امْنُنْ عليَّ بموعظة أحملها عنك، وأوصنى بوصية أعمل عليها.

فقال لها الفتى: أوصيك بحفظ نفسك من نفسك، وأُذَكِّرُك قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ﴾[(١)].

قال: فأطرقت، وبكت بكاءً شديداً أشد من بكاءها الأول، ثم أفاقت، ثم لزمت بيتها، وأخذت في العبادة، فكانت إذا جهدها الأمر تدعو بكتابه، فتضعه على عينيها، فيقال لها: وهل يُغْنِي هذا شيئاً؟ فتقول: وهل لى دواء غيره، وكانت إذا جن الليل قامت إلى محرابها، فلم تزل على ذلك حتى ماتت كمداً.

فكان الفتى يذكرها، ثم يبكى عليها، فيقال له: مِمَّنْ بكاؤك؟ وأنت قد أنشبتها؟ فيقول: إنى ربحتُ طمعها منى فى أول أمرها، وجعلت قطعها ذخيرة لى عند الله عز وجل، وإنى لأستحيى من الله عز وجل أن أسترد ذخيرة ادَّخَرْتها عنده.

قلت: وفى غير هذه الرواية: إن هذه المرأة ابتليت ببلية فى جسمها، فكان الطبيب يقطع من لحمها أرطالاً، فإذا أراد أن يقطع حدَّثها بحديث الفتى، فلا تجد لقطع لحمها ألماً، ولا تتأوَّه، وإذا سكتَ تأوهت، فلم تزل كذلك حتى ماتت!.

* * *

الحكاية الخامسة والثلاثون بعد المائتين
من قصص الإيثار بين الإخوان

حدثنا أبو عيسى محمد بن إبراهيم القرشى، قال: سمعت أبا جعفر محمد بن عبد الرحمن الصيرفى يقول: بعث إلىَّ الحكم بن موسى فى أيام عيد أنه يحتاج إلى نفقة، ولم يك عندى إلا ثلاثة آلاف درهم، فوجهت إليه بها، فلما صارت فى قبضته وجَّه إليه خلاد بن أسلم أنه يحتاج إلى نفقة، فوجَّه بها كلها إليه، واحتجتُ أنا إلى نفقة، فوجَّهت إلى خلاد: أنى أحتاج إلى نفقة، فوجّه بها كلها إلىَّ، فلما رأيتها مصرورة فى خِرْقَتِها وهى الدراهم بعينها أنكرت ذلك، فبعثت إلى خلاد: حدثنى بقصة هذه الدراهم، فأخبرنى أن الحكم بن موسى بعث بها إليه، فوجَّهت إلى الحكم منها بألف، ووجَّهت إلى خلاد بألف، وأخذت أنا منها ألفاً.

* * *

(١) سورة الأنعام، الآية رقم: ٦.

الحكاية السادسة والثلاثون بعد المائتين

من حكايات أبي طالب الصوفي

عن أحمد بن محمد الصوفى قال أبو عبد الله بن خفيف: دخل أبو طالب خزرج بن على سيراز فاعتل علة، فكنت أخدمه، وأُقَدِّم إليه الطشت فى الليل مراراً، وكنت فى ذلك الوقت فى حال الرياضة، فكنت لا أفطر إلا على الباقلاء اليابس، فسمع أبو طالب كَسْرِى للباقلاء بأسنانى، فقال: ما هذا؟ فعرَّفته حالى، فبكى وقال: الْزَمْ هذا يا أبا عبد الله، فإنى كنت كذلك حتى حضرت ليلة مع أصحابنا فى دعوة ببغداد، فُقدِّم إلينا جمل مشوى، فأمسكت يدى، فقال لى بعض أصحابنا: كُلْ بلا لبث، فأكلت لقمة، وأنا منذ أربعين سنة إلى خلف.

قال ابن خفيف: ثم تماثل، وخرج إلى بعض النواحى، وجلس فى رباط وسَوَّدَ داخل الرباط وخارجه، وقال: هكذا جلوس أهل المصائب، فما خرج منه حتى مات رحمه الله.

* * *

الحكاية السابعة والثلاثون بعد المائتين

حكاية عجيبة لخير النساج

أخبرنا جعفر الخلدى فى كتابه قال: سألت خيرًا النساج أكان النسيج حرفتك؟ قال: لا. قلت: فمن أين سُمِّيت به؟ قال: كنت عاهدت الله تعالى أن لا آكل الرطب أبداً، فغلبتنى نفسى يوماً، فأخذت نصف رطل، فلما أكلت واحدة إذا رجل نظر إلىَّ، وقال: خير، يا آبق هربت منى، وكان له غلام هرب اسمه خير، فوقع على شَبَهُهُ وصورته، واجتمع الناس، فقالوا: والله غلامك خير، وبقيتُ متحيراً، وعَلِمْتُ بما أُخِذْت، وعرفت جنايتى، فحملنى إلى حانوته الذى ينسج فيه غلمانه، فقالوا: يا عبد السوء تهرب من مولاك، ادخل فاعمل عملك الذى كنت تعمل، وأمرنى بنسج الكرباس، فدليت رجلى على أن أعمل، وأخذت بيدى إليه، فكأنى كنت أعمل معه سنين.

فبقيت معه أشهراً أنسج له، فقمت ليلة، فتمسحت، وقمت إلى صلاة الغداة، فسجدت، وقلت فى سجودى: إلهى! لا أعود إلى ما فعلت، فأصبحت، وإذا الشَّبَهُ قد ذهب عنى، وعُدْتُ إلى صورتى التى كنت عليها، فأُطْلِقْتُ، فثَبَتَ علىَّ هذا الاسم، فكان سبب النسج إيتائى شهوةً عاهدت الله أن لا آكلها، فعاقبنى الله بما سمعت.

وكان يقول: لا نسب أشرف من نسب من خلقه الله بيده، فلم يعصمه، ولا علم

أرفع من علم علّمه الله الأسماء كلها، فلم ينفعه فى وقت جريان القضاء عليه.

* * *

الحكاية الثامنة والثلاثون بعد المائتين

حكاية أبي بكر المصرى مع رجل فى الصحراء

حدثنا محمد بن داود الدينورى قال: سمعت أبا بكر المصرى يقول: خرجت من عسوية أريد الرملة، فبينا أنا أمشى إذا أنا بفقير يمشى حافى القدمين حاسر الرأس، وعليه خرقتان متزر بإحداهما مرتد بالأخرى ليس معه زاد ولا ركوة فقلت فى نفسى: لو كان مع هذا ركوة وحبل، فإذا ورد الماء توضأ وصلى، أما كان خيراً له، فلحقت به، وقد اشتدت الهاجرة، فقلت: يا فتى، لو أن هذه الخرقة التى على كتفك جعلتها على رأسك تتوقى بها الشمس كان خيراً لك، فسَكَتَ، ومشى، فلما كان بعد ساعة قلت له: أنت حافٍ، أى شيء ترى فى نعل تلبسها ساعة، وألبسها أنا ساعة؟ فقال: أراك شيخاً كثير الفضول، ألم تكتب الحديث؟ قلت: بلى. قال: فلم تكتب عن النبى ﷺ أن «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[1] فسكت ومشى، فانقطع بى الماء، وعطشت وأنا على ساحل البحر، فالتفت إلىَّ، فقال: أنت عطشان؟ فقلت: لا. فمشى ساعة وقد كظنى[2] العطش، ثم التفت إلىَّ، فقال: أنت عطشان؟ فقلت: نعم، ما تقدر أن تعمل فى هذا الموضع، فأخذ الركوة منى، ودخل البحر، وغرف الماء، وجاءنى به، وقال: اشرب فشربت ماء أعذب من ماء النيل، وأصفى لوناً، وفيه حشيش فقلت فى نفسى: هذا ولى لله، ولكنى أَدَعُه حتى إذا وفينا المنزل سألته الصحبة، فوقف، وقال: أيما أحب إليك تمشى أو أمشى فقلت: إن تقدَّم فاتنى، ولكنى أتقدم أنا، وأجلس فى بعض المواضع، فإذا جاء سألته الصحبة، فقال: يا أبا بكر، إن شئت فتقدَّم وأجلس، وإن شئت فإنك لا تصحبنى، ومضى وتركنى، فدخل المنزل، وكان لى بها صديق، وعندهم عليل، فقلت لهم: رشوا عليه من هذا الماء، فرشوا عليه فَبَرِئ، وسألتهم عن الشخص، فقالوا: ما رأيناه.

* * *

الحكاية التاسعة والثلاثون بعد المائتين

حكاية الأعرابي مع الحَجَّاج

حدثنا عبد الوهاب عن سعيد بن أبى عروة قال: حج الحَجَّاج فنزل بعض المياه بين

---

(١) رواه الترمذى وابن ماجة عن أبي هريرة.

(٢) كربه وجهده.

مكة والمدينة ودعا بالغداء فقال لحاجبه: انظر مَنْ يتغدى معى واسأله عن بعض الأمر، فنظر نحو الجبل فإذا هو بأعرابى بين شملتين من شعرٍ نائم، فضربه برجله، وقال: ائْتِ الأمير، فأتاه فقال له، الحجاج: اغسل يدك وتَغَدَّ معى، فقال: إنه قد دعانى من هو خير منك فأجبته!.

قال: مَنْ هو؟ قال: الله تبارك وتعالى دعانى إلى الصوم فأجبته، فصمت.

فقال: فى الحرِ الشديد؟ قال: نعم، صمت ليومٍ هو أشد حراً من هذا اليوم. قال: فأَفْطِرْ وتصوم غداً. قال: إن ضمنت لى البقاء إلى غد! قال: ليس ذلك إلىَّ. قال: فكيف تسألنى عاجلاً بآجلٍ لا تَقْدر عليه.

قال: إنه طعام طيب. قال: لم تطيبه أنت ولا الطباخ، ولكن طيبته العافية.

* * *

الحكاية الأربعون بعد المائتين

ابن السماك يرثي داود الطائي

حدثنا أبو الهيثم خالد بن أبى الصقر السدوسى قال: قال أبى: لما مات داود بن نصر الطائى جاء ابن السماك، فجلس على قبره، ثم قال: أيها الناس، إن أهل الزهد فى الدنيا يعجلون الرَّوْحَ على أبدانهم مع يسير الحساب غدا عليهم، وإن أهل الرغبة يعجلون التعب على أبدانهم مع ثقل الحساب عليهم غداً، والزهادة راحة لصاحبها فى الدنيا والآخرة، والرغبة تتعب صاحبها فى الدنيا والآخرة، رحمك الله يا أبا سليمان! ما كان أعجب شأنك! ألزمت نفسك الصبر حتى قومتها عليه، أجعتها وإنما تريد تشبعها، وأظمأتها وإنما تريد ريها، أخشنت المطعم وإنما تريد طيبه، وخشنت الملبس وإنما تريد لينه، يا أبا سليمان ما كنت تشتهى من الطعام طيبه، ومن الماء بارده، ولا من اللباس لينه، ولكنك أَخَّرْتَ ذلك لما بين يديك، فما أراك إلا قد ظفرت بما طلبت وما إليه رغبت، فما أيسر ما صنعت، وأحقر ما فعلت فى جنب ما أَمَّلْتَ، فمن ذا سمع بمثلك عزم عزمك أو صبر صبرك؟ آنس ما تكون إذا كنت بالله خالياً، وأوحش ما تكون آنس ما يكون الناس، سمعتَ الحديث، وتركت الناس يحدثون، وتفهمت فى دين الله، وتركتهم يفتون، لا تدللك المطامع، ولا ترغب الناس فى الصنائع، ولا تحسد الأجياد، ولا تعيب الأسرار، ولا تقبل من السلطان عطية، ولا من الإخوان هدية، سجنت نفسك فى بيتك، فلا محدث لك، ولا ستر على بابك، ولا قُلَّة تبرد فيها ماءك، ولا قصعة تبرد فيها عشاءك، فلو رأيت جنازتك وكثرة تابعك علمت أنه قد شَرَّفَكَ وكَرَّمَكَ، وألبسك رداء الزهد فى عملك، فلو لم يرغب عبد فى الدنيا إلا لمحبة هذا البشر الجميل والتابع

الكبير لكان حقيقاً بالاجتهاد، فسبحان مَنْ لا يُضِيعُ مطيعاً، ولا ينسى لأحد صنيعاً!، وفرغ من دفنه، وقام الناس.

* * *

الحكاية الحادية والأربعون بعد المائتين

أبو عبد الله بن موسى الهاشمي وأموال اليتيم

حدثنا أبو الحسين أحمد بن الحسين الواعظ قال: أُودِعَ أبو عبد الله بن أبى موسى الهاشمى عشرة آلاف دينار ليتيم، فضاقت يده، وامتدت إليها، فأنفقها فلما بلغ الغلام مبلغ الرجال أمر السلطان بفك الحجر عنه وتسليم ماله إليه، وتقدم إلى أبى موسى بحمل المال ليسلم إلى الغلام.

قال ابن أبى موسى: فلما تقدم إلىَّ بذلك ضاقت علىَّ الأرض بما رحبت، وتَحَيَّرْتُ فى أمرى، لا أعلم من أى وجهٍ أُغَرِّم المال، فبكرت من دارى وركبت بغلتى، وقصدت الكرخ، لا أعلم أين أتوجه، فانتهت بى بغلتى إلى درب السلولى، ووقفت بى على باب مسجد دعلج بن أحمد، فثنيت رجلى، ودخلت المسجد، فصليت خلفه صلاة الفجر، فلما سلَّم انفتل إلىَّ، ورحَّب بى، وقام، وقمت معه، ودخل إلى داره، فلما جلسنا جاءته الجارية بمائدة لطيفة وعليها هريسة، فقال: يأكل الشريف، فأكلت وأنا لا أحصل أمرى، فلما رأى تقصيرى قال: أراك منقبضاً، فما الخبر؟ فقصصت إليه القصة، وإننى أنفقت المال، فقال: كُلْ، فإن حاجتك تُقْضَى، ثم أحضر حُلْوًا، فأكلنا، فلما رُفِعَ الطعام، وغسلنا أيدينا قال: يا جارية، افتحى ذلك الباب، فإذا خزانة مملوءة زُبلاً مجلدة ظفاً خرج إلىَّ بعضها، وفتحها إلى أن أخرج النقد التى كانت الدنانير منه، واستدعى الغلام والتخت والطيار، فوزن عشرة ألف دينار وبدرها، وقال: يأخذ الشريف هذه، فقلت: يُثْبِتُها الشيخ علىَّ، فقال: أفعل، وقمت، وقد كاد عقلى يطير فرحاً، فركبت بغلتى، وتركت الكيس على القربوس وغطيته بطيلسانى، وعدت إلى دارى، وانحدرت إلى دار السلطان بقلب قوى وجنان ثابت، فقلت: ما أظن إلا أنه قد استشعر فىَّ أنى قد أكلت مال اليتيم، واستبددت به، والمال فقد أخرجته، فأحضر قاضى القضاة والشهود والنقباء وولاة العهود، وفَكَّ حجره، وسَلَّمَ المال إليه، وعَظَّم الشكر لى والثناء علىَّ، فلما عدت إلى منزلى استدعانى أحد الأمراء من أولاد الخلافة، وكان عظيم الحال، فقال: قد رغبتُ فى معاملتك وتضمينك أملاكى مادرونا ونهر الملك، فضمنت ذلك بما تقرر بينى وبينه من المال، وجاءت السنة، ووفيته، وحصل فى يدى من الربح ما له قدر كثير، وكان ضمانى لهذه الضياع ثلاث سنين، فلما مضت حسبت حسابى، وقد تحصل فى يدى

ثلاثون ألف دينار، فعزلت عِوَض العشرة آلاف دينار التى أخذتها من دعلج، وحملتها إليه، وصليت معه الغداة، فلما انفتل من صلاته، ورآنى نهض معى إلى داره، وقدَّم المائدة والهريسة، وأكلت بجنان ثابت وقلب طيب، فلما قضينا الأكل وقال لى: خبرك وحالك، فقلت: بفضل الله وبفضلك قد أفدت بما فعلتَه معى ثلاثين ألف دينار، وهذه عشرة آلاف عوض الدنانير أخذتها منك.

فقال: يا سبحان الله! والله ما أخرجت الدنانير عن يدى، ونويت أخذ عِوَضَها، حَلٍّ بها الصبيان. فقلت له: أيها الشيخ، أى شيء أصل هذا المال حتى تهب لى عشرة آلاف دينار؟ فقال: نشأت، وحفظت القرآن، وسمعت الحديث الكثير، وكنت أتبرز، فوافانى رجل من تجار البحر، فقال: أنت دعلج بن أحمد، فقلت: نعم. فقال: قد رغبت فى تسليم مالى إليك لتتجر به، فما سهَّل الله من فائدة كانت بيننا، وما كان من حاجة كانت فى أصل مالى، وسَلَّم إلىَّ نازيا بجاف بألف ألف درهم، وقال: ابسط يدك، ولا تعلم موضعاً ينفق هذا المتاع إلا حملته إليه، واستثبت فيه الكفاة، ولم يزل يتردد إلى سنةً بعد سنةٍ يحمل إلىَّ مثل هذا، والبضاعة تنمى، فلما كان فى آخر سنة اجتمعنا فيها قال لى: أنا كثير الأسفار فى البحر، فإن قضى الله علىَّ بما قضاه على خلقه، فهذا المال لك على أن تتصدق منه، وتبنى المساجد، وتفعل الخير، فأنا مثل هذا، وقد ثمر المال فى يدى، فأسألك أن تطوى هذا الحديث أيام حياتى.

* * *

الحكاية الثانية والأربعون بعد المائتين

حكاية لذى النون مع امرأة في الطريق!

حدثنا أحمد بن محمد بن مسروق قال: سمعت ذا النون المصرى يقول: بينا أنا فى بعض مسيرى لقيتنى امرأة فقالت لى: من أين؟ فقلت: رجل غريب. فقالت لى: ويحك! وهل يوجد مع الله أحزان الغربة، وهو مؤنس الغرباء ومعين الضعفاء، فبكيت، فقالت لى: ما يبكيك؟ قلت: وقع الدواء على داء قد قَرَحَ، فأسرع فى نجاحه. قالت: إن كنت صادقاً فلِمَ بكيت؟ قلت: والصادق لا يبكي؟ قالت: لا. قلت: ولِمَ؟ قالت: لأن البكاء راحة القلب، وملجأ يلجأ إليه، وما كتم القلب شيئاً أحق من الشهيق والزفير، فإذا أسبلت الدمعة استراح القلب، فهذا ضعف عند الأولياء يا بطَّال[1].

فبقيت متعجباً من كلامها، فقالت لى: ما لك؟ قلت: تعجباً من هذا الكلام. قالت:

---

(١) لكن البكاء من خشية الله له منزلة كبيرة عند الله سبحانه، وقد كان النبي وأصحابه كثيري البكاء، وما ورد فى هذه القصة من أنه ضعف عند الأولياء، فهذا من خرافات المتصوفة.

وقد أنسيت القرحة التى سألت عنها. قلت: لا، علمينى شيئاً ينفعنى الله به؟ قالت: وما أفادك الحكيم فى مقامك هذا من الفوائد، وما تستغنى به عن طلب الزوائد.

قلت: لا، ما أنا بمستغن به عن طلب الزوائد. قالت: صدقت، أَحْبِبْ ربك، فاشتق إليه، فإن له يوماً يتجلى فيه على كرسيٍّ لأوليائه وأحبابه ؛ فيذيقهم مِن محبته كأساً لا يظمأون بعدها أبداً.

قال: ثم أخذت فى البكاء والزفير والشهيق، وهى تقول: سيدى إلى كم تخلفنى فى دارٍ لا أجد فيها أحداً يسعدنى على البكاء أيام حياتى، ثم تركتنى ومضت.

* * *

الحكاية الثالثة والأربعون بعد المائتين
حكاية أم من العابدات مع ابنها

حدثنا علان صاحب سرى قال: كان لسرى تلميذة، وكان لها ولد عند المعلم فى الكتاب، فبعث به المعلم إلى الرحى، فنزل الصبى فى الماء، فغرق، فجاء المعلم إلى سرى، فأخبره بذلك، فقال سرى: قوموا بنا، فمضوا إلى أمه، فجلس عندها سرى، وتكلم فى علم الصبر إلى حدٍ ما، ثم تكلم عليها فى علم الرضا، فقالت له: يا أستاذ، وأى شىء تريد بهذا؟

فقال لها: إن ابنك قد غرق، فقالت: ابنى؟ قال لها: نعم. فقالت: إن ربى عز وجل ما فعل هذا، ثم عاد سرى فى كلامه فى الصبر والرضا مثل ذلك، فقالت: قوموا بنا، فقاموا معها، حتى انتهوا إلى النهر، فقالت: أين غرق؟ قالوا: هاهنا فصاحت: ابنى محمد! فأجابها: لبيك يا أماه، فنزلت، فأخذت بيده، ومضت به إلى منزلها!.

قال علان: فالتفت سرى إلى جنيد، فقال: أيش هذا؟ فقال جنيد: قُلْ. فقال سرى: قُلْ.

قال: إن المرأة مُرَاعِيَة لما لله عز وجل عليها، وحُكْمُ مَنْ كان مراعياً لما لله عز وجل عليه أن لا تحدث حادثة حتى يعلم بذلك، فلما لم يكن حادثة، لم تعلمها بذلك، فأنكرت، وقالت: إن ربى عز وجل ما فعل هذا، وكلامه نحو هذا.

* * *

الحكاية الرابعة والأربعون بعد المائتين
حكاية عجيبة لفروخ والد الفقيه ربيعة

حدثنا عبد الوهاب بن عطاء الخفاف قال: حدثنى مشيخة أهل المدينة أن فروخا أبا

عبد الرحمن أبا ربيعة خرج فى الثغور إلى خراسان أيام بنى أمية غازياً وربيعة حَمْل فى بطن أمه، وخلف عند زوجته أم ربيعة ثلاثين ألف دينار فقدم المدينة بعد سبع وعشرين سنة وهو راكب فرس وفي يده رمح، فنزل عن فرسه، ثم دفع الباب برمحه، فخرج ربيعة، فقال له: يا عدو الله، أتهجم على منزلى؟ فقال: لا. وقال فروخ: يا عدو الله أنت رجل دخلت على حرمتى، فتواثبا، وتلبث كل واحدٍ منهما بصاحبه، حتى اجتمع الجيران، فبلغ مالك بن أنس والمشيخة، فأتوا يعتبون ربيعة، فجعل ربيعة يقول: والله لا أفارقك إلا عند السلطان، وجعل فروخ يقول: والله لا أفارقك إلا بالسلطان، وأنت مع امرأتى وكثر الضجيج.

فلما بصروا بمالك سكت كلهم، فقال مالك: أيها الشيخ لك سَعَة فى غير هذه الدار، فقال الشيخ: هى دارى، وأنا فروخ مولى بنى فلان، فسَمِعَتْ امرأته كلامه، فخرجت، فقالت: هذا زوجى، وهذا ابنى الذى خَلَّفَه وأنا حامل به، فاعتنقا جميعاً، وبكيا.

فدخل فروخ المنزل، وقال: هذا ابنى؟ قالت: نعم. قال: فأَخْرِجى المال الذى لى عندك، وهذه معى أربعة آلاف دينار. فقالت: المال قد دفنته، وأنا أخرجه بعد أيام.

فخرج ربيعة إلى المسجد، وجلس فى حلقته، وأتاه مالك بن أنس والحسن بن زيد وابن أبى على اللهبى والمساحقى وأشراف أهل المدينة وأحدق الناس به، فقالت امرأته: اخْرُجْ فصلِّ في مسجد الرسول، فخرج، فنظر إلى حلقةٍ وافرة، فأتاه فوقف عليه، ففرَّجوا له قليلاً، ونكّس ربيعة رأسه يُوهِمُه أنه لم يره.

فقال أبو عبد الرحمن: مَنْ هذا الرجل؟ فقالوا: هذا ربيعة بن عبد الرحمن! فقال أبو عبد الرحمن: لقد رفع الله ابنى، فرجع إلى منزله، فقال لوالدته: لقد رأيت ولدك فى حالة ما رأيت أحداً من أهل العلم والفقه عليها!

فقالت أمه: أيما أحب إليك ثلاثون ألف دينار أو هذا الذى هو فيه من الجاه؟ قال: لا والله إلا هذا. قالت: فإنى أنفقت المال كله عليه. قال: فوالله ما ضيعته.

* * *

الحكاية الخامسة والأربعون بعد المائتين

حكاية رجل غاز في سبيل الله

عن قاسم بن عثمان الجوعى قال: رأيت فى الطواف رجلاً لا يزيد على قوله إلهى! قضيت حوائج المحتاجين، وحاجتى لم تقض، فقلت له: ما لك لا تزيد على هذا الكلام؟

قال: أحدثك، كنا سبعة أنفس من بلدان شتى توافقنا، وغزونا أرض العدو واستؤسرنا كلنا، فاعْتُزِل بنا بطريق إلى موضع ليضرب رقابنا، فبصرت إلى السماء فإذا سبعة أبواب مفتوحة، عليها سبعة جوارٍ من الحور العين على كل باب جارية، فقُدِّمَ رجل منا فضربت عنقه، فرأيت جارية في يدها منديل قد هبطت إلى الأرض، حتى ضُرِبَتْ أعناق الستة، وبقيت أنا، وبقي باب واحد، فلما قُدِّمْتُ لتضرب رقبتي استوهبني بعض رجاله، فوهبني له، فسمعتها تقول: أى شيء فاتك يا محروم؟! وأغلقت الباب، فأنا يا أخي متحسر على ما فاتني.

قال قاسم الجوعي: أراه أفضلهم لأنه رأى ما لم يروا، وتُرِكَ يعمل على الشوق.

* * *

الحكاية السادسة والأربعون بعد المائتين

بقي باب لم يغلق

حدثنا الحسن بن عبد الرحمن قال: حدثني أبو محمد النسائي قال: كان بالبصرة له أكار، وكانت له امرأة حسناء كثيرة اللحم، فوقعت في نفسه، فركب زبديته إلى قصره، وقال للأكار: الْقُطْ لنا من الرطب، وصَيِّرْه في الرواحل، ثم قال له: ائت به فلاناً وفلاناً، فذهب به، فلما مضى قال لامرأته: أغلقي باب القصر، فأغلقته، ثم قال لها: أغلقي كل باب، ففعلت.

فقال لها: هل بقي باب لم تغلقيه؟ قالت: نعم باب واحد لم أغلقه. قال: وأى باب هو؟ قالت: الباب الذى بيننا وبين الله عز وجل، فبكى ثم قام عَرِقاً، وانصرف، ولم يواقع الخطيئة.

* * *

الحكاية السابعة والأربعون بعد المائتين

عبد الله بن حذافة في أسر الروم

عن عكرمة عن ابن عباس قال: أَسَرَت الروم عبد الله بن حذافة السهمي صاحب رسول الله ﷺ فقال له الطاغية: تَنَصَّرْ وإلا ألقيتك في النقرة[1] النحاس فقال: ما أفعل.

فدعا، بنقرة نحاس، فملئت زيتاً، وأغليت، ودعا رجلاً من المسلمين، فعرض عليه النصرانية، فأبى، فألقاه في النقرة، فإذا عظامه تلوح.

فقال لعبد الله بن حذافة: تَنَصَّرْ، وإلا ألقيتك.

---

(١) إناء كبير من النحاس.

قال: ما أفعل. فأمر أن يُلْقَى فى البقرة، فكفنوه، فبكى، فقالوا: قد جزع وبكى، فقال: ردوه. فقال[عبد الله]: تظنون إنى بكيت جزعاً، ولكن بكيت إذ ليس لى إلا نفس واحدة، ففُعِلَ بها هذا فى الله عز وجل، وكنت أحب أن يكون لى مائة نفس تُقْتَل، ثم تُسَلَّط علىَّ، فيُفْعَل بى مثل هذا.

قال: فأُعْجِبَ به، وقال: تَنَصَّرْ، وأزوجك ابنتى، وأقاسمك ملكى. قال: ما أفعل. قال: قَبِّلْ رأسى، وأُطْلِقُ معك ثمانين من المسلمين. قال: أما هذا فنعم، فقَبَّلَ رأسه، فأطلقه وثمانين من المسلمين.

فلما قدموا على عمر بن الخطاب قام إليه عمر، فقَبَّلَ رأسه، فكان أصحاب رسول الله ﷺ يمازحون عبد الله، فيقولون: قَبَّلْتَ رأس علج.

* * *

الحكاية الثامنة والأربعون بعد المائتين
من حكايات إبراهيم الخواص

حدثنا حامد الأسود قال: سمعت إبراهيم الخواص يقول: كنت فى بداية أمرى وخوضى فى تجريد التوكل أسير فى الصحارى والبرارى، وآنس بذلك، فخرجت يوماً إلى الفَلَوَات[1]، فبقيت فيها ثلاثة أيام بلياليها، فلما كانت صبيحة اليوم الرابع وجدت فى نفسى ضعفاً، وعارضتنى البشرية حتى شككت فى أمر الرزق، فبينا أنا كذلك إذا بأربع حيَّات عظام قد أقبلن إلى، فَصَفَّرْنَ وهمهمن، فما سمعت نغمةً أشجى من صفيرهن، فخنقتنى عند ذلك العَبْرَة[2]، فبينا أنا كذلك إذ رفعت واحدة منهن رأسها، وتكلمت بكلام فصيح: يا إبراهيم هل شككت فى خالقك؟ فقلت: لا، والحمد لله. قالت: فلم شككت فى رازقك؟

قال: فنبهتنى، فقلت: ومن أين وقفتِ على خاطرى؟ فقالت: وَقَّفَنِى عليه مَنْ هو فى كل الأوقات حاضرى، ثم قالت: نحن من بلدان شتى، وقد جمعنا التوكل.

فقلت: لا بد وإن توكلتُ مِنْ طعام، وإن كان ذلك أحياناً؟ فقالت: يا إبراهيم لا تحكم على السرائر، فإن لله تعالى عباداً يشبعهم ذِكْرُه ويرويهم، حتى لا يَذْكُرْنَ شيئاً مما تعيش به الخَلْق، ولا يخطر بقلوبهم ذلك إلا فى أوقات الفتور والعقوبات.

---

(١) الفَلاةُ: القَفْرُ، أو المَفَازَةُ لا ماءَ فيها، أو الصَّحْراءُ الواسِعَةُ ج: فَلاً وفَلَواتٌ وفُلِيٌّ وفِلِيٌّ. جج: أفْلاءٌ.

(٢) الدَّمْعَة.

فقلت في سِرِّي: سبحان الله! حيَّة تنطق بما أسمع، وجاءتني العَبْرَة، فقالت: يا إبراهيم، ألم أنهك أن تحكم على السرائر، وأن تزدرى بأحدٍ مِنْ خَلْقِه، إن الذى خلق أباك من تراب أنطقنى، وأَعْجَب من ذلك يا إبراهيم أنا كنا بوادٍ من الأودية بيننا وبينك مسيرة شهر، فأحضرنا الله بحضورك هذه البقعة، فتعجبت، وقلت: كيف تكلمتِ أنتِ مِنْ بين هؤلاء؟

فقالت: يا أبا إسحاق إن لله سِتْرًا بينه وبين خلقه، ولهم أخِلاَّء ووزراء وتلامذة، فهؤلاء مِمَّنْ سَلَّمْنَ جوارحهن إلىّ، ورضين بى سفيراً، وإنك ستبلغ أعلى منازل الصدق، وتصير عَلَمًا فى التوكل، وأنت وأصحابك على الحق ما سكتَ المريدون، واستعملوا الأدب مع سفرائهم، فإذا جار السفير عن طريق الحق، وأراد المريدون الرئاسة عوقب، وكان أول عقوبته صَوْلة المريدين عليه، وقلة مُبالاتهم به، وإذا رأيت المريد ينطق بين يدى السفير والسفير يحتمل ويسكت، فاعلم أن البركة قد رُفِعَتْ، ثم غِبْنَ عنى.

فبقيتُ فى ذلك الوادى أربعين يوماً متعجباً مما رأيت، ولم يخطر ببالى ذكر طعام ولا شراب ولا حاجة، ولا تعشيت، وصليت الأربعين يوماً بوضوئى[١] الذى خرجت عليه من الكوفة.

وكان الوادى فى بادية الكوفة قفراً لا أنيس به، فلما كانت صبيحة الأربعين حَضَرْنَ وسلَّمن علىَّ، فرددت عليهن السلام، فقالت المتكلمة منهن: يا أبا إسحاق ظننتُ أنك صَفِيًّا فى هذه الأربعين يوماً، فإنى سألت الله تعالى أن يذيقك من بعض غذاء الصادقين، وأنا أستودع الله سرك، وكان فى فمها طاقة نرجس، فناولتنيها، وغِبْنَ عنى، وأنا مُتَحَسِّر على فراقهن، وما زلت فى الأربعين يوماً أجد لذةً وشِبَعًا، وأجد رائحة طيبة كأنى فى العطارين، قال: والوادى يفوح مسكاً، فهذا أول ما أبداه الله لى ورأيته.

* * *

الحكاية التاسعة والأربعون بعد المائتين
من كرامات الأولياء

حدثنا أحمد بن على الأخميمى قال: كنا ذات يوم عند ذى النون، وقد ذكر كرامات الله عز وجل لأوليائه، فقال بعض مَنْ حضر: أنت رأيت منهم أحداً يا أبا الفيض؟ فقال ذو النون: كان عندى فتى من أهل خراسان أعجمى بقى فى المسجد عندى سبعة أيام لا يطعم الطعام، وكنت أعرض عليه فيأباه، فبينا نحن جلوس ذات يوم دخل سائل يطلب شيئاً، فقال له الخراسانى: لو قَصَدْتَ الله دون خَلْقِه أغناك! فقال السائل: ما لى

(١) هذا الكلام من خرافات الصوفية التى لا تصح فى الشرع، وتتنافى مع العقل.

هذا المكان؟ فقال له الخراساني: أى شيء تريد؟ قال: ما سَدَّ فاقتى وستر عورتى، فقام الخراسانى إلى المحراب، فصلى ركعتين، ثم أتاه بثوب جديد وطبق فيه فاكهة، فأعطاه السائل.

قال ذو النون: فقلت: يا عبد الله، لك هذا الجاه عند الله عز وجل، وأنت منذ سبعة أيام لم تطعم شيئاً؟ فَجَشَأَ، وقال: يا أبا الفيض كيف تبسط الألسن إلى المسألة والقلوب ممتلئة بأنوار الرضا عنه؟!

قال ذو النون: فقلت له: والراضون عن الله لا يسألون شيئاً؟ فقال: الرضا على مقامات، فمنهم مَنْ ينبسط، فيسأل من باب الإدلال، ومنهم مَنْ يتحرر له علم الحق بمعافاته، فيملأه غني به، ومنهم مَنْ يستخرج منه المسألة عطفٌ منه على غيره، ثم أقيمت الصلاة، فصَلَّى معنا العشاء الآخرة، وأخذ ركوته، وخرج من المسجد كأنه يريد الطهارة، فما رأيته بعد ذلك.

* * *

الحكاية الخمسون بعد المائتين

التكبير سبب النصر

حدثنا الخلدى قال: قال لى جنيد: قال لى محمد السمين: كنت فى وقت من الأوقات أعمل على الشوق، وكنت أجد من ذلك شيئاً أنا به مُسْتَقِل، فخرجت إلى الغزو، وهذه الحالة حالى، وغزا الناس، وغزوت معهم، فكثر العدو على المسلمين، وتقاربوا والتقوا، ولزم المسلمين من ذلك خوف لكثرة الروم.

قال محمد: فرأيت نفسى فى ذلك الموطن وقد لحقها رَوْع، فاشتد ذلك علىَّ، وجعلتُ أُوَبِّخُ نفسى، وألومها وأزمها، وأقول لها: يا كذابة، كنت تَدَّعِين الشوق، فلما جاء الموطن الذى يُؤَمَّل فى مثله الخروج اضطربتِ وتغيرتِ، فأوبخها، إذ وقع لى: انزل إلى النهر فاغتسل، فخلعت ثيابى، واتزرت، ودخلت النهر، فاغتسلت، وخرجت وقد اشتدت لى عزيمة لا أدرى ما هى؟ فخرجت بقوة تلك العزيمة، ولبست ثيابى، وأخذت سلاحى، ودنوت من الصفوف، وحملت بقوة تلك العزيمة حملة، وأنا لا أدرى كيف أنا؟ فخرقت صفوف المسلمين وصفوف الروم حتى صرت من ورائهم من وراء نهر، ثم كبَّرت تكبيرة، فسمع الروم تكبيراً، فظنوا أن كميناً قد خرج عليهم من ورائهم، فوَلَّوا، وحمل عليهم المسلمون، فقُتِلَ من الروم بسبب تكبيرتى تلك أربعة آلاف من الروم، وجعل الله ذلك سبب الفتح والنصر.

* * *

الحكاية الحادية والخمسون بعد المائتين

أفضل أعمالي حفظ قلب زوجتي

حدثنا محمد بن نعيم قال: سمعت أمى تقول: سمعت مريم امرأة أبى عثمان الحيرى تقول: صادفت من أبى عثمان خُلْوَةً، فاغتنمتها، فقلت: يا أبا عثمان، أى عمل أرجى عندك؟ فقال: يا مريم، لَمّا ترعرعت وأنا بالرى، وكانوا يريدوننى على التزويج، فـأَمْتَنِعُ، جاءتنى امرأة، فقالت: يا أبا عثمان، قد أحببتك حبًّا، أذهبت بنومى وقرارى، وأنا أسألك بِمُقَلِّب القلوب وأتوسل به إليك أن تَزَوَّج بى، قلتُ: أَلَكِ والد؟ قالت: نعم، فلان الخياط فى موضع كذا وكذا.

فراسلت أباها أن يزوجها منى، ففرح بذلك، وأحضرتُ الشهود، فتزوجت بها، فلما دخلت بها وجدتها عوراء عرجاء مُشَوَّهة الخَلْق، فقلت: اللهم لك الحمد على ما قَدَّرْتَه لى، وكان أهل بيتى يلومونني على ذلك، فأزيدها برًّا وإكراماً إلى أن صارت بحيث لا تَدَعنِى أخرج مِنْ عندها، فتركت حضور المجالس إيثاراً لرضاها وحفظاً لقلبها.

ثم بقيت معها على هذه الحال خمس عشرة سنة، وكأنى فى بعض أوقاتى على الجَمْرِ، وأنا لا أُبدى لها شيئاً من ذلك إلى أن ماتت، فما شيء أرجى عندى مِنْ حفظى عليها ما كان فى قلبها من جهتى.

* * *

الحكاية الثانية والخمسون بعد المائتين

حكاية في الورع والعفاف

حدثنا مبارك بن سعيد قال: جاء رجل إلى سفيان ببدرة[1] - أو قال: ببدرتين، شك أبو زكريا - وكان أبو ذلك الرجل صديقاً لسفيان جدًّا، وكان سفيان يأتيه فيقيل عنده، ويأتيه كثيراً.

قال: فقال: يا أبا عبد الله فى نفسك من أبى شىء، فأثنى عليه وقال: رحم الله أباك، وذكر من فضله، فقال: له يا أبا عبد الله، قد عرفت كيف صار إلَيَّ هذا المال، وأنا أحب أن تقبل هذا الذى جئتك به تستعين به على عيالك.

قال: فقبله منه، فلما خرج الرجل - أوكاد أن يخرج- قال لى: يا مبارك الْحَقْه،

---

(١) والبَدْرُ، والبَدْرَة: كيسٌ من الجلد فيه أَلْفٌ أو عَشَرَةُ آلافِ دِرْهَمٍ، أو سَبْعَةُ آلافِ دينارٍ، ج: بُدُورٌ وبِدَرٌ.

فَرُدَّه. قال: فلحقته، فرددته، فقال: يا بن أخي أحب أن تقبل هذا المال، فإني قد قبلته منك، ولكن أحب أن تأخذه، فترجع به، فقال: يا أبا عبد الله في نفسك منه شيء؟ قال: لا، ولكن أحب أن تقبله، فلم يزل به حتى أخذه، فلما خرج جئت، وقد داخلني ما لا أملك، فقعدت بين يديه، فقلت: ويحك يا أخي! أي شيء قلبك هذا؟ حجارة أنت؟ ليس لك عيال؟ أما ترحمني؟ أما ترحم صبياننا؟

قال: فأكثرت عليه من هذا النحو، فقال: يا مبارك، تأكلها أنت هنيئاً مريئاً، وأُسْأَل أنا عنها، لا يكون هذا أبداً!.

* * *

الحكاية الثالثة والخمسون بعد المائتين
من حكايات شريح بن يونس

عن أحمد بن محمد بن الجعد قال: سمعت شريح بن يونس يقول: رأيت رب العزة في المنام، فقال لي: يا شريح سلني!

فقلت: يا رب سِرٌّ بِسِرٍّ[(١)].

---

(١) ينبغي التوقف عند هذه الأخبار وعدم قبولها نظرًا لوضعها وعدم صحتها، ثم لما فيها من أحكام مخالفة للشرع، وذلك سدًّا للذرائع، وحتى لا ياتي أحد، فيدَّعي الرؤية، ويكذب على الله بكلام يخالف الشرع، يقول الشاطبي في الموافقات: «مخالفة الخوارق للشريعة دليل على بطلانها في نفسها وذلك أنها قد تكون في ظواهرها كالكرامات وليست كذلك بل أعمالا من أعمال الشيطان كما حكى عياض عن الفقيه أبي ميسرة المالكي أنه كان ليلة بمحرابه يصلي ويدعو ويتضرع وقد وجد رقة فإذا المحراب قد انشق وخرج منه نور عظيم ثم بدا له وجه كالقمر وقال له تملأ من وجهي يا أبا ميسرة فأنا ربك الأعلى فبصق فيه وقال له اذهب يا لعين عليك لعنة الله. وكما يحكى عن عبد القادر الجيلاني أنه عطش عطشا شديدا فإذا سحابة قد أقبلت وأمطرت عليه شبه الرذاذ حتى شرب ثم نودي من سحابة يا فلان أنا ربك وقد أحللت لك المحرمات فقال له اذهب يا لعين فاضمحلت السحابة وقيل له بم عرفت أنه إبليس قال بقوله قد أحللت لك المحرمات هذا وأشباهه لو لم يكن الشرع حكما فيها لما عرف أنها شيطانية» ص: ٢٧٥، ٢٧٦. وقد أنكر كثير من علماء الصوفية والمحققين منهم دعوى رؤية الله سبحانه في الدنيا، ومن هؤلاء سراج الدين الطوسي في كتابه اللمع، ورد كثيرًا من دعاوى هؤلاء المتصوفة، وبين سبب فتنتهم، ومما قاله في هذا الصدد: «والذي قال أهل الحق والإصابة في هذا المعنى، وأشاروا إلى رؤية القلوب إنما أشاروا إلى التصديق والمشاهدة بالإيمان وحقيقة اليقين، والذي تَوَسْوَسَ في هذا المعنى قوم من الصبيحة من أهل البصرة – كما بلغني – وقد رأيت جماعة منهم وذلك أنهم حملوا على أنفسهم في المجاهدة والسهر وترك الطعام والشراب والانفراد والخلوة وكثرة=

قال هارون: وسمعت ابن الجعد يقول: حدثنى، فقال شريح بن يونس: قال: جاءني شريح ليلاً، وقد وُلِدَ له مولود، فأعطانى ثلاثة دراهم، فقال: أعطنى بدرهم عسلاً وبدرهم سمناً وبدرهم سويقاً، ولم يكن عندى، وكنت قد عَزَلْتُ الظروف[1] لأُبَكِّرَ، فأشترى.

فقلت: ما عندى شيء!، قد عزلت الظروف لأبكر، فاشترى.

فقال لى: انظر قليلاً أى شيء كان، امسح البرانى[2]، فجئت، فوجدت البرانى والجراب ملآ، فأعطيته شيئاً كثيراً.

فقال لى: ما هذا؟ أليس قلت: ما عندى شيء؟ قلت: خُذْ واسكت. فقال: ما آخذ أو تصدقنى، فخبرته القصة. فقال لى: لا تحدث به أحداً ما دمت حياً.

* * *

الحكاية الرابعة والخمسون بعد المائتين

نصيحة صالح المرى للمهدي

حدثنا صالح المُرِّى قال: دخلت على المهدى، فلما مثلت بين يديه قلت: يا أمير المؤمنين، احمل[3] لله ما أكلمك به اليوم ؛ فإن أولى الناس بالله أحملهم بغلظة النصيحة فيه، وجدير مَنْ له قرابة برسول الله ﷺ أن يرث أخلاقه ويأتم بهديه، وقد ورَّثك الله من فهم العلم وإنارة الحجة ميراثاً قطع به عذرك، فمهما ادعيت من حجة أو ركبت من شبهة لم تصح لك برهان من الله حل بك من سخط الله بقدر ما تجاهلته من العلم أو أقدمت عليه من شبهة الباطل.

واعلم أن رسول الله ﷺ خَصْمُ مَنْ خالفه فى أمته يتبرها أحكامها، ومن كان محمد

=التوكل، وصحبهم الإعجاب مع ذلك بما هم فيه فاصطادهم إبليس – لعنه الله – فخيل إليهم كأنه على عرش أو سرير، وله أنوار تتشعشع... وينبغى أن يعلم العبد أن كل شيء رأته العيون فى دار الدنيا من الأنوار أن ذلك مخلوق، ليس بينه وبين الله تعالى شبهة، وليس ذلك صفة من صفاته، بل جميع ذلك خَلْق مخلوق....، ثم يرد السراج على طائفة أخرى: بأن الأنوار كلها مخلوقة: نور العرش ونور الكرسى ونور الشمس والقمر والكواكب، وليس لله نور موصوف محدود، والذى وصف الله تعالى به نفسه فليس ذلك بمدرك ولا محدود، ولا يحيط به علم الخلق، وكل نور تحيط به العلوم والفنون فهو مخلوق... أ. هـ السراج: اللمع، ص: ٥٤٤-٥٤٦، ٥٤٨.

(١) الأوعية.

(٢) جمع بَرْنِيَة، وهي الإناء من الخذف.

(٣) تَحَمَّلْ.

ﷺ خصمه كان الله خصمه، فَأَعِدّ لمخاصمة الله ومخاصمة رسول الله حججاً تضمن لك النجاة أو استسلم للهلكة.

واعلم أن أبطأ الصرعى نهضة صريع هوى يَدَّعِيه إلى الله قربة، وأن أثبت الناس قدماً يوم القيامة آخذهم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فمثلك لا يكابر بتجريد المعصية، ولكن تمثل له الإساءة إحساناً، تشهد له عليها خونة العلماء، وبهذه الحالة تصيدت الدنيا نظراءك، فأحسن الحمل فقد أحسنتُ إليك الأداء. قال: فبكى المهدى. قال أبو همام: فأخبرنى بعض الكُتَّاب أنه رأى هذا الكلام مكتوباً فى دواوين المهدى.

* * *

الحكاية الخامسة والخمسون بعد المائتين

من بلاغة الإمام علي

عن أوفى بن دلهم عن على بن أبى طالب أنه قال: تعلموا العلم تُعْرَفوا بـه، واعملوا به تكونوا من أهله، فإنه يأتى من بعدكم زمان ينكر فيه الحق تسعة أعشاره، وإنه لا ينجو منه إلا كل نومة[١]. أولئك أئمة الهدى ومصابيح العلم، ليسوا بالعُجَّل المذاييع[٢] البذر.

ثم قال: إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وإن الآخرة مقبلة، ولكل واحدةٍ منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، ألا وإن الزاهدين فى الدنيا اتخذوا الأرض بساطاً والتراب فراشاً والماء طيباً، ألا مَنْ اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات، ومَنْ أشفق مِن النار رجع عن المحرمات؟ ومَنْ زهد فى الدنيا هانت عليه المصيبات.

ألا إن لله عباداً كمن رأى أهل الجنة فى الجنة مخلدين وأهل النار فى النار معذبين، شرورهم مأمونة، وقلوبهم محزونة، وأنفسهم عفيفة، وحوائجهم خفيفة، صبروا أياماً لعقبى راحة طويلة، أما الليل فصافون أقدامهم تجرى دموعهم على خدودهم، يجأرون إلى ربهم: ربنا ربنا، يطلبون فكاك رقابهم، وأما النهار فعلماء حلماء بررة أتقياء كأنهم القداح ينظر إليهم الناظر، فيقول: مرضى، وما بالقوم من مرضٍ، ويقول: قد خولطوا، ولقد خالط القوم أمر عظيم.

* * *

(١) إشارة إلى السكون والهدوء، وقد وردت فى كنز العمال: كل نومة مُنْبَت، وفى البداية والنهاية: كل أواه منيب.

(٢) المذاييع: جمع مذياع من أذاع الشيء إذا أفشاه. وقيل: أراد الذين يشيعون الفواحش.

الحكاية السادسة والخمسون بعد المائتين

حكاية بشر مع أخته

حدثنا الفتح بن شخرف قال: قال لي عمران بن أخت بشر: سمعت خالي بشراً يقول: لأَقّي جوفي وجع، وخواصري تضرب عليَّ، فقالت له أمي: يا أخي، ائذن لي حتى أصلح قليل حساء بكف دقيق عندي، فتحسَّاه يَرُمُّ جوفك.

فقال لها: ويحك! أخاف أن يقول لي: مِنْ أين لك هذا الدقيق؟ فلا أدرى أى شيء أقول له، فبكت أمي، وبكى معها، وبكيت معهم.

ورأت أمي ليلة ما به من شدة الجوع، وجعل يتنفس نَفَساً ضعيفاً، فقالت له: يا أخي ليت أمك لم تلدني، فقد والله تقطَّع كبدي مما أرى بك! فسمعته يقول لها: وأنا فليت أمك لم تلدني، وإذ ولدتني لم يَدِرْ لها ثدي عليَّ!.

قال عمر: وكانت أمي تبكي عليه الليل والنهار!.

* * *

الحكاية السابعة والخمسون بعد المائتين

صحبة أبي محمد المروزي

حدثنا مصعب بن أحمد قال: قدم أبو محمد المروزي - وهو عبد الله الرباطي - إلى بغداد يريد مكة، وكنت أحب أن أصحبه، فأتيته، واستأذنته، وسألته الصحبة، فلم يأذن لي في تلك السنة، ثم قدم سنة ثانية وثالثة، فأتيته، فسلمت عليه، وسألته، فقال: أعزم على شرط ؛ يكون أحدنا الأمير لا يخالفه الآخر، فقلت: أنت الأمير.

فقال: يا أبا محمد، لا، بل أنت. فقلت: أنت أسبق وأولى. فقال: نعم، فلا تعصني. قلت: لا.

فخرجت معه، فكان إذا حضر الطعام يؤثرني، فإذا عارضته بشيء قال: ألم اشترط عليك أن لا تخالفني، فكان هذا دأبنا حتى ندمت على صحبته لِمَا يُلْحِقُ نفسه من الضرر، فأصابنا في بعض الأيام مطر شديد ونحن نسير، فقال لي: يا أبا أحمد، اطلب الميل، فلما رأينا الميل قال لي: اقعد في أصله، وجعل يديه على الميل وهو قائم قد حنا عليه، وعليه كساء قد تخلل به يظللني من المطر، حتى تمنيت أني لم أكن خرجت معه ؛ لِمَا يلحق نفسه من الضرر، فلم يزل هذا دأبه حتى دخلنا مكة.

* * *

الحكاية الثامنة والخمسون بعد المائتين

بين القاضي شريك والأمير موسى بن عيسى

حدثنا الزبير قال: حدثني عمى عن عمر بن الهياج بن سعيد قال: أتت امرأة يوماً شُرَيْكاً وهو فى مجلس الحُكْم، فقالت: أنا بالله ثم بالقاضى، امرأة من ولد جرير بن عبد الله صاحب النبى ﷺ، ورَدَّدَتْ الكلام، فقال: إيهًا عنك الآن! مَنْ ظلمك؟ فقالت: الأمير موسى بن عيسى، كان لى بستان على شاطئ الفرات، لى فيه نخل ورثته من آبائى، فقاسمت إخوتى، وبنيت بينى وبينهم حائطاً، وجعلت فيه فارسياً يحفظ النخل، ويقوم ببستانى، فاشترى الأمير موسى بن عيسى من إخوتى جميعاً، وساومنى، وأرغبنى، فلم أبعه، فلما كان فى هذه الليلة بعث بخمسمائة فاعل، فاقتلعوا الحائط، فأصبحت لا أعرف مِنْ نخلى شيئاً، واختلط بنخل إخوتى، فقال: يا غلام، طينه بختم.

قال لها: امضِ إلى بابه حتى يحضر معك، فجاءت المرأة بالطينة، فأخذه الحاجب، ودخل على موسى، فقال: أعدى شُرَيْك عليك! قال: ادع لى صاحب الشرطة، فدعا به، فقال: امضِ إلى شُرَيْك، فقل: يا سبحان الله! ما رأيت أعجب من أمرك، امرأة ادَّعَتْ دعوى لَم تصح، أعديتها علىَّ.

قال: يقول صاحب الشرطة: إن رآنى الأمير أن يعفينى فليفعل. فقال: امضِ ويلك!، فخرج، فأمر غلمانه أن يتقدموا إلى الحبس بفراش وغيره من آلة الحبس، فلما جاء، فوقف بين يدى شُرَيْك، فأدَّى الرسالة، قال: خُذْ بيده، فضعه فى الحبس.

قال: قد – والله- يا أبا عبد الله، عرفت إنك تفعل بى هذا، فقدَّمت ما يصلحنى إلى الحبس، وبلغ موسى بن عيسى الخبر، فوجَّه الحاجب إليه، فقال: هذا من ذاك رسول، أى شيء عليه؟! فلما وقف بين يديه وأدَّى الرسالة. قال: ألْحِقْه بصاحبه، فحبس، فلما صلى العصر بعث إلى إسحاق بن الصياح الأشعثى وجماعة من وجوه الكوفة من أصدقاء شُرَيْك، فقال: امضوا إليه، فأبلغوه السلام، وأعلموه أنه قد استخف بى، وأنى لست كالعامة، فمضوا وهو جالس فى مسجده بعد العصر، فدخلوا، وأبلغوه الرسالة، فلما انقضى كلامهم قال لهم: ما لى لا أراكم جئتم فى غيره من الناس، فكلمتمونى، مَنْ هاهنا من فتيان الحى، فيأخذ كل واحد منهم بيد رجل، فيذهب به إلى الحبس، لا بِتّم والله إلا فيه! قالوا: جادٌ أنت؟! قال: حقًّا حتى لا تعودوا برسالة ظالمٍ، فحبسهم.

وركب موسى بن عيسى فى الليل إلى باب الحبس، ففتح الباب، فأخرجهم جميعاً، فلما كان الغد، وجلس شريك للقضاء جاء السَّجَّان، فأخبره، فدعا بالقمطر، فختمه،

ووجَّه به منزله، وقال لغلامه: الحقنى ببغلتى إلى بغداد، والله ما طلبنا هـذا الأمـر منهـم، ولكن أكرهونا عليه، ولقد ضمنوا لنا الإعزاز فيه إذا تقلَّدْنـاه لهـم، ومضـى نحـو قنطـرة الكوفة إلى بغداد.

وبلغ موسى بن عيسى الخبر، فركب فى موكبه، ولحقه، فجعل يناشده الله، ويقـول: يا أبا عبد الله، تَثَبَّتْ، انظر إخوانك تحبسهم، دع أعوانى!.

قال: نعم، لأنهم مشوا لك فى أمرٍ لم يجب عليهم المشى فيه، ولست بنازح أو يُرَدُّوا جميعاً إلى الحبس، وإلا مضيت إلى أميرِ المؤمنين، فأستعفيته مما قلَّدنى، فأمر بردهـم جميعـاً إلى الحبس، وهو والله واقـف فـى مكانـه حتـى جـاءه السَّجَّان، فقـال: قـد رجعـوا إلى الحبس، فقال لأعوانه: خذوا بلجامه، فوجهوه جميعاً بين يدى إلى مجلس الحُكْـم، فمـروا به بين يديه حتى أُدْخِلَ المسجد، وجلس مجلس القضاء، ثم قـال: الجويريـة المتظلمـة مِـنْ هذا؟ فجاءت، فقال: هذا خصمك قد حضر، وهو جالس معها بين يديه، فقال: أولئـك يخرجون من الحبس قبل كل شىء. قال: أما الآن فنعم، أخرجوهم. قال: ما تقـول فيمـا تَدَّعِيه هذه؟ قال: صَدَقَتْ. قال: تَرُدُّ جميع ما أُخِذَ منها، وتبنى حائطها فى وقـت واحـد سريعاً كما هُدِمَ. قال: افعل. قال: بقى لك شىء.

قال: تقول المرأة: بيت الفارسى ومتاعه؟ قال: يقول: موسى بن عيسى: ونَرُدُّ ذلـك، بقى شىء تَدَّعِيه؟ قالت: لا، وجزاك الله خيراً.

قال: قومى، ثم وثب من مجلسه، فأخذ بيد موسى بن عيسى، فأجلسه فى مجلسه، ثم قال: السلام عليك أيها الأمير، يا موسى. قال: أى شىء آمر وضحك!.

* * *

الحكاية التاسعة والخمسون بعد المائتين
من حكايات المتصوفة

حدثنا الحارث الأولاسى قال: خرجت سنة من السنين من مكة فى وسط السنة أريد الشام، فإذا فى بعض الطريق ثلاثة نفر يتذاكرون، فتقدمـت، وسلَّمت عليهـم، وقلـت: أمشى معكم. قالوا: ما شئت، فمشيت معهم إلى أن تفرقوا، وبقيت أنـا وآخـر، فقـال: أين تريد يا شاب؟ فقلت: بلد الشام. فقال: وأنا أريد اللكام[1] وكان الرجل إبراهيم بن سعد العلوى، فمشيت أياماً، وافترقنا، وكانت تأتينى كتبه، فما شـعرت ذات يـوم وأنـا بالأولاس، وقد خرجت أريد البحر، فإذا برجل صاف قدميه يصلى على الماء، فاضطرب

(١) جبل بالشام.

قلبي كما رأيته، وغلبتني الهيبة منه، فلما أحس بي أوجز في صلاته، ثم التفت إليَّ، فإذا هو إبراهيم بن سعد العلوي، فعرفته، فقال لي: غَيِّبْ شخصك عني ثلاثة أيام، ثم ائتني بعد ذلك، ففعلت ما قال، ثم جئته فإذا هو قائم يصلي في مكانه، فلما أحس بي أوجز في صلاته، ثم أخذ بيدي، فوقَّفني على البحر، وحرَّك شفتيه، فقلت في نفسي: إن مشى على الماء مشيت معه.

فما لبثت إلا يسيراً، وإذا قد برزت الحيتان في البحر مد البصر، وأقبلت إلينا رافعة رءوسها من الماء فاتحة أفواهها، فقلت في نفسي: أين ابن بشر الصياد، فلما ذكرته في نفسي، تغرقت فالتفت إليَّ إبراهيم، وقال: مُرّ، فلست مطلوباً بهذا الأمر، ولكن عليك بالوصال والتخلي في الجبال، ووارِ نفسك ما أمكنك حتى يشغلك بذكره عن ذكر مَنْ سواه، وعليك بالتقلل في الدنيا ما استطعت حتى يأتيك اليقين ومضى.

* * *

الحكاية الستون بعد المائتين

إبراهيم الخواص في طريقه إلى المدينة

حدثنا علي بن محمد السيرواني قال: سمعت إبراهيم الخواص يقول: عطشت عطشاً شديداً وأنا بقرب الحاجر[1] حتى سقطت من شدة العطش، فإذا بماء قد سقط على وجهي، فأحسست ببرده على فؤادي، ففتحت عيني، فإذا رجل ما رأيت أحسن منه على فرس أشهب، عليه ثياب خضر وعمامة صفراء وبيده قدح، فسقاني منه شربة، وقال لي: ارتدف[2] خلفي، فارتدفت، فلم يبرح حتى قال لي: ما ترى؟ قلت: المدينة. قال: انزل، وأَقْرِئْ على رسول الله ﷺ، وقل له: رضوان يقرأ عليك السلام كثيراً[3].

* * *

الحكاية الحادية والستون بعد المائتين

أبو ذر يموت وحيدًا

عن مجاهد عن إبراهيم بن الأشتر عن أبيه عن أم ذر قالت: لما حضر أبي ذر الوفاة بَكَيْتُ، فقال: ما يبكيك؟ قالت: وما لي لا أبكي وأنت تموت بفلاةٍ من الأرض، ولا يد لي تنعشك، وليس معنا ثوب يسعك كفناً، ولا لك؟!

---

(١) الحاجِرُ: الأرضُ المرتفعة ووسَطها منخَفِضٌ، وما يُمْسِكُ الماءَ من شَفَةِ الوادي.

(٢) اركبْ خلفي.

(٣) هذه من حكايات الصوفية المنكرة.

قال: لا تبكي، وأبشري فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يموت بين امرئين مسلمين ولدان أو ثلاثة فيصبران ويحتسبان فيريان النار أبداً»[١] وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول لنفر أنا فيهم: «ليموتن رجل منكم بفلاةٍ من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين»[٢] وليس من أولئك النفر أحد إلا وقد مات في قريةٍ وجماعةٍ، وأنا الذي أموت بالفلاة، والله ما كَذَبْتُ ولا كُذِّبْتُ، فأبصري الطريق.

قال: فقلت: وأنّي؟ وقد ذهب الحاج!، وتقطعت الطرق؟ فقال: انظري، فكنت أشتد إلى الكثيب[٣]، فأقوم عليه، ثم أرجع إليه، فأُمَرِّضُهُ؟

قالت: فبينما أنا كذلك إذا أنا برجال على رواحلهم كأنهم الرَّخْم؛ فألحت بثوبي، فأسرعوا إليّ، ووضعوا السياط في نحورها يستبقون إليّ، فقالوا: ما لك يا أمة الله؟ فقلتُ: امرؤ من المسلمين تُكَفِّنونه. قالوا: ومَنْ هو؟ قلت: أبو ذر. قالوا: صاحب رسول الله ﷺ؟ قلت: نعم. قالت: ففَدُّوه بآبائهم وأمهاتهم، وأسرعوا عليه، حتى دخلوا عليه، فسلّموا عليه، فرحَّب بهم، وقال: أبشروا ؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يموت بين امرئين من المسلمين وَلَدَان أو ثلاثة فيصبران ويحتسبان، فيريان النار أبداً»، وسمعته يقول لنفر أنا فيهم: «ليموتن رجل منكم بفلاةٍ من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين» وليس من أولئك النفر أحد إلا وقد هلك في قريةٍ وجماعة غيري، وإني أنا الذي أموت بفلاةٍ، والله ما كَذَبْتُ ولا كَذَّبْتُ، ولو كان عندي ثوب يسعني كَفَناً أو لامرأتي ثوب يسعني كفناً لم أُكَفَّن إلا في ثوب هو لي أو لها، وإني أنشدكم الله: لا يكفنني منكم رجل كان أميراً ولا عريفاً ولا بريداً أو نقيباً. قال: فليس في القوم أحد إلا وقد قارف من ذلك شيئاً إلا فتى من الأنصار قال: أنا أُكَفِّنك في ردائي هذا وفي ثوبين من عندي من غزل أمي.

قال: فأنت فكفّني، فكفّنه الأنصاري، ودفنه في النفر الذين هم معه، منهم حجر بن الأدبر ومالك بن الأشتر في نفر كلهم يمان، ولم يذكر ابن ناصر قوله: لا يموت بين مسلمين ولدان، ولفظ الحديث لعبد الوهاب.

* * *

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، في مسند الأنصار، حديث أبي ذر الغفاري.

(٢) انظر: الحديث السابق، وكذلك أخرجه ابن سعد في الطبقات وابن حبان في صحيحه والحاكم عن أبي ذر وصححه الذهبي.

(٣) الكَثِيب: الرمل المستطيل المحدودب.

الحكاية الثانية والستون بعد المائتين

حكاية برخ العابد

حدثنا ابن ربيعة الربعى عن كعب قال: قحطت بنو إسرائيل على عهد موسى، فسألوه أن يستسقى لهم، فقال: اخرجوا معى إلى الجبل، فخرجوا، فلما صعد الجبل قال موسى: لا يتبعنى رجل أصاب ذنباً.

قال: فانصرف أكثر من نصفهم، ثم قال الثانية: لا يتبعنى مَنْ أصاب ذنباً، قال: فانصرفوا جميعاً إلا رجل أعور يقال له: برخ العابد، فقال له موسى: ألم تسمع ما قلت؟ قال: بلى.

قال: فَلم تصب ذنباً؟ قال: ما أعلمه إلا شيئاً أذكره، فإن كان ذنبًا رجعت. قال: ما هو؟ قال: مررت فى طريق فإذا باب حجرة مفتوح، فلمحت بعينى هذه الذاهبة شخصاً لا أعلم ما هو، فقلت لعينى: أنتِ مِنْ بين يدى سارعت إلى الخطيئة، لا تصحبينى بعدها، فأدخلت أصبعى فيها، فقلعتها!، فإن كان هذا ذنباً رجعت؟ فقال موسى: ليس هذا ذنب، قال له: استسق يا برخ، فقال: قدوس! قدوس! ما عندك لا يفنى، وخزائنك لا تفنى، وأنت بالبخل لا تُرْمى، فما هذا الذى لا تعرف به، اسقنا الغيث الساعة الساعة. قال: فانصرفا يخوضان الوحل.

* * *

الحكاية الثالثة والستون بعد المائتين

من مواعظ سهل

حدثنا عمر بن واصل قال: سُئِلَ سهلٌ، فقيل له: يا أبا محمد، هل الذى يقولون يكون الرجل بالغداة بالبصرة وبالعشى بمكة؟ فقال: نعم، لله عباد يكونون نياماً على جنب، فيقولون: لا يُحَرَّك جنباً إلا بمصر أو أى موضع يريدون، وسكت ساعة.

ثم قال: أليس نرى الملوك لهم وزراء ووكلاء قد عرف منهم واحد بالنصيحة والصحة وصدق النية، فيدفع إليه الملك مفاتيح خزائنه ويقول له: اعمل ما شئت، فهو يعمل فى مملكة صاحبه ما يريد، كذا العبد إذا أطاع الله فيما أمره به وفيما نهاه عنه، واجتهد فيما يُقَرِّبه إليه من طاعته.

ثم قال: إنكم غافلون، وإن الدنيا راحلة عنكم، وأنتم منتقلون عنها، فتيقظوا من رقدتكم، فإن الأمر قريب ولعل القليل من أمركم إذا...[1].

* * *

---

(١) السطر الأخير من هذه الحكاية مطموس، وكذلك الحكاية الرابعة والستين، والخامسة والستين مطموستين فى المخطوط.

الحكاية السادسة والستون بعد المائتين

من حكايات المتصوفة

حدثنا الخلدى قال: حدثنى أبو بكر الكتانى وجماعة أخر من المشايخ قالوا: كان لأبى جعفر الدينورى أخ يكون بالشام، وكان لا يقيم فى قرية ولا مدينة أكثر من ليلة أو يوم، ثم يخرج، فدخل إلى قريةٍ، فاعتلَّ[1] بها سبعة أيام لم يأكل ولم يشرب ولم يكلمه أحد، فمات، فأصبح القوم فى اليوم الثامن، فوجدوه ميتاً، فغسَّلوه، وحنَّطوه، وكفَّنوه، وصلوا عليه، وحملوه ليدفنوه، فجاء الناس من كل قرية إليهم، وقالوا: سمعنا صائحاً يصيح: مَنْ أراد أن يحضر جنازة وَلِىٍّ من أولياء الله عز وجل فليحضر قرية كذا وكذا.

قال: فصلوا عليه ودفنوه، فلما كان من الغد وجدوا الكفن والحنوط مصروراً فى محرابهم، ومعه كتاب فيه مكتوب: لا حاجة لنا فى كفنكم هذا، يقيم بين أظهركم وَلِىٌّ من أولياء عز وجل سبعة أيام لا عُدْتُموه[2]، ولا عللتموه، ولا أطعمتموه، ولا سقيتموه، ولا كلمتموه.

قال الخلدى: قال لى الكتانى: أهل تلك القرية جعلوا فيها بيتاً للضيافة.

* * *

الحكاية السابعة والستون بعد المائتين

ثبات الجنيد عند مماته

حدثنا أحمد بن محمد بن زياد قال: سمعت أبا بكر العطار يقول: حضرت جنيداً عند الموت أنا وجماعة من أصحابنا، وكان قاعدًا يصلى ويثنى رجله إذا أراد أن يركع ويسجد، فلم يزل كذلك حتى خرجت الروح من رجليه، فثقل عليه حركتها، فمد رجليه، وكانتا قد تورمتا، فرآه بعض أصدقائه ممن حضره، فقال: ما هذا يا أبا القاسم؟ فقال: هذه نِعَمٌ، الله أكبر.

فلما فرغ من صلاته قال له أبو محمد الحريرى: يا أبا القاسم، لو اضطجعت! فقال: يا أبا محمد، هذا وقت يؤخذ منه، الله أكبر، فلم يزل كذلك حاله حتى خرجت روحه.

قلت: وحدثنا من طريق آخر أن الحريرى قال له: ارفق بنفسك، فقال: يا أبا محمد رأيت أحوج إليه منى فى هذا الوقت، وهو ذا تطوى صحيفتى.

* * *

---

(١) مرض.

(٢) زرتموه.

الحكاية الثامنة والستون بعد المائتين

بين شقيق البلخي وإبراهيم بن أدهم

حدثنا محمد بن عبد العزيز قال: قال حذيفة المرعشي: قدم شقيق البلخي مكة، وإبراهيم بن أدهم بمكة، فاجتمع الناس، فقالوا: نجمع بينهما، فجمعوا بينهما في المسجد الحرام، فقال إبراهيم بن أدهم لشقيق: يا شقيق، على ما أَصَّلْتُم أصولكم؟ قال: أَصَّلْنا أصولنا على أنا إذا رزقنا أكلنا، وإذا مُنِعْنَا صبرنا.

فقال إبراهيم بن أدهم: هكذا كلاب بلخ إذا رزقت أكلت، وإذا منعت صبرت! فقال شقيق: على ماذا أَصَّلْتُم أصولكم يا أبا إسحاق؟ فقال: أصلنا أصلنا على أنا إذا رزقنا آثرنا، وإذا مُنِعْنَا حمدنا وشكرنا.

قال: فقام شقيق فجلس بين يديه، وقال: يا أبا إسحاق أنت أستاذنا.

* * *

الحكاية التاسعة والستون بعد المائتين

حكاية أبي عبد الله بن أبي شيبة

عن أحمد بن محمد الصوفي قال: سمعت أستاذي أبا عبد الله بن أبي شيبة يقول: كنت ببيت المقدس، وكنت أحب أن أبيت في المسجد، وما كنت أُتْرَك، فلما كان في بعض الأيام بَصُرْتُ في الرواق بحُصْر قائمة، فلما صليت العَتَمَة وراء الإمام أتيت الحُصْرَ، واختبأت وراءها، وانصرف الناس والقُوَّام، ثم خرجت إلى الصحن، فلما سمعتُ غلق الأبواب فوقعت عيني على المحراب فنظرت إليه، وقد انشق ودخل منه رجل وثانٍ وثالث إلى أن تم السبعة، واصطف القوم، وزال عقلي، فلم أزل واقفاً في موضعي شاخصاً زائل العقل إلى أن انفجر الصبح، فخرج القوم على الطريق الذي دخلوا منه[1].

* * *

الحكاية السبعون بعد المائتين

من حكايات ابن أدهم

عن شقيق بن إبراهيم قال: لقيت إبراهيم بن أدهم بمكة في سوق الليل عند مولد رسول الله ﷺ وهو جالس ناحية من الطريق يبكي، فعدلت إليه، وجلست عنده، وقلت

---

(١) هذه حكاية منكرة لا تصح، ولعلها تهيؤات حدثت لهذا الرجل الصوفي الذي كان يُمْنَع من البيات في المسجد، ولا يخفى على القارئ ما في هذه الحكاية من افتعال واضح.

له: أى شيء هذا البكاء يا أبا إسحاق؟ فقال: خير؟!

فعاودته مرة ومرتين وثلاثاً، فلمَّا أكثرت عليه قال لى: يا شقيق إن أنا أخبرتك تُحَدِّث به أو تستر علىَّ؟ فقلت: يا أخى، قُلْ ما شئتَ. فقال: اشتهت نفسى سِكْبَاجاً[١] منذ ثلاثين سنة، وأنا أمنعها جهدى، فلما كانت البارحة كنت جالساً، وقد غلبنى النعاس إذا أنا بفتى شاب بيده قدح أخضر، يعلو منه بخار ورائحة سكباج، فقرَّب منى، وقال: يا إبراهيم، كُلْ. فقلت: ما آكل شيئاً قد تركته لله عز وجل.

فقال: وإن أطعمك الله لا تأكل، فما كان لى جواب إلا أن بكيت. فقال لى: كُلْ يرحمك الله. قال: يا إبراهيم. فقلت له: قد أمرنا أن لا نطرح فى وعائنا إلا من حيث نعلم. فقال لى: كُلْ عافاك الله، فإنما أعطيت هذا، وقيل لى: يا خضر اذهب بهذا، وأطعم نفس إبراهيم بن أدهم، فقد رحمها الله من طول صبرها على ما يحملها من منعها، اعلم يا إبراهيم إنى سمعت الملائكة يقولون: من أعطى، فلم يأخذ، طلب ولم يُعط. فقلت: وإن كان كذلك، فها أنا بين يديك لا أحل العقد مع الله عز وجل، ثم التفت فإذا بفتىً آخر ناوله شيئاً، فقال: يا خضر لَقِّمْه أنت، فلم يزل يُلقمنى حتى شبعت، فانتهيت وحلاوته فى فمى[٢].

قال شقيق: فقلت: أرنى كفك، فأخذت كفه فقبَّلتها، وقلت: يا من يطعم الجياع الشهوات إذا صححوا المنع، يا من سقى قلوبهم من محبته أترى لشقيق عندك ذاك، ثم رفعت يد إبراهيم إلى السماء، وقلت: بقَدْر هذه الكف وبقدر صاحبها[٣]، والجود الذى وجده منك جُدْ على عبدك الفقير إلى فضلك وإحسانك، وإن لم يستحق ذاك!

قال: وقام إبراهيم، فمشى حتى دخلنا المسجد الحرام.

* * *

الحكاية الحادية والسبعون بعد المائتين

حكاية لعبد الله بن صالح

حدثنا عبد العزيز الأهوازى قال: قال لى سهل بن عبد الله: مخالطه الولى للناس ذُلٌّ، وتفرده عِزٌّ، وقَلَّ ما رأيت ولياً لله إلا منفرداً، إن عبد الله بن صالح كان رجلاً له سابقة

---

(١) السكباج: طعام يصنع من اللحم والخل والتوابل.

(٢) هذه الحكاية منكرة جدًا، وهى من أكاذيب المتصوفة، وقد سبق الحديث عن الخضر وحياته وموته فى التعليق على الحكاية رقم: ٦٣.

(٣) هذا الفعل لا يجوز شرعًا، وهو من التوسل المخالف للعقيدة الإسلامية.

جليلة وموهبة جزيلة، وكان يفر من الناس من بلد إلى بلد حتى أتى مكة، فطال مقامه بها، فقلت له: لقد طال مقامك بها؟ فقال لى: لِمَ لا أقيم بها، ولم أر بلداً تنزل فيه الرحمة والبركة أكثر من هذا البلد؟ فأحببت أن أكون فيه مقيماً، والملائكة تغدو فيه وتروح، وإنى لا أرى فيه أعاجيب كثيرة ؛ أرى الملائكة يطوفون به على صُوَر شَتَّى لا يقطعون ذلك، ولو قلت كل ما رأيت صغرت عنه عقول قوم ليسوا بمؤمنين! فقلت له: أسألك ألا أخبرتنى بشىء من ذلك.

فقال: ما من وَلِيٍّ لله تعالى صحت ولايته إلا وهو يحضر هذا البلد فى كل ليلة جمعة لا يتأخر عنه، فمقامى ها هنا لأجل من أراه منهم، ولقد رأيت رجلاً يقال له مالك بن القاسم جيلى وقد جاء ويده عمرة فقلت له: إنك قريب عهد بالأكل؟ فقال لى: استغفر الله ؛ فإنى منذ أسبوع لم آكل، ولكنى أطعمت والدتى وأسرعت لألحق صلاة الفجر، وبينه وبين الموضع الذى جاء منه سبعمائة فرسخ! فهل أنت مؤمن بذلك؟ فقلت: نعم. فقال: الحمد لله الذى أرانى مؤمناً موقناً[١].

* * *

الحكاية الثانية والسبعون بعد المائتين

حكاية أسود بن سالم مع رفقه

حدثنا أبو مسلم قال: سمعت أسود بن سالم يقول: خرجت سنة من السنين إلى طرسوس ومعى رفيق لى، فلما صرنا بطرسوس نودى بالغزو، فخرجنا مع الناس، واعتل رفيقى، ونحن فى بلاد الروم، فقلت له: تشتهى شيئاً؟ فقال: أشتهى مَصْلِيَّةً[٢]، وأشتهى خوخاً! فقلت له: أرى البرسام[٣] قد ضرب فى رأسك، نحن فى بلد الروم لو طلبت بَصَلَة لعلك لم تقدر عليها! فقال: شَهَّيْتَنِى، فأخبرتك.

قال: ونزل العسكر، فأخذت دابتى، ومضيت أسقيها ماء، فجئت وإذا قِدْر تفور وغذاء ست خوخات، فجئت إلى رفيقى، فأعلمته. قال: فهاديته[٤] بينى وبين آخر حتى

(١) هذه حكاية باطلة ومنكرة جدًّا ومليئة بالأكاذيب التى تخالف الشرع والعقل، كقوله إن الأولياء يضرون إلى مكة كل جمعة، ولا أدرى لماذا يمتنع هذا الرجل عن الأكل أسبوعًا، ويطلب من صاحبه الاستغفار لأنه ظن أنه تناول الطعام، وفى ذلك مخالفة واضحة وصريحة للشرع، والعجب ليس فيمن ينقل هذه الحكايات فحسب، وإنما العجب فيمن يقرا هذه الحكايات أو يسمعها، فيصدقها ويعتقد فيها.

(٢) أي: شاة قد شوي لحمها على النار.

(٣) البرسام: مرض يهذى صاحبه، وهو أشبه بالجنون.

(٤) أي: استند على رفيقيه وسار متمايلاً من أثر المرض.

جئت به إلى الموضع، فجعل يدخل إصبعه فى القدر، ويشم رائحته، وجعل يقلب الخوخ، ويقول: هى والله شهوتى. ثم قال لنفسه: صرتِ إذا ما اشتهيتِ الشيء تجديه، والله لا ذقتيه، ثم انصرف عنها، ولم يأكل منها شيئاً.

* * *

الحكاية الثالثة والسبعون بعد المائتين
من صور الجود والإنفاق لابن المبارك

عن محمد بن على بن الحسن بن شقيق قال: سمعت أبى قال: كان ابن المبارك إذا كان وقت الحج اجتمع إليه إخوانه من أهل مرو، فيقولون: نصحبك يا أبا عبد الرحمن، فيقول لهم: هاتوا نفقاتكم، فيأخذ نفقاتهم، فيجعلها فى صندوق، ويقفل عليها، ثم يكترى[(١)] لهم، ويخرجهم من مرو إلى بغداد، فلا يزال ينفق عليهم، ويطعمهم أطيب الطعام وأطيب الحلوى، ثم يخرجهم من بغداد بأحسن زى وأكمل مروءة حتى يصلوا إلى مدينة الرسول ﷺ، فإذا صاروا إلى المدينة قال لكل رجل منهم: ما أَمَرَكَ عيالُك أن تشترى لهم من المدينة من طُرَفِهَا؟ فيقول: كذا، ثم يخرجهم إلى مكة، فإذا وصلوا إلى مكة، فقضوا حجهم قال لكل واحد منهم: ما أمرك عيالك أن تشترى لهم من متاع مكة؟ فيقول: كذا وكذا، فيشترى لهم ويخرجهم من مكة، فلا يزال ينفق عليهم إلى أن يصيروا إلى مرو، فإذا وصل إلى مرو جصص[(٢)] أبوابهم ودورهم، فإذا كان بعد ثلاثة أيام صنع وليمة وكساهم، فإذا أكلوا وشربوا دعا بالصندوق، ففتحه، ودفع إلى كل رجل منهم صُرَّتَه بعد أن كتب عليها اسمه.

قال أبى: أخبرنى خادمه أنه عمل آخر سفرة سافرها دعوة، فقدَّم إلى الناس خمسة وعشرين خواناً فالوذج.

قال أبى: وبلغنا أنه قال للفضيل بن عياض: لولاك وأصحابك ما اتجرت.

قال أبى: وكان ينفق على الفقراء فى كل سنة مائة ألف درهم.

* * *

الحكاية الرابعة والسبعون بعد المائتين
عبد الله بن المبارك يقضي دَيْنَ تلميذه

حدثنا محمد بن عيسى قال: كان عبد الله بن المبارك كثير الاختلاف إلى طرسوس،

---

(١) يستأجر.

(٢) شيدها.

وكان ينزل الرقة فـي خـان، فكـان شـاب يختلف إليـه، ويقـوم بحوائجـه، ويسـمع منـه الحديث، فقدم عبد الله الرقة، فلم ير ذلك الشاب، وكان مستعجلاً، فخرج في النفـير، فلما قفل من غزوته، ورجع إلى الرقة سال عن الشاب، فقالوا: إنه محبوس لِدَيْـن رَكِبَـه، فقال عبد الله: كم بلغ دَيْنه؟ فقالوا: عشرة ألاف درهم، فلـم يـزل يستقصى حتـى دُلَّ على صاحب المال، فذهب إليه ليلاً، ووزن لـه عشـرة ألاف درهـم، وحَلَّفَـه أن لا يخبر أحداً ما دام عبد الله حيًّا.

وقال: إذا أصبحت، فأخرج الرجل من الحبس، وأدلج[1] عبد الله، فأخرج الفتى من الحبس، وقيل له: عبد الله بن المبارك كان هاهنا، وكـان يذكـرك، وقـد خـرج، فخـرج الفتى في أَثَرِه، فلحقه على مرحلتين - أو ثلاث - من الرقة، فقال: يا فتـى أيـن كنـت؟ لم أرك في الخان! فقال: يا أبا عبد الرحمن كنتُ محبوساً بدَيْن. قال: وكيف كان سـبب خلاصك؟ قال: جاء رجل، فقضى دَيْنِي، ولم أعلم به حتى أُخْرِجْتُ من الحبـس، فقـال له عبد الله: يا فتى احمد الله على ما وَفَّقَ لك من قضاء دَيْنِك، ولـم يخبر ذلـك الرجـل أحدًا إلا بعد موت عبد الله.

* * *

الحكاية الخامسة والسبعون بعد المائتين
من حكايات ذي النون

أخبرنا يوسف بن الحسين قال: سمعت ذا النون يقول: كنت بالعلاقة - يعنـي جبـلاً بالشام - فإذا بثلاثة نفر عليهم العباء القطوانيات، وبيد كل واحد منهم ركوة وعكـاز، فلما رأونـي قـال بعضهـم لبعـض: اعدلـوا بنـا إلى أبـي الفيـض ذى النـون، فعدلـوا إلَيَّ، وبدأوني بالسلام، فقلت لهم: مِنْ أين أقبلتم؟ فقال أحدهم: مـن زهـرة ريـاض الأنـس. قلت: بِمَنْ؟ قال الآخر: بالله ذى المواهب. قلت: فما صنعتـم فـي تلـك الزهـرة؟ فقـال الآخر: شربنا فيها بكئوس الوجـد. قلـت: فمَـنْ سـاعدكم علـى شـربكم؟ فقـال آخـر: زفرات الجهد وعَبَرَات الجد بمواجيـد القلـوب والمناصحـة للمحبـوب ؛ فانْحَسَرَتْ عنـا بشربنا ظُلَم الغَفَلات، وفُتِقَ لنا بشربنا رتق عواسى الغمائم.

قال بعضهم لبعض: هذا ذو النون المتكلم في المحبة، فبينما هم في هذا الكلام هبَّـتْ ريح عظيمة، وإذا أنا بمائدة عليها من كل لون كأنهـا زُيِّنَـتْ، فلمـا رأيـت ذلـك قلـت: سبحان الله! مُكْرِم أوليائه! فقالوا: يا ذا النون أنت ولى الله.

فقلت: أُحَقِّر نفسى أن أكون ولياً لله، فنظروا إلَيَّ كالمُفَرَّسين فـيَّ، فقلـت: أوصونـى

(١) سار في أول الليل.

بوصية، وتخصونى بدعوة، فإذا بفتيان قد انحدروا من جبل العلاقية، فسلّموا، ثم قالوا: يا إخواننا ما بال البطال ذى النون لا يجيب جواباً ولا يفى به، ثم جلسوا إلى تلك المائدة، فأكلوا وجعلوا يأكلون منها، ولم يدعونى. فقال لى الفتيان: يا ذا النون إنك ضعيف اليقين، لِمَ تحضر فى مواطن الحق، فأكلوا وانصرفوا، وبقيت كالمتحير!.

* * *

الحكاية السادسة والسبعون بعد المائتين

درس في النهي عن المنكر

حدثنا على بن محمد الحلوانى قال: كان إبراهيم الخواص جالساً فى مسجد بالرى، وعنده جماعة، فسمع صوت ملاهى من الجيران، فاضطرب مِنْ ذلك مَنْ كان فى المسجد، وقال: يا أبا إسحاق، ما ترى؟ فخرج إبراهيم من المسجد نحو الدار التى فيها المنكر، فلما بلغ طرف الزقاق إذا كلب رابض، فلما قرب منه إبراهيم نبح عليه وقام، فرجع إبراهيم إلى المسجد، وتفكّر ساعة، ثم قام مبادراً، فخرج، فمر على الكلب، فبصبص الكلب له، فلما قرب من باب الدار خرج إليه شاب حسن الوجه، وقال: أيها الشيخ لِمَ أنزعجت؟ كنت وجهت ببعض مَنْ عندك، فأبلغ لك كل ما تريد! وعلىَّ عهد الله وميثاقه لا شربت أبداً، وكسر جميع ما كان عنده من آلة الشرب، وصحب أهل الخير، ولزم العبادة.

ورجع إبراهيم إلى مسجده، فلما جلس سئل عن خروجه فى أول مرة ورجوعه، وعوده إلى الخروج مرة ثانية، وما كان من أمر الكلب، فقال: نعم، إنما نبح الكلب لفساد كان قد دخل علىَّ فى عقد بينى وبين الله لم أنتبه له فى الوقت، فلما رجعت ذكرته، فاستغفرت الله عز وجل منه، ثم خرجت الثانية، فكان ما قد رأيتموه، وهكذا كل مَنْ خرج إلى إزالة منكر وإقامة معروف فتحرّكت عليه أشياء من المخلوقات، فذلك لفساد عقد بينه وبين الله عز وجل، فإذا وقع الأمر على الصحة لم يؤذه شىء، وكان على ما رأيتموه عيانًا.

* * *

الحكاية السابعة والسبعون بعد المائتين

من عجائب الدنيا

حدثنا محمد بن سعد قال: قال الواقدى: قال معاوية بن أبى سفيان يوماً لعبدٍ الجرهمى: أخبرنى بأعجب شىء رأيته؟ قال: إنى نزلت بحَىٍّ من قضاعة، فخرجوا بجنازة رجل من بنى عذرة يقال له حرب، وخرجت معهم حتى إذا واروه فى حفرته تنحيت

جانباً عن القوم وعيناى تذرفان بالبكاء، ثم تمثلت بأبيات من الشعر كنت أرويها قبل ذلك بزمان طويل:

استقدر الله خيراً وارضين به فبينما العسر إذ دارت مياسير
وبينما المرء فى دنياه مغتبطاً إذ صار فى القبر تعفوه الأعاصير
يبكى الغريب عليه ليس يعرفه وذو قرابته فى الحى مسرور

قال: وإلى جانبى رجل يسمع ما أقول، فقال لى: يا عبد الله، هل لك عِلْم بقائل هذه الأبيات؟ قلت: لا والله إلا أنى أرويها من زمان، فقال: والذى تحلف به إن قائلها لصاحبنا الذى دفناه آنفاً الساعة، وهذا الذى تراه ذو قرابته أَسَرُّ الناس بموته، وأنت الغريب تبكى عليه كما وصفتَ، فعجبت لما ذَكَرَ فى شعره، والذى صار إليه من قوله، كأنه ينظر إلى مكانه من جنازته، فقلت: إن البلاء موكل بالمنطق، فذهبت مثلاً.

* * *

الحكاية الثامنة والسبعون بعد المائتين

حكاية للخليفة المأمون

حدثنا عبد الله بن محمود المروزى قال: سمعت يحيى بن أكثم القاضى يقول: ما رأيت أكمل آلةٍ من المأمون، وجعل يحدث بأشياء يستحسنها مَنْ كان فى مجلسه، ثم قال: كنت عنده ليلة أذاكره وأحدثه، ثم نام وانتبه، فقال: يا يحيى، انظر أى شىء عند رجلى؟ فنظرت، فلم أر شيئاً.

فقال: شمعه!، فتبادر الفرَّاشون، فقال: انظروا، فنظروا، فإذا حيَّة تحت فراشه بطوله، فقتلوها. فقلت: قد انضاف إلى كمال أمير المؤمنين علم الغيب، فقال: معاذ الله، ولكن هُتِفَ بى هاتف الساعة وأنا نائم فقال:

يا راقد الليل انتبه إن الخطوب لها سُرَى
ثقة الفتى بزمانه ثقة محلله الغُرى

قال: فانتبهت، فعلمت أن قد حدث أمراً ما قريب أو بعيد، فتأملت ما قرب، فكان ما رأيت.

* * *

الحكاية التاسعة والسبعون بعد المائتين

حكاية القاضي عبيد الله بن الحسن مع جاريته

حدثنا عبيد الله بن الحسن قاضى البصرة قال: كانت جارية أعجمية وضيئة[1]،

---

(١) جميلة.

وكنت بها معجباً، وكانت ذات ليلة نائمة إلى جنبى، فانتبهت فلم أجدها، فقلت: شراً. فلما وجدتها وجدتها ساجدة، وهى تقول: بحبك لى اغفر لى، فقلت لها: لا تقولى هكذا، قولى: بحبى لك اغفر لى.

فقالت: يا بطّال حُبّه لى أخرجنى من الشِّرْك إلى الإسلام، وبحبه لى أيقظ عينى وأنام عينك. قلت: اذهبى، فأنت حُرَّة لوجه الله. قالت: يا مولاى، أسأت إلىّ، كان لى أجران صار لى أجر واحد.

* * *

الحكاية الثمانون بعد المائتين

حكاية أبي سليمان مع شاب عابد

حدثنا أحمد بن الحوارى قال: سمعت أبا سليمان يقول: مررت فى جبل اللكام، فسمعت رجلاً يقول: سيدى وأملى ومؤملى ومن به تمام عملى، أعوذ بك من بدن لا ينتصب بين يديك، وأعوذ بك من قلب لا يشتاق إليك، وأعوذ بك من دعاء لا يصًل إليك، وأعوذ بك من عين لا تبكى عليك، فلما سمعته يقول: من عين لا تبكًى عليك علمت أنه عارف، فقلت له: يا فتى إن للعارفين مقامات، وللمشتاق علامات.

قال: ما هى؟ قلت: كتمان المصيبة، وصيانة الكرامة. فقال: عظنى! فقلت له: اذهب فلا ترد غيره، ولا تَرْج سواه، ولا تَرُدّ خيره ولا تبخل بشيئه عنه. فقال: زدنى. فقلت: لا ترد الدنيا، واتخذ الفقر غنى، والبلاء من الله عز وجل شفاء، والتوكل معاشاً، واللهُ عز وجل لكل شدة عدة، فصعق، فتركته فى صعقته، ومضيت، فإذا برجل نائم، فركضته برجلى، وقلت له: قم يا هذا، فإن الموت لم يمت، فرفع رأسه، وقال: يا أبا سليمان ما بعد الموت أشد من الموت! قلت له: مَنْ أيقن بالموت شد مئزر الحذر، فلم يكن للدنيا عنده وَطَر.

* * *

الحكاية الحادية والثمانون بعد المائتين

درس في الحِلْم من قيس بن عاصم

قال الأصمعى: سمعت أبا عمرو بن العلاء وأبا سفيان بن العلاء يقولان: قيل للأحنف بن قيس: ممن تعلَّمْتَ الحلم؟ قال: مِنْ قيس بن عاصم المنقرى، لقد اختلفنا إليه فى الحلم كما يختلف إلى الفقهاء فى الفقه، بينما نحن عند قيس ابن عاصم، وهو قاعد بفنائه مُحْتَب بكسائه أتته جماعة فيهم مقتول ومكتوف، فقالوا: هذا ابنك قتله ابن

أخيك، فوالله ما حَلَّ حَبْوَتَه حتى فرغ من كلامه، ثم التفت إلى ابنٍ له فى المسجد، فقال: أَطْلِقْ عن ابن عمك، ووارِ أخاك، واحمل إلى أمه مائة من الإبل، فإنها غريبة، وأنشأ يقول:

إنى امرؤ لا شائن حسبى ... دَنَسٌ بغيرة ولا أُفُن
من منقر فى بيت مكرمة ... والغصن ينبت حوله الغصن
خطبا حيث يقول قائلهم ... بيض الوجوه أعفة لُسْن
لا يفطنون لعيب جارهم ... وهم بحسن جواره فطن

وقال الشاعر فيه بعد موته:

عليك سلام الله فيض ابن عاصم ... ورحمته ما شاء أن يترحما
تحية مَنْ ألبسته منك نعمة ... إذ أراد عن سخط بلاء زال سلما
فما كان قيس هلكة هالك ... واحدٍ ولكنه بنيان قوم تهدما

* * *

الحكاية الثانية والثمانون بعد المائتين

لا تجهد فرسك فلست بلاحقنا

حدثنا عبيد الله بن عمر القواريرى قال: لم يكن يكاد تفوتنى صلاة العَتَمَة فى جماعةٍ، فنزل بى ضيف، فشُغِلْتُ به، فخرجت أطلب الصلاة فى قبائل البصرة، فإذا الناس قد صلُّوا، فقلت فى نفسى: رُوِىَ عن النبى ﷺ أنه قال: «صلاة الجماعة تفضل على صلاة الفرد بإحدى وعشرين درجة» ورُوِىَ: «خمساً وعشرين» ورُوِىَ: «سبعاً وعشرين»[1]، فانقلبت إلى منزلى، فصليت العَتَمَة سبعاً وعشرين مرة، ثم رقدت، فرأيتنى مع قوم راكبى أفراس، وأنا راكب فرس كأفراسهم، ونحن نتجارى، فالتفت إلىَّ أحدهم فقال: لا تجهد فرسك، فلست بلاحقنا. قال: فقلت: ولِمَ ذاك؟ قال: إنا صلينا العَتَمَة فى جماعة.

* * *

(١) وعن أبي هريرة رَضي اللَّهُ عَنهُ قال، قال رَسُول اللَّهِ ﷺ: «صلاة الرجل في جماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمساً وعشرين ضعفاً؛ وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة، لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة، وحط عنه بها خطيئة، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه ما لم يحدث تقول: اللهم صل عليه، اللهم ارحمه، ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة» مُتَفَقٌ عَلَيهِ. وهذا لفظ البخاري. وأخرج البخاري ومسلم فى صحيحيهما ومالك فى الموطأ عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ، قال: «صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة».

الحكاية الثالثة والثمانون بعد المائتين

حكاية حذيفة بن قتادة المرعشي

حدثنا حذيفة بن قتادة المرعشي قال: كنت في المركب، فكُسِرَ بنا، فوقعتُ أنا وامرأة على لوح من ألواح المركب، فمكثنا سبعة أيام، فقالت المرأة: أنا عطشى، فسألت الله عز وجل أن يسقيها، فنزلت علينا من السماء سلسلة فيها كوز مُعَلَّقٌ فيه ماء، فشَرِبَتْ، فرفعت رأسي أنظر السلسلة، فرأيت رجلاً جالساً في الهواء متربعاً، فقلت: مَنْ أنت؟ قال: مِنْ الإنس. قلت: فما الذي بلغك هذه المنزلة؟ قال: آثرت اللهَ على هوايَ، فأجلسني كما تراني[1].

* * *

الحكاية الرابعة والثمانون بعد المائتين

حكاية بشر بن الحارث مع صوفي في الرضا والتسليم

حدثنا عباس بن دهقان قال: أخبرني أحمد بن الزيات قال: كنت عند بشر بن الحارث وهو يتكلم في الرضا والتسليم، فإذا هو برجل من المتصوفة يقول: يا أبا نصر انقبضتَ مِنْ أخذ البر من يد الخَلْق لإقامة الجاه، فإذا كنت متحققاً بالزهد منصرفاً عن الدنيا، فخذ منهم لينمحي جاهك عندهم، وأخرج ما يعطونك إلى الفقراء، وكن بعقد التوكل تأخذ قوتك من الغيب، فاشتد ذلك على أصحاب بشر.

فقال بشر: اسمع أيها الرجل، الفقراء ثلاثة: فقير لا يسأل، وأن أُعْطِيَ لا يقبل، فذاك من الرُّوحانيين إذا سأل الله أعطاه، وإن أقسم على الله أَبَرَّ قسمه، وفقير لا يسأل، وإن أُعْطِيَ قَبِلَ، فذاك من أوسط القوم عنده في التوكل والسكون إلى الله، وهو من أهل حضرة القدس، وفقير اعتقد الصبر وموافقة الوقت، فإذا طرقته الحاجة خرج إلى عبيد الله وقلبه إلى الله بالسؤال، فكفّارة مسألته صدقه في السؤال.

* * *

الحكاية الخامسة والثمانون بعد المائتين

حكاية معروف الكرخي مع رجل من العُبَّاد

عن معروف قال: رأيت رجلاً يمشي في مَرْج الديباج ليس معه شيء، فدنوت منه، فسلّمت عليه، فرد عليَّ السلام، فقلت له: يرحمك الله! أين تريد؟ قال: لا أدري. قلت: هل رأيت أحداً يريد مكاناً لا يدري أين يذهب؟ قال: أنا أحدهم. قلت: فأين تنوي؟

---

(١) هذه حكاية منكرة من وضع القُصَّاص والصوفية.

قال: مكة. قلت: تنوى مكة، ولا تدرى أين تذهب؟ قال: نعم. وذاك كَمْ مِنْ مرة أردت أن أذهب إلى مكة، فردنى إلى طرسوس، وكم من مرة أردت طرسوس، فَيَذْهَبُ بى إلى مكة، وكم من مرة أردت البصرة فيمر بى إلى عبادان. فقلت: مِنْ أين المعاش؟ قال: من حيث يريد يجوعنى مرة، والطعام حاضر، ويشبعنى مرة والطعام فائت، ويكرمنى مرة ويهيننى أخرى، ومرة يُسمعنى: يا لص ما على وجه الأرض شر منك، ومرة يقول: ما على الأرض مثلك ولا أزهد منك، ومرة ينومنى على الفراش الوطىء، ومرة يطردنى وينبهنى وينومنى فى النواويس!.

فقلت: رحمك الله! فمن هو؟ قال: الله عز وجل، لقد ألقانى فى بحر لا شاطئ له[1]، وبكى بكاء شديداً حتى رحمته، وبكيت لبكائه، ثم سمعت الصراخ من كل ناحية، وليس ثَمَّ أنيس ظاهر، فقلت له: رحمك الله أسمع بكاء غيرك؟ قال: نعم خلان لى من الجن كلما نُحْتُ ناحوا معى. قال معروف: فذهب عنى، وبقيت متعجباً مما رأيت منه، وصغرت إلىَّ نفسى، ثم لحقته، وقلت له: فَسِّرْ لى كيف هذا؟ فزعق وقال: يا لص، جئت تدخل بينى وبين سيدى، لا وعزته لا فسرته إلا عليه، وغاب عنى.

* * *

الحكاية السادسة والثمانون بعد المائتين

حكاية أبي حازم القاضي مع المعتضد

حدثنا طلحة بن محمد بن جعفر قال: قال لى حبيب الزراع: كنا ونحن أحداث مع أبى حازم بن عبد الحميد بن عبد العزيز القاضى، فكنا نقعده قاضياً، ونتقدم إليه فى الخصومات، فما مضت الليالى والأيام حتى صار قاضياً.

قال طلحة: وقال أبو الحسن عبد الواحد بن محمد الحصنى: وبلغ من شدته فى الحكم أن المعتضد وجَّه إليه بطريف المخلدى فقال له: إن لى على الصبغى بيع كان للمعتضد ولغيره مالا، وقد بلغنى أن غُرَمَاءه ثبتوا عندك، وقد قَسَّطْتُ لهم من ماله، فاجعلنا كأحدهم.

فقال له أبو حازم: قل له: أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ذاكر لما قال لى وقت أن قلَّدنى أنه قد أخرج الأمر من عنقه، وجعله فى عنقى، ولا يجوز أن أحكم فى مال الرجل لِمُدَّعٍ إلا ببَيِّنَة، فرجع إليه طريف، فأخبره، فقال: قل له: فلان وفلان يشهدان عنى - رجلين جليلين كانا فى ذلك الوقت - فقال: يشهدان عندى، وأسأل عنهما،

(١) قد يفهم من هذا الكلام نوع من الاعتراض على الله سبحانه، وعمومًا ينبغى التأدب مع الله سبحانه في كل كلمة تخرج من اللسان، ويبدو أن هذه الحكاية من وضع القُصّاص والصوفية.

فإن زُكِّيا قَبِلْتُ شهادتهما، وإلا أمضيت ما ثبت عندى، فامتنع أولئك من الشهادة فَزَعاً، ولم يدفع إلى المعتضد شيئاً.

* * *

الحكاية السابعة والثمانون بعد المائتين

حكاية أخرى لأبي حازم القاضى مع المعتضد

حدثنا وكيع القاضى قال: كنت أتقلد لأبى حازم - يعنى عبد الحميد بن عبد العزيز القاضى - وقوفاً فى أيام المعتضد منها وقف الحسن بن سهل، فلما استكثر المعتضد من عمارة القصر المعروف بالحبشى أدخل إليه بعض وقوف الحسن بن سهل التى كانت فى يدى، وكانت مجاورة للقصر، وبلغت السنة آخرها، وقد جَبَيْتُ مالها إلا ما أخذه المعتضد، فجئت إلى أبى حازم، فعَرَّفْته اجتماع مال السنة، واستأذنته فى قسمته فى سُبُلِه وعلى أهل الوقف، فقال لى: فهل جَبَيْتَ ما على أمير المؤمنين؟ فقلت له: ومَنْ يجسر على مطالبة الخليفة؟ فقال: والله لا قَسَّمْتُ الارتفاع أو تأخذ ما عليه، والله لئن لم يزح الغلة لا وَلِيتُ له عملاً، ثم قال: امض إليه الساعة، وطالبه.

فقلت: ومَنْ يوصلني. قال: امض إلى صافى الحرمى، وقل له: إنك رسول أنفذتُه فى مهم، فإذا وصلت، فعَرِّفْه ما قلتُ لك، فجئت، فقلت لصافى ذلك، فأوصلنى، وكان آخر النهار، فلما مثلت بين يدى الخليفة ظن أن أمراً عظيماً قد حدث، وقال لى: هى! قُلْ، كأنه متسوف. فقلت له: إنى أَلِيَ لعبد الحميد قاضى أمير المؤمنين وقوف الحسن بن سهل، وفيه ما قد أدخله أمير المؤمنين إلى قصره، ولما جَبَيْتُ مال هذه السنة امتنع من تفرقته إلى أن أجبى ما على أمير المؤمنين، وأنفذنى الساعة قاصداً بهذا السبب، وأمرنى أن أقول: إنى حضرت فى مُهِم لأصل.

قال: فسَكَتَ ساعة مفكراً، ثم قال: أصاب عبد الحميد، يا صافى، هات الصندوق. قال: فأحضر صندوقاً لطيفاً، فقال: كم يجب لك؟ قلت: الذى جَبَيْتُ عام أول من ارتفاع هذه العقارات أربع مائة دينار. قال: كيف حَذقك بالنقد والوزن؟ قلت: أعرفهما. قال: هاتوا ميزاناً، فجاءوا بميزان، وأخرج من الصندوق دنانير، فوزن لى منها أربعمائة دينار، فقبضتها وانصرفت إلى أبى حازم بالخبر، فقال: أضفها إلى ما اجتمع للوقف عندك، وفَرِّقْه فى غدٍ فى سُبُلِه، ولا تؤخر ذلك، فكثر شكر الناس لأبى حازم بهذا السبب وإقدامه على الخليفة بمثل ذلك وشكرهم المعتضد فى إنصافه.

* * *

الحكاية الثامنة والثمانون بعد المائتين

أبو حازم القاضي يعطي الدية لأصحابها

حدثنا القاضى أبو طاهر محمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر قال: بلغنى أن أبا حازم القاضى جلس فى الشرقية وهو قاضيها للحكم، فارتفع إليه خصمان فاجترأ أحدهما بحضرته إلى ما أوجب التأديب، فأمر بتأديبه، فأُدِّبَ، فمات فى الحال، فكتب إلى المعتضد من المجلس: اعلم أمير المؤمنين أطال الله بقاءه أن خصمين حضرانى، فاجترأ أحدهما إلى ما أوجب عليه معه الأدب عندى، فأمرت بتأديبه، فأدب، فمات، وإذا كان بتأديبه مصلحة المسلمين، فمات فى الأدب، فالدية واجبة فى بيت مال المسلمين، فإن رأى أمير المؤمنين أطال الله بقاءه أن يأمر بحمل الدية لأحملها إلى ورثته فعل.

قال: فعاد الجواب بأنا قد أمرنا بحمل الدية إليك، وحَمَلَ إليه عشرة آلاف درهم، فأَحْضَرَ ورثة المتوفى، ودفعها إليهم.

قال التنوخى: وحدثنا أبو عبيد الله المرزبانى قال: حدثنا إبراهيم بن محمد بن شهاب عن أبى حازم القاضى بهذا الخبر.

* * *

الحكاية التاسعة والثمانون بعد المائتين

حكاية سفيان الثوري مع أبي جعفر الرازي

عن بشر بن الحارث قال: كان أبو جعفر الرازى صديقاً لسفيان الثورى، وكانت له معه بضاعة، وكان يكثر الحج، فكان إذا قدم الكوفة تلقّاه سفيان إلى القنطرة، وإذا خرج إلى مكة شيَّعه إلى النَّجَف، فقدم سنة من السنين مدينة السلام، فاجتمع إليه الأضراء، فقالوا: يا أبا جعفر، تُكَلِّم لنا أمير المؤمنين، فإنه قد وَلَّى علينا رجلاً يقتطع أرزاقنا، ويسىء فيما بيننا وبينه، فلم يجبهم إلى شىء، فبلغ ذلك سفيان، فتلقاه إلى القنطرة، وشيَّعه حتى جاوز النجف، وزاده فى البرِّ، فلما كان فى العام المقبل قدم أبو جعفر، وهو يريد الحج، فاجتمع الأضراء، فكَلَّمُوه بما كَلَّمُوه فى العام الماضى، فرَقَّ لهم، فأتى باب الذهب، فقال للحاجب: استأذن لى على أمير المؤمنين، وأخبره أن بالباب أبا جعفر الرازى، فأسرع الرسول: أن ادخل، فدخل على المنصور، فأكرمه بغاية الكرامة، وجعل يسأله عن أحواله، ويسأله: هل له حاجة؟ فقال: نعم، فقص عليه قصة الأضراء، فقال: نعزل كاتبهم ونُوَلِّى عليهم مَنْ أحبُّوه، ويؤمر لأبى جعفر بعشرة آلاف لسؤاله إيانا هذه الحاجة، فلما صارت الدراهم فى يده سُقِطَ فى يديه، وعلم أنه قد أخطأ، فجلس بسور القصر، ثم دعا بخِرَقٍ، فجعلها صُرُرًا، وفرَّقها على قوم، وقدم فنفض ثوبه، وليس معه

منها شيء، فبلغ ذلك سفيان الثورى، فلما دخل أبو جعفر الرازى الكوفة توارى سفيان، فطلبه فلم يقدر عليه، وسأل عنه فلم يُدَل عليه، فامتعض له بعض إخوان سفيان، فقال له: لك إليه حاجة؟ فقال: نعم. فقال: اكتب كتاباً وادفعه إلىّ أُوَصِّلُه لك إليه، فكتب كتاباً، ودفعه إليه.

قال: فصِرْتُ بالكتاب إلى سفيان، فإذا أنا به فى غرفة، وإذا هو مستلق على قفاه مستقبل القبلة، فسلَّمت عليه، وأظهرت الكتاب، فقال لى: مه؟ فقلت: كتاب أبى جعفر الرازى. فقال: اقرأه، فقرأته، فقال لى: اكتب جوابه فى ظهره، فكتبت: بسم الله الرحمن الرحيم. وقلت له: ما أكتب؟ فقال: اكتب: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ﴾[١] إلى آخر الآية، اُرْدُدْ علينا بضاعتنا، لا حاجة لنا فى أرباحها.

قال: فأتيته بالكتاب والناس إذ ذاك متوافرون بالكوفة، فنظروا فى الكتاب، وأجمع رأيهم على أنهم يوجهون بالكتابين إلى ابن أبى ليلى، ولا يُعْلِمُونه ممن هو الكتاب، ولا من صاحب الجواب، ليعرفوا ما عنده من الرأى، فوجهوا بالكتابين، فنظر فيهما، فقال: أما الأول فكتاب رجل مُدَاهِنٍ، وأما الجواب فكتاب رجل يريد الله بفعله[٢].

* * *

الحكاية التسعون بعد المائتين

حكاية فقير صوفي عفيف

حدثنا أحمد بن محمد البزار قال: كنت بعبادان، وكانت ليلة عاشوراء، فدخلت إلى دار السبيل، فرأيت فقيراً جالساً يأكل خبز الشعير ومِلْحاً جريشاً[٣]، فاحترق قلبى عليه، وكان معى ألف دينار للتفرقة بعبادان، فسألت عن هذا الرجل، فقالوا: هو أفضل مَنْ هاهنا فى الزهد ومنازله الفقر وعلوم التصوف.

فقلت فى نفسى: أعطيه الدنانير التى معى، قال: لا أعرف المستحقين، فلما أصبحنا قصدته، وسلَّمت عليه، وجلست إليه، وباسطنى، وباسطته، فقلت: رأيت الشيخ البارحة يأكل خبز الشعير وملحاً جريشاً، وأعلم أنه كان صائماً، فحملت إليه شيئاً ليتحكم فيه، وقدَّمت إليه الكيس، وقلت له: هو ألف دينار، فشدَّد النظر إلى، وقال: خُذْه، فإن هذا جزاء مَنْ أفشى سره إلى الناس.

* * *

---

(١) سورة المائدة، الآية رقم: ٧٨.

(٢) قال ابن الجوزى عقب هذه الحكاية: أبو جعفر الرازى كبير القدر فى العلم سمع من عطاء بن أبى رياح وعمرو بن دينار وقتادة وغيرهم، واسمه عيسى بن أبى عيسى التميمى.

(٣) الملح الجريش: حصوات الملح التى لم يتم دقها.

الحكاية الحادية والتسعون بعد المائتين

حكاية فتى يدَّعي التوكل

عن أبى عيسى الخراز عن أيوب الحمال: قد كان فتى ينتحل التوكل، وكان عزيزاً عند الأخذ من الناس، وكان إذا احتاج إلى قوته وجد صُرَّة ضوعاً، فقيل له: احذر، لا يكون الشيطان يخدعك. فقال: أنا إلى الله ناظر، ومنه آخذ لما رزقنى، فإن كان عدوى قد سُخِّرَ لى، فلا فرَّج الله عنه، وأى شيء أحسن منى يخدمنى عدوى، وأنا ساكن إلى الله عز وجل لا إليه.

* * *

الحكاية الثانية والتسعون بعد المائتين

حكاية للجنيد أثناء الطواف

حدثنا جعفر الخلدى قال: سمعت الجنيد قال: حججت على الوحدة، فجاورت بمكة، فكنت إذا جَنَّ الليل دخلت الطواف، فإذا بجارية تطوف، وتقول:

أبى الحب أن يخفى وكم قد كتمته ... فأصبح عندى قد أناخ وطنا

إذا اشتد شوقى هام قلبى بذكره ... وإن رمت قرباً من حبيبى تقربا

ويبدو فأفنى ثم أحيا به له ... ويسعدنى حتى ألذ وأطربا

فقلت لها: يا جارية أما تتقين الله تعالى فى مثل هذا المكان تتكلمين مثل الكلام، فالتفتت إلىَّ، وقالت: يا جنيد:

لولا التقى لم ترى لهجر طيب الوسنِ

إن التقى شردنى كما ترى عن وطنى

أفر من وجدى به فحبه يهيمنى

ثم قالت: يا جنيد تطوف بالبيت أم برب البيت؟ فقلت: أطوف بالبيت.

فرَفَعَتْ رأسها إلى السماء، وقالت: سبحانك! سبحانك! ما أعظم مشيئتك فى خلقك! خَلْق كالأحجار يطوفون بالأحجار، ثم أنشأت تقول:

يطوفون بالأحجار يبغون قُرْبَه إليه ... وهم أقسى قلوبًا من الصخر

وتاهوا فلم يدروا مِن التيه مَنْ هم ... وحلوا محل القرب فى باطن الفكر

فلو أخلصوا فى الود غابت صفاتهم ... وقامت صفات الود للحق بالذكر

قال الجنيد: فغُشِيَ علىَّ مِنْ قولها، فلما أفقت لم أرها.

* * *

الحكاية الثالثة والتسعون بعد المائتين

حكاية الأمير مع علماء البصرة

حدثنا أبو حاتم سهل بن محمد السجستانى قال: وفد علينا عامل من أهل الكوفة لم أر فى عمال السلطان بالبصرة أبرع منه، فدخلت مُسَلِّماً عليه، فقال لى: يا سجستانى مَنْ علماؤكم بالبصرة؟ قلت: الزيادى أعلمنا بعلم الأصمعى، والمازنى أعلمنا بالنحو، وهلال الراى أفقهنا، والشاذكوى أعلمنا بالحديث، وأنا رحمك الله أُنْسَبُ إلى علم بالقرآن، وابن الكلبى من أكتبنا للشروط.

قال: فقال لكاتبة: إذا كان غداً فأجمعهم إلىَّ.

قال: فجمعنا، فقال: أيكم المازنى؟ قال: أبو عثمان هأنذا رحمك الله. قال: هل يجزى فى كفارة الظهار عتق عبد أعور؟ فقال المازنى: لست صاحب فقه رحمك الله، أنا صاحب عربية.

ثم قال: يا زيادى كيف تكتب بين رجل وامرأة خالعها على الثلث من صداقها؟ قال: ليس هذا من علمى، هذا من علم هلال الرأى.

قال: يا هلال كم أسند ابن عون عن الحسن؟

قال: ليس هذا من علمى، هذا من علم الشاذكوى.

قال: يا شاذكوى مَنْ قرأ: ﴿يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾[1]؟ قال: ليس هذا من علمى، هذا من علم أبى حاتم.

قال: يا أبا حاتم كيف تكتب كتاباً إلى أمير المؤمنين تصف فيه خصاصة[2] أهل البصرة وما أصابهم فى الثمرة، وتسأله لهم النظر بالنظرة؟ فقال: لست رحمك الله صاحب بلاغة وكتابة، أنا صاحب قرآن.

قال: ما أقبح الرجل يتعاطى العلم خمسين سنة لا يعرف إلا فنًّا واحداً، حتى إذا سُئِلَ عن غيره لم يحل فيه ولم يمر، لكن عالمنا بالكوفة الكسائى لو سُئِلَ عن كل هذا لأجاب.

* * *

الحكاية الرابعة والتسعون بعد المائتين

حكاية الشيرازي مع المرأة العجوز

حدثنا أبو ذكرى الشيرازى قال: تُهْتُ فى بادية العراق أيامًا كثيرة لم أجد شيئاً أرتفق به، فلما كان بعد أيام لاحت فى الفلاة خباء شعر مضروب، فقصدته فإذا بيت، وعليه شيء مُسْبَل، فسلّمت، فردت علىَّ عجوز من داخل الخباء، وقالت: يا إنسان مِنْ

---

(١) سورة هود، الآية رقم: ٥.

(٢) فقر وشدة.

أين أقبلت؟ قلت: من مكة. قالت: وأين تريد؟ قلت: الشام. قالت: أرى شبحك شبح إنسان بطّال، ألا لزمت زاوية تجلس فيها إلى أن يأتيك اليقين، ثم تنظر هذه الكسرة من أين تأكلها، ثم قالت: تقرأ القرآن؟ قلت: نعم. قالت: اقرأ عليَّ آخر سورة الفرقان، فقرأتها، فشهقت وأُغْمِيَ عليها، فلما أفاقت بعد هوي من الليل قَرَأْتُ هى الآيات، فَأَخَذَتْ منى قرأتها أخذاً شديداً، ثم قالت: يا إنسان اقرأها ثانية، فقرأتها، فلحقها مثل ما لحقها فى الأول، وبَقِيَتْ أكثر من الأول ولم تفق، فقلت: كيف أستكشف حالها، ماتت أم لا؟ فتركت البيت على حاله، ومشيت أقل من نصف ميل، فأَشْرَفْتُ على وادٍ فيه أعراب، فأقبل إليّ غلامان معهما جارية، فقال أحد الغلامين: يا إنسان أتيتَ البيت فى الفلاة، قلت:نعم. قال: وتقرأ القرآن؟ قلت: نعم. قال: قتلتَ العجوز وربِّ الكعبة، فرجعت معهم حتى أتينا البيت، فدَخَلَتْ الجارية، فكشفت عنها، فإذا هى ميتة، فأعجبنى خاطر الغلام، فقلت للجارية: ما هذان الغلامان؟ فقالت: هذه أختهم منذ ثلاثين سنة ما تأنس بكلام الناس، تأكل فى كل ثلاثة أيام أكلة وشربة!.

* * *

الحكاية الخامسة والتسعون بعد المائتين

موعظة عمرو بن عبيد للمنصور

حدثنا عبد الله بن إسحاق الهاشمى عن أبيه إسحاق بن الفضل قال: إنى لَعَلَى باب المنصور، وإلى جنبى عمارة بن حمزة، إذ طلع عليَّ عمرو بن عبيد على حمار، فنزل عن حماره، ونحّى البساط برجله، وجلس دونه، فالْتَفَتَ إلىّ عمارة، فقال: لا تزال نصرتكم قد رمتنا بأمنها بأحمق، فما فصل كلامه من فيه حتى خرج الربيع، وهو يقول: أبو عثمان عمرو بن عبيد؟ قال: فوالله ما دل على نفسه حتى أرشد إليه فاتكأه يده، ثم قال له: أجب أمير المؤمنين جعلنى الله فداءك، فمَرَّ متوكئاً عليه، فالْتَفَتُّ إلى عمارة، فقلتُ: إن الرجل الذى استحمقتَ قد دُعِيَ وتُرِكْنا!.

فقال: كثيراً ما يكون مثل هذا، فأطال اللبث، ثم خرج الربيع وعمر متكئ عليه، وهو يقول: يا غلام، حمار أبى عثمان، فما برح حتى أقرَّه على سرْجِه، وضم إليه نَشْرَ ثوبه، واستودعه الله، فأقبل عمارة على الربيع، فقال: لقد فعلتم اليوم بهذا الرجل فعلاً لو فعلتموه بولى عهدكم لكنتم قد قضيتم حقه؟! قال: فما غاب عنك، والله ما فعله أمير المؤمنين أكثر وأعجب!

قال: فإن اتسع لك الحديث فحَدِّثْنَا، فقال: ما هو إلا أن سمع أمير المؤمنين بمكانه، فما أمهل حتى أمر بمجلس، ففرش لَبُوداً، ثم انتقل هو والمهدى، وعلى المهدى سواده

وسيفه، ثم أذن له، فلما دخل سلَّم عليه بالخلافة، فرَدَّ عليه، وما زال يدنيه حتى اتكأه فَخِذَه، وتحفَّى به، ثم سأله عن نفسه وعن عياله يسميهم رجلاً رجلاً وامرأة امرأة، ثم قال: يا أبا عثمان عظني، فقال: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَالْفَجْرِ. وَلَيَالٍ عَشْرٍ. وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ. وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ. هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ. أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ. إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ. الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ. وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ. وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ. الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ. فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ. فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾[1] إِنَّ رَبَّكَ - يا أبا جعفر - لَبِالْمِرْصَادِ.

قال: فبكى بكاءً شديداً كأنه لم يسمع تلك الآيات إلا تلك الساعة، وقال: زدني. قال: إن الله قد أعطاك الدنيا بأسرها، فاشْتَرِ نفسك منه ببعضها، واعلم أن هذا الأمر الذى صار إليك إنما كان في يد مَنْ كان قبلك، ثم أفضى إليك، وكذلك يخرج منك إلى مَنْ هو بعدك، وإنى أُحَذِّرك ليلة تمخض صبيحتها عن يوم القيامة.

قال: فبكى - والله - أشد من بكائه الأول حتى رجف حساه، فقال له سلمان بن مجالد: رفقاً بأمير المؤمنين ؛ قد أتعبته منذ اليوم. فقال له عمرو: بمثلك ضاع الأمر، فانتشر لا أبا لك، وماذا جمعت على أمير المؤمنين أن بكى من خشية الله.

فقال له أمير المؤمنين: يا أبا عثمان، أَعِنِّى بأصحابك أستعين بهم.

قال: أظهر الحق يتبعك أهله. قال: بلغنى أن محمد بن عبد الله بن حسن - وقال ابن دريد أن عبد الله بن حسن - كتب إليك كتاباً؟ قال: وقد جاءنى كتاب شبه أن يكون كتابه. قال: فبما أجيبه؟ قال: أو ليس قد عرفت رأيى فى السيف أيام كنت تختلف إلينا، إنى لا أراه. قال: أجل، ولكن يحلف لى ليطمئن قلبى. قال: إن كذبتك تقية لأحلفن لك تقية. قال: أنت والله الصادق البر، قد أمرت لك بعشرة آلاف درهم لتستعين بها على سفرك وزمانك.

قال: لا حاجة لى فيها. قال: والله لتأخذها. قال: والله ما آخذها.فقال له المهدى: يحلف أمير المؤمنين وتحلف، فترك المهدى، وأقبل على المنصور، فقال: مَنْ هذا الفتى؟ فقال: هو ابنى محمد، وهو المهدى، ووَلِيُّ عهدى. فقال: والله لقد سميته اسماً ما استحقه عمله، وألبسته لبوساً ما هو من لبوس الأبرار، ولقد مَهَّدْتَ له أمراً أمتع ما يكون به أشغل ما يكون عنه، ثم التفتَ إلى المهدى، فقال: يا بن أخى إذا حلف أبوك

---

(١) سورة الفجر، الآيات: ١- ١٣.

حلف عمك ؛ لأن أباك أقدر على الكفارة من عمك.

ثم قال: يا أبا عثمان هل من حاجة؟ قال: نعم. قال: وما هي؟ قال: لا تبعث إليّ حتى آتيك. قال: إذًا لا نلتقي، قال: عن حاجتي سألتني، قال: فاستحفظه الله، وودَّعه، ونهض.

فلما ولّى مد بصره وهو يقول: كلكم يمشي رويد، كلكم يطلب صيد، غير عمرو ابن عبيد.

* * *

الحكاية السادسة والتسعون بعد المائتين
وصية البنتين لأبيهما

حدثنا محمد بن سويد الطحان قال: كنا عند عاصم بن علي، ومعنا ابن عبيد القاسم ابن سلام وإبراهيم بن أبي الليث وذكر جماعة، وأحمد بن حنبل يُضْرَب ذلك اليوم، فجعل عاصم يقول: ألا رجل يقوم معي، فنأتي هذا الرجل، فنُكَلِّمه. قال: فما يجيبه أحد.

قال: فقال إبراهيم بن أبي الليث: يا أبا الحسن أنا أقوم معك، فصاح: يا غلام خُفِّي، فقال له إبراهيم: يا أبا الحسين، أَبْلُغ إلى بناتي فأوصيهن وأجدد بهن عهداً. قال: فظننا أنه ذهب يتكفن ويتحنط، ثم جاء، فقال عاصم: يا غلام خُفِّي. فقال: يا أبا الحسين ذهبت إلى بناتي، فبكين، قال: وجاء كتاب ابنتي عاصم من واسط: يا أبانا إنه بلغنا أن هذا الرجل أخذ أحمد بن حنبل فضربه بالسوط على أن يقول القرآن مخلوق، فاتق الله، ولا تجبه إن سألك، فوالله لأن يأتنا نعيك أحب إلينا أنك قلت[1].

* * *

الحكاية السابعة والتسعون بعد المائتين
ثبات عفان في المحنة

حدثنا إبراهيم - يعني ابن الحسن بن ديزيل قال: لما دُعِيَ عفان للمحنة[2] كنت آخذ بلجام حماره، فلما حضر عُرِضَ عليه القول، فامتنع أن يجيب، فقيل له: يُحْبَس عطاؤك.

قال: وكان يُعْطَى في كل شهر ألف درهم. فقال: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا

---

(١) قال ابن الجوزي عقب هذه الحكاية: عاصم بن علي إمام كبير حُزِرَ جمع مجلسه، فكانوا عشرين ومائة ألف.

(٢) يعني محنة القول بخلق القرآن.

تُوعَدُونَ﴾(١) قال: فلما رجع إلى داره عزله نساؤه ومَنْ فى داره.

قال: وكان فى داره نحو أربعين إنساناً. قال: فدَقَّ عليه داق الباب، فدخل رجل شَبَّهْتُه بسَمَّان أو زَيَّات، ومعه كيس فيه ألف درهم، فقال: يا أبا عثمان ثَبَّتَك الله كما ثَبَّتَّ الدين، وهذا فى كل شهر.

* * *

الحكاية الثامنة والتسعون بعد المائتين
حكاية معروف الكرخى مع مُعَلِّم النصارى

حدثنا أحمد بن عطاء قال: أخبرنى أبو صالح عبد الله بن صالح قال: كان أبو محفوظ معروف قد ناداه الله بالاجتباء وهو فى حال الصبى يذكر أن أخاه عيسى قال: كنت أنا وأخى معروف فى الكُتّاب، وكنا نصارى، فكان المُعَلّم يُعَلّم الصبيان، فذكر كلمات تدل على الشرك، فيصيح أخى معروف: أَحَدٌ أَحَدٌ، فيضربه المعلم على ذلك ضرباً شديداً، حتى ضربه يوماً ضرباً عظيماً، فهرب على وجهه، فكانت أمه تبكى، وتقول: لئن رَدَّ الله علىَّ ابنى معروفاً لأَتْبعَنَّه على أى دِين كان، فقدم عليها معروف بعد سنين كثيرة، فقالت له: يا بنى على أى دِين أنت؟ فقال: على دين الإسلام. فقالت: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ، فأسلمت أمى، وأسلمنا كلنا.

* * *

الحكاية التاسعة والتسعون بعد المائتين
من خُطَب المأمون

حدثنا أبو العباس – يعنى الوليد بن مسلم – قال: قال بعض الخلفاء على المنبر: اتقوا الله عباد الله ما استطعتم، وكونوا قوماً صِيحَ بهم، فانتبهوا، وعَلِمُوا أن الدنيا ليست لهم بلد، فاستبدلوا، واستَعِدُّوا للموت، فقد أظلّكم، وترحلوا، فقد حُدِيتُم، وإن غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بقصر المدة، وإن غائباً يحدوه الجديدان الليل والنهار لحرى بسرعة الأوبة، وإن قادماً نحل بالفوز والشقوة لمستحق لأفضل العدة، فاتقى عبد ربه، وناصح نفسه، وقدَّم توبته، وغلب شهوته، فإن أجله مستور عنه، وأمله خادع له، والشيطان مُوَكّل به يُمَنِّيه التوبة يُسَوِّف بها، ويزين له المعصية ليركبها حتى تهجم مَنِيَّتُه عليه أَغْفَل ما يكون عنها، وإنه ما بين أحدكم وبين الجنة والنار إلا الموت أن ينزل به، فيالها حسرةً على كل ذى غفلة أن يكون عُمْرُه عليه حُجَّة! وأن تؤديه

(١) سورة الذاريات، الآية رقم: ٢٢.

أيامه إلى شِقْوَة، جعلنا الله وإياكم ممن لا تُبْطِرُه نعمة، ولا تقصر به عن طاعته معصية، ولا تحل به بعد الموت حسرة، إنه سميع الدعاء، هذا الخليفة المأمون.

* * *

الحكاية الثلاثمائة

المأمون يحكم على ابنه لصالح امرأة مظلومة

حدثنا قحطبة بن حميد بن الحسن بن قحطبة قال: كنت واقفاً على رأس المأمون أمير المؤمنين يوماً، وقد قعد للمظالم، فأطال الجلوس حتى زالت الشمس، فإذا امرأة قد أقبلت تَعْثُر في أذيالها حتى وقفت على طرف البساط، فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فنظر المأمون إلى يحيى بن أكثم، فأقبل يحيى عليها، فقال: تكلمي. فقالت: يا أمير المؤمنين قد حِيلَ بيني وبين ضَيْعَتِي، فليس ناصر إلا الله، فقال لها يحيى: إن الوقت قد فات، ولكن عودي يوم الخميس.

قال: فرجعت، فلما كان يوم الخميس قال المأمون: أول مَنْ يدعى المرأة المظلومة، فدُعِيَ بها، فقال لها: أين خصمك؟ قالت: واقف على رأسك يا أمير المؤمنين، قد حِيلَ بيني وبينه، وأومأت إلى العباس ابنه، فقال لأحمد بن أبي خالد: خذ بيده وأقعده معها، ففعل، فتناظرا ساعة حتى علا صوتها عليه، فقال لها أحمد بن أبي خالد: أيتها المرأة، إنك تناظرين الأمير أعزَّه الله بحضرة أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ؛ فاحفظي عليك.

فقال المأمون: دعها ؛ فإن الحق أنطقها، والباطل أخرسه، فلم تزل تناظره حتى حكم لها المأمون عليه، فأمر بِرَدِّ ضيعتها، وأمر ابن أبي خالد أن يدفع إليها عشرة آلاف درهم.

* * *

الحكاية الحادية بعد الثلاثمائة

حكاية بشر بن الحارث مع منصور الصياد يوم العيد

عن عمر البزاز قال: سمعت منصور الصياد يقول: مَرَّ بي بِشْر بن الحارث يوم العيد وهو منصرف من صلاة العيد، فقال لي: في هذا الوقت[1]؟ فقلت: له يا أبا نصر ما في البيت شيء لا دقيق ولا خبز، فقال: الله المستعان احمل شبكتك وتعال إلى الخندق، قال منصور: فحملت الشبكة، وجاء بشر، فقال: يا منصور، تَوَضَّأْ، وصَلِّ ركعتين، ففعلت.

---

(١) وذلك أنه رآه يخرج للصيد في يوم العيد.

فقال لى: أَلْقِ شبكتك، وقُلْ: بسم الله، فألقيتها، فوقع فيها شىء ثقيل ظننت أنه أَجَر[١]، فقلت له: يا أبا نصر أَعِنِّى، فإنى أخاف أن تتخرق الشبكة، فجذبنا جميعاً الشبكة، فإذا فيها سمكة كبيرة، فقال: خُذْها وبِعْهَا، واشترِ لعيالك ما يحتاجون إليه.

قال منصور: فدخلت من باب المدينة، فاستقبلنى رجل راكب على حمار، فقال: بكم هذه السمكة؟ فقلت: بعشرة دراهم. قال: فوزن لى عشرة دراهم، فاشتريت كل ما أحتاج، وجئت به إلى البيت، فلما فرغوا مما يحتاجون إليه قلت لهم: خُذُوا رقاقتين، واجعلوا لى عليها من الحلو حتى أذهب به إلى بشر، فجئت إلى بشر، فدققت عليه الباب، فقال: مَنْ هذا؟ قلت: منصور الصياد. فقال: ادْفَع الباب، وضَعْ ما معك فى الدهليز، وادخل أنت. فقلت: يا أبا نصر قد سَوَّيْتُ للصبيان شيئاً، وقد أكلوا وأكلت معهم، ومعى رقاقتان بينهما حلو، فقال: يا منصور لو ألهمنا أنفسنا هذا ما خرجت السمكة، اذهب فكُلْه أنت مع عيالك.

* * *

الحكاية الثانية بعد الثلاثمائة

حكاية إبراهيم بن أدهم مع الحجام

حدثنا عمير بن عبد الباقى صاحب أذنه قال: حصد عندنا إبراهيم بن أدهم فى المزارع بعشرين ديناراً، ودخل أذنه ومعه صاحب له، فأراد إبراهيم أن يحلق رأسه ويحتجم، فجاء إلى حجَّام وجلس بين يديه، فلما رآهما الحجام حقَّرهما، وقال: ما فى الدنيا أحد أبغض إلىّ من هؤلاء ؛ ما وجدوا من يخدمهم غيرى، فخدم جماعة، وتهاون بإبراهيم وصاحبه، وإبراهيم ساكت ينظر، فلما لم يبق بين يديه ولا عنده أحد التفت إليهما، فقال: أيْش الذى تريدان؟ فقال إبراهيم: أريد أن أحلق رأسى وأحتجم، فوجد[٢] صاحب إبراهيم الذى معه فى نفسه من تهاون الحجام بهما، فقال: أما أنا فليس أحلق رأسى ولا أحتجم، فحلق إبراهيم واحتجم، فلما فرغ قال إبراهيم لصاحبه: هات الدنانير التى معك فدفعها إلى الحجام كما هى العشرين ديناراً. فقال له صاحبه: يا أستاذ حصدت فى هذا الحر، ودفعتها إلى هذا؟! فقال: اسكت، تركت هذا لا يحتقر فقيراً أبداً!.

ودخل من فوره إلى طرسوس، فلما أصبح قال لصاحبه: خُذْ هذه الكتيبات فارهنها وجئنا بشىء نأكله. قال: فخرج صاحبه ليجىء بشىء كما أمره، فرأى فى طريقه

---

(١) طوب.

(٢) حزن.

خادماً على شهرى وبين يديه جمازات وخيل وبغال عليها صناديق، فيها فوق الستين ألف دينار، والخادم يقول: الذى أنعته هو أشقر أحمر يُعْرَف بإبراهيم بن أدهم، فقال له صاحب إبراهيم: الرجل الذى تطلبه ما يحب هذه الشهرة، وأنا أدلك عليه.

فقال للغلام: كن معه، فلما ضرب خيمته أخذ بيده، فجاء به إلى إبراهيم، فلما رآه الخادم وهو فى زى الحصادين استقرعه البكاء شديداً، ثم قال له: يا مولاى بعد مُلْك خرسان صرت فى هذه الحال؟! فقال له إبراهيم: اسكت أى شيء وراءك؟ فقال: مات الشيخ. فقال إبراهيم رحمه الله: موت الشيخ يأتى على كل ما أتيت به، فأى شيء تريد؟ قال: أما غلمانك لما مات الشيخ ركب كلٌّ هواه، وأخذوا من المملكة ما استوى لهم، وأخذتُ أنا ما ترى معى، وأنا عبد لك جئت أطلب الثغر أقيم فيه، فقال العلماء: ما يقبل الله منك صرفاً ولا عدلاً حتى ترجع إلى مواليك فيتحكموا فيك وفيما معك، فمُرْنِى ما أحببت.

فقال له إبراهيم: إن كنت صادقاً فيما تقول فأنت حر لوجه الله عز وجل، وكل ما معك فهو لك ؛ إذ جئتَ لتنفقه فى هذا الوجه، ثم التفت إلى صاحبه - بعد أن قال للخادم: قُمْ فاخرج عنى -: ويحك! خُذْ هذه الكتيبات، فارهنها، وجئنا بشيء نأكله.

* * *

الحكاية الثالثة بعد الثلاثمائة

عافية القاضي يتنحى عن القضاء

حدثنا إسمعيل بن إسحاق القاضى عن أشياخه قال: كان عافية القاضى يتقلد للمهدى القضاء بأحد جانبى مدينة السلام مكان ابن علاية، وكان عافية عالماً زاهداً، فصار إلى المهدى فى وقت الظهر فى يوم من الأيام وهو خال، فاستأذن عليه، فأدخله، فإذا معه قمطره، فاستعفاه من القضاء، واستأذنه فى تسليم القمطر إلى من يأمر، فظن أن بعض الأولياء قد غَضَّ منه وأضعف يده فى الحكم، فقال له فى ذلك، فقال: ما جرا من هذا شيء.

قال: فما كان سبب استعفائك؟ فقال: كان يتقدم إلىَّ خمصان موسران وجيهان منذ شهران فى قضية مُعْضِلَة مُشْكِلَة، وكلٌّ يَدَّعِى بَيِّنَة وشهوداً، ويُدْلِى بحُجَج تحتاج إلى تأمل وتثبت، فرددت الخصمين رجاء أن يصطلحا أو يَعِنَّ لى وجه فصل ما بينهما.

قال: فوقف أحدهما من خبرى على أنى أحب الرطب السكر، فعمد فى وقتنا، وهو أول أوقات الرطب إلى أن جمع رطباً سكراً لا يتهيأ فى وقتنا جمع مثله لأمير المؤمنين وما

رأيت أحسن منه، ورشا بَوَّابى جملة دراهم على أن يُدْخِلَ الطبق إلىَّ، ولا يبالى أن يُرَدَّ، فلما دخل إلىَّ أنكرت ذلك، وطردت بوابى وأمرت برد الطبق، فرُدَّ.

فلما كان اليوم تقدم إلىَّ مع خصمه، فما تساويا فى قلبى ولا فى عينى، وهذا يا أمير المؤمنين ولم أقبل، فكيف يكون حالى لو قبلت؟! فلا آمن أن يقع علىَّ حيلة فى دينى ؛ فأهلك، وقد فسد الناس، فأقلنى أقالك الله واعفنى، فأعفاه.

* * *

الحكاية الرابعة بعد الثلاثمائة

أبو تراب يشتهي خبزًا وبيضًا

حدثنا يوسف بن الحسين قال: سمعت أبا تواب النخشى يقول: ما تمنت علىَّ نفسى قط إلا مرة واحدة ؛ تمنت علىَّ خبزًا وبَيْضًا وأنا فى سفرى، فعدلت عن الطريق إلى قرية، فلما دخلتها وثبت إلىَّ رجل، فتعلَّق بى، وقال: إن هذا كان مع اللصوص.

قال: فبطحونى، فضربونى سبعين جلدة، فوقف علينا رجل، فصرخ: هذا أبو تراب، فأقامونى واعتذروا إلىَّ، وأدخلنى الرجل إلى منزله، وقدَّم لى خبزاً وبَيْضاً، فقلت: كُلْهَا بعد سبعين جلدة.

* * *

الحكاية الخامسة بعد الثلاثمائة

أليس مرجعهم إلى الله؟!

حدثنا سعيد الأدم قال: مررت بالليث بن سعد، فتنحنح إلىَّ، فرجعت إليه، فقال لى: سعيد، خُذْ هذا الغنداق[1]، فاكتب لى فيه مَنْ يلزم المسجد ممن لا بضاعة له ولا غَلَّة.

قال: فقلت: جزاك الله خيراً يا أبا الحارث، وأخذت منه الغنداق، ثم صرت إلى المنزل، فلما صليت أوقدت السراج، وكتبت: بسم الله الرحمن الرحيم، ثم قلت: فلان بن فلان، ثم بَدَرَتْنِى نفسى فقلت: فلان بن فلان.

قال: فبينا أنا على ذلك أتانى آتٍ فقال: ها لله! يا سعيد، تأتى إلى قوم عاملوا الله سرًّا فتكشفهم لآدمى، مات الليث، ومات شعيب بن الليث، أليس مرجعهم إلى الله الذى عاملوه[2].

---

(١) فى الهامش: فى حاشية الأصل بخط الشيخ: قرات على شيخنا أبي منصور اللغوى: الغنداق صحيفة الحساب، أعجمية معربة.

(٢) هذا خطأ كبير، وليس في كتابة أسماء هؤلاء المحتاجين كشف لسترهم، وقد كتب الفاروق=

قال: فقمت، ولم أكتب شيئاً، فلما أصبحت أتيت الليث بن سعد، فلما رآنى تهلل وجهه، فناولته الغندق، فنشره، فأصاب فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، ثم ذهب ينشره، فقلت: ما فيه غير ما كتبت، فقال لى: يا سعيد ما الخبر؟ فأخبرته، فصدف عما كان، فصاح صيحة، فاجتمع عليه الخَلْق من الناس، فقالوا: يا أبا الحارث خير؟ فقال: ليس إلا خير، ثم أقبل علىَّ، فقال: يا سعيد، تبينتها وحزمتها، صدقت، مات الليث، أليس مرجعهم إلى الله؟

قال على بن محمد: سمعت مقدام بن داود يقول: سعيد الأدم هذا يقال إنه من الأبدال.

* * *

الحكاية السادسة بعد الثلاثمائة

يكتب هذا في مكارم الأخلاق

حدثنا أبا عبد الله محمد بن أحمد بن موسى القاضى قال: حضرتُ مجلس موسى بن إسحاق القاضى بالرى، وتقدَّمَتْ إليه امرأة، فادَّعى وليها على زوجها خمسمائة دينار مهراً، فأنكر، فقال القاضى: شهودك. قال: قد أحضرتهم، فاستدعى بعض الشهود أن ينظر إلى المرأة ليشير إليها فى شهادته، فقام الشاهد، وقالوا للمرأة: قومى. فقال الزوج: تفعلون ماذا؟ قال الوكيل: ينظرون إلى امرأتك، وهى مسفرة ليصح عندهم معرفتها، فقال الزوج: فإني أشهد القاضى أن لها علىَّ المهر الذى تَدَّعِيه ولا تُسْفِر عن وجهها، فرُدَّتْ المرأة، وأُخْبِرَتْ بما كان من زوجها، فقالت المراة: وإنى قد وهبت له هذا المهر، وأبرأته منه فى الدنيا والآخرة. فقال القاضى: يكتب هذا فى مكارم الأخلاق.

* * *

الحكاية السابعة بعد الثلاثمائة

حكاية منصور بن عمار الواعظ

حدثنا أبو بكر الصيدلانى قال: سمعت سليم بن منصور بن عمار يقول: رأيت أبى منصور فى المنام، فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: إن الرب تعالى قَرَّبَنِي وأدنانى، وقال لى: يا شيخ السوء تدرى لِمَ غفرت لك؟ قلت: لا يا إلهى. قال: إنك جلست للناس يوماً مجلساً، فبكيتهم، فبكى منهم عبد من عبادى لم يبك من خشيتى قط، فغفرت لك، ووهبت أهل المجلس كلهم له، ووهبتك فيمن وهبت له.

=عمر بن الخطاب أسماء الصحابة وما يستحقونه فى دواوين العطاء، وكان يرسل إلى أمراء البلاد وأعيانهم أن اكتبوا إلىَّ بأسماء فقرائكم... إلخ.

وقد حدثنا من طريق آخر عن منصور بن عمار أنه رُئِىَ فى المنام، فقيل لـه: مـا فعـل الله بك؟ قال: سألنى عن ثلاثمائة وستين مجلساً كنت جلستها، ثم قال لى: قـد غفـرت لك على ما كان منك، قم فَمَجِّدْنِى فى أهل السماء كما كنت تُمَجِّدُنى فى الأرض.

* * *

الحكاية الثامنة بعد الثلاثمائة

حكاية الهاشمي وزوجته النفساء

حدثنا أبو العباس المؤدب قال: حدثنى جار لى هاشمى فى سوق يحيى، وكانت حالة رقيقة قال: وُلِدَ لى مولود، فقالت لى زوجتى: هو ذا ترى حالى وصورتى، ولا بد لى من شىء أتغذى به! ولا يمكننى الصبر على هذه الحال، فاطلب شيئًا، فخرجـت بعـد عشـاء الآخرة، فجئت إلى بقّال كنت أعامله، فعرَّفته حالى وسـألته شيئاً يدفعـه إلىَّ، وكـان لـه علىَّ دَيْن، فلم يفعل، فصرت إلى غيره ممن كنـت أرجـو أن يُغَيِّر حـالى، فلـم يدفـع إلىَّ شيئاً، فبقيت متحيراً لا أدرى أين أتوجَّه، فصرت إلى دجلة، فرأيت مَلاَّحاً فى سُمَيْرِيَّة[1] ينادى: فرصة عثمان، قصر عيسى، أصحاب السـاج، فصحـت بـه، فقَـرُبَ إلى الشـط، فجلست معه، وانحدر بى، فقال: إلى أيـن تريـد؟ فقلـت: لا أدرى أيـن أريـد. قـال: مـا رأيت أعجب أمراً منك تجلس معى فى مثل هذا الوقت، وأنحدر بـك، وتقـول: لا أدرى أين أَتوَجَّه.

فقصصت عليه قصتى، فقال لى الملاح: لا تَغْتَم، فإنى من أصحاب الساج، وأنا قصد بك إلى بغيتك إن شاء الله، فحملنى إلى مسجد معروف الكرخى الذى على دجلـة فـى أصحاب الساج، وقال لى: هذا معروف الكرخى يبيت فى المسجد، ويصلى فيـه، تَطَهَّرْ للصلاة، وَامْضِ إليه إلى المسـجد، وقُصّ عليه حـالك، وسَلْه أن يدعـو اللـه، ففعلـت، ودخلـت المسـجد، فـإذا معـروف يصلـى فـى المحـراب، فسـلَّمت، وصلَّيْـت ركعتـين، وجلست، فلما سلَّم رَدَّ علىَّ السلام، وقال: مَنْ أنت رحمك الله؟ فقصصت عليه قصتى وحالى، فسمع ذلك منى، وقام يصلى، ومطرت السماء مطراً كبيراً، فاغتممت، وقلت: كيف جئت إلى هذا الموضع؟ ومنزلى بسوق يحيى، قد جاء هذا المطر، وكيف أرجـع إلى منزلى؟ واشتغل قلبى لذلك، فبينا نحن كذلك إذ سمعت صوت حافر دابـة، فقلـت: فـى مثل هذا الوقت حافر دابـة، فـإذا هـو يريـد المسـجد، فـنزل، ودخـل المسـجد، وسـلَّم، وجلس، فسلَّم معروف، وقال: مَنْ أنت رحمك الله؟ فقال له الرجل: أنا رسـول فـلان، وهو يقرأ عليك السلام، ويقول لك: كنت نائماً على وطاء وفوقى دثار، فانتبهت علـى

---

(١) مركبًا صغيرًا.

صورة نعمة الله عليَّ فشكرت له، ووجَّهت إليك بهذا الكيس تدفعه إلى مستحقه، فقال له: ادفعه إلى هذا الرجل الهاشمى، فقال له: إنه خمسمائة دينار، فقال له: أعطه، فكذلك طلب له.

قال: فدفعها إلىَّ، فشددتها فى وسطى، وخضت الوحل والطين فى الليل، حتى صرت إلى منزلى، وجئت إلى البقال، فقلت له: افتح لى بابك، ففتح، فقلت له: هذه خمسمائة دينار قد رزق الله فخُذْ ما لك علىَّ، وخذْ ثمن ما أريد، فقال لى: دعها معك إلى غد وخُذْ ما تريد، فأخذ مفاتيحه، وصار إلى دكانه، ودفع إلىَّ عَسَلاً وسكراً وشيرجاً وأرزًا وشحماً وما تحتاج إليه. وقال لى: خُذْ، فقلت: لا أطيق حمله، فقال لى: أنا أحمل معك، فحمل بعضه، وحملت أنا بعضه، وجئت إلى منزلى، والباب مفتوح، ولم يكن فيها نهوض لِغَلْقِهِ، وقد كادت تتلف - يعنى زوجته - فوبَّخَتْنِى على تركى إياها على مثل صورتها، فقلت لها: هذا عسل وسكر وشيرج وجميع ما تحتاجين إليه، فسُرِّىَ عنها بعض ما كانت تجده، ولم أعلمها بالدنانير خوفاً أن تتلف فَرَحاً، فلما أصبحنا أريتها الدنانير، وشرحت لها القصة، واشتريت لها عقاراً نحن نستغله، ونعيش من فضله ومن غلته، وكشف الله عنا ما كنا فيه ببركة معروف الكرخ.

* * *

الحكاية التاسعة بعد الثلاثمائة

حكاية معروف الكرخي مع رجل رُزِقَ بمولود

حدثنا أبو بكر بن الزيات قال: سمعت ابن شبرويه يقول: جاء رجل إلى معروف الكرخى فقال: يا أبا محفوظ جاءنى البارحة مولود وجئت لأتبرك بالنظر إليك، فقال: اقْعُدْ، عافاك الله! وقُلْ مائة مرة: ما شاء الله كان، فقال الرجل. فقال: قُلْ مائة مرة أخرى، فقال، فقال له: قُلْ مائة أخرى حتى قال ذلك خمس مرات، فقالها خمسمائة مرة، فلما استوفى الخمسمائة مرة دخل عليه خادم أم جعفر وبيده رقعة وصُرَّة، فقال له: يا أبا محفوظ، ستنا تقرئك السلام، وقالت لك: خُذْ هذه الصرة، فادفعها إلى قوم مساكين.

فقال: ادفعها إلى ذلك الرجل. فقال: يا أبا محفوظ فيها خمسمائة درهم. فقال: قد قال خمسمائة: ما شاء الله كان، ثم أقبل على الرجل، فقال: يا عافاك الله، لو زدتنا لزدناك.

* * *

الحكاية العاشرة بعد الثلاثمائة

نصيحة معروف الكرخي لرجل فقير

حدثنا الحسن بن عثمان البزاز قال: سمعت أبا بكر بن الزيات يقول: سمعت ابن شبرويه يقول: كنت عند معروف الكرخى إذ أتاه ضرير، فشكى إليه الحاجة، فقال له: مُرّ عافاك الله، وارجع إلى عيالك، وقُلْ: ما شاء الله كان.

قال: فمضى الضرير، ومعه قائد يقوده، فلما بلغ إلى قنطرة المعبدى إذا براكب يركض خَلْفَه، ويقول له: مكانك يا ضرير، فدفع إليه صُرّة، ومَرّ.

فقال الضرير لقائده: انظر أى شىء هى؟ فإذا هى دنانير. قال: فارجع إلى الشيخ، وبَشِّرْه.

قال: فرجع إلى الشيخ ليبشره، فلما دخلا على معروف قال له معروف: لِمَ رجعت وقد قُضِيَتْ الحاجة؟ عافاك الله! وقُلْ: ما شاء الله كان.

* * *

الحكاية الحادية عشرة بعد الثلاثمائة

حكاية خليل الصياد وابنه الغائب

حدثنا أبو سليمان الرومي قال: سمعت خليلاً الصياد يقول: غاب ابنى إلى الأنبار، فوَجَدَتْ[1] أمه وَجْداً شديداً، فأتيت معروفاً، فقلت له: يا أبا محفوظ، غاب ابنى، فوَجَدَتْ أمه وَجْداً شديداً.

قال: فما تشاء؟ قال: تدعو الله أن يرده عليها. فقال: اللهم إن السماء سماءك والأرض أرضك وما بينهما لك، فأْتِ به.

قال خليل: فأتيت باب الشام، فإذا ابنى قائم منبهر، فقلت: يا محمد، فقال: يا أبة، الساعة كنت بالأنبار.

* * *

الحكاية الثانية عشرة بعد الثلاثمائة

فراسة أبي حنيفة في أحد تلاميذه

حدثنا على بن الجعد قال: أخبرنى يعقوب بن إبراهيم بن يوسف القاضى قال: توفى

---

(١) حزنت.

أبى إبراهيم بن حبيب، وخَلَّفَنى صغيراً فى حِجْر أمى، فأسلمتنى إلى قَصَّار[1] أخدمه، فكنت أَدَع القَصَّار وأَمُرُّ إلى حلقة أبى حنيفة، فأجلس واستمع، وكانت أمى تجىء خلفى إلى الحلقة، فتأخذ بيدى وتذهب بي على القصار، وكان أبو حنيفة يعنى بي لما يرى من حضورى ويحرضنى على التعليم، فلما كثر ذلك على أمى وطال عليها هربى قالت لأبى حنيفة: ما لهذا الصبي فساد غيرك، هذا صبى يتيم، لا شىء له، وإنما أطعمه من مغزلى، وأمل أن يكسب دانقًا يعود به على نفسه، فقال لها أبو حنيفة: مُرِّى يا رعناء، هذا هو ذا يتعلم أكل الفالوذج بدهن الفستق، فانصرفت عنه، وقالت له: أنت شيخ قد خَرِفْتَ وذهب عقلك، ثم لَزِمْتُه، فنفعنى الله بالعلم، ورفعنى حتى تَقَلَّدْتُ القضاء، وكنت أجالس الرشيد، وآكل معه على مائدته، فلما كان فى بعض الأيام قُدِّمَ إلى هارون فالوذجة، فقال لى هارون: يا يعقوب، كُلْ منها، فليس فى كل يوم يُعْمَل لنا مثلها، فقلت: وما هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال: هذه فالوذجة بدهن الفستق، فضحكت. فقال: مِمَّ ضحكت؟ فقلت: خيراً أبقى الله أمر المؤمنين. قال: لتخبرنى، وأَلَحَّ علىَّ، فأخبرته بالقصة من أولها إلى آخرها، فعجب من ذلك، وقال: لعمرى إن العلم لينفع ويرفع دنيا ودِينًا، وتَرَحَّمَ على أبى حنيفة، وقال: كان ينظر بعين عقله ما لا يراه بعين رأسه.

* * *

الحكاية الثالثة عشرة بعد الثلاثمائة

حكاية فضيل بن عياض وصُرَّة الدنانير

حدثنا عبد الصمد قال: قال الفضيل بن عياض: ليلة أَجَعْتَنِى وأَجَعْتَ عيالى، وأَعْرَيْتَنى وأَعْرَيْت عيالى، ولى ثلاثة أيام قلت: ولا أكل عيالى ولى ثلاث ليالى ما استصبحت، فبِمَ بلغت عندك هذه المنزلة حتى فعلتَ بى هذا، وإنما تفعل هذا يا رب بأوليائك، أفتراني أنا منهم، إلهى إن فعلت بى مثل هذا يوماً آخر علمت أنى منك على بال.

قال: فلما كان اليوم الرابع إذا داق يدق الباب، فقال: مَنْ هذا؟ فقال: أنا رسول ابن المبارك، وإذا معه صُرَّة دنانير، وكتاب يذكر فيه أنه لم يحجج فى هذه السنة، وقد وجهت لك بكذا وكذا.

قال: فجعل فضيل يبكى، ويقول: قد علمت أنى أشقى من ذلك أن أكون عند الله بمنزلة أوليائه.

* * *

---

(١) جزَّار.

الحكاية الرابعة عشرة بعد الثلاثمائة

اتَّقِ دعوة المظلوم

حدثنا محمد بن جعفر بن يحيى بن خَالد بن برمك قال: قال أبي: لأبيه يحيى بن خالد ابن برمك، وهو فى القيود والحبس: يا أبى بعد الأمر والنهى والأموال العظيمة أصارنا الدهر إلى القيود ولبس الصوف والحبس؟

قال: فقال له أبوه: يا بنى دعوة مظلوم سَرَتْ بليل غفلنا عنها، ولم يغفل الله عنها، ثم أنشأ يقول:

رب قوم قد غدو فى نعمة زمناً والدهر ريان غَدِق
سكت الدهر زماناً عنهم ثم بكّاهم دماً حين نطق

* * *

الحكاية الخامسة عشرة بعد الثلاثمائة

حكاية عن يحيى بن أكثم

حدثنا محمد بن سلم الخواص الشيخ الصالح قال: رأيت يحيى بن أكثم القاضى فى المنام، فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: وقّفنى بين يديه، وقال لى: يا شيخ السوء لولا شيبتك لأحرقتك بالنار، فأخذنى ما يأخذ العبد بين يدى مولاه، فلما أفقت قال: يا شيخ السوء لولا شيبتك لأحرقتك بالنار، فأخذنى ما يأخذ العبد بين يدى مولاه، فلما أفقت قال: يا شيخ السوء، فذكر الثالثة مثل الأولتين، فلما أفقت قلت: يا رب ما هكذا حُدِّثْتُ عنك، فقال الله تعالى، وما حُدِّثْتَ عنى؟ - وهو أعلم بذلك - قلت: حدثنى عبد الرازق بن همام قال: حدثنا معمر بن راشد عن ابن شهاب الزهرى عن أنس بن مالك عن نبيك ﷺ عن جبريل عنك يا عظيم أنك قلت: «ما شاب لى عبد فى الإسلام شيبة إلا استحيت منه أن أُعَذِّبَه بالنار»[1]، فقال: صدق عبد الرازق، وصدق معمر، وصدق الزهرى، وصدق أنس، وصدق نبيٍّ، وصدق جبريل، أنا قلت ذلك، انطلقوا به إلى الجنة.

---

(١) رواه أحمد والترمذى والنسائى وابن حبان عن عمرو بن عبسة بلفظ: «من شاب شيبة في سبيل الله كانت له نورا يوم القيامة»، وأخرجه عبد الرزاق في المصنف عن عمرو بن عبسة وأبي أمامة، بلفظ: «من شاب شيبة في الإسلام كانت له نورا يوم القيامة، ومن رمى بسهم في سبيل الله كان له عدل رقبة».

ورواه الترمذى والنسائى عن كعب بن عجرة بلفظ: «من شاب شيبة في الإسلام كانت له نورا يوم القيامة»، وأخرجه الحاكم في الكنى وحسنه السيوطى، عن أم سليم بلفظ: «من شاب شيبة في الإسلام كانت له نورا، ما لم يغيرها».

وقد حدثنا بهذه الحكاية من طريق آخر أنه قال له: سوءة لك يا شيخ، قال: يا رب إن رسولك قال: إنك لتستحى من أبناء الثمانين أن تعذبهم[(١)]، وأنا ابن ثمانين سنة، أسير الله فى الأرض، فقال صدق رسولى، قد عفوت عنك.

* * *

الحكاية السادسة عشرة بعد الثلاثمائة

العدل عمود السلطان وقوام الأديان

حدثنا التنوخى قال: أخبرنى أبى قال: حدثنى أبى قال: سمعت القاضى أبا عمرو - وهو محمد بن يوسف - يقول: قدم خادم من وجوه خدم المعتضد بالله إلى أبى فى حكم، فجاء فارتفع فى المجلس، فأمره الحاجب بموازاة خصمه، فلم يفعل إدلالاً بعِظَم محله من الدولة، فصاح أبي عليه وقال: قفاه، أتؤمر بموازاة خصمك وتمتنع، يا غلام عمرو بن أبى عمر النحاس الساعة، لأتقدم إليه ببيع هذا العبد وحمل ثمنه إلى أمير المؤمنين، ثم قال لحاجبه: خُذْ بيده، وسَوِّ بينه وبين خصمه، فأُخِذَ كرهاً، وأُجْلِسَ مع خصمه، فلما انقضى الحكم انصرف الخادم، فحدَّث المعتضد بالحديث، وبكى بين يديه، فصاح عليه المعتضد، وقال: لو باعك لأجزت بيعه، وما رددتك إلى ملكى أبداً، وليس خصوصك بى يزيل مرتبة الحُكْم، فإنه عمود السلطان وقوام الأديان.

* * *

الحكاية السابعة عشرة بعد الثلاثمائة

حكاية لذى النون مع أحد تلاميذه

حدثنا يوسف بن الحسن الرازى قال: قيل لى: إن ذا النون المصرى يَعْرِف اسم الله الأعظم، فدخلت مصر، فذهبت إليه، فبصر بى، وأنا طويل اللحية، ومعى ركوة طويلة، فاستشنع منظرى، ولم يلتفت إلىَّ، فلما كان بعد أيام جاء إلى ذى النون رجل صاحب كلام، فناظر ذا النون، فلم يقم ذا النون بالحجج عليه.

قال: فاجتذبته إلىَّ، وناظرته، فقطعته، فعرف ذو النون مكانى، فقام إلىَّ، وعانقتنى، وجلس بين يدى، وهو شيخ وأنا شاب، وقال: اعذرنى، فلم أعرفك، فعذرته، وخدمته سنة، فلما كان فى رأس السنة قلت له: يا أستاذ إنى قد خدمتك، وقد وجب حقى عليك، وقيل لى: إنك تعرف اسم الله الأعظم، وقد عرفتنى، ولا تجد له موضعاً مثلى، فأُحِبُّ أن تعلمنى إياه.

---

(١) ورد الحديث بلفظ: «إن الله تعالى يحب أبناء السبعين، ويستحيي من أبناء الثمانين» أخرج أبو نعيم في الحلية عن علي، وحسنه السيوطي.

قال: فسكت عنى ذو النون، ولم يجبنى، وكأنه أومأ إلىَّ أنه يخبرنى.

قال: فتركنى بعد ذلك ستة أشهر، ثم أخرج إلىَّ من بيته طبقاً ومكبة شدوداً فى منديل، وكان ذو النون يسكن فى الجيزة، فقال: تعرف فلاناً صديقاً من الفسطاط؟ قلت: نعم. قال: أحب أن تؤدى هذا إليه. قال: فأخذت الطبق وهو مشدود، وجعلت أمشى طول الطريق، وأنا متفكر فيه مثل ذى النون يوجه إلى فلان بهديه، ترى أى شىء هى؟ قال: فلم أصبر إلى أن بلغت الجسر، فحللت المنديل، وشِلْتُ المكبة، فإذا فأرة ففرت، فاغتظت غيظاً شديداً، وقلت: ذو النون يسخر بى، ويوجِّه مع مثلى فأرة إلى فلان، فرجعت على ذلك الغيظ، فلما رآنى عرف ما بى، فقال: يا أحمق إنما جرَّبناك ائتمنتك على فأرة، فخنتنى، أفائتمنك على اسم الله الأعظم، مُرّ عنى.

* * *

الحكاية الثامنة عشرة بعد الثلاثمائة

حكاية الرشيد وأولاده مع علماء الكوفة

حدثنا محمد بن المنذر، وكان جاراً لعبد الله بن إدريس قال: حج الرشيد ومعه الأمين والمأمون، فدخل الكوفة، فقال لأبى يوسف: قل للمُحَدِّثِين يأتونا يحدثونا، فلم يتخلف عنه من شيوخ الكوفة إلا اثنان: عبد الله بن إدريس، وعيسى بن يونس، فركب الأمين والمأمون إلى عبد الله بن إدريس، فحدثهما بمائة حديث، فقال المأمون لعبد الله بن إدريس: يا عم أتأذن لى أن أعيدها عليك من حفظى؟ قال: افعل. فأعادها كما سمعها.

وكان ابن إدريس من أهل الحفظ يقول: لولا أنى أخشى أن ينفلت منى القرآن ما دوَّنت العلم، فعجب عبد الله من حفظ المأمون، وقال المأمون: يا عم إلى جانب مسجدك داران، إن أذنت لنا اشتريناها ووسعنا بها المسجد، فقال: ما بى إلى هذا من حاجة قد أجزأ مَنْ كان قبلى، وهو يجزئنى، فنظر إلى قُرَح فى ذراع الشيخ، فقال: إن معنا متطببين وأدوية، أتأذن أن يجيئك من يعالجك؟ قال: لا، قد ظهر بى مثل هذا وبرأ، فأمر له بمال، فأبى أن يقبله.

وصار إلى عيسى بن يونس، فحدثهما، فأمر له المأمون بعشرة آلاف درهم، فأبى أن يقبلها، فظن أنه استقلها، فأمر له بعشرين ألفاً، فقال عيسى: لا والله ولا أهليلجة ولا شربة ماء على حديث رسول الله ﷺ، ولو ملأت هذا المسجد ذهباً إلى السقف، فانصرفا من عنده.

* * *

الحكاية التاسعة عشرة بعد الثلاثمائة

حكاية أحد الملوك مع ولديه

عن أسباط عن السدى قال: كان ملك، وكان له ابن يقال له الخضر، وإلياس أخوه- أو كما قال - فقال للملك: إنك قد كبرت، وابنك الخضر ليس يدخل فى مملكتك، فلو زوَّجته لكى يكون ولده مَلِكاً بعدك، فقال له: يا بنى تزوج. قال: لا أريد. قال: لا بد لك. قال: فزوجنى، فزوَّجه امرأة بكراً، فقال لها الخضر: إنه لا حاجة لى فى النساء، فإن شئت عَبَدْتِ الله معى، وأنت فى طعام الملك ونفقته، وإن شئت طلقتك؟

فقالت: بل أعبد الله معك. قال: فلا تُظْهِرى سِرِّى، فإنك إن حفظتِ سرى حفظك الله، وإن أظهرت عليه أهلكك الله.

فكانت معه سنة، فلم تلد، فدعاها المَلِك، فقال: أنت شابة وابنى شاب، فأين الولد، وأنت من نساء وُلَّد؟ فقالت: إنما الولد بأمر الله عز وجل، فدعا الخضر، فقال له: أين الولد يا بنى. قال: الولد بأمر الله عز وجل، فقيل له: فلعل هذه المرأة عقيم لا تلد، فزوَّجه امرأة قد ولدت، فقال الملك للخضر: طَلِّق هذه، فقال: لا تفرق بينى وبينها، فقد اغتبطت بها. قال: لا بد، فطلقها، ثم زوَّجه ثيباً قد ولدت، فقال لها الخضر كما قال للأولى، فقالت: بل أكون معك، فلما كان بعد الحول دعاها الملك، فقال: إنك ثَيِّب قد ولدت قبل ابنى، فأين ولدك؟ فقالت: هل يكون الولد إلا مِنْ بَعْل، وبعلى مشتغل بالعبادة، فغضب الملك، وقال: اطلبوه، فهرب، وطلبه ثلاثة، فأصابه اثنان منهم، فطلب إليهما أن يُطْلِقَاه، فأبيا، وجاء الثالث، فقال: لا تذهبا به، فلعله يضربه وهو ولده، فأطلقاه ثم جاءوا إلى الملك، فأخبره الاثنان أنهما أخذاه، وأن الثالث أخذه منهما، فحبس الثالث، ثم فكَّر الملك، فدعا الاثنين، فقال: أنتما خَوَّفتما ابنى حتى هرب، وأمر بهما فقُتِلا، ثم دعا بالمرأة، فقال: أنت هَرَّبْتِ ابنى، وأفشيتِ سِرَّه، ولو كتمت عليه لأقام عندى، فقتلها، وأطلق المرأة الأولى والرجل، فذهبت المرأة فاتخذت عريشاً على باب المدينة، فكانت تحتطب وتبيعه، وتتقوت بثمنه، فخرج رجل من المدينة فقير، فقال: بسم الله، فقالت المرأة: وأنت تعرف الله؟ قال: أنا صاحب الخضر. قالت: وأنا امرأة الخضر، فتزوَّجها، وولدت له، وكانت ماشطة ابنة فرعون.

فقال أسباط عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنها بينا هى تمشط ابنة فرعون سقط المشط من يديها فقالت: سبحان ربى! فقالت ابنة فرعون: أبى؟ قالت: لا، ربى وربُ أبيك. فقالت لها: أخبر أبى بذلك؟ قالت: نعم، فأخبرته، فدعا بها، وقال: ارجعى، فأبت فدعا بنقرةٍ من نحاس، وأخذ بعض ولدها، فرمى به فى النقرة

وهى تغلى، ثم قال: ترجعين؟ قالت: لا، فأخذ الولد الآخر، حتى ألقى أولادها أجمعين، ثم قال لها: ترجعين؟ قالت: لا، فأمر بها، فقالت: إن لى حاجة، قال: وما هى؟ قالت: إذا ألقيتنى فى النقرة، فأمر بالنقرة أن تُحْمَل، ثم تكفى فى بيتى الذى على باب المدينة، وتنحى النقرة، ويهدم البيت علينا حتى يكون قبورنا، فقال: نعم، إن لك علينا حقاً. قال: ففعل بها ذلك.

قال ابن عباس: قال النبى ﷺ: «مررت ليلة أسرى بى، فشممت رائحة طيبة، فقلت: يا جبريل ما هذا؟ فقال: هذا ريح ماشطة ابنة فرعون وولدها»[١].

* * *

الحكاية العشرون بعد الثلاثمائة

حكاية يوسف بن أسباط مع فتىً عابد ومع طبيب

حدثنا ابن حبيق قال: حدثنا أبى قال: صحب يوسف بن أسباط فتى من أهل الجزيرة، فلم يكلمه إلا بعد عشر سنين، وكان يوسف يرى مِنْ جزعه وفزعه وكثرة عبادته آناء الليل والنهار، فقال له يوسف: ما كان عملك، فإنى أراك لا تهدأ من البكاء؟ فقال له: كنت رجلاً نَبَّاشاً. فقال له يوسف: فأى شىء كنت ترى إذا وصلتَ إلى اللحد؟ قال: كنت أرى أكثرهم قد حُوِّلَتْ وجوههم عن القبلة إلا قليل. فقال يوسف: إلا قليل، واختلط يوسف فى مكانه، وذهب عقله حتى كان يحتاج إلى التداوى.

قال ابن حبيق: قال أبى: دعونا سليمان الطبيب ليداوى يوسف، وكان يرجع إليه عقله أحياناً، فيقول: إلا قليل، فلم نزل به حتى داواه، وصَحَّ، فلما صح قال: أى شىء تعطونه؟ قلنا: ما يريد منك شيئاً. فقال: سبحان الله جئتم بطبيب الملوك، ولا أعطيه شيئاً! فقلت: أعطه ديناراً. فقال: خذ هذا فادفعه إليه، وأعلمه إنى لا أملك غيره لئلا يتوهم أنى أقل مروءة من الملوك، فدفع إلىَّ صرة فيها خمسة عشر ديناراً، فأخذتها، فدفعتها إليه، وجعل يوسف يعمل الخوص بيده حتى مات رحمه الله.

* * *

---

(١) أورد ابن عساكر فى تاريخ مدينة دمشق هذه القصة، وأوردها ابن كثير فى البداية والنهاية، وعزى ابن كثير الخبر إلى ابن عساكر، كما أورد الحديث النبوى، وعزاه إلى ابن عساكر والبيهقي عن ابن عباس.

الحكاية الحادية والعشرون بعد الثلاثمائة

حكاية شقيق البلخي والطائر المكسور جناحه

عن خلف بن بهيم قال: التقى إبراهيم بن أدهم وشقيق البلخى بمكة، فقال إبراهيم لشقيق: ما بدء أمرك الذى بَلَّغَك هذا؟ فقال: سرت فى بعض الفلوات، فرأيت طائرا مكسور الجناح فى فلاةٍ من الأرض، فقلت: انظر مِنْ أين رُزِقَ هذا؟ فقعدت بحذاه، فإذا أنا بطائر قد أقبل وفى منقاره جرادة، فوضعها فى منقار الطائر المكسور الجناح، فقلت لنفسي: يا نفس، الذى قَيَّض هذا الطائر الصحيح لهذا المكسور الجناحين فى فلاةٍ من الأرض هو قادر على أن يرزقنى حيث ما كنت، فتركت التكسب واشتغلت بالعبادة!.

فقال له إبراهيم: يا شقيق، ولِمَ لا تكون أنت الطائر الصحيح الذى أطعم العليل، حتى تكون أفضل منه؟ أما سمعت عن النبى ﷺ: «اليد العليا خير من اليد السفلى»[1]، ومن علامة المؤمن أن يطلب أعلى الدرجتين فى أموره كلها، حتى يبلغ منازل الأبرار.

قال: فأخذ يد إبراهيم فقبَّلها، وقال: أنت أستاذنا يا أبا إسحاق.

* * *

الحكاية الثانية والعشرون بعد الثلاثمائة

حكاية مَلِك من بني إسرائيل

حدثنا عبد الصمد بن معقل قال: سمعت وهباً يقول: إن رجلاً ملك وهو فتى شاب، فقال: إنى أجد للمُلْك لَذَّةً، فلا أدرى كذلك تجد الناس للملك، أم أنا وجدته من بينهم؟ فقيل له: بل المُلْك كذلك.

فقال: ما الذى يقيمه لى؟ فقيل له: يقيمه أن تطع الله ولا تعصه، فدعا ناساً مِنْ خيار مَنْ فى مكة، فقال لهم: كونوا بحضرتى وفى مجلسى، فما رأيتم أنه طاعة الله فأمرونى أن أعمل به، وما رأيتم أنه معصية الله فأزجرونى عنه أزدجر، ففعل ذلك هو وهم واستقام مُلْكُهم أربعمائة سنة مطيعًا لله، ثم إن إبليس انتبه لذلك فقال: تركت رجلاً يعبد الله مَلِكًا أربعمائة سنة، فجاءه، فدخل عليه، وتمثل له برجل، ففزع المَلِك منه، فقال: مَنْ أنت؟ قال: أنا إبليس لن تراع، ولكن أخبرنى مَنْ أنت؟ قال الملك أنا رجل من بنى آدم. قال: لو كنت من بنى آدم لقد مِتَّ كما يموت بنو آدم، ألم تَرَ كم قد مات من الناس، وذهب من القرون، لو كنت منهم لقد مت كما ماتوا، ولكنك إله، فادع الناس إلى عبادتك، فدخل ذلك فى قلبه، ثم صعد المنبر، فخطب الناس فقال: أيها

(١) أخرجه مالك والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي عن ابن عمر.

الناس إني كنت أخفيت عنكم أمراً بان لى إظهاره لكم، أتعلمون أنى مَلِكُكُم أربعمائة سنة، ولو كنت من بنى آدم لقد مت كما ماتوا، ولكنى إله، فاعبدونى، فأُرْعِشَ مكانه، فأوحى الله إلى بعض مَنْ كان معه، فقال: أخبره إنى قد استقمت ما استقام لى، فارعوى مِنْ طاعتى إلى معصيتى، فليستقم لى بعزتى حلفت لأسلطن عليه بُخْتَ نَصَّر، فليضربن عنقه، وليأخذن ما فى خزانته، وكان فى ذلك الزمان لا يسخط الله على أحدٍ إلا سلّط عليه بخت نصر، فلم يتحول المَلِك من قوله حتى سلّط عليه بخت نصر، فضرب عنقه، وأوقر من خزانته سبعين سفينة ذهباً.

* * *

الحكاية الثالثة والعشرون بعد الثلاثمائة

حكاية ابن المبارك مع غلام صالح

حدثنا سليمان بن الحسن قال: حدثنا أبى قال: قال ابن المبارك: قدمت مكة فإذا الناس قد قحطوا من المطر، وهم يستسقون فى المسجد الحرام، وكنت فى الناس مما يلى باب بنى شيبة إذ أقبل غلام أسود عليه قطعتا خيش قد اتزر بأحدهما، وألقى الأخرى على عاتقه، فصار فى موضع خَفِيٍّ إلى جانبى، فسمعته يقول: إلهى أَخْلَقَت الوجوه كثرة الذنوب ومساوئ الأعمال، وقد مَنَعْتَنا غيث السماء لِتُؤَدِّبَ الخليقة بذلك، فأسألك يا حليم إذا أتاه، يا من لا يعرف عباده منه إلا الجميل اسقهم الساعة الساعة.

قال ابن المبارك: فلم يزل يقل الساعة الساعة، حتى استوت بالغمام، وأقبل المطر من كل مكان، وجلس مكانه يُسَبِّح، فأخذت أبكى، إذ قام فاتبعته حتى عرفت موضعه، فجئت إلى فضيل بن عياض، فقال: ما لى أراك كئيباً؟ قلت: سبقنا إليه غيرنا فتولاه دوننا.

قال: وما ذاك؟ فقصصت عليه القصة، فصاح، وسقط، وقال: ويحك يا ابن المبارك! خُذْنِى إليه. قلت: قد ضاق الوقت، وسأبحث عن شأنه، فلما كان من الغداة، وخرجت أريد الموضع، فإذا شيخ على الباب قد بسط وهو جالس، فلما رآنى عرفنى، فقال: مرحباً بك يا أبا عبد الرحمن، حاجتك؟ فقلت له: احتجت إلى غلام أسود. فقال: نعم، عندى عِدَّة، فاختر أيهم شئت، وصاح: يا غلام، فخرج غلام جَلَد، فقال: هذا محمود العاقبة أرضاه لك، فقلت: ليس هذا حاجتى، فما زال يُخْرِج واحداً واحداً حتى خرج إلىّ الغلام، فلما بَصُرْتُ به ندرت عيناى، فجلست، فقال: هذا هو؟ فقلت: نعم. قال: ليس إلى بيعه سبيل. قلت: ولِمَ؟ قال: قد تَبَرَّكْتُ بموضعه فى هذه الدار، وذلك أنه لا يرزأنى شيئاً، قلت: ومِنْ أين طعامه؟ قال: يكسب من فتل الشريط نصف دانق - أو

أقل أو أكثر - فهو قوته، فإن باعه فى يومه، وإلا طوى ذلك اليوم، وأخبرنى الغلمان عنه أنه لا ينام هذا الليل الطويل، ولا يختلط بأحد منهم، مهتم بنفسه، وقد أحبَّه قلبى، فقلت له: أنصرف إلى سفيان الثورى وإلى فضيل بن عياض بغير قضاء حاجة؟ فقال: إن ممشاك عندى كثير، خُذْه بما شئت. قال: فاشتريته، فأخذت نحو دار فضيل بن عياض، فمشيت ساعة، فقال: يا مولاى. قلت: لبيك. فقال: لا تقل لى لبيك، فإن العبد أولى بأن يُلَبِّى من المولى. قلت: حاجتك يا حبيبى. قال: أنا ضعيف البدن، لا أطيق الخدمة، وفى غيرى كان لك سَعَة، قد أُخْرِجَ إليك مَنْ هو أجلد منى، فقلت: لا يرانى الله وأنا أستخدمك، ولكن أشترى لك منزلاً، وأُزَوِّجك، وأخدمك أنا بنفسى.

قال: فبكى، فقلت له: ما يبكيك؟ قال: أنت لم تفعل بى هذا إلا وقد رأيت بعض متصلاتى بالله تعالى، وإلا فلِمَ اخترتنى من بين أولئك الغلمان؟ فقلت: له أيش بك حاجة إلى هذا؟ فقال لى سألتك بالله إلا أخبرتنى، فقلت: بإجابة دعوتك؟ فقال لى: إنى أحسبك إن شاء الله رجلاً صالحاً، إن لله عز وجل خِيرَة فى خلقه لا يكشف شأنهم إلا لمن أحب من عباده، ولا يظهر عليهم إلا من ارتضى، ثم قال لى: ترى أن تقف علىَّ قليلاً، فإنه قد بقيت علىَّ ركعات من البارحة، فقلت: هذا منزل فضيل قريب. قال: لا هاهنا أحب إلىَّ، أمر الله عز وجل لا يؤخر، فدخل من باب الباعة إلى المسجد، فما زال يصلى حتى إذا أتى على ما أراد، ثم التفت إلىَّ، فقال: يا أبا عبد الرحمن هل مِنْ حاجة؟ قلت: ولِمَ؟ قال: لأنى أريد الانصراف. قلت: إلى أين؟ قال: إلى الآخرة. قلت: لا تفعل[1]!، دعنى أُسَرُّ بك، فقال لى: إنما كانت تطيب الحياة حيث كانت المعاملة بينى وبين الله تعالى، فأما إذا اطلعت عليها أنت، فسيطلع عليها غيرك، فلا حاجة لى فى ذلك، ثم خَرَّ لوجهه، فجعل يقول: إلهى اقبضنى اقبضنى الساعة الساعة، فدنوت منه، فإذا هو قد مات، فوالله ما ذكرته قط إلا طال حزنى عليه، وصغرت الدنيا فى عينى.

* * *

الحكاية الرابعة والعشرون بعد الثلاثمائة
حكاية أحمد بن الخصيب مع رجل عَلَوِي فقير

حدثنا أحمد بن الخصيب قبل وزارته قال: كنت كاتباً لَلسيدة شجاع أم المتوكل، فإنى ذات يوم قاعد فى مجلسى فى ديوانى إذ خرج إلىَّ خادم، ومعه كيس، فقال لى: يا أحمد إن السيدة أم أمير المؤمنين تقرئك السلام، وتقول لك: هذه ألف دينار من طيب

---

(١) يتحدث عن الانتقال إلى الآخرة، ويطلب منه ألا يفعل ذلك!، وكأن الأمر برغبته وإرادته، وهذا من كذب القصاص، ونسبتهم هذه الحكايات المنكرة على الصالحين.

مالى، خُذْها وادفعها إلى قوم مستحقين تَكْتُبْ لى أسماءهم وأنسابهم ومنازلهم، فكلما جاءنا من هذه الناحية شيء صرفناه إليهم، فأخذت الكيس، وصِرْتُ إلى منزلى، ووجَّهْتُ خلفى مَنْ أثق به، فعرَّفتهم ما أمرت به، وسألتهم أن سَمُّوا لى مَنْ يعرفون مِنْ أهل الستر والحاجة، فسمُّوا إلىَّ جماعة، ففَرَّقت فيهم ثلاثمائة دينار، وجاء الليل وبقية المال بين يدى، لا أصيب مستحقاً، وأنا أتفكر فى سُرَّ مَنْ رَأَى وبُعْدَ أنظارها وتكاتف أهلها ليس بها مستحق، فمضى من الليل ساعة، وبين يدى بعض حرفى، وغُلِّقَت الدروب، وطاف العسس[١]، وأنا متفكر فى أمر الدنانير إذ سمعت باب الدرب يدق، وسمعت البواب يُكَلِّم رجلاً مِنْ ورائه، فقلت لبعض مَنْ بين يدى: اعْرف الخبر، فعاد إلىَّ، وقال لى: بالباب فلان بن فلان العلوى يسأل الإذن عليك، فقلت: مُرْه بالدخول، وقلت لِمَنْ بين يدى من الخدم: كونوا وراء الستر، فما قصدنا هذا الرجل فى هذا الوقت إلا لحاجة.

قال: فلما داخل سلَّم، وجلس، وقال لى: طرقنى فى هذا الوقت طارق لرسول الله ﷺ به اتصال، ولا والله ما عندنا، ولا أعددنا ما يَعُدُّ الناس، فلم يكن فى جوارى مَنْ أقرع إليه غيرك.

قال: فدفعت إليه من الدنانير ديناراً، فشكر وانصرف. قال: وخرجت ربة المنزل، فقالت: يا هذا تدفع إليك السيدة ألف دينار لتدفعها إلى مستحق، فترى مَنْ أحق الناس من ابن بنت رسول الله ﷺ مع ما شكاه إليك، فقلت لها: فأَيْش السبيل؟ فقالت: تدفع الكيس إليه، فقلت: يا غلام رُدَّه، فردَّه، فحدَّثته ما تحدثت، ودفعت الكيس إليه، فأخذه وشكر، وانصرف، فلما وَلَّى عنى، جاء إبليس فقال: المتوكل وانحرافه عن أهل البيت تدفع إليك السيدة ألف دينار حتى تدفعها إلى مستحق وتكتب أسماءهم وأنسابهم ومنازلهم، فبأى شىء تَحْتَج عليه، وقد دفعت إلى علوى سبعمائة دينار، أو زوال النعمة، وعَرَّفتها ما خطر بقلبى، فقالت: تتكل[٢] على جدِّهم، فقلت: دعى هذا عنكِ، تعرفين المتوكل وانحرافه عن العلويين بأى شىء احتج عليه وأيش أقول؟ قالت: تتكل على جدهم، فما زالت ترد علىَّ هذا القول ومثله إلى أن سكتُّ وقمت إلى فراشى، فما استقبلت نومًا إلا وصوت بالباب، فقلت لبعض مَنْ يُقَرَّب إلىَّ: مَنْ على الباب؟ فمضى وعاد إلىَّ، وقال: رسول السيدة تأمرك بالركوب إليها الساعة، فخرجت إلى صحن الدار والليل بحاله والنجوم بحالها، وجاء ثانٍ وثالث، فأدخلتهم، وقلت: فى الليل؟ فقالوا: لا

---

(١) الشرطة.

(٢) هذا الكلام مخالف للعقيدة الإسلامية الصحيحة.

بد أن تركب، فركبت، فلم أصل إلى الجوسق إلا وأنا فى موكب من الرسل، فدخلت الدار، فقَبَضَ خادم على يدى، فأدخلنى إلى الموضع الذى كنت أصل، ووَقَّفنى، وخرج خادم الخاص من داخل، فأخذ بيدى، وقال لى: يا أحمد إنك تُكَلِّم السيدة أم أمير المؤمنين قِفْ حيث توقف، ولا تكلم حتى تسأل.

فأدخلنى فى دار لطيفة فيها بيوت عليها ستور مُسْبَلة وشمعة وسط الدار، فوقفنى على باب منها، فوقفت لا أتكلم، فصاح بى صائح: يا أحمد، فقلت: لبيكِ يا أم أمير المؤمنين، فقالت: حساب ألف دينار بل حساب سبعمائة دينار؟ وبَكَتْ.

فقلت فى نفسى: بلية العلوى أخذ المال، ومضى ففتح دكاكين الفاميين وغيرهم، فاشترى حوائجه، وتحدَّث، فكتب به أصحاب الأخبار، وقد أمر المتوكل بقتلى، وهذه تبكى رحمةً لى، ثم أَمْسَكَتْ عن الكلام، وعادت فقالت: يا أحمد حساب ألف دينار بل حساب سبعمائة دينار؟ ثم بكت. ففعلت ذلك مرات، ثم أمسكت، وسألتنى عن الحساب، فصَدَقْتُها، فلما بلغت إلى ذِكْر العلوى بكت، وقالت: يا أحمد جزاك الله خيراً، وجزى مَنْ فى منزلك خيراً، تدرى ما كان خبرى الليلة؟ فقلت: لا. قالت: كنت نائمة فى فراشى، فرأيت النبى ﷺ وهو يقول لى: جزاك الله خيراً، وجزى أحمد بن الخصيب خيراً، ومَنْ فى منزله خيراً، فقد فَرَّجْتُم فى هذه الليلة عن ثلاثة من ولدى، ما كان لهم شىء، خُذْ هذا الحلى مع هذه الثياب وهذه الدنانير، فادفعها إلى العلوى، وقل له: نحن نصرف إليك كل ما جاءنا من هذه الناحية، وخذ هذا الحلى وهذه الثياب وهذا المال فادفعه إلى زوجتك، وقل: يا مباركة جزاك الله عنا خيراً، فهذه دلالتك، وهذا خُذْه أنت يا أحمد، ودفعت إلىَّ ثياباً ومالاً، وخَرَجْتُ يُحْمَل ذلك بين يدى، وركبت منصرفاً إلى منزلى، وكان طريقى على باب العلوى، فقلت: أبدأ به إذ كان الله رزقنا هذا على يديه، فدققت الباب، فقيل لى: مَنْ هذا؟ فقلت: أحمد بن الخصيب، فخرج إلىَّ، وقال: يا أحمد هات ما معك! فقلت: وما يدريك ما معى؟ فقال لى: انصرفت من عندك بما أخذته منك، ولم يكن عندنا شىء، فعدت إلى بنت عمى، فعَرَّفْتُها، ودفعت إليها المال، ففرحت، وقالت: ما أريد أن تشترى لى شيئاً، ولا آكل أنا شيئاً، ولكن قُمْ فَصَلِّ أنت وادع، وأنا أُؤَمِّن على دعائك، فقمت، وصليت ودعوت،وأَمَّنَتْ على دعائى، ووضعت رأسى، ونمت، فرأيت جدى عليه السلام فى النوم، وهو يقول لى: قد شَكَرْتُهُمْ على ما كان منهم إليك، وهم بَارُّوك بشىء آخر، فاقبله.

قال: فدفعت إليه ما كان معى، وانصرفت إلى منزلى، فإذا ربة المنزل قَلِقَة قائمة تصلى وتدعو، فعَرِفَتْ أنى قد جئت معافى، فخرجت إلىَّ وسألتنى عن خبرى، فحَدَّثْتُها

بالحديث على وجهه، فقالت: ألم أقل لك اتكل على جدهم، فكيف رأيت ما فعل؟! قال: فدفعت إليها ما كان لها، فأخذته.

* * *

الحكاية الخامسة والعشرون بعد الثلاثمائة

حكاية في إيذاء الجن للإنسان

حدثنا عبد الصمد بن معقل قال: سمعت وهباً يقول: أصيبت ابنة لرجل، فطاف بها إلى كل راهب وكل إنسان يظن أنه يداوى، ولم يُغْنِ عنها شيئاً، حتى ذُكِرَ له رجل من أفضل أهل زمانه فسأله بالله أن يداوى بنته، وشكا إليه ما قد طاف بها وما لقي، فأومأ له قال: أخاف إن داويتها أن تخبر الناس، فيُعنِّيونى، فعاهده أن لا يخبر به أحداً، فانتهى إلى شيطانها، وقال: اخرج، فقال: لا أخرج إلا أن أخرج منها، وأدخل فيك.

فقال: نعم اخرج منها، وادخل فيَّ، فخرج منها، ودخل فيه، فقرأ على مسام نفسه كلها، وسجنه، ثم قال: اذهب بينتك ؛ فقد بَرِئَتْ إن شاء الله، فقال: إنى أخاف عليها؟ فقال: ليس بعائد إليها أبداً إن شاء الله، فمكث سبعاً قائماً يصلى صائماً لا يفطر، فلما كان اليوم السابع قال له الشيطان: ألا تفطر فتتقوى بشيء، فقال: لا تعجل فإنه لا حاجة لى به. قال: فدعنى أخرج منك، فأبى عليه، وقال: لستَ بخارج، ثم مكث سبعاً أخر، فصلى لم يُفطِر، ثم قال له اليوم السابع: أَفْطِر، فتقوَّ بشيء لا تهلك. قال: لا حاجة لى به، فقال: دعنى أخرج عنك، فأبى عليه، فقال: والله لئن لم تتركنى أخرج عنك لأهلكن فى جسدك، وليهلكنك ذلك، فدعنى أخرج عنك، فقال: إنى أخاف إن أخرجتك أن تعود لتلك الجارية المسكينة، فقال: والله لا أعود إليها ولا إلى غيرها أبداً، الإنسان أرهب إلىَّ بعد ما صنعتَ بى من الجن، فخلَّى سبيله، فخرج، فكان لا يرى إنساناً إلا فَرَّ منه[1].

* * *

الحكاية السادسة والعشرون بعد الثلاثمائة

من حكايات كعب الأحبار

عن كعب الأحبار أن رجلاً من بنى إسرائيل أتى فاحشة، فدخل نهراً يغتسل فيه،

---

(١) فى هذه الحكاية تعارض مع العقل، إذ لا يعقل أن يمتنع إنسان عن الطعام والشراب هذه المدة، والشرع لم يأمر بذلك، وكذلك فإن موضوع دخول الجن وخروجه من جسد الإنسان مسألة تحتاج إلى إعادة نظر، ويمكن الرجوع فى هذا الصدد على كتاب: استحالة دخول الجان بدن الإنسان!.

فناداه الماء: يا فلان، أما تستحى، ألم تتب من هذا الذنب؟ وقلتَ: إنك لا تعود، فخرج من الماء فَزِعًا وهو يقول: لا أعصى الله، فأتى جبلاً فيه اثنا عشر رجلاً يعبدون الله عز وجل، فلم يزل معهم حتى قَحَطَ موضعهم، فنزلوا يطلبون الكلأ، فمَرُّوا على ذلك النهر، فقال لهم الرجل: أمَّا أنا فلست بذاهب معكم، قالوا: لِمَ؟ قال: لأن ثَمَّ مَنْ قد اطلع منى على فاحشة، فأنا أستحيى منه أن يراه. فتركوه ومضوا، فناداهم النهر: يا أيها العُبَّاد، ما فعل صاحبكم؟ قالوا: زعم لنا أن هاهنا مَنْ قد اطلع على خطيئة فهو يستحيى منه أن يراه! قال: يا سبحان الله! إن بعضكم يَغْضَب على ولده - أو على بعض قراباته - فإذا تاب ورجع إلى ما يحب أحبه، وإن صاحبكم قد تاب ورجع إلى ما أحب، فأنا أحبه، فَأْتوه، فأخبروه، واعبدوا الله على شاطئى، فأخبروه، فجاء معهم، فأقاموا يعبدون الله زماناً، ثم إن صاحب الفاحشة توفى، فناداهم النهر: يا أيها العُبَّاد والعبيد الزُّهَّاد، غَسِّلُوه من مائى، وادفنوه على شاطئى حتى يُبْعَث يوم القيامة من قربى، ففعلوا ذلك به، وقالوا: نبيت ليلتنا هذه على قبره نبكى، فإذا أصبحنا سرنا، فباتوا على قبره يبكون، فلما جاء وجه السَّحَر غشيهم أول النعاس، فأصبحوا وقد أنبت الله على قبره اثنتى عشرة سروة[1]، وكان أول سرو أنبته الله على وجه الأرض، فقالوا: ما أنبت الله هذا الشجر فى هذا المكان إلا وقد أحب الله عبادتنا فيه، فأقاموا يعبدون الله على قبره كلما مات منهم رجل دفنوه إلى جانبه حتى ماتوا جميعهم.

قال كعب: فكانت بنو إسرائيل يحجون إلى قبورهم.

* * *

الحكاية السابعة والعشرون بعد الثلاثمائة
يصنع الله للضعيف حتى يتعجب القوى!

حدثنا أبو الحسين الدَّرَّاج قال: كنت أحج، فيصحبنى جماعة، فكنت أحتاج إلى القيام معهم والاشتغال بهم، فذَهَبْتُ سَنَة من السنين، وخرجتُ إلى القادسية، فدخلت المسجد، فإذا رجل فى المحراب مجذوم، وعليه من البلاء شىء عظيم، فلما رآنى سلَّم علىَّ، وقال لى: يا أبا الحسين عزمتَ على الحج؟ قلت: نعم على غيظ وكراهية له!

قال: فقال: فالصحبة! فقلت فى نفسى: أنا هربت من الأصحاء أقع فى يدى مجذوم، وقلت: لا. قال لى: افعل. قلت: لا، والله لا أفعل.

فقال لى: يا أبا الحسين يصنع الله للضعيف حتى يتعجب القوى.

---

(١) شجرة.

قلت: نعم، على الإنكار عليه.

قال: فتركته فلما صليت العصر مشيت إلى ناحية المغيثة، فبلغت الغد ضحوة، فلما دخلتِ إذا أنا بالشيخ يُسَلِّم عليَّ، وقال: يا أبا الحسين يصنع الله للضعيف حتى يتعجب القوى!

فأخذنى شبه الوسواس فى أمره، قال: فلم أحس حتى بلغت القرعاء على الغد، فبلغت مع الصبح، فدخلت المسجد فإذا أنا بالشيخ قاعد، فقال لى: يا أبا الحسين يصنع الله للضعيف حتى يتعجب القوى!

قال: فبادرت إليه، فوقعت بين يديه على وجهى، فقلت: المعذرة إلى الله وإليك.

قال: ما لك؟ قلت: أخطأتُ؟ قال: وما هو؟ قلت: الصحبة. قال: أليس حلفت؟ وإنا نكره أن نحنثك! قال: قلت: فأراك فى كل منزل؟ قال: ذلك لك! قال: فذهب عنى الجوع والتعب فى كل منزل ليس لى هَمٌّ إلا الدخول إلى المنزل فأراه، إلى أن بلغت المدينة، فغاب عنى، فلم أره.

فلما قدمت مكة حضرت أبا بكر الكتانى وأبا الحسن المزين، فذكرت لهما ذلك، فقالا لى: يا أحمق: ذاك أبو جعفر المجذوم، ونحن نسأل الله أن نراه، إن رأيته فتعلق به لعلنا نراه.

قلت: نعم. قال: فلما خرجنا إلى منى وعرفات لم ألقه، فلما كان يوم الجمرة رميت الجمار، فجذبنى إنسان، وقال: يا أبا الحسين، السلام عليك. فلما رأيته لحقنى من رؤيته أمر، فصحت وغُشِيَ عليَّ، وذهب عنى، وجئت إلى مسجد الخيف، فأخبرت أصحابنا.

فلما كان يوم الوداع صلَّيْتُ خلف المقام ركعتين، ورفعت يدى، فإذا إنسان خلفى يجذبنى، فقال: يا أبا الحسين عزمت عليك أن لا تصيح. قلت: لا، أسألك أن تدعو؟ فقال: سَلْ ما شئت، فسألت الله ثلاث دعوات، فأَمَّنَ على دعائى، وغاب عنى، فلم أره.

فسألته عن الأدعية، فقال: أما أحدها فقلت: يا رب حَبِّبْ إلىَّ الفقر، وليس فى الدنيا شىء أحبَّ إلىَّ منه[1]، وأما الثانية فقلت: اللهم لا تجعلنى أبيت ليلة ولى شىء أدخره لغدٍ، وأنا منذ كذا وكذا سنة ما لى شىء أَدَّخِرُه، والثالثة قلت: اللهم إذا أذنت لأوليائك أن ينظروا إليك، فاجعلنى منهم، وأنا أرجو ذلك.

* * *

---

(١) من هدي رسول الله ﷺ أن نستعيذ من الفقر.

الحكاية الثامنة والعشرون بعد الثلاثمائة

عاقبة رجل عاقٍّ لأمه

عن أبى حازم عن رجل قال: أمسيت فى أرض فلاة، فرُفِعَ لى بيتان من شَعْرٍ، فأَمَّمْتُ البيتين حتى أنخت بفنائهما، فسلَّمت، فخرج إلى امرأتان شابة وعجوز، فقلت: هل من عشاء أو مبيت؟ قالت: لا والله ما عندنا من عشاء، ولا لنا بهذا الوادى مال ولا شاة ولا بعير ولا حمار!

قال: فقلت: فبأى شىء تعيشان؟ قالتا: بالله وبالصالحين وبالطريق، فلما هدأ الناس بعض الهدوء سمعت نهيق حمار، فوالله ما زلت أسمعه حتى أصبحت، وامتنع منى النوم، فخرجت أمشى حيث سمعت نهيق الحمار، فأجد قبرًا فيه رقبة حمار قد غَيَّبَ التراب ما فوق عينيه، وأذناه وظهره مكشوف من التراب، فراعنى ذلك، فرجعت إليهما، فقلت لهما: أخبرانى خبر هذا الحمار الذى فى القبر؟ قالتا: لا يضرك أن لا تسألنا عنه؟ قلت: فإنى أسألكما. قالت الشابة: هذا - والله - زوجى، وهو -والله- ابن هذه، وهو - والله - الذى سمعتَ نهيقه منذ الليلة، وكان أعق مَنْ رأيتُ مِنْ خلق الله لها، كانت لا تنهاه عن شىء إلا قال: اذهبى فانهقى كما ينهق الحمار، فتقول جعلك الله حماراً، فمات، فدفناه حيث رأيت، وهو -والله- الذى أَحَلَّنَا هذا الوادى، وأَسَكَنَّاه.

وقد حُدِّثْنَا عن مجاهد نحو هذه الحكاية.

* * *

الحكاية التاسعة والعشرون بعد الثلاثمائة

حكاية عجيبة وموعظة بليغة

حدثنا أبو عقيل الدورقى عن بكر بن عبد الله المزنى قال: كان رجل من ملوك بنى إسرائيل قد أُعْطِيَ طول عُمْرٍ وكثرة مال وكثرة أولاد، وكان أولاده إذا كبر أحدهم لبس ثياب الشَّعْرِ[1]، ولحق بالجبال، وأكل من الشجر، وساح فى الأرض حتى يأتيه الموت، ففعل ذلك جماعتهم رجل فرجل حتى تتابع بنوه على ذلك، فأصاب ولداً بعد كِبَر، فدعى قومه، فقال: إنى أصبت ولداً بعدما كبرت، وترون شفقتى عليكم، وإنى أخاف من هذا أن يتبع سُنَّة إخوته، وأنا أخاف عليكم إن لم يكن عليكم أحد مِنْ ولدى بعدى أن تهلكوا، فخذوه الآن فى صِغَره، فحَبِّبُوا إليه الدنيا، فعسى أن يبقى بعدى عليكم، فبنوا له حائطاً فرسخاً فى فرسخ، فكان فيه دهراً من دهره، ثم ركب يوماً، فإذا

(١) الصوف.

عليه حائط مُصْمَتٌ فقال: إنى أحسب أن خلف هذا الحائط ناساً وعَالَماً، أَخْرِجُونى أَزْدَدْ عِلْمًا، وأَلْقَى الناس، فقيل ذلك لأبيه، ففزع وخشى أن يتبع سُنّة إخوته، فقال: اجمعوا عليه كل لهو ولعب، ففعلوا ذلك به.

ثم ركب فى السنة الثانية، فقال: لا بد من الخروج، فأُخْبِرَ بذلك الشيخ، فقال: أخرجوه، فحُمِلَ على عجلة، وكُلِّلَ بالزبرجد والذهب، وصار حوله حافتان من الناس، فبينا هو يسير إذا هو برجل مبتلى، فقال: ما هذا؟ قالوا: رجل مبتلى. قال: أيصيب ناساً دون ناس؟ أو كلٌّ خائف منه؟ قالوا: كلٌّ خائف له. قال: وأنا فيما أنا فيه من السلطان؟ قالوا: نعم. قال: إن لَعَيْشَكُم هذا عيش كَدَرٍ، فرجع مغموماً محزوناً، فقيل لأبيه، فقال: انشروا عليه كل لهو وباطل حتى تنزعوا من قلبه هذا الحزن والغم.

فلبث حَوْلاً، ثم قال: أخرجونى، فأُخْرِجَ على مثل حاله الأولى، فبينا هو يسير إذا هو برجل هَرِمٍ قد أصابه الهَرَمُ، ولعابه يسيل مِنْ فيه، فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا رجل قد هرم؟ قال: فيصيب ناساً دون ناس؟ أو كلٌّ خائف له إن هو عُمِّرَ؟ قالوا: كلٌّ خائف. قال: أُفٍّ لعيشكم هذا عيش لا يصفو لأحدٍ.

فأُخْبِرَ بذلك أبوه، فقال: احشروا عليه كل لهوٍ وباطل، فحشروا، فمكث حَوْلاً، ثم ركب على مِثْل حاله، فبينا هو يسير إذا هو بسريرٍ تحمله الرجال على عواتقها، فقال: ما هذا؟ قالوا: رجل مات. قال لهم: وما الموت؟ ائتونى به، فأتوه. فقال: أجلسوه. فقالوا: إنه لا يجلس. قال: كَلِّمُوه. قالوا: إنه لا يتكلم. قال: فأين تذهبون به؟ قالوا: ندفنه تحت الثراء. قال: فيكون ماذا بعد هذا؟ قالوا: الحشر. قال لهم: ما الحشر؟ قالوا: يوم يقوم الناس فى ذلك اليوم لرب العالمين، فيجزى كل واحد على قَدْرِ حسناته وسيئاته. قال: ولكم دار غير هذه تجازون فيها؟ قالوا: نعم.

قال: فرمى بنفسه من الفرس، وجعل يُعَفِّر وجهه فى التراب، وقال لهم: مِنْ هذا كنتُ أخشى، كاد هذا أن يأتى علىَّ، ولا أعلم به، أما وربِّ مَنْ يُعْطِى ويحشر ويجازى إن هذا آخر العهد بينى وبينكم، فلا سبيل لكم علىَّ بعد هذا اليوم.

فقالوا: لا ندعك حتى نردك إلى أبيك، قال: فردوه إلى أبيه، وقد كاد ينزف دمه، فقال له: يا بنى ما هذا الجزع؟ قال: جزعى ليوم يجازى فيه الصغير والكبير على ما عملا من الخير والشر، فدعا بثياب شَعْرٍ، فلبسها، وقال: إنى عازم من الليل أن أخرج، فلما كان نصف الليل - أو قريباً منه - خرج، فلما أن خرج من باب القصر قال: اللهم إنى أسألك أمراً ليس إلىَّ منه قليل ولا كثير قد سبقت فيه المقادير الأولى، وودت أن الماء كان فى الماء، وأن الطين كان فى الطين، ولم أنظر بعينى إلى الدنيا نظرةً واحدة.

قال بكر بن عبد الله: فهذا رجل خرج من ذنب لا يعلم ما عليه فيه، فكيف بمن يذنب، وهو يعلم بما عليه فيه، ولا يتجزع ولا يجزع ولا يتوب.

* * *

الحكاية الثلاثون بعد الثلاثمائة

حكاية عبيد الله بن مروان مع ملك النوبة

حدثنا إبراهيم بن عيسى بن أبي جعفر المنصور قال: سمعت عمي سليمان بن أبي جعفر المنصور قال: كنت واقفاً على رأس المنصور ليلة، وعنده إسماعيل بن علي بن صالح بن علي وسليمان بن علي وعيسى بن علي، فتذاكروا زوال مُلْك بني أمية، وما صَنَعَ بهم عبد الله، وقَتَلَ مَنْ قتل منهم بنهر أبي قرطس، فقال: ألا مَنَّ عليهم حتى يروا من دولتنا ما رأينا من دولتهم، ويرغبوا إلينا كما رغبنا إليهم، فقد لعمري عاشوا سعداء وماتوا فقراء.

فقال له إسماعيل بن علي: يا أمير المؤمنين، إن في حَبْسِك عبيد الله بن مروان بن محمد، وقد كانت له قصة عجيبة مع مَلِك النوبة، فابعث إليه، فاسأله عنها، فقال: يا مسيب، عليَّ به.

فأُخْرِجَ فتى مقيد بقَيْد ثقيل وغُلٍّ ثقيل، فَمَثُل بين يديه، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فقال: يا عبيد الله، رَدُّ السلام أَمْن، ولم تسمح بذلك لك نفسي مقام بعد، ولكن اقْعُدْ، فجاءوا بوسادةٍ، فبنيت، فقعد عليها، فقال: قد بلغني أنه كان لك قصة عجيبة مع مَلِك النوبة، فما هي؟

قال: يا أمير المؤمنين، لا - والذي أكرمك بالخلافة - ما أقدر على النَّفَس مِنْ ثِقَل الحديد، ولقد صَدِأ قيدي مما أرش عليه من البول، وأَصُبُّ عليه الماء في أوقات الصلاة، فقال: يا مسيب، أَطْلِقْ عنه حديده، ثم قال: نعم يا أمير المؤمنين، لما قصد عبد الله بن علي إلينا كنتُ المطلوب مِنْ بين الجماعة لأني كنتُ ولي عهد أبي مِنْ بعده، فدخلت إلى خزانة، فاستخرجت منها عشرة آلاف دينار، ثم دعوت عشرة من غلماني، وحملت كل واحدٍ على دابة، ودفعت إلى كل غلام ألف دينار، وأوقرت خمسة أبغل حريمًا، وشددت في وسطي جوهرًا له قيمة مع ألف دينار، وخرجت هارباً إلى بلاد النوبة، فسرت فيها ثلاثاً، فوقعت إلى مدينة خراب، فأمرت الغلمان أن يعدلوا إليها، فكسحوا منها ما كان قدرا، ثم فرشوا بعض تلك الفُرُش، ودعوت غلاماً لي كنت أثق بعقله، فقلت: انطلق إلى المَلِكِ، فأَقْرِئه مني السلام، وخُذْ لي منه الأمان، وابتع لي مِيرَة.

قال: فمضى، فأبطأ علىَّ حتى سؤت ظناً، ثم أقبل ومعه رجل آخر، فلما أنْ دخل كَفَّرَ[١] لى، ثم قعد بين يدى، فقال لى: الملك يقرأ عليك السلام، ويقول لك: مَنْ أنت؟ وما جاء بك إلى بلادى؟ أمحارب أم راغب إلى أم مستجير بى؟ قلت: تَرُدُّ على الملك السلام، وتقول له: أما محارب لك فمعاذ الله، وأما راغب فى دِينِك فما كنت لأبغى بدينى بدلاً، وأما مستجير بك فلعمرى.

قال: فذهب، ثم رجع إلىَّ، فقال: إن الملك يقرأ عليك السلام، ويقول لك: أنا صائر إليك غداً فلا تُحْدِثَنَّ فى نفسك حَدَثاً، ولا تتخذ شيئاً من ميرة، فإنها تأتيك وما تحتاج إليه، فأقبلت الميرة، فأمرت غلامى، ففرش تلك الفرش كلها، وأمرت بفرش فنصبت له ولى مثله، وأقبلت مِنْ غدٍ أرْقُب مجيئه.

فبينا أنا كذلك أقبل غلمانى يحضرون، وقالوا: إن الملك قد أقبل، فقمت بين شرفتين من شرف القصر أنظر إليه، فإذا أنا برجلٍ قد لَبِسَ بُرْدَيْن اتَّزَرَ بإحداهما، وارتدى بالآخر، حافٍ راجل، وإذا عشرة معهم الحراب ؛ ثلاثة يَقْدُمُونه، وسبعة خَلْفَه، وإذا الرجل المُوَجَّه إلى جنبه، فاستصغرت أمره، وهان علىَّ لِمَا رأيته فى تلك الحال، وسَوَّلَتْ لى نفسى قتله، فلما قرب من الدار إذا أنا بسوادٍ عظيم، فقلت: ما هذا السواد؟ فقيل: الخيل.

فوافى يا أمير المؤمنين زهاء على عشرة آلاف عَنَان، وكانت موافاة الخيل إلى الدار وقت دخوله، فأحدقوا بها، فدخل إلىَّ، فلما نظر إلىَّ قال لترجمانه: أين الرجل؟ فأومأ الترجمان إلىَّ، فلما نظر إلىَّ وثبت إليه، فأعظم ذلك، وأخذ بيدى، وقَبَّلَها، ووضعها على صدره، وجعل يدفع ما على الفسطاط برجله، فيشوش الفرش، فظننت أن ذلك شىء يجلونه أن يطئوا على مثله حتى انتهى إلى الفرش، فقلت لترجمانه: سبحان الله! لِمَ لا يقعد على الموضع الذى وُطِئَ له؟

فقال: قل له: إنى مَلِك، وكل ملكٍ حقه أن يتواضع لعظمة الله سبحانه، ثم أقبل ينكت بإصبعه فى الأرض طويلاً، ثم رفع رأسه، فقال لى: كيف سُلِبْتُم هذا الملك، وأُخِذَ منكم، وأنتم أقرب الناس إلى نبيكم؟ فقلت: جاء مَنْ كان أقرب قرابة إلى نبينا ﷺ، فسلبنا، وقتلنا، وطردنا، فخرجت إليك مستجيراً بالله عز وجل، ثم بك. قال: فلِمَ كنتم تشربون الخمر، وهى مُحَرَّمَة عليكم فى كتابكم؟ فقلت: فعل ذلك عبيد وأتباع وأعاجم دخلوا فى مُلْكِنَا مِنْ غير رأينا. قال: فلِمَ كنتم تركبون النُّمور والديباج، وعلى دوابكم الذهب والفضة، وقد حَرَّمَ الله ذلك عليكم؟ قلت: عبيد وأتباع وأعاجم دخلوا فى

---

(١) عظَّمه وحيَّاه.

مملكتنا. قال: فلِمَ كنتم أنتم بأعيانكم إذا خرجتم إلى نزهتكم وصيدكم تقحمتم إلى القرى، وكَلّفتم أهلها ما لا طاقة لهم به بالضرب الوجيع، ثم لم يُقْنِعْكم ذلك حتى تموشوا زروعهم، فتفسدوها فى طلب دراج[1] قيمته نصف درهم، أو فى عصفور قيمته لا شيء، والفساد مُحَرَّم عليكم فى دينكم؟ قلت: عبيد وأتباع.

قال: لا، ولكنكم اسْتَحْلَلْتُم ما حرَّم الله عليكم، وأتيتم ما نهاكم عنه، فسَلَبَكُم الله العِزَّ، وألْبَسَكُمْ الذُّلَّ، ولله فيكم نِقْمَةٌ لم تبلغ غايتها بعد، وإنى أتَخَوَّف أن تنزل النقمة بك إذْ كنتُ فى الظَّلَمَة، فتشملنى معك، فإن النقمة إذا نزلت عَمَّتْ، وشملت، فاخْرُجْ بَعْدَ ثلاث، فإنى إن أخذتُك بعدها أخذتُ جميع ما معك، ثم وثب، فخرج، فأقمت ثلاثاً، وخرجت إلى مصر، فأخذنى وَلِيُّك، فبعث بى إليك، وها أنا ذا، والموت أحب إلىّ من الحياة، فهَمَّ أبو جعفر بإطلاقه، فقال له إسماعيل بن على: فى عنقى بيعة له. قال: فماذا ترى؟ قال: يُتْرَك فى دار من دورنا، ويُجْرَى عليه ما يُجْرَى على مِثْله.

قال: ففعل ذلك به، فوالله ما أدرى أمات فى حبسه، أم أطلقه المهدى؟!

* * *

الحكاية الحادية والثلاثون بعد الثلاثمائة
أخت بشر الحافي تستفتي أحمد بن حنبل

عن عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول: كنت مع أبى يوماً من الأيام فى المنزل، فدَقّ داق الباب، فقال لى: اخْرُجْ، فانظر مَنْ بالباب.

قال: فخرجت فإذا بامرأةٍ، فقالت: استأذن لى على أبى عبد الله، فاستأذنته، فقال: أدخلها، فدخلت، فجلست، فسلَّمَتْ عليه، وقالت له: يا أبا عبد الله، أنا امرأة أغزل بالليل فى السراج، فربما طُفِئَ السراج، فأغزل فى القمر، فعَلَيَّ أنْ أُبَيِّنَ غَزْل القمر مِنْ غزل السراج؟! فقال لها: إن كان عندك بينهما فَرْق فعليك أن تُبَيِّنِى ذلك.

قال: فقالت له: يا أبا عبد الله، أَنِينُ المريض شكوى؟ قال: أرجو أن لا يكون شكوى، ولكنه اشتكاء إلى الله عز وجل.

قال: فوَدَّعَتْه، وخَرَجَتْ، فقال لى: يا بنى ما سمعت قط إنساناً سأل عن مِثْل هذا، اتْبعْ هذه المرأة، وانظر أين تدخل؟

قال: فاتَّبَعْتُها فإذا هى قد دخلت إلى بيت بشر بن الحارث، وإذا هى أخته.

---

(١) قنفذ.

قال: فرجعت، فقلت له، فقال: محال أن تكون مِثْل هذه إلا أخت بشر.

قلت: هذه المرأة لم تُسَمَّ لنا، فلا أدرى أى أخوات بشر هى؟ وقد كانت لبشر ثلاث أخوات زبدة ومُضْغة ومُخة، وكانت زبدة تُكْنَى أمَّ على، وكانت مضغة أكبر مِنْ بشر، وماتت قبله، فتَوَجَّعَ عليها بشر توجعاً شديداً، وبكى بكاءً كثيراً، فقيل له فى ذلك، فقال: قَرَأْتُ فى بعض الكتب: أن العبد إذا قَصَّرَ فى خدمة ربه سلبه أنيسه، وهذه كانت أنيستى من الدنيا.

وذكر إبراهيم الحربى أن بشراً قال هذا يوم ماتت أخته مخة، ويشبه أن تكون السائلة لأحمد مخه، وقد نقلت عنها حكاية سُمِّيَتْ فيها، تشبه الحكاية التى ذكرناها آنفاً، وها أنا أذكرها.

* * *

الحكاية الثانية والثلاثون بعد الثلاثمائة
خَلِّصْنِي يا إمام

حدثنا أبو بكر الأحنف قال: سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل ببغداد يقول: جاءت مخة أخت بشر بن الحارث إلى أبى، فقالت له: إنى امرأة رأس مالى دانقين اشترى القُطْنَ، فأردنه، فأبيعه بنصف درهم، فأتقوت بدانق من الجمعة إلى الجمعة، فمَرَّ ابن طاهر الطائف ومعه مشعل، فوقف يُكَلِّم أصحاب المسالح، فاغْتَنَمْتُ ضوء المشعل فغزلت طاقات، ثم غاب عنى المشعل، فقلت: إن لله فىَّ مطالبة، فخَلِّصْنِى خَلَّصَك الله!.

فقال لها: تُخْرِجِينَ الدانقين، ثم تَبْقِينَ بلا رأس مال حتى يُعَوِّضَكِ الله خيراً منه.

قال عبد الله: فقلت لأبى: يا أبه، لو قُلْتَ لها: لو أَخْرَجْتِ المغزل الذى أدرجت فيه الطاقات؟ فقال: يا بنى، سؤالها لا يحتمل التأويل، ثم قال: مَنْ هذه؟ قلت: مخة أخت بشر بن الحارث. فقال: مِنْ ها هنا أتيت.

* * *

الحكاية الثالثة والثلاثون بعد الثلاثمائة
حكاية مسكينة الطفاوية وعيسى بن راذان

أخبرنا عمار بن الراهب قال: رأيت مسكينة الطفاوية فى منامى، وكانت من المواظبات على حِلَق الذِّكْرِ، فقلت: مرحباً يا مسكينة مرحباً، فقالت: هيهات! يا عمار، ذهبت المسكينة، وجاء الغناء الأكبر.

قلت: هِيهِ! قالت: ما تسأل عَمَّنْ أُبيحَ الجنة بحذافيرها، يظل منها حيث يشاء.

قال عمار: وكانت تحضر معنا مجلس عيسى بن زاذان، قال عمار: قلت: يا مسكينة، ما فعل عيسى بن زاذان؟ فضحكت، ثم قالت:

قد كُسِيَ حُلَّة البهاء وطافت بأباريق حوله الخدام
ثم حُلِّيَ وقيل يا قارئ ارقا فلعمري لقد براك الصيام

وكان عيسى قد صام حتى انحنى، وانقطع صوته.

* * *

الحكاية الرابعة والثلاثون بعد الثلاثمائة

حكاية كسرى مع العجوز وابنتها

حدثنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه قال: خرج كسرى في بعض أيامه للصيد ومعه أصحابه، فعَنَّ له صيد فتبعه حتى انقطع عن أصحابه، وأظلته سحابة، فأمطرت مطراً حال بين أصحابه وبين اللحوق به، فمضى لا يدرى أين يقصد؟ فرُفِعَ له كوخ، فقصده، فإذا عجوز بباب الكوخ جالسة، فقال لها: أَنْزِلْ! قالت: انْزِلْ.

فنزل، فدخل الكوخ، وأدخل فرسه، وأقبل الليل، فإذا ابنة العجوز قد جاءت معها بقرة قد رَعَتْهَا بالنهار، فأَدْخَلَتْها، فاحتلبت البقرة لبناً صالحاً، وكسرى ينظر، فقال في نفسه: ينبغي أن يُجْعَلَ على كل بقرة إتاوةً خِرَاجًا، فهذا حِلاب كثير، وأقام بمكانه، فلما مضى أكثر الليل قالت العجوز: يا فلانة قومي إلى فلانة -تريد البقرة -، فاحتلبيها، فقامت إلى البقرة، فوَجَدَتْهَا حائلاً لا لبن فيها، فنادت أمها: يا أمتاه، قد والله أضمر لنا المَلِكُ شرًّا! فقالت: وما ذاك؟ قالت: هذه فلانة[1] حائلاً ما تبش بقطرة.

قال: فقالت لها أمها: امكثى، فإن عليك ليلاً.

قال: فقال كسرى في نفسه: مِنْ أين عَلِمَتْ ما أَضْمَرْتُ في نفسي، أما إني لا أفعل ذلك!.

قال: فمكثت، ثم نادتها: يا بنية قومي إلى فلانة، فقامت إليها، فوجدتها حافلاً، فنادت أمها: يا أمتاه، قد - والله - ذهب ما كان في نَفْس المَلِكِ مِنَ الشَّرِّ، هذه فلانة حافل، فاحتلبتها، وأقبل الصبح، وتَتَبَّع الرِّجال أَثَرَ كسرى، حتى أتوه، فركب، وأمر بِحَمْل العجوز وابنتها إليه، فحُمِلَتَا، فأحسن إليهما، وقال: كيف عَلِمْتُمَا أن الملك

---

(١) تعنى البقرة.

أضمر شرًّا، وأن الشر الذى أضمره قد زال عنه؟

قالت العجوز: أنا بهذا المكان منذ كذا وكذا، ما عُمِلَ بِعَدْل إلا أَخْصَبَ بلدنا، واتَّسَعَ عيشنا، وما عُمِلَ فينا بِجَوْر إلا ضاق عيشنا، وانقطعت مواد النفع عنا.

* * *

الحكاية الخامسة والثلاثون بعد الثلاثمائة

حكاية رجل من المجاهدين

حدثنا العكلى قال: أخبرنى رجل من أهل البصرة قال: رأيت رجلاً له هيئة وسَمْت، وعليه الصُّوف، فسألته عن اسمه، فقال: اسمى على بن محمد، فجلست إليه، فحَدَّثْته، فخبَّرَنى أنه مضى إلى المصيصة غازياً، فرأى فى مسجدها شيخاً جميلاً هَيِّنًا، وحوله قوم يسمعون من حديثه.

قال: فجلست إليه، فسألنى عن حالتى، فقلت: رجل من أهل العراق قدمت أريد وجه الله تعالى والدار الآخرة. فقال: رزقك الله حياةً طيبة ومُنْقَلَباً كريماً، ثم قال لى: إن لى إليك حاجة لا تَرُدَّنِى عنها. قلت: نعم.

قال: تَتَحَوَّلُ إلىَّ، وتنزل علىَّ، فتلكأت ساعة، ونزلت برجل قد وهبه الله قوة على الصيام والقيام وطلب الخير، فأقمت عنده حتى تهيأ لصاحب الثَّغْر الغزو، وَخَفَّ معه عشرة آلاف من المُطَوِّعَة، فقدم ابنه، وكان حَدَثاً، وكان رب منزلى فيمن خرج، فخرجت لخروجه، فلما أوغلنا فى بلاد العدو، ودَلَفَ إلينا جمع كثير عظيم، فوقفنا لهم، وأقبل الفتى يُحَرِّض الناس، ثم برز الشيخ، فَتَكَلَّم، وقال: هذه أبواب الجنة، فافتحوها بسيوفكم، فحمل الفتى، فأصيب، وحمل الشيخ رب منزلى، فأصيب، ثم إن الله تعالى منحنا أكتاف العدو، فقتلنا وأسرنا، ورجعنا إلى مواضعنا، فحفرنا لِمَنْ أكرمه الله بالشهادة، فدفناهم، ودفنا الشيخ، وسَوَّيْنَا عليه لحده، فارتجت الأرض، ورجفت بنا، ثم لفظت الشيخ، فوقع على عشرة أزرع مِنْ قبره. فقلنا: رجفة أو زلزلة! فحفرنا له قبراً آخر، وسَوَّيْنا عليه، فسمعنا ما هو أهول وأقطع، ولفظت به الأرض أبعد من ذلك الموضع، فحفرنا له قبراً ثالثاً، ودَفَنَّاه، فجاءت هذه فطاشت منها عقولنا، ولفظته الأرض، وسمعنا هاتفاً يقول: أيها العصابة، إن هذا الرجل لم يزل يدعو الله أن يجعل محشره من بطون السِّباع وحواصل الطيور، فدعوه إن الله جل جلاله قد سمع نداءه، فتركاه وانصرفنا.

* * *

الحكاية السادسة والثلاثون بعد الثلاثمائة

من نصائح ووصايا أبي حازم

حدثنا عبد الجبار بن عبد العزيز بن أبى حازم قال: حدثنى أبى عن أبيه أبى حازم قال: دخل سليمان بن عبد الملك المدينة، فأقام بها ثلاثاً، فقال: ما ها هنا رجل مِمَّنْ أدرك أصحاب محمد ﷺ يُحَدِّثُنا؟ فقيل له: بلى ها هنا رجل يُقال له أبو حازم، فبعث إليه، فجاءه، فقال له سليمان: يا أبا حازم ما هذا الجفاء؟ فقال له أبو حازم: وأى جفاء رأيته منى؟ فقال له سليمان: أتانى وجوه أهل المدينة كلهم ولم تأتنى.

قال: أُعِيذُكَ بالله أن تقول ما لم يكن، ما جرا بينى وبينك معرفة آتيك عليها! فقال سليمان: صدق الشيخ، يا أبا حازم ما لنا نكره الموت؟ قال: لأنكم أخربتم آخرتكم، وعمَّرتم دنياكم، فأنتم تكرهون أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب. قال: صدقت. قال: يا أبا حازم فكيف القدوم على الله عز وجل؟ قال: أما المحسن فكالغائب يَقْدُم على أهله، وإما المسيء فكالآبق يَقْدُم على مولاه.

قال: فبكى سليمان، وقال: ليت شعرى! ما لنا عند الله يا أبا حازم؟ قال أبو حازم: اعرض نفسك على كتاب الله ؛ فإنك تعلم ما لك عند الله.

قال: يا أبا حازم وأين أصيب تلك المعرفة من الله من كتاب الله؟ قال: عند قوله: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ. وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾[1] قال سليمان: يا أبا حازم فأين رحمة الله؟ قال: قريب من المحسنين. قال: يا أبا حازم مَنْ أعقل الناس؟ قال: من تَعَلَّمَ الحكمة، وعَلَّمَها الناس. قال: فمن أحمق الناس؟ قال: مَنْ خط فى هوى رجل وهو ظالم، فباع آخرته بدنيا غيره. قال: يا أبا حازم فما أسمع الدعاء؟ قال: دعاء الْمُخبِتِين. قال: فما أزكى الصدقة؟ قال: جُهْدُ الْمُقِلِّ. قال: يا أبا حازم ما تقول فيما نحن فيه؟ قال: اعفنى عن هذا! قال سليمان: نصحية تلقيها.

قال أبو حازم: إن ناساً أخذوا هذا الأمر عَنْوَة[2] من غير مشاورة من المؤمنين ولا اجتماع من رأيهم، فسفكوا فيه الدماء على طلب الدنيا، ثم ارتحلوا عنها، فليت شعرى ما قالوا؟ وما قيل لهم؟ فقال بعض جلسائه: بئس ما قلت يا شيخ! فقال أبو حازم: كَذَبْتَ، إن الله تعالى أخذ على العلماء لَيُبَيِّنُنَّه للناس، ولا يكتمونه. فقال سليمان: يا أبا حازم كيف لنا أن نُصْلِحَ؟ قال: تَدَعُون التَّكَلُّفَ، وتُمْسِكُون المروءة. قال سليمان: كيف المأخذ لذلك؟ قال: تأخذه مِنْ حقه، وتضعه فى أهله.

---

(١) سورة الانفطار، الآيتان: ١٣، ١٤.

(٢) العَنْوَة: الظلم والقهر.

قال سليمان: اصْحَبْنا يا أبا حازم تُصِبْ منـا، ونُصِبْ منـك! قـال: أعـوذ بالله مِـنْ ذلك! قال: ولِمَ؟ قال: أخاف مِنْ ذلك أن أركن إليكم شيئاً قليلا، فيذيقنى ضِعْف الحياة وضِعْف الممات. قال: فَأَشِرْ علىَّ. قال: اتق الله أن يراك حيث نهاك، وأن يفقدك حيث أمرك. فقال: يا أبا حازم ادْعُ لنا بخير. فقال: اللهم إن كان سليمان وَلِيَّك فَيَسِّرْه للخير، وإن كان عَدُوَّك فخُذْ إلى الخير بناصيته. قال: يا غلام هات مائة دينار، ثم قـال: خُذْهـا يا أبا حازم، فقال: لا حاجة لى فيها، لى ولغيرى فى هذا المال أسوة أن أُسِيَتْ بيننا، وإلا فلا حاجة لى فيها، إنى أخاف أن تكون لِمَا سَمِعْتَ من كلامى، إن موسى عليه السلام لَمَّا هَرَبَ من فرعون، ووَرَدَ ماء مدين، وجد عليه الجاريتين يـذودان، فقـال: مـا لكمـا عَوْن؟ قالتا: لا، فسقى لهما، ثم تَوَلَّى إلى الظل، فقال: رَبِّ إنى لما أنزلـتَ إلَىَّ مِـنْ خير فقير، فلم يَسْأَلْ الله أجراً على دِيْنِه، فلما عَجَّلَ بالجاريتين الانصراف أنكر ذلك أبوهما، فقال: ما أعجلكما اليوم! قالتا: وجدنا رجـلاً صالحـاً فسقى لنـا. قـال: فمـا سمعتماه يقول؟ قالتا: سمعناه يقول: رَبِّ إنى لما أنزلتَ إلَىَّ من خير فقير. قـال: ينبغـى أن يكـون هذا جائعاً، تنطلق إليه إحداكما فتقول: إن أبى يدعـوك ليجزيـك أجـر مـا سقيتَ لنـا، فجزع موسى من ذلك، وكان طريداً فى فناء فى الصحراء، فأقبل والجارية أمامه، فهبَّت الريـح، فوصفتهـا لـه، فقـال لهـا: كونـى خَلْفِـى، فلمـا دخـل علـى شعيب إذا الطعـام موضـوع، فقال له شعيب: أَصِبْ يا فتى مِنْ هذا الطعام! فقال موسى: أعوذ بالله! قـال: ولِمَ؟ قال موسى: لأنا مِنْ بيت لا نبيع ديننا بملء الأرض ذهباً.

قال شعيب: لا والله، ولكنها عادتى، وعادة آبائى، نُطْعِم الطعـام، ونُقْـرِى الضيـف، فجلس موسى، فأكل، فإن كانت هذه الدنانير عِوَضاً لِمَا سمعتَ مِنْ كلامى، فإن أَكْل الميتة والدم فى حال الضرورة أحب إلَىَّ مِنْ أخذها.

وكان سليمان أُعْجِبَ بأبى حازم، فقال الزهرى: إنـه لَجَـارى منـذ ثلاثـين سـنة مـا كَلَّمْتُه قط! قال أبو حازم: إنك نسيتَ الله، فنسيتنى، ولو أحببـتَ الله لأحببتنـى! قـال الزهرى: أتشتمنى؟ قال سليمان: بل أنت شتمتَ نفسك، أما علمـتَ أن للجـار حقًّا؟! قال أبو حازم: إن بنى إسرائيل لَمَّا كانوا على الصواب كانت الأمراء تحتاج إلى العلماء، وكانت العلماء تَفِرُّ بدِينِها من الأمراء، فلما رأى ذلك قوم من أذلة النـاس تعلمـوا ذلـك العلم، وأتوا به إلى الأمـراء، فاستغنت بـه عـن العلمـاء، واجتمـع القـوم علـى المعصيـة، فسقطوا وتعسوا وانتكسوا، ولو كانوا علماء يصونون عِلْمَهم لم تزل الأمراء تهابهم.

قال الزهرى: كأنك إياى تريد، وبى تُعَرِّض؟ قال: هو ما تسمع.

قال: وقَدِمَ هشام بن عبد الملك المدينةَ، فأرسل إلى أبـى حـازم، فقـال: يـا أبـا حـازم

عِظْنِي وأَوْجِزْ. قال: اتق الله، وازهد في الدنيا، فإن حلالها حساب، وإن حرامها عذاب.

قال: لقد أوجزتَ يا أبا حازم، فما مَالُك؟ قال: الثقة بالله والإياس مما في أيدى الناس. قال: يا أبا حازم ارفع حوائجك إلى أمير المؤمنين. قال أبو حازم: هيهات! هيهات! قد رَفَعْتُ حوائجى إلى مَنْ لا تختزل الحوائج دونه، فما أتانى منها قنعت، وما منعنى منها رضيت، وقد نظرت في هذا الأمر، فإذا هو شيئان: أحدهما لى، والآخر لغيرى، فأما ما كان لى، فلو احتلتُ بكل حيلة ما وصلت إليه قبل أوانه الذى قُدِّرَ لى، وأما الذى لغيرى فذاك الذى لا أُطْمِعُ نفسى فيما مضى، ولن أُطْمِعَها فيما بقى، وكما مَنَعَ غيرى رزقى، كذلك مُنِعْت رزق غيرى، فعلامَ أقتل نفسى؟!

* * *

الحكاية السابعة والثلاثون بعد الثلاثمائة

حكاية امرأة صابرة على فقد ولدها

حدثنا الأصمعى قال: خرجت أنا وصديق لى إلى البادية، فضللنا الطريق، فإذا نحن بخيمة عن يمين الطريق، فقصدناها، فسلَّمْنا، فإذا امرأة تَرُدُّ علينا السلام، ثم قالت: ما أنتم؟ قلنا: قوم ضالون، رأيناكم فأَنِسْنَا بكم، فقالت: يا هؤلاء وَلُّوا وجوهكم عنى حتى أقضى مِنْ حَقِّكم ما أنتم له أهل، ففعلنا، فألقت لنا مِسْحاً، فقالت: اجلسوا عليه إلى أن يأتى ابنى، ثم جعلت ترفع طَرَفَ الخيمة، وتَرُدُّها، إلى أن رفعتها، فقالت: أسأل الله بركة المقبل، أما البعير فبعير ابنى، وأما الراكب فليس بابنى، فوقف الراكب عليها، فقال: يا أم عقيل، أعظم الله أجرك فى عقيل! قالت: ويحك مات ابنى؟! قال: نعم. قالت: وما سبب موته؟ قال: ازدحمت عليه الإبل، فرمت به فى البئر، فقالت: انزل فاقضِ ذمام[1] القوم، ودفعت إليه كَبْشاً، فذبحه، وأصلحه، وقرَّب إلينا الطعام، فجعلنا نأكل، ونتعجب مِنْ صبرها، فلما فرغنا خرجت إلينا، وقد تَكَوَّرَتْ، فقالت : يا هؤلاء هل فيكم أحد يُحْسِنُ مِنْ كتاب الله شيئاً؟ قلت: نعم. قالت: اقرأ علىَّ آيات مِنْ كتاب الله أَتَعَزَّى بها! قلت: يقول الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ. الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[2] قالت: آَللّه إنها لفى كتاب الله عز وجل هكذا؟ قلت: آللّه إنها لفى كتاب الله عز وجل هكذا. قالت: السلام عليكم، ثم صَفَّتْ قدميها، وصلت ركعات،

---

(١) حق الضيافة.

(٢) سورة البقرة، الآيات: ١٥٥-١٥٧.

ثم قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، وعند الله أحتسب عقيلاً. تقول ذلك ثلاثاً: اللهم إنى فعلت ما أمرتنى، فأنجز لى ما وعدتنى.

* * *

الحكاية الثامنة والثلاثون بعد الثلاثمائة

حكاية أخرى في صبر الأم على فقد ابنها

حدثنا عبد الرحمن عن عمه قال: كان بحمى ضربة عجوز من بني أبى بكر بن كلاب يتحدث قومها عن سرورها وعقلها، فأخبرني مَنْ حضرها وقد مات ابن لها، وكان واحدها، وقد طالت عِلّته، وأحسنت بمرضه، فلما مات قعدت بفنائها، وحضرت قومها، فأقبلت على شيخ منهم، فقالت: يا فلان ما أحق مَنْ ألبس العافية، وأُسْبِغَتْ عليه النعمة، واعتدلت به الفطرة أن لا يعجز عن التوفيق لنفسه قبل حل عقدته، والحلول بعقوته والحيال بينه وبين نفسه، ثم أنشأت تقول:

هو ابنى وأنسى أجره لى   وعونى على نفسه رب إليه ولاؤها
فإن أحتسب أوجر وإن أبكه أكن   كباكيةٍ لم يغن شيئاً بكاؤها

فقال: الشيخ أنا لم نزل نسمع أن الجزع إنما هو للنساء، ولا يأتين رجل فى مصيبةٍ، ولقد كَرُمَ صبرك، وما أشبهت النساء!، فأقبلت عليه بوجهها، وقالت: إنه ما يمر امرؤ بين جزع وصبر إلا وجد بينهما منهجين يعتدى التفاوت فى حالتيها، أما الصبر فحَسَن العلانية محمود العاقبة، وأما الجزع فغير مُعَوِّض عوضاً مع مأثمة، ولو كانا فى صورة رجلين لكان الصبر أولاهما بالغلبة وبحسن الصورة وكرم الطبيعة فى عاجل فى الدين وآجله فى الثواب، وكفى بما وعد الله فيه لمن ألهمه الله إياه.

وقد رُوِيَتْ هذه الحكاية عن أبان أنه قال: رأيت أعرابية تُمَرِّض ابنًا لها، فلما فاض غَمَّضَتْه، ورجعت إلى مجلسها تجاهه، وذكر نحو رواية الأصمعى، وقال فيها: إنا لم نزل نسمع أن الجزع للنساء، فلا يجزعن رجل بمصيبته بعدك[1].

* * *

الحكاية التاسعة والثلاثون بعد الثلاثمائة

حكاية رجل يعذب في قبره

حدثنا عبيد الله بن محمد المدينى قال: كان لنا صديق قال: خرجت إلى ضيعتى، فأدركتنى صلاة المغرب إلى جنب مقبرة، فصليت المغرب قريباً منها، فبينا أنا جالس

---

(١) ورد فى الاصل عقب هذه الحكاية: وفى الروايتين جميعاً: والحيال بينه وبين نفسه. قال المعافى: لا يعرف الحيال فى هذا الموضع، وإنما يقال: حالت الشاة حيالاً إذا لم تلقح، وإنما يقال: حُلْتُ بين الرجلين حولاً وحولاً، والعقو ساحة الدار.

سمعت من ناحية القبور صوت أنين، فدنوت إلى القبر الذى سمعت منه الأنين وهو يقول: آه! قد كنت أصوم! قد كنت أُصَلِّى! فأصابتنى قشعريرة، فدعوت مَنْ حضرنى، فسمع مِثْلَ ما سمعتُ، ومضيت إلى ضيعتى، ورجعت - يعنى فى اليوم الثانى - ، فصليت فى موضعى الأول، وصبرت حتى غابت الشمس، وصليت المغرب، ثم تسمعت على ذلك القبر، فإذا هو يئن ويقول: آه! قد كنت أُصَلِّى! قد كنت أصوم! فرجعت إلى منزلى، وحُمِمْتُ، فمكثت مريضاً شهرين[1].

* * *

الحكاية الأربعون بعد الثلاثمائة
حكاية رجل يبحث عن إبله الضالة

عن أُبَىٍّ بن كعب الحارثى قال: خرجت فى طلب إبل ضوال، فتزودت لبناً فى إداوةٍ. قال: ثم قلت فى نفسى: ما أنصفت رَبِّى! فأين الوَضُوء؟ قال: فهرقت اللبن، وملأتها ماء، فقلت هذا وَضُوء وهذا شراب. قال: فكنت أبغي إبلى، فإذا أردت أن أتوضأ اصطببت من الأداوة ماء، فتوضأت، وإذا أردت أن أشرب اصطببت لبناً، فشربته، فمكثت بذلك ثلاثاً.

فقالت له أسماء البحرانية: يا أبا كعب أحمسًا كان أم حليباً؟ فقال: إنك لبطالة، كان يعصم من الجوع، ويروى من الظمأ، أما إنى حدَّثت بهذا الحديث نفرًا من قومى فيهم على بن الحارث سيد بنى فنان، فقال: ما أظن الذى تقول كما تقول! قال: قلت: الله أعلم بذلك! قال: فرجعت إلى منزلى فبت ليلتي تلك، فإذا به فى صلاة الصبح على بابى، فخرجت إليه، فقلت: يرحمك الله لم تعنَّيْتَ إلَىَّ؟ ألا أرسلت إلَىَّ فآتيك؟ قال: لا، أنا أحق بذلك أن آتك، ما نمت الليلة إلا أتانى آتٍ، فقال: أنت الذى تُكَذِّب مَنْ يُحَدِّث بأنعم الله؟!

* * *

---

(١) روى أحمد ومسلم والنسائي عن أنس بن مالك قال: لما مر النبي ﷺ بقبور المشركين قال ذلك وفي رواية لمسلم من حديث زيد بن ثابت قال: بينما النبي ﷺ في حائط لبني النجار على بغلة له ونحن معه إذ حادت به فكادت تلقيه وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة فقال: من يعرف أصحاب هذه الأقبر قال رجل: أنا قال: فمتى مات هؤلاء قال: ماتوا في كذا فقال: إن هذه الأمة تبتلى في قبورها ولولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه ثم أقبل علينا بوجهه فقال: تعوذوا بالله من عذاب النار فقالوا: نعوذ بالله منه فقال: تعوذوا بالله من عذاب القبر فقالوا: نعوذ بالله منه قال: تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وبطن قال: نعوذ بالله منها قال: تعوذوا بالله من فتنة الدجال قالوا: نعوذ بالله منه.

الحكاية الحادية والأربعون بعد الثلاثمائة

حكاية ذي القرنين مع مَلِك صالح

عن عبد الرحمن بن عبد الله الخزاعى أن ذا القرنين أتى على أُمَّة مِنْ الأمم ليس فى أيديهم شىء مما يستمتع به الناس فى دنياهم، قد احتفروا قبوراً، فإذا أصبحوا تعهدوا تلك القبور، فكنسوها وصلوا عندها، ورعوا البقل كما ترعى البهائم، وقد قُيِّضَ لهم فى ذلك معاش من نبات الأرض، فأرسل ذو القرنين إلى مَلِكِهِم، فقال له: أجب المَلِكَ ذا القرنين! فقال: ما لى إليه حاجة. فأقبل إليه ذو القرنين، فقال: إنى أرسلت إليك لتأتينى فأبيت، فها أنا ذا قد جئتك. فقال: لو كانت لى إليك حاجة لأتيتك.

فقال له ذو القرنين: ما لى أراكم على الحال التى لم أرَ أحداً من الأمم عليها؟ قالوا: وما ذاك؟ قال: ليس لكم دنيا ولا شىء، أفلا اتخذتم الذهب والفضة، فاستمتعتم بها؟ فقالوا: إنما كرهناها لأن أحداً لم يُعْطَ منها شيئاً إلا تاقت نفسه إلى أفضل منه.

فقال: ما بالكم قد احتفرتم قبوراً، فإذا أصبحتم تعهدتموها، فكنستموها، وصليتم عندها؟ قالوا: أردنا إذا نظرنا إليها، وأَمَّلْنا الدنيا منعتنا قبورنا من الأمل.

قال: وأراكم لا طعام لكم إلا البقل من الأرض، أفلا اتخذتم البهائم من الأنعام، واحتلبتموها، وذبحتموها، واستمتعتم بها؟ فقالوا: كرهنا أن نجعل بطوننا قبوراً لها، ورأينا أن فى نبات الأرض بلاغاً، وإنما يكفى ابن آدم أدنى العيش من الطعام، وإن ما جاوز الحنك لم يجد له طعماً كائناً ما كان من الطعام، ثم بسط مَلِكُ تلك الأرض يده خلف ذى القرنين، فتناول جمجمة، فقال: يا ذا القرنين أتدرى مَنْ هذا؟ قال: لا، مَنْ هو؟ قال: مَلِكٌ مِنْ ملوك الأرض، أعطاه الله سلطاناً على أهل الأرض، فغشم وظلم وعتا، فلما رأى ذلك منه حسمه بالموت، فصار كالحجر المُلْقَى، قد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه به فى آخرته، ثم تناول جمجمة أخرى بالية، فقال: يا ذا القرنين هل تدرى مَنْ هذا؟ قال: ومَنْ هذا؟ قال: مَلِكٌ ملّكه الله بعده قد كان يرى ما يصنع الذى قبله بالناس من الظلم والغشم والتجبر، فتواضع وخشع لله عز وجل، وعمل بالعدل فى أهل مملكته، فصار كما ترى قد أَحْصَى الله عليه عمله، حتى يجزيه فى آخرته، ثم أهوى إلى جمجمة ذى القرنين[1]، وقال: وهذه الجمجمة كأن قد كانت كهاتين، فانظر يا ذا القرنين ما أنت صانع؟ فقال له ذو القرنين: هل لك فى صحبتى، وأتخذك وزيراً وشريكاً فيما أنا فيه، وما أتانى من المال؟ فقال: ما أصلح أنا وأنت فى مكان، ولا أن نكون جميعاً.

---

(١) أي: أشار إلى رأس ذى القرنين.

قال ذو القرنين: ولِمَ؟ قال: مِنْ أجل أن الناس كلهم لك عدو، ولى صديق! قال: ولِمَ ذاك؟ قال: يعادونك لما فى يديك من الملك والمال والدنيا، ولا أجد أحداً يعادينى لرفضى لذلك، ولِمَا عندى من الحاجة وقلة الشىء، فانْصَرَفَ عنه ذو القرنين.

* * *

الحكاية الثانية والأربعون بعد الثلاثمائة

عاقبة من لم يُغِثْ الملهوف

حدثنا بشر بن عبد الله بن بشار أن رجلاً من بنى إسرائيل حضره الموت، فرأى جزع امرأته عليه، فقال: تحبين أن لا أفارقك؟ قالت: نعم. قال: فاصنعى لى تابوتاً، ثم اجعلينى فى بيتك هذا، فإنه لا يَتَغَيَّر جسدى، ففعلت، فاطَّلَعَتْ بعد زمان فإذا هى بإحدى أذنيه قد أُكِلَتْ. قالت: فلان ما كذبنى قبلها. قال: فاستأذن ربه، فَرَدَّ الله عز وجل عليه روحه، فقال لها: إن الذى رأيتِ مِنْ أذنى أنى سمعت ملهوفاً يوماً من الأيام يستغيث، فلم أُغِثْه، فأكلت أذنى التى كانت تليه[1].

* * *

الحكاية الثالثة والأربعون بعد الثلاثمائة

حكاية بنى إسرائيل مع قضاتهم

عن عبيد الله الأحلافى قال: كان القاضى إذا مات فى بنى إسرائيل جُعِلَ فى أزج[2] أربعين سنة، فإنْ تَغَيَّرَ منه شىء علموا أنه قد جار فى حُكْمِه، فمات بعض قضاتهم، فجُعِلَ فى أزج، فبينا القَيِّم يقوم عليه أصابت المكنسة طَرَفَ أذنه، فانفجرت صديداً، فشقَّ ذلك على بنى إسرائيل، فأوحى الله عز وجل إلى نَبِىٍّ من أنبيائهم أنَّ عبدى هذا لم يكن به بأس، ولكنه استمع يوماً بإحدى أذنيه من الخصْم أكثر مما استمع من الآخر، فمن ثَمَّ فعلتُ به هذا[3].

* * *

الحكاية الرابعة والأربعون بعد الثلاثمائة

حكاية لابن عمر

عن يحيى المدنى عن سالم بن عبد الله عن أبيه قال: خرجت مرة فى سفر، فمررت بقبرٍ من قبور الجاهلية، فإذا رجل قد خرج مِنْ القبر يتأجج ناراً فى عنقه سلسلة من نار،

(١) هذه الحكاية من الإسرائيليات، ويبدو على متنها بوضوح الوضع والنكارة.

(٢) الأَزَج: بناء مستطيل مقوس السقف.

(٣) انظر: التعليق على القصة السابقة، هامش رقم: ١.

ومعي إداوةٍ من ماء، فلما رآني قال: يا عبد الله اسقني.

قال: قلت: عرفني، فدعاني باسمي، أو كلمة يقولها العرب يـا عبـد اللـه، إذ خـرج على أَثَرِه رجل من القبر: فقال: يا عبد اللـه لا تسقه، فإنـه كـافر، ثـم أخـذ السلسـلة، واجتذبه، فأدخله القبر، ثم أضافني الليل إلى بيت عجوز، إلى جانب بيتها قبر، فسـمعتُ من القبر صوتاً يقول: بَوْل وما بَوْل، شن وما شن!

قلت للعجوز: ما هذا؟ قالت: هذا كـان زوجـاً لى، وكـان إذا بـال لـم يتـقِ البـول، فكنت أقول له: ويحك إن الجمل إذا بال تفاج[1] وكان يأبى، فهو ينادى منذ يوم مات: بول وما بول.

قلت: فما الشن؟ قالت: جاءه رجل عطشان، فقال: اسـقني. فقـال: دونـك الشـن، فإذا ليس فيه شيء، فخرَّ الرجل مَيِّتاً، فهو ينـادى منـذ يـوم مـات شـن ومـا شـن، فلمـا قدمت على رسول الله ﷺ أخبرته، فنهى ان يسافر الرجل وحده.

قال ابن عبد البر: هذا الحديث ليس له إسناد، ورواته مجهولون.

* * *

الحكاية الخامسة والأربعون بعد الثلاثمائة
عمر بن عبد العزيز يردُّ شربة لبن لزوجته الحامل

عن وهيب بن الورد قال: بلغنا أن عمـر بـن عبـد العزيـز اتخـذ داراً لطعـام المسـاكين والفقراء وابن السبيل. قال: وتقدَّم إلى أهله، فقال: إياكم أن تصيبوا من طعام هذا الـدار شيئاً، فإنما هو للفقراء والمساكين وابن السبيل، فجاء يوماً، فإذا مـولاة لـه معهـا صَحِفَـة فيها غَرْفَة مِنْ لبن، فقال لها: ما هذا؟ قالت: زوجتك فلانة حامل، فاشـتهت غرفـة مـن لبن، والمرأة إذا كانت حاملاً، واشتهت شيئاً فلم تُؤْتَ به يُخَوَّف على ما فى بطنهـا أن يسقط، فأخذتُ هذه الغرفة من الدار، فأخذ عمر بيدهـا، وتوجَّـه بهـا إلى زوجتـه وهـو عالى الصوت، وهو يقول: إن لم يمسك ما فى بطنها إلا طعـام المسـاكين والفقـراء، فـلا أمسكه الله عز وجل على. فدخل على زوجته، فقالت له: ما لكَ؟ قال: تزعـم هـذه أنـه لا يمسك ما فى بطنك إلا طعام المساكين والفقراء، فإن لم يمسكه إلا ذلك، فلا أمسـكه الله!

قال: فقالت زوجته: رُدِّيه، ويحك! فوالله لا أذوقه. قال: فردته.

* * *

---

(١) فتح ما بين رجليه.

الحكاية السادسة والأربعون بعد الثلاثمائة

من حكايات أهل القبور

حدثنا أبو حمزة الأنصارى قال: حدثنى أبو المصرخى قال: خرجت غازياً، فمررت ببعض حصون الشام ليلاً، فوجدت باب الحصن مُغْلَقاً، ومقبرة على الباب، فبتُّ بجنب المقبرة بالقرب من قبرٍ محفور وقبر معمور، فلما نمت إذا بهاتف من القبر يقول:

يعم الله بالحالين عيناً ... وبمسراك يا أميم إلينا

قال: فانتبهت فزعاً، فقمت لأصلى، فلما تجلَّى الصبح نمت، فإذا أنا بهاتف، وهو يقول:

يعم الله بالحالين عيناً ... وبمسراك يا أميم إلينا

عجباً ما عجبت مِن ثقل التراب ... ومن ظلمة القبور علينا

قال: فانتبهت، فإذا الباب قد فُتِحَ، وإذا نحن بجنازة يقدمها شيخ، فقلت له: ما هذه الجنازة؟ قال: هذه جنازة ابنتى. قلت: ما اسمها؟ قال: أميمة. قلت: القبر المعمور لِمَنْ؟ قال: قبر ابن أخى، وكان زوجها، تُوُفِّىَ، فدفنته، ثم تُوُفِّيت ابنتى، فجئت أدفنها، فأخبرتهم بما سمعت من الهاتف من القبر.

وهذه الحكاية تدل على علم الموتى بأحوال الأحياء.

حدثنا محمد بن العباس الوراق قال: خرج رجل مع أبيه حتى إذا كان فى بعض طريقه، فمَرَّ بشجر الدوم[1]، فأَدْرَكَتْ أباه الوفاة، فدفنه عند شجر الدوم، ومضى فى سفره، فمر بذلك الموضع ليلاً، فلم ينزل إلى قبر أبيه، فإذا هاتف يهتف به، ويقول:

أجدك تطوى الدوم ليلاً ولا ترى ... عليك لأهل الدوم أن تتكلما

وبالدوم ثاوٍ لو ثويت مكانه ... فمرَّ بأهل الدوم عاجٍ فسلَّما

* * *

الحكاية السابعة والأربعون بعد الثلاثمائة

نعيم الدنيا يزول

عن صالح المُرِّىِّ أنه مَرَّ على باب دار بإزاء باب جعفر بن سليمان الهاشمى، فإذا هو بجارية تدخل الدار، وبيدها دُفٌّ، وهى تقول: نحن ناس فى سرور ونعيم لا يزول. فقال لها صالح: أنت والله كذَّابة، ومضى.

---

(١) الدوم: جمع دومة: وهى الشجرة الضخمة، وهو شجر يشبه النخل.

فلما كان بعد مدة عاد، فنظر إلى الدار خراباً، وليس فيها أحد، فوقف صالح على باب الدار ينادى: يا دار أين أهلك؟ يا دار أين حشمك؟ يا دار أين خُدَّامُك؟ يا دار أين حشمك؟ يا دار أين الجارية الكذابة التي زعمت أنها فى نعيم وسرور لا يزول؟! قال: فهتف به هاتف من داخل الدار: يا صالح هذا غضب مخلوق على مخلوق، فكيف إذا غضب الخالق على المخلوق.

قال: ثم التفت صالح إلى الناس، وبكى، وقال: بلغنى أن أهل النار ينادون: ربنا عَذِّبْنَا كيف شئت بما شئت، ولا تغضب علينا ؛ فإن غضبك أشد علينا من النار، إذا غضبتَ علينا يا رب ضاقت علينا الأنكال والقيود والسلاسل والأغلال!

* * *

الحكاية الثامنة والأربعون بعد الثلاثمائة

وجدت قلبي

حدثنا أبا الحسن الفارسى قال: بلغنا أن رجلاً من أصحاب ذى النون أصيب بعقله، فكان يطوف ويقول: آه! أين قلبى؟ أين قلبى؟ مَنْ وجد قلبى؟ مَنْ وجد قلبى؟ والصبيان قد ولعوا به يرمونه من كل جانب، فقضى أنه دخل يوماً فى بعض سكك مصر، وقد هرب من الصبيان، فجلس يستريح ساعة إذ سمع بكاء صبى تضربه والدته، وأخرجته من الدار، وأَغْلَقَتْ دونه الباب، فجعل الصبي يلتفت يميناً وشمالاً لا يدرى أين يذهب؟ وإلى مَنْ يقصد؟ فلما سكن ما به عاد ناكصاً على عَقِبِه حتى رجع إلى باب دار والدته، فوضع رأسه على عتبة الدار، فذهب به النوم، ثم انتبه، فجعل يبكى، ويقول: يا أماه مَنْ يفتح لى الباب إذا غَلَّقْتِي عنى بابك؟ ومَنْ يُدْنِينِي مِنْ نفسه إذا طَرَدْتِينِي مِنْ نفسك؟ ومَنْ الذى يُدْنِينِي بعد أن غَضِبْتِ عليَّ؟ قال: فرَحِمَتْه أمه، فقامت، فنظرت مِنْ خلف الباب، فوجدت ولدها تجرى الدموع على خَدَّيْه مُتَمَعِّكاً فى التراب، ففتحت الباب، وأخذته حتى وضعته فى حجرها، وجعلت تُقَبِّلُه، وتقول: يا قُرَّةُ عينى، ويا عزيز نفسى، أنت الذى حَمَلْتَنِي على نفسك، وأنت الذى تَعَرَّضْتَ لِمَا حَلَّ بك، لو كنتَ أطعتنى لم تلق منى مكروهاً.

قال: فتواجد الفتى، وقام، وصاح حتى اجتمع عليه الخَلْقُ، فقالوا: ما الذى أصابك؟ فقال: قد وَجَدْتُ قلبى، قد وجدت قلبى، فلما بَصُرَ بذى النون قال: يا أبا الفيض قد وجدت قلبى فى سكة كذا وكذا عند فلانة وسمَّاها، ثم لم يزل إذا تواجد يقول: ذلك.

* * *

الحكاية التاسعة والأربعون بعد الثلاثمائة

عامل الله ترى العجائب

حدثنا أبو على المغربى قال: قال أبو يوسف الغسولى: كنت مع إبراهيم بالشام، فدخل علىَّ يوماً، فقال: يا غسولى، لقد رأيت اليوم عجباً، قلت: وما ذاك يا أبا إسحاق؟ قال: وقفت على قبر مِنْ هذه المقابر، فانْشَقَّ لى عن شيخ خضيب، فقال لى: يا إبراهيم، سَلْ فإن الله أحيانى مِنْ أجلك[1]! فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: لقيت الله عز وجل بعمل قبيح، فقال لى: قد غفرت لك بثلاث: لقيتنى وأنت تحب مَنْ أحب، ولقيتنى وليس فى صدرك مثقال ذرة من شراب حرام، ولقيتنى وأنت خضب، وأنا أستحيى من شيبة الخضيب أن أعذبها بالنار.

قال: والتام القبر على الشيخ، قال الغسولى: فقلت: يا أبا إسحاق، ألا تقفنى على هذا القبر؟ قال: ويحك يا غسولى، عَامِل الله يُرِك العجائب.

* * *

الحكاية الخمسون بعد الثلاثمائة

ابن المبارك يتصدق بنفقة الحج

حكى أبو الحسن الواعظ أن عبد الله بن المبارك قال: كان بعض المتقدمين قد حُبِّبَ إليه الحج. قال: فحدِّثت عنه أنه قال: ورد الحاج فى بعض السنين إلى بغداد، فعزمت على الخروج معهم إلى الحج، فأخذت فى كُمِّى خمسمائة دينار، وخرجت إلى السوق أشترى آلة الحج، فبينا أنا فى بعض الطريق عارضتنى امرأة، وقالت: رحمك الله، أنا امرأة شريفة، ولى بنات عراة، واليوم الرابع ما أكلنا شيئاً؟!

قال: فوقع كلامها فى قلبى، فطرحت الخمسمائة دينار فى طرف إزارها، وقلت: عودى إلى بيتك، واستعينى بهذه الدنانير على وقتك، فحَمِدَتْ الله، وانصرفت، ونزع الله من قلبى حلاوة الخروج فى تلك السنة، وخرج الناس، وحجُّوا، وعادوا، فقلت: أخرج للقاء الأصدقاء والسلام عليهم، فخرجت، فجعلت كلما لقيت صديقاً سلَّمت عليه، وقلت له: قَبلَ الله حَجَّك، وشكر سعيك، يقول لى: وأنت قَبلَ الله حَجَّك، وشكر سعيك، فطَال علىَّ ذلك، فلما أن كانت تلك الليلة رأيت النبى ﷺ فقال لى: يا فلان، لا تعجب من تهنئة الناس لك بالحج، أغثت ملهوفاً، وأغنيت ضعيفاً، فسألتُ الله تعالى، فخلق فى صورتك مَلَكاً فهو يحج عنك فى كل عام، فإن شئت فحج، وإن شئت فلا تحج.

* * *

---

(١) هذه مبالغة غير مقبولة.

الحكاية الحادية والخمسون بعد الثلاثمائة

البلاء امتحان واختبار

عن وهب بن منبه قال: عبد الله عابدان خمسين عاماً، ثم ابْتُلِيَ أحدهما عند انقضاء الخمسين في جسده، فجزع، وقال: يا رب كان منى - كان يذكر عبادته -، ثم كان آخر الأمر أن ابتليتنى بهذا البلاء!.

فأوحى الله عز وجل إليه: أمَّا ما ذكرتَ من عبادتك، فَمِنِّى وبعونى، وأمَّا هذا البلاء فإنما ابتليتك به لأبلغك منازل الأبرار، وكان مَنْ قبلك يسألنى البلاء، فأعطيتك مجاناً.

* * *

الحكاية الثانية والخمسون بعد الثلاثمائة

دعاء من يأكل الحرام

عن عبَّاد الخواص قال: خرج موسى بن عمران عليه السلام لقضاء حاجة، فإذا رجل قائم رافع يديه يدعو ويتضرع. قال: فبقى موسى ينظر إليه ما شاء الله، ثم قال: يا رب أما تستجيب لعبدك.

فأوحى الله إليه: يا موسى لو أنه بكى حتى تزهق نفسه ورفع يديه حتى يبلغان عنان السماء ما استجبتُ له! قال: ولِمَ ذاك يا رب؟ قال: إنه قد أكل الحرام، وعليه الحرام، وفى بيته الحرام.

قال: وذهب موسى يُفَتِّش فى بيته[1]، فوجد فيه ستة عشر درهماً من الحرام.

الحكاية الثالثة والخمسون بعد الثلاثمائة

الصدقة تدفع الأذى والشر

عن سالم أبى الجعد قال: كان رجل فى قوم صالح ﷺ قد آذاهم، فقالوا: يا نبى الله ادْعُ الله عليه! قال: اذهبوا، فقد كُفِيتُمُوه.

وكان يخرج كل يوم، فيحتطب، فخرج يومئذ ومعه رغيفان، فأكل أحدهما، وتصدَّق بالآخر، فاحتطب، ثم جاء بحطبه سالماً، فجاءوا إلى صالح، فقالوا له: قد جاء الرجل بحطبه سالماً لم يُصِبْه شيء، فدعاه صالح، فقال: أى شيء صنعتَ اليوم؟ قال: خرجت ومعى قرصان، فتصدَّقت بأحدهما، وأكلت الآخر. فقال له صالح: حِلّ حَطَبَك، فَحَلَّه، فإذا فيه أسود[2] مثل الجذع عاضٌّ على جزل من الحطب!، فقال له

(١) يعني فى بيت هذا الرجل.

(٢) ثعبان.

صالح: بهذا دُفِعَ عنك - يعني بصدقتك الرغيف-.

* * *

الحكاية الرابعة والخمسون بعد الثلاثمائة

رؤيا رجل صالح

حدثنا أبو عبد الرحمن السَّلَمِي قال: سمعت منصور بن عبد الله الأصبهاني يقول: سمعت أبا الخير الأقطع يقول: دخلت مدينة الرسول ﷺ وأنا بفاقة[1]، فأقمت خمسة أيام ما ذقت ذواقاً، فتقدَّمت إلى القبر، وسلَّمت على النبي ﷺ وعلى أبي بكر وعمر، وقلت: أنا ضيفك الليلة يا رسول الله، وتَنَحَّيْتُ ونمتُ خلف المنبر، فرأيت في المنام النبي ﷺ وأبو بكر عن يمينه وعمر عن شماله وعلى بن أبي طالب بين يديه، فحرَّكني عليٌّ، فقال لي: قُمْ، قد جاء رسول الله ﷺ.

قال: فقمت إليه، وقبَّلت بين عينيه، فدفع إلى رغيفاً، فأكلت نصفه، فانتبهت فإذا في يدى نصف رغيف!.

* * *

الحكاية الخامسة والخمسون بعد الثلاثمائة

من حكايات ابن حنبل في الزهد

قال صالح بن أحمد بن حنبل قال: جاءتني حُسْنُ - يعني جارية أحمد بن حنبل- فقالت: يا مولاى قد جاء رجل بتُلَيْسَة[2] فيها فاكهة يابسة وهذا الكتاب.

قال صالح: فقمت، فقرأت الكتاب، فإذا فيه يا أبا عبد الله، أبضعتُ لك بضاعة إلى سمرقند، فوقع فيها كذا وكذا، فرددتها فوقع فيها كذا وكذا، وقد بعثت بها إليك أربعة ألف درهم وفاكهة أنا لقطتها من بستاني ورثته عن أبي، وأبي عن أبيه.

قال: فجمعت الصبيان، فلما دخل دخلنا عليه، فبكيت وقلت له: يا أبة ما تَرِقُّ لي مِنْ أكل الزكاة؟! فقال لي: مِنْ أين عَلِمْتَ، دع حتى أستخير الله الليلة! قال: فلما كان من الغد قال: يا صالح صُنِّي، فإني قد استخرت الله الليلة، فعزم لي أن لا آخذها.

قال: وفتح التليسة، ففرَّقها على الصبيان، وكان عنده ثوب عشاري، فبعث به إليه، وردَّ المال.

---

(١) فقر وحاجة.

(٢) وعاء من الخوص.

قال صالح: فبلغنى أن الرجل اتخذه كفناً.

* * *

الحكاية السادسة والخمسون بعد الثلاثمائة

حكاية رجل صالح يزور ابن حنبل

أخبرنا زهير بن صالح بن أحمد بن حنبل قال: سمعت أبى يقول: جئت يوماً إلى المنزل، وقد وَجَّهَ أبى فى طلبى، فأتيته، فقلت: وجَّهْتَ فى طلبى؟ فقال: جاءنى رجل كنت أحب أن تراه، بينا أنا قاعد بحَرِّ الظهيرة إذا رجل يُسَلِّم بالباب، فكان قلبى ارتاح إليه، فقمت، ففتحت الباب، فإذا أنا برجل عليه فرو، وعلى أم رأسه خِرْقة، وما تحت فروه قميص، وما معه لا ركوة ولا جراب ولا عكاز، وقد لوحته الشمس، فقلت: ادخل، فدخل الدهليز، فقلت: مِنْ أين أقبلت؟ قال: من ناحية المشرق أريد بعض هذه السواحل، ولولا مكانك ما دخلت هذا البلد!

قلت: على هذا الحال؟! قال: نعم. فقلت فى نفسى: ما عندى ذهب ولا فضة، فدخلت البيت، فأخرجت أربعة أرغفة، وخرجت إليه، فقلت: ما عندى ذهب ولا فضة، وإنما هذا من قُوتِى. قال: ويَسُرُّك أن أقبل منك؟ قلت: نعم، فأخذها، وقال: أرجو أن تكفينى هذه إلى الرقة، أستودعك الله، فلم أزل قائماً أنظر إليه إلى أن خرج من الزقاق، وكان أبى يذكره كثيراً.

* * *

الحكاية السابعة والخمسون بعد الثلاثمائة

موعظة في مجلس صالح المري

حدثنا رجاء بن ميسور المخاسعى قال: كنا فى مجلس صالح المُرِّيِّ يوماً وهو يتكلم، فقال لفتىً بين يديه: اقرأ يا فتى، فقرأ الفتى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الأَزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلاَ شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾[1] فقطع صالح عليه القراءة، وقال: كيف لظالم حميم أو شفيع، والمطالب له رب العالمين، إنك والله لو رأيتَ الظالمين وأهل المعاصى يُسَاقُون فى السلاسل والأنكال إلى الجحيم حفاةً عُراةً مسودة وجوههم مزرقة عيونهم يُنادون: يا ويلنا! يا ثبورنا! ماذا حَلَّ بنا؟ أين يُذْهَبُ بنا، والملائكة تسوقهم بمقامع النيران، فمرة يُجَرُّون على وجوههم، فيُسْحَبُون عليها، ومرة يُقَادُون مُقَرَّنين من بين بالٍ دم على انقطاع الدموع، ومِنْ بين صارخ طائر القلب مبهوت، إنك والله لو رأيتَهم على ذلك لرأيتَ منظراً لا يقوم له بصرك، ولا يثبت له

(١) سورة غافر، الآية رقم: ١٨.

قلبك، ولا تستقر لفظاعة هوله على قرارٍ قدمك، ثم نَحِبَ، وصاح: يا سوء منظراه! يـا سوء منقلباه! وبكى الناس.

فقام فتى الأزد، فقال: كُلُّ هذا فى القيامة يا أبا بشر؟ قال: نعم، والله يـا بـن أخـى، وما هو أكثر من ذلك بلغنى، لقد بلغنى أنهم يصرخون فى النار حتى تنقطـع أصواتهـم، فلا يبقى منهم إلا كهيئة الأنين من المُدْنَـف[1]، فصـاح الفتـى: إنـا للـه! وا غفلتـاه عـن نفسى أيام الحياة! وا أسفى على تفريطى فى أيام الحياة فى طاعتك يـا سيداه! وا أسـفى على تضييع عمرى فى دار الدنيا! ثم بكى، واستقبل القبلة، وقال: اللهـم إنـى أستقبلك فى يومى هذا بتوبته لك لا يخالطها رياء لغيرك، اللهم فاقبلنى على ما كـان فـىَّ، واغفـر لى ما تقدَّم مِنْ فِعْلى، وأقلنى عثرتى وارحمنى، ومن حصرى لك معاقد الأثام فى عنقـى، وإليك أنيب بجميع جوارحى، فالويل لى إن لم تقبلنـى، ثـم غُلِـبَ عليـه، فسقط مَغْشِيًّا عليه، فحُمِلَ من بين القوم صريعاً، فمكـث صـالح وإخوانـه يعودونـه أيامـاً، ثـم مـات، فحضره خَلْق كثير، فكان صالح كثيراً ما يذكره فى مجلسه، ويقول: وإياى قتيل القرآن، وإياى قتيل المواعظ والأحزان.

قال: فرآه رجل فى منامـه، فقـال: مـا صنعـتَ؟ قـال: عَمَّتْنِى بركـة مجلـس صـالح، فدخلت فى سعة رحمة الله التى وسعت كل شىء.

* * *

الحكاية الثامنة والخمسون بعد الثلاثمائة

حكاية رجل يكره الصحابة

أخبرنا أبو محمد الخرسانى قال: كان عندنا مَلِكٌ من ملوك خراسان، وكان له خـادم يَتَعَبَّد، فلما أخذ فى التأهب للحج استأذن الخادم مولاه فى الحج، فلم يأذن له، فقال لـه الخادم: إنما استأذنتك فى طاعة الله وطاعة رسوله؟ فقال: لست آذن لك حتى تضمن لى حاجة، فإن أنت ضمنتها أذنت لك، وإن لم تضمنها لم آذن لـك؟ قـال: فقـال الخـادم: هاتها! قال: أَبْعَثُ معك برجال وخدم ونوق وزوامل، فإذا بلغت إلى قبر المصطفى محمد ﷺ، فقل له: يا رسول الله مولاى يقول لك: إنى برىء من ضجيعيك.

قال: فقلت له: سمعاً وطاعة، وربى يعلم ما فى قلبـى. قـال: ثـم انتهينـا إلى المدينـة، فبادرت إلى القبر فسلَّمت على النبـى ﷺ، وعلـى أبـى بكـر وعمـر رضـى اللـه عنهمـا، واستحييت من رسول الله ﷺ أن أُبَلِّغَه الرسالة المُنْكَرة.

---

(١) أى من المرض المدنف، وهو المرض الملازم لصاحبه.

قال: فنمت فى المسجد بإزاء القبر، فرأيت فى المنام كأن حائط القبر قد انفتح، وإذا برسول الله ﷺ قد خرج، وعليه ثياب خضر ورائحة المسك تنفح بين يديه، وإذا أبو بكر عن يمينه وعليه ثياب خضر، وإذا عمر عن ثيابه وعليه ثياب خضر، وكان النبى ﷺ يقول لى: يا كَيِّسُ ما لك لم تؤدِ الرسالة؟ فقلت: يا رسول الله، وقمت قائماً هيبةً لرسول الله، وقلت: إنى استحييتُ منك أن أُسْمِعَك فى ضجيعيك ما قال لى مولاى. فقال لى: اعلم أنك تحج وترجع سالماً إلى خراسان إن شاء الله، فإذا بلغت إليه فقل له: النبى ﷺ يقول لك: إن الله عز وجل وأنا بريئان ممن يبرأ منهما، أفهمتَ؟ قلت: نعم يا رسول الله. ثم قال لى: واعلم أنه يموت فى اليوم الرابع مِنْ قدومك عليه، أفهمتَ؟ قلت: نعم. ثم قال لى: واعلم أنه يخرج فى وجهه بثرة قبل أن يموت، أفهمتَ؟ قلت: نعم يا رسول الله. قال: ثم انتبهت، فحمدت الله تعالى فى أنى رأيت النبى ﷺ، ورأيت ضجيعيه، وحمدته على ما كفانى من تبليغ الرسالة المنكرة، ثم إنى حججت، ورجعت إلى خراسان سالماً، وقد جئته بهدايا سنية، فسكت عَنِّى يومين، فلما كان فى اليوم الثالث قال لى: ما صنعتَ فى الحاجة؟ قلت: قد قضيت. قال لى: هاتها. قال: قلت: لا تُرِدْ يا مولاى أن تسمع الجواب. فقال لى: هاته. قال: فقصصت عليه القصة، فلما بلغت إلى قوله، وقل له إن الله عز وجل وأنا بريئان ممن تبرأ منهما تضاحك، ثم قال لى تبرأنا منهم، وتبرئوا منا، واسترحنا. قال: فقلت فى نفسى: سوف تعلم يا عدو الله!

قال: فلما كان اليوم الرابع من قدومى ظهرت فى وجهه بثرة، فأكمته، فلم نُصَلِّ الظهر إلا وقد دفنّاه[1]!.

* * *

الحكاية التاسعة والخمسون بعد الثلاثمائة

حكاية ثلاثة عُبَّاد من بني إسرائيل

عن عبد الله بن رياح الأنصارى عن كعب قال: اجتمع ثلاثة عباد من بنى إسرائيل، فقالوا: تعالوا حتى يذكر كل إنسان ما أعظم ذنب عمله! فقال أحدهم: أما أنا فلا أذكر من ذنب أعظم مِنْ أنى كنت مع صاحب لى، فعرضت لنا شجرة، فخرجت عليه، ففزع منى، فقال: الله بينى وبينك.

وقال أحدهم: أنا معاشر بنى إسرائيل إذا أصاب أحدنا بول قطعه، فأصاب جسدى بول، فقطعته، فلم أبالغ فى قطعه، ولم أدعه، فهذا أعظم ذنب عملته!.

وقال أحدهم: كانت لى والدة، فدعتنى مِنْ قِبَلِ شمال الريح، فأجبتها، فلم تسمع،

(١) يبدو أن هذه القصة من نسج القصاص.

فجاءتني مُغْضَبَة، فجعلت ترميني بالحجارة، فأخذت عصا، وجئت لأقعد بين يديها، فتضربني بها حتى ترضى، ففَزِعَتْ مِنِّي، فأصاب وَجْهَهَا شجرة، فشَجَّتْهَا، فهذا أعظم ذنب عملته.

* * *

الحكاية الستون بعد الثلاثمائة

عمر بن عبد العزيز مع آية من كتاب الله

حدثنا يزيد بن محمد بن مسلمة بن عبد الملك قال: حدثني مولى لنا قال: بكت فاطمة بنت عبد الملك حتى عمي بصرها، فدخل عليها أخواها مسلمة وهشام، فقالا: ما هذا الأمر الذى قدمت، أجزعك على بعلك[1]؟ فأحق من جزع على مثله، أم على شيء فاتك من الدنيا؟ فها نحن بين يديك وأموالنا وأهلونا؟

فقالت: لا مِنْ كلٍّ جزعت، ولا على واحدة منهما أسفت، ولكنى والله رأيت منه ليلة منظراً، فعلمت أن الذى أخرجه إلى ما رأيت منه هول عظيم قد استكن فى قلبه معرفته.

قالا: وما الذى رأيت منه؟ قالت: رأيته ذات ليلة قائماً يصلى، فأتى على هذه الآية: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ. وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾[2] فصاح: وا شر صباحاه، ثم وثب، فسقط، فجعل يخور يخور، حتى ظننت أن نَفْسَه ستخرج، ثم هدأ، فظننت أنه قد قضى، ثم أفاق إفاقة، فنادى: يا سوء صباحاه، فجعل يخور فى الدار، ويقول: ويلى من يوم يكون الناس فيه كالفراش المبثوث. وتكون الجبال كالعهن المنفوش!.

قالت: فلم يزل كذلك حتى طلع الفجر، ثم سقط كأنه ميت حتى أتاه الأذان للصلاة، فوالله ما ذكرت ليلته تلك إلا غلبتني عيناى، فلم أملك رَدَّ عَبْرَتى.

* * *

الحكاية الحادية والستون بعد الثلاثمائة

حكاية ابن أدهم مع شاب يرافقه

حدثنا أحمد بن الفيض قال: جاء شاب إلى إبراهيم بن أدهم وهو يريد بيت المقدس قال له: إنى أريد أن أرافقك؟ قال: فتعالَ. فقال له إبراهيم: نحتجم قبل!

---

(١) زوجك، وهو عمر بن عبد العزيز.

(٢) سورة القارعة، الآيتان رقم ٤، ٥.

قال: فاحتجموا. فقال له إبراهيم: أى شيء معك من النفقة؟ قال: ثمانية عشر درهماً. قال: ادفعها إلى الحجَّام، فدفعها، ثم خرجوا يريدون بيت المقدس، فقال له رفيقه: لو أمرتنى أن أدفع إليه بعضها، وأمسك بعضها؟ قال: فأمسك عنه إبراهيم، فلما وصلوا بيت المقدس قال لِقَيِّم المسجد: تعلم هاهنا أحد يحتاج إلى حصاد، فإنا رجلان نحصد له؟

قال: ما أعلم هاهنا أحد إلا نصرانياً له حقل. قال: فامض بنا إليه. قال: فمضوا، فأراهما الحقل، فقال له إبراهيم: بكم تشتهى أن تحصد هذا الحقل؟ قال: وكان لا يماكس[1] أحداً. قال: بدينار. قال: فادفعه إلى قَيِّم المسجد، فإذا حصدناه أمر به أن يُدْفَع إلينا.

وكانت ليلة مقمرة، قال: فقال إبراهيم لرفيقه: أيهما أحب إليك: أصلى أنا، وتحصد أنت، أو تصلى أنت، وأحصد أنا؟!

قال: فصلَّى الرجل، وحصد إبراهيم فى ليلته. قال: وغدوا إلى صاحب الحقل، فقال: قد فرغنا منه. فقال: أخشى أن يكون قد أفسدتم عليَّ. قال: فنظر فيه، فلم يَرَ بأساً، فقال: ادفع إلينا الدينار. فقال لِقَيِّم المسجد: ادفع الدينار إليهم. قال: نعم. قال إبراهيم: ادفعه إلى هذا الذى دفع إلى الحجام ثمانية عشرة درهماً.

* * *

الحكاية الثانية والستون بعد الثلاثمائة

يوم لإبراهيم بن أدهم

حدثنا شقيق بن إبراهيم قال: بينا نحن ذات يوم عند إبراهيم بن أدهم إذْ مَرَّ به رجل من أصحابه، فلَمْ يُسَلِّمْ عليه، فقال إبراهيم: أليس هذا فلان؟ قيل: نعم. فقال لرجل: أَدْرِكْه فقُلْ له: قال لك إبراهيم: ما لك لا تُسَلِّمْ؟ فقال: لا والله، إلا أن امرأتى وضعت الليلة، وليس عندنا شىء، فخرجت شبيه المدهوش!

قال: فرجعت إلى إبراهيم، فقلت له، فقال: إنا لله، كيف غفلنا عن صاحبنا حتى نزل به هذا الأمر؟ ألا كنا تفقدناه وغيَّرنا سوء حاله، ثم قال: يا فلان ائت فلاناً صاحب البستان، فاسْتَسْلِفْ منه دينارين، وادخل السوق، واشترِ له ما يصلحه بدينار، وادفع إليه الدينار الأخر.

قال: فدخلت السوق، واشتريت له ما يصلحه بدينار، ثم عدت فدققت الباب،

---

(١) أى: لا ينقص أحدًا حقه.

فقالت امرأته: مَنْ هذا؟ فقلت: أنا فلان، أردت فلاناً، قـالت: ليـس هـو هاهنـا. قلـت: فمُرِى بفتح الباب، وتَنَحَّى، ففَتَحَتْ الباب، فأَدْخَلْتُ ما حملته، وألقيته فى صحـن الـدار وناولتها الدينار، فقالت: على يدى مَنْ هذا رحمك الله؟ فقلت: أَقْرِئيـه السـلام، وقـولى على يدى أخيك إبراهيم بن أدهم، فقالت: اللهم لا تنس هذا اليوم لإبراهيم بن أدهم.

قالت: فرجعت إلى إبراهيم، فأخبرته بما كان مِنْ دعوتها وقولها، ففرح إبراهيم فَرَحاً لم يفرح مثله قط!

قال: فلما جاء الرجل من آخر النهار، وليس معه شـىء، فنظـر إلى صحـن الـدار قـد مُلِئَ من الخير، ودَفَعَتْ الدينار إليه، فقال لها: على يـدى مَـنْ هـذا؟ قـالت: علـى يـدى إبراهيم بن أدهم، فقال: اللهم لا تنس هذا اليوم لإبراهيم.

* * *

الحكاية الثالثة والستون بعد الثلاثمائة

حكاية رجل من العُبَّاد

حدثنا عبد الله بن أبى نوح، وكان من العابدين قال: صحبت شيخاً فى طريق مكة، فأعجبنى هيئته، فقلت: إنى أحب أن أصحبك؟ قال: أنت وما أحببت.

قال: فكان يمشى بالنهار، فإذا مشى أقام كان فى مـنزل أو غيره قـال: فيقـوم الليـل يصلى، وكان يصوم فى شدة الحر، فإذا أمسى عمد إلى جُرِيب معه، فأخرج منـه شيئاً، فألقاه إلى فِيهِ مرتين –أو ثلاثاً – وكان يدعونى، فيقول: هَلُمَّ، فأصب مِنْ هـذا، فـأقول فى نفسى: والله ما هذا بمجزئـك أنـت، فكيـف أشـركك فيـه؟ فلـم يـزل علـى ذلـك، ودخلت له قلبى هيبة عندما رأيت من اجتهاده وصبره.

قال: فبينا نحن فى بعض المنازل نظر إلى رجل يسوق حماراً، فقـال لى: انطلـق فاشترِ ذلك الحمار. قـال: فمنعتنـى والله هيبتـه فـى صـدرى أن أرده، فـانطلقت إلى صـاحب الحمار، فساومته به، فأبى أن ينقصه من ثلاثين ديناراً، فجئت إليـه، وقلـت: قـد أبـى أن ينقصه من ثلاثين دينار. قال: خُذْه، واستخر الله.

قلت: الثمن. قال: سَمِّ الله، ثم أدخل يدك فى الجراب، فخُذْ الثمـن، فأعطـه. قـال: وأخذت الجراب، ثم قلت: بسم الله، وأدخلت يدى، فيه فإذا صُرَّة فيها ثلاثون ديناراً لا تزيد ولا تنقص.

قال: فدفعتها إلى الرجل، وأخذت الحمار، وجئت به، فقال لى: اركـب، فقلـت لـه: أنت أضعف منى، اركب أنت. قال: فلم يرادنى الكـلام، وركـب، وكنـت أمشـى مـع

حماره، فحيث أدركه الليل أقام قائماً هو راكع وساجد حتى أتينا عسفان، فلقيه شيخ، فسلّم عليه، ثم خليا، فجعلاً يبكيان، فلما أراد أن يتفرقا قال صاحبه للشيخ: أوصني. قال: نعم، أَلْزِمْ التقوى قلبك، وأَنْصِبْ ذكر المعاد أمامك. قال: زدني. قال: نعم، استقبل الآخرة بالحسنى من عملك، وباشر عوارض الدنيا بالزهد من قلبك، واعلم أن الأكياس[١] هم الذين عرفوا عيب الدنيا حين غُمِّيَ على أهلها، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

قال: ثم افترقا. فقلت لصاحبي: مَنْ هذا الشيخ رحمك الله فما رأيت أحسن كلاماً منه؟ قال: عبد من عبيد الله.

قال: فخرجنا من عسفان حتى أتينا مكة، فلما انتهينا إلى الأبطح نزل عن حماره، وقال لي: اثبت مكانك حتى أنظر إلى بيت الله نظرةً، ثم أعود إليك إن شاء الله. قال: فانطلق، وعرض لي رجل، فقال: تبيع الحمار؟ قلت: نعم. قال: بكم؟ قلت: بثلاثين ديناراً. قال: قد أخذته منك. قلت: يا هذا، والله ما هو لي، وإنما هو لرفيق لي، وقد ذهب إلى المسجد، ولعله أن يجيء الآن. قال: فإني لأُكَلِّمُه إذ طلع الشيخ، فقمت إليه، فقلت: إني قد بعت الحمار بثلاثين ديناراً. قال: أما إنك لو كنت استزدته لزادك إن شاء الله، فأَمَّا إِذْ بعت، فأوجز، فأخذت من الرجل ثلاثين ديناراً، ودفعت الحمار إليه،

فلما قرأ عباد الكتاب قال: يا هذا أين هذا الرجل؟ قلت: بالأبطح. قال: فمريض هو؟ قلت: تركته الساعة صحيحاً. قال: فقام، وقام الناس معه حتى دخل عليه، فإذا هو مستقبل القبلة مَيِّت مُسَجًّى عليه عباءة، فقال لى عباد: هذا صاحبك؟ قلت: نعم. قال: تركته صحيحاً؟ قلت: تركته صحيحاً الساعة. قال: فجلس يبكى عند رأسه، ثم أخذ فى جهازه، وصلّى عليه، ودفنه.

قال: واحتشد الناس فى جنازته، فلما كان يوم النحر قلت: والله لأقرأن الكتاب كما أمرنى، ففتحته، فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فأنت يا أخى، فنفعك الله بمعروفك يوم يحتاج الناس إلى صالح أعمالهم، وجزاك عن صحبتنا خيراً، فإن صاحب المعروف يجده لجنبه مضطجعاً، وإن حاجتى إليك إذا قضى الله نُسُكَكَ أن تنطلق إلى بيت المقدس، فتدفع ميراثى إلى وارثى، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

قال: فقلت فى نفسى: كل أمرك رحمك الله عَجَبٌ، وهذا مِنْ أعجب أمرك، كيف آتى بيت المقدس، ولم يُسَمِّ لى أحداً، ولم يصف لى موضعاً، ولا أدرى إلى مَنْ ادفعه.

قال: وخلف قدحًا وجرابه ذاك وعصا كان يتوكأ عليها.

قال: وكفّنّاه فى ثَوْبَى إحرامه، ولففنا العباءة فوق ذلك، فلما انقضى الحج قلت: والله لأنطلقن إلى بيت المقدس، فلعلى أقع على وارث هذا الرجل، فانطلقت، فدخلت المسجد، وهم خَلْق كثير قوم فقراء مساكين، فبينا أنا أطوف أتصفح الناس لا أدرى عمَّن أسأل إذ نادانى رجل مِنْ بعض تلك الخَلْق باسمى: يا فلان، فالتفت فإذا شيخ كأنه صاحبى. فقال: هات ميراث فلان.

قال: فدفعت إليه العصا والقدح والجراب، ثم وَلَّيْتُ راجعاً، فوالله ما خرجت من المسجد حتى قلت لنفسى: تضرب مِنْ مكة إلى بيت المقدس، وقد رأيت مِنْ الشيخ الأول ما قد رأيت، ورأيت من هذا الشيخ الثانى ما رأيت، ولا تسألهما ولا القوم أى شىء قصتهم، وتسألهم عن أمرهم، ومَنْ هم؟

قال: فرجعت، ومن رأيى لا أفارق هذا الشيخ الآخر حتى أموت أو يموت، فجعلت أدور [فى] الخَلْق، واجتهد على أن أعرفه، أو أقع عليه، فلم أقع عليه، وجعلت أسأل عنه، وأقمت أياماً ببيت المقدس أطلبه، وأسأل عنه، فلم أجد أحداً يدلنى عليه، فرجعت منصرفاً إلى العراق[1].

* * *

(١) تحاول هذه القصة أن ترسخ عند الصوفية مفهوم الأبدال، وهى من صنع المتصوفة والقصاص.

الحكاية الرابعة والستون بعد الثلاثمائة

أنا وافد بيت الله

عن عليٍّ بن زيد قال: قال طاووس: بينا أنا بمكة بَعَثَ إليَّ الحجاج، فأجلسني إلى جنبه، واتكأني على وسادة إذْ سمع مُلَبِّيًا يُلَبِّي حول البيت رافعاً صوته بالتلبية، فقال: عليَّ بالرجل، فأُتِيَ به، فقال: مِمَّنْ الرجل؟ فقال: مِنْ المسلمين؟ قال: ليس عن الإسلام سألتُ. قال: فعَمَّ سألتَ؟ قال: سَأَلْتك عن البلد، قال: مِنْ أهل اليمن. قال: كيف تركت محمد بن يوسف - يريد أخاه -؟ قال: تركته عظيماً جسيماً لَبَّاساً ركّاباً خرَّاجاً ولاَّجاً.

قال: ليس عن هذا سألت. قال: فَعَمَّ سألت؟ قال: سألت عن سيرته. قال: ظلوماً غشوماً مطيعاً للمخلوق عاصياً للخالق، فقال له الحجاج: ما حملك على أن تتكلم بهذا الكلام، وأنت تعلم مكانه منى، فقال الرجل: أتراه بمكانه منك أعزَّ منى بمكانى من الله عز وجل، وأنا وافد بيته، وقاضى دينه، ومُصَدِّق نبيه؟!

قال: فسكت الحجاج، فما أحار جواباً، وقام الرجل من غير أن يُؤْذَنَ له، فانصرف.

قال طاووس: فقمت فى أَثَره، وقلت: الرجل حكيم، فأتى البيت، فتعلَّق بأستاره، ثم قال: اللهم بك أعوذ، وبك أَلوذ، اللهم اجعل لى فى اللَّهَفِ إلى جودك والرضا بضمانك مندوحة عن منع الباخلين...[1].

* * *

الحكاية الثامنة والستون بعد الثلاثمائة

اللهم لا يدركني عطاء لعمر

عن أبى سلمة عن أبى هريرة أنه قَدِمَ على عمر من البحرين، قال: فقدمت عليه، فصلَّيْتُ معه العشاء، فلما رآنى، وسلَّمت عليه قال: ما قَدِمْتَ به؟ قلت: قدمتُ بخمسمائة ألف.

قال: أتدرى ما تقول؟ قلت: مائة ألف، ومائة ألف، حتى عددت خمساً.

قال: إنك ناعس، ارجع إلى بيتك، فنم، ثم اغْدُ عليَّ.

قال: فغدوتُ عليه، فقال: ماذا جئتَ به؟ قلتُ: خمسمائة ألف قال: أَطَيِّبٌ؟ قلت: نعم، لا أعلم إلا ذلك.

(١) إلى هنا انتهت القصة في المخطوط، والصفحة التى تليه مفقودة، يليها قصة أبي هريرة مع عمر في الحكاية الثامنة والستون بعد الثلاثمائة.

فقال للناس: إنه قَدِمَ عليَّ مال كثير، فإن شئتم أن أَعُدَّه لكم عدداً، وإن شئتم أن أَكِيلَه لكم كيلاً؟ فقال له رجل: يا أمير المؤمنين، إنى قد رأيت هؤلاء الأعاجم يُدَوِّنون ديواناً يعطون الناس عَلَيْه، فَدَوِّنْ الديوان، ففرض للمهاجرين فى خمسة ألف، وللأنصار فى أربعة ألف، وفرض لأزواج النبى ﷺ فى اثنى عشر ألفاً.

قال محمد: فحدثنى يزيد بن خصيفة عن عبد الله بن رافع عن برزة ابنة رافع قالت: فلما جاء العطاء بعث إلى زينب بنت جحش بالذى لها، فلما دخل عليها قالت: غفر الله لعمر! لَغَيْرِى من أخواتى كان أقوى على قسم هذا منى، قالوا: هذا كله لك.

قالت: سبحان الله! واستترت دونه بثوب، وقالت: صُبُّوه، واطرحوا عليه ثوباً، فصبُّوه، وطرحوا عليه ثوباً، فقالت لى: أَدْخِلِى يدك فاقبضى منه قبضة، فاذهبى إلى فلان وإلى فلان من أيتامها وذوى رحمها، فقَسَّمَتْه حتى بقيت منه بقية. فقالت لها برزة: غفر الله لكِ! والله لقد كان لنا فى هذا حظ!

قالت: فلكم ما تحت الثوب. قالت: فرفعنا الثوب، فوجدنا خمسة وثمانين درهماً، ثم رَفَعَتْ يديها، فقالت: اللهم لا يدركنى عطاءٌ لعمر بعد عامى هذا، فماتت.

وفى رواية أخرى بَرَّة مكان برزة، وهى أخت عبد الله بن رافع مولى أم سلمة.

* * *

الحكاية التاسعة والستون بعد الثلاثمائة

حكاية رجل مجاهد مات حماره

عن إسماعيل بن أبى خالد عن الشعبى أن قوماً خرجوا متطوعين فى سبيل الله، فنفق حمار رجل منهم، فأرادوه أن ينطلق معهم، فأبى، فانطلق أصحابه، وتركوه، فقام، فتوضأ، وصلّى، ثم قال: اللهم إنى خرجت مجاهداً فى سبيلك وابتغاء مرضاتك، وأشهد أنك تحيى الموتى، وتبعث مَنْ فى القبور، اللهم فأَحْيِي لى حمارى، ثم قام إلى الحمار، فضربه، فقام إليه الحمار ينفض أذنيه، فأسْرَجه، وألجمه، ثم ركبه، فأجراه، حتى لحق بأصحابه.

فقالوا له: ما شأنك؟ فقال: شأنى أن الله بعث لى حمارى.

قال الشعبى: فأنا رأيته بِيع أو يُباع بالكناسة.

* * *

الحكاية السبعون بعد الثلاثمائة

حكاية عمرو مع فارس أعجمي

عن عمرو السرايا قال: كنت أغير فى بلاد الشام وحدى فبينا، أنا ذات يوم نائم ورد عليَّ عِلْج[١]، فحركني برجل، فانتبهت، فقال: يا عربى اختر إن شئت مطاعنة[٢]، وإن شئت مسايفة، وإن شئت مصارعة.

فقلت: أمَّا المسايفة والمطاعنة فلا بُقْيا لهما، ولكن المصارعة، فنزل، فلم ينهنى أن صرعنى وجلس على صدرى، فقال: أى قِتْلةٍ أقتلك، فرفعت طَرْفى[٣] إلى السماء، فقلت: أشهد أن كل معبود ما دون عرشك إلى قرار أرضك باطل غير وجهك الكريم، قد ترى ما أنا فيه، ففَرِّجْ عنى، فأغمى عليَّ، ثم أفقت، فإذا الرومى قتيل إلى جانبى!

* * *

الحكاية الحادية والسبعون بعد الثلاثمائة

اطلب حاجتك من وجهها

حدثنا عبد الله بن زياد ابن أخ لصفوان بن محرز، فحبسه فى السجن، فلم يدع صفوان شريفاً بالبصرة يرجو منفعته إلا تَحَمَّل به عليه، فلم ير لحاجته نجاحاً، فبات فى مصلاه حزيناً.

قال: فهوَّم[٤] من الليل، فإذا آت قد أتاه فى منامه، فقال: يا صفوان، قُمْ فاطلب حاجتك من وجهها، فانتبه فَزِعًا، فتوضأ، ثم صلَّى، ثم دعا، فَأَرِقَ ابن زياد، فقال: عليَّ بابن أخى صفوان بن محرز، فجاء الحرس وجىء بالنيران، ففتحت تلك الأبواب الحديد فى جوف الليل، فقيل: ابن أخى صفوان أخرجوه ؛ فإنى قد مُنِعْتُ من النوم منذ الليلة، فأُخْرِجَ، فأُتِيَ به ابن زياد، فكَلَّمَه، ثم قال: انطلق بلا كفيل ولا شىء.

فما شعر صفوان حتى ضرب عليه ابن أخيه بابه.

قال صفوان: مَنْ هذا؟ قال: أنا فلان.

قال: فأى ساعة هذه الساعة؟ فحدثه الحديث.

* * *

---

(١) أعجمي.

(٢) أي مبارزة بالخنجر، لطعن الخصم.

(٣) الطَّرْف: العين.

(٤) نام نومًا خفيفًا.

الحكاية الثانية والسبعون بعد الثلاثمائة

حكاية امرأة مع أمها

حدثنا الحكم بن سنان عن منيفة بنت رومى قالت: كنت بمكة، فإذا امرأة عليها الناس مجتمعون يسألونها، فقالت لها عائشة: ما لى أرى يدك شلاء؟ قالت: أنا أخبرك، كان لى أبوان، أمَّا أبى، فكان رجلاً شيخاً كثير المعروف، وكانت أُمِّى شحيحة لم أرها صنعت من المعروف شيئاً قط، إلا أن أبى ذبح بقرةً، فرأيتها تصدَّقَتْ منها بشحمة، ورأيتها تصدَّقت يوماً بخرقة، فهلك أبواى، فرأيت فيما يرى النائم كأن أبى على حوض كثير الآنية يَسْقِى الناس الماء، فالْتَفَتُّ ورائى فإذا أمى مُسْتَلْقِيَة على ظهرها، وفى كفها تلك الشحمة بعينها أعرفها وتلك الخرقة على فرجها، وهى تلطع الشحمة بإصبعها، وتقول: واعطشاه!

فقلت: هذه أمى عطشى، وهذا أبى يسقى الناس الماء، فلو أتيت أنا من هذه الآنية، فسقيت والدتى، فاغْتَرَفْتُ بإناء منها، فأتيتها لأسقيها، فسمعت منادياً ينادى من السماء: ألا مَنْ سقاها شُلَّتْ يمينه، فأصبحتُ ويداى كما ترين!.

* * *

الحكاية الثالثة والسبعون بعد الثلاثمائة

عاقبة مَنْ يطلب الدنيا بالدِّين

عن عثمان بن عبد الله عن رجل يخدم موسى عليه السلام، ويتعلم منه قال: فاستأذنه أن يرجع إلى قريته، ثم يعود إليه، فأذن له، فانطلق، فجعل يقول: حدثنى موسى كليم الله بكذا وكذا، حدثنى موسى نَجِّى الله بكذا ؛ حتى كثر ماله.

قال: وجعل موسى يسأل عنه فلا يُخْبَر عنه بشىء، فبينما موسى عليه السلام قاعد إذ مَرَّ به رجل يقود خَزْرًا فى عنقه حبل -والخزر الأرنب الذكر-، فقال: يا عبد الله، مِنْ أين أقبلتَ؟ قال: أقبلتُ مِنْ قرية كذا وكذا، من قرية الرجل.

قال: فتعرف فلاناً. قال: نعم، هو ذا هذا الذى فى يدى!

قال موسى: يا رب، رُدَّه إلى حاله حتى أسأله فِيمَ صنعتَ به هذا؟

قال: فأوحى الله عز وجل إليه: لوسألتنى الذى سألنى آدم فمَنْ دونه من النبيين حتى يبلغ محمداً ﷺ لم أرُدَّه إلى حاله، وإنما صنعتُ به هذا لأنه كان يطلب الدنيا بالدين.

* * *

الحكاية الرابعة والسبعون بعد الثلاثمائة

حكاية رجل أعرابي أراد الحج

حدثنا القاسم بن محمد قال: أخذ بيدى سفيان الثورى، فقمنا إلى رجل يُكْنَى أبا همام من أهل البصرة، فسألته عن حديث عمر بن عبد العزيز، فقال: حدثنى رجل من الحى، وذكر من فضله قال: سألت الله عز وجل أن يرزقنى الحج ثلاث سنين، فأُرِيتُ النبى ﷺ أتانى، فقال لى: احضر الموسم العام، فانتبهت، وذكرت أنه ليس عندى ما أحج به.

قال: فأتانى من الليلة الثانية، فقال مثل ذلك، فأتانى فى الليلة الثالثة، وكنت قلت فى نفسى: إن هو أتانى قلت: ما عندى ما أحج به؟ فقلت ذلك، فقال: بلى، انظر موضع كذا وكذا من دارك، فاحتفره، فإن فيه درعاً لجدك أو لأبيك.

قال: فصليت الغداة، ثم احتفرت ذلك الموضع، فإذا درع كأنما رفعت عنها الأيدى، فأخرجتها، فبعتها بأربعمائة درهم، ثم أتيت المِرْبَد[1]، فاشتريت بعيراً -أو ناقة-، وتهيَّأتُ بما يتهيأ به الحاج، ووَعَدْتُ أصحاباً لى، فخرجت معهم حتى شهدت الموسم، ثم أردت الانصراف، فذهبت لأُوَدِّع، وقد قَدَّمْتُ بعيرى إلى الأبطح، فإنى لأصلى فى الحجر إذ غلبتنى عيناى، فرأيت النبى، فقال لى: يا هذا إن الله قد قَبِلَ منك سعيك، ائتِ عمر بن عبد العزيز، فقُلْ له: إن لك عندنا ثلاثة أسماء عمر بن عبد العزيز، وأمير المؤمنين، وأبو اليتامى، شُدَّ يدك بالعريف[2] والمَكَّاس[3].

قال: فانتبهت، فأتيت أصحابى، فقلت: امضوا على بركة الله عز وجل، وأخذت بعيرى، وسألت عن رفقةٍ تخرج إلى الشام، فمضيت معهم إلى الشام حتى أتيت إلى دمشق، فسألت عن منزله، فأنَخْتُ ناقتى، وأوصيت بها، وذلك قبل انتصاف النهار، فإذا رجل قاعد على باب الدار، فقلت: يا عبد الله استأذن لى على أمير المؤمنين، فقال: ما أمنعك، ولكنى سأخبرك، كان من شأنه - يعنى - تشاغله بالناس، حتى كانت الساعة، فإن صبرت، وإلا دخلت.

يعنى، فدخلت، فقال: مَنْ أنت؟ فقلت: أنا رسول رسول الله إليك. قال: ونظرت إليه، فإذا نعلاه فى إصبعيه، وإذا هو يستقى ماء، فلما رآنى تَنَحَّى، فألقى نعليه، ثم جلس، فسلّمت، وجلست، فقال لى: مِمَّنْ أنت؟ قلت: رجل من أهل البصرة. فقال:

---

(١) المربد: الموضع الذى تحبس فيه الإبل والغنم.

(٢) العريف: رئيس القوم ونقيبهم.

(٣) الذين يجمعون الضرائب والجبايات.

مِمَّنْ؟ قلت: من بنى فلان.

قال: كيف البُرُّ[(١)] عندكم؟ كيف الشعير؟ كيف الزبيب؟ كيف التمر؟ كيف السمن؟ كيف البزر[(٢)]؟، حتى عَدَّ هذه الأنواع التى تباع، فلما فرغ من هذه الأنواع، عاد إلى المسألة الأولى، ثم قال لى: ويحك! قد جئتَ بأمرٍ عظيم؟ قلت: يا أمير المؤمنين ما أتيتك إلا بما رأيت، ثم اقتصصت من لدن رؤياى إلى مجيئى إليه.

قال: فكأن ذلك تحقق عنده. قال: ويحك! أَقِمْ عندى، فأواسيك.

قلت: لا، فدخل، فأخرج صُرَّة فيها أربعون ديناراً، فقال: لَمْ يبقَ مِنْ عطائى غير ما ترى، وأنا مواسيك منها.

قال: قلت: لا والله، لا آخذ على رسالة رسول الله ﷺ شيئاً أبداً.

قال: فكأن ذاك تصدَّق عنده.

قال: فودعته، فقام إلىَّ، فاعتنقنى، ومشى معى إلى باب الدار، ودمعت عينه، فرجعت إلى البصرة، فمكثت حولاً، ثم قيل لى: مات عمر بن عبد العزيز، فخرجت غازياً، فلما كنت فى أرض الروم إذا الرجل الذى كان استأذن لى قد عرفنى، ولم أعرفه، فسلَّم علىَّ، ثم قال: علمتَ أن الله عز وجل صدَّق رؤياك، مَرِضَ عبد الملك ابنه، فكنت أعتقبه أنا وهو من الليل، فكان إذا كانت ساعتى التى أكون عنده، فيذهب، فيصلى، وإذا كانت ساعته ذهبت أنا، فنمت، وقام يصلى، وأغلق عليه الباب دونى.

قال: فوالله إنى لليلة من الليالى إذ سمعت بكاءً شديداً عالياً، فقلت: يا أمير المؤمنين، هل حدث بعبد الملك؟ فجعل لا يكترث لمقالتى، ثم إنه سُرِّىَ عنه، ففتح الباب، فقال: أعلمتَ أن الله تعالى صدَّق رؤيا البصرى، أتانى النبى ﷺ، فقال لى مقالته.

* * *

الحكاية الخامسة والسبعون بعد الثلاثمائة

حكاية رجل استشهد في ميدان الجهاد

عن ثابت البنانى قال: كنت عند أنس بن مالك إذْ قَدِمَ عليه ابن له من غزاةٍ يُقال له: أبو بكر، فسأله، فقال: ألا أخبرك عن صاحبنا فلان، بينما نحن قافلون من غزاتنا ثار، وهو يقول: وا أهلاه! وا أهلاه!، فثُرْنَا إليه، فظننا أن عارضاً عرض له، فقلنا: ما لك؟

---

(١) القمح.

(٢) البز.

فقال: إنى كنت أُحَدِّث نفسى أن لا أتزوج حتى أستَشْهِدَ فيزوجنى الله من الحور العين، فلما طالت علىَّ الشهادة حدَّثْتُ نفسى فى سفرى هذا إن أنا رجعت هذه المرة تزوَّجت، فأتانى آتٍ قتيل فى المنام، فقال: أنت القائل: إن أنا رجعت تزوَّجت، قُمْ، فقد زوَّجك الله تعالى العَيْنَاء، فانطلق بى إلى روضة خضراء معشبة، فيها عشر جوارٍ، فى يد كل واحدة صنعة تصنعها، لم أر مثلهن فى الحُسْنِ والجمال.

فقلت: فيكن العيناء؟ فقلن: نحن خَدَمها، وهى أمامك، فمضيت إلى روضةٍ هى أعشب من الأولى وأحسن، فيها عشرون جارية، فى يد كل واحدة صنعة تصنعها، ليس العشر إليهن بشىء فى الحُسْن والجمال، فقلت: فيكن العيناء؟ قلن: نحن من خدمها، وهى أمامك.

قال: فمضيت فإذا أنا بروضة هى أعشب من الأولى والثانية وأحسن، وفيها أربعون جارية، فى يد كل واحدة صنعة تصنعها، ليس العشر والعشرون إليهن بشىء فى الحُسْن والجمال، قلت: فيكن العيناء؟ قلن: نحن خدمها، وهى أمامك، فمضيت فإذا أنا بياقوتة مُجَوَّفَة، فيها سرير، عليه امرأة قد فضل جنباها السرير، قلت: أنت العيناء؟ قالت: نعم، مرحباً.

فذهبت أضع يدى عليها، فقالت: مَهْ، إن فيك شيئاً من الروح بعد، ولكن فِطْرَك عندنا الليلة.

قال: فانتبهت، فما فرغ الرجل من حديثه، حتى نادى منادٍ: يا خيل الله اركبى. قال: فركبنا، فصافَنا العدو.

قال: فإنى أنظر إلى الرجل، وأنظر إلى الشمس، وأذكر حديثه، فما أدرى أرأسه ندر[١] أوالشمس سقطت أول؟! فقال أنس: رحمه الله!.

* * *

الحكاية السادسة والسبعون بعد الثلاثمائة

ابن رواحة قبل استشهاده فى مؤتة

حدثنا الحكم بن عبد السلام بن النعمان بن بشير الأنصارى أن جعفر بن أبى طالب حين قُتِلَ دعا الناس: يا عبد الله بن رواحة، يا عبد الله بن رواحة، وهو فى جانب العسكر، ومعه ضِلَع حَمْل ينهشه، ولم يكن ذاق طعاماً قبل ذلك بثلاث، فرمى بالضلع، ثم قال: وأنت مع الدنيا، ثم تقدَّم، فقاتل، فأصيبت أصبعه، فارتجز، فجعل يقول:

---

(١) سقط.

هل أنت إلا أصبع دميت   وفى سبيل الله ما لقيت

يا نفس إلا تقتلى تموتى   هذا حمام الموت قد صليت

وما تمنيت فقد أعطيت   إن تفعلى فعلهما هديت

وإن تأخرت فقد شقيت

ثم قال: يا نفس أى شىء تتوقى، إلى فلانة، فهى طالق ثلاثاً! وإلى فلان وفلان - غلمان له -وإلى معجف -حائط له -فهو لله ورسوله:

يا نفس مالك تكرهين الجنة

أقسم بالله لتنزلنه

طائعة أو لتكرهنه

فطالما قد كنت مطمئنة

هل أنت إلا نطفة من شنة

قد أجلب الناس وشدوا الرنّة

* * *

الحكاية السابعة والسبعون بعد الثلاثمائة

الأسود بن كلثوم يدعو أن يموت شهيدًا

عن حميد بن هلال قال: كان الأسود بن كلثوم إذا مشى نظر إلى قدميه.

قال: ودُور الناس إذ ذاك فيها تواضع[1]، فعسى أن يفاجأ النسوة، فيقول بعضهن لبعض: كلا إنه الأسود بن كلثوم، إنه لا ينظر، فلما قرب غازياً قال: اللهم إن هذه النفس تزعم أنها تحب لقاءك، فإن كانت صادقة فارزقها ذلك، وإن كانت كاذبة فاحملها عليه، وإن كَرِهَتْ، واجعل ذلك قتلا فى سبيلك، وأطْعِم لحمى سباعاً وطيراً.

قال: فانطلق فى طائفة من ذلك الجيش الذى خرج فيه، حتى دخلوا حائطاً فيه ثُلْمَةٌ[2]، وجاء العدو حتى قام على الثلمة، فنزل عن فرسة، وضرب وجهه، فانطلق غابراً، ثم عمد إلى ماء فى الحائط، فتوضأ منه، وصلّى.

قال: تقول العجم: هكذا استسلام العرب، فلما قضى صلاته قاتلهم حتى قُتِلَ، وعظم ذلك الجيش على الحائط، وفيهم إخوة، فقيل لأخيه: ألا تدخل الحائط، فتنظر ما أصبت من عظام أخيك، فشَجَنَه، فقال: ما أنا بفاعل شيئاً دعا به أخى، فاستجيب له.

* * *

---

(١) يعنى: أنها منخفضة عن الطريق.

(٢) خللاً وفجوة.

الحكاية الثامنة والسبعون بعد الثلاثمائة

حكاية رجل صالح

حدثنا سالم بن زرعة بن حماد أبو المرضى شيخ بعبادان له عبادة وفضل. قال: مَلَحَ الماء عندنا منذ نَيِّف وستين سنة، وكان ها هنا رجل من أهل الساحل له فضل، ولم يكن فى الصهاريج شىء، وحضرت المغرب، فهبطت لأتوضأ للصلاة من النهر، وذلك فى رمضان وحَرّ شديد، فإذا أنا به، وهو يقول: سيدى أَرَضِيتَ علىَّ عملى حتى أتمنى عليك؟ أم رَضِيتَ طاعتى حتى أسألك، سيدى غُسالة الحمام لمن عصاك كثيراً، لولا أنى أخاف غضبك لم أذق الماء، ولقد أجهدنى العطش، ثم أخذ بكفه، فشرب شراباً صالحاً، فتعجبت من صبره على ملوحته، فأخذت من الموضع الذى أخذ، فإذا هو بمنزلة السكر، فشربت حتى رويت.

قال أبو المرضى: فقال لى هذا الشيخ يوماً: رأيت فما يرى النائم كأن رجلاً يقول لى: قد فرغنا من بناء دارك لو رأيتَها قَرَّتْ عيناك، وقد أمرنا بتنجيدها والفراغ منها إلى سبعة أيام، واسمها السرور، فأَبْشِر بخير، فلما كان يوم السابع وهو يوم الجمعة بكر للوضوء فى النهر، وقد مُدَّ، فزلق، فغرق، فأخرجناه بعد الصلاة، فدفناه.

قال أبو المرضى: فرأيته بعد ثالثة فى النوم، وهو يجىء إلى القنطرة، وهو يُكَبِّرُ، وعليه حُلَل خضر.

فقال لى: يا أبا المرضى، أَنْزَلَنِى الكريم فى دار السرور، فماذا أُعِدَّ لى فيها؟ قلت له: صِفْ لى.

فقال: هيهات! يعجز الواصفون عن أن تنطق ألسنتهم بما فيها، فاكْتَسِبْ مثل الذى اكتسبت، وليت أن عيالى يعلمون أنْ قد هُيِّأ لهم معى منازل فيها كل ما اشتهت أنفسهم، نعم، وإخوانى وأنت معهم، إن شاء الله، ثم انتبهت.

* * *

الحكاية التاسعة والسبعون بعد الثلاثمائة

حكاية أزدشير مع أحد ملوك الطوائف وابنته

حدثنا عبد الله بن مسلم بن قتيبة قال: قرأت فى سِيَر العَجَم أن أزد شير حين اسْتُوْسِقَ له أمره، وأَقَرَّ له بالطاعة ملوك الطوائف حاصر ملك السوريانسية، وكان متحصنا فى مدينة، فلم يقدر على فتحها حتى رَقَتْ بنت الملك على الحصن يوماً، فرأت أزدشير، فهَوِيَتْه، فنزلت، فأخذت نشابة، وكتبت عليها: إن أنت شرطت لى أن

تتزوجنى دللتك على موضع تفتح به المدينة بأيسر الحيلة وأخف المؤنة، ثم رمت بالنشابة نحو أزدشير، فقرأه، وأخذ نشابة، فكتب عليها: لك الوفاء بما سألتنى، ثم ألقاها إليها، فكتبت ما دلته على الموضع، فافتتحها، وأهل المدينة غازون لا يشعرون، فقَتَلَ الملك، وأكثر القتل فيها، وتزوَّجها، فبينما هى ذات ليلة على فراشه أنكرت مكانها حتى سَهِرَتْ أكثر لَيلَها، فقال لها: ما لكِ؟ قالت: أنكرت فراشى، فنظروا تحت الفراش، فإذا طاقَة آس قد أَثَّرَتْ فى جلدها، فتعجب من رِقَّة جلدها ولطف بشرتها، فقال لها: ما كان أبوكِ يغذوك؟ قالت: كان أكثر غذائى عنده الشهد والمخ والزبد!

فقال لها: ما أحد بالغ بك فى الحباء والكرامة مبلغ أبيك، ولئن كان جزاؤه عندك على جهد إحسانه مثل ذلك مع لطف قرابته وعِظَم حقه إساءتك إليه، ما أنا بآمن منك، ثم أمر بأن تعقد قرونها بذنب فرس شديد الجرى، ثم يَجْرِى، ففعِلَ ذلك بها، حتى تساقطت عضواً عضواً[1]!.

* * *

الحكاية الثمانون بعد الثلاثمائة

حكاية لرضوان السماك

حدثنا محمد بن على السمان قال: سمعت رضوان السمان قال: كان لى جار فى منزلى وسوقى، وكان يشتم أبا بكر وعمر رضى الله عنهما.

قال: فكثر الكلام بينى وبينه، فلما كان ذات يوم سَبَّهُمَا وأنا حاضر، فوقع بينى وبينه كلام حتى تناولنى وتناولته، فانصرفت إلى منزلى، وأنا مغموم حزين. قال: فنمت،

---

(١) أورد هذه الحكاية ابن هشام فى السيرة تحت عنوان: سابور يستولي على الحضر، وزواجه بنت ساطرون، و ما وقع بينهما، وقال: كان كسرى سابور ذو الأكتاف غزا ساطرون ملك الحضر، فحصره سنتين، فأشرفت بنت ساطرون يوما، فنظرت إلى سابور وعليه ثياب ديباج، وعلى رأسه تاج من ذهب مكلل بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ، وكان جميلا، فدست إليه: أتتزوجني إن فتحت لك باب الحضر؟ فقال: نعم ؛ فلما أمسى ساطرون شرب حتى سكر، وكان لا يبيت إلا سكران. فأخذت مفاتيح باب الحضر من تحت رأسه، فبعثت بها مع مولى لها، ففتح الباب، فدخل سابور، فقتل ساطرون، واستباح الحضر وخربه، وسار بها معه فتزوجها. فبينا هي نائمة على فراشها ليلا إذ جعلت تتململ لا تنام، فدعا لها بشمع، ففتش فراشها، فوجد عليه ورقة آس؛ فقال لها سابور: أهذا الذي أسهرك؟ قالت: نعم، قال: فما كان أبوك يصنع بك؟ قالت: كان يفرش لي الديباج، ويلبسني الحرير، ويطعمني المخ، ويسقين الخمر ؛ قال: أفكان جزاء أبيك ما صنعت به؟ أنت إلي بذلك أسرع ؛ ثم أمر بها فربطت قرون رأسها بذنب فرس، ثم ركض الفرس حتى قتلها. السيرة ١/١٥٩، ١٩٦.

وتركت العشاء من الغم، ورأيت رسول الله ﷺ فى منامى من ليلتى، فقلت له: يا رسول الله فلان جارى فى منزلى وسوقى وهو يسب أصحابك. قال: مَنْ مِنْ أصحابى؟ قلت: أبا بكر وعمر.

فقال رسول الله ﷺ: «خُذْ هذه المدية، فاذبحه بها».

قال: فأخذته، فأضجعته، فذبحته، فرأيت كأن يدى قد أصابها من دمه.

قال: فألقيت المدية، وأهويت بيدى إلى الأرض أمسحها، فانتبهت، وأنا أسمع الصراخ مِنْ نحو داره، فقلت: انظروا ما هذا الصراخ؟ فقالوا: فلان مات فجأة، فلما أصبحنا نظرت إليه، فإذا خط موضع الذبح!.

* * *

الحكاية الحادية والثمانون بعد الثلاثمائة

حكاية رجل يأوي إلى المسجد

حدثنا الجنيد وأبو العباس بن مسروق وأبو أحمد المغازلى والحريرى وغيرهم قالوا: سمعنا حَسَناً المسوحى يقول: كنت آوى باب الكُنَّاس كثيراً، وكنت أقرب من مسجد، ثم أتفيأ[1] فيه من الحر، وأستكن فيه من البرد، فدخلت يوماً وقد كان كظنى[2] الحر، واشتد علىَّ فتفيأت، فحملتنى عينى، فنمت، فرأيت كأن سقف المسجد قد انْشَقَّ، وكأن جارية قد تَدَلَّتْ علىَّ من السقف عليها قميص من فضة يتخشخش، ولها ذؤابتان، فجَلَسَتْ عند رجلى، فقبضتُ رجلى عنها، فمدت يدها فتناولت رجلى، فقلت لها: يا جارية لِمَنْ أنت؟ قالت: لمن دام على ما أنت عليه!.

* * *

الحكاية الثانية والثمانون بعد الثلاثمائة

حكاية بشْر مع شاب صالح

قال بشر بن الحارث: كنت مارًّا فىَ جبال الشام، فأتيت على جبل يقال له الأقرع، فإذا أنا بشابٍ قد نحل جسمه ورق جلده، عليه ثوب من صوف، فسلَّمت عليه، فرَدَّ علىَّ، فقلت فى نفسى: أقول له عظنى وأَبْلِغْ، فقال لى قبل أن أُكَلِّمَه، فأجاب عن سِرِّى: عِظْ نفسك بنفسك، وفُكَّ نفسك من حبسك، واشتغل بموعظة غيرك من جنسك، واذكر الله فى الخلوات يقيك السيئات، وعليك بالجد والاجتهاد، ثم بكى،

---

(١) أستظل.

(٢) اشتد عليه حتى كربه وأجهده.

وجعل يقول: شُغِلَتْ النفوس بالقليل الفانى، ولُحِيَتْ الأبدان بالتسويف والأمانى، ثم قال: يا بشر -وما رآنى وما عرفنى قبل ذلك - إن لله عز وجل عباداً خالط قلوبهم الحزن، فأسهر ليلهم، وأظمأ نهارهم، وأبكى عيونهم كما وصفهم ربهم فى كتابه: ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ. وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[(١)].

* * *

الحكاية الثالثة والثمانون بعد الثلاثمائة

عليِ بن خيران يرفض منصب القضاء

أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد الفقيه الكسهلى، وكتبه لى بخطه أن على بن عيسى وزير المقتدر بالله أمر بازول صاحب البلدان أن يطلب الشيخ أبا على بن خيران الفقيه الشافعى حتى يعرض عليه قضاء القضاة، فاستتر، فتوكل بباب داره رجاله بضعة عشر يوماً حتى احتاج إلى الماء، فلم يقدر عليه إلا مِنْ عند الجيران، فبلغ الوزير ذلك، فأمر بإزالة التوكل عنه.

وقال فى مجلسه والناس حضور: ما أردنا بالشيخ أبى على بن خيران إلا خيراً، أردنا أن نعلم أن فى مملكتنا رجلاً يُعْرَض عليه قضاء القضاة شَرْقًا وغَرْبًا وهولا يقبل.

* * *

الحكاية الرابعة والثمانون بعد الثلاثمائة

غَلَبَنَا الشيخ العُذْري

عن بديح مولى عبد الله بن جعفر قال: خرجت مع عبد الله بن جعفر فى بعض أسفاره، فنزلنا إلى جانب خباء من شعر[(٢)]، وإذا صاحب الخباء رجل من بنى عُذْرَة، فبينا نحن كذلك إذا نحن بالأعرابى قد أَقبل يسوق ناقه حتى وقف علينا، ثم قال: أى قوم، ابغونى شفرة[(٣)]، فناولناه الشفرة، فوجأ[(٤)] فى لبتها[(٥)]، وقال: شأنكم بها!

قال: فأقمنا اليوم الثانى، فإذا نحن بالعذرى يسوق أخرى حتى وقف علينا، فقال: أى قوم، ابغونى شفرة، فقلنا: إن معنا من اللحم ما ترى! قال: أبحضرتى تأكلون الغاب؟، ناولونى شفرة، فناولناه الشفرة، فوجأ فى لبتها، ثم قال: شأنكم بها!

---

(١) سورة الذاريات، الآيتان: ١٧، ١٨.

(٢) أى خيمة من شعر.

(٣) الشفرة: السكين.

(٤) ضرب.

(٥) أعلى عنق الناقة.

وبقينا اليوم الثالث، فإذا نحن بالعذري يسوق أخرى، حتى وقف علينا فقال: أي قوم، ابغوني شفرة! فقلنا: إن معنا من اللحم ما ترى، قال: أبحضرتي تأكلون الغاب، إني لأحسبكم لئاماً ناولوني الشفرة، فناولناه الشفرة، فوجأ في لبتها، ثم قال: شأنكم بها!

قال: وأخذنا في الرحيل، فقال ابن جعفر لخادمه: ما معك؟ قال: رزمة ثياب، وأربعمائة دينار.

قال: اذهب بها إلى الشيخ العذرى. قال: فذهب بها، فإذا جارية في الخباء، فقال: يا هذه، خُذِي هدية ابن جعفر.

قالت: إنا قوم لا نقبل على قِرَانا جزاء، فجاء ابنَ جعفر، فأخبره، فقال: عُدْ إليها، فإن هي قَبِلَتْ، وإلا فارم بها على باب الخيمة، فعاودها، فقالت: اذهب عنا بارك الله فيك، فإنا قوم لا نقبل على قِرَانا أجراً، فوالله لئن جاء شيخي، فرآك هاهنا لتلقين منه إذاً.

قال: فرمى بالرزمة والصُّرَّة على باب الخباء، ثم ارتحلنا فما سرنا إلا قليلاً، فإذا نحن بشيء يرفعه السراب مرة، ويضعه أخرى، فلما دنا منا إذا نحن بالشيخ العذرى، ومعه الصُّرَّة والرزمة، فرمى بذلك إلينا، ثم ولّى مدبراً، فجعلنا ننظر في قفاه: هل يلتفت؟ فهيهات! فكان ابن جعفر يقول: ما غَلَبَنا إلا الشيخ العذرى.

* * *

الحكاية الخامسة والثمانون بعد الثلاثمائة

إنا لا نبيع القِرَى

حدثنا أبو عاصم قال: حدثني أبي قال: قال قيس بن سعد: تمنيتُ أن أكون في حال رجل رأيته ؛ أقبلنا من الشام فإذا نحن بخباء، فقلنا: لو نزلنا هاهنا، فإذا امرأة بالخباء، فلم نلبث أن جاء رجل بدواب له، فقال لامرأته: مَنْ هؤلاء؟ فقالت: قوم نزلوا بك، فجاء بناقة، فضرب عرقوبها[1]، ثم قال: دونكم، فانتحروها. قال: فنحرناها، فأصبنا من أطايبها، فلما كان الغد جاءنا بأخرى، فضرب عرقوبها، وقال: يا هؤلاء، أتنحروها، فنحرناها، وقلنا: اللحم عندنا كما هو؟ قال: إنا لا نطعم أضيافنا الغاب.

قال: فقلت لأصحابي: إن هذا الرجل إن أقمنا عنده لم يبق عنده بعير، فَارْتَحِلُوا بنا،

---

(١) العُرْقوبُ: عَصَبٌ غليظٌ فوقَ عَقِبِ الإنسانِ، والعرقوب من الدَّابةِ في رِجْلِها: بمنزلَةِ الرُّكْبَةِ في يَدِها.

وقلت لِقَيِّمِي: اجمع ما عندك.

قال: ليس إلا أربعمائة درهم. قلت: هاتها، فهات كسوتى، فجمعناه، فقلت: بادروه، فدفعناه إلى امرأته، ثم سرنا، فلم نلبث أن رأينا شخصاً، فقلت: ما هذا؟ قالوا: لا ندرى، فدنا، فإذا رجل على فرس يَجُرُّ رمحه، فإذا صاحبنا، فقلت: وا سوءتاه! استقل والله ما أعطيناه!

قال: فدنا، فقال: دونكم متاعكم، فخذوه، فقلت: والله ما كان إلا ما رأيت، ولقد جمعنا ما كان عندنا.

قال: إنى والله لم أذهب حيث تذهبون، فخُذُوه.

قلنا: لا نأخذه! قال: والله لأمسكن عليكم برمحى، فما بقى منكم رجل وتأخذونه. قال: فأخذناه، فولّى، وقال: إنا لا نبيع القِرَى.

* * *

الحكاية السادسة والثمانون بعد الثلاثمائة

كل العرب أجود مني

حدثنا الحسن بن محمد قال: سمعت أبا بكر بن عياش قال: قال رجل لحاتم: هل فى العرب أجود منك؟ فقال: كل العرب أجود منى، ثم أنشأ يُحَدِّث، قال: نزلت على غلام من العرب ذات ليلة، وكانت له مائة من الغنم، فذبح لى منها شاة، وأتانى بها، فلمَّا قرَّب إليَّ دماغها قلتُ: ما أطيبُ هذا الدماغ!

قال: فلم يزل يأتينى منه حتى قلتُ: قد اكتفيتُ. قال: فلما أصبحت إذا هو قد ذبح المائة شاة، وبقى لا شىء له.

قال الرجل: فقلت: ما صنعتَ به؟ فقال: ومتى أبلغ شكره، ولو صنعت به كل شىء. قال: على كل حال؟ قال: أعطيته مائة ناقة من خيار إبلى.

* * *

الحكاية السابعة والثمانون بعد الثلاثمائة

من مناقب حاتم الطائي

عن ملحان الطائى عن أبيه عن جده – وكان أخا عدى بن حاتم لأمه– قال: قيل لنوار امرأة حاتم: حدثينا عن حاتم؟

قالت: كل أمره كان عَجَبًا، أصابتنا سَنَة[١] حصت كل شيء، فاقشعرت لها الأرض، واغْبَرَّت لها السماء، وضَنَتْ لها المراضع على أولادها، وراحت الإبل ما تبض بقطرة، فإنا لفى ليلة صنبرة[٢] إذ تضاغا[٣] الأصبية من الجوع عبد الله وعدى وسفانة، فوالله إنْ[٤] وجدنا شيئاً، نُعَلِّلهم به، فقام إلى أحد الصبيين، فحمله، وقمت إلى الصبية، فعَلَّلْتها، فوالله إنْ سكتا إلا بعد هدأةٍ من الليل، ثم عدنا إلى الصبى الآخر، فعَلَّلْنَاه حتى سكت، وما كاد، ثم افترشنا قطيفة لنا، فأَضْجَعْنَا الصبيان عليها، ونمت، فسكت، فقال: ما أراها إلا قد نامت، وما بى من نوم، فلما ادْلَهَمَّ الليل، وتهوَّرَتْ النجوم، وهدأت الأصوات، وسكنت الرِّجْلُ إذا جانب البيت قد رُفِعَ، فقال: مَنْ هذا؟ فولّى حتى إذا قلتُ: قد أسحرنا -أو كدنا- عاد، فقال: مَنْ هذا؟ قالت: جارتك فلانة يا أبا عدى، ما وجدت على أحد معولاً غيرك، أتيتك من عند أصيبية يتعاوون عواء الذئب من الجوع. فقال: أَعْجِلِيهم عليَّ.

قالت النوار: فوَثَبْتُ، فقلت: ماذا صنعتَ؟ فوالله لقد تضاغا أصيبتك، فما وجدت ما تُعَلِّلهم به، فكيف بهذه وبولدها؟ فقال: اسكتى، فوالله لأشبعنك وإياهم إن شاء الله.

قالت: فأقبلت تحمل اثنين، ويمشى جنبها أربعة كأنها نعامة حولها رئالها[٥].

قال: فقام إلى فرسه، فوجأ بحربته فى لُبَّتِه، ثم قدح زنده، وأورى[٦] ناره، ثم جاء بمدية[٧]، وكشط عن جلده، ثم دفع المدية إلى المرأة، ثم قال: دونك! ثم قال: ابعثى صبيانك، فبعثتهم، ثم قال: سوءة! أيأكلون شيئاً دون أهل الصرم[٨]، فجعل يطوف فيهم حتى هَبُّوا، فأقبلوا عليه، والتفع بلبته، ثم اضطجع ينظر إلينا، لا والله ما ذاق منه مزعة، وإنه لأحوجهم إليه، فأصبحت وما على الأرض منه إلا عَظْم أو حافر.

* * *

---

(١) عام فقر ومجاعة.

(٢) باردة.

(٣) صاح وبكى من شدة الألم.

(٤) إن: بمعنى ما.

(٥) الرَّأْلُ: وَلَدُ النَّعامِ، ج: أَرْأُلٌ ورِئْلانٌ ورِئَالٌ ورِئَالَةٌ.

(٦) أشعل.

(٧) المدية: السكين.

(٨) الصِّرْمُ، بالكسر: الأبياتُ المُجْتَمِعةُ المنقطعة من الناس، والجماعة من ذلك، والفِرْقة من الناس ليسوا بالكثير، والجماعة ينزلون بإبلهم ناحية على الماء، ج: أَصْرامٌ وأَصاريمُ وصُرْمان.

الحكاية الثامنة والثمانون بعد الثلاثمائة

رُدَّها على مَنْ أخذتها منه

حدثنا محمد بن حسان قال: قال عمي: قَدِمَ محمد بن قحطبة الكوفة، فقال: أحتاج إلى مُؤَدِّب يُؤَدِّب أولادى، حافظٌ لكتاب الله عز وجل، عالم بسنة رسول الله ﷺ، وبالآثار والفقه والنحو والشعر وأيام الناس، فقيل له: ما جمع هذه الأشياء إلا داود الطائى.

وكان محمد بن قحطبة ابن عم داود، فأرسل إليه يعرض ذلك عليه، ويسنى[1] له الأرزاق والفائدة، فأبى داود ذلك، فأرسل إليه بَدْرَة عشرة آلاف درهم، وقال له: استعن بها على دهرك، فرَدَّها، فوجَّه إليه بدرتين مع غلامين له مملوكين، وقال لهما: إن قَبِلَ البدرتين، فأنتما حُرَّان، فمضيا بهما إليه، فأبى أن يقبلهما.

فقالا له: إن فى قبولهما عتق رقابنا. فقال لهما: إنى أخاف أن يكون فى قبولهما دق رقبتى فى النار، رُدَّاها إليه، وقولا له: إن تردهما على مَنْ أخذتهما منه أولى من أن تعطينى أنا.

* * *

الحكاية التاسعة والثمانون بعد الثلاثمائة

حكاية قاض مع هارون الخليفة هارون

حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله عنٌ عمه عبد الملك بن قريب الأصمعى أنه قال: كنت عند الرشيد يوماً، فرُفِعَ إليه فى قاضٍ كان استقضاه يُقَال له: عافية، فكثر عليه، فأمر بإحضاره، فأحضر.

وكان فى المجلس جَمْعٌ كثير، فجعل أمير المؤمنين يخاطبه ويقفه على ما رُفِعَ فيه، فطال المجلس، ثم إن أمير المؤمنين عطس، فشَمَّتَه مَنْ كان فى المجلس بالحضرة سواه، فإنه لم يُشَمِّتْه، فقال له الرشيد: ما لك لا تشمتنى كما فعل القوم؟ فقال له عافية: لأنك يا أمير المؤمنين لم تحمد الله، فلذلك لم أُشَمِّتْك، هذا النبى ﷺ عطس عنده رجلان، فشمَّت أحدهما، ولم يُشَمِّتْ الآخر، فقال: يا رسول الله، ما لك شَمَّتَ ذاك، ولم تشمتنى؟ فقال: «إن هذا حَمِدَ الله، فشَمَّتْناه، وأنت لم تحمده، فلم أُشَمِّتْكَ»[2] فقال له

---

(١) يعرض له الأحر المرتفع.

(٢) الحديث متفق عليه، ولفظ البخارى عن أنس قال: عطس رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم، فشمت أحدهما ولم يشمت الآخر، فقال الرجل: يا رسول الله، شمت هذا ولم تشمتني، قال: «إن هذا حمد الله، ولم تحمد الله».

الرشيد: ارجع إلى عملك، إنك لم تسامح فى عطسة تسامح فى غيرها، وصرفه منصوفًا.

* * *

الحكاية التسعون بعد الثلاثمائة

الله خير لها منك

حدثنا التنوخى قال: كنت يوم الجمعة فى جامع المنصور، والخطيب على المنبر، وعلى يسارى علىٌّ بن طلحة ابن البصرى، فمددت عينى، فرأيت عبد الصمد بالقرب منى، فهممت بالنهوض إليه، وكان صديقاً لى، فاحتشمت من القيام فى مثل ذلك الوقت مع قرب قيام الصلاة، فقام ومَشِيَ نحوى، فقمت إليه، فقال لى: اجلس أيها القاضى، فليس إليك قصدتُ ولا لك أردتُ بمجيئى، هذا أنا أردتُ، وإليه قصدت – يعنى ابن طلحة –وذاك أن نفسى تأباه وتكرهه، فأردت أن أُذِلّها بقصده، وأخالف إرادتها وشهوتها، فجئته وقصدته.

قال: فقام ابن طلحة إليه، وقبَّل رأسه، وعاد عبد الصمد إلى موضعه[(١)].

قال التنوخى: وحدثنى مَنْ حضر عبد الصمد، وقد احْتُضِرَ، فدَخَلَتْ عليه أم الحسن بنت القاضى أبى محمد الأكفانى، وكانت أحد مَنْ تقوم بأمره وتراعيه، فقالت له: أسألك وأقسم عليك إلا سألتنى حاجة.

فقال لها: نعم كونى لِهيبة –يعى ابنته –بعد موتى، كما أنت لها فى حياتى! قالت: أَفْعَلْ، ثم أمسك ساعة، وقال: أستغفر الله، وكرَّرها: الله خير لها منك.

* * *

الحكاية الحادية والتسعون بعد الثلاثمائة

حكاية رجل شهيد

حدثنا عبد الله بن قيس أبو أمية الغفارى قال: كنا فى غزاةٍ لنا، فحضر عدوهم، فصيح فى الناس، فهم يثوبون إلى مصافهم فى يوم شديد الريح إذا رجل أمام رأس فرسى عند عجز فرسه، وهو يخاطب نفسه، فيقول: أىْ نَفْسُ، ألم أشهد مشهد كذا وكذا؟ فقُلْتِ لى: أهلك وعيالك، فأطعتك، فرجعت؟ ألم أشهد مشهد كذا وكذا، فقلتِ: أهلك وعيالك، فأطعتك، فرجعت؟ ألم أشهد مشهد كذا وكذا، فقلتِ: أهلك وعيالك، فأطعتك، فرجعت؟ والله لأعرضنك اليوم على الله، أخذك أو تركك، فقلت:

---

(١) بالطبع هذا القيام والانتقال والكلام أثناء الخطبة من الأمور المنهى عنها فى الشرع.

لأرمقنه اليوم، فرمقته، فحمل الناس على عدوهم، فكان فى أوائلهم، ثم إن العدو حمل على الناس، فانكشفوا، فكان فى حُماتهم.

قال: فوالله ما زال ذاك دَأْبَه حتى رأيته صريعاً، فعددت به وبدابته ستين -أو أكثر من ستين - طعنة.

* * *

الحكاية الثانية والتسعون بعد الثلاثمائة

جزاء تكبيرة في ميدان الجهاد

حدثنا أبو بكر بن غزوان بن عاصم قال: حدثنى أبى عن شهر بن حوشب قال: أردت غزاة لى، وكان لى ابن أخ يراهق، فكرهت أن أُخلِفَه، فغزوت به معى، فلما قفلنا مرض مرضاً شديداً، فدَخَلْتُ بعض تلك الصوامع، فقمتُ أُصَلِّى، فانشقت الصومعة، فدخل مَلَكَان أبيضان ومَلَكان أسودان، فقعد الأبيضان عن يمينه، والأسودان عن يساره، فلمسه الأبيضان بأيديهما، فقال الأسودان: نحن أحق به! وقال الأبيضان: كلا. فأخذ أحد الأبيضين أصبعيه، فأدخلهما فى فيه، فقلب لسانه، فقال: الله أكبر، نحن أحق به، قوما، كَبَّرَ تكبيرة يوم فتح أنطاكية، فخرج شهر بن حوشب، فنادى فى الناس: مَنْ أراد أن يحضر جنازة رجل مِنْ أهل الجنة فليحضر جنازة ابن أخى.

فقال الناس: جُنَّ شهر بن حوشب ؛ بالأمس يقول ما يقول، واليوم يقول: رجل من أهل الجنة، فبلغ ذلك الأمير، فبعث إليه، فأخبره بما رأى، فصلَّى عليه والناس[1].

* * *

الحكاية الثالثة والتسعون بعد الثلاثمائة

حكاية شابين عابدَيْن مع رجل في الصحراء

حدثنا داود بن رشيد قال: حدثنى الصبيح والمليح -شابان كانا يتعبدان بالشام سُمِّيَا الصبيح والمليح لحسن عبادتهما - قالا: جعنا يوماً، فقلت لصاحبى -أو قال لى -: اخرج بنا إلى الصحراء العليا نرى رجلاً نُعَلِّمُه بعض دينه، فأصحرنا، فاستقبلنا أسود على رأسه حزمه حطب، فدنونا منه، فقلنا: مَنْ ربك؟ فرمى الحزمة عن رأسه، وجلس عليها، وقال: لا تقولا لى: مَنْ ربُّك، ولكن قولا: أين محل الإيمان مِنْ قلبك؟ فنظرت إلى

---

(١) هذه القصة تتعرض لبعض الأمور الغيبية من نزول الملائكة على المحتضَر، والحكم عليه بأنه من أهل الجنة، والمعروف أن الأمور الغيبية والسمعيات يُكْتفى فيها بما ورد فى الشرع من القرآن الكريم وصحيح السُّنة النبوية، ولا يُعَوَّل فيها على الحكايات أو المنامات أو غيرها من الآراء.

صاحبى، ونظر إلىَّ صاحبى، ثم قال: سلا سلا، فإن المريد لا تنقطع مسائله، فلما رآنا لا نخبر جواباً قال: اللهم إن كنت تعلم أن لك عباداً كلما سألوك أعطيتهم، فحَوِّلْ حزمتى هذه ذَهَباً، فرأيناها - والله - قضبان ذهب تلتمع، ثم قال: اللهم إن كنت تعلم أن الأخمال[1] أحبَّ إلى عبادك من الشهرة، فرُدَّها حطباً، فرجعت - والله - حطباً، ثم حملها على رأسه، ومضى، فلم نجسر أن نتبعه.

* * *

الحكاية الرابعة والتسعون بعد الثلاثمائة

المأمون يزور بشْرًا الحافي ويناظر إبراهيم الحربي

حدثنا محمد بن عبد الله السائح قال: سمعت طلحة البصرى يقول: سمعت مفلحاً الأسود يقول: قال المأمون ليحيى بن أكثم: إنى أشتهى أن أرى بِشْر بن الحارث؟ قال: إذا شِئْتَ يا أمير المؤمنين. قال: الليلة، ولا يكون معه ثالث، فركبا إلى منزله، فنزل يحيى، فدَقَّ الباب، فقال بشر: مَنْ هذا؟ قال: مَنْ تجب عليك طاعته! قال: وأى شىء يريد؟

قال: أَحَبَّ لقاءك. قال: طائعاً أو مُكْرَهًا؟ ففهم المأمون، فقال ليحيى: اركب، فمَرًّا على رجل يقيم صلاة العشاء، فدخلا يصليان، فإذا الإمام حَسَن القراءة، فلما أصبح المأمون وجَّه إليه، فجاء به إليه، فجعل يناظره فى الفقه، وجعل الرجل يخالفه، ويقول: القول فى المسألة خلاف هذا، فغضب المأمون، فلما كثر خلافه، قام على رجله، وقال: عهدى بك كأنك تذهب إلى أصحابك، فتقول: خَطَّأْتُ أمير المؤمنين، فقال الرجل: والله يا أمير المؤمنين، إنى لأستحيى من أصحابى أن يعلموا أنى جئتك.

فقال المأمون: الحمد لله الذى جعل فى رعيتى مَنْ يستحيى أن يجيئنى، وسجد لله شكراً، والرجل إبراهيم بن إسحاق الحربى.

* * *

الحكاية الخامسة والتسعون بعد الثلاثمائة

توبة عشرة فتيان

حدثتنا فاطمة بنت أحمد أخت أبى على الروذبارى قالت: كان ببغداد عشرة فتيان معهم عشرة أحداث، فوجَّهوا واحداً من الأحداث فى حاجة لهم، فأبطأ، فحردوا عليه، فجاء وهو يضحك وبيده بطيخة، فقالوا له: تبطئ وتجىء وأنت تضحك؟ فقال: جئتكم بأعجوبة، وضع بِشْرُ الحافى يده على هذه البطيخة، فاشتريتها بعشرين درهماً، فأخذ

---

(١) الذين لا يحبون الشهرة.

كل واحد منهم يُقَلِّبُها، ويضعها على عينيه، فقال واحد من القوم: أى شىء الذى بَلَّغَ بشرًا هذه المرتبة؟ فقالوا: التقوى.

فقال: أنا أشهدكم أنى تائب إلى الله تعالى[١]، فقال القوم كلهم مثله، ويقال: إنهم خرجوا إلى طرسوس، فاستشهدوا كلهم.

* * *

الحكاية السادسة والتسعون بعد الثلاثمائة
دعوة صالحة لأبِي بكر الدينوريِ

حدثنا أبو الوفاء بن عفان الواعظ قال: كنت شاباً حَدَثَ السن، أتردد إلى مجلس ابن بشران الواعظ، وكان الرمد يعتاد عينى كثيراً، فرآنى ذات يوم فى المجلس رجل يبسط لابن بشران بساط المنبر يُقَال له: بكار، فقال لى: أراك تداوم على حضور المجلس؟ فقلت: لعلى أستفيد بشىء ينفعنى فى دينى.

فقال: اجلس حتى ينقضى المجلس، فلما انقضى مجلس ابن بشران أخذ بكار بيدى، وحملنى إلى الرصافة، وأتى بى إلى باب، فطرقه، فقال قائل من داخل الدار: مَنْ؟ قال: أنا بكار. فقال: يا بكار ألستَ قد كنتَ ها هنا اليوم؟ فقال: جئت فى حاجة مُهِمَّة، ففتح الباب، وهو يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فدخلنا، وإذا بشيخ جالس مستقبل القبلة على رأسه نِطْع[٢] كالطرحة، فسلَّمنا عليه، فردَّ السلام، فقال بكار: يا سيدى هذا صبى يداوم حضور المجلس، ويحب الخير، وقد داوم مرض عينه، فادع له، فدعانى إليه، فأتيته فادخل خنصره فى فيه، ثم مسح عينى به، فأنا منذ ستين سنة، لم ترمد عينى، فلما خرجت سألت عنه، فقيل: هذا أبو بكر الدينورى، وهو صاحب ابن شمعون.

* * *

الحكاية السابعة والتسعون بعد الثلاثمائة
حكاية الرجل الحبيس فِي البئر بسبب دَيْنه

حدثنا شيبان بن حسن قال: خرج أبى وعبد الواحد بن زيد يريدان الغزو، فهجموا على ركية[٣] واسعة عميقة، فأدلوا حبالهم بقِدْرٍ، فإذا القدر قد وقعت فى الركية،

---

(١) وردت فى المخطوط: قال: هو يشهدكم أنه تائب.

(٢) بساط من الجلد.

(٣) عين أو حفرة بها ماء.

فقربوا حبال الرفقة بعضها إلى بعض، ثم دخل أحدهم إلى الركية، فلما صار في بعضه إذا هو بهمهمة فى الركية، فرجع، فصعد، وقال: أتسمع ما أسمع؟ قال: نعم، فناولنى العمود، فأخذ العمود، ثم دخل الركية، فإذا هو برجل على ألواح جالس وتحته الماء، فقال: أجنِّيٌّ أم إنْسِيٌّ؟ قال: بل إنسى. قال: ما أنت؟ قال: أنا رجل من أهل أنطاكية، وإنى مِتُّ، فحبسنى ربى ها هنا بدَيْنٍ علىَّ، وإن ولدىَّ بأنطاكية ما يذكرونى ولا يقضون عنى، فخرج الذى كان فى الركية، فقال لصاحبه: غزوة بعد غزوة، فدع أصحابنا يذهبون فتكاروا[1] إلى أنطاكية، فسألوا عن الرجال وعن بنيه، فقالوا: نعم، والله إنه لأبونا، وقد بعنا ضيعة لنا، فامشوا معنا حتى نقضى دَيْنَه.

قال: فذهبوا معهم حتى قضوا دَيْنَه ذلك، قال: ثم رجعنا من أنطاكية حتى أتوا موضع الركية، ولا يشكون أنها ثَمَّ، فلم يكن ركية ولا شيء، فأمسوا، فباتوا هناك، فإذا الرجل قد أتاهم فى المنام، فقال: جزاكم الله خيراً، فإن ربى حَوَّلَنِى إلى موضع كذا وكذا من الجنة حين قضوا عنى دَيْنِى.

* * *

الحكاية الثامنة والتسعون بعد الثلاثمائة

فتح الموصلي يزور بشرًا الحافي

حدثنا عبد الواحد بن بكر قال: كنت عند الرَّقِّى، فجرى حديث، فقال: سمعت محمد بن الصلت يقول: كنت عند بِشْر بن الحارث، فجاء رجل، فسلَّم على بشر، فقام بشر إليه، فقمتُ لقيامه، فمنعنى، فلما سكن الرجل أخرج بشر درهماً صحيحاً، وقال: اخْرُجْ واشْتَرِ خبزاً وزبداً وتمرًا برنيًّا.

قال: فخرجت واشتريت وحملته، فوضعته بين يديه، فأكل الرجل، وحمل الباقى، وخرج، فلما خرج قال لى بشر: يا بنى، تدرى لِمَ منعتك عن القيام له؟ قلت: لا. قال: لأنه لم يكن بينك وبينه معرفة، فكان قيامك لقيامى، وأردت أن لا يكون قيامك إلا لله خالصاً، وتدرى لماذا دفعتُ إليك الدرهم، وقلت: اشْتَرِ كذا وكذا؟ قلت: لا. قال: إنَّ طَيِّبَ الطعام يستخرج خالص الشكر لله تعالى، وتدرى لِمَ حمل ما بقى منه؟ قلت: لا. قال: عندهم إذا صَحَّ التوكل لم يَضُر الحمل، وهذا فتح الموصلى جاءنا زائراً.

* * *

---

(١) يعنى: استأجروا سفينة أو مركبًا.

الحكاية التاسعة والتسعون بعد الثلاثمائة

رؤيا للحور العين في الجنة

حدثنا مطهر السعدى -زاد الحافظ-، وكان قد بكى شوقاً إلى الله تعالى ستين عاماً، قال: رأيت كأني على ضَفَّة نهرٍ يجرى بالمسك الأذفر، حافتاه شجر اللؤلؤ - وقال الصوفى: حافتاه مُرَصَّع باللؤلؤ - وبيت من قضبان الذهب، وإذا أنا بجوارٍ مُزَيَّنَاتٍ يقلن بصوت واحد: سبحان المُسَبَّح بكل لسان! سبحانه! سبحان الموجودُ بكل مكان! سبحانه! سبحان الدائم في كل زمان! سبحانه!

قال: فقلت: مَنْ أنتن؟ فقلن: نحن خلق من خلق الرحمن سبحانه! فقلت: ما تصنعن هاهنا؟ فقلن:

ذَرَأَنَا إله الناس رب محمد ... لقوم على الأطراف بالليل قُوَّم

يناجون رب العالمين إلههم ... وتسرى هموم القوم والناس نوم

قال: فقلت: بخ! بخ! مَنْ هؤلاء؟ لقد أَقَرَّ الله أعينهم بِكُنَّ. فقلن: أو ما تعرفهم؟ قلت: لا، والله ما أعرفهم! قلن: بلى هؤلاء المتهجدون أصحاب القرآن والسهر. وقال الصوفى: هم أصحاب التهجد بالليل والقرآن -زاد الصوفى، فقال قائل عند ذلك:

أيا عجباً للناس لَذَّتْ عيونهم ... مطاعم غمض بعده الموت منتصب

فطول قيام الليل أيسر مؤنة ... وأيسر[1] من نار تفور وتلتهب

* * *

الحكاية الأربعمائة

حكاية فتاة تطوف حول الكعبة

حدثنا أبو الأشهب إبراهيم بن المهلب السائح قال: بينا أنا في الطواف إذا بجويرة قد تَعَلَّقَتْ بأستار الكعبة، وهي تقول: يا وحشتي بَعْدَ الأُنس! ويا ذلتي بعد العِزِّ! ويا فقرى بعد الغنى! فقلت لها: ما لك؟ أذَهَبَ لك مال؟ أو أُصِبْتِ بمصيبة؟ قالت: لا ولكن كان لى قلب فَقَدْتُه. قلت: وهذه مصيبتك؟! قالت: وأى مصيبة أعظم مِنْ فَقْدِ القلوب وانقطاعها عن المحبوب؟! فقلت لها: إنَّ حُسْنَ صوتك قد عَطَّلَ على سامعيه الطواف؟ فقالت: يا شيخ، البيت بيتك أم بيته؟ قلت: بل بيته. قالت: فالحَرَمُ حَرَمُك أم حَرَمُه؟ فقلت: بل حَرَمُه.

---

(١) في نسخة أخرى: وأهون.

قالت: دعنا نتدلل عليه على قَدْر ما استزارنا إليه، ثم قالت: بحبك لى إلا رَدَدْتَ علىَّ قلبى؟ فقلت لها: مِنْ أين تعلمين أنه يُحِبُّكِ؟ قالت: بالعناية القديمة؛ جَيَّشَ مِنْ أجلى الجيوش، وأنفق الأموال، وأخرجنى من بلاد الشرك، وأدخلنى فى التوحيد، وعَرَّفَنِى نفسه بعد جهلى إياه، فهل هذا إلا لعناية؟ قلت: كيف حُبُّكِ له؟ قالت: أعظم شىء وأَجَلُّه. قلت: وتعرفين الحب؟ قالت: فإذا جهلت الحب، فأى شىء أعرف؟! قلت: فكيف هو؟ قالت: أَرَقُّ مِنْ الشراب! قلت: وأى شىء هو؟ قالت: مِنْ طينة عُجِنَتْ بالحلاوة، وخُمِّرَتْ فى إناء الجلالة، حلو المجتنى ما أقبض، فإذا أفرط عاد خلاً قاتلاً وفساداً معطلاً، وهو شجرة غرسها كريه، ومجتناها لذيذ، ثم وَلَّتْ وأنشأت تقول:

وذى قلق ما يعرف الصبر والعزا ... له مقلة عبراء أضر بها البكا
وجسم نحيل من شجى لاعج الهوى ... فمن ذا يداوى المستهام من الضنا
ولا سيما والحب صعب مرامه ... إذا عطفت منه العواطف بالفنا

* * *

الحكاية الحادية بعد الأربعمائة

حكاية ذي النون مع امرأة متعبدة في البادية

عن ذى النون قال: بينا أنا سائر فى البادية رأيت امرأة متعبدة، فلمَّا أنْ دَنَتْ منى سلَّمَتْ علىَّ، فرددتُ عليها السلام، فقالت لى: مِنْ أين أقبلتَ؟ قلت: مِنْ عند حكيم لا يوجد مثله.

فصاحت صيحة، وقالت: ويحك! كيف وجدت معه وحشة الغربة حتى فارقته؟ فهو أنيس الغرباء معين الضعفاء، ومولى الموالى. كيف سَمِحَتْ نفسك بمفارقته؟ فلما أنْ سَمِعْتُ ذلك منها أوجع كلامُها قلبى، فوقع علىَّ البكاء، فقالت لى: مِمَّ بكاؤك؟ قلت: وقع الدواء على الداء، فأسرع فى نجاحه.

قالت: فإن كنتَ صادقاً، فلِمَ بكيتَ؟ قلتُ: والصادق لا يبكى؟ قالت: لا، لأن البكاء راحة القلب، وهذا نقص عند ذوى العقول يا بَطَّال.

قلت لها: عَلِّمِينى شيئاً ينفعنى الله به؟ قالت: ويحك! أما أفادك الحكيم فى مقامك هذا من الفوائد ما تستغنى به عن طلب الزوائد؟! قلت لها: يفعل الله ما يشاء، فإن رأيتِ أن تعلمينى شيئاً فَعَلْتِ؟ فقالت: اخدم مولاك شوقاً إلى لقائه، فإن له يوماً يتجلى فيه لأوليائه، وذلك أنه سقاهم فى الدنيا من محبته كأساً لا يظمأون بعدها أبداً، ثم أقبلت تبكى، وتقول: سيدى ومولاى كَمْ تدعنى فى دار لا أجد فيها مَنْ يساعدنى على بلائى، ثم مضت، وأنشأت تقول:

إذا كان ذا العبـد حَبَّ مليكــه ... فمـن دونه يرجو طبيبـاً مداويـا

* * *

الحكاية الثانية بعد الأربعمائة

حكاية امرأة وولدها العابد

حدثنا على بن عبد الله بن سهل قال: سمعت محمد بن الأخرم يقول: خرجت من مصر، وأنا على ساحل البحر، فرأيت امرأة خرجت من تربة، فقلت: إلى أين يا أمة الله؟ قالت: إلى صومعة هاهنا لى فيها ابن، فمشيت معها، فسمعت صوتاً من صومعة:

ومشـتاق وليـس لـه قـرار ... يفـور ليـس يملكـه العـذار

ومؤنـس قلبـه ليـل طويـل ... يلـذذه ويوحشـه النهـار

قضـى وطـراً به فأفاد علمـاً ... فهمتـه التعبـد والفـرار

فقلت لها: منذ كم صار ابنك هاهنا؟ قالت: منذ وهبته له، وقبله منى!.

* * *

الحكاية الثالثة بعد الأربعمائة

من حكايات ذي النون!

حدثنا محمد بن الحسن المصرى قال: سمعت ذا النون يقول: بينا أنا أسير فى تيه بنى إسرائيل إذا أنا بجارية سوداء قد استلبها الوَلَه مِنْ حُـبِّ الرحمن، شاخصة ببصرها نحو السماء، فقلت: السلام عليكِ يا أختاه، فقالت: وعليك السلام يا ذا النون.

فقلت لها: مِنْ أين عرفتينى يا جارية، فقالت: إن الله عـز وجـل خَلَقَ الأرواح قبل الأجساد بألفى عام ، ثم أدارها حول العرش، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف، فعَرَفَتْ رُوحِي رُوحَكَ فى ذلك الجولان حول عرش الرحمن. قلت: إنـى لأراك حكيمة، فعلمينى شيئاً مما عَلَّمَكِ الله، فقالت: يا أبا الفيض، ضع على جوارحك ميزان القسط حتى يذوب كل ما كان لغير الله، ويبقى القلب مُصَفًى ليس فيه غير الرب عز وجل، فعند ذلك يُقِيمك على الباب، ويوليك ولاية جديدة، ويأمر الجيران لك بالطاعة.

فقلت: يا أختاه، زيدينى. فقالت: يا أبا الفيض، خُذْ مِنْ نفسك لنفسك، وأَطِعْ الله إذا خلوتَ يُجِبْك إذا دعوتَ، ثم تركتنى ووَلَّتْ.

* * *

الحكاية الرابعة بعد الأربعمائة

حكاية رجل يحفر القبور

قال: أبو على الروذبادى: كنت بأنطاكية عند المرعشى، وإذا له تلميذ حفّار[١]، وقد تاب من الحفر، فسمعته يُحَدِّث أنه حفر، فوقع فى لَحْدٍ عتيق، ووقع المِعْوَل فى لبنةٍ، فانْفَتَحَتْ فيها كُوَّة، قال: فاطلعت فى اللحد، فإذا أنا بشاب ممدود، والريح تلعب بلحيته، وإذا هو مفتوح العين، وكفنه باقٍ عليه، فنظرت إليه، فقال: يا أخى، قد قامت القيامة؟ فقلت: لا. فقال: رُدَّ علىَّ.

قال: فرددتُ عليه، وحثوتُ عليه التراب، وآليت أن لا أحفر.

* * *

الحكاية الخامسة بعد الأربعمائة

حكاية أرميا مع قومه

عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم قال: أوحى الله إلى نبى من أنبياء بنى إسرائيل يقال له أرميا: أنْ قُمْ بين ظهرانى قومك، فإن لهم قلوب لا يفقهون بها، أعيناً لا يبصرون بها، وآذاناً لا يسمعون بها، فسَلْهُم: كيف وجدوا غِبَّ[٢] طاعتى؟ وسَلْهُم: كيف وجدوا غِبَّ معصيتى؟ وسَلْهُم: هل شَقِىَ أحد بطاعتى؟ أم هل سَعِدَ أحد بمعصيتى؟ إن البهائم تذكر أوطانها؛ فتنزع إليها، وإن هؤلاء القوم تركوا الأمر الذى أكرمت به آباءهم، والتمسوا الكرامة من غير وجهها، أما ملوكهم فكفروا نعمتى، وأما أحبارهم فلم ينتفعوا بما عرفوا من حكمتى، خزنوا المنكر فى صدورهم، وعَوَّدُوا الكذب ألسنتهم، فبعزتى وجلالى لأُهَيِّجَنَّ عليهم جنوداً لا يعرفون وجوههم، ولا يفقهون ألسنتهم، لا يرحمون بكاءهم، أُسَلِّط عليهم مَلِكًا جبَّاراً قاسياً له جنود كقطع السحاب، كأن حمل فرسانه كَرُّ العقبان[٣]، وكأن خَفْقَ راياته أجنحة النسور، فيَدَعُونَ العمران خراباً، والقرى وحشاً، فويل لإيلياء وساكنيها كيف أُسَلِّطُ عليهم السباية، وأُذِلُّهم بالقتل، ولأُبَدِّلَنَّهم بعد لجب[٤] الأعراس صراخ الهام[٥]، ولأُبَدِّلَنَّ نساءهم بعد العز الذل، وبعد الشبع الجوع، ولأجعلن لحومهم زبلاً للأرض، وعظامهم ضاحية للشمس.

---

(١) أى: يحفر القبور لدفن الموتى.

(٢) عاقبة.

(٣) جمع عُقاب، وهو طائر من كواسر الطير قوي المخالب حاد البصر.

(٤) اللَّجَب: الجلبة والصياح والصوت العالي.

(٥) طائر صغير يسكن المقابر او البوم.

فقال ذلك النبى عليه السلام: أى رب، إنك مُهْلِكُ هذه الأمة، ومُخَرِّب هذه المدينة، وهم ولد خليلك إبراهيم عليه السلام، وأُمَّة صَفِيِّك موسى، وقوم نبيك داود، وأى أمة تأمن مكرك بعد هذه الأمة، وأى مدينة تجترئ عليك بعد هذه المدينة!

فأوحى الله سبحانه إليه: إنما أكرمت إبراهيم وموسى وداود بطاعتى، ولو عصونى لأنزلتهم منازل العاصين، إن القرون قبلك كانوا يستخفون بمعصيتى، حتى كان القرن الذى أنت فيه، فأظهروا معصيتى فوق رءوس الجبال وتحت ظلال الشجر وفى بطون الأودية، فلما رأيت ذلك أمرت السماء، فكانت طَبَقاً من حديد عليهم، وأمرت الأرض فكانت صفيحة من نحاسٍ، فلا سماء تُمْطِر، ولا أرض تنبت، فإنْ أمطرتِ السماء فبرحمتى وعطفى على البهائم، وإن أنبتت الأرض شيئاً غلظ عليه الجراد والجنادب والصراصير، فإن حصدوا منه شيئاً فى خلال ذلك، فأودعوه بيوتهم نزعت بركته، يدعونى فلا أستجيب لهم[1].

* * *

الحكاية السادسة بعد الأربعمائة

برد المحبة يُذْهِب شدة الحَرِّ

حدثنا إسماعيل بن على النصيبى قال: سمعت سليمان التيمى -فى وقت الظهيرة، وقد اشتد الحر -وهو يرفض عَرَقاً، ويقول: برد المحبة تذهب بالحر إذا استحكمت، إنه تبارك وتعالى لَمَّا أحبَّهم جعل قلوبهم مُشَمِّرَةَ عن الحر والبرد جميعاً، أذهب بهما عنهم، فاشتغلوا بما وقع فى قلوبهم مِنْ بَرْد المحبة، وأداموا البكاء والنحيب، ثم تَنَفَّس الصُّعَدَاء، وقال: لقد استراحوا وأراحوا.

ثم قال: أَوَّاه ما أطيب الداء إذا لم يعرف الدواء!، ثم صرخ صرخة، وقال: هيهات! هيهات! عَامَلُوه بصدق المعاملة، فعَامَلَهُم بالوداد، ثم قال: هيهات! لو عَلِمَ الخَلِيقَة عُشْر عُشْر ما منحهم الرحمن لماتوا كمداً.

* * *

الحكاية السابعة بعد الأربعمائة

توبة رجل ينبش القبور

حدثنا أبو إسحاق الفزارى قال: كان رجل نَبَّاش يكثر الجلوس إلينا، ونصف وجهه مغطى، فقلت له: إنك تكثر الجلوس ونصف وجهك مغطى، أطلعنى على هذا؟ فقال: تعطينى الأمان؟ قلت: نعم.

---

(١) الخبر أورده ابن عساكر فى تاريخ مدينة دمشق وابن كثير في البداية والنهاية.

قال: كنت نباشاً، فدفنت امرأة، فأتيت قبرها، فنبشت حتى وصلت إلى اللبن، ثم رفعت اللبن، فضربت يدى إلى الرداء، ثم ضربت يدى إلى اللفافة، فمددتها، فجعلت تمدها هى، فقلت: أتراها تغلبني؟! فجثيت على ركبتى، فمددت، فرفعت يدها، فلطمتني، وكشف وجهه فإذا أثر خمس أصابع فى وجهه. فقلت له: ثم مَهْ؟ قال: ثم رددتُ عليها لفافتها وإزارها، ثم رددت التراب، وجعلت على نفسى أن لا أنبش ما عشت.

قال: فكتب ذلك إلى الأوزاعي، فكتب الأوزاعي: وَيْحَكَ! سَلْه عَمَّنْ مات من أهل التوحيد ووجهه إلى القبلة، أَحُوِّلَ وَجْهُه أَمْ تُرِكَ وجهه إلى القبلة؟ قال: فجاءنى، فقلت: أخبرنى عَمَّنْ مات من أهل الإسلام، أَتُرِكَ وَجْهُهُ على ما كان أم ماذا؟ قال: فقال: أكثر ذلك حُوِّلَ وَجْهُه عن القبلة.

فكتبت بذلك إلى الأوزاعى، فكتب إلىَّ: إنا لله وإنا إليه راجعون - ثلاث مرات - أَمَّا مَنْ حُوِّلَ وَجْهُه عن القبلة، فإنه مات على غير السُّنَّة.

* * *

الحكاية الثامنة بعد الأربعمائة

حكاية لذي النون مع جارية أثناء الطواف

عن ذى النون المصرى قال: كنت فى الطواف إذ طلع نور لحق عنان السماء، فتعجبت، وأتممت طوافى، وقمت أتفكر فى ذلك النور، فسمعت صوتاً شَجِيًا حزيناً، فنظرت وإذا بجاريةٍ متعلقة بأستار الكعبة وهى تقول:

أنت تدرى يا حبيبى ... من حبيبى أنت تدرى
ونحول الجسم والدمـ ... ـع ينوحان بسِرِّى
يا عزيزى قد كتمت الـ ... ـحب حتى ضاق صدرى

قال ذو النون: فشجانى ما سمعت حتى انتحبت، فبكت، وقالت: إلهى وسيدى ومولاى بحبك لى إلا ما غفرت لى.

قال: فتعاظمنى ذلك، وقلت: يا جارية، أما يكفيك أن تقولى: بحبى لك، حتى تقولى: بحبك لى؟ فقالت: إليك يا ذا النون، أما علمت أن لله عز وجل قوماً يُحِبُّهُم قبل أن يُحِبُّوه؟ أما سمعت أن الله عز وجل يقول: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[1]، فسبقت محبته لهم قبل محبتهم له، فقلت: مِنْ أين علمتِ أنى ذو النون؟

---

(١) سورة المائدة، الآية رقم: ٥٤.

فقالت: يا بطال، جالت القلوب فى ميدان الأسرار، فعرفتك بمعرفة الجبار، ثم قالت: انظر مَنْ خلفك، فأدرت وجهى، فلا أدرى آلسماء اقتلعتها! أم الأرض ابتلعتها؟[١].

* * *

الحكاية التاسعة بعد الأربعمائة

حكاية أبي سليمان الداراني مع رجل عابد فقير

حدثنا أحمد بن أبى الحوارى قال: حججت أنا وأبو سليمان، فبينا نحن نسير سقطت السطيحة[٢] منى، وكان البرد عظيمًا، فلما افتقدت السطيحة أخبرت أبا سليمان، فقال: [اللهم] سَلِّمْ وَصَلِّ على محمد، يا راد الضالة ويا هادى من الضلالة، رُدَّ الضالة، فإذا بواحد ينادى: مَنْ ذهبت له سطيحة؟ فأخذتها منه، فقال لى أبو سليمان: ما يتركنا بلا ماء، فبينا نحن نسير إذا نحن برجل عليه طمران[٣] رثَّان، وقد تَدَرَّعنا نحن الفراء من شدة البرد، وهو يرشح عرقاً، فقال له أبو سليمان: إلا نُدَثِّرُك ببعض ما معنا؟ فقال الرجل: يا دارانى، الحر والبرد خَلْقَان لله عز وجل، إن أمرها أن يغشيانى أصابانى، وإن أمرهما أن يتركانى تركانى، يا دارانى، تَصِفُ الزهد، وتخاف من البرد، أنا شيخ فى هذه البَرِّيَّة منذ ثلاثين سنة، ما انتفضت ولا ارتعدت، يُلْبِسُنى فى البرد فيحًا من محبته، ويلبسنى فى الصيف مذاق برد محبته، ثم وَلَّى، وهو يقول: يا دارانى، تبكى وتصيح، وتستريح إلى الترويح، فكان أبو سليمان يقول: لم يعرفنى غيره.

* * *

الحكاية العاشرة بعد الأربعمائة

حكاية أبي نصر الصائغ في المقبرة

حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عمرويه الصَّفَّار - ويعرف بابن علم - قال: سمعت محمد بن نصر الصائغ يقول: كان أبى مولعاً بالصلاة على الجنائز مَنْ عرف ومن لم يعرف، فقال: يا بنى خرجت يوماً من السوق اشترى حاجة، فصادفت جنازةَ رجل معها خَلْق كثير ما أعرف منهم أحداً. قلت: أمضى مع هذه أُصَلِّى عليها، وأقف حتى أواريها، فتبعتها فصلوا عليها، وصليت معهم، وأدخلوها المقبرة، وجاءوا بها على قبر

---

(١) تكررت هذه الحكاية لذى النون كثيرًا، ولا داعي لتكرار ما أشرنا إليه من أنها وأمثالها من حكايات الصوفية هى من نسيج القصاص يتناقلها المتصوفة ترويجًا لبضاعتهم، وأغلب هذه القصص بعيدة عن الشرع مخالفة للعقل.

(٢) السطيحة: وعاء للزاد من جلد.

(٣) الطِّمْر: الثوب الخَلَق البالى.

محفور، فنزل إلى القبر نَفْسَان، وجذبوا الميت، فأخذوه، وسَرَّحُوا عليه التراب، وخرج واحد، وبقى الآخر، وَحَثَا الناس التراب عليه! فقلت: يا قوم، يُدْفَنُ حَيٌّ مع ميت، ليت لا يكون شُبِّهَ لى، ثم رجعت، فقلت: ما رأيت إلا اثنين خرج واحد، وبقى الآخر، لا أبرح مِنْ هاهنا حتى يكشف الله لى ما رأيت.

فجئت إلى القبر، فقرأت عشر مرار يس وتبارك الملك، وبكيت ورفعت يدى، فقلت: يا رب، اكشف عما رأيتُ، فإنى خائف على عقلى ودينى، وانشق القبر، وخرج منه شخص، فوَلّى صادراً، فقمت وراءه، فقلت: يا هذا بمعبودك إلا وقفت حتى أسألك، فما التفت، ووَلّى، ومضيتُ خَلْفَه، وقلت: يا هذا بمعبودك إلا وقفت حتى أسألك، فما التفت إلىَّ، ووَلّى، فقلت: يا هذا، أنا رجل شيخ، ليس يمكننى النهوض، فبمعبودك إلا وقفت حتى أسألك، فالتفت إلىَّ، وقال: نصر الصائغ. فقلت: نعم. قال: أما تعرفنى؟ فقلت: لا. قال: نحن مَلَكَان من ملائكة الرحمة، وقد وُكِّلْنا بأهل السُّنّة إذا وُضِعُوا فى قبورهم نزلنا حتى نُلَقِّنَهم الحجة، وغاب عنى[1].

* * *

الحكاية الحادية عشر بعد الأربعمائة

موعظة ابن السماك لهارون الرشيد

حدثنا محمد بن عمرو بن خالد قال: حدثنى أبى قال: بعث هارون أمير المؤمنين إلى محمد بن السماك فى آخر شعبان، فأحضره، فقال لى يحيى بن خالد: أتدرى لِمَ بعث إليك أمير المؤمنين؟ قال: لا أدرى. قال له يحيى: بعث لِمَا بلغه عنك مِنْ حُسْنِ دعائك للخاصة والعامة، فقال ابن السماك: أَمَّا ما بلغ أمير المؤمنين عنى من ذلك فبسَتْر الله الذى سَتَرَه علىَّ، ولولا ستره لم يَبق لباساً، والستر هو الذى أجلسنى بين يديك يا أمير المؤمنين، إنى والله ما رأيت وجهاً أحسن من وجهك، فلا تحرق وجهك بالنار، فبكى هارون بكاء شديدًا، ثم دعا بماء، فأُتِىَ بقدح فيه ماء، فقال: يا أمير المؤمنين، أُكَلِّمُك بكلمة قبل أن تشرب هذا الماء؟ قال: قُلْ ما أحببتَ.

قال: يا أمير المؤمنين، لو مُنِعْتَ هذه الشَّرْبَة إلا بالدنيا وما فيها، أكنت تفتدى بها بالدنيا وما فيها حتى يصل إليك؟ فقال: نعم. قال: فأشرت رِيًّا، بارك الله فيك!

فلما فرغ من شربه قال له: يا أمير المؤمنين، أرأيت لو مُنِعْتَ مِنْ إخراج هذه الشربة منك إلا بالدنيا وما فيها، أكنت تفتدى ذلك بالدنيا وما فيها؟ قال: نعم.

---

(١) يقال أيضًا فى هذه الحكاية ماسبق الإشارة إليه من أن ذلك من الأمور الغيبية التي لا يؤخذ فيها إلا بما ورد في القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية.

قال: يا أمير المؤمنين، فما يُصْنَع بشىء شربة ماء خير منه؟!

قال: فبكى هارون، واشتد بكاؤه، فقال يحيى بن خالد: يا ابن السماك، قد آذيت أمير المؤمنين؟ فقال له: وأنت يا يحيى، فلا يَغُرَّنك رفاهية العيش.

* * *

الحكاية الثانية عشر بعد الأربعمائة

طبقات الناس خمسة

حدثنا إبراهيم بن إسحاق النيسابورى قال: سمعت المسيب بن واضح يقول: كنت مع عبد الرحمن بن المبارك الصورى فى طريق الروم فقال لى: يا مسيب ما وقع فساد العامة إلا من قِبَل الخاصة؟ قلت له: ولِمَ يرحمك الله يا أبا عبد الرحمن؟

قال: لأن أمة محمد ﷺ على خمس طبقات: أولها العلماء، والثانية الزُّهَّاد، والثالثة الغُزَاة، والرابعة التُّجَّار، والخامسة الولاة، فأما العلماء فهم ورثة الأنبياء، وأما الزهاد فملوك هذه الأمة، وأما الغزاة فجند الله فى أرضه، وأما التجار فأمناء الله فى أرضه، وأما الولاة فهم الرعاة، فإذا كان العالم طامعاً وللمال جامعاً، فالجاهل بمَنْ يقتدى؟ وإذا كان الزاهد راغباً فالتائب بمَنْ يقتدى؟ وإذا كان الغازى مرابياً فمتى يظفر بالعدو؟ وإذا كان التاجر خائناً فعلى مَنْ يؤمن الخائن، وإذا كان الوالى ذئباً فمَنْ للرعية، ومَنْ يحفظها؟!

* * *

الحكاية الثالثة عشر بعد الأربعمائة

رؤيا لأبراهيم بن أدهم

عن إبراهيم بن أدهم قال: وجدت يوماً راحةً، وطاب قلبى بحُسْنِ صُنْعِ الله فىَّ، واختياره لى، فقلت: اللهم إن كنتَ أَعْطَيْتَ أحداً من المحبين لكَ ما تَسْكُن به قلوبهم قبل لقائك، فأعطنى ذلك، فقد أَضَرَّ بى القلق.

قال إبراهيم: فرأيت الله تعالى فى النوم، ووَقَفَنِى بين يديه، وقال لى: يا إبراهيم، أما استحييت منى؟! تسألنى أن أعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقائى؟ وهل يسكن قلب المشتاق إلى غير حبيبه؟ أم هل يستريح المحب إلى غير مَنْ اشتاق إليه؟! قال: فقلت: يا رب تُهْتُ فى حبك، فلم أَدْرِ ما أقول، فاغفر لى خطيئتى، وعَلِّمْنِى كيف أقول؟

فقال: قُلْ: اللهم رَضِّنِى بقضائك، وصَبِّرْنِى على بلائك، وأوزعنى شُكْرَ نعمائك،

وأسألك تمام نعمتك ودوام عافيتك، وثَبِّتنِى على محبتك[١].

* * *

الحكاية الرابعة عشر بعد الأربعمائة

حكاية للجنيد مع إبليس

حدثنا حسين بن محمد السراج قال: قال جنيد: رأيت إبليس فى منامى، وكأنه عريان، فقلت له: ما تستحيى من الناس؟ فقال: بالله هؤلاء عندك من الناس؟ لو كانوا من الناس ما تلاعبتُ بهم كما تتلاعب الصبيان بالكرة، ولكن الناس غير هؤلاء، فقلت له: ومَنْ هم؟ قال: قوم فى مسجد الشونيزى، قد أضنوا قلبى، وأنحلوا جسمى، كلما هممت بهم أشاروا إلى الله، فأكاد أحترق!

قال جنيد: فانتبهت، ولبست ثيابى، وجئت إلى مسجد الشونيزى، وعلىَّ ليل، فلما دخلتُ المسجد إذا أنا بثلاثة أنفس جلوس، ورءوسهم فى مُرَقَّعَاتهم، فلَمَّا أَحَسُّوا بى قد دخلتُ المسجد أخرج أحدهم رأسه، وقال: يا أبا القاسم أنت كلما قِيلَ لك شىء تقبل؟!

قال ابن جهضم: ذَكَرَ لى أبو عبد الله بن جابار أن الثلاثة الذين كانوا فى مسجد الشونيزى أبو حمزة وأبو الحسين الثورى وأبو بكر الدقاق.

* * *

الحكاية الخامسة عشر بعد الأربعمائة

موعظة رجل زاهد لذي النون

حدثنا يوسف بن الحسين قال: سمعت ذا النون يقول: وُصِفَ لى رجل بالمغرب، وذُكِرَ لى مِنْ حكمته وكلامه ما حملنى على لقائه، فرحلت إلى المغرب فأقمت على بابه أربعين صباحاً على أن يخرج من منزله إلى المسجد ويقعد، فكان يخرج وقت كل صلاة، فيصلي، ويرجع كالواله لا يُكَلِّم أحداً، فقلت له: يا هذا، إنى مُقِيم هاهنا منذ أربعين صباحاً لا أراك تُكَلِّمُنى، فقال: يا هذا، لسانى سَبُعٌ، إن أنا أَطْلَقْتُه أكلنى!

فقلت له: عِظْنِى - رحمك الله! - بموعظة أحفظها عنك، قال: وتفعل؟ قلت: نعم إن شاء الله. قال: لا تحب الدنيا، وعُدَّ الفقر غنى، والبلاء من الله نعمة، والمنع من الله عطاء، والوحدة مع الله أنساً، والذل عِزًّا، والحياة موتاً، والطاعة حرفة، والتوكل معاشاً، والله تعالى لكل شدة عدة.

---

(١) سبق التعليق بإسهاب، انظر: هامش الحكاية الثالثة والخمسين بعد المائتين، ص: ٢٤١ ٢٤٢.

ثم مكث بعد ذلك شهراً لا يُكَلِّمُنى، فقلت: رحمك الله! إنى أريد الرجوع إلى بلدى، فإن رأيت أن تُزيِدَنى فى الموعظة؟!

فقال: اعلم أن الزاهد فى الدنيا قوته ما وجد، ومسكنه حيث أدرك، ولباسه ما ستر، الخلوة مجلسه، والقرآن حديثه، والله العزيز أنيسه، والذِّكْر قُوتُه، والصمت جنته، والخوف سجيته، والشوق مطلبته، والنصيحة همته، والاعتبار فكره، والصبر وساده، والصديقون إخوانه، والحكمة كلامه، والعقل دليله، والحلم خليله، والجوع إدامه، والبكاء دَأْبُه، والله سبحانه عُدَّتُه.

قلت: بما يتبين الزيادة من النقصان؟ قال: عند المحاسبة للنفوس.

* * *

الحكاية السادسة عشر بعد الأربعمائة

حكاية بشْر مع رجل صالح

حدثنا أبو حفص ابن أخت بشر بنَ الحارث قال: حدثتنى أمى قالت: جاء رجل إلى الباب، فَدَقَّه، فأجابه بشر: مَنْ هذا؟ قال: أريد بشراً؟ فخرج إليه، فقال: حاجتك عافاك الله؟!

فقال له: أنت بشر؟ فقال: نعم، حاجتك! فقال: إنى رأيتُ رب العزة تعالى فى المنام[1]، وهو يقول لى: اذهب إلى بشر، فقل له: يا بشر لو سَجَدْتَ لى على الجَمْرِ ما أَدَيْتَ شكرى فيما قد بينت لك، ونشرت لك فى الناس! فقال له: أنت رأيت هذا؟ فقال له: نعم رأيته ليلتين متوالية.

فقال: لا تُخْبِرْ به أحداً. ثم دخل ووَلَّى وجهه إلى القبلة، وجعل يبكى ويضطرب، ويقول: اللهم إنَ كنتَ شهرتنى فى الدنيا، ونَوَّهْتَ باسمى، ورفعتنى فوق قَدْرِى على أن تفضحنى فى القيامة، فعَجِّلْ الآن عقوبتى، وخُذْ منى بِقَدْر ما تقوى عليه يدى.

* * *

الحكاية السابعة عشرة بعد الأربعمائة

حكاية بنان مع ابن ريان

حدثنا الواحدي قال: كنت جالساً عند عمى ابن ريان بعد صلاة العصر فى مسجده، فوافاه بَنَّان، فقال له عمى: يا أبا الحسن ما هذا من أوقاتك؟ فقال: أحببت لأبيت عندك، فقال له عمى: فى البيت دقيق، قُلْ للجارية تعجنه، فقلت: ومتى يختمر؟

---

(١) انظر: هامش الحكاية الثالثة والخمسين بعد المائتين.

فصاح فى وجهى: لعل الله عز وجل يُسَهِّل ذلك، فأخبرت الجارية، فعجنت رغيفين، واختمر وخبزَ قبل المغرب، وصلينا فى المسجد، ودخلنا البيت، فتناول عمى رغيفاً، ودفع الآخر إلى بنان.

فلما أكلا تحدثنا إلى وقت من الليل، ثم قام ابن ريان، فصلى بنا العتمة، وأراد أن يركع بعدها فقال له: بنان اسمع ما قصدتك فيه حتى أنصرف ولا أشغلك عن صلاتك، رأيت البارحة فيما يرى النائم كأن قائلاً يقول لى: اذهب إلى ابن ريان، وقُلْ له: عُرِضَتْ عليك العدالة فى الدنيا فتركتها، وعزتى لأعدلنك فى جنات عدن. فبكى ابن ريان، وقال ما شاء الله تعالى، وانصرف بنان.

* * *

الحكاية الثامنة عشر بعد الأربعمائة

أبو الحسن الزيادي وإغاثة رجل ملهوف

حدثنا أبو حسان الزيادى قال: مُطِرْنا يوماً مطراً شديداً، فأقمت فى المسجد، فإذا أنا بشخص حيالى، إذا أطرقت نظر إلىّ، وإذا رفعت رأسى أطرق، ففعل هذا مرات، فدعوت به، فقالت: ما شأنك؟ فقال: ملهوف، أنا رجل متجمل، جاء هذا المطر فسقط بيتى، ولا والله ما أقدر على بنائه.

قال: فأقبلت أُفَكِّر مَنْ له، فخطر ببالى غسان بن عياد، فركبت إليه معه، وذكرت له شأنه فقال: قد دخلنى له رِقّة، هاهنا عشرة آلاف درهم قد كنتُ أريد تفرقتها، وأنا أدفعها إليه.

فبادرت إليه وهو على الباب، فأحضرته، فسقط مَغْشِيًّا عليه من الفرح، فلامنى ناس رأوه، وقالوا: ما صنعتَ به؟ فدخلت إلى غسان، فأمر بإدخاله، ورشَّ على وجهه ماء الورد حتى أفاق، فقلت له: ويحك! ما بالك؟ فقال: ورد علىَّ من الفرح ما أنزل بى ما ترى.

ثم تحدثنا ملياً، فقال لى غسان: قد دخلنى له رقة. قلت: فَمَهْ؟ قال: أحمله على دابة. فقلت له: إن الأمير قد عزم فى أمرك على شىء، أفمن رأيك أن تموت إن أخبرتك؟ قال: لا. قلت: قد عزم على حملك على دابة. قال: أحسن الله إليه جزاءه.

ثم تحدثنا ملياً، فقال: لقد دخلتنى لهذا الرجل رِقّة، قلت: فما تصنع به؟ قال: أجرى له رزقاً سَنِيًّا وأَضُمُّه إلىّ.

فقلت له: إن الأمير قد عزم من أمرك على شىء، أفمن رأيك أن تموت؟ قال: لا.

قلت: إنه قد عزم أن يجرى لك رزقاً ويضمك إليه. فقال: أحسن الله جزاءه، ثم ركبت ودفعت البَدْرَة إلى الغلام يحملها.

فلما سرنا بعض الطريق قال لى: ادفع البدرة إليّ أحملها. قلت: الغلام يكفيك. قال: أَيْش بمكانها على عنقى، ثم غدوت به إلى غسان، فحمله وضمه إليه، وخص به، فكان من خير تابع.

* * *

الحكاية التاسعة عشر بعد الأربعمائة

حكاية أبي الحسن الزيادي في الدَّيْن الذي عليه

حدثنا أبو سهل الزازى قال: حدثنى أبو حسان الزيادى قال: ضِقْتُ ضيقة بلغت فيها الغاية حتى أَلَحَّ عليَّ القصاب والبقال والخباز وسائر المعاملين، ولم يبق لى حيله، فإنى لَيَوْم على تلك الحال وأنا مفكر فى الحيلة إذ دخل عليَّ الغلام، فقال: حَاجٌّ بالباب يستأذن، فقلت: ائذن له، فدخل الخراسانى، فسَلَّمَ، وقال: ألستَ أبا حسان؟ قلت: نعم، فما حاجتك؟ قال: أنا رجل غريب، وأريد الحج، ومعى عشرة آلاف درهم، واحتجت إلى أن تكون قِبَلَك إلى أن أقضى حجى وأرجع.

فقلت: هاتها، فأحضرها، وخرج بعد أن وزنها وختمها، فلما خرج فككت الختم على المكان، ثم أحضرت المعاملين، وقضيت كل مَنْ له عليَّ دَيْن، واتسعت وأنفقت، وقلت: أضمن هذا المال للخراسانى، فإلى أن يجيء قد أتى الله بفرج من عنده، فكنت يومى ذلك في سَعَة، وأنا لا أشك فى خروج الخراسانى، فلما أصبحت فى غَدِ ذلك اليوم دخل إلى الغلام، فقال: الخراسانى الحاج بالباب يستأذن عليك، فقلت: ائذن له، فدخل، فقال: إنى كنتُ عازماً على ما أعلمتك، ثم ورد عليَّ الخبر بوفاة والدى، وقد عزمت على الخروج إلى بلدى، فتأمر لى بالمال الذى أعطيتك أمس، فورد عليَّ أمر عظيم لم يرد عليَّ مثله قط، وتحَيَّرْت، فلم أَدْرِ بما أجبه، وفكرت ماذا أقول للرجل، ثم قلت له: نعم، عافاك الله! منزلى هذا ليس الحرِيز، ولَمَّا أخذت مالك وَجَّهْت به إلى مَنْ هو قِبَله، فتعود فى غدٍ لتأخذه.

فانصرف، وبقيت متحيراً لا أدرى ما أعمل، إن جحدته، فذمنى واستحلفنى، وكان الفضيحة في الدنيا والآخرة، وإن دافعته صاح وحكي وغَلَّظ عليَّ الأمر جداً، وأدركني الليل، وفكَّرْتُ فى بكور الخراسانى إلى، فلم يأخذ لى النوم، ولا قدرت على الغمض، فقمت إلى الغلام، فقلت: أَسْرِج البغلة، فقال: يا مولاى هذه العتمة بعد، وما مضى من الليل شيء، فإلى أين المضى، فرجعت إلى فراشى، فإذا النوم ممتنع، فلم أزل أقوم إلى

الغلام، وهو يردني حتى فعل ذلك مراراً، وأنا لا يأخذني القرار، وطلع الفجر، وأسرج البغلة، وركبت، وأنا لا أدرى أين أتوجه؟ فطرحت عنان البغلة، وأقبلت أُفكّر وهى تسير حتى بلغت الجسر، فعدلت بى إليه، فتركتها، فعَبَرَتْ، ثم قلت: إلى أين أعبر؟ وإلى أين أمضي؟ ولكن إن رجعت وجدت الخراسانى على بابى، أدعها تمضى حيث شاءت.

ومضيت البغلة، فلما عبرت الجسر أَخَذَتْ بى يمنة ناحية دار المأمون، فتركتها إلى أن قاربت باب المأمون والدنيا بعد مظلمة، فإذا فارس قد تَلَقَّانى، فنظر فى وجهى، ثم سار وتركنى، ثم رجع إلىّ، فقال: ألستَ بأبى حسان الزيادي؟ قلت: بلى. قال: أجب الأمير الحسن بن سهل.

فقلت فى نفسى: وما يريد الحسن بن سهل منى، ثم سرت معه حتى صرنا إلى بابه، واستأذن لى عليه، فدخلت، فقال لى: أبا حسان، ما خبرك؟ كيف حالك؟ ولِمَ انقطعت عنا؟ فقلت: لأسباب، وذهبت أعتذر.

فقال: دع هذا عنك، أنت فى لوثة، أو فى أمر، فما هو؟ فإنى رأيتك البارحة فى النوم فى تخليط كثير، فابتدأت، فشرحت له قصتى من أولها إلى لقيني صاحبه، ودخلت عليه، فقال: لا يغمك الله يا حسان، قد فرَّج الله عنك، هذه بَدْرَةٌ للخراسانى مكان بدرته، وبدرة أخرى لك تتسع بها، وإذا نفدت أعلمنا، فرجعت من مكانى، فقضيت الخراسانى، واتسعت، وفرَّج الله، وله الحمد.

وروى هذه الحكاية التنوخي فى كتاب الفرج بعد الشدة من طريق أخرى، وفيه أنه لما خرج لقيه قوم فرأوه مطليساً، فقالوا له: أتعرف منزل رجل يقال له: أبو حسان الزيادى؟ فقال: أنا هو، فقالوا: أجب أمير المؤمنين، فحُمِلَ إلى المأمون، فقال له: مَنْ أنت؟ قال: رجل من أصحاب أبى يوسف القاضى. قال: بأى شىء تكنى؟ قال: بأبى حسان.

قال: بماذا تُعْرَف؟ قال: بالزيادى. قال: ما قصتك؟ فشرح له الحال، فبكى بكاءً شديداً، وقال: ويحك! ما تركنى رسول الله ﷺ أنام الليل بسببك، أتانى فى أول الليل، فقال: أَغِثْ أبا حسان الزيادى.

فانتبهت، ولم أعرفك، وأثْبتُ اسمك ونسبك لأسأل عنك، ونمت، فأتانى، فقال كما قال، فانتبهت مُزْعَجاً، ثم نمت، فأتانى، ثم قال: ويحك! أغث أبا حسان، فما تجاسرت على النوم، وأنا ساهر منذ ذلك الوقت، وقد بثثت الناس فى طلبك.

ثم أعطانى عشرة آلاف درهم، فقال: هذه للخراسانى، ثم عشرة آلاف، فقال: اتسع

بهذه، ثم أعطاني ثلاثين ألفاً، فقال: جَهِّزْ بناتك، وزَوِّجْهُن، فأصبحت، وصليت، وجاء الخراساني، فأدخلته البيت، وقدَّمْتُ البدرة، فقلت: خُذْ هذه، فقال: ليس هذه عين مالي، فقصصت عليه القصة، فبكى، وقال: والله لو صدقتني في أول الأمر عن خبرك ما طالبتك بها، وأما الآن فوالله لا دخل مالي شيء من مال هؤلاء، وأنت في حِلٍّ، فدخلت يوم الموكب على المأمون، فأخرج لي عهداً وقال: هذا عهدك على قضاء الشرقية بالجانب الغربي من مدينة السلام، فاتق الله يدوم لك عناية رسول الله ﷺ، فما زال أبو حسان قاضياً على الشرقية حتى مات.

* * *

الحكاية العشرون بعد الأربعمائة

من مواعظ ذي النون المصري

حدثنا محمد بن عبد الله الزراد قال: سمعت ذا النون المصري يقول: إن لله عباداً نصبوا أشجار الخطأ نصب روامق[1] القلوب، وسقوها بماء التوبة، فأثمرت ندماً وأحزاناً، فجنوا من غير جنون، وتباروا من غير غي بهم ولا بكم، وإنهم لهم الفصحاء البلغاء الرزناء العارفون بالله وبرسوله وبأمر الله، ثم شربوا بكأس الصفاء؛ فورثوا الصبر على طول البلاء، حتى تولّهت قلوبهم في الملكوت، وجالت بين حُجُب الجبروت، فاستظلوا تحت رواق الندم فقرأوا صحيفة الخطايا، وأورثوا أنفسهم الجزع حتى وصلوا على الزهد بِسُلَّم الورع، فاستعذبوا مرارة الترك للدنيا، واستلانوا خشونة المضجع، حتى ظفروا بحبل النجاة وعروة السلامة، وسرحت أرواحهم في العلا، وأناخوا في رياض النعيم، وجنوا من ثمار النسيم، وخاضوا في بحر الحياة، وردموا خنادق الجزع، وعبروا جسور الهوى، حتى أناخوا بفناء العلم، فأسقطوا من غزير الحكمة، وركبوا سفينة الفطنة، فأقلعوا بريح النجاة في بحر السلامة حتى وصلوا إلى رياض الراحة ومعدن العز والكرامة.

* * *

الحكاية الحادية والعشرون بعد الأربعمائة

ليلة المِشْعَل سلبت القلب صفاءه

حدثنا عبد الله بن إبراهيم قال: سمعت أبا الحسين البحراني صاحب إبراهيم الخَوَّاص يقول: سَأَلَتْ امرأة من المتعبدات إبراهيم الخواص عن تَغَيُّر وَجَدَتْهُ في قلبها وفي أحوالها، فقال لها: عليك بالتفقد. فقالت: قد تفقَّدْتُ، فما رأيت شيئاً، فأطرق الخَوَّاص

---

(١) عيون.

ساعة، ثم رفع رأسه، وقال: أما تذكرين ليلة المشعل، فقالت: بلى. فقال: هذا التغير مِنْ ذاك، فبَكَتْ، وقالت: نعم كنتُ أغزل فوق السطح، فانقطع خيطى، فمر مشعل السلطان، فغزلت فى ضوءه خيطًا، ثم أدخلت ذلك الخيط فى غزل، ونسجت منه قميصاً، ولبسته، ثم قامت إلى ناحيةٍ، فنزعت القميص، وقالت: يا إبراهيم إن أنا بعته وتصدقت بثمنه رجع قلبى إلى حال الصفاء؟ فقال إبراهيم: إن شاء الله تعالى ذلك.

* * *

الحكاية الثانية والعشرون بعد الأربعمائة

تضرع بدوي متعلق بأستار الكعبة

حدثنا محمد بن عبيد بن يونس بن محمد بن صالح قال: بينما أنا فى الطواف نظرت إلى بدوى متعلق بأستار الكعبة، وقد شخص ببصره إلى السماء، وهو يقول: يا خير مَنْ وفد العباد إليه، ذهبت أيامى، وضعفت قوتى، وقد وَرَدْتُ إلى بيتك المُعَظَّمِ المُكَرَّم بذنوب كثيرة، لا تسعها الأرض، ولا تغسلها البحار، مستجيراً بعفوك منها، وحططت رحلى بفنائك، وأنفقت مالى فى رضائك، فما الذى يكون من خزائنك يا مولاى.

ثم أقبل على الناس بوجهه، فقال: معاشر الناس، ادعوا لمن وكرته[1] الخطايا، وغمرته البلايا، ارحموا أسير ضُرٍّ وغريب فاقةٍ، سألتكم بالذى قد عَمَّتْكُم الرغبة إليه إلا سألتم الله تعالى أن يهب لى جرمى، ويغفر لى ذنوبى، ثم عاود، فتعلق بأستار الكعبة، وقال: إلهى وسيدى، عظيم الذنب مكروب، وعن صالح الأعمال مردود، وقد أصبحت ذا فاقة إلى رحمتك يا مولاى.

قال محمد بن صالح: ثم رأيته بعرفات، وقد وضع يساره على أم رأسه يصرخ ويبكى ويشهق، ويقول: إلهى وسيدى ومولاى، أضحكت الرياض بالزهرة، وأمطرت السماء بالرحمة، والذى أعطيتَ[2] الموحدين، إن نفسى واثقة لى ولهم منك بالرضا، فكيف لا يكون كذلك؟ وأنت حبيب مَنْ تحبب إليك، وقرة عين مَنْ لاذ بك، وانقطع إليك يا مولاى حقًّا حقًّا، أقول: لقد أَمَرْتَ بمكارم الأخلاق، فاجعل وُفُودى إليك عِتْقَ رقبتى من النار.

* * *

---

(١) أحاطت به، وأصبح لها وكرًا ومسكنًا.

(٢) هذا قسم بغير الله، ولا يحلف المسلم إلا بالله.

الحكاية الثالثة والعشرون بعد الأربعمائة

حكاية عابد ينجو من فخ إبليس

حدثنا سعيد بن الفضل بن معبد قال: سمعت أبى يقول: قرأت فى بعض الكتب أن إبليس لعنه الله أتى رجلاً من العُبَّاد من بنى إسرائيل، وفى وسطه هميان[١]، وفى الهميان فِخَاخ مُعَلَّقة، فقال له العابد: ما هذه الفخاخ يا عبد الله؟ فقال: يا رجل، سائح وليس لى طعام ولا كسب، فإذا جُعتُ نَصَبْتُ فَخًّا مِنْ هذه الفخاخ، فأصيد الطائر، فآكله، فتلك معيشتى!

فقال العابد: فأنا أحوج الناس إلى مثل هذا، قال: فإنى سأعمل لك فَخًّا جيداً، فافترقا ومَرَّ العابد بامرأة قائمة على باب، فقالت: يا عبد الله، تُحْسِن تقرأ، فإنه أتانى كتاب مِنْ زوجى.

قال: نعم، هلميه. قالت: تدخل الدهليز وتجلس، فإنى أُشْفِقُ عليك من القيام، فلما دخل أغلقت الباب، وأرادته على نفسها، فناشدها الله، فأبت عليه، فتجانن عليها وتَخَبَّطَ، فلما رأت جنونه بادرت، ففتحت الباب، فخرج، فلقيه إبليس، فقال له العابد: ما فعل الفخ الذى وعدتنى؟ فقال: إبليس قد كنت عَمَلْته لك وجَوَّدْتُه، ولكن جنونك لم يَدَعَك تقع فيه.

* * *

الحكاية الرابعة والعشرون بعد الأربعمائة

حكاية فى الإيثار وإجابة الدعاء

حدثنا عبيد الله بن عبد الله قال: كنت عند الجنيد يوم قَدِمَ أبو حفص النيسابورى، فوثب إليه الجنيد، وعانقه، فقال للجنيد: دعنى من المعانقة، عندك شىء تطعمنى؟ فقال: إلى أى شىء تومئ، فعنى له على شىء يطبخ، فالتفت الجنيد إلى ابن زيزى، فقال: قد سَمِعْتَ.

فمضى ابن زيزى، وغاب ساعة، ثم عاد ومعه ما أراد، فقال الجنيد لأبى حفص: قد حضر ما ذكرت. فقال: يا أخى قد أحببتُ أن أوثر بهذا، فساعدنى، فقال له: أُحِبُّ ما تحب.

فقال الجنيد لابن زيزى: قد سمعتَ، فأنفذه إلى مستحق، فأقبل ابن زيزى على الحَمَّال، فقال: امش بين يدى، وحيث أعييت لك فقِفْ، فمشى الحمال ساعة، ووقف

---

(١) حزام يربط حول الوسط.

بين دارين، فدَقَّ ابن زيزى أقرب الدارين إلى الحمال، فإذا نداء مِنْ داخل الدار: ادخل إن كان معك كذا وكذا، وإلا فلا! - وعَيَّنَ على ما كان مع الحمال -، ففتح الباب، وإذا شيخ قاعد وخيش مرسل على باب.

قال ابن زيزى: فوضعت ما كان مع الحمال بين يدى الشيخ، وصرفت الحمال، وقعدت، فقال لى: وراء هذه الخيشة صبيان وبنات يحتاجون إلى هذا الطعام.

فقلت له: لا أنصرف أو تخبرنى الحال؟ فقال: هؤلاء الصبيان يسألونى منذ مدة هذا الطعام، ولم تسامح نفسى أن أسأل الله، فوجدت البارحة مسامحة أن أسأل، فجعلت علامة إجابه الله إياى وجود المسامحة من السؤال، فلما دققتَ علمتُ ما معك!.

* * *

الحكاية الخامسة والعشرون بعد الأربعمائة

كرامة لأبي تراب النخشي

حدثنا أبو العباس الشرفى قال: كنا مع أبى تراب النخشى فى طريق مكة، فمرض، فعدل عن الطريق إلى ناحية، فقال له بعض أصحابه: أنا عطشان؟ قال: فضرب برجله، فإذا عين من ماء زلال. فقال الفتى: أحب أن أشربه فى قَدَح؟! فضرب بيده الأرض، وناوله قَدَحا منْ زجاج أبيض كأحسن ما رأيت، فشرب وسقانا، وما زال القدح معنا إلى مكة.

قال: فقال لى يوماً: ما يقول أصحابك فى هذه الأمور التى يكرم الله بها عباده؟ فقلت: ما رأيت أحداً إلا وهو يُعْطِى الإيمان بها، فقال: مَنْ لم يُعْطِ الإيمان بها كفر!، إنما سألتك من طريق الأحوال، فقلت: ما أعرف لهم قولاً فيه، فقال: يا بنى، بلى قد زعم أصحابك أنها خِدَع من الجن، وليس الأمر كذلك، إنما الخِدَع فى حال السكون إليها، فأما مَنْ لم يعرج على الملك فىاعتياق الحقائق، فتلك مرتبة الربانيين[(١)].

---

(١) الكرامة أمر خارق للعادة يظهره الله على يد عبد من عباده الصالحين غير مُدَّعٍ للرسالة، وهى من الأمور الجائزة عقلاً والواقعة فعلاً، جاء بها الكتاب والسُّنة كما جاءت فى أخبار مستفيضة عن الصحابة والتابعين، قال الله تعالى: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. الذين آمنوا وكانوا يتقون. لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة. لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم﴾ [يونس: ٦٢-٦٤] وقال تعالى: ﴿وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً فكلي واشربي﴾ [مريم: ٢٥،٢٦] وقال تعالى: ﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ [آل عمران: ٣٧] وقال تعالى (الكهف ١٦، ١٧): ﴿وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون=

الحكاية السادسة والعشرون بعد الأربعمائة

حكاية رجل يهرب من الناس

عن ذى الكفل أخى ذى النون قال: سمعتُ ذا النون يقول: بينا أنا فى جبال المغرب وقفت على عابد فى رأس جبل، فسَلَّمْتُ عليه، فأطرق إلى الأرض، ثم رفع رأسه، وقال: وعليكم السلام ورحمة الله، فقلت له: مقامك فى هذا المكان؟

فقال: معى بضيعة قد هربت بها من الأسواق، وقد جئت بها لأدفنها فى هذا المكان. فقلت: وما بضاعتك هذه؟ فقال: عقد توحيدى وخالص ضمير مكنونى. قلت: لو أنست بالناس؟ فقال: منهم هربت، وقد قصدت إلى مَنْ قصده غيرى من الراجين، فوجدوه مؤنساً، ثم رفع طرفه نحو السماء، وقال: أنت أنت. قال ذو النون: فرفعت طرفى إلى موضع طرفه، ثم رددت طرفى، فلم أره!.

* * *

الحكاية السابعة والعشرون بعد الأربعمائة

بين عطاء بن رباح وعبد الملك بن مروان

حدثنا الرياضى قال: سمعت الأصمعى يقول: دخل عطاء بن أبى رباح على عبد الملك بن مروان، وهو جالس على سريره، وحواليه الأشراف من كل بطن، وذلك بمكة فى وقت حَجِّه مِنْ خلافته، فلما بَصُرَ به قام إليه، وأجلسه معه على السرير، وقعد بين يديه، وقال له: يا أبا محمد، حاجتك؟ قال: يا أمير المؤمنين، اتق الله فى حَرَمِ الله وحَرَمِ رسوله، فتعاهده بالعمارة، واتق الله فى أولاد المهاجرين والأنصار، فإنك بهم جلستَ

=إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيِّئ لكم من أمركم مرفقاً. وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال﴾ [الكهف: ١٦، ١٧].

والواجب هو اعتقاد وقوع الكرامة، وليس على المسلم أن يعتقد كرامة معينة لشخص إلا أن يأتى بذلك دليل من الكتاب والسنة. ويمكن التفريق بسهولة بين الولي الذي تظهر على يديه كرامة وبين الدجال النصاب الذى يستطيع بألاعيبه أن يوهم بعض الأغرار من الناس بأنه من الأولياء وبأن له كرامة ليأكل بذلك أموال الناس بالباطل أو ليحتفظ لنفسه بمكانة معينة عند الناس. وقد حذَّر العلماء المحققون من هؤلاء، ومما قالوا فى ذلك: إذا رأيت رجلا يطير فى الهواء او يمشى على الماء او يقطع المسافة البعيدة فى طرفة عين فلا تغتر به، بل اعرضه على على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

والخلاصة أن خرق العادة قد يقع للزنديق بطريق الإملاء والإغواء كما يقع للصديق بطريق الكرامة والإكرام، وإنما تحصل التفرقة بينهما باتباع الكتاب والسنة.

فى هذا المجلس، واتق الله فى أهل الثغور ؛ فإنهم حصن المسلمين، وتفقد أمور المسلمين ؛ فإنك وحدك المسئول عنهم، واتق الله فيمن على بابك، فلا تغفل عنهم، ولا تغلق دونهم بابك.

فقال له: أَفْعَلُ، ثم نهض، فقبض عليه عبد الملك، فقال: يا أبا محمد، إنما سألتنا حوائج غيرك، وقد قضيناها، فما حاجتك؟

فقال: ما لى إلى مخلوق حاجة، ثم خرج، فقال عبد الملك: هذا وأمك الشرف، هذا وأبيك السؤدد.

* * *

الحكاية الثامنة والعشرون بعد الأربعمائة
من حكايات القاضي شريك

حدثنا الزبير قال: حدثنى مصعب بن عبد الله عن عمر بن الهياج بن سعيد أخي مخالد بن سعيد قال: كنت فى صحابة شريك، فانتبه يوماً - وهو فى منزله - باكراً، فخرج إلىَّ فى فَرْوٍ ليس تحته قميص، عليه كساء، فقلت له: قد أصبحتَ عن مجلس الحكم؟ فقال: غسلت ثيابى أمس، فلم تجف، فأنا أنتظر جفافها، اجلس، فجلست، فجعلنا نتذاكر باب العبد يتزوج بغير إذن مواليه، فقال: ما عندك فيه؟ ما تقول فيه؟ وكانت الخيزران قد وجَّهَتْ رجلاً نصرانياً على الطراز بالكوفة إلى موسى بن عيسى أن لا يعصى له أمراً، فكان مطاعاً بالكوفة، فخرج علينا ذلك اليوم من زقاق يخرج إلى النجع ومعه جماعة من أصحابه، وعليه جُبَّة خز وطيلسان على برذون، فرآه، وإذا رجل بين يديه مكتوف، وهو يقول: واغوثاه بالله! إنا بالله، ثم بالقاضى، وإذا آثار سياط فى ظهره، فسَلَّمَ على شريك، وجلس إلى جانبه، فقال الرجل المضروب: إنا بالله، ثم بك، أصلحك الله، أنا رجل أعمل على هذا الوشى كراء[1] مثلى مائة فى الشهر، أخذنى هذا منذ أربعة أشهر، فَأَحبسنى فى طراز، يُجْرِى علىَّ القوت، وعلىَّ عيال قد ضاعوا، فأَفْلَتُّ منه اليوم، فلحقنى، ففعل بظهرى ما ترى، فقال: قُمْ يا نصراني، فاجلس مع خصمك، فقال: أصلحك الله يا عبد الله، هذا من خدم السيدة، مُرْ به إلى الحبس! فقال: قُمْ، ويلك! فاجلس معه كما يقال لك، فجلس، فقال: ما هذه الآثار التى بظهر هذا الرجل مِنْ أَثَرها به؟ قال: أصلح الله القاضى، إنما ضربته أسواطاً بيدى، وهو يستحق أكثر من هذا، مُرْ به إلى الحبس، فألقى شريك كساءه، ودخل داره، فأخرج سوطاً زندياً، ثم ضرب بيده إلى مجامع ثوب النصرانى، وقال للرجل: انطلق إلى أهلك،

---

(١) استئجار.

ثم رفع السوط، فجعل يضرب به النصراني، ويقول له: يا أصبحى، قدمن قفا حمك، لا تضرب والله المسلمين بعدها أبداً، فهَمَّ أعوانه أن يُخَلِّصُوه من يديه، فقال: هاهنا من فتيان الحى، خذوا هؤلاء فاذهبوا بهم إلى الحبس، فهرب القوم جميعاً، وأُفْرِدَ النصرانى، فضربه أسواطاً، فجعل النصرانى يعصر عينيه، ويبكى، ويقول له: ستعلم، فألقى السوط فى الدهليز، وقال: يا أبا حفص، ما تقول فى العبد يتزوج بغير إذن مواليه، وأخذ فيما كنا فيه، كأنه لم يصنع شيئاً.

وقام النصرانى إلى البرذون ليركبه، فاستعصى عليه، ولم يكن له مَنْ يأخذ بركابه، فجعل يضرب البرذون.

قال: يقول له شريك: ارفق به، ويلك!، فإنه أطوع لله منك، فمضى.

قال: يقول هو: حَدِّثْنا ما كنا فيه!

قال: قلتُ: ما لنا ولذا، قد - والله - فعلتَ اليوم فَعْلَةً ستكون لها عاقبة مكروهة.

قال: أَعِزَّ أمر الله يُعِزَّك الله، حَدِّثْنا فيما نحن فيه.

قال: وذهب النصرانى إلى موسى بن عيسى، فدخل عليه، فقال: ما بك؟ فقال: شريك فعل بى كيت وكيت، كذا وكذا!

قال: والله ما أتعرض لشريك، فمضى النصرانى إلى بغداد، فما رجع.

* * *

الحكاية التاسعة والعشرون بعد الأربعمائة
حكاية أبي الحسين المزين في بئر الماء

حدثنا أبو عبد الله بن خفيف قال: سمعت أبا الحسين المزين بمكة قال: كنت فى بادية تبوك، فتقدمت إلى بئر لأستقى منها، فزلقت رجلى، فوقعت فى جوف البئر، فرأيت فى البئر زاوية واسعة، فأصلحت موضعاً، وجلست عليه، وقلت: إن كان منى شىء لا يفسد الماء على الناس، وطابت نفسى، وسكن قلبى، فبينا أنا قاعد إذا بخشخشة، فتأملت، فإذا بأفعى تنزل علىَّ، فراجعت نفسى فإذا هى ساكنة، فنزل ودار بى، وكنت هادئ السِّرِّ لا يضطرب علىَّ، ثم لفَّ بى ذنبه، وأخرجنى من البئر، وحلل عنى ذنبه، فلا أدرى أرضاً ابتلعته؟ أم سماء رفعته؟ وقمت، ومشيت.

* * *

الحكاية الثلاثون بعد الأربعمائة

موعظة لسميط بن عجلان

حدثنا عبيد الله بن سميط بن عجلان قال: سمعت أبي يقول: إن المؤمن يقول لنفسه: إنما هي أيام ثلاثة، فقد مضى أمس بما فيه، وغداً أمل لا تدركه، إنك إن كنت من أهل غدٍ، فإن غداً يجيء برزقه، دون غد يوم وليلة تخترم فيها أنفس كثيرة، لعلك المخترم فيها، كفى كل يوم همه، ثم قد حملت على قلبك الضعيف هَمَّ السنين والأزمنة، وهَمَّ الغلاء والرخص، وهَمَّ الشتاء قبل أن يجيء الشتاء، وهَمَّ الصيف قبل أن يجيء الصيف، فما أبقيت من قلبك الضعيف لآخرته، كل يوم ينقص من أجلك، وأنت لا تحزن، وكل يوم تستوفي رزقك، وأنت لا تحزن، أعطيت ما يكفيك، وأنت تطلب ما يطغيك، لا بقليلٍ تقنع، ولا من كثير تشبع، وكيف لا يتبين للعالم جهله، وقد عجز عن شكر ما هو فيه، وهو مغتر في طلب الزيادة؟! أم كيف يعمل لأخرته مَنْ لا تتقطع من الدنيا شهوته، ولا تنقضي منها نهمته؟ فالعجب كل العجب لِمَنْ يُصَدِّق بدار الحيوان، ويسعى لدار الغرور.

* * *

الحكاية الحادية والثلاثون بعد الأربعمائة

حكاية سوار مع ابن صديقه والخليفة المهدي

حدثنا سوار صاحب رحبه سوار قال: انصرفت يوماً من دار المهدي، فلما دَخَلْتُ القائلة، فلم يأخذني النوم، فنهضت، وأمرت ببغلة لي، فأسرجت، فركبتها، فلما خرجت استقبلني وكيل لي ومعه مال، فقلت: ما هذا؟ فقال: ألفا درهم جئتها من مستغلك الجديد. قلت: أمسكها معك، واتبعني.

قال: وخليت رأس البغلة حتى عَبَرَتْ الجسر، ثم مَشَتْ في شارع دار الرفيق، حتى انتهت إلى الصحراء، ثم رجعت إلى باب الأنبار، وطَوَّفْتُ، فلما صرت في شارع باب الأنبار انتهيت إلى باب دار نظيف عليه شجرة، وعلى الباب خادم، فوقفت، وقد عطشنا، فقلت للخادم: عندك ما تسقينيه؟ قال: نعم، وقام، فأخرج قُلَّة نظيفة طيبة الرائحة عليها منديل، فناولني، فشربت، وحضر وقت العصر، فدخلت مسجداً على الباب، فصليت فيه.

فلما قضيت صلاتي، إذا أنا بأعمى يتلمس، فقلت: ما تريد يا هذا؟ قال: إياك أريد! قلت: وما حاجتك؟ فجاء حتى قعد، فقال: شممتُ منك رِيح الطِّيب، فظننت أنك من أهل النعيم، فأردت أن ألقي إليك شيئاً، فقلت: قُلْ.

قال: أترى باب هذا القصر؟ قلت: نعم. قال: هذا قِصر كان لأبى، فباعه وخرج إلى خراسان، وخرجت معه، فزالت عنا النِّعَم التى كنا فيها، فقدمت، فأتيت صاحب الدار لأسأله شيئاً يصلنى به، وأصير إلى سوار فإنه كان صديقاً لأبى.

قلت: ومَنْ أبوك؟ قال: فلان بن فلان، فإذا هو أصدق الناس كان لى، فقلت له: يا هذا، فإن الله سبحانه! قد أتاك بسوار، منعه الطعام والنوم حتى جاء به، فأقعده بين يديك، ثم دعوتُ الوكيل، فأخذت الدراهم منه، فدفعتها إليه، وقلت له: إذا كان الغد، فصِرْ إلى المنزل، ثم مضيتُ، فقلت: ما أُحَدِّث أمير المؤمنين المهدى بشىء أطرف من هذا!، فأتيته، فاستأذنت عليه، فأذن لى، فدخلت، وحدَّثْته بالحديث، فأعجبه، وأمر لى بألفى دينار، فأُحْضِرَتْ، فقال: ادفعها إليه. قال: فنهضت، فقال: اجلس، أعليك دَيْن؟ قلت: نعم. قال: كم؟ قلت: خمسون ألف دينار، فأمسك، وجعل يحدثنى ساعة، ثم قال: امْضِ إلى منزلك، فصرت إلى منزلى، فإذا خادم معه خمسون ألف دينار، فقال: يقول لك أمير المؤمنين: اقْضِ بها دَيْنَك، فقبضتها، فلما كان مِن الغد أبطأ علىَّ المكفوف، وأتانى رسول المهدى يدعونى، فجئته.

فقال: فَكَّرْتُ فى أمرك، فقلت: يقضى دَيْنَه، ويحتاج إلى الحيلة والقرض، وقد أمرت لك بخمسين ألف دينار أخرى.

قال: فقبضتها، وانصرفت، فأتانى المكفوف، فدفعت إليه الألفى دينار، وقلت له: قد رزق الله بكرمه خيراً كثيراً، وأعطيته من مالى ألفى دينار.

* * *

الحكاية الثانية والثلاثون بعد الأربعمائة

حكاية عجيبة لامرأة من بني إسرائيل

عن جعفر بن محمد الصادق أن رجلاً من بنى إسرائيل خرج فى بعض حوائجه، وكانت له امرأة، فأوصى بها أخاه، وسأله أن يتعهدها ويقوم بحوائجها، فلما رآها وقعت فى نفسه، فراودها بعد خروج أخيه، فأبت عليه، فقال: والله لئن لم تفعلى لأهكنك، فقالت: لا والله، ما أنا بفاعلة، فافعل ما أنت فاعل.

فسكت عنها إلى أن قدم أخوه، فتلقاه، وحادثه إلى أن جرى ذكرها، فقال: يا أخى علمتَ أنها راودتنى عن نفسى، وفعَلَتْ، وفعَلَتْ!، فقال أخوه: أى شىء تقول؟ قال: هو والله ما قلت لك!.

فلما قدم إليها لم يكن له هِمَّة إلا أن حملها، ولم يسألها عن شىء تصديقاً لأخيه،

فأنزلها ليلاً، ثم ضربها بسيفه حتى ظن أنه قد قتلها، ثم مضى، وإن المرأة بقى فيها رمق، فقامت تدب حتى انتهت إلى أصل دير راهب، فسمع أنينها، فأشرف عليها من ديره، فلما رآها نزل، ودعا غلامًا له، فاحتملاها، وأدخلاها الدير، ولم يزل الراهب يعالجها حتى برأت، وكان له ابن صغير قد ماتت أمه، فقال الراهب: إن شئت أن تذهبي فاذهبي، وإن شئت أن تقيمى فأقيمى، قالت: بل أقيم، فأخدمك أبدًا، فدفع إليها ابنه، فكانت تُرَبِّيه إلى أن وقعت في نفس العبد الأسود، فراودها، وقال: والله لئن لم تفعلى وتتابعينني لأهلكنك، فقالت: ما أنا بمتابعتك فافعل ما أنت فاعل، فلما كان الليل جاء الصبي وهو يئن بين يديها، فذبحه، ثم مضى إلى الراهب، فقال: أما علمت بالذى كان من أمر هذه الخبيثة؟ وما فعلت بابنك؟ أتراها فُعِلَ بها ما فعل إلا من أمر عظيم قد أتته، قال الراهب: ويحك! وما فعلت بابني؟ قال: ذبحته.

فجاء الراهب، فوجد ابنه متشحطًا في دمه، فقال: ما هذا؟ قالت: لا أعلم غير أن غلامك كان من أمره وكان، وقَصَّتْ عليه القصة، فقال الراهب: قد شككتيني في أمرك، ولست أحب مقامك معي، فهذه خمسون دينارًا فخذيها وامْضِ حيث شئت تكون قوة لك، فأخذتها ومضت حتى انتهت إلى قرية، فإذا رجل قد قُدِّمَ لِيُصْلَب، والناس مجتمعون والوالي، فقالت للوالي – والرجل قد رُفِعَ على الخشبة -: هل لك أن تأخذ مني خمسين دينارًا، وتُخَلِّى سبيل هذا الرجل؟ قال: هاتي، فحلّت كُمَّها، ودفعت إليه الخمسين دينارًا، فخلّى سبيل الرجل، فقال الرجل: ما صنع أحد بأحد ما صنعتِ بي! ولستُ بمفارقك أخدمك حتى يُفَرِّق الموت بيننا.

فمضى معها حتى انتهيا إلى ساحل البحر، والناس يعبرون، فنزلا في سفينة، وكان للمرأة هيئة وجمال، فقال له أهل السفينة: مَنْ هذه منك؟ فقال: مملوكة لي!.

وكانت قد وقعت في نفس رجل منهم لَمَّا رآها، فقال الرجل: تبعنيها.

قال: إنى لأكره بيعها، ولو أردتُ ذلك، وعَلِمَتْ لقيتُ منها أذىً، لأنها تُحِبُّنى، وقد أَخَذَتْ عليَّ أن لا أبيعها أبداً.

قال الرجل: بعنيها، وخُذْ مالك، واخرج، ولا تُعْلِمْها، فباعه إياها بمال كثير، فدفعه إليه، وأشهد عليه أهل السفينة، وهى مع النساء، وقُرِّبَ إليه قارباً، فرجعً فيه، وهى لا تعلم، ومضوا فى البحر، فلما علم الذى اشتراها أنه قد تباعد، ولا قدرة له على العود قام يُكَلِّمُها، ويُعْلِمُها أنه قد اشتراها، فقالت: اتق الله، فإنى حُرَّة.

قال: دعى هذا عنك، فقد مضى صاحبك، ولا تقدرين عليه، ولا تتروحى بما لا

تنتفعين به، وأقبل أهل السفينة عليها، فقالوا: يا عدوة الله، قد اشتراك الرجل، ونحن نشهد.

قالت: ويحكم! خافوا الله، فإني - والله - حُرَّة، ما ملكني أحد قط!

فقالوا: قُمْ إليها حتى تفعل بها كذا وكذا، فإنك إذا فعلت ذلك سكنت، فقام إليها، فلما خافت على نفسها دعت الله عز وجل عليهم، فإذا السفينة قد انقلبت بهم، فلم ينج غيرها على ظهر السفينة.

وكان للملك ذلك اليوم عيدًا،على ساحل البحر من الجانب الآخر، وهو واقف وأهل مملكته، فلما رأى ذلك بعث من دخل عليهم في السفن، فلم يُقْدر على غيرها، فأخرجت إليه، فسألها عن أمرها، ودعاها إلى التزويج، فأبت، وقالت: إن لى قصة، وليس يجوز لى التزويج، فصيَّرَها فى دار، فكان إذا ورد عليه الأمر هوَّله أتاها فشاورها، فتشير عليه، فيرى فى مشورتها البركة إلى أن حضر المَلِكَ الموتُ جمع أهل مملكته، فقال: كيف كنت لكم؟ قالوا: كالأب الرحيم، فجزاك الله خيرًا، قال: كيف رأيتم أول أمرى من آخره كان ذلك بمشورة هذه المرأة، وقد رأيت لكم رأياً. قالوا: وما هو؟ قال: أُمَلِّكُها عليكم من بعدى.

قالوا: فرأيك، فمَلَّكَها عليهم، ومات الملك، فأمرت بحشر الناس إليها ليبايعوا، فحُشِرَ الناس، وجعلت تنظر إليهم، فمَرَّ بها زوجها وأخوه، فقالت: اعزلوا هذين، ثم مَرَّ بها المصلوب الذى باعها، فقالت: اعزلوا هذا، ثم مَرَّ بها الراهب وغلامه، فقالت: اعزلوا هذين أيضاً، ثم صَرَفَتْ الناس، ودَعَتْ بهم، فقالت لزوجها: تعرفنى؟ قال: لا والله، إلا أنى أعلم أنك الملكة.

قالت: أنا فلانة امرأتك، وإن أخاك فعل فيَّ وفعل، فخبَّرَتْه الخبر، وإن الله تعالى يعلم أنه لم يصل إليَّ رجل منذ فارقتك، ثم دعت بأخيه، فقُتِلَ، ثم دعت بالراهب، وقالت: ارفع إليَّ ما كان لك من حاجة، وحدَّثَتْه بقصة الغلام، وما صنع بابنه، ثم أمرت بالغلام، فقُتِلَ، ثم دعت بالمصلوب، فأمرت بقتله وصلبه، ففُعِلَ ذلك به، ومكثت فى مُلْكِها ما أراد الله أن تمكث، ثم ماتت.

قال المعافى: وفى هذا شبه ببعث الألباء[1] على عاقبة أعمالهم، وحسن عقبى الحسنى وسوء مغبة السوء.

* * *

---

(١) العقلاء.

الحكاية الثالثة والثلاثون بعد الأربعمائة

حطيط في مواجهة الطاغية حجاج

عن جعفر بن أبى المغيرة قال: كان حُطَيْط صَوَّاماً قَوَّاماً يختم كل يوم وليلة ختمة، ويخرج من البصرة ماشياً حافياً إلى مكة فى كل سنة، فوَجَّه الحَجَّاج فى طلبه، فأُخِذَ، فأُتِيَ به الحجاجَ، فقال له: إيها.

قال: قُلْ، فإنى قد عاهدت الله لئن سُئِلْتُ لأصدقن، ولئن ابْتُلِيتُ لأصبرن، ولئن عوفيت لأشكرن، ولأحمدن الله على ذلك.

قال: ما تقول فيَّ؟ قال: أنت عدو الله تقتل على الظنة. قال: فما قولك فى أمير المؤمنين؟ قال: أنت شررة من شرره، وهو أعظم جُرْمًا منك. قال: فخذوه، فَقَطِّعُوا عليه العذاب، ففعلوا، فلم يقل حِسًّا ولا بسًّا[1]، فأتوه، فأخبروه، فأمر بالقصب، فشُقِّقَ، ثم شُدَّ عليه، وصُبَّ عليه الخل والملح، وجعل يستل قصبة قصبة، فلم يقل حساً ولا بساً، فأتوه، فأخبروه، فقال: أخْرِجُوه إلى السوق، فاضربوا عنقه.

قال جعفر: فأنا رأيته حين أُخْرِجَ، فأتاه صاحب له، فقال: لك حاجة؟ فقال: شربة من ماء، فأتاه بماء، فشرب ثم مات رحمه الله، وكان ابن ثماني عشرة سنة.

* * *

الحكاية الرابعة والثلاثون بعد الأربعمائة

حكاية شداد بن عاد وبناء مدينة إرم

[روى وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة أنه خرج في طلب إبل له شردت، فبينما هو في صحارى عدن وقع على مدينة في تلك الفلوات عليها حصن وحول الحصن قصور كثيرة، فلما دنا منها ظن أن فيها أحدا يسأله عن إبله، فلم ير خارجا ولا داخلا، فنزل عن دابته وعقلها، وسَلَّ سيفه، ودخل من باب الحصن، فلما دخل الحصن إذا هو ببابين عظيمين لم ير أعظم منهما، والبابان مرصعان بالياقوت الأبيض والأحمر، فلما رأى ذلك دُهِشَ، ففتح أحد البابين، فإذا هو بمدينة لم ير أحد مثلها، وإذا قصور كل قصر فوقه غرف، وفوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت، ومصاريع تلك الغرف مثل مصاريع المدينة يقابل بعضها بعضًا مفروشة كلها باللؤلؤ وبنادق من مسك وزعفران، فلما عاين ذلك ولم ير أحدًا هاله ذلك، ثم نظر الى الأزقة، فاذا هو في كل زقاق منها شجر قد أثمر، وتحت الشجر أنهار مطردة يجري ماؤها من

---

(١) أى: لم يتوجع ولم يتألم.

قنوات من فضة، فقال الرجل][1]: والذى بعث محمدًا بالحق ما خلق الله مثل هذه فى الدنيا، وإن هذه لَلْجَنَّة التى وصف الله سبحانه!، ما بقى مما وُصِفَ شىء ألا وهو فى هذه المدينة، هذه الجنة، الحمد لله الذى أدخلنيها، فبينا هو فى ذلك دعته نفسه إلى أن يأخذ من لؤلؤها وياقوتها وزبرجدها، ثم يخرج حتى يأتى بلاده، ثم يرجع إليها، ففعل، فحمل من لؤلؤها وبنادق من المسك والزعفران، ولم يستطع أن يقلع من زبرجدها شيئاً ولا من ياقوتها لأنه مُثَبَّت فى أبوابها وجدرانها، وكان ذلك اللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران منثوراً فى تلك القصور والغرف، فأخذ ما أراد، ثم أتى ناقته، فحل عقالها، وركبها، ثم سار راجعاً يقفو أثر ناقته حتى رجع إلى اليمن، فأظهر ما كان معه، وأعلم الناس أمره، وما كان من قصته، وباع اللؤلؤ، وكان ذلك اللؤلؤ قد اصْفَرَّ وتغير من طول كرور الليالى والأيام عيه، فلم يزل أمر الرجل يُذْكَر حتى بلغ معاوية بن أبى سفيان، فأرسل رسولاً، وكتب إلى صاحب صنعاء يأمره بالبعثة بالرجل ليسأله عمَّا كان من أمره، فخرج به رسول معاوية من اليمن حتى قدم الشام، وأمر صاحب صنعاء الرجل أن يخرج معه ببعض ما جاء به من متاع تلك المدينة، فسار الرجل ورسول معاوية معه حتى قدم على معاوية، فخلا به معاوية، وسأله عما رأى وعاين، فقص عليه أمر المدينة وما رأى فيها شيئاً شيئاً، فأعظم ذلك معاوية، وأنكر ما حَدَّثه، وقال: ما أظن ما تقول حقاً!

قال الرجل: يا أمير المؤمنين، إن معى من متاعها الذى هو مفروش فى قصورها وغرفها. قال: ما هو؟ قال: لؤلؤ وبنادق المسك والزعفران! فقال له معاوية: هاتِ حتى أراه، فأراه لؤلؤاً أصفراً مِنْ أعظم ما يكون من اللؤلؤ، ورأى تلك البنادق، فشَمَّها معاوية، فلم يجد لها ريحًا، فأمر ببندقة من تلك البنادق، فدُقَّتْ، فشَمَّ ريحُ مسك وزعفران، فصَدَّقَه عندَ ذلك معاوية، وقال: كيف لى أن أعلم اسم هذه المدينة، ومَنْ بناها، ولمن كانت، فوالله ما أُعْطِيَ أحد مثل ما أُعْطِيَ سليمان بن داود، وما ملك سليمان بن داود مثل هذه المدينة!

قال بعض جلساء أمير المؤمنين: لا تجد خبر هذه المدينة عند أحد من أهل الدنيا فى زماننا هذا إلا عند كعب الأحبار، فإن رأى أمير المؤمنين أن يبعث إليه، وتأمر أن يُغَيَّبَ هذا الرجل، فإنه سيُخبر أمير المؤمنين بأمرها وأمر هذا الرجل إن كان دخلها، فإن مثل هذه المدينة على مثل هذه الصفة لا يستطيع هذا الرجل إن يدخلها إلا أن يكون قد سبق

---

(١) ما بين المعكوفتين مطموس من الأصل، وقد أتينا به من تفسير المنتظم لابن الجوزى حـ٩ ص: ١١٢.

في الكتاب دخوله إياها، فابعث إلى كعب، فإنه يا أمير المؤمنين لم يخلق الله على ظهر الأرض ولا شيء مما مضى من الدهور، ولا يكون من بعد اليوم إلا وهو في التوراة مُفَسَّر معروف مكانه، فليبعث إليه أمير المؤمنين فإنه سيجد خبرها عنده!

قال: فأرسل معاوية إلى كعب، فلما أتاه قال له: يا أبا إسحاق، إني دعوتك لأمر رجوت أن يكون علمه عندك! قال كعب: يا أمير المؤمنين على الخبير سقطت، فاسألني عما بدا لك.

قال: أخبرني يا أبا إسحاق هل بلغك أن في الدنيا مدينة مبنية بالذهب والفضة عمدها زبرجد وياقوت، وحصا قصورها وغرفها لؤلؤ، فيها جنتها وأنهارها، والأزقة تحت الأشجار والأنهار؟

فقال كعب: والذي نفس كعب بيده لقد ظننت يا أمير المؤمنين أني سأتوسد يميني قبل أن يسألني أحد عن هذه المدينة وما فيها ومن بناها، أما تلك المدينة وهي حق مثل ما بلغ أمير المؤمنين وعلى ما وُصِفَ له، وأما صاحبها الذي بناها فشداد بن عاد، وأما المدينة فإرم ذات العماد التي وصف الله سبحانه في كتابه المُنَزَّل على محمد ﷺ: ﴿ إِرَمَ ذَاتَ الْعِمَادِ. الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾[1] وهي ما وصف الله لك لم يُرَ مثلها في البلاد.

قال معاوية: يا أبا إسحاق، حدثنا حديثها يرحمك الله!

فقال كعب: يا أمير المؤمنين، أُخْبِرُك إن عادًا الأولى ليس عاد قوم هود، ولكن عاد الأولى، إنما قوم هود ولد ذلك، وكان عاد له ابنان: يسمى أحدهما شديد، والآخر شداد، فهلك عاد، وبغيا وكبرا وملكا وقهرا البلاد كلها، وأخذاها عنوةً وقسراً حتى دان لهما جميع الناس، ولم يبق أحد من الناس في زمانهما إلا وهو في طاعتهما لا في شرق الأرض ولا في غربها، وإنهما لما صفا لهما ذلك وقَرَّ قرارهما مات شديد، وبقي شداد، فملك وحده، ولا ينازعه أحد، وكانت له الدنيا كلها جميعاً، وكان مولعاً بقراءة الكتب الأولى، فكلما مَرَّ بذكر الجنة وما يسمع مما يذكر فيها من البنيان والياقوت واللؤلؤ دعته نفسه أن يفعل تلك الصفة في الدنيا عتواً على الله وكِبْراً، فلما وَقَرَ ذلك في قلبه أمر على صنعتها مائة قهرمان مع كل قهرمان ألف من الأعوان، ثم قال: انطلقوا إلى أطيب فلاة في الأرض وأوسعها، فاعملوا لي مدينة من ذهب وفضة وياقوت وزبرجد ولؤلؤ، تحت تلك المدينة أعمدة من زبرجد، وعلى المدينة قصور، من فوق القصور غرف، ومن فوق الغرف غرف، واغرسوا تحت تلك القصور في أزقتها أصناف

---

(١) سورة الفجر، الآيتان رقم ٧، ٨.

الثمار كلها، وأجروا تحتها الأنهار ؛ فإنى أسمع فى الكتب صفة الجنة، وأنا أحب أن أجعل مثلها فى الدنيا أتعجل سكناها.

فقال له قهارمته - وكانوا مائة قهرمان، تحت يد كل قهرمان ألف رجل من الأعوان: كيف لنا أن نقدر على ما وصفت لنا من الزبرجد والياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة، يبنى منه مدينة من المدائن كما وصفتَ لنا؟

فقال لهم شداد: ألستم تعلمون أن ملك الدنيا كلها بيدى؟ قالوا: بلى. قال: فانطلقوا إلى كل شيء فى الدنيا من معادن الزبرجد والياقوت أو بحر فيه لؤلؤ أو معدن فيه ذهب أو فضة، ووكلوا به من كل قوم رجلاً يُخْرِج لكم ما كان فى كل معدن، ثم انطلقوا، فانظروا ما كان فى أيدى الناس، فخذوه سوى ما يأتيكم به أصحاب المعادن، فإن معادن الدنيا أكثر من ذلك وما فيها مما لا تعلمون أكثر وأعظم مما كلفتم من صنعة هذه المدينة.

قال: وكتب إلى كل ملك فى الدنيا يأمره أن يجمع له ما فى بلاده من جَوْهرها وحفر معادنها، فانطلق أولئك القهارمة، فبعثوا بكل كتاب إلى كل ملك، فأخذ كل ملك ما يجد فى يد مملكته عشر سنين مما سأله من الزبرجد والياقوت والذهب والفضة واللؤلؤ، وأخذوا الفعلة فى طلبهم له مواضع كما أرادوا، وأجروا الأنهار وغرسهم الأشجار على ما وصف لهم عشر سنين.

قال: يا أبا إسحاق، كم كان عدد أولئك الملوك؟ قال: كانوا مائتين وستين مَلِكاً. قال: فخرج الفعلة، فتبددوا فى الصحارى ليجدوا ما يوافقهم، فلم يجدوا ذلك، حتى وقعوا على صحراء عظيمة نقية من الجبال والتلال، فإذا هم بعيون مطردة، فقالوا: هذه صفة إرم التي أمرنا بها، فعمدوا، فأخذوا بقدر الذى أمرهم من العرض والطول، فعاود ذلك حدوداً وعمدوا إلى مواضع الأزقة، فأجروا فيها قنوات لتلك الأنهار، ثم وضعوا الأساس من مرو لبان وحلب، فلما فرغوا من وضع الأساس، وإجراء القنوات أَرْسَلَتْ إليهم الملوك بالزبرجد والياقوت والذهب والفضة واللؤلؤ والجوهر، منهم من يبعث بالعُمد مفروغاً منها، ومنهم من يبعث بالذهب والفضة مفروغاً منه مصنوعاً، فأقاموا حتى فرغوا من بنائها.

فقال معاوية: يا أبا إسحاق، والله إنى لأحسبهم أقاموا فى بنائها زمانا من الدهر؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، إنى لأجد مكتوباً فى التوراة إنهم أقاموا فى بنائها وما أجلهم الملك فى الذى أمرهم من حملٍ ما فى الدنيا إليه من زبرجد وياقوت وذهب وفضة ولؤلؤ حتى فرغوا منها، أجده مكتوباً ثلاثمائة.

قال معاوية: وكم كان عمر شداد صاحبها؟ قال: كان عمره تسعمائة سنة.

قال: يا أبا إسحاق لقد أخبرتنا عَجَبًا، فحدثنا.

قال: يا أمير المؤمنين إنما سماها الله تعالى إرم ذات العماد للذى تحتها من الزبرجد والياقوت، وليس في الدنيا كلها مدينة بالزبرجد والياقوت غيرها، ولذلك قال الله تعالى: ﴿إِرَمَ ذَاتَ الْعِمَادِ. الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾[(١)] لم يعمل مثلها يا أمير المؤمنين إنه لَمَّا أتوه، فأخبروه بفراغهم منها قال: انطلقوا، فاجعلوا عليها حِصْنًا، واجعلوا حول الحصن ألف قصر، عند كل قصر ألف عَلَم يكون فى كل قصر من تلك القصور وزير من وزرائى، ويكون فوق كل عَلَم منها ناطور، فرجعوا فعملوا تلك القصور والأعلام والحصن، ثم أتوه، فأخبروه بالفراغ مما أمرهم به. قال: فأمر ألف وزير من خاصته، ولم يبق به إلا أن يتهيئوا للنقلة إلى إرم ذات العماد، وأمروا لتلك الأعلام برجال يمسكونها، ويقيمون فيها ليلهم ونهارهم، وأمروا لهم بالعطايا والأرزاق، وأمر مَنْ أراد من نسائه وخدمه بالجهاز، فأقاموا فى جهازهم عشر سنين، فسار الملك بمَنْ أراد، وخَلَّفَ من قومه فى عدن اثنين، والشجر أكثر مِمَّنْ سار به، فلما استقبل وسار ليسكنها، وبلغ إلى مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم وعلى مَنْ كان معه صيحة من السماء، فأهلكتهم جميعاً، ولم يبق منهم أحد، ولم يدخل إرم ولا أحد ممن كان معه، ولم يقدر على أحد منهم حتى الساعة، فهذه صفة إرم يا أمير المؤمنين، وسيدخلها رجل فى زمانك هذا، ويرى ما فيها ويُحَدِّث بما فيها، ولا يُصَدَّق.

فقال له معاوية: يا أبا إسحاق، فهل تصفه؟ قال: نعم، رجل أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال، يخرج ذلك الرجل فى طلب إبل له فى تلك الصحارى، فيقع على إرم ذات العماد، فيدخلها ويحمل مما فيها، والرجل جالس عندك يا أمير المؤمنين، فالتفت كعب، فرأى الرجل، فقال: هذا ذاك الرجل قد دخلها، فاسأله عما حَدَّثْتك به، فقال معاوية: يا أبا إسحاق، إن هذا من خَدَمى، ولم يبارحنى، [فقال كعب]: فقد دخلها -أو سوف يدخلها -أو سيدخلها أهل هذا الدين فى آخر الزمان. فقال له معاوية: لقد فَضَّلَكَ الله يا أبا إسحاق على غيرك من العلماء، ولقد أُعْطِيت علم الأولين والآخرين!.

فقال كعب: والذى نفس كعب بيده ما خلق الله شيئاً إلا وقد فَسَّرَه لعبده موسى ﷺ وإن القرآن لشديد ووعيد[(٢)].

---

(١) سورة الفجر، الآيتان رقم ٧، ٨.

(٢) قال ابن حجر فى فتح البارى: أخرج ابن أبي حاتم من طريق وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة قصة مطولة جدا أنه خرج في طلب إبل له، وأنه وقع في صحاري عدن، وأنه وقع على مدينة في تلك الفلوات فذكر عجائب ما رأى فيها، وأن معاوية لما بلغه خبره أحضره إلى دمشق=

الحكاية الخامسة والثلاثون بعد الأربعمائة

امرأة تضرب مثلا في الإنفاق في الجهاد

حدثنا العتبى عن أبيه قال: سبى الروم نساء مسلمات، فبلغ الخبر الرقة، وبها الرشيد ومنصور بن عمار هناك يحض على الغزو، فإذا خرقه مصروره مختومة قد طُرِحَتْ إلى منصور، وإذا كتاب مضموم إلى الصرة، فقرأه، فإذا فيه: إنى امرأة من بيوتات العرب، بلغنى ما فعل الروم بالمسلمات، وبلغنى حضيضك على الغزو، وتعمدت إلى أكرم شىء فى بدنى، وهما ذؤابتاى، فحززتهما وصررتهما فى هذه الصرة المختومة، فأنشدك بالله العظيم لما جعلتهما قيد فرس غازٍ فى سبيل الله، فلعل الله تعالى ينظر إلىَّ نظرة على تلك الحال، فيرحمنى، فبلغ ذلك الرشيد، فبكى ونادى النفير.

* * *

الحكاية السادسة والثلاثون بعد الأربعمائة

في المدينة عيبان اثنان

عن أبى معدان عن عون بن عبد الله قال: حدثت عمر بن عبد العزيز بحديث، فكان

=وسأل كعبا عن ذلك فأخبره بقصة المدينة ومن بناها وكيفية ذلك مطولا جدا، وفيها ألفاظ منكرة، وراويها عبد الله بن قلابة لا يعرف، وفي إسناده عبد الله بن لهيعة. جـ٨ ص: ٧،٢.
وقال ابن حجر فى تخريج أحاديث الكشاف عن هذا الحديث رقم ١٨٤: رواه الثعلبى من طريق عثمان الدارمى عن عبد الله بن أبى صالح عن ابن لهيعة عن خالد بن أبى عمران عن وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة أنه خرج فى طلب إبل له شردت، فذكره مطولاً. قال ابن حجر: قلت: آثار الوضع عليه لائحة.
وقال ابن كثير: فهذه الحكاية ليس يصح إسنادها، ولو صح إلى ذلك الأعرابى فقد يكون اختلق ذلك، أو أنه أصابه نوع من الهوس والخبال فاعتقد أن ذلك له حقيقة فى الخارج، وليس كذلك، وهذا مما يقطع بعدم صحته...
وقال الشوكانى في فتح القدير عن حديث عبد الله بن أبى قلابة: وهذا كذب على كذب وافتراء على افتراء، وقد أصيب الإسلام وأهله بداهية دهياء وفاقرة عظمى ورزية كبرى من أمثال هؤلاء الكذابين الدجالين الذين يجترئون على الكذب، تارة على بنى إسرائيل، وتارة على الأنبياء، وتارة على الصالحين، وتارة على رب العالمين، وتضاعف هذا الشر وزاد كثرة بتصدر جماعة من الذين لا علم لهم بصحيح الرواية من ضعيفها من موضوعها – للتصنيف والتفسير للكتاب العزيز، فأدخلوا هذه الخرافات المختلقة والأقاصيص المنحولة والأساطير المفتعلة فى تفسير كتاب الله سبحانه، فحرَّفوا وغيروا وبدلوا. أ.هـ
وما ذكره الشوكاني ينطبق على كثير مما ذكره ابن الجوزى من قصص وحكايات تتعلق بالصالحين والزهاد.

معناه وقع منه موقعاً. قال: فذهبت إلى مسلمة، فأخبرته، قال: حَدَّثْتُ أن ملكاً ممن كان قبلنا ابتنى مدينة، فقال كلمة - يعني تنوق[1] في بنائها -، ثم صنع طعاماً، ودعا الناس، وأَقْعَدَ على أبوابها ناساً يسألون كل مَنْ يخرج: هل رأيتم عَيْبًا؟ فيقولون: لا.

حتى جاء ناس في آخر ما جاء، عليهم أكسية، فسألهم: هل رأيتم عيبًا؟ فقالوا: رأينا عيبين اثنين.

قال: فحبسوهم، ودخلوا على الملك، فقالوا: قد دخل الناس، فسألناهم، فقالوا: رأينا عيبين اثنين. قال: ما لست أرضى بواحد، فائتونى بهم.

قال: فأدخلوهم عليه، فقال: هل رأيتم عيبًا؟ قالوا: عيبين اثنين. قال: وما هما؟ قالوا: تخرب ويموت صاحبها. قال: فتعلمون داراً لا تخرب ولا يموت صاحبها؟ قال: فدعوه، فاستجاب لهم، فقال: إن جئت معكم علانية لم يدعنى أهل مملكتى، ولكن ميعادكم موضع كذا وكذا.

قال: فتنكر حتى أتاهم في ذلك الموضع، وترك مملكته، فكان معهم زماناً، ثم قال لهم ذات يوم: عليكم السلام! فقالوا: ما لك رأيتَ منا شيئاً تكرهه؟ قال: لا. قالوا: فما يحملك على هذا؟ قال: أنتم تعرفوني، وأنتم تكرمونى لحالتى التى كنت عليها!

قال: فدخل مسلمة على عمر، وكان عون حَدَّثَه بهذا الحديث، فقال: ويحك يا مسلمة! أرأيت رجلاً حمل ما لا يطيق، ففر إلى ربه، هل ترى عليه بذلك بأساً؟ قال: تتقى الله يا أمير المؤمنين في أمة محمد، فوالله لئن فعلت لتقتلن بأسيافها! قال: ويحك يا مسلمة! حُمِّلْتُ ما لا أطيق، فرددها، وجعل مسلمة يناشده حتى سكن.

* * *

الحكاية السابعة والثلاثون بعد الأربعمائة
وصية أبي بكر عند وفاته إلى عمر

حدثنا أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن أبي بكر بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال: سمعت جدى أبا بكر بن سالم قال: لما حضر أبا بكر الموتُ أوصي: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا عهد من أبي بكر الصديق عند آخر عهده بالدنيا خارجاً منها، وأول عهده بالآخرة داخلاً فيها، حيث يؤمن الكافر، ويتقى الفاجر، ويصدق الكاذب، إني أستخلف من بعدى عمر بن الخطاب، فإن قَصَد وعدل، فذلك ظنى به، وإن جار

---

(١) التَّنَوُّق: العمل في الشيء بإحسان والإعجاب به.

وبدَّل، فالخير أردتُ، ولا أعلم الغيب، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾[1]، ثم بعث إلى عمر، فدعاه، فقال: يا عمر، أبغضك مبغض، وأحبك محب، وقدمـا تبغض الخير وتحب الشر. قال: فلا حاجة لى فيها!

قال: ولكن لها بك حاجة، قد رأيت رسول الله ﷺ وصحبته ورأيت أثرته أنفسنا على نفسه حتى إن كنا لنهدى لأهله فضل ما يأتينا منه، ورأيتنى وصحبتى، وإنما اتبعت أَثَر مَنْ كان قبلى، والله ما نمت، فحملت، ولا شبهت، فتوهمت، وإنى لعلى طريقى ما زغت، تعلم يا عمر أن لله تعالى حقًّا فى الليل لا يقبله فى النهار، وحقًّا فى النهار لا يقبله فى الليل، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة، باتباعهم الحق، وحُقَّ لميزان أن تثقل إلا يكون فيه إلا الحق، وإنما خفت موازين مَنْ خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل، وحُقَّ لميزان أن تخف لا يكون فيه إلا الباطل، إن أول مَنْ أُحَذِّرُك نفسك، وأحذرك الناس، فإنهم قد طمحت أبصارهم، وانتفخت أجوافهم، وإن لهم لحيرة عن زلة تكون، فإياك أن تكونه، فإنهم لن يزالوا خائفين لك فَرِقِين منك ما خِفْتَ من الله وفَرَقْته، وهذه وصيتى، وأقرأ عليك السلام.

وفى رواية أخرى زيادة: إن الله ذكر أهل النار، فذكرهم بأسوأ أعمالهم، ورَدَّ عليهم أحسنه، فإذا ذكرتهم قلتُ: إنى لخائف بأن أكون مِنْ هؤلاء، وإن الله ذكر أهل الجنة، فذكرهم بأحسن أعمالهم، وتجاوز عن سيئه، فإذا ذكرتهم قلتُ: إنى لخائف أن لا ألحق بهؤلاء!، وإن الله ذكر آية الرحمة مع آية العدل؛ ليكون المؤمن راغباً راهباً، فإن أنت حفظت وصيتى، فلا يكونن غائب أحب إليك من الموت، وهو آتيك، وإن أنت ضَيَّعْتَ وصيتى، فلا يكونن غائب أبغض إليك من الموت، ولست بِمُعْجِزِه.

* * *

الحكاية الثامنة والثلاثون بعد الأربعمائة

حكاية ذي القرنين مع شيخ حكيم

حدثنا عمر بن الحارث عن سعيد بن أبى هلال أنه بلغه أن ذا القرنين فى بعض مسيره دخل مدينة، فاستكف[2] عليه أهلها ينظرون إلى موكبه، الرجال والنساء والصبيان، وعندهم بها شيخ على عمل له، فمَرَّ به ذو القرنين، فلم يلتفت الشيخ إليه، فعجب ذو القرنين له، فأرسل إليه، فقال: ما شأنك؟ استكف الناس، ونظروا إلى موكبى، فما بالك أنت؟ قال: لم يعجبنى ما أنت فيه! إنى رأيت مَلِكًا مات فى يوم هو

---

(١) سورة الشعراء، الآية رقم: ٢٢٧.

(٢) استكفّ القومُ حول الشيء، أي: أحاطوا به ينظرون إليه.

ومسكين، ولِمَوْتانا موضع يُجْعَلون فيه، فأُدْخِلا جميعاً، فاطّلَعْتُهـما بعد أيام، وقد تغيَّرت أكفانهما، ثم اطلعتهما وقد تزايلت لحومها، ثم رأيتهما وقد تفصَّلت العظام واختلطت، فما أعرف المَلِكَ من المسكين، فما يعجبنى مُلْكُك، فلمَّا خرج استخلفه على المدينة.

* * *

الحكاية التاسعة والثلاثون بعد الأربعمائة

بغيتي حياة لا موت فيها

حدثنا الحارث بن محمد التميمى عن شيخ من قريش قال: مَرَّ الإسكندر بمدينة قد ملكها أملاك سبعة وبادوا، فقال: هل بقى من نسل الأملاك الذين ملكوا هذه المدينة أحد؟ قالوا: نعم، رجل يكون فى المقابر، فدعا به، فقال: ما دعاك إلى لزوم المقابر؟ قال: أردت أن أعزل عظام الملوك من عظام عبيدهم، فوجدت عظامهم وعظام عبيدهم سواء! فقال: هل لك أن تتبعنى، فأحيى بك شَرَف آبائك إن كانت لك هِمَّة؟ قال: إن همتى لعظيمة إن كانت بغيتى عندك. قال: وما بغيتك؟

قال: حياة لا موت فيها، وشباب ليس معه هرم، وغنى لا فقر معه، وسرور بغير مكروه. قال: لا. قال: فامض لشأنك، ودعنى أطلب ذلك ممن هو عنده، ويملكه. قال الإسكندر: هذا أحكم من رأيت.

* * *

الحكاية الأربعون بعد الأربعمائة

حكاية امرأة ترى أمها في المنام بعد وفاتها

حدثنا محمد بن يوسف الفريابى قال: كانت امرأة بقيسارية، فتوفيت، فرَأَتْ ابنة لها فى المنام كأن أمها أتتها، فقالت لها: يا بنية كفنتمونى بكفن ضيق، وأنا بين صواحباتى أستحيى منهن، وفلانة تأتينا يوم كذا وكذا، ولى موضع ذكرته أربعة دنانير، فاشتروا بها كَفَناً وابعثوا به إلىَّ معها!.

قالت البنت: ولم أعلم أن لها فى الموضع الذى ذكرت دنانير، قالت: فنظرت، فإذا الدنانير كما ذَكَرَتْ. قالت: ولم يكن بالمرأة التى ذَكَرَتْ بأس، فلما كان بعد اعْتَلَّتْ.

قال: فجاءونى، فقالوا: يا أبا عبد الله ما تقول، فقَصَّتْ علىَّ القصة، فذكرت الحديث الذى يروى عن عائشة أنهم يتزاورون فى أكفانهم[1]، قال: فقلت لهم: اذهبوا

---

(١) أورد ابن أبي شيبة فى المصنف جـ: ٢ ص: ٤٦٨، حـ: ١١١٣١ حدثنا بشر بن مفضل عن سلمة بن علقمة عن ابن سيرين قال: كان يحب حسن الكفن، ويقال: أنهم يتزاورون في أكفانهم. وعبد-

إلى رجلين من أصحاب الحديث بزازين، أحدهما يقال له ابن النيسابورى، والآخر يقال له أبو توبة - قال: - فاشتريا لها كَفَنًا.

قال: فذهبت البنت إلى المرأة، فقالت: إنى أريد أن أقول شيئاً إن حدث لك حَدَث الموت أن أَبْعَث إلى أمى بشىء تبلغيه. قال: فماتت فى ذلك اليوم الذى ذكرت، ووضعوا الكفن معها فى كفنها.

قال: فلما كان بعد ذلك اليوم رَأَتْ المرأةَ الابنةُ فى المنام، فقالت: يا بنية، قد أتتنا فلانة، ووصل إلىَّ الكفن، ما أحسنه - أو قالت: ما أوسعه - أما إنه جزاك الله خيراً.

* * *

الحكاية الحادية والأربعون بعد الأربعمائة

حال حبيب عند احتضاره

عن عبد الواحد بن زيد أن حبيباً أبا محمد جزع جزعاً شديداً عند الموت، فجعل يقول بالفارسية: أريد أن أسافر سفراً ما سافرته قط! أريد أن أسلك طريقاً ما سلكته قط! أريد أن أزور سيدى ومولاى، وما رأيته قط! أريد أن أشرف على أهوال ما شهدت مثلها قط! أريد أن أدخل تحت التراب فأبقى تحته إلى يوم القيامة، ثم أوقف بين يدى الله، فأخاف أن يقال لى: يا حبيب، هات تسبيحة واحدة سبَّحتنى فى ستين سنة لم يظفر بك الشيطان فيها، فماذا أقول؟ وليس لى حيلة، أقول: يا رب هو ذا قد أتيتك مقبوض اليدين إلى عنقى.

قال عبد الواحد: هذا عَبَدَ اللهَ ستين سنة مشتغلاً به، ولم يشتغل فى الدنيا بشىء قط! فأى شىء حالنا؟ واغوثاه بالله!.

* * *

الحكاية الثانية والأربعون بعد الأربعمائة

حكاية امرأة تذهب إلى الحج

حدثنا أبو بلال الأسود قال: خرجت حاجًا، فلما صِرْتُ فى بعض الطريق إذا أنا بامرأة ليس معها زاد ولا إداوة، فقلت لها: مِنْ أين أنت؟ فقالت: مِنْ بلخ؟ فقلت لها: ما أرى معك زاد ولا ما تحملين فيه الزاد؟! فقالت لى: خرج معى من بلخ عشرة دراهم

=الرزاق فى المصنف جـ: ٣ ص: ٤٣١، جـ: ٦٢٠٨ عبد الرزاق عن الثورى عن هشام عن ابن سيرين، قال: كان يقال: من ولى أخاه فليحسن كفنه، وإنه بلغني أنهم يتزاورون في أكفانهم. وأورد ابن حزم فى المحلى جـ: ٥ ص: ١١٣، عن ابن سيرين: كان يقال: من ولي أخاه فليحسن كفنه، فإنهم يتزاورون في أكفانهم.

قد بقى معى بعضها، فقلت لها: إذا نفدت ما تصنعين؟ فقالت: علىَّ هذه الجُبَّة فضل[١] أبيعها، وآخذ دونها وأنفق ما بين ذلك. قلت: فإذا فنى ما تصنيعين؟ قالت أبيع هذا الخمار، وآخذ دونه، وأنفق ما بين ذلك.

قلت: فإذا فنى ما تصنعين؟ قالت: يا بطال، أسأله، فيعطينى. قلت: ألا سألتيه قبل ذلك؟ قالت: ويحك! إنى أستحيى أن أسأله شيئاً من الدنيا، ومعى فضل مِنْ عَرَضِها!

قلت: اعتقبى على هذا الحمار عقبة، فقالت: دعه، فتركته معها، وتَخَلَّفْتُ لحاجة، فلما قضيت حاجتى أسرعت فى أثرها، فإذا الحمار واقف، والخُرْج مملوء، فرانى حوارى[٢] لم أرَ بحسنها، فطلبتها بعد ذلك، فما رأيتها.

* * *

الحكاية الثالثة والأربعون بعد الأربعمائة
معرفة الله سبيل النجاة

عن الفضيل بن عياض قال: يوقف رجل بين يدى الله عز وجل يكون معه حسنة، فيقول الله عز وجل له: اذهب وانظر هل تعرف أحداً من الصالحين حتى أغفر لك بمعرفته!

فيذهب، فيدور مقدار ثلاثين سنة، فلا يرى أحداً، فيرجع إلى الله تعالى، فيقول: يا رب، لا أرى أحداً.

فيقول الله عز وجل: اذهبوا به إلى النار، فتتعلق به الزبانية، فيجرونه، فيقع فى قلبه رحمة من الله عز وجل، فيقول: يا رب إن كنتَ تغفر لى بمعرفة المخلوقين، فإنى كنت أعرفك بوحدانيتك، أنت أحق أن تغفر لى!

فيقول الله تعالى للزبانية: رُدُّوا عبدى عارفى، فإنه كان يعرفنى، واخلعوا عليه خُلَع كرامتى، ودعوه يتبحبح فى رياض جنتى، فإنه عارف وأنا له معروف.

* * *

الحكاية الرابعة والأربعون بعد الأربعمائة
حكاية أعرابي عند قبر الرسول

عن محمد بن حرب الهلالى قال: دخلت المدينة، فأتيت قبر رسول الله ﷺ، فجاء أعرابى فزاره، ثم قال: يا خير الرسل، إن الله عز وجل أنزل عليك كتاباً صادقاً، قال

---

(١) زائدة.

(٢) نوع من الطعام.

فيه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾(١) وإنى جئتك مستغفراً إلى ربك من ذنوبى مستشفعاً بك، ثم بكى، وأنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والاكم
روحى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم استغفر، وانصرف، فرقدت، فرأيت النبى ﷺ فى نومى، وهو يقول: الْحَقْ الرجل، فَبَشِّرْه أن الله تعالى قد غفر له بشفاعتى.

* * *

الحكاية الخامسة والأربعون بعد الأربعمائة

عطاء السلمي وشربة السويق

عن صالح المرى قال: كان عطاء السلمى قد أضرَّ بنفسه حتى ضَعُفَ، فقلت له: إنك قد أضررت بنفسك، وأنا متكلف لك شيئاً، فلا ترد كرامتى.

فقال: أفعل، فاشتريت له سويقاً وسمناً، فجعلت له شُرَيْبَة، وأرسلت بها مع ابنى، وكوز من ماء، وقلت له: لا تبرح حتى يشربها، فرجع، فقال: قد شربها، فلما كان من الغد جعلت له نحوها، ثم سَرَّحْتُ بها مع ابنى، فرجع بها لم يشربها، فأتيته، فلُمْتُه، فقلتُ: سبحان الله! رددتَ علىَّ كرامتى، إن هذا مما يُعِينُك ويُقَوِّيك على الصلاة، وعلى ذِكْرِ الله.

قال: فلما رآنى قد وَجَدْتُ من ذلك قال: يا أبا بشر، لا يسؤك الله، قد شربتها أول ما بعثتَ بها، فلما كان الغد راودتُ نفسى على أن أسيغها، فما قدرت على ذلك، إذا أردت أن أشربها أذكر هذه الآية: ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾(٢). فبكى صالح عند هذا، وقال: قلتُ لنفسى: ألا آرانى فى وادٍ وأنت فى وادٍ آخر.

* * *

الحكاية السادسة والأربعون بعدالأربعمائة

حكاية رجل عابد من بني إسرائيل

عن زيد بن أسلم قال: كان فى بنى إسرائيل رجل قد اعتزل الناس فى كهف جبل،

---

(١) سورة النساء، الآية رقم: ٦٤.

(٢) سورة إبراهيم، الآية رقم: ١٧.

وكان أهل زمانه إذا قحطوا استغاثوا به، فدعا الله عز وجل، فسقاهم.

قال: فأتوه في بعض أمرهم، فإذا هو جالس وبيده عود يُقَلِّب به جماجم الموتى وعظامهم، فجلسوا ينتظرونه، وكرهوا أن يعجلوه عما هو فيه، فبينا هو كذلك صرخ صرخة، وسقط، فذهبوا ينظرون، فإذا هو ميت، فأكبروا ذلك، وحشدوا عليه بنو إسرائيل، وأخذوا في جهازه، فبينا هم كذلك إذا بسرير يرفرف في عنان السماء حتى انتهى إليه، فقام رجل من بني إسرائيل، فقال: الحمد لله الذي خَصَّه بما رأيتم، فأخذه، فوضعه على السرير، فارتفع السرير، والناس ينظرون إليه في الهواء حتى غاب عنهم. فقال بعض أحبارهم: سبحانك! ما أكرم المؤمن عليك[١]!.

* * *

الحكاية السابعة والأربعون بعد الأربعمائة

رؤيا رجل صالح

حدثنا الصلت بن زياد الحلبي - وكان من الصالحين - قال: رأيت ليلة من ليالي رمضان بعبادان كأن معي جماعة من أهل عبادان، ونحن نمضي إلى أمر، فانتهينا إلى باب قصرٍ عظيم فيه بستان أحسن ما رأى عين، وعليه خَلْق من الخلق وقوف، فلما انتهينا إلى القصر قال قائل: لا يدخل ها هنا إلا رجل مقيم بهذا البلد، فَتَنَحَّى مَنْ لم يكن مقيماً، ثم قال: يا رحمة - لرجل مقيم -، امْضِ إلى دار فضال فادع مَنْ بها، وادع مَنْ في دار الواسطيين، وادع مَنْ في دار كذا وكذا، لا يتخلفن أحد، فمضى، وانحشر الناس، فأذن لهم، فدخلتُ إلى شيء حار فيه بصري، وذهب بعقلي، ورأيت الأشجار عليها الآنية من الذهب والفضة مُعَلَّقَة، فيها أنواع الشراب، وجوارٍ عليهن ثياب من وَرِق يخطف البصر، فقال القوم الذين ليسوا من أهل البلد: ما لنا نُحْجَب ولا يُؤْذَن لنا؟! إذ وُضِعَ شيء يشبه المنبر طويل في السماء، فصعد عليه جوارٍ مزينات عطرات بأيديهن المجامر الألوة[٢]، فكثر ضجيج الرجال، وعلى الجواري ثيابٌ وَرِق من كل لون، إذ شرفت واحدة على الجميع، فقالت: هذا لمن هجر الزوجات، واختار الغُرْبات، وتجافى عن الضَّجعات، وجاد بنفسه، وسخى ببذل دمه، لا مع ولد يأنس، ولا مع زوجة يفرح، آثر دار المقام على الدنيا الفانية، أيها الغزاة ورب المعروف ليجلسكم من معروفه ما تَقَرُّ به أعينكم، ويُؤَمِّن به روعتكم، ثم قالت: يا قُرَّةَ العين تكلمي، فرفعت صوتها، ﴿وَحُورٌ

---

(١) هذه حكاية غريبة منكرة لا تصح.

(٢) عود البخور.

عِينٌ. كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ إلى قوله ﴿أَتْرَابًا. لأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾[١] ثم قال: لِيَهنكم كرامة الكريم ذى العرش المجيد، داوموا، فمن عنده المزيد، وهو الجواد الحميد، كَبِّرُوا فقد طلع النور، فانتبهت وأنا أُكَبِّر، وقد أضاء الفجر، فقمت، فتوضأت، ودخلت المسجد، فلما صليت إذا جماعة يُحَدِّثُون بمِثْل حديثى، ويقول هذا: يا فلان قد رأيتك فى موضع كذا وكذا، ورأيتك يا فلان فى موضع كذا وكذا، فإذا هى مثل رؤيا عين!.

* * *

الحكاية الثامنة والأربعون بعد الأربعمائة

الحارث المحاسبي وأحكام الغِيبَة

حدثنا بكر بن أحمد قال: سمعت يوسف بن أحمد يقول: سألت حارثًا المحاسبى عن الغيبة، فقال لى: احْذَرْها، فإنها شَرٌّ مُكْتَسَب اكتسبه العبد، ما ظنك بشىء يعثك على نسيان المِنَةِ، ويسلبك حسناتك حتى يرضاها خصماؤك، إذ ليس هناك درهم ولا دينار، وإنما أَخَذْتَ مِنْ أعراض المسلمين، فيؤخذ مِنْ دينك حسب ما أخذته من أعراضهم، فاحذر الغيبة، وتَعَرَّفْ منبعها مِنْ أين ينبع عليك؟ فإن منبع غيبة الهمج والجُهَّال من أشقاء الغيظ والحسد والحمية وسوء الظن وتلك مكشوفة غير خفية، وأما غيبة العلماء فمنبعها من خدعة النفس على إبداء النصيحة وتأويل ما لا يصلح من الخير، ولو صح ما كان عوناً على الغيبة حتى يقول القائل منهم: أليس قد رُوِىَ عن النبى ﷺ إنه قال: «أترعون عن ذكر الفاجر، اذكروه بما فيه يحذره الناس»[٢] ولو كان الخبر محفوظاً عن النبى ﷺ صحيحاً لم يكن فيه انتصار للنفس من العدو ولا إشفاء الغيظ، ولا إبداء شناعة على أخيك المسلم من غير أن تسأل عنه أو يأتيك مسترشداً، فيقول: أريد أُزَوِّج كريمتى من فلان، فتعرف منه بدعة، أو تخلفاً عن قصد السبيل، أو تجده غير مأمون على حرم المسلمين، فلا تحملك الدعة على أن تخون أخاك المسلم فى مشورته، بل تصرفه عنه بأحسن صرف، أو يجيئك آخر فيقول: إنى أودع مالى فلاناً، وليس ذلك الرجل مكان

---

(١) سورة الواقعة، الآيات ٢٢- ٣٨.

(٢) الحديث أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغيبة، والحكيم في نوادر الأصول، والحاكم في الكنى، والشيرازي في الألقاب، ابن عدي في الكامل والطبراني في الكبير والبيهقي في السنن والخطيب في التاريخ عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده وضعفه البيهقي والسيوطى، وفى كنز العمال عن روح بن مسافر عن يونس عن الحسن ذكر رجل عند الحسن فنال منه، فقيل له: يا أبا سعيد ما نراك إلا اغتبت الرجل، فقال: أي لكع هل غبت من شيء فيكون غيبة أيما رجل أعلن بالمعاصي ولم يكتمها كان ذكركم إياه حسنة تكتب لكم، وأيما رجل عمل بالمعاصي فكتمها الناس كان ذكركم إياه غيبة.

الوديعة، ولا موضعاً للأمانة، فلا تحملك الدَّعَة أن تُضَيِّع مال أخيك، بل تصرفه عنه بأحسن صرف، أو يقول لك رجل: أريد أصلى خلف فلان أو أجعله إمامى فى علم أُقَلِّدُه، فتصرفه على أحسن الوجوه، ولا تشف غيظك من عيبه.

وأما منبع الغيبة من القُرَّاء والنُّسَّاك فمن طريق التعجب، فإنه يُبْدِى عيوب إخوانه، ثم يقول: إنما أُبْدِى هذا تَعَجُّبًا، ويبدى عوارى[1] الأخ، ثم يتصنع بالدعاء فى ظهر الغيب، فيتمكن من لحم أخيه المسلم، ثم يتزين بالدعاء له، وأما منبع الغيبة من الرؤساء والأستاذين فذلك من طريق الرحمة والشفقة حتى يقول أحدهم: مسكين فلان ابْتُلِىَ بكذا وكذا، ووقع فى كذا وكذا، ونعوذ بالله من الخذلان، فيتصنع بإبداء الرحمة والشفقة على أخيه، ثم يتصنع بالدعاء له عند إخوانه، ويقول: إنما أبديت لكم ذلك لتكثروا دعاءكم له!.

ونعوذ بالله من الغيبة تعريضًا وتصريحا، فاتق يا بُنَيَّ الغيبة، فقد نطق القرآن بكراهيتها والنهى عنها، حتى جعلها كأكل الميتة، قال الله عز وجل: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾[2] الآية، وقد رُوِىَ عن النبى ﷺ فى هذا الباب أخبار كثيرة.

* * *

الحكاية التاسعة والأربعون بعد الأربعمائة

إليكِ عني

عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: خرج عطاء بن يسار وسليمان بن يسار حَاجَّيْن من المدينة، ومعهما أصحاب لهما، حتى إذا كانوا بالأبواء نزلوا منزلاً، فانطلق سليمان وأصحابه لبعض حاجتهم، وبقى عطاء قائماً يصلى فى المنزل، فدخلت عليه امرأة من الأعراب جميلة، فلما رآها عطاء ظن أن لها حاجة، فأوجز فى صلاته، ثم قال: ألك حاجة؟ قالت: نعم. قال: ما هى؟ قالت: قُمْ، فأصب منى ؛ فإنى قد ودقت[3]، ولا بَعْلَ لى، فقال: إليكِ عنى، لا تحرقينى ونفسك بالنار! ونظر إلى امرأة جميلة، فجعلت تراوده عن نفسه، وتأبى إلا ما يريد، فجعل عطاء يبكى، ويقول: ويحك! إليك عنى!

قال: واشتد بكاؤه، فلما نظرت المرأة إليه، وما دخله من البكاء والجزع بكت المرأة لبكائه، فجعل يبكى، والمرأة بين يديه تبكى، فبينا هو كذلك جاء سليمان من حاجته، فلما نظر إلى عطاء يبكى، والمرأة بين يديه تبكى فى ناحية البيت بكى لبكائهما، لا

---

(١) عوارى الشيء ما فيه من خلل وعيب.

(٢) سورة الحجرات، الآية رقم: ١٢.

(٣) تاقت إلى الزوج.

يدرى ما أبكاهما؟ وجعل أصحابهما يأتون رجلاً رجلاً، كلما أتى رجل فرآهم يكون جلس يبكى لبكائهم، لا يسألهم عن أمرهم، حتى كثر البكاء وعلا الصوت، فلما رأت الأعرابية ذلك قامت، فخرجت، فقام القوم، فدخلوا، فلبث سليمان بعد ذلك، وهو لا يسأل أخاه عن قصة المرأة إجلالاً له وهيبة.

قال: رؤيا رأيتها الليلة. قال: ما هى؟ قال: لا تخبر بها أحد ما دُمْتُ حيًّا، رأيت يوسف النبى عليه السلام فى النوم، فجئت أنظر إليه فيمن نظر، فلما رأيت حُسْنَه بكيت، فنظر إلىّ، فقال: ما يبكيك أيها الرجل؟ قلت: بأبى وأمى يا نبى الله، ذكرتك وامرأة العزيز، وما ابْتُلِيتَ به من أمرها، وما لقيت من السجن وفرقة الشيخ يعقوب، فبكيت من ذلك، وجعلت أتعجب منه، فقال ﷺ: فهلا تعجبت من صاحب المرأة البدوية بالأبواء، فعرفت الذى أراد، فبكيت، فاستيقظت باكياً.

قال سليمان: أى أخى، وما كان حال تلك المرأة؟ قال: فقص عليه عطاء القصة، فما أخبر بها سليمان أحدًا حتى مات عطاء، فحدَّث بها امرأة من أهله، قال: وما شاع هذا الحديث بالمدينة إلا بعد موت سليمان بن يسار.

قلت: هكذا رُوَى لنا فى حديث ابن أبى الدنيا أن هذه القصة جرت لعطاء، وحدثنا مصعب بن عثمان قال: كان سليمان بن يسار من أحسن الناس وجهاً، فدخلت عليه امرأة، فسألته نفسه، فامتنع عليها، فقالت له: ادن، فخرج هارباً من منزله، وتركها فيه.

قال سليمان بن يسار: فرأيت بعد ذلك يوسف عليه السلام فيما يرى النائم، وكأنى أقول له: أنت يوسف؟ قال: نعم، أنا يوسف الذى هممت، وأنت سليمان الذى لم تهم![1].

واعلم أن عطاء وسليمان كانا مَوْلَيَيْن لميمونة بنت الحارث زوج النبى ﷺ، وعطاء أكبر من سليمان، سمع عطاء من أُبَىٍّ بن كعب وابن مسعود وأبى أيوب وأبى هريرة وأبى سعيد وابن عمر وابن عباس وعائشة، وسمع سليمان من زيد وأبى هريرة وابن عمر وابن عباس وأم سلمة، ورويا جميعاً عن ميمونة، ويحتمل أن يكون كل واحد منهما جرى له قصة لنفسه، والله تعالى أعلم.

* * *

---

(١) هذه الرواية لا تصح، والنص قد يوحى بتفضيل سليمان الذى لم يهم على نبي الله يوسف ﷺ الذى هم، وهذا خطأ كبير وخلط يقع فيه كثير من المتصوفة.

الحكاية الخمسون بعد الأربعمائة

مشهد سفيان الثوري عند احتضاره

أخبرنا عبد الرحمن بن مهدى قال: نزل عندنا سفيان الثورى، وكنا ننام من هذا الليل أكثره، فلما نزل عندنا ما كنا ننام إلا أقله، فلما مرض سفيان مَرِضَ مَرَضَ البطن، فكنت أخدمه، فقلت له: يا أبا عبد الله، إنى أخدمك، وأدع الجماعة، فما ترى؟ قال: خدمة رجل من المسلمين ساعة أفضل من صلاة الجميع ستين عاماً!.

فقلت له: مِمَّنْ سمعتَ هذا؟ قال: حدثنيه عاصم بن عبيد الله بن عبد الله بن عامر عن عامر قال: لأن أخدم رجلاً من المسلمين على عِلَةٍ يوماً أحب إلىّ من صلاة الجميع ستين سنةً لا تفوتنى فيها التكبيرة الأولى.

قال ابن مهدى: فتَضَجَّرَ مما طالت علته، فقال: يا موت، ثم قال: ما أتمناه، ولا أدعوه، ولكن أقول: يا موت، يا موت، فلما حضر بكى، وجزع، فقلت له: يا أبا عبد الله، ما هذا البكاء؟ قال: لشدة ما نزل من أمر الموت، والله شديد يا عبد الرحمن.

قال: وكنت أنظر إلى عينيه يهطلان بالبكاء، وجبينه يعرق، فقال لى: مس جبهتى، فمسسته، فإذا هو يرشح عَرَقًا، فقال: الحمد لله، لقد حدثنى منصور وغيره عن هلال ابن يساف عن بريد الأسلمى أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن روح المؤمن تخرج رشحاً»[1]، وأنا أرجو يابن مهدى، ثم قال: تدرى مَنْ ألقى ويحك؟! ألقى مَنْ هو أرحم بالعبد من والدته الشفيقة الرفيقة، إنه الجواد الأكرم، يا عبد الرحمن، كيف لى أن أحب لقاءه، وأنا أكره الموت؟ قال عبد الرحمن: فبكيت حتى كدت أختنق، وجعلتُ أُسِرُّ البكاء عنه، ثم جعل يقول: أَوَّه! أَوَّه من ألم الموت! وما سمعته يقول: أَوَّه، ولا يئن إلا عند ذهاب عقله، ثم جعل يقول: مرحباً برسل ربى، مرحباً بالطيبين، ثم أغمى عليه، فظننت أنه قد قضى، ثم أفاق، فقال: يا عبد الرحمن، لَقِّنِّي قول: لا إله إلا الله، فجعلت أقول: لا إله إلا الله، فيقولها، فأكثرت عليه، فقال: كم تُكَرِّر؟ لا تزد على ثلاث، ثم أُغْمِيَ عليه، فظننت أنه قد قضى، فذهبت أمس عروقه، ففتح عينيه، فقال: يا عبد الرحمن، اقرأ؟ قلت: وما أقرأ؟ قال: اقرأ طاردة الشياطين مُحْضِرَة ملائكة الرحمة يس، فجعلت أقرأ حتى مررتُ ببعض الحروف، وأنا أبكى، فما أتمالك، فلحنت فيه، فقال لى - كأنه يكلمنى مرتين -: ارجع إلى الحرف الذى لحنت فيه، ثم قَوَّمَنِي فيه، ثم أُغْمِي عليه، ثم فتح عينيه، وشخص ببصره، وجعل أهلى وولدى يبكون، ويصرخون صراخاً لا يُسْمَع من خارج الدار، ثم رجع إليه ذهنه، فقال: ما هذا البكاء والصراخ؟ قلت: يا أبا عبد الله، رقه النساء.

---

(١) أخرجه الطبرانى عن ابن مسعود.

فقال: بارك الله عليكم! اسكتوا، ولا تبكوا، ولا تشقوا ثوباً، فإنه مِنْ فِعْل الجاهلية، وقولوا: يا سفيان ثَبَّتَك الله بالقول الثابت، ولَقَّنَك حجتك، وأنزل عليك ملائكة الرحمة، وأكثروا مِنْ هذا بعد أن أُقْضَى، وقولوا الآن: اللهم اجعلنا نتعظ بما نرى، ونوقن به.

قال عبد الرحمن: ثم قال لى: اذهب إلى حماد بن سلمة، فادعه لى، فإنى أحب أن يحضرنى، فذهبت إلى حماد، فقلت له: إن سفيان لَمًّا به[1]، فخرج مسرعاً ما عليه إلا إزار حافياً، حتى دخل عليه، وقد أغمى عليه، فلم يتمالك حماد أن دنا، فقَبَّلَ بين عينيه وبكى، وقال: بارك الله لك يا أبا عبد الله فيما تصير إليه، فلقد كنا بالأشواق إليك، ثم أفاق وهو يقول: الحمد لله الذى قضى على خَلْقِه الفناء، فقلت له: هذا حماد بن سلمة.

فقال: مرحباً بك يا أخى، ادْن منى، فدنا منه، وعيناه تهطلان، فقال: يا حماد، خُذْ حذرك من الله، واعرف هذا المصرع، فكأنه منك قريب، لا تدرى أينزل بساحتك فى صباحك أو فى مسائك؟!

فاتَّجَهْتُ أنا وحماد، ثم أغمى، ثم أفاق، فقال: يا حماد، اعقل وتَفَكَّرْ فى موقفك بين يدى الله عز وجل، يا حماد، لو رأيت أصحاب محمد ﷺ لَمَا هنأك العيش بعدهم، كانوا أسرع إلى الموت منه إليهم، وكانوا يظنون انهم يدخلون جهنم لا محالة، فرَقَّتْ قلوبهم، ودمعت أعينهم، وكأن الجنة منصوبة بين أيديهم، وكانوا يبيتون سُجَّدًا وقيامًا، نَعَتَهُم[2] الله فى كتابه أحسن النعت، ووصفهم أحسن الوصف، يا حماد، إياك والفخر والمكاثرة والرياء والعُجْب، فإنه لا يقوم مع هذه الخصال دِين، وكن متواضعاً رحيماً بالصغير ودوداً بالكبير، تُحِبُّ للناس ما تُحِبُّ لنفسك، فإذا خلوت فتفكَّر فيما تصير إليه، وأكثر من البكاء على نفسك، وانظر مِنْ أين كان مبدؤك؟ وإلامَ تصير؟ خُلِقْتَ من أمر ضعيف لأمرٍ شديد، لا يقوم له حجر ولا حديد، فإن نجوت منه، فأنت الفائز، وإن وقعت فيه، فأنتَ الشقى، وأى شقاء لا ينفد، وغم لا يفنى، وحريق لا يسكن، يا حماد إياك ومجالسة الأغنياء، فإنهم يُبَغِّضُون إليك عيشك، وإياك ومجالسة الكبراء، فإنهم يعلمونك من أخلاقهم، زاحم العلماء بركبتيك، وألن لهم الكلام، ولا تُحِدَّ النظر إليهم، وتواضع لهم، تستفد من خيرهم، وأين العلماء أولئك خَلَف الأنبياء الذين تخلوا من الدنيا، وتركوها لأهلها، واستقبلوا الآخرة، وإنما سُمُّوا العلماء لأنهم علموا حق الله عليهم وحق أنفسهم عليهم، فهربوا من النار، ورَجَوْا الجنة، وأبغضوا ما أبغض الله،

---

(١) أي نزل به، يعنى: الموت.

(٢) وصفهم.

وأحبوا ما أحب الله، يا حماد، إياك ومجالسة العلماء الراغبين ؛ فإنهم فتنة على مَنْ دنا منهم، يزيدون الجاهل جهلاً، ويفتنون العَالَم عن طلب الآخرة، أولئك الذين حذَّر رسول الله أمرهم، ونهى عن مجالستهم.

يا حماد، عليك بالصدق في مواطنك كلها ؛ فإنه يُعِزُّك الله به، وعليك بالصبر ؛ فإنه ملاك الدين، وعليك باليقين ؛ فإنه ذروة سنام الإسلام، الله الله في عِلْمِك، لا تبع به أحداً من المخلوقين، وَجِّهْه إلى مَنْ يقبل الصغير، ويعفو عن الكبير، اللهم هذه وصيتي.

وأُغْشِيَ عليه، فنظرنا، فإذا له عرق يضرب، وقد خرجت الروح من قدميه، ثم أفاق، وهو يقول: الحمد لله، إن المؤمن بكل خير على كل حال، إن روحه لتخرج من بين جنبيه، وإنه ليحمد الله عز وجل، الحمد لله الذي لا يُحْمَد على المكاره أحد سواه.

قال حماد: فقلت: قُلْ: لا إله إلا الله، فقالها، ثم قرأ هذه الآية: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾، ثم قرأ: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[1] ثم شخص، وهو يقرأ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاَعِبِينَ. مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾[2] حتى ختم الآية، ثم أمسك عن الكلام.

فقلت: قُلْ: لا إله إلا الله، فلم يجب، فأعدتها ثلاثاً، فقالها في الثالثة، وبكينا وبكى النساء، ثم شخص، فجعل يقول: مرحباً برُسُل ربي، ليسوا من الجن ولا من الإنس، انزلوا رحمكم الله!

قال ابن مهدي: فسمعت حماداً يقول: والله ما أظن هذا الشيخ يخلف له نظيراً في شرقها وغربها! ويحك ما صفاته إلا صفات الأنبياء، وجعل يبكي بكاء شديداً، فقلت: اسكن رحمك الله!، فاسترجع، وقال: ويحك! يا عبد الرحمن! فعلى مَنْ يبكي بعد هذا؟

قال: ثم صاح سفيان: يا عبد الرحمن، قلت: لبيك. قال: أدخلوني مما يلي القبلة، واحفروا لي قبرًا بربع دينار وحنوطاً بربع دينار وكفناً بنصف دينار، واغسل هذا الكساء الذي عليَّ فاجعله إزاري، وخَرِّق القميص الذي عليَّ، واغسله، واجعله قميصي، ولا تَزِرَّه عليَّ، ثم قال: لا تفعل هذا أنت يا بن مهدي، ولكن أخرجني إلى بعض المواضع، ولا يفطن بك، فتلقى مني مؤنة، وكَبِّرْ عليَّ أربع تكبيرات، ولا يتبعني صوت ولا مجمرة، ثم مات رحمه الله.

فالتفت إلى حماد، فقال: آجرك الله، وهو يبكي بكاءً شديداً، لا يتمالك، فقلت:

---

(١) سورة الأنعام، الآية رقم: ٢٨.

(٢) سورة الدخان، الآيتان رقم ٣٨، ٣٩.

وأنت فآجرك الله فيه، فمددت عليه ثوباً، وبكى النساء بكاءً شديداً يُسِرُّون ذلك.

فقلت لحماد: كيف ترى فيه؟ فقلت: أرى أن لا تحركه حتى نخرجه عن هذا الموضع بثيابه، كأنه إنما قدم فى هذا الوقت، فأدركه الموت فى هذا الموضع، ففعلنا ذلك، فمَرَّ الناس، فقالوا: مَيِّت، فاجتمعوا، فكشفوه، فتعرفوه، فقالوا: هذا الكوفى المطلوب، فبلغ السلطان، فظن الناس أن السلطان سيأخذه، فيأخذ رأسه، ويصلب بدنه، فخرجوا بالسلاح يريدون أن يقاتلوا عنه، فجاء السلطان، ففَرَّقَ الجمع، ودنا منه، وقَبَّل بين عينيه، وبكى بكاءً شديداً، وبكى النساء والصبيان، وخرج العواتق[1]، وتداعت البصرة بأكنافها[2]، ودعا السلطان الفقهاء، وقال: أشيروا علىَّ فيه، وكان حماد فيهم، فقال: أيها الأمير إنى أرى أن تُكَفِّنَه فى قميصه هذا وكسائه، ونغسله نحن، فإنى لا أشك إلا أنه كان يستحب ذلك.

فقال الأمير: أجيبك إلى هذا، وأُكَفِّنُه أنا بعد كما أريد، فتولى حماد غَسْلَه وجماعة من الفقهاء، فغسلوا قميصه وكساءه، وشَقُّوه، وألبسوه، وجعلوا الكساء إزاراً، ثم حُنِّطَ بالحنوط، ثم غلف بالغالية، ثم أُمِرَ بالبياض، فكُفِّنَ به، فقُوِّمَ بمائتين ديناراً، ثم حُمِلَ، فما وصلوا إلى المقبرة إلا عند المغرب، ثم صُلِّيَ عليه، ودُفِنَ.

قال عبد الرحمن: قال لى الفضيل بن عياض: صِفْ لى صفته، فوصفته له، فجعلت دموعه تسيل حتى ما أستبين من كلامه شيئاً، ثم قال: أتدرى مَنْ سفيان؟ ما وُجِدَ لسفيان نظير حتى ظهر، لقد كان إماماً فاضلاً، لقد أَدَّبَ ونصح وعَلَّم رحمه الله.

* * *

الحكاية الحادية والخمسون بعد الأربعمائة

عامل عمر على فداء الأسرى

عن إسماعيل بن أبى حكيم قال: بعثنى عمر بن عبد العزيز - حين وُلِّيَ - على الفداء، فبينا أنا أجول فى القسطنطينية إذ سمعت صوتاً يتغنى فيه وهو يقول:

أَرِقْتُ وغاب عنى مَنْ يلوم ... ولكن لم أنم أنا والهموم

كأنى مِنْ تَذَكُّر ما أُلاقى ... إذا ما أظلم الليل البهيم

سَلِيم مَلَّ منه أقربوه ... ووَدَّعه المداوى والحميم

وكم مِنْ نَحْره بين المنقا ... إلى أحد إذا ما جار ريم

---

(١) جمع عاتق، وهى الشابة التى أدركت ولم تخرج من بيت أبويها.

(٢) نواحيها.

إلى الحمـى مـن خَـدٍّ أسـيل نَقِـيّ اللـون ليـس بـه كُلـوم
يضـيء دُجـى الظـلام إذا ابتـدا كضـوء الفجـر منظـره وسـيم
فلمـا أن دنـا منـا ارتحـال وقَـرَّب ناجبـات السير كُـوم
أتـين مُوَدِّعـات والمطايـا على أكْوَارهـا خُـوص هجـوم
فقابلـة ومثنيـة علينـا تقـول ومـا لهـا فينـا حميـم
وأخـرى لهـا معنـا ولكـن تسـير وهـي راحمـة كظـوم
تعـد لنـا الليـالي نحتضنهـا متـى هـو حـائن منـا قـدوم
متـى تـر غفلـة الواشين عنـا تجـد بدموعها العين السجـوم

قال الزبير: - والشعر لنقيلة الأشجعي - قال إسماعيل بن أبي حكيم: فسألته حتى دخلت عليه، فقلت: مَـنْ أنـت؟ قـال: أنـا أبـو الوابضـي، أُخِذْتُ فعُذِّبْتُ، فجزعـت، فدخلت في دينهم، فقلت: إن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز بعثني في الفـداء، وأنـت والله أحب مَنْ افتديته إليّ إن لم تكن بطنت في الكفر. قال: قد والله بطنت في الكفر.

قلت له: أنشدك الله أسلم. فقال: أُسْلِـم وهذان ابناي، وقد تزوجت امـرأة، وهـذان ابناها، وإذا دخلت المدينة قال أحدهما: يا نصراني، وقيل لأمهم ولولـدي كذلـك، لا والله لا أفعل!.

فقلت له: قد كنتَ قارئاً للقرآن؟ قال: إني والله قد كنت مِنْ أقرأ القُرَّاء للقرآن.

قلت: فما بقي معك من القرآن؟ قـال: لا شـيء إلا هـذه الآيـة: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾[1].

* * *

الحكاية الثانية والخمسون بعد الأربعمائة
حكاية مصعب بن ثابت مع رجل في مسجد الرسول

عن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير - وكان مصعب يصلي في اليـوم والليلـة ألف ركعة، ويصوم الدهر - قال: بتُّ ليلة في المسجد بعد مـا خـرج النـاس منـه، فـإذا برجل قد جاء إلى بيت النبي ﷺ، ثم أسند ظهره إلى الجدار، ثم قال: اللهم إنك تعلم أني كنت أُمْسِي صائماً، ثـم أمسيت، فلـم أفطر علـى شـيء، وظللـت اليـوم صائمـاً، ثـم أمسيت، فلم أفطر على شيء، اللهم أمسيت أشتهي الثريد، فأَطْعِمْنِيه من عندك.

قال: فنظرت إلى وصيف داخل من خوخة المنارة، ليس في خِلْقَة وَصْف الناس، معـه

---

(١) سورة الحجر، الآية رقم ٢.

قصعة، فأهوى بها إلى الرجل، فوضعها بين يديه، وجلس الرجل يأكل، وحصبني[١]، فقال: هَلُمَّ، فجئته، وظننت أنها من الجنة، فأحببت أن آكل منها لقمة، فأكلت طعاماً لا يُشْبِه طعام أهل الدنيا، ثم احتشمت، فرجعت لمجلسي، فلما فرغ مِنْ أَكْلِه أخذ الوصيف القصعة، ثم أهوى راجعاً من حيث جاء، وقام الرجل منصرفاً، فتبعته لأعرفه، فلا أدري أين سلك؟ فظننته الخضر عليه السلام.

* * *

الحكاية الثالثة والخمسون بعد الأربعمائة
نصيحة أعرابي لسليمان بن عبد الملك

حدثنا علي بن محمد المدائني قال: قال عمر بن عبد العزيز لسليمان بن عبد الملك: إن بالباب يا أمير المؤمنين رجل له جرْم ولسان قال: أَدْخِلْه، فدخل، فقال له سليمان: مِمَّنْ الرجل؟ قال: مِنْ عبد القيسِ بن أَقصى، وإني مُكَلِّمُك يا أمير المؤمنين بكلام، فاحتمله وإن كرهته، فإن وراءه ما تُحِبُّ إن قَبلْتَه.

فقال: قُلْ يا أعرابي. فقال: يا أمير المؤمنين إنه قد اكتنفك رجال ابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسَخَط ربهم، خافوك في الله، ولم يخافوه فيك، خَرَّبُوا الآخرة، وعَمَّرُوا الدنيا، فهم حَرْب للآخرة سِلْم للدنيا، فلا تأْمَنهم على ما ائتمنك الله عليه، فإنهم نالوا الأمانة تَضْيِّعًا، والأُمَّة خَسْفًا[٢]، وأنت مسئول عما اجترحوا[٣] وليسوا بمسئولين عما اجترحت، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك، فإن أعظم الناس غُبْنًا بائع آخرته بدنيا غيره.

قال: فقال سليمان: أما أنت يا أخا ربيعة، فقد سَلَلْتَ لسانك، وهو أقطع من سيفك!

فقال: أَجَلْ، يا أمير المؤمنين، لك لا عليك.

قال: فهل من حاجة في ذات نفسك؟ قال: أما خاصة دون عامة فلا، ثم قام، فخرج، فقال سليمان: لله دَرُّه! ما أشرف أصْله! وأجمع قلبه، وأدرب لسانه! وأصدق نيته! وأورع نفسه! هكذا فليكن الشرف والعقل.

وقد رُوِيَتْ لنا من طريق عامر بن عبد الله بن الزبير قال: كتب سليمان بن عبد الملك، فدخل أعرابي، فقال له سليمان: تَكَلَّمْ. فقال له: إني مُكَلِّمُك بكلام، فاحتمله، وإن كرهتَه، فإن وراءه ما تحب إن قبلتَه.

---

(١) نظر إليَّ.

(٢) ظلمًا وهوانًا.

(٣) ارتكبوا من الخطايا والأوزار.

قال: إنا لَنَجُود بسَعَة الاحتمال على مَنْ لا يرجو نصحه، ولا يأمن عينه، فقُلْ.

فقال: يا أمير المؤمنين، أَمَّا إذا أَمِنْتُ بإدارة غضبك، فسَأُطْلِقُ لساني بما خرستْ به الألسن عن عظتك تأدية لحق الله وحق أمانتك، وذَكَرَ نحو ما روينا.

* * *

الحكاية الرابعة والخمسون بعد الأربعمائة

رسالة من الحسن إلى مكحول

حدثنا عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه قال: كتب الحسن ابن أبي الحسن إلى مكحول، وقد كان بلغة أنه تُوفِّيَ، ثم عُوفِيَ مِنْ عِلَّتِه: أما بعد، فقد كان بلغنا خبر ريع[1] له إخوانك، ثم أتانا تكذيب ما بلغ من الرضخ[2] الأول، فسَرَّنَا، وإن كان السرور به وشيك الانقطاع، متبعة عما قليل تصديق الخبر الأول، فهل أنت كائن كرجل ذاق الموت وعاين ما بعده، ثم سأل أنكره، فأسعف بطلبته، فهو متأهب في تقديم ما يَسُرُّه إلى دار قراره، يرى أنه ليس له إلا ما قَدَّمَ أمامه وبين يديه، وإنما المغبنون في هذه الدنيا مَنْ كان له مال قليل أو كثير، ولم يكن له منه زاد لآخرته، فاعلم أنك اليوم أقرب إلى الموت منك يوم تبعث إلينا، ولم يزل الليل والنهار دائبين في نَقْص الأعمار وطَي الآجال، حتى يفنيا مَنْ يختلفان عليه، قد صحا عاداً وثموداً وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيراً، فأصبحوا قد قَدِمُوا على ربهم، ووردوا على أعمالهم، وأصبح الليل والنهار غَضَّيْن جديدين، لم يبلهما ما أفنياه، ولم يمتهما ما مَرَّا به، مستعدين لمن بقي بمثل ما أصاب مَنْ مضى، وأنت شبيه بإخوانك ونظرائك، ومَثَلُك في الناس مَثَل رجل قُطِعَتْ أعضاؤه فلم يبق إلا حشاشة[3] نفسه، فهو ينطق الداعي صباح مساء، وأنا أستغفر الله أن أعظ بما لا أتغظ به، والسلام.

* * *

الحكاية الخامسة والخمسون بعد الأربعمائة

نصيحة أبي حازم إلى ابن شهاب الزهري

عن أبي بشر التميمي قال: لما أُفضَتْ الخلافة إلى هشام بن عبد الملك وَلَّى خاله إبراهيم بن هشام المخزومي من منابت الزيتون إلى منابت القرط[4]، فخرج إبراهيم بن

---

(١) من الروع، وهو الفزع.

(٢) والرَّضْخُ والرَّضْخة: الشيء اليسير تسمعه من الخَبَر من غير أن تَستَبينه.

(٣) الحُشاش والحُشَاشة: بقية الروح في المريض.

(٤) القِرْطُ، بالكسر: نَوْع من الكُرَّاثِ، يُعْرَفُ بكُرَّاثِ المائِدَةِ، وبالضم: نباتٌ كالرَّطْبَةِ.

هشام إلى عمله، فلما قارب المدينة خرج إليه أشرافها، فلم يبق بها أحد إلا استقبله، فحين استقرت به الدار سأل عن الناس: هل بقى أحد من أهل البيوتات وأهل المعرفة والفقه والدين؟ فأُخْبِرَ أنه لم يبق أحد إلا لقيه خلا أبى حازم الأعرج، فوَجَّه إليه، فأحضره، فقال له إبراهيم: يا أبا حازم، أكرمك الله! تَعْلَم بقدومى، وأنا خال أمير المؤمنين، وقد أَمَّرَنِى عليكم، وأنا رجل من قريش، ووالى الحَرَمَيْن، وإنه لم يبق أحد إلا وقد لقينى مُهَنِّئًا داعياً؟

قال أبو حازم: أيها الأمير، لم يكن لك أمر تحتاج إلىّ فيه، ولا لى حاجة إليك، فأسلكها، وفى النفس شغل، فأجَلَّه إبراهيم، ونظر إلى نحافته وضعفه، فقال له: يا أبا حازم، ما مالُك؟ قال: شيئان لا عَيْلَة[1] عليهما. قال: وما هما؟ قال: الرضا عن الله، والغنى عن الناس.

قال: فما طعامك؟ قال: الخبز والزيت. قال: أفلا تَسْأَمُهُمَا؟ قال: إذا سَئِمْتُهما تركتهما حتى أشتهيهما.

قال: ما النجاة مما نحن فيه؟ قال: هين حقير. قال: ما هو؟ قال: لا تأخذن شيئاً إلا من وجهه، ولا تمنعن أحداً من حقه.

قال: ومن يطيق ذلك؟ قال: مَنْ هَرَبَ من النار، وطلب الجنة.

فقال محمد بن شهاب الزهرى -وكان حاضراً-: إنه لجارى منذ أربعين سنة ما بدا لى منه كالذى بدا لى اليوم!

فقال له أبو حازم: لو كنتُ ذا مال لكنتَ [عندي] صباح مساء، فخجل الزهرى، وافترق المجلس، فلما صار أبو حازم إلى منزله كتب إلى الزهرى: أما بعد، فإنك أصبحت تبتغى لِمَنْ عرفك أن يرحمك، وأن يدعو الله لك، أصبحت شيخاً كبيراً، قد أثقلتك نِعَم الله عليك، فبما أطال من عمرك، وأبدى من فضلك، وفَقَّهَكَ فى دينه، وعَلَّمَكَ من كتابه، فرمى بك فى جميع ما أنعم الله به عليك الغرض الأقصى، أبدى فى ذلك فضلك، وابتلى فى ذلك شكرك، وقد قال جَلَّ جلاله: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾[2].

فانظر أى رجل تكون غداً إذا وقفت بين يدى الله، فسألك عن نعمه عليك، كيف رعيتها؟ وعن حججه عليك، كيف قضيتها؟ فلا تحسبن الله قابلاً منك التعذير، ولا

---

(١) فقر.

(٢) سورة إبراهيم، الآية رقم: ٧.

راضياً منك التقصير، لا تحسبك تقول: إنى عالم، فقد جادلت الناس، فجادلتهم، وخاصمتهم فخصمتهم، إدلالاً منك برأيك، واقتداراً منك بفهمك، هيهات! ليس كذلك أخذ الله على العلماء، إذ قال: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[(١)].

اعلم رحمك الله! أن أخف ما احتملت وأيسر ما ارتكبت إنك أنست وحشة الظالم بدنوك حين أُدْنِيتَ، وإجابتك إذا دُعِيتَ، وأخذك إذا أُعْطِيتَ ما ليس لمن أعطاك، اتخذوك قطبًا تدور به رحاء باطلهم، وسُلَّمًا وجسراً يعبرون عليه إلى ضلالتهم، يُدْخِلُون بك الشك على العلماء، ويقتادون بك قلوب الجهال، فلم تبلغ أخص وزرائهم بهم ولا أقوى أعوانهم لهم إلاَّ دون ما بلغتَ فى اجتلاب الخاصة والعامة عليهم، فما أيسر ما عَمَّروا لك فى جنب ما أخربوا عليك! وما أكثر ما أخذوا منك عندما أعطوك ما لك، رحمك الله! لا تنتبه من سِنَتِك، ولا تستقيل من عثرتك، فتقول: والله ما قمتُ لله مقاماً، فيجب له فيه وجهى، ولا أرغمت له فيه أنفى، ولا أحييت له فيه سُنَّة، ولا أَمَتُّ له فيه بدعة، فهكذا شكرك لمن استحفظك علمه، واستودعك كتابه، فما يؤمنك أن تكون من الذين قال الله: ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ. أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لاَ يَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾[(٢)].

انتبه يرحمك الله فقد أُتِيتَ، وتَخَلَّص فقد أُوحِلْتَ، ودَاوِ دينك، فقد دخله سَقَمٌ شديد، وهَيِّئْ زادك، فقد حضرك سفر بعيد، واعلم أنك تعامل مَنْ لا يجهل، ويحفظ عليك مَنْ لا يغفل، فانظر لنفسك، فإنه لا ناظر لها بعدك، ولن يخفى على الله شيء فى الأرض ولا فى السماء، وهو العزيز الحكيم.

* * *

الحكاية السادسة والخمسون بعد الأربعمائة

حكاية شيخ صوفي مع شاب خائف لله

حدثنا ذا النون المصرى قال: وُصِفَ لى رجل باليمن قد برز على الخائفين، وسما على المجتهدين، فخرجت حاجًّا، فلما قضيت مناسكى أتيته، فأقمت على بابه أنا وأناس معى، يطلبون منه مثل الذى أطلب، وكان فى الناس شاب من الزُّهَّاد مُصْفَرَّ اللون ناحل الجسم كأنه قريب عهدٍ بمصيبةٍ، فبينا نحن كذلك إذ خرج الشيخ إلى صلاة الجمعة،

---

(١) سورة آل عمران، الآية رقم: ١٨٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية رقم: ١٦٩.

فاتَّبَعْنَاه، واجتمعنا لِنُكَلِّمَه، فبدر إليه الشاب، فسَلَّمَ عليه، وصافحه، فأبدى له الشيخ التَّرَحُّب والبِشْرَ.

فقال له الشاب: رحمك الله! إن الله قد جعلك ومَثَلَك أطباء لأسقام القلوب، ومعالجين لأوجاع الذنوب، وبى جرح قد نغل[1]، وداء قد استكمل، فإن رأيت - رحمك الله!- أن تعالجنى ببعض مراهمك، وتتلطف لى برفقك.

فاتَّكَأَ الشيخ على عصاه، ثم قال: سَلْ عمَّا بدا لك يا شاب، فقال: ما علامة الخوف من الله؟ قال: أن يؤنسه خوف الله من كل خوف غير خوفه، فانتفض الفتى جَزِعاً، ثم خَرَّ مَغْشِيًّا عليه، فلم يزل كذلك ساعة، فلما آفاق من غشيته، أَمَرَّ يده على وجهه، ووثب، فقال: رحمك الله! متى يتيقن العبد خوفه من الله؟ قال: إذا أنزل نفسه من الدنيا بمنزله السقيم، فهو يحتمى من كل طعام مخافة السقام، ويصبر على مرارة الدواء مخافة طول الضنا[2]، فصاح الفتى، ثم خَرَّ مَغْشِيًّا عليه، ثم أفاق، فقال: ارفق بى يرحمك الله!

قال: سَلْ عمَّا بدا لك.

قال: ما علامة الحب لله، فانتفض الشيخ جزعاً، وجرت دموعه على خديه، ثم قال: يا حبيبى، إن درجة الحب درجة رفيعة.

قال: فأنا أحب أن تصفها لى.

قال: يا حبيبى، إن المحبين لله تعالى شَقَّ لهم عن قلوبهم، فأبصروا بنور القلوب إلى جلال عظمة الله، فصارت أبدانهم دنياوية، وأرواحهم حُجُبِيَّة، تشاهد الأمور باليقين، فعبدوه بمبلغ استطاعتهم لحبهم له، لا لجنة ولا لنار، فصاح الفتى، وخَرَّ مَيِّتًا، فأَكَبَّ الشيخ يُقَبِّله ويقول: هذا مصرع الخائفين، وهذه راحة المجهدين.

* * *

الحكاية السابعة والخمسون بعد الأربعمائة
أَحْسِنْ إلى مَنْ أساء إليك

حدثنا عبيد الله بن محمد التميمى قال: حدثنا أصحابنا أن رجلاً انقطع إلى كريم من الكرماء، فألحقه بحشمة، وكفاه مئونته، فلم يلبث أن بَطَرَ النعمة، فسعى بالكريم إلى الأمير، فجعل يخبره بما ليس من أخلاقه وما لا يشبهه.

---

(١) فسد.

(٢) الضَّنا: الهُزال والضَّعْف وأثر المرض.

فأرسل إليه الأمير، فذكر له ذلك، فأنكره، فقال: فلان يخبر عنك بذلك، فأزم[١] متعجباً، فقال له الأمير: ما لك؟ قال: أخاف أن أكون قَصَّرْتُ في الإحسان إليه، فحملته على مساوئ أخلاقه.

فقال الأمير: سبحان الله! ما أعجب ما بينكما من الطبع، أنت تحنو عليه، وهو يسعى في سفك دمك، أشهد أنك لكريم، وإنه للئيم.

قال: ثم أذن له في الانصراف، فلما وَلّى الرجل قال الأمير: أدام الله عيش مثلك في الناس، ما أخطأ القائل حيث يقول:

وكل مستخلق تصطلي عداوته ... بالمخلصين فثم الغمر والداء
ولن ترى من بيوت الخير مكرمة ... إلا لها من بيوت السوء أعداء

* * *

الحكاية الثامنة والخمسون بعد الأربعمائة

مِن العجائب في أيام الطاعون

حدثنا معدى عن رجل يكنى أبي البغيل، وكان قد أدرك زمن الطاعون، قال: كنا نطوف في القبائل، وندفن الموتى، فلما كثروا، لم نقوَ على الدفن، فكنا ندخل الدار قد مات أهلها، فنسد بابها.

قال: فدخلنا داراً، ففتشناها، فلم نجد فيها أحداً حيًّا، فسددنا بابها، فلما مضت الطاعون كنا نطوف في القبائل، ونتزع تلك السدد التي سددناها، فانتزعنا سدد ذلك الباب الذي دخلناه، ففتشنا الدار، فلم نجد فيها أحداً حيًّا، فإذا نحن بغلام في وسط الدار، طَرِي دهين كأنه أُخِذَ ساعتئذ من حجر أمه.

قال: فنحن وقوف على الغلام نتعجب منه، فدخلت كلبة من شِقِّ الحائط، فجعلت تلوذ بالغلام، والغلام يحبو إليها حتى مَصَّ من لبنها.

قال معدى: رأيت هذا الغلام في مسجد البصرة قد قَبَضَ على لحيته[٢].

* * *

---

(١) أزَمَ: عَضَّ بالفَمِ كُلّه شديداً

(٢) جاء في الأصل على لسان ابن الجوزي بعد هذه الحكاية: قلت: هذا جرى في طاعون الجارف، وكان بالبصرة، مات فيه لأنس بن مالك ثمانون ولداً، وكان أميرها يومئذ عبيد الله بن عبد الله ابن معمر، فماتت أُمُّه، فلم يجد من يحملها سوى أربعة أنفس، وكان وقوع هذا الطاعون في أربعة أيام، مات في اليوم الأول سبعون ألفاً، وفي اليوم الثاني واحد وسبعون ألفاً، وفي الثالث ثلاث وسبعون ألفاً، وأصبح الناس في الرابع موتى إلا آحاد.

الحكاية التاسعة والخمسون بعد الأربعمائة

معاذ بن عفراء يتصدق بكل ما معه

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: كان معاذ بن عفراء لا يدع شيئاً إلا تَصَدَّق به، فلما وُلِدَ له استشفعت عليه امرأته بأخواله، فكَلَّمُوه، وقالوا له: إنك قد أعيلت[1]، فلو جمعت لولدك. قال: أبت نفسي إلا أن أشترى بكل شيء أجده من النار، فلما مات ترك أرضاً إلى جنب أرض لرجل.

قال عبد الرحمن: وعليه ملآة صفراء ما تساوى ثلاثة دراهم: ما تسرنى الأرض بملآتى هذه، فامتنع وَلِيُّ الصبيان، واحتاج إليها جار الأرض، فباعها بثلاثمائة ألف.

* * *

الحكاية الستون بعد الأربعمائة

حكاية رجل تصدق على فقير

حدثنا سلام بن مسكين أن رجلاً كان يأخذ كل سنة وَكْرَ[2] طائر، فعَجَّا إلى الله عز وجل وشكيا إلى الرجل، فأوحى إليهما: إنى مُهْلِكُه، فخرج ذلك الرجل فى ذلك الوقت، فاستقبله مسكين، ومع الرجل غداؤه -يعنى أعطاه إياه-، ثم صعد، فأخذ فروخهما، فعَجَّا إلى الله عز وجل، فأوحى إليهما: أما علمتما أنى قد عهدت على نفسى أنى لا أهلك رجلاً تصدق فى يوم بصدقة.

وقد رويت لنا هذه الحكاية مرفوعة عن أبان عن الحسن عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «كان فيمن كان قبلكم رجل يأتى وكر طائر إذا فرخ يأخذ فرخه، فشكا ذلك الطائر على الله عز وجل، فأوحى الله تعالى إليه: إن هو عاد فسأهلكه، فلما أفرخ خرج ذلك الرجل كما كان يخرج، وأخذ سُلَّمًا، فلما كان فى طَرَفِ القرية لقيه سائل، فأعطاه رغيفاً من زاده، ثم مضى حتى أتى ذلك الوكر، فوضع سُلَّمَة، ثم صعد، فأخذ الفرخين، وأبواهما ينظران، فقالا: يا رب، إنك وعدتنا أن تُهْلِكَه إن عاد، وقد عاد، وأخذهما، ولم تهلكه؟ فأوحى الله عز وجل إليهما: أولم يعلما أنى لا أهلك أحداً تصدَّقَ فى يوم بصدقة ذلك اليوم لم يمسه سوء»[3].

قلت: وقد بلغنا نحو هذه الحكاية على صفة أخرى: إنه كان فى زمن سليمان بن

---

(١) أصبحت صاحب عيال.

(٢) عش.

(٣) أورد هذا الخبر المتقى الهندى فى كنز العمال، رقم: ١٦١١٦، وعزاه إلى ابن عساكر فى تاريخ مدينة دمشق، وهذه القصة من الإسرائيليات التى لا تصح.

داود عليهما السلام رجل له دار فيها شجرة، فآوت إليها ورشانة[1]، واتخذت فراخاً، فقالت زوجة الرجل له: اصعد إلى هذه الشجرة، وخُذْ الفراخ، فأطعمها أولادى، ففعل، فشكت الورشانة إلى سليمان، فدعا الرجل، وأوعده العقوبة، فقال الرجل: ما أعود.

ثم إن الورشانة باضت، وأفرخت، فقالت المرأة للرجل: خُذْ فراخها، فقال: إن سليمان نهانى، فقالت: أتظن أن سليمان يتفرغ لك ولهذه الورشانة؟! ذاك مشغول بمُلْكِه، فصعد، فأخذ الفراخ، فعادت الورشانة إلى سليمان شاكية، فغضب سليمان، ودعا شيطانين أحدهما من مطلع الشمس والآخر من مغربها، وقال: الزما شجرة كذا وكذا، فإذا عمد الرجل لأخذ الفراخ، فخذا رجليه، وشقاه إلى نصفين، وليلق أحدكما شقه بالمشرق، والآخر شقه بالمغرب، فذهبا، ولزما الشجرة، فلما دنا خروج الفراخ من وكرها عمد الرجل ليصعد الشجرة، فإذا سائل على الباب، فقال لامرأته: أعطيه شيئاً، فقالت: ما عندى.

فرجع الرجل، فوجد لقمة من خبز شعير، فدفعها إليه، ثم صعد، فأخذ الفراخ، فرجعت الورشانة إلى سليمان تشكو، فدعا الشيطانين، فقال: أعصيتمانى؟ فقالا: كلا غير أننا لزمنا الشجرة، وصعد الرجل فجاءه سائل، فأعطاه لقمة، ثم عاد ليصعد، فابتدرناه لنأخذه، فبعث الله تعالى إلينا مَلَكَيْن، فأخذ أحدهما بعنق أحدنا، فألقاه فى مطلع الشمس، وأخذ الآخر بعنق الآخر، فألقاه فى مغرب الشمس!.

* * *

الحكاية الحادية والستون بعد الأربعمائة
الصدقة سبب النجاة

حدثنا سلام بن مسكين عن ثابت، أن غلماناً مروا بعيسى بن مريم يحتطبون، فقال: لأصحابه إن بعض هؤلاء الغلمان يهلك، فما مكثوا إلا قليلاً حتى رجع الغلمان على رءوسهم تلك الحِزَم لم يهلك منهم أحد، فقالوا له: لم يهلك منهم أحد، فقال: ادعوهم، فدعوهم، فقال: ضعوا حزمكم، فوضعوها، فقال: حِلُّوها، فحلوها، فإذا فى حزمة أحدهم أسود[2] مزموم بشوكة، فقال له: ما عَمِلْتَ اليوم؟ فقال: لا شىء، إلا أن هؤلاء جاءوا بأغذيتهم، وبعض الغلمان لم يحمل غداءه، فشاركته فى غدائى.

* * *

(١) والوَرَشان: طائرٌ شِبْهُ الحمامةِ، وجمْعُه وِرْشانٌ، بكسر الواو وتسكين الراء، مثل كِرْوان جمع كَرَوان على غير قياس، والأُنثى وَرَشانةٌ.

(٢) ثعبان.

الحكاية الثانية والستون بعد الأربعمائة

من زهد الفاروق عمر

عن محمد بن قيس قال: دخل ناس على حفصة بنت عمر، فقالوا: إن أمير المؤمنين قد بدا لنا رقبته من الهزال، فلو كَلَّمْتِيه أن يأكل طعاماً هو ألين من طعامه، ويلبس ثياباً ألين من ثيابه، فقد رأينا إزاره مُرَقَّعًا برُقَع غير لون ثوبه، ويتخذ فراشًا ألين من فراشه، فقد أوسع الله على المسلمين، فيكون ذلك أقوى له على أمرهم، فبعثوا إليه بحفصة، فذكرت ذلك له، فقال: أخبريني بألين فراش فرشتيه لرسول الله ﷺ قط؟ قالت: عباءة كنا نثنيها له باثنتين، فلما غلظت عليه عملتها له بأربعة .

قال: فأخبريني بأجود ثوب لَبِسَه؟ قالت: نمرة صنعناها له، فرآها إنسان، فقال: اكسنيها يا رسول الله، فأعطاها إياه .

قال: ائتوني بقناع تمر، فأمرهم فنزعوا نواه، ثم قال: انزعوا تفاريقه، ففعلوا، ثم أكله كله، فقال: ترونى لا أشتهى الطعام، إنى لآكل السمن وعندى اللحم، وآكل بالزيت وعندى السمن، وأكل الملح وعندى الزيت، وأكل بحتاً وعندى ملح، ولكن صاحباى سلكا طريقاً، فأخاف أن أخالفهما، فيُخَالَفُ بى.

* * *

الحكاية الثالثة والستون بعد الأربعمائة

حكاية عالم من بني إسرائيل يطلب بعلمه الدنيا

حدثنا خالد الربعي قال: خالد الربعي كان فى بنى إسرائيل رجل قد قرأ الكتب، وإنه طلب بقراءته وعلمه الشَّرَفَ فى الدنيا، وإنه لَبِثَ كذلك حتى بلغ سِنًّا، فبينا هو ذات ليلة نائم على فراشه مُتَفَكِّر فى نفسه، فقال: هَبْ هؤلاء الناس لا يعلمون ما ابتدعت، أليس الله تعالى علم ما ابتدعت، وقد قرب أجلى، فلو أنى تبت، فتاب، فبلغ من اجتهاده أن خرج بترقوته فجعل فيها سلسلة، ثم أوثقها إلى سارية من سوارى المسجد، ثم قال: لا أبرح حتى يرى الله منى توبة أو أموت فى مكانى هذا، فأوحى الله تعالى إلى نبى من أنبيائهم فى شأنه: إنك لو كنت أصبت ذنباً فيما بينى وبينك تبت عليك بالغاً ما بلغ، ولكن كيف بمن أضللتَ، فأدخلتهم فى جهنم، فإنى لا أتوب عليك[1].

* * *

---

(١) هذه القصة من الإسرائيليات التى تتنافى مع ديننا الحنيف، والحمد لله الذى جعل باب التوبة مفتوحًا لعباده ما لم يشركوا به شيئًا.

الحكاية الرابعة والستون بعد الأربعمائة

الأحنف بن قيس يحكي منقبة لعمر بن الخطاب

حدثنا سلامة بن شيخ التيمى قال: قال الأحنف بن قيس: ما كذبت قط إلا مرة واحدة. قالوا: كيف ذاك يا أبا بحر؟ قال: وفدنا إلى عمر بفتح عظيم، فلما دنونا من المدينة قال بعضنا لبعض: لو ألقينا ثياب سفرنا، ولبسنا ثياب صوننا[1]، فدخلنا على أمير المؤمنين والمسلمين فى هيئة حسنة وشارة حسنة كان أمثل.

قال: فلبسنا ثياب صوننا، وأدخلنا ثياب سفرنا، حتى إذا طَعَنَّا[2] فىأوائل المدينة لقينا رجل، فقال: انظروا إلى هؤلاء أصحاب ذنب ورب الكعبة.

قال: وكنت رجل ينفعنى رأيى، فعلمت أن ذلك ليس موافقاً للقوم، فعدلت رأس راحلتى إلى ربعة[3] من ربائع المدينة، فأنختها، ثم أخرجت ثياب سفرى، وأدخلت ثياب صونى العيبة[4]، فأشرجتها[5]، وأغفلت طرف الرداء، ثم ركبت راحلتى، فلحقت أصحابى، فلما دفعوا إلى عمر نَبَتْ عيناه عنهم، ووقعت علىَّ، فأشار إلىَّ بيده، و قال: أين نزلتم؟ قلت فى مكان كذا وكذا . قال: أرنى يدك، فقام معنا، فانتهى إلى مناخ ركابنا، فجعلٍ يتخللها ببصرة، ثم قال: ألا اتقيتم الله فى ركائبكم هذه؟ أما علمتم أن لها عليكم حقًا؟ إلا قصدتم بها فى المسير؟ إلا خليتم عنها فأكلت من نبات الأرض؟

قلنا: يا أمير المؤمنين، إنا قَدِمْنَا بفتح عظيم، فأحببنا التسرع إلى أمير المؤمنين وإلى المسلمين بالذى يَسُرُّهم، فحانت منه التفاتة، فرأى عيبتى، فقال: لمن هذه العيبة؟ قلت: لى يا أمير المؤمنين. فقال: ما هذا الثوب؟ قلت ردائى. قال: فَبِكَم ابتعته؟ فألقيت ثلثى ثَمَنِه. فقال: إن رداءك هذا لَحَسَنٌ لولا كثرة ثَمَنِه، ثم انصرفَ راجعاً ونحن معه، فلقيه رجل، فقال: يا أمير المؤمنين، انْطَلِقْ معى، فأعدنى[6] على فلان، فإنه قد ظلمنى، فرفع الدِّرَّة، فخفق بها رأسه، فقال: تدعون أمير المؤمنين، وهو مُعْرِض لكم، حتى إذا اشتغل فى أمرٍ من أمور المسلمين أتيتموه: أعدنى أعدنى.

قال: فانصرف الرجل وهو يتذمَّر، فقال: علىَّ بالرجل، فألقى إليه المخففة، فقال:

---

(١) أي: الثياب التى تحفظ وتُصان. والصُّوان والصِّوان والصِيان: هو الوعاء الذى يُصان فيه الثوب.

(٢) سرنا.

(٣) الرَّبع: الدار والمحلة والمنزل.

(٤) وعاء يجعل فيه الثياب.

(٥) ربطتها بالشراج وهى العُرَى.

(٦) استعدى الأمير: أى: استعان به واستنصره.

امتثل[١] [فقال الرجل: لا] ولكن أدعها لله عز وجل ولك.

قال: ليس هكذا، إما إن تدعها لله تعالى إرادة ما عند الله، أو تدعها لى. قال: أَدَعُها لله تعالى.

قال: فانصرف، ثم جاء يمشي حتى دخل منزله، ونحن معه، فافتح الصلاة، فصلى ركعتين، ثم جلس، فقال: يا بُنَيَّ الخطاب، كنتَ وضيعاً فرفعك الله، وكنت ضالاً فهداك الله، وكنت ذليلاً فأعزك الله، ثم حملك على رقاب المسلمين، لَمَّا جاءك رجل يستعدى، فضربته، ما تقول لربك غداً إذا أتيته؟ قال: فجعل يعاتب فى صلاته تلك معاتبة حتى ظننا أنه من خير أهل الأرض.

* * *

الحكاية الخامسة والستون بعد الأربعمائة

حكاية العابد المتصدق برغيف

عن مسروق قال: إن راهباً عبد الله سبعين سنة، فأمطرت السماء له، فأصبحت الأرض مُخْضَرَّة، فنزل ينظر، فمَرَّتْ به امرأة، فأصاب بها، فوزنت حسناته وسيئاته، فرجحت سيئاته على حسناته، فمر به سائل، فأعطاه قُرْصَيْهِ - أو أحد قُرْصَيْه - فوزنت حسناته وسيئاته، فرجحت حسناته على سيئاته . قال: فكأنه غُفِرَ له.

وقد أخبرنا بهذه الحكاية عن معتب بن سمى قال: تعبد راهب من بنى إسرائيل ستين سنة قال: فنظر يوماً فى غيم سماء، فأعجبته الأرض، فقال: لو نزلتُ فمشيتُ فى الأرض، ونظرت فيها، فنزل ونزل معه برغيف، فعرضت له امرأة، فتكشفت، فلم يملك نفسه أن وقع عليها، فأدركه الموت وهو على تلك الحال. قال: وجاء سائل فأعطاه الرغيف، ومات بعمل ستين سنة، فوضع فى كفه وجيء بخطيئته، فوضعت فى كفه، فرجحت بعمله حتى جيء بالرغيف، فوضع مع عمله، فرجح بخطيئة.

* * *

الحكاية السادسة والستون بعد الأربعمائة

حكاية عابد من بنِي إسرائيل مع إبليس

عن منبه عن عمه وهب بن منبه قال: كان عابد من عباد بنى إسرائيل يعبد الله دهراً فى صومعته، فعف وزهد حتى شكته الشياطين إلى إبليس، فقالوا: فلاناً قد أعيانا، لا نصيب منه شيئاً!

---

(١) اقْتَص.

قال: فانتدب له إبليس بنفسه، فأتاه، فضرب ديره، فقال: مَنْ هذا؟ فقال: أنا ابن سبيل، افتح لي حتى آوى الليلة فى ديرك. قال له العابد: هذه قرى منك غير بعيدة، مِلْ إلى بعضها فائوِ إليها. قال: اتق الله، وافتح لى، فإنى أخاف اللصوص والسباع . قال: ما أنا بالذى أفتح لك، فسكت إبليس، ثم ضرب ديره، فقال: افتح لى. قال: مَنْ هذا؟ قال: أنا المسيح. قال: إن تكن المسيح فليس لى إليك حاجة، وقد بَلَّغْتَ رسالات ربك وموعدك الآخرة، فسكت إبليس، ثم ضرب ديره، فقال: افتح. قال: مَنْ أنت؟ قال: أنا إبليس. قال: ما أنا بالذى أفتح لك. قال إبليس: لك والله، ولك، ولك، وجعل يعاهده لا أعمل لك فى مضرةٍ أبداً، افتح. قال: فنزل، ففتح له الباب، فصعد إبليس، فجلس بين يديه، فقال: سَلْنِى عما شئتَ أخبرك. قال: ما لى إليك حاجة . قال: فقام إبليس، فولّى. قال: فناداه: أَقْبِلْ، قد بدا لى أن أسألك. قال: سَلْ. قال: أى شيء أعون لكم فى هلكة بنى آدم؟ قال: السُّكْر، فإنه إذا سَكَرَ لم يمتنع منا من شيء نريده، ثم لعبنا به كما تلعب الصبيان بالكرة. قال: وماذا؟ قال: والْحِدَّة، لو أن ابن آدم بلغ من عبادته ما يُحيي الموتى بإذن الله ما يئسنا أن نصيبه فى بعض غضبه. قال: وماذا؟ قال: والبخل. قال: نأتى ابن آدم، فنُقَلِّلُ نعمة الله عنده، ونُكَثِّرُ ما فى أيدى الناس حتى يبخل بحق الله فى ماله ؛ فيهلك.

* * *

الحكاية السابعة والستون بعد الأربعمائة

لن أكون فتنة للناس

أخبرنا بكار بن عبد الله أنه سمع وهب بن منبه يقول: أتى رجل من أفضل أهل زمانه إلى مَلِكٍ يفتن الناس على أكل لحوم الخنازير، فلما أُتِيَ به أعظم الناس مكانه وهالهم أمره، فقال له صاحب شرطة: ائتنى بجَدْى أذبحه مما يحل لك أكله وأعطنيه، فإن دُعِيَ بلحم الخنزير أتيتك به، فكُلْهُ، فذبح جَدْيًا، وأعطاه إياه، ثم أتى به الملك، فدعا بلحم الخنزير، فأتى صاحب الشرطة بلحم الجدى الذى كان أعطاه إياه، فأمره الملك بأكله، فأباه فجعل صاحب الشرطة يغمز إليه، ويأمره أن يأكله، ويُريه أنه اللحم الذى دفع إليه، فأمر الملك صاحب الشرطة أن يقتله، فلما ذهب به قالوا: ما منعك أن تأكل وهو اللحم الذى دفعتَ إلىَّ؟ أظننتَ أنى أتيتك بغيره ؟

قال: لا، قد علمتُ أنه هو، ولكنى خفت أن تفتن الناس بى، فإذا أُرِيدَ أحدهم على أكل لحم الخنزير، قال: قد أكله فلان، فأكون فتنة لهم، فقتل رحمه الله.

* * *

الحكاية الثامنة والستون بعد الأربعمائة

حكاية شاب تائب بعد وفاة والده

حدثنا صدقة بن سليمان الجعفري قال: كان لي شِرَّة[١] سَمِجَة، فمات أبي فأُبْتُ[٢] وندمتُ على ما فَرَّطْتُ، ثم زللتُ زَلّةً، فرأيت أبي في المنام، فقال: أي بني، ما كان أشد فرحي بك، فأعمالك تُعْرَضُ عليَّ، فيشبهها بأعمال الصالحين، فلما كانت هذه المرة استحييت حياءً شديداً، فلا تُخْزِني فيمن حولي من الأموات.

قال: فكان بعد ذلك قد خشع ونسك، وكان يقول: في دعائه في السَّحَر، وكان لنا جاراً بالكوفة، أسألك إنابة لا رجعة فيها ولا جور، يا مصلح الصالحين وهادي الضالين وراحم المذنبين.

* * *

الحكاية التاسعة والستون بعد الأربعمائة

حكاية زياد مع عمر بن عبد العزيز

حدثنا زياد بن أبي زياد المديني قال: أرسلني مولاي ابن عياش بن أبي ربيعة إلى عمر ابن عبد العزيز في حوائج له، فدخلت عليه، وعنده كاتب له يكتب، فقلت: السلام عليكم. فقال: وعليكم السلام، ثم انتبهت، فقلت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

فقال: يا بن أبي زياد إنا لسنا ننكر الأولى التي قلتَ، والكاتب يقرأ عليه مظالم جاءت من البصرة، فقال: لي اجلس، فجلست على أسكفة[٣] الباب، وهو يقرأ عليه، وعمر يتنفس الصعداء.

فلما فرغ أخرج مَنْ كان في البيت حتى وصيفاً كان فيه، ثم قام يمشي إليَّ حتى جلس بين يدي، ووضع يديه على ركبتي، ثم قال: يا بن أبي زياد استدفأتَ في مَدْرَعَتِك[٤] هذه؟ قال: وعليَّ مَدْرَعَة من صوف واسترحت مما بي فيه. ثم سألني عن صلحاء أهل المدينة رجالهم ونساءهم، فما ترك منهم أحداً إلا سألني عنه، وسألني عن أمور كان أمر بها بالمدينة، فأخبرته، ثم قال لي: يا بن أبي زياد، ألا ترى ما وقعتُ فيه؟

---

(١) نشاط وحرص ورغبة.

(٢) تُبتُ.

(٣) عتبة الباب.

(٤) جبة أو كساء من الصوف.

قال: قلت: أَبْشِرْ يا أمير المؤمنين، إني لأرجو لك خيراً. قال: هيهات هيهات! أَشْتِمُ ولا أُشْتَم، وأَضْرِبُ ولا أُضْرَبُ، وآذِى ولا أُوْذِى.

قال: ثم بكى حتى جعلت أرثى له، فأقمت حتى قضى حوائجى، وكتب إلى مولاى يسأله أن يبيعنى منه، ثم أخرج من تحت فراشه عشرين ديناراً، فقال: اسْتَعِنْ بهذه، فإنه لو كان لك في ألفى حق أعطيناك حقك، إنما أنت عبد، فأبيتُ أن آخذها، فقال: إنما هى من نفقتى، فلم يزل بى حتى أخذتها، وكتب إلى مولاى، فسأله أن يبيعنى منه، فأبى، وأعتقنى .

* * *

الحكاية السبعون بعد الأربعمائة

ثواب الصوم في يوم حار

عن أبى موسى الأشعرى قال: غزونا فى البحر، فبينا نحن نسير بريح طيبة، والشراع لنا مرفوع، إذ سمعت منادياً ينادى: يا أهل السفينة، قِفُوا أخبركم حتى والى بين سبعة أصوات.

قال أبو موسى: فقمت على صدر السفينة، فقلت: مَنْ أنت؟ وأين أنت؟ أو ما ترى أين نحن؟ وهل نستطيع وقوفاً؟ قال: فأجابنى الصوت: فقال: ألا أخبركم بقضاء قضاه الله على نفسه؟! قلت: بلى، أخبرنا. قال: فإن الله قضى على نفسه أنه من عطّش نفسه فى يوم حار كان حقًّا على الله أن يرويه يوم القيامة. قال: فكان أبو موسى يتوخى اليوم الشديد الحر الذى يكاد الإنسان أن يتسلخ فيه حرًّا، فيصومه.

ألفاظ الرواة تختلف والمعنى متقارب.

* * *

الحكاية الحادية والسبعون بعد الأربعمائة

مجاهد في سبيل الله يرى في منامه الحور العين

حدثنا أبو إدريس قال: قدم علينا رجل من أهل المدينة يقال: له زياد. قال: غزونا صقلية من أرض الروم، فحاصرنا مدينة قال: وكنا ثلاثة مترافقين أنا وزياد ورجل آخر من أهل المدينة، فإنا لمحاصروها يوماً وقد وَجَّهْنَا أحدنا ليأتينا بطعام، إذ أقبلت منجنيقة، فوقعت قريباً من زياد، فأصابت شظية منها ركبته، فأغمى عليه، فمكثنا زمانًا من صدر نهارنا لا يتحرك منه شيء، ثم افْتَرَّ[1] ضاحكاً حتى تبينت نواجده، ثم حمد، ثم ضحك

---

(١) أبدى أسنانه.

مرة أخرى، ثم بكى، ثم مكث ساعة، وأفاق، واستوى جالساً، فقال: ما لى هاهنا؟ فقلنا: أمَا تذكر المنجنيق حين وقع إلى جنبك؟! قال: بلى. قلنا: فإنه أصابك منه شيء، فأغمى عليك، ورأيناك صنعتَ كذا وكذا! قال: نعم، أخبركم أنه أُفْضِيَ بى إلى غرفة من ياقوتة أو زبرجد، وأفضى بى إلى فُرُشٍ موضونة[1] بعضها إلى بعض، بين يدى ذلك سماطان[2] من نمارق[3]، فلما استويت قاعداً على الفرش سمعت صلصلة حُلِىٍّ عن يمينى، فخرجت امرأة فلا أدرى أهى أحسن أو ثيابها أو حُلِيُّها، فأَخَذَت إلى طريق السماط، فلما استقبلتنى رَحَّبَتْ وسهَّلت، وقالت: مرحباً يا لحافى الذى لم يكن يسألنى الله عز وجل، وليست كفلانة - امرأته - فلما ذكرتها بما ذكرتها ضحكت، وأَقْبَلَتْ حتى جلست عن يمينى، فقلتُ: مَنْ أنتِ؟ قالت: أنا خود[4] زوجتك، فلما مددت يدى إليها قالت: على رِسْلِكَ، إنك ستأتينا عند الظهر، فبكيت، فحين فَرَغَتْ من كلامها سمعت صلصلة عن يسارى، فإذا أنا بامرأة مثلها، فوصف نحو ذلك، فصَنَعَتْ كما صنعت صاحبتها، فضحكت حين ذكرت المرأة، وقَعَدَتْ عن يسارى، فمددت يدى، فقالت: على رِسْلِكَ، إنك تأتينا عند الظهر، فبكيت .

قال: وكان قاعداً معنا يُحَدِّثُنا، فلما أَذَّنَ المؤذن مال، فمات .

قال عبد الكريم: كان رجل يحدثنى عن أبى إدريس المدنى، ثم قدم، فقال لى الرجل: هل لك فى أبى إدريس المدنى تسمعه منه، فأتيته، فسمعته.

* * *

الحكاية الثانية والسبعون بعد الأربعمائة
وصية مَيِّت بعد وفاته

عن شهر بن حوسب أن صعب بن جثامة وعوف بن مالك كانا متواخيين فقال صعب لعوف: أى أخى، أَيُّنَا مات قبل صاحبه فليترآى له، فقال: أَوَ يكون ذلك؟ قال: نعم.

فمات صعب، فرآه عوف فيما يرى النائم كأنه أتاه ، قال: فقلت: أى أخى، ما فُعِلَ بك؟ قال: غُفِرَ لى بعض المسايب. قال: ورأيت لمعة سوداء فى عنقه، فقلت: أى أخى،

---

(١) أي منسوجة بالدر والجوهر.

(٢) صَفَّيْن.

(٣) وسائد.

(٤) الخود: الحسنة الخَلْق، والشابة الناعمة.

ما هذا؟ قال: عشرة دنانير استسلفتها من فلان اليهودى، فهى فى قِرْنِى[(١)]، فأعطوها إياه، واعلم أى أخى، إنه لم يحدث فى أهلى حدث بعد موتى إلا وقد لحق خبره حتى هِرَّة لنا ماتت منذ أيام، واعلم أن ابنتى تموت إلى ستة أيام، فاستوصوا بها معروفاً.

قال: فلما أصبحت، قلت: إن فى هـذا لعلمـاً، فـأتيت أهلـه، فقـالوا: مرحبـاً مرحبًا بعوف، أهكذا تصنعون بتركة إخوانكم لم تقربنا منذ مات صعـب؟ قـال: فـاعتللتُ بما تعتل به الناس.

قال: ونظرت إلى القِرْن، فأنزلته، فأشلت ما فيه، فبدرت الصـرة التـى فيهـا الدنـانير، فبعثت إلى اليهودى، فجاء، فقلت: هل كان لك على صعب مال؟ قال: رحم الله صعبًا كان من جياد أصحاب محمد، هى له، قلـت: لتخبرنى. قـال: نعـم، استسـلفنى عشـرة دنانير، فنبذتها إليه، فقال: هى والله بأعيانها. قال: قلت: هذه واحدة .

قال: قلتُ هل حدث فيكم حدث بعد موته؟ قالوا: نعم، حـدث فينـا كـذا حـدث. قلت: اذكروا. قالوا: نعم هِرَّة ماتت لنا منذ أيام، قلت: هاتـان ثنتـان. قلـت: أيـن بنـت أخى؟ قالوا: تلعب، فأتيت بها، فمسستها فإذا هى محمومة، قلت: استوصوا بهـا خيـراً، قال: فماتت لستة أيام[(٢)].

* * *

الحكاية الثالثة والسبعون بعد الأربعمائة

حكاية مَلِك يتوب عن المعاصي والملاهي

حدثنا أبو بكر القرشى قال: سمعت عياد بن عباد المهلبى يذكر أن رجلاً مـن ملـوك أهل البصرة تَنَسَّكَ، ثم مال إلى الدنيا والسلطان، فبنى داراً وشيَّدها وأمر بها ففرشت له ونُجِّدَتْ، واتخـذ مـائده وصنـع طعامـاً، ودعـا النـاس فجعلـوا يدخلـون عليـه ويـأكلون ويشربون وينظرون إلى بنائه، ويتعجبون من ذلك ويدعون له ويتفرقون.

قال: فمكث بذلك زماناً حتى فـرغ مـن أمـر النـاس، ثـم جلـس ونفـراً مـن خاصـة إخوانه، فقال: قد ترون سرورى بدارى هذه، وقد حدَّثْتُ نفسـى أن أتخـذ لكـل واحـدٍ من ولدى مثلها، فأقيموا عندى أياماً أستمتع بحديثكـم وأشـاوركم فيمـا أريـد مـن هـذا

---

(١) القِرْن: جَعْبَة السهام.

(٢) في هذه الحكاية مخالفات شرعية لا تخفى علـى القـارئ، كـالحكم بـأن الأمـوات يعرفـون أحـوال الأحياء استشهادًا بتلك الرؤيه، والمعلوم أن مثل هذه الغيبيات لا يُقال فيها إلا بنص من كتاب الله أو من سُنَّة رسوله، كذلك معرفة الميت بأن ابنته ستموت بعد ستة أيام،..إلخ.

البناء لولدى، فأقاموا عنده أياماً يلهون ويلعبون ويشاورهم كيف يبنى لولده، وكيف يريد أن يصنع فبينا هم ذات ليلة فى لهوهم ذلك إذ سمعوا قائلاً يقول مِنْ أقاصى الدار:

يا أيها البانى الناسى منيته ... لا تأملن فإن الموت مكتوب

على الخلائق إن سروا وإن فرحوا ... فالموت حتف لذى الآمال منصوب

لا تبنين دياراً لست تسكنها ... وراجع النسك كيما يغْفَر الحُوب[1]

قال: ففزع لذلك، وفزع أصحابه فزعاً شديداً، وراعهم ما سمعوا من ذلك فقال لأصحابه: هل سمعتم ما سمعتُ؟ قالوا: نعم. فقال: هل تجدون ما أجد؟ قالوا: وما تجد؟ قال: أجد والله مُسْكَةً[2] على فؤادى، وما أراها إلا علة الموت.

فقالوا: كلا بل البقاء والعافية. قال: فبكى، ثم أقبل عليهم، فقال: أنتم أخلائى وإخوانى، فماذا لى عندكم؟ قالوا: مُرْنَا بما أحببت من أمرك.

قال: فأمر بالشَّرَابِ فأهريق، ثم أمر بالملاهى فأُحْرِقَتْ، ثم قال: اللهم إنى أشهدك ومَنْ حضر مِنْ عبادك أنى تائب إليك من جميع ذنوبى نادم على ما فرطت أيام مهلتى، وإياك أسأل إن أقلتنى أن تتم نعمتك علىَّ بالإنابة إلى طاعتك، وإن أنت قبضتنى إليك أن تغفر لى ذنوبى تَفَضُّلاً منك علىَّ.

واشتد به الألم، فلم يزل يقول: الموت والله، الموت والله، حتى خرجت نفسه، فكانت الفقهاء يرون أنه مات على توبة .

* * *

الحكاية الرابعة والسبعون بعد الأربعمائة
حكاية عبيد بن الأبرص مع جِنِّي في الصحراء

حدثنا أبو الجنيد اسمه الحسين بن خالد قال: خرج عبيد بن الأبرص فى بعض أموره ومعه أصحاب له، فإذا هو بشجاع[3] يتقلب فى الرمضاء[4]، فقالوا: يا عبيد، دونك الشجاع، فاقتله.

قال: هو إلى أن أسقيه من الماء أحوج. قالوا: يا عبيد، دونك الشجاع، فاقتله، وإلا قتلناه. قال: سأكفيكموه، فأخذ دواةً من ماء كانت معه، فصَبَّ له فشرب، ثم أخذ

---

(١) الذنب.

(٢) أثر وبقية.

(٣) ثعبان.

(٤) الرمل الملتهبة بحر الظهيرة.

فضلها، فصبَّه على رأسه، ومضى، فلما قضى سفره ضَلَّ به بَكْرَه[١]، فإذا هاتف يهتف به:

يا صاحب البَكْرِ المُضِلُّ مذهبه　　وليس معه ذو رشاد يصحبه
دونك هذا البَكْر منا فاركبه　　وبَكْرُك الدارج أيضاً فاجنبه
حتى إذا الليل تولى مغربه　　وسطع الصبح ولاح كوكبه
فحط عن رحله وسبسبه[٢]

قال: فالتفت فإذا هو ببَكْر، فشد عليه رحله، فلما قرب الصُّبْح عرف المكان، فقال:

يا صاحب البكر أُنجيتَ من ضَرَر　　ومن فنائى يُضَلُّ المُدْلَج الهادى
ألا أتيت لنا بالصبح نعرفه　　من ذا الذى جاد بالنعماء بالوادى
فارجع حميداً فقد بُلِّغْتَ مأمننا　　بوركت من ذى سنام رائح غادى
فأجابه أنا الشُّجاع الذى أبصرته رمضاً　　ومنزلى برة من مرودٍ صادى
فجُدْتَ بالماء لما ضَنَّ حامله　　أَرْوَيْتَ هامى ولم تبخل بأنكادى
الخير أبقى وإن طال الزمان به　　والشر أخبث ما أوعيت من زادى

وقد سمعت هذه الحكاية من طريق آخر، وفيه:

أنا الشُّجاع الذى أبصرته رَمَضًا　　فى ضحضح نازح تسرى به صادى

* * *

الحكاية الخامسة والسبعون بعد الأربعمائة
الجِنِّيُّ يَرُدُّ الجميل لمالك

قيل: خرج مالك بن خزيم الهمَذانى فى الجاهلية ومعه نفر من قومه يريدون عكاظ، واصطادوا ظَبْيًا فى طريقهم، وقد أصابهم عطش شديد، فانتهوا إلى مكان يقال له: أحيره، فجعلوا يفصدون دم الظبى، ويشربونه من العطش حتى إذا نفد ذبحوه، ثم تفرَّقوا فى طلب الحطب، ونام مالك فى الخِبَاء[٣]، فأثار أصحابه شُجَاعًا، فانساب حتى دخل خِباء مالك، فأقبلوا وقالوا: يا مالك، عندك الشجاع فاقتله، فاستيقظ مالك، فقال: أقسمت عليكم لَمَا كففتم عنه، فكَفُّوا، وانساب الأسود، فذهب، وأنشأ مالك يقول:

وأوصانى الحريم بعز جارى　　وأمنعه وليس به امتناع
فدىً لكم أى عنه تنحوا　　لشئ ما استجار بى الشجاع

---

(١) البَكْر: الفتى من الإبل.

(٢) السَّبسب: المفازة والأرض القفر.

(٣) خيمة.

ولا تتحملـــوا دم مستجيـــــر　　تضمنـــــه أجيـــره فالتـــــلاع

ثم ارتحلوا، وقد أجهدهم العطش، فإذا هاتف يهتف بهم، ويقول:

يـا أيهـا القــوم لا مــاء أمــامكم　　حتى تسوموا المطايا يومهـا التعبـا
ثم أعدلوا شامة فالمـاء عـن كَثَـبٍ　　عـين رواء ومـــاء يذهـب اللغبـا
حتى إذا ما أصبتم منـــه ريكـــم　　فاسقوا المطايا ومنه فاملئوا القربـا

قال: فعدلوا شامةً، فإذا هم بعين حوارة فى أصل جبل، فشربوا وسقوا إبلهم، وحملوا منهم رِيَّهم، ثم أتوا عكاظ، ثم انطلقوا، فانتهوا إلى موضع العين، فلـم يـروا شيئاً، وإذا هاتف يهتف:

يـا مـالِ -عنـى -جـزاك اللـه صالحـة　　هــذا وداع لكـــم منـــى وتســـليم
لا يزهدن فى اصطناع العرف من أحـد　　إن الــذى يُحْـــرَمُ المعـــروف محـــروم
أنـا الشـجاع الـذى أنجيـت مـن رَهَـقٍ　　شـكرت ذلـك أن الشـكر مقســـوم
مـــن يفعـــل الخيـــر لا يُعْـــدَم مَغَبَّتَه　　مـــا عاش والكفر بعد الغب مدمـــوم

وقد حدثنا بهذه الحكاية من طريق آخـر، وفيـه مذكـور، فطلـب القـوم العَيْـنَ، فلـم يصيبوها.

* * *

الحكاية السادسة والسبعون بعد الأربعمائة

حكاية عابد يؤثر الفقراء على نفسه

عن مِسْعَر أن عابداً كان يتعبد فى جبل، يُؤتَى كل يوم بقُوتِه قُرْصَيْن كان يأتيـه طير أبيض، فأتاه ذات يوم بقُوتِهِ، فجاءه سائل، فأعطاه أحد القرصين، ثـم أتـاه سـائل آخـر فكسر القرص الثانى نصفين، فأعطاه النصف، وأبقى لنفسه النصف، ثم قـال: والله مـا هذا النصف بالذى يغنى عني شيئاً ولا هذا النصف بـالذى يكفينـي، ولأن يشبع واحـد خير من أن يجوع اثنان، فسَلَّمَ القُرْص إلى السائل، وبات طاوياً، فأُتِيَ فـى منامـه، فقيـل له: سَلْ، فقال: أسأل المغفرة. فقيل له: إن هذا شيء قد أُعْطِيتَه، فسَلْ . قـال: أسـأل أن يُغَاث الناس، وكان عام جَدب، فأُغِيثُوا .

* * *

الحكاية السابعة والسبعون بعد الأربعمائة

حكاية الدَّعوات السبع

حدثنا رجاء بن سفيان قال: كان رجل على عهد عبد الملك بـن مـروان أخافـه عبـد

الملك، فجعل يَسِيحُ فى البلاد، ولا يؤْوِيه أحد، فبينا هو فى سياحته إذا هو برجل فى حفرة أو رداء يصلى، فلما رآه يُطِيل الصلاة استأنس به، فجاء حتى قام خلفه، فصلّى ركعتين، ثم قعد، فصلى الآخر، ثم أقبل عليه، فقال: يا عبد الله، منْ أنت؟ أو ما أنت؟ قال: أنا رجل من هؤلاء الناس قدأخافنى هذا الخليفة، وطردنى، فليس أحد يؤوينى، وأنا شيخ كما ترى.

قال: فأين أنت عن السَّبْعِ؟ قال: أىُّ سَبْعٍ؟ قال: أن تقول: سبحان الواحد الذى ليس غيره إله، سبحان الدائم الذى لا نفاد له، سبحان القديم الذى لا ند له، سبحان الذى يحيى ويميت، سبحان الذى هو كل يوم فى شأن، سبحان الذى خلق ما يُرَى وما لا يُرَى، سبحان الذى عَلَّمَ كل شىء من غير تعليم، اللهم إنى أسألك بحق هؤلاء الكلمات وحرمتهن أن تفعل بى كذا وكذا.

قال: فأعادهن عليه حتى حَفِظَهُنَّ، وفقد صاحبه من مكانه، وأُلْقِىَ الأمن فى قلبه، فخرج من فوره ذلك حتى أتى عبد الملك، فاستأذن عليه، فأذن له، فلما رآه قال: أو قد تعلمتَ علىَّ السِّحْر أيضاً؟! قال: لا، والله يا أمير المؤمنين، ما تعلمتُ عليك سِحْراً، ولكنه كان من شأنى كذا وكذا، فأخبره بالذى كان منه فأجازه، وكساه .

* * *

الحكاية الثامنة والسبعون بعد الأربعمائة
حكاية الفارس والصياد والحَوَّارىّ

عن عبد الصمد بن معقل قال: سمعت وهب بن منبه يقَول: كان عابداً من عُبَّاد بنى إسرائيل يعبد الله فى صومعة له، وحَوَّار[1] يحور الثياب فى نهر أسفل الصومعة، فجاء فارس، فنزل ونزع ثيابه، وحل همیانه[2]، واغتسل. والراهب يراه، ثم خرج، فلبس ثيابه، واستوى على فرسه، ومضى، وجاء صياد فى يده شبكة يتصيد السمك، فرأى همیانه، فأخذه، ومضى، فرجع الفارس، فقال للحَوَّارِ: همیانى نسيته هاهنا؟ قال: ما رأيتُ شيئاً، فسَلَّ سيفه، وقتله، فكاد الراهب يُفتتن، ثم قال: إلهى وسيدى، أَيَأْخُذُ الصياد الهميان ويُقْتَل الحَوَّارُ، فلما أن كان الليل أوحى الله إليه فى منامه: أيها العبد الصالح لا تفتتن، ولا تدخل فى علم ربك، فربُّك يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريدان، هذا الفارس قتل أبا الصياد، وأخذ ماله، وهذا الحَوَّار كانت صحيفته مملوءة بالحسنات، ولم يكن له عند ربه إلا سيئة واحدة، وهذا الفارس كانت صحيفته مملوءة بالسيئات، ولم

---

(١) الحَوّارِيُّ: مُبيِّض الثياب.

(٢) كيس النقود.

يكن له إلا حسنة واحدة، فلما قَتَلَ هذا الحوار محيت حسنته وسيئة الحَوَّار، ورجع المال إلى صاحبه.

* * *

الحكاية التاسعة والسبعون بعد الأربعمائة

حكاية راهبة العابدة وابنها عثمان

حدثنا عثمان بن سودة الطفاوى قال - وكانت أُمُّهُ امرأة من العابدات، وكان يقال لها راهبة - قال: لما احْتُضِرَتْ رَفَعَتْ رأسها إلى السماء، فقالت: يا ذخرى وذخيرتى، ويا من عليه عمادى فى حياتى وبعد موتى، لا تخذلنى عند الموت، ولا توحشنى فى قبرى. قال: فماتت، فكنت آتيها فى كل جمعة وأدعو وأستغفر لها ولأهل القبور.

قال: فرأيتها ليلة فى منامى، فقلت لها: يا أُمَّاه، كيف أنتِ؟ فقالت: أى بُنَىَّ، إن الموت لكرب شديد، وأنا بحمد الله لفى برزخ محمود، يفترش فيه الريحان، ويتوسد فيه السندس والإستبرق إلى يوم النشور، فقلت: ألكِ حاجة؟ قالت: نعم. قلت: ما هى؟ قالت: لا تَدَعْ ما كنت تصنع من زيارتنا والدعاء لنا، فإنى لأُسَرُّ بمجيئك يوم الجمعة إذا أقبلت من أهلك، يقال لى: يا راهبة، هذا ابنك قد أقبل، فأُسَرُّ ويُسَرُّ بذلك مَنْ حولى من الأموات .

* * *

الحكاية الثمانون بعد الأربعمائة

حكاية رجل يجاهد فى سبيل الله

حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية قال: قال رجل ونحن نسير بأرض الروم: أَخْبِرْ أبا حازم شأن صاحبنا الذى رأى فى العنب ما رأى، فقال الرجل لعبد الرحمن: أَخْبِرْه أنت، فقد سمعت منه الذى سمعت.

قال عبد الرحمن بن يزيد: مررنا بكَرْمٍ[1]، فقلنا له: خُذْ هذه السُّفْرَة، فاملأها لنا من هذا العنب، ثم أَدْرِكْنَا بها فى المنزل. قال: فلما دخل الكَرْمَ نظر امرأة على سرير من ذهب من الحور العين، فغض عنها بصره، ثم نظر ناحية الكَرْمِ فإذا هو بأخرى مثلها، فغض عنها، فقالت له: انْظُرْ، فقد حَلَّ لك النظر، فإنى والتى رأيتَ زوجاتاك مِنْ الحور العين، وأنت آتينا من يومك هذا، فرجع إلى أصحابه، ولم يأتهم بشىء، فقلنا له: مالك أجبنت؟ ورأينا به حالاً غير الحال التى فَارَقْنَا عليها من نور وجهه وحُسْنِ حاله،

---

(١) شجر العنب.

فسألناه: ما منعك من ذلك، فاستعجم علينا حتى أقسمنا عليه، فقال: لَمَّا دخلت الكَرْمَ، فقص القصة، فما أدرى أكان ذلك أسرع، أم أن استفر الناس للعدو، فكان أول الناس استشهد رحمه الله .

* * *

الحكاية الحادية والثمانون بعد الأربعمائة

حكاية أصحاب القبور الثلاثة

حدثنا عبد الله بن صدقة عن مرداس البكرى عن أبيه قال: نظرت إلى ثلاثة أَقْبُر على شَرَفٍ[1] من الأرض مما يلى بلاد أنطابلس فإذا على أحدهم مكتوب:

وكيف يلذ العيش من هو عالم ... بأن إله الخلق لابد سائله
فيأخذ منه ظُلْمَه ويجزيه ... بالخير الذى هو فاعله

قال: وإذا على القبر الثانى:

وكيف يلذ العيش من كان موقناً ... بأن المنايا بغتةً ستعاجله
فتسلبه ملكاً عظيماً ونخوةً ... وتسكنه البيت الذى هو آهِلُه

وإذا على القبر الثالث إلى جنبهما:

وكيف يلذ العيش من كان صائراً ... إلى جَدَثٍ تُبْلِى الشبابَ مناهِلُه
ويذهب رسم الوجه من بعد صوته ... سريعاً ويبلى جسمه ومفاصله

قال: وإذا هى قبور مُسَنَّمَة[2] على قدر واحد مُصْطَفَّه بعضها إلى جنب بعض.

قال: فلما نزلت القرية التى كانت فى القُرْبِ منها قلتُ لشيخ جلستُ إليه: لقد رأيت فى قريتكم عَجَبًا! قال: وما رأيت؟ فقصصت عليه قصة القبور . قال: فحديثهم أعجب مما رأيت على قبورهم. قال: فقلت: حَدِّثْنِى.

قال: كانوا ثلاثة إخوة أمير يصحب السلطان، ويُؤَمَّر على المدائن والجيوش، وتاجر مُوسِرٍ مُطَاعٍ من لجأ جنبه، وزاهد قد تَخَلَّى لنفسه، وتَفَرَّدَ بعبادته.

قال: فحضرت أخاهم العابدَ الوفاةُ، فاجتمع عنده أخواه، وكان الذى يصحب السلطان منهم قد وَلِىَ بلادنا هذه أَمَّرَه عليها عبد الملك بن مروان، وكان ظالماً غشوماً متعسفاً، فاجتمعا عند أخيهما لما احْتُضِرَ، فقالا له: ألا تُوصِى؟ قال: لا، والله ما لى من

---

(١) مكان عالٍ.
(٢) مُعَلَّمَة.

مال، فأوصى فيه، ولا لى على أحد دَيْنٌ، فأوصى به، ولا أخلف من الدنيا شيئاً فأُسْلَبه، فقالَ له أخوه ذو السلطان: أى أخى، قُلْ ما بدا لك، فهذا مالى بين يديك، فـأَوْصِ منه بما أحببتَ، وأَنْفِذْ منه ما بدا لك، واعْهَدْ إلىَّ بما شئتَ. قال: فسكتَ.

فقال أخوه التاجر: أى أخى، قد عرفت مكسبى وكثرة مالى، فلعل فى قلبك غَصَّة من الخير لم تكن تبلغها إلا بالإنفاق فيها، فهذا مالى بين يديك، فاحكم فيه بما أحببتَ ينفذه لك أخوك، فأقبل عليهما، فقال: لا حاجة لى فى مالكما، ولكنى سأعهد إليكما عهداً، فلا تخالفا عهدى. قالا: اعْهَدْ. قال: إذا مِتُّ فغسلانى وكفنانى وادفنانى على نُشُزٍ من الأرض، واكتبا على قبرى:

وكيف يلذ العيش من هو عالم ... بأنه إله الخلق لا بد سائله
فيأخذ منه ظلمه لعباده ... ويجزيه بالخير الذى هو فاعله

فإذا أنتما فعلتما ذلك فائتيانى كل يوم مرةً لعلكما أن تتعظا. قال: ففعلا ذلك لَمَّا مات. قال: فكان أخوه يركب فى جنده حتى يقف على القبر، فينزل، فيقرأ ما عليه ويبكى[1] فلما كان فى اليوم الثالث جاء كما كان يجيء مع الجنود، فنزل وبكى كما كان يبكى، فلما أراد أن ينصرف سمع هَدَّةً من داخل القبر كاد أن يتصدع لها قلبه، فانصرف مذعوراً فَزِعًا وَجِلاً، فلما كان الليل رأى أخاه فى منامه، فقال: أى أخى، ما الذى سمعتُ من قبرك. قال: تلك هَدَّة المقمعة. قيل لى: رأيت مظلوماً، فلم تنصره. قال: فأصبح مهموماً، فدعا أخاه وخاصته، و قال: ما أرى أخى أراد بما أوصانا أن نكتب على قبره غيرى، وإنى أشهدكم أنى لا أقيم بين ظهرانيكم أبداً. قال: فترك الإمارة، ولزم العبادة، وكتب إلى عبد الملك بن مروان فى ذلك، فكتب: أَنْ خَلُّوه وما أراد.

قال: فكان إنما يأوى الجبال والبرارى حتى حضرته الوفاة فى هذا الجبل، وهو مع بعض الرعاة، فبلغ أخاه ذلك، فأتاه، فقال: أى أخى، ألا توصى . قال: بِمَ أوصى؟ ما لى مال فأوصى به، ولكن أعهد إليك عهداً، إذا أنا مِتُّ فَبَوِّئْنِي قبرى، فادفنى إلى جنب أخى، واكتب على قبرى:

وكيف يلذ العيش من كان موقناً ... بأن المنايا بغتةً ستعاجله
فتسلبه ملكاً عظيماً ونخوةً ... وتسكنه القبر الذى هو آهله

ثم تعاهدنى ثلاثاً بعد موتى، فادع لى، لعل الله عز وجل أن يرحمنى.

---

(١) يعنى: يقرأ ما على القبر من الكتابة.

قال: فمات ففعل به أخوه ذلك، فلما كان فى اليوم الثالث من إتيانه إياه، فدعا له، وبكى عند قبره، فلما أراد أن ينصرف سمع وجبة من القبر كادت تُذْهِل عقله، فرجع مقلقلاً، فلما كان من الليل، إذا بأخيه فى منامه قد أتاه .

قال: ذلك الرجل فلما رأيت أخى وثبت إليه، فقلت: أخى، ائت زائرًا. فقال: هيهات يا أخي، بَعُدَ المزار فلا مزار، واطمأنت بنا الدار، قلت: أي أخي، كيف أنت؟ قال: بخير، ما أجمعَ التوبةُ! لكلٍّ خير. قال: فقلت: فكيف أخى ذاك؟ قال: ذاك مع الأئمة من الأبرار.

قال: فقلت: فما أمرنا قِبَلَكُمْ ؟ قال:

مَنْ قَدَّمَ شيئاً من الدنيا وجده فاغتنم وجدك قبل فقدك

قال: فأصبح أخوه معتزلاً للدنيا قد انخلع، ففَرَّقَ ماله، وقسَّمَ رباعه، وأقبل على طاعة الله عز وجل. قال: ونشأ له ابن كأَهْيَإِ الشباب وجهاً وجمالاً، فأقبل على التجارة حتى بلغ منها، وحضرت أباه الوفاة، فقال له ابنه: يا أبة، ألا توصى؟ فقال: يا بنى، والله ما لأبيك مال فيوصى به، ولكن أعهد إليك عهداً، إذا أنا مِتُّ، فادفنى مع عمومتك، واكتب على قبرى هذين البيتين:

وكيف يلذ العيش من هو صائر إلى حدث تُبْلِى الشبابَ منازلُه
ويذهب رسم الوجه من بعد صوته سريعاً ويبلى جسمه ومفاصله

فإذا فعلت ذلك فتعاهدنى بنفسك ثلاثاً، فادع لى، ففعل الفتى ذلك.

فلما كان فى اليوم الثالث سمع من القبر صوتاً اقشعر له جلده وتَغَيَّرَ له لونه، فرجع منه محموماً إلى أهله، فلما كان من الليل أتاه أبوه فى منامه، فقال له: أى بنى، أنت عندنا عن قليل، والأمر بآخره، والموت أقرب من ذلك، فاستعد لسفرك، وتأهب لرحيلك وحَوِّلْ جهازك من المنزل الذى أنت عنه ظاعن إلى المنزل الذى أنت فيه مقيم، ولا تَغْتَر بما اغْتَرَّ به المبطلون قبلك من طول آمالهم، فقَصَّرُوا عن أمر معادهم، فندموا عند الموت أشد الندامة، وأسفوا على تضييع العمر أشد الأسف، فلا الندامة عند الموت تنفعهم، ولا الأسف على التقصير أنقذهم من شر ما وافى به المغبون ملكهم يوم القيامة. أى بنى، فَبَادِرْ، ثم بادر، ثم بادر.

قال عبيد الله بن صدقة بن مرداس: قال أبى: قال الشيخ الذى حدثنى بهذا الحديث: فدخلت على هذا الفتى صبيحة ليلته مِنْ هذه الرؤيا، فقَصَّها علينا، وقال: ما أرى الأمر إلا كما قال أبى، ولا أرى الموت إلا قد أظلنى.

قال: فجعل يُفَرِّقُ ماله، ويتصدق، ويقضى ما عليه من الدَّين، ويَسْتَحِلُ خُلَطَاءه ومعامليه، ويُحَلِّلُهم، ويُسَلِّم عليهم، ويُوَدِّعُهم ويُوَدِّعُونه كهيئة رجل قد أُنْذِرَ بأمرٍ فهو يتوقعه، وكان يقول: قال أبى: فبَادِرْ، ثم بادر، ثم بادر، فهذه ثلاث ساعات قد مضت فليست بنا، أو ثلاثة أيام وأنَّى لى بها؟ أو ثلاثة أشهر وما أرانى أدركها! أو ثلاث سنين فهو أكثر ذلك، وما أحب أن يكون ذلك كذلك. قال: فلم يزل يُعطى ويُقَسِّم، ويتصدق ثلاثة أيام حتى إذا كان فى آخر اليوم الثالث من صبيحة ليلة هذه الرؤيا دعا أهله وولده، فوَدَّعَهم، وسلَّم عليهم، ثم استقبل القبلة، فمدَّدَ نفسه، وأغمض عينيه، وتَشَهَّدَ بشهادة الحق، ثم مات رحمه الله. قال: فمكث الناس حيناً ينتابون قبره من الأمصار، فيُسَلِّمُون عليه.

* * *

الحكاية الثانية والثمانون بعد الأربعمائة

حكاية العابد نُمَيْر

حدثنا العباس بن محمد بن عبد الرحمن الأشهلى قال: حدثنى أبى عن ابن نمير قال: كان لى ابن أخت سَمَّتْه أختى باسم أبى نمير، وكان من نُسَّاكِ أهل الكوفة قد سَمِعَ سَمَاعاً حسناً، وكان حسن الطهور حسن الصلاة يراعى الشمس للزوال، فعرض له، فذهب عقله، فكان لا يؤويه سقف بيت إذا كان النهار، فهو فى الجَبَّانة، وإذا كان الليل ففى السطح قائماً على رجليه فى البرد والمطر والريح، فنزل يوماً بَكِرًا يريد المقابر، فقلت: يا نمير تنام. قال: لا. قلت: أيش العِلَّة التى تمنعك من النوم؟ قال: هذا البلاء الذى تراه. فقلت له: يا نمير أما تخاف الله عز وجل؟ قال: بلى، و قال: أليس يقال: «أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل» (١) قال: قلت له: أنت أعلم منى. قال: كلا، ومضى. قال: وصعدت إليه ليلة باردة وهو قائم فى السطح، وأمه قائمة تبكى، فقلت: يا نمير، بقى منك شيء لم تنكره؟ قال: نعم. قلت: ما هو؟ قال: حب الله عز وجل وحب رسول الله ﷺ.

قال: وعُدْتُ إليه ليلة فى رمضان، فقلت له: يا نمير، لَمْ أُفْطِرْ! قال: ولِمَ؟ قلت: أحب أن تراك أختى تأكل معى. قال: فأُصْعِدَ إلينا طعام، فجعل يأكل معى حتى فرغت وفرغ، فلما أردت أن أقوم رحمته من أن يرانى مُوَلِّيًا وهو فى الظلمة والريح، فبكيت، فقال: ما يبكيك؟ رحمك الله! فقلت له: أَنْزِلُ إلى الكِّنْ والضوء، وأَدَعُك فى الظلمة

---

(١) أخرجه أحمد فى مسنده والبخاري في صحيحه والترمذى فى سننه وابن ماجة فى سننه عن سعد ابن أبى وقَّاص.

والبرد، فغضب وقال: إن لى ربًّا هو أرحم لى منك، وأعلم بما يصلحنى، فدَعْه يُصَرِّفْنِى كيف يشاء، فإنى لا أتهمُه فى قضائه[(١)]. قلت له: لئن كنت فى ظلمة الليل إن جدك فى ظلمة اللحد، أُرِيدُ أن أُعَزِّيه، وأُطَيِّبُ نفسه. فقال لى: ما جعل روح رجل صالح مثل روح رجل متلوث. ثم قال: أتانى البارحة أبى وأبوك عبد الله بن نمير، فوقف، ثم أشار إلى موضع كان يصلى فيه أبى، فقال لي: يا نمير أما إنك ستأتينا يوم الجمعة شهيداً. قال: فدَعَوْتُ أمه، فصعدت إلىَّ، فأخبرتها بما قال، فقالت: والله ما جَرَّبْتُ عليه كَذِبًا، وما هذا مما كان يتكلم به، ولا قال إلا حَقًّا.

قال: وقال هذه المقالة عَشِيَّة الأربعاء، فجعلنا نتعجب ونقول: غداً الخميس، وبعد غَدٍ الجمعة، فهَبْه مَرِضَ غداً، ومات بعد غَدٍ، فأين الشهادة؟ فلما كانت ليلة الجمعة فى وَسَطٍ من الليل سَمِعْنَا هَدَّةً، فبادرنا، وإذا هو قد هاج به ما كان يهيج، فبادر الدرجة، فزلت قدمه، فسقط منها، فانْدَقَّتْ عنقه، فحَفَرْتُ له إلى جنب أبى، ودفنته، وانكببتُ على قبر أبى، فقلت: يا أبة، قد أتاك نمير، وجاورك. فوالله ما قُلْتَ هذه المقالة إلا لِمَا كان فى قلبى من الغم، ثم انصرفت، فلما كان الليل رأيت أبى فى النوم كأنه قد دخل علىَّ من باب البيت، فقال لى: يا بنى، جزاك الله خيراً، لقد آنستنى بنمير، اعلم أنه منذ أتيتمونا به إلىَّ أن جئتك يُزَوَّجُ بالحور.

* * *

الحكاية الثالثة والثمانون بعد الأربعمائة

حكاية داود مع الراهب

حدثنا الحسن بن عبد الله القرشى عن رجل من الأنصار قال: لَمَّا أصاب داود صلى الله عليه الخَطِيئة[(٢)] فرغ إلى العُبَّادِ، فأتى راهبًا فى قُلَّة[(٣)] جبل، فناداه بصوتٍ عالٍ فلم يجبه، فلما أكثر عليه قال: مَنْ هذا الذى يناديني بصوتٍ عالٍ؟ قال: أنا داود نبى الله عز وجل. قال: صاحب القصور الحصينة والخيل المُسَوَّمة والنساء والشهوات، إنْ نِلْتَ الجنة

---

(١) إيراد هذا الكلام فى هذا السياق يؤدى إلى خلط كثير من حقائق الشرع، فالله سبحانه لم يأمر الإنسان بتعذيب نفسه وتحميلها المشاق التى لا طاقة للإنسان بها، وأمر الرسول من نذر أن يقف فى الشمس ولا يستظل أن يستظل، وبيَّن أنه ليس فى فعله هذا قربة لله سبحانه، وعمومًا فهذه القصة من حكايات المتصوفة التى يُرَوِّجون بها بضاعتهم.

(٢) الإشارة إلى أن نبى الله داود ﷺ ارتكب الخطيئة اتباع لما يحكيه بنو إسرائيل فى ذلك من حكايات لا تصح، وقد جاءت عقيدتنا الإسلامية تُنَزِّه الأنبياء وتُبَرِّئ ساحتهم من تلك الإسرائيليات، وهذا مما ينبغى اعتقاده.

(٣) قلة الجبل: أعلاه.

بهذا لأنت أنت! قال داود عليه السلام: فمَنْ أنت؟ قال: أنا راهب راغب مُسْرِف. قال: فمَنْ أنيسك؟ ومَنْ جليسك؟ قال: اصعد تراه إن كنت تريد ذلك! قال: فتخلل داود الجبل حتى صار في قلته فإذا هو بميِّتٍ مُسَجَّى. قال: هذا جليسك؟ وهذا أنيسك؟ قال: نعم. قال: مَنْ هذا؟ قال: تلك قصته مكتوبة في لوح من نحاس عند رأسه. قال: فدنا داود عليه السلام، فقرأ الكتاب، فإذا فيه: أنا فلان بن فلان المَلِكُ، عشتُ ألف عام، وبنيت ألف مدينة، وهزمت ألف عسكر، وأحصنت ألف امرأة، وافتضضت ألف عَذْراء، فبينا أنا في مُلْكِي أتاني مَلَكُ الموت، فأخرجني مما أنا فيه، فها أنا ذا، التراب فراشي، والدود جيراني، فخرَّ داود عليه السلام مَغْشِيًّا عليه!.

* * *

الحكاية الرابعة والثمانون بعد الأربعمائة

صلاة حاتم الأصم

حدثنا أزهر بن عبد الله البلخي قال: دخل حاتم الأصم على عصام بن يوسف فقال له عصام: يا حاتم، هل تُحْسِن تُصلي؟ قال: نعم . قال: مِمَّنْ تعلمتَ؟ قال: مِنْ شقيق ابن إبراهيم. قال: كيف تصلي. قال: إذا تقارب وقت الصلاة أسبغت الوضوء، ثم أستوى في الموضع الذى أُصَلِّي فيه حتى يستقر كل عضو منى، وأرى الكعبة بين حاجبى، والمقام حيال صدرى، والله تعالى فوقى، وكأن قدمى على الصراط، والجنة عن يمينى، والنار عن شمالى، ومَلَكُ الموت من خلفى، وأنظر أنها آخر صلاتى، ثم أُكَبِّر باخبات، وأقرأ بالتَّفكُّر، وأركع بالتواضع، وأسجد بالتضرع، ثم أتشهد على الرجاء، وأُسَلِّم على السُّنَّة بالإخلاص، وقد أديتها بأكل الحلال ولبس الحلال، وأنا بين الخوف والرجاء لا أدرى قُبِلَتْ أم رُدَّتْ!. فقال: يا حاتم، هكذا صلاتك؟ قال: هكذا صلاتى منذ ثلاثين سنة، فبكى عصام، وعانقه طويلاً حتى ابتل رداؤه.

* * *

الحكاية الخامسة والثمانون بعد الأربعمائة

من أسرار الرشيد

عن أحمد بن صباح الطبرى وَلِيُّ عيسى بن جعفر الهاشمى قال: حدثنى أبى قال: شَيَّعْتُ الرشيد حتى مضى إلى خراسان، فقال لى: يا صباح، ما أحسبك ترانى بعد هذا أبداً! فقلت: أُعِيذُك بالله يا أمير المؤمنين أن تقول هذا! والله، إنى لأرجو أن يُبْقيك الله لأمة محمد ﷺ مائة سنة، فتبَسَم، وقال: يا صباح، أنا والله مَيِّتٌ بعد قريب، فقلت: يا

أمير المؤمنين، جعلني الله فداءك، والله إنـي أرى دَمًـا ظـاهراً ووجهـاً باصعًـا[١] وشباباً زائداً، ومُنّة قوية وروحاً طيبة، فعَمَّرَك الله أكثر مما عَمَّرَ مَنْ مَلِكَ الأرض، وفتح لك مـا فتح على ذى القرنين، ولا أرى رعيَّتَك فيك سوءاً.

قال: فالتفتَ إلى جُميعة كانت من ورائه، فقال: تنحوا عنى، ثـم قـال: مِـلْ بنـا نحـو تلك الشجرة حتى أُسِرَّ إليك سِرًّا. قال: فسِرْتُ معه منحرفاً عن طريق الجـادة نحـواً مـن ثلاثماية ذارع، فكمن فى ظل حائط، ثم قال: أمانة الله فى عنقك أن تخبر بما ألقى إليك أحداً. فقلت: يا سيدى، هذه مخاطبة الأخ أخاه، وأنا عبـد يخـاطبنى مـولاى بمثـل هـذا، فقال: والله لتقولن: إنى لا أقولها لأحد، وإنها لأمانة عندى حتى أؤديها إليك عند الله. قال: فكشف عن بطنه فإذا جرير[٢] قد عصـب بـه بطنـه وظهـره، ثـم حَـوَّل إلى قفـاه، وأخذ ثيابه عن ظهره، فإذا قروح ونفاثات قد واراها بخِرْق وأدوية، وقال: مذ كم تـرى هذا بى؟ فقال: لا أدرى. قال: ظهرت فى أول سنة تسع وثمانين، ووالله ما اطلع عليها أحد من الناس إلا بختيشوع ومسرور ورجاء، فأما بختيشوع فإنه بلغنى أنه أخبر المأمون، ولئن بقيتُ له لأتركنه يهتم بطلب الخبز حتى يشغله ذلك عن إذاعة السر، وأما مســرور فأخبر الأمين بعِلَّتِى، وما منهم أحد إلا له علىَّ عَيْن، فأى حياه تصفو إلىَّ، وأعـز ولـدى علىَّ يُحْصِى علىَّ أنفاسى، ويستحب عِلَلى، ولقد بلغ من تبرمهم بحيـاتى إنـى إذا أردت الركـوب جـاءونى ببـرذون[٣] قطـوف[٤]، وليـس إلا لـيزيد فـى عِلَّتِى ويفســد علـىَّ جوارحى، وأكره أن أُظْهِرَ هذا لهم، فيستوحشوا منـى، ومتـى استوحشـوا أظهـروا مـن العداوة ما كان باطناً، والعامة لهم أرجاء، والخاصة إليهم أميـل، وأنـا كالخـائف بينهـم، أصبح فلا أطمع فى المساء، وأمسى فلا أطمع فى الإصباح، فقلت: يا سيدى، ما أحسن الجواب عن هذا، ولكن أقول: مَنْ أرادك بكيد فأراه الله ذلك الكيد فى نفسه.

فقال: سمع الله دعاءك، انصرف فإن أشغالك ببغـداد كثيرة، فودعتـه، فكـان آخـر العهد به[٥].

* * *

---

(١) أى: جامعًا مكتملاً.

(٢) حبل.

(٣) البرذون: غير العربى من الخيل والبغال.

(٤) يقال: دابة قطوف: أى: ضيقة المشى.

(٥) إن صَحَّت هذه الحكاية فكان ينبغى على صباح الطبرى أن يتحدث بذلـك لأنـه سِرٌّ قـد ائتمـن عليه!.

الحكاية السادسة والثمانون بعد الأربعمائة

حكاية عن لقمان

حدثنا جسر أبو جعفر قال: كان لقمان الحبشي عبداً لرجل جاء به إلى السوق يبيعه. قال: فكان كلما جاء إنسان يشتريه قال له لقمان: ما تصنع بي؟ قال: اصنع بك كذا وكذا! قال: حاجتي إليك أن لا تشتريني حتى جاء رجل فقال: ما تصنع بي؟ قال: أُصَيِّرُك بَوَّابًا على بابي. قال: أنت اشتريني.

قال: فاشتراه، وجاء به إلى داره. قال: وكان لمولاه ثلاث بنات يبغين[1] في القرية، وأراد أن يخرج إلى ضيعة له، فقال له: إني قد أدخلت إليهن طعامهن وما يحتجن إليه، فإذا خرجت، فأغلق الباب، واقعد من ورائه، فلا تفتحه حتى أجيء. قال: فقلن له: افتح الباب، فأبى عليهن، فشججنه، فغسل الدم، وجلس، فلما قَدِمَ لم يخبره، ثم عاد مولاه للخروج، فقال: إني قد أدخلت إليهن ما يحتجن إليه، فلا تفتحن الباب، فلما خرج خرجن إليه، فقلن له: افتح الباب، فأبى، فشججته ورجعن، فجلس، فلما أن جاء المولى لم يخبره بشيء.

قال: فقالت الكبيرة: ما بال هذا العبد الحبشي أولى بطاعة الله مني، والله لأتوبن، قال: فتابت. فقالت الصغرى: ما بال هذا العبد الحبشي وهذه الكبرى أولى بطاعة الله عز وجل مني، والله لأتوبن، فتابت. فقالت الوسطى: ما بال هاتان وهذا العبد الحبشي أولى بطاعة الله عز وجد مني، والله لأتوبن، فتابت. فقلن غواة القرية: ما بال هذا العبد الحبشي وبنات فلان أولى بطاعة الله عز وجل منّا، فتُبْن إلى الله عز وجل، وكن عوابد القرية.

* * *

الحكاية السابعة والثمانون بعد الأربعمائة

حكاية عمر بن الخطاب مع ابنه عبد الله

حدثنا جميع بن عمير التيمي قال: سمعت عبد الله بن عمر يقول: شهدت جلولاء، فابتعت من الغنائم بأربعين ألفاً تقدمت بها المدينة على عمر رضي الله عنه، فقال: ما هذا؟ فقلت: ابتعت من الغنائم بأربعين ألفاً.

فقال: يا عبد الله بن عمر، لو انْطُلِقَ بي إلى النار كنت مُفْتَدِيَّ؟ قلت: نعم بكل شيء أملك؟ قال: فإني مخاصم، وكأني بك تبايع بجلولاء يقولون: هذا عبد الله بن عمر

---

(١) أي يفعلن الفاحشة.

صاحب رسول الله ﷺ وابن أمير المؤمنين وأكرم أهله عليه، وإن يُرَخِّصُوا عليك كذا وكذا أحب إليهم من أن يُغْلُوا عليك بدرهم، وسأعطيك من الربح أفضل ما ربح رجل من قريش، ثم أتى باب صفية بنت أبي عبيد، فقال: يا بنت أبي عبيد، أقسمت عليك أن لا تخرجي من بيتك شيئاً، أو تخرجين منه، وإن كان عنق ظبية، فقالت: يا أمير المؤمنين ذلك لك، ثم تركني سبعة أيام، ثم دعا التجار، ثم قال: يا عبد الله بن عمر، إني مسئول.

قال: فباع من التجار متاعاً بأربعمائة ألف، فأعطاني ثمانين ألفاً، وأرسل ثلاثمائة وعشرين ألفاً إلى سعد، فقال: اقسم هذا المال فيمن شهد الوقعة، فإن كان مات أحد منهم، فابعث نصيبه إلى ورثته.

* * *

الحكاية الثامنة والثمانون بعد الأربعمائة

حكاية كلب وَفِيٍّ لصاحبه

حدثنا أبو عبيدة قال: خرج رجل من أهل البصرة إلى الجبان ينتظر رِكَابَه، فاتَّبَعَه كلب له، فضربه وطرده، وكره أن يتبعه، ورماه بحجر فأدماه، فأبى الكلب إلا أن يتبعه، فلما صار إلى الموضع وثب قوم كانت لهم عنده طائلة، وكان معه جار له وأخ، فهربا عنه، وتركاه، وأسلماه، فجُرِحَ جراحات كثيرة، ورُمِيَ به في بئر، وحُثِيَ عليه التراب حتى واروه، ولم يَشُكُّوا أنه قد مات، والكلب مع هذا يَهِرُّ عليهم، وهم يرجمونه، فلما انصرفوا أتى الكلب إلى رأس البئر، فلم يزل يعوى ويبحث التراب بمخالبه حتى ظهر رأسه وفيه نَفَس يتردد، وقد كان أشرف على التلف، ولم يبق إلا حشاشة[1] نفسه، ووصل إليه الروح، فبينا هو كذلك إذ مَرَّ به ناس، فأنكروا مكان الكلب، ورأوه كأنه يحفر قبراً، فجاءوا فإذا هم بالرجل على تلك الحال، فاستخرجوه حيًّا، وحملوه إلى أهله.

قال أبو عبيدة: فذلك الموضع يدعى بئر الكلب، وأنشد أبو عبيدة في ذلك لبعض الشعراء:

يعرج عنه جاره وشقيقه ... وينبش عنه كلبه وهو ضاربه

* * *

الحكاية التاسعة والثمانون بعد الأربعمائة

حكاية الكلب الذي فدى المَلِك بنفسه

عن محمد بن خلاد قال: قَدِمَ رجل على بعض السلاطين، فمَرَّ في طريقه بمقبرة، وإذا

---

(١) الحشاشة: روح القلب ورمق حياة النفس.

قبر عليه قُبَّة مبنية مكتوب عليها: هذا قبر الكلب، فمن أحب أن يعلم خبره فلْيُمْـضِ إلى قرية كذا وكذا، فإن فيها مَنْ يخبره، فسأل الرجل عن القريـة، فدلُّـوه عليهـا، فقصدهـا، وسأل أهلها، فدلوه على شيخ، فبعث إليه، وسأله، وأحضره، وإذا شيخ قد جـاوز المائة سنة، فسأله، فقال: نعم، كان في هذه الناحية مَلِك عظيم الشأن، وكان مشتهراً بالنزهة والصيد والسفر، وكان له كلب قد ربَّاه، وسَمَّاه باسم، لا يفارقه حيث كان، فإذا كـان في وقت غدائه وعشائه أطعمه مما يأكل، فخرج يوماً إلى بعض منتزهاته، وقـال لبعض غلمانه: قُلْ للطباخ يُصْلِحُ ثردة لـبن، فقـد اشتهيتها، فأصلحوهـا، ومضـى إلى منتزهـه، فوَجَّهَ الطباخ، فجاء بلبن، وصنعه له ثردة عظيمـة، ونسـى أن يُغَطِّيهـا بشـىء، واشتغل بطبخ أشياء أخرى، فخرج من بعض شقوف الحيطان أفعى، فكرع في ذلك اللبن، ومَجَّ في الثردة من سُمِّه، والكلب رابض يرى ذلك كله، ولو كان له في الأفعى حيلة لمنعهـا، وكان للملك جارية خرساء زمنة قد رأت ما صنع الأفعى، ووافى الملك من الصيـد فـى آخر النهار، فقال: يا غلمان أول ما تُقَدِّمُون إلىَّ الثردة، فلما وُضِعَتْ بـين يديـه أومـأت الخرساء إليهم، فلم يفهموا ما تقول، ونبح الكلب وصاح، فلم يُعْلَمْ مراده، ثم رمى إليـه بما كان يرمى إليه في كل يوم، فلم يقربه، ولَجَّ في الصياح، فقال للغلمـان: نَحُّوه عنـا، فإن له قصة، ومـد يـده إلى اللـبن، فلمـا رآه الكلـب يريـد أن يـأكل طفـر[1] إلى وسـط المائدة، وأدخل فمه في العصارة وكَرَعَ من اللبن، فسقط ميتاً، وتناثر لحمه، فبقى الملـك متعجباً منه ومن فعله، فأومأت الخرساء إليهم، فعرفوا مرادهـا بمـا صنـع الكلـب، فقـال الملك لندمائه وحاشيته: إن شيئاً فداني بنفسه لحقيق بالمكافأة، وما يحمله ويدفنه غـيرى، فدفنه وبنى عليه قُبَّة، وكتب عليها ما قرأتَ، فهذا ما كان من خبره.

* * *

الحكاية التسعون بعد الأربعمائة
حكاية كلب يُنْقِذُ صاحبه

حدثنا محمد بن الحسين بن راشد قال: رأيت رجل يُكْـرِم كلبـاً لـه، ويُقَرِّبـه ويغطيـه بدَوَّاجه[2]، فسألته عن السبب الذى استحق هذه المنزلة، فقـال: هـذا خَلَّصَنِـى مِـنْ أمـر عظيم، كان يصحبنى رجل يواكلنى ويعاشرنى منذ سنين، فخرجنا في قتال، وعدنا فلما قربنا من منازلنا، وكان في وسطي هميان فيه دنانير كثيرة، ومعى متاع كثير أفدتـه مـن الغنيمة، فنزلنا في مكان، فعمد إلىَّ صاحبى فأوثقنى كتافـاً، ورمـى بـى فـى وادٍ، وأخـذ كل ما كان معى، ومضى فأَيِسْتُ من الحياة، وقعد هذا الكلب معى، ثم تركنى ومضى،

(١) قفز.

(٢) الدَّوَّاج: نوع من الثياب.

فما كان بأسرع من أن وافاني ومعه رغيف، فطرحه بين يدى، فأكلته، ولم أزال أحبو إلى موضع فيه ماء، فشربت منه، ولم يزل الكلب معى باقى ليلتى يعوى إلى أن أصبحت، فحملتنى عينى، وفقدت الكلب، فما كان بأسرع من أن وافانى ومعه رغيف، فأكله، وفعلت فعلى فى اليوم الأول، فلما كان فى اليوم الثالث غاب عنى، فقلت مضى يجيئنى بالرغيف، فلم ألبث أن جاء ومعه الرغيف، فرمى به إلى، فلم أستتم أكله إلا وابنى على رأسى يبكى، و قال: ما تصنع هاهنا، وأيش قصتك، ونزل، فحَلَّ كتافى، وأخرجنى.

فقلت له: من أين علمت بمكانى؟ ومَنْ دَلَّكَ علىَّ؟ فقال: كان الكلب يأتينا فى كل يوم، فنطرح له الرغيف على رسمه، فلا يأكله وقد كان معك، فأنكرنا رجوعه، وليس أنت معه، وكان يحمل الرغيف بفيه ولا يذوقه، ويعدو، فأنكرنا أمره، فاتبعته حتى وقفت عليك، فهذا ما كان من خبرى وخبر الكلب، فهو أعظم عندى مقداراً من الأهل والقرابة.

* * *

الحكاية الحادية والتسعون بعد الأربعمائة
من وصايا الحسن عن جمع المال وإنفاقه

أخبرنا أبو بكر الهذلى قال: كنا عند الحسن، فأتاه آتٍ، فقال: أبا سعيد دخلنا آنفاً على عبد الله بن عبد الله بن الأهتم، فإذا هو يجود بنفسه، فقلنا: أبا مَعْمَر، كيف تجدك؟ قال: أجدنى والله وَجعًا، ولا أظننى إلا لَمًّا بى، ولكن ما تقولون فى مائة ألف فى هذا الصندوق لم يؤد منها زكاة، ولم يوصل منها رحم، قلنا: يا أبا معمر فلِمَنْ كنت تجمعها؟

قال: كنت والله أجمعها لروعة الزمان وجفوة السلطان ومكاثرة العشيرة فقال الحسن: اليائس، انظروا أنّى أتاه شيطانه، فحذّره روعة زمانه وجفوة سلطانه عما استودعه الله إياه وعَمَّرَه فيه، خرج والله منه سليباً حزيناً دميماً مليماً، إنها عنك أيها الوارث، لا تُخْدَع كما خُدِعَ صويحبك أمامك، أتاك هذا المال حلالاً، فإياك وإياك أن يكون عليك وبالاً، أتاك -والله - ممن كان جموعاً منوعاً يدأب فيه الليل والنهار، ويقطع فيه مفاوز القفار[1] من باطل جمعه، ومن حق منعه، جمعه فأوعاه، وشدَّه فأوكاه، لم يُؤَدِّ منه زكاة، ولم يوصل منه رحم.

إن يوم القيامة يوم ذو حسرات، وإن أعظم الحسرات غداً أن يرى أحدكم ما له فى

(١) الصحارى.

ميزان غيره، وتدرون كيف ذلكم؟ رجل أتاه الله مالاً، فأمره بإنفاقه فى صنوف حقوق الله، فبخل به، فورث هذا الوارث، فهو يرى ماله فى ميزان غيره، فيالها عثرة لا تُقَال، وتوبة لا تنال.

وقد أخبرنا بهذه الحكاية محمد بن عبد الملك عز رجل قال: دخل الحسن على عبد الله بن عبد الله بن الأهتم، فقال له عبد الله: يا أبا سعيد، ما تقول فى مائة ألف درهم فى هذا الصندوق لم يُؤَدّ لها زكاة، ولم يوصل منها رحم؟ قال: فلِمَنْ كنت تجمعها؟ قال: لرغوة الزمان وجفوة السلطان ومكاثرة العشيرة.

فقال الحسن: انظروا، أتاه الشيطان فخوَّفه رغوة زمانه وجفوة سلطانه فيما استودعه الله وخوَّله فيه حتى خرج منه حزيناً من باطل جمعه ومن حق منعه، أيها الوارث، أتاك الله هذا المال حلالاً، إياك أن يكون عليك وبالاً، إياك أن تُخْدَع كما خدِعَ عنه صويحبك، اذْكُرْ يوم الحشر، واخْشَ يوم التغابن، فإن يوم القيامة يوم ذو حسرات، وكيف ذلكم؟ رجل أتاه الله مالاً، فبخل بحق الله، وغَلَّ يده عنه، فورث وارث بعده، فعمل فيه بطاعة الله عز وجل، فإذا اجتمعا غداً يوم القيامة نظر هذا، فإذا ما له فى ميزان هذا، فيا لها حسرةً لا تُقَال وتوبة لا تنال.

* * *

الحكاية الثانية والتسعون بعد الأربعمائة

متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهم أحراراً

عن ثابت البنانى عن أنس بن مالك قال: كنا عند عمر بن الخطاب إذ جاءه رجل من أهل مصر، فقال: يا أمير المؤمنين، هذا مقام العائذ بك. قال: وما ذاك؟ قال: أجرى عمرو بن العاص بمصر الخيل، فأقبلتُ فيها، فلما ترآها الناس قام محمد بن عمرو فقال: فرسي ورب الكعبة، فلما دنا منى عُرْفُه، فقلت: فرسى ورب الكعبة، فقام إلىَّ، وضربنى بالسوط، ويقول: خُذْهَا وأنا ابن الأكرمين.

قال: فوالله ما زاده عمر على أن قال: اجلس، ثم كتب إلى عمرو: إذا جاءك كتابى هذا، فأَقْبِلْ وأَقْبِلْ معك بابنك محمد. قال: فدعا عمرو ابنه، فقال: هل أَحْدَثْتَ حَدَثًا؟ أَجَنَيْتَ جناية؟ قال: لا. قال: فما بال عمر يكتب فيك؟ قال: فقدم على عمر.

قال أنس: فوالله، إنا لعند عمر بمنى إذا نحن بعمرو وقد أقبل فى إزار ورداء، فجعل عمر يلتفت هل يرى ابنه، فإذا هو خلف أبيه، فقال: أين المصرى؟ قال: ها أنا ذا. قال: دونك الدِّرَّة، اضْرَبْ ابن الألأمين، اضرب ابن الألأمين. قال: فضربه، حتى أثخنه، ثم

قال: أَحِلْها على صلعة عمرو، فوالله ما ضربك إلا بفضل سلطانه. فقال: يا أمير المؤمنين، قد ضربتُ مَنْ ضربنى. فقال: أما والله لو ضربته ما حُلْنَا بينك وبينه حتى تكون أنت الذى تَدَعُه، أيا عمرو، متى استعبدتم الناس، وقد ولدتهم أمهم أحراراً، ثم التفت إلى المصرى، فقال: انصرف راشداً، فإن رابك ريب، فاكتب إلىَّ.

* * *

الحكاية الثالثة والتسعون بعد الأربعمائة

حكاية عمر مع أمتعة كسرى

حدثنا القاسم بن محمد بن أبى بكر قال: بعث سعد بن أبى وقاص أيام القادسية إلى عمر بقباء كسرى وسيفه ومنطقته وسراويله وقميصه وتاجه.

قال: فنظر عمر فى وجوه القوم فكان أحسمهم وأَمَدَّهم قامة سراقة بن مالك بن خثعم المدلجى، فقال: يا سراق، قُمْ، فالبس.

قال سراقة: فطمعت فيه، فقمت، فلبست، فقال: أَدْبِرْ، فأدبرت، ثم قال: أَقْبِلْ، فأقبلت، ثم قال: بَخٍ بَخٍ! أُعَيْرَابِىٌّ من بنى مدلج عليه قباء كسرى وسراويله وسيفه ومنطقته وتاجه وخفاه، رُبَّ يوم يا سراقُ بن مالك لو كان عليك فيه هذا من متاع كسرى وآل كسرى كان شرَفًا لك ولقومك، انْزَعْ، فنزعت.

فقال: اللهم إنك منعتَ هذا رسولك ونبيك، وكان أحب إليك منى، وأكرم عليك منى، ومنعته أبا بكر، وكان أحب إليك، وأكرم عليك منى، ثم أعطيتنيه، فأعوذ بك أن تكون أعطيتنيه لتمكر بى، ثم بكى حتى رحمه مَنْ كان حوله عنده. و قال لعبد الرحمن ابن عوف: أقسمت عليك لَمَا بِعْتَه، ثم قَسَّمْتَه قبل أن تمسى.

* * *

الحكاية الرابعة والتسعون بعد الأربعمائة

الحاكم مسئول عن جميع رعيته

حدثنا محمد بن إسحاق بن عبد الرحمن البغوى قال: سمعت سعيد بن سليمان يقول: كنت بمكة فى زقاق السطوى، وإلى جنبى عبد الله بن عبد العزيز العُمرى، وقد حج هارون الرشيد، فقال له إنسان: يا عبد الله، هو ذا أمير المؤمنين يسعى قد أُخْلِىَ له السعى .

قال العمرى للرجل: لا جزاك الله عنى خيراً! كلفتنى أمراً كنت عنه غنياً، ثم تعلَّق نعليه، وقام، فتبعته، فأقبل هارون الرشيد من المروة يريد الصفا، فصاح به: يا هارون،

فلما نظر إليه قال: لبيك يا عم. قال: ارْقَ الصفا، فلما رَقِيَه قال: ارْمِ بطرفك إلى البيت. قال: قد فعلتُ. قال: كم هم؟ قال: ومَنْ يحصيهم؟! قال: فكم في الناس مثلهم؟! قال: خَلْق لا يحصيهم إلا الله .

قال: اعلم أيها الرجل أن كل واحد منهم يُسْأَل عن خاصة نفسه، وأنت وحدك تُسْأَل عنهم كلهم، فانظر كيف تكون؟!

قال: فبكي هارون، وجلس وجعلوا يعطونه منديلاً للدموع. قال العمرى: وأخرى أقولها. قال: قُلْ يا عم. قال: والله، إن الرجل ليسرع فى ماله فيستحق الحَجْرَ عليه، فكيف بمن أسرع فى مال المسلمين، ثم مضى، وهارون يبكى.

قال محمد بن خلف: وسمعت محمد بن عبد الرحمن يقول: بلغني أن هارون الرشيد قال: إنى لأحبُ أن أحج كل سنة ما يمنعنى إلا رجل من ولد عمر ثَمَّ يُسمعنى ما أكره.

* * *

الحكاية الخامسة والتسعون بعد الأربعمائة

حكاية مَلَك الموت مع رجل عاص ورجل مؤمن

عن وهب بن منبه قال: كان مَلِك من ملوك الأرض أراد أن يركب إلى أرض له، فدعا بثياب يلبسها، فلم تعجبه، فقال: ائتونى بثياب كذا وكذا، فجيء بها، فلم تعجبه، فقال: جيئونى بثياب كذا وكذا، حتى عَدَّ أصنافاً من الثياب، كل ذلك لا تعجبه حتى جيء بثياب وافقته، فلبسها، ثم قال: جيئونى بدابة كذا وكذا، فجيء بها فلم تعجبه، حتى جيء بدابة وافقته، فرضيها، فلما ركبها جاء إبليس، فنفخ فى منخريه نفخة، فملأه كِبْرًا.

قال: وسار، وسارت الخيول معه. قال: وكان رافعاً رأسه لا ينظر إلى الناس كِبْرًا وعظمة، فجاءه رجل ضعيف رَثّ الهيئة، فسَلَّمَ عليه، فلم يرد السلام عليه، ولم ينظر إليه، فقال: إن لى إليك حاجة، فلم يسمع كلامه.

قال: فجاء حتى أخذ بلجام دابته. فقال: أَرْسِلْ لجام دابتى، فقد تعاطيت منى أمراً لم يتعاطاه منى أحد! قال: إن لى إليك حاجة. قال: انزِلْ فتلقانى. قال: لا، إلا الآن. قال: ويده على لجام دابته.

فلما رأى أنه قد قهره قال: حاجتك! قال: إنها سِرٌّ، أريد أن أُسِرَّهَا إليك. قال: فأدنى رأسه إليه، فسَارَّه. قال: أنا مَلَكُ الموت.

قال: لما قال له: أنا مَلَكُ الموت انقطع وتَغَيَّرَ لونه، واضطرب لسانه، ثم قال: دعنى حتى آتى أرضى هذه التى خرجت إليها، ثم أرجع من موكبى، ثم تمضى فى أمرك. قال: لا، والله لا ترى أرضك أبداً.

قال: فدعنى حتى أرجع إلى أهلى، فأقضى حاجة إن كانت لى. قال: لا، والله لا ترى أهلك ونقلك أبداً . قال: فقبض روحه، فَخَرَّ كأنه خشبة.

قال الجريرى: وبلغنى أيضا أنه لقى عبداً مؤمناً فى تلك الحال، فسَلَّمَ عليه، فرد عليه السلام، فقال: إن لى إليك حاجةً . قال: هَلُمَّ، فاذْكُرْ حاجتك.

قال: إنها سِرٌّ فيما بينى وبينك. قال: فأدنى رأسه ليساره بحاجته، فساره، فقال: أنا مَلَكُ الموت. قال: مرحباً وأهلاً، مرحباً بِمَنْ طالت غيبته علىَّ، فوالله ما كان فى الأرض غائب أحب إلى أن ألقاه منك.

فقال ملك الموت: اقْضِ حاجتك التى خرجتَ إليها. قال: ما لى حاجة أكثرعندى ولا أحب إلىَّ مِنْ لقاء الله. قال: فاخْتَرْ على أى حال شئت أَقْبِضُ روحك فيها!. قال: أَوَ تَقْدِر على ذلك؟ قال: نعم، إنى أُمِرْتُ بذلك.

قال: فدعنى أتوضأ، ثم أُصَلّى لربى، فإذا ركعت وسجدت، ورأيتنى ساجداً فاقبض روحى على تلك الحال.

قال: فنعم إذا، فقام، فتوضأ، ثم ركع وسجد، فلما رآه ساجداً قبض روحه.

* * *

الحكاية السادسة والتسعون بعد الأربعمائة
حكاية عمر مع المرأة الأرملة وأولادها الأيتام

عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب ذات ليلة إلى حَرَّةِ واقم، فإذا نار، فقال: يا أسلم، إنى أحسب هؤلاء رَكْبًا، فضربهم الليل والبرد، انْطَلِقْ بنا إليهم. قال: فخرجنا، فهرول حتى انتهينا إليهم، فإذا امرأة تُوقِدُ تحت قِدْرٍ ومعها صبيان يتضاغون[1] . فقال عمر: السلام عليكم يا أصحاب الضوء، وكره أن يقول: يا أصحاب النار، فقالت: وعليكم.

فقال: أَدْنُ؟ فقالت: ادْنُ بخير، أَوْ دَعْ. فدنا، فقال: ما بالكم؟

قالت: قصر بنا الليل والبرد. قال: وما بال هؤلاء الصبيان يتضاغون؟ قالت: الجوع.

---

(١) يبكون بصوت عالٍ.

قال: فما فى هذه القِدْر؟ قالت: ما أُسْكِتُهُمْ به حتى يناموا، الله بيننا وبين عمر!

قال: أى رحمك الله، وما يدرى عمر بكم؟ قالت: يتولى أمرنا، ثم يغفل عنا، فقال: انتظرينى، فإنى بالغك إن شاء الله. قال: وأقبل علىَّ، فقال: انطلق بنا، فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق، وكانت دار يُطْرَح فيها ما يجىء من طعام العراق ومصر، وكان قد كتب إلى عمرو بن العاص وإلى أبى موسى بالكوفة: الغوث الغوث على العرب، احملوا إلىّ أحمال الدقيق، واجعلوا فيها حمائل الشحم(١)، فجاء إلى عدل منها فيه كبة من شحم، فطأطأ ظهره، ثم قال: احْمِلْ هذا على ظهرى يا أسلم. فقلت: أنا أحمله عنك، فنظر إلىّ، ثم قال: احمله علىَّ يا أسلم كما يُقال لك. فقلت: أنا أحمله عنك!

قال: فنظر إلىّ، وقال: أنتَ تحمل عنى وزرى يوم القيامة؟ لا أم لك! احمله علىَّ، فحملته عليه، فخرج يدلج به، وأنا معه حتى ألقينا ذلك العِدْل عند المرأة، ثم أخرج من الدقيق شيئاً، فجعل يقول: ذَرِّى علىَّ، وأنا أُحَرِّكه، ثم أخذ المِسْوَاط(٢) يحرر، ثم جعل ينفخ تحت القِدْر، فجعلت أنظر الدخان يخرج من خَلَلِ لحيته حتى أنضج، وأخذ من الشحم، فآدمها به، ثم قال: ابغينى شيئاً، فجاءت بصَحِفَةٍ، فأفرغ القِدْرَ فيها، ثم قال: لا تَعْجَلِى، لا تطعميهم حَارًّا، وجعل يُسَطِّح بالمسواط يُبَرِّدُه، ثم جعل يقول لها: أطعميهم، وأنا أُسَطِّحُ لكِ حتى إذا شبعوا ترك عندهم الفضل، فقالت: جزاك الله خيراً! أنت أولى بهذا الأمر من أمير المؤمنين!

قال: قولى خيراً، إنك إذا جئتِ أمير المؤمنين وجدتينى هناك، فأشفع لك بخير، وهى تقول: مَنْ أنت؟ يرحمك الله! وتدعو له، فلا يزيدها على هذا، ثم تَنَحَّى قريباً، ورَبَضَ مَرْبِضَ السَّبُع، وجعل يستمع طولاً، فقلت له: إن لك شأنًا غير هذا؟ فلم يكلمنى حتى رأيت الصبية يصطرعون ويضحكون، ثم ناموا، فقام وهو يحمد الله، ثم أقبل علىَّ، فقال: يا أسلم، إنى رأيت الجوع أبكاهم، فأحببت أن لا أخرج حتى أرى منهم ما رأيت.

* * *

الحكاية السابعة والتسعون بعد الأربعمائة
حكاية المنصور مع رجل يشتكي في مظلمة

حدثنا الحسن بن خضر عن أبيه قال: أخبرنى بعض الهاشميين قال: كنت جالساً عند المنصور بأرمينية، وهو أميرها لأخيه أبى العباس، وقد جلس للمظالم، فدخل عليه

(١) الدهن والسمن.
(٢) خشبة يُقَلّب بها الطعام كالملعقة.

رجل، فقال: إن لى مظلمة، وأنا أسألك أن تسمع منى مثلاً أضربه قبل أن أذكر مظلمتى. قال: قُلْ.

قال: إنى وجدت الله - تبارك اسمه - خَلَقَ الخَلْقَ على طبقات، فالصبى إذا خرج إلى الدنيا لا يعرف إلا أمه، ولا يطلب غيرها، فإن فزع من شىء لجأ إليها، ثم يرتفع عن ذلك بطبقة، فيعرف أن أباه أعرف من أمه، فإن أفزعه شىء لجأ إلى أبيه، ثم يبلغ ويستحكم، فإن أفزعه شىء لجأ إلى سلطانه، فإن ظلمه ظالم انتصر به منه، فإذا ظلمه السلطان لجأ إلى ربه واستنصره، وقد كنت فى هذه الطبقات، وقد ظلمنى ابن نهيك فى ضَيْعَة لى فى ولايته، فإن نصرتنى عليه، وأخذت لى بمظلمتى، وإلا استنصرت الله عز وجل، ولجأت إليه، فانظر لنفسك أيها الأمير أو دَعْ.

فقال أبو جعفر: أَعِدْ علىَّ الكلام، فأعاده، فقال: أما أول شىء، فقد عزلت ابن نهيك عن ناحيته، وأمر بِرَدِّ ضيعته.

* * *

الحكاية الثامنة والتسعون بعد الأربعمائة

حكاية حاتم وأويس مع النعمان

عن هشام بن الكلبى قال: بلغنى أن حاتماً وأوسياً الطائيين وفدا على النعمان بن المنذر، فأنزل كل واحداً منهما منزلاً، ورَحَّبَ به، وأرس بينهما، فبعث إلى حاتم فقال: إنى معطٍ أفضلكما الحبوة والشرف، فأيكما أفضل؟ فقال حاتم: أبيت اللعن! أتجعلنى وأوسًا سواء، لأصغر أولاد أوس أكبر منى، فأعطها أوسًا، ثم بعث إلى أوس، فقال: إنى معطٍ أفضلكما الحبوة والشرف، فأيكما أفضل؟ فقال أوس: أبيت اللعن! أتجعلنى وحاتماً سواء، والله لأنا وما ملكت يدى وولدى وما ملكوا أصبحنا فى يد حاتم لأنفدنا فى يوم واحد، فجمع بينهما النعمان، ثم قال: قد علم الله أنى ما رأيت منكما إلا سيداً كريماً شريفاً، فأعطاهما، وسَوَّى بينهما فى العطية والشرف، وخرج حاتم من عنده وهو يقول:

إلا من مبلغ النعمان عنى ... بأنك سيد ملك همام
وإنك طيب الأخلاق سمح ... كريم الخيم ما وارى الظلام
خرجنا نحوه نبغى حداه ... وإن المعتقين له قيام
فأكرمنى وأوساً حين جئنا ... و قال لنا كلام لا يرام
فرحنا عند ذلك شاكريه ... ومما ننساه ما الحمام

جـــزاه اللـــه خير جزاء حــــرٍ ولاقيـــه التحيـــة والســـلام

* * *

الحكاية التاسعة والتسعون بعد الأربعمائة

حكاية عمر مع رُسُل الروم

حدثنا سالم الأفطس قال: قَدِمَتْ رسل الروم على عمر بن عبد العزيز، فقال: أخبرونى عنكم إذا مَلَّكتُم ملوككم. قالوا: إذا مَلَّكْنَا الرجل يقعد غدا عليه الحافر صلاة الغداة، فيقول: أصلحك الله، إن مَنْ كان قبلك إذا جلس مجلسه غدوت عليه، فيأمرنى كيف ألحد قبره، فيكبوا لها مَلِيًّا، ثم يقول: انطلق، فاجعله كذا وكذا، فإذا كان من الغد غدا صاحب الأكفان، فيقول: أصلحك الله، إن من كان قبلك إذا جلس مجلسه غدوت عليه، فيأخذ أكفانه، فيكبوا له ساعة، ثم يأخذها، فيجعلها فى سَفَط[1]، فإذا كان الغد غدا عليه صاحب الحنوط، فقال: أصلحك الله، إنه من كان قبلك إذا جلس مجلسه غدوت عليه، فيأخذ حنوطه، فيكبو لها ساعة، ثم يقول: هاته، فيجعله فى سَفَطٍ نَصْبَ عينه هو والأكفان، وقد فُرِغَ من قبره. قال عمر: هذا لمن لا يرجو أيام الله، ثم سقط عن فراشه، فما رُؤِىَ على فراشٍ حتى مات.

* * *

الحكاية الخمسمائة

حكاية أبى العباس مع شاب يحضر حَلَقَته

أخبرنا أبو العباس بن عطاء قال: كان يحضر حلقتى شاب حسن الوجه، يُخَبِّئ يده، فوقع لى أن الرجل قد قطعت يده على حال من الأحوال، فجاءنى يوم الجمعة وقد جاءت السماء بالبركات، فلم يجيئنى ذلك اليوم أحد، فطالبتنى نفسى لمخاطبته، فدافعتها مراراً إلى أن غلب علىَّ كلامه، وكلمته، فقلت: يا فتى، ما أصاب يدك؟ فقال: حديثى طويل! قلت: ما سألتك إلا وأنا أحب أن أسمعه.

فقال لى: أنا فلان بن فلان، خلف لى أبى ثلاثين ألف دينار، فعاملت بها، فعلقت نفسى بجارية من العُبَّاد، فأنفقت عليه جملة ثم أشاروا على بشرائها، فاشتريتها بستة آلاف دينار، فلما ملكتها قالت: ما فى الأرض أبغض إلىَّ منك، فاسْتَرِدَ مالك، فلا متعة لك بى مع بغضى لك، فبذلت لها كل ما تبذله الناس، فما ازدادت إلا عُتُوًّا، فهممت بردها، فقالت لى داية لى: دعها تموت، ولا تموت أنت! قال: فاعْتَزَلَتْ فى بيت، ولم تأكل، ولم تشرب، وإنما تبكى، وتتضرع حتى ضعفت قوتها، وأحسست منها بالموت،

---

(١) السَّفَط: وعاء كالقُفَّة.

وفى كل يوم أجىء إليها، وأبذل لها الرغائب، وما تزداد إلا بغضاً، فلما كان اليوم الرابع سألتها عما تشتهى، فاشتهت حريرة، فحلفت لا يعملها غيرى، فأوقدت النار، ونصبت القِدْر، وبقيت أمرس فيها، والنار تعمل، وقد أقبلت علىَّ تشكو ما مَرَّ.

بها من الألم فى هذه الأيام، فقالت: دايتى: ارفع يدك، فقد ذهبت، فرفعتها وقد انسمطت على ما تراها.

قال أبو العباس: فصعقت صعقة، وقلت: هذا فى هوى مخلوق أقبل عليك، فنالك هذا كله.

* * *

الحكاية الحادية بعد الخمسمائة

أبو عبد الله عَالِم يرفض الدنيا

حدثنا إبراهيم بن شبيب شبه قال: كنا نتجالس فى الجمعة، فأتى رجل عليه ثوب واحد ملتحف به، فجلس إلينا، فألقى مسألة، فما زلنا نتكلم فى الفقه حتى انصرفنا، ثم جاءنا فى الجمعة المقبلة، فأحببناه، وسألناه عن منزله، فقال: أنزل الحربية، فسألناه عن كنيته، فقال: أبو عبد الله، فرغبنا فى مجالسته، ورأينا مجلسنا مجلس فقه، فمكثنا بذلك زماناً، ثم انقطع عنا.

فقال بعضنا لبعض: ما حالنا؟ قد كان مجلسنا عامراً بأبى عبد الله، وقد صار موحشاً، فوعد بعضنا بعضاً إذا أصبحنا أن نأتى الحربية، فنسأل عنه، فأتينا الحربية، وكنا عدداً، فجعلنا نستحى أن نسأل عن أبى عبد الله، فنظرنا إلى صبيان قد انصرفوا من الكُتّاب، فقلنا: أبو عبد الله؟ قالوا: لعلكم تعنون الصياد؟ قلنا: نعم. قالوا: هذا وقته، الآن يجىء، فقعدنا ننتظره، فإذا هو قد أقبل مؤتزراً بخرقة، وعلى كتفه خرقة، ومعه أطيار مذبوحة وأطيار حية، فلما رآنا تبسم إلينا، وقال: ما جاء بكم؟

فقلنا: فقدناك، وقد كنت عَمَّرْتَ مجلسنا، فما غَيَّبك عنا؟ قال: إذا أصدقكم، كان لى جار كنت أستعير منه كل يوم ذاك الثوب الذى كنت آتيكم به، وكان غريباً، فخرج إلى وطنه، فلم يكن لى ثوب آتيكم به فيه، هل لكم أن تدخلوا المنزل، فتأكلوا مما رزق الله عز وجل؟ فقال بعضنا لبعض: ادخلوا منزله، فجاء إلى الباب، فسَلَّمَ، ثم صبر قليلاً، ثم دخل، وأذن لنا، فدخلنا، فأومأ إلى البيت، فإذا هو قد أُتِىَ بقطع من البوارى، فبسطها لنا، فدخلنا، فقعدنا، فدخل إلى المرأة، فسَلَّمَ إليها الأطيار المذبوحة، وأخذ الأطيار الأحياء، ثم قال: آتيكم إن شاء الله عن قريب، فأتى السوق فباعها، واشترى

خبزاً، فجاء، وقد صنعت المرأة ذلك الطير، وهَيَّأَتْه، فقدَّم إلينا خبزاً ولحم طير، فأكلنا، فجعل يقوم، فيأتينا بالملح والماء، فكلما قام قال بعضنا لبعض: رأيتم مثل هذا! ألا تُغَيِّرُوا أمره، وأنتم سادة أهل البصرة.

فقال أحدهم: عليَّ خمسمائة. وقال الآخر: عليَّ ثلاثمائة. وقال هذا، وقال هذا، وضمن بعضهم أن يأخذ له من غيره، فبلغ الذى جمعوا فى الحساب خمسة آلاف درهم، فقالوا: قوموا نذهب، فنأتيه بهذا المال، ونسأله أن يُغَيِّرَ بعض حاله مما هو فيه، فقمنا، فانصرفنا على حالنا ركباناً، فمررنا بالمِرْبَدِ[1]، فإذا محمد بن سليمان أمير البصرة قاعد فى منظرة له، فقال: يا غلام، ائتنى بإبراهيم بن شبيب بن شبه من بين القوم، فجئت، فدخلت عليه، فسألنى عن قصتنا، ومِنْ أين أقبلنا، فصَدَقْتُه الحديث، فقال: أنا أسبقكم إلى برِّه، يا غلام، ائتنى ببدرة دراهم، فجاء بها، فقال ائتنى بغلام فَرَّاش، فجاء. قال: احملْ هذه البدرة مع هذا الرجل حتى يدفعها إلى مَنْ أمرناه، ففرحت، ثم قمت مسرعاً، فلما أتيت الباب سَلَّمْتُ، فأجابنى أبو عبد الله، ثم خرج إلىَّ فلما رأى الفراش والبدرة على عنقه كأنى سَفَيْتُ فى وجهه الرماد، وأقبل علىَّ بغير الوجه الأول، فقال: ما لى ولك يا هذا؟ أتريد أن تفتننى؟

فقلت: يا أبا عبد الله، اقْعُدْ حتى أخبرك، فقلت: إنه من القصة كذا وكذا، وهو الذى تعلم أحد الجبارين - يعنى محمد بن سليمان - ولو كان أمرى أن أضعها حيث أرى لرجعت إليه، فأخبرته أنى قد وضعتها، فالله الله فى نفسك، فازداد علىَّ غيظاً، وقام، فدخل منزله، وصفق الباب فى وجهى، فجعلت أُقَدِّم وأؤخر، ما أدرى ما أقول للأمير، ثم لم أجد بُدًّا من الصدق، فجئت، وأخبرته الخبر، فقال: حرورى والله، يا غلام، علىَّ بالسيف، فجاء بالسيف، فقال لى: خُذْ بيد هذا الغلام حتى يذهب بك إلى هذا الرجل، فإذا أخرجه إليك، فاضْرِبْ عنقه، وائتنى برأسه.

قال إبراهيم: فقلت: أصلح الله الأمير، الله الله، فوالله، لقد رأينا رجلاً ما هو من الخوارج، ولكنى أذهب، وآتيك به، وما أريد بذلك إلا افتداءً منه. قال: فضمنيه، فمضيت حتى آتيت الباب، فسَلَّمْت، فإذا المرأة تجىء وتبكى، ثم فَتَحَتْ الباب، وتوارت، وأذنت لى، فدخلت، فقالت: ما شأنكم وشأن أبى عبد الله؟ فقلت: وما حاله؟ قالت: دخل، فمال إلى الركية[2]، فنزع منها ماء، فتوضأ، ثم صلى، ثم سمعته يقول: اللهم اقْبِضْنى إليك، ولا تفتنى، ثم تَمَدَّدَ وهو يقول ذلك، فلحقته، وقد قضى،

---

(١) موضع يجفف فيه التمر.

(٢) البئر.

فهو ذاك مَيِّتٌ، فقلت: يا هذه، إن لنا قصة عظيمة، فلا تُحْدِثُوا فيه شيئاً، فجئت محمد ابن سليمان، فأخبرته الخبر، فقال: أنا أركب، فأُصَلِّي على هذا.

قال: وشاع خبره بالبصرة، فشهده الأمير وعامة أهل البصرة رحمه الله.

* * *

الحكاية الثانية بعد الخمسمائة

حكاية فتىً كريم وأخته العابدة

حدثنا محمد بن سليمان القرشى قال: بينا أنا أسير فى طريق اليمن إذا أنا بغلام واقف فى الطريق فى أذنيه قرطان فى كل قرط جوهرة يضىء وجهه من ضوء تلك الجوهرة، وهو يُمَجِّدُ ربَّه بأبيات من الشعر، فسمعته وهو يقول:

مليك فى السماء به افتخارى   عزيز القدر ليس به خفاء

فدنوت منه، فسلَّمت عليه، فقال: ما أنا برَادٍّ عليك حتى تؤدى من حقى الذى يجب لى عليك! قلت: وما حقك؟ قال: أنا غلام على مذهب إبراهيم الخليل صلى الله عليه، لا أتغدى ولا أتعشى كل يوم حتى أسير الميل والميلين فى طلب الضيف، فأجبته إلى ذلك، فرَحَّبَ بى، وسِرْتُ معه حتى قربنا من خيمة شعر، فلما قربنا من الخيمة صاح: يا أختاه، فأجابته جارية من الخيمة: يا لبيكاه! قال: قومى إلى ضيفنا. فقالت الجارية: حتى أبدأ بشكر المولى الذى سبب لنا هذا الضيف، فقامت، وصلَّت ركعتين شكراً لله، فأدخلنى الخيمة، وأجلسنى، وأخذ الغلام الشفرة، وأخذ عَنَاقاً ليذبحها.

فلما جلست فى الخيمة نظرتُ إلى أحسن الناس وجهاً، فكنت أسارقها النظر، ففطنت لبعض لحظاتى إليها، فقالت لى: مَهْ، أما علمت أنه قد نُقِلَ إلينا عن صاحب يثرب أن زنا العينين النظر[1]، أما إنى ما أردتُ بهذا أن أُوَبِّخَكَ، ولكنى أردت أن أُؤَدِّبَك لكى لا تعود لمثل ذا . فلما كان النوم بتُّ أنا والغلام خارج [الخيمة]، وباتت الجارية فى الخيمة، فكنتُ أسمع دويَّ القرآن الليل كلَّه، أحسن صوت يكون وأرقَّه، فلما أن أصبحت قلتُ للغلام: مَنْ كان ذاك؟ فقال: تلك أختى تحيى الليل كلَّه إلى الصباح. فقلتُ: يا غلام أنت أحق بهذا العمل مِنْ أختك! أنت رجل، وهى امرأة، قال: فتبسَّم ثم قال لي: ويحكَ! يا فتى، أما علمتَ أنه موفق ومخذول.

* * *

---

(١) أخرجه ابن سعد والطبراني في الكبير عن علقمة بن الحويرث، وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن مسعود في قوله ﴿إلا اللمم﴾ قال: زنا العينين النظر، وزنا الشفتين التقبيل، وزنا اليدين البطش، وزنا الرجلين المشي، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه، فإن تقدم بفرجه كان زانيا وإلا فهو اللمم.

الحكاية الثالثة بعد الخمسمائة

حكاية التاجر المظلوم والخياط

حدثنا القاضي أبو الحسين محمد بن عبد الواحد الهاشمي أن شيخاً من التجار كان له على بعض القُوَّاد مال جليل يماطله به. قال: فعملت على التظلم منه إلى المعتضد بالله، لأني كنت قد تظلمت إلى الوزير، فلم ينفعني، واستشفعت عليه، فلم ينفعني. فقال لي بعض أخوالي: أنا أدلك على مَنْ يأخذ لك المال، ولا تحتاج إلى أن تتظلم إلى المعتضد! قُمْ معي الساعة، فقمت، فجاء بي إلى خياط في سوق الثلاثاء جالس يخيط، ويقرأ في مسجد، فقص عليه صاحبي قصتي، وسأله أن يقصد القائد، فيسأله، فقام معنا، فلما مشينا تأخرت، وقلت لصديقي: إنك قد عَرَّضْتَ هذا الشيخ ونفسك وإياي لمكروه عظيم، فإن هذا لم يلتفت إلى شفاعة فلان وفلان، ولم يُفَكِّر في الوزير يفكر في هذا، فضحك الرجل، وقال: لا عليك! امْشِ، واسْكُتْ.

فجئنا إلى باب القائد، فحين رأى غلمانه الخياط عظّموه، وأهووا لتقبيل يده، فمنعهم، وقالوا: ما جاء بك؟ فإن صاحبنا راكب، فإن كان أمر نعمله نحن بادرنا إليه، وإلا فادخل واجلس إلى أن يجيء، فقويت نفسي بذلك، ودخلنا، وجلسنا، وجاء الرجل، فلما رأى الخياط أعظمه إعظاماً شديداً، وقال: لست أنزع ثيابي أو تأمرني بأمرك، فخاطبه في أمري، فقال: والله ما عندي إلا خمسة آلاف درهم، فتسأله أن يأخذها ورهناً من مراكبي إلى شهر لأعطيه، فبادرت أنا إلى الإجابة، فأحضر الدراهم والمركب بقيمة الباقي، وقبضت ذلك، وأشهدت الخياط وصديقي عليه بأن هذا الرهن إلى شهر عندي على البقية، فإن جاء رأس الشهر، ولم يدفع إليّ البقية فأنا وكيل في بيعه، وأخذ مالي من ثمنه، فشهدا عليه بذلك، وخرجنا.

فلما بلغنا إلى موضع الخياط طرحت المال بين يديه، وقلت: يا شيخ، إن الله تعالى قد رَدَّ عليَّ هذا بك، فأُحِبُّ أن تأخذ رُبُعَه أو ثلثه أو نصفه بطيب من قلبي، فقال: يا هذا، ما أسرع ما كافئتني على الجميل بالقبيح، انصرف بمالك، بارك الله لك فيه! فقلت: قد بقيت لي حاجة، فقال: قُلْ.

قلتُ: تخبرني عن سبب طاعة هذا لك مع تهاونه بأكابر الدولة وأهلها؟ فقال: يا هذا، قد بلغت مرادك، وأخذت مالك، فلا تقطعني عن شغلي، وما أعيش إلا منه، فألححت عليه، فقال: أنا رجل أَؤُمُّ الناس في هذا المسجد منذ أربعين سنة، ومعاشي هذه الخياطة لا أعرف غير هذا، وكنت منذ دهر قد صليت المغرب، وخرجت أريد منزلي، فاجتزت بتُرْكِيٍّ كان في هذه الدار، وإذا قد جازت امرأة جميلة الوجه عليه،

فعلق بها وهو سكران ليدخلها داره، وهى ممتنعة عليه تستغيث، وليس يغيثها أحد، وتصيح، ولا يمنعه منها أحد، وتقول فى كلامها: إن زوجى قد حلف بطلاقى أنى لا أبيت عنه، فإن بَيَّتَنِي هذا خَرِبَ بيتى مع ما يرتكبه معى من المعصية، ويُلْحِقُه بى من العار.

قال: فجئت إلى التركى، ووقفت به، وسألته تركها، فضرب رأسى بدبوس كان فى يده شجنى، ولطمنى، وأدخل المرأة، فصرت إلى منزلى، وغسلت الدم، وشددت رأسى من الشَّجَّة، واسترحت، وخرجت أصلى عشاء الآخرة، فلما فرغنا قلت لمن حضر: قوموا معى إلى هذا عدو الله التركى ننكر عليه، ولا نبرح أو نُخْرِجَ المرأة، فقاموا، وجئنا، فصحنا على الباب، فخرج إلينا فى عدة من غلمانه، فأوقع بنا، وقصدنى من بين الجماعة، وضربنى ضرباً عظيماً كدت أتلف منه، فحملنى الجيران إلى منزلى كالتالف، فعالجنى أهلى، ونمت نوماً قليلاً للوجع، وأَفَقْتُ نصف الليل، وما حملني النوم مُفَكِّرًا فى القصة، فقلت: هذا قد شرب طول ليله، ولا يعرف الأوقات، فلو أَذَّنْتُ وقع له أن الفجر قد طلع، فأطلق المرأة، فلحقتْ بينها قبل الفجر، فَتَسْلَمُ من أحد المكروهين، فخرجت إلى المسجد متحاملاً، وصعدت إلى المنارة، فأَذَّنْتُ، وجلست أُطَّلِعُ منها إلى الطريق، وقعدتُ أترقب خروج المرأة، فإن خرجت، وإلا أقمت الصلاة لئلا يشك فى الصباح، فيُخرجها، فما مضت إلا ساعة، وإذا الشارع قد امتلأ خيلاً ورجلاً ومشاعل، وهم يقولون: مَنْ هذا الذى أَذَّنَ الساعة؟ أين هو؟ ففزعتُ وسَكَتُّ، ثم قلتُ: أخاطبهم لعلى أستعين بهم على إخراج المرأة، فصحتُ مِنْ المنارة: أنا أَذَّنْتُ.

فقالوا: انْزِلْ، وأجبْ أمير المؤمنين، فقلتُ: أتى الفرج، ونزلت ومضيت معهم، وإذا هم غلمان مع بدر، فأدخلنى إلى المعتضد، فلما رأيته هِبْتُه، وارتعدت، فسكن منى، وقال: ما الذى حملك على أن تَغُرَّ المسلمين بأذانك فى غير وقته، فيخرج ذو الحاجة فى غير حينها، ويمسك المريد للصوم نى وقت قد أبيح له الأكل فيه، فقلت: يُؤَمِّنُنى أمير المؤمنين حتى أخبره! فقال: أنت آمن، فقصصت عليه قصة التركى، وأريته الآثار التى فىَّ، فقال: يا بدر، علىَّ بالغلام والمرأة الساعة الساعة، وعُزِلْتُ فى موضع، فلما كان بعد ساعة أُحْضِرَ الغلام والمرأة، فسألها المعتضد عن الصورة، فأخبرته بمثل ما قلته، فقال لبدر: بَادِرْ بها الساعة إلى زوجها مع ثقة يُدْخِلُها دارها، ويشرح له خبرها، ويأمره عنى بالتمسك بها والإحسان إليها.

ثم استدعائى، فوقفت، فجعل يخاطب الغلام، وأنا أسمع، فقال له: كم رزقك؟ قال: كذا وكذا. قال: وكم عطاؤك؟ قال: كذا وكذا؟ قال: وكم وظائفك؟ قال: كذا

وكذا، فجعل يُعَدِّدُ عليه ما يصل إليه، والتركى يُقِرُّ بشىء شىء. ثم قال له: كم جارية لك؟ قال: كذا وكذا. قال: فما كان لك فيهن وفى هذه النعمة العريضة كفاية عن ارتكاب معاصى الله وخَرْق هيبة السلطان حتى استعملت ما استعملت، وتجاوزت إلى الوثوب لمن أمرك بالمعروف ونهاك عن المنكر.

فأُسْقِطَ في يد الغلام، ولم يحر جواباً، فقال: هاتوا جوالقاً[١] ومداق الجص[٢] وقيوداً وغُلاً[٣]، فأحضر ذلك، فقيَّده، وغَلّه، وأدخله الجوالق، وأمر الفرَّاشين فدقوه بالمداق، وأنا أرى ذلك، وهو يصيح، ثم انقطع صوته، ومات، فأمر بتغريقه فى دجلة، وتقدَّم إلى بدر: تحمل ما فى داره، ثم قال: يا شيخ، أى شىء رأيت من أجناس المنكر كثيراً كان أو قليلاً ولو على هذا – وأومأ[٤] بيده إلى بدر – فإن جرى عليك شىء أو لم يُقْبَل منك، فالعلامة بيننا أن تُؤَذِّنَ فى مثل هذا الوقت، فإنى أسمع صوتك، وأستدعيك، وأفعل مثل هذا بمن لا يقبل منك، ويؤذيك، قال: فدعوت له، وانصرفت، وانتشر الخبر فى الأولاد والغلمان، فما سألت أحدها بعدها إنصافاً لأحد أو كَفًّا عن فسخ إلا أطاعنى كما رأيت خوفاً من المعتضد، وما احتجت أُؤَذِّنُ إلى الآن فى غير وقت الأذان.

* * *

الحكاية الرابعة بعد الخمسمائة

موقف المعتضد مع اللصوص

حدثنا أبو محمد عبد الله بن حمدون قال: كان المعتضد فى بعض متصيداته مجتازاً بعسكره وأنا معه، فصاح ناطور[٥] فى قراح[٦] قثاء، فاستدعاه، وسأله عن سبب صياحه، فقال: أخذ بعض الجيش من القثاء شيئاً، فقال: اطلبوهم، فجاءوا بثلاثة أنفس، فقال: هؤلاء الذين أخذوا القثاء، فقال الناطور: نعم. فقيَّدَهم فى الحال، وأمر بحبسهم، فلما كان من الغد، أنفذهم إلى القراح وضرب أعناقهم فيه! وسار، فأنكر الناس ذلك، وتحدثوا به، ومضت على ذلك مدة طويلة، فجلست أحادثه ليلة، فقال لى: يا عبد الله، هل يعيب الناس شيئاً؟ عَرِّفْنِي حتى أزيله!

---

(١) وعاء.

(٢) المداق: ما يُدَقُّ به، والجص: المادة المستخدمة فى البناء والطلاء.

(٣) الغُل: القَيْد.

(٤) أشار.

(٥) حافظ البستان أو صاحبه.

(٦) حقل.

فقلت: كلا يا أمير المؤمنين، فقال: أقسمت عليك وبحياتى[1] إلا صدقتنى. قلت: يا أمير المؤمنين، وأنا آمن؟ قال: نعم. قلت: إسراعك إلى سفك الدماء، فقال: والله ما هرقت دمًا منذ وليت إلا بحقه!

قال: فأمسكت إمساك مَنْ يُنْكِر عليه الكلام، فقال: بحياتى ما قلتَ! فقلتُ: يقولون إنك قتلتَ أحمد بن أبى الطيب، وكان خادمك، ولم يكن له خيانة ظاهرة. قال: دعانى إلى الإلحاد، فقلت له: يا هذا، أنا ابن عم صاحب الشريعة صلوات الله عليه وسلامه، وأنا الآن منتصب منصبه، فأُلْحِد حتى أكون مَنْ؟! وكان قال لى: إن الخلفاء لا تغضب، فإذا غَضِبَتْ لم تَرْضَ، فلم يصلح إطلاقه. فسَكَتُّ سكوت من يريد الكلام، فقال: فى وجهك كلام! قلت: الناس ينقمون عليك أمر الثلاثة أنفس الذين قتلتهم فى قراح القثاء!

قال: والله ما كان أولئك الذين أخذوا القثا، وإنما كانوا لصوصًا حملوا من موضع كذا وكذا، ووافق ذلك أمر أصحاب القثاء، فأردت أن أُهَوِّلَ على الجيش بأن مَنْ عاث منهم فى عسكرى، وأفسدوا فى هذا القدر كانت هذه عقوبتى له، ليكفوا عما فوقه، ولو أردت قتلهم لقتلتهم فى الحال، وإنما حبستهم، وأمرت بإخراج اللصوص من غد مُغَطِّين الوجوه ليقال: إنهم أصحاب القثاء. قلت: وكيف تعلم العامة هذا؟ قال: بإخراجى القوم الذين أخذوا القثاء، فجاءوا، وقد تَغَيَّرَتْ حالهم من الحبس والضرب، فقال: ما قصتكم، فقصوا عليه القصة قصة القثاء. قال: أفتتوبون من مثل هذا الفعل حتى أطلقكم، قالوا: نعم، فأخذ عليهم التوبة، وخلع عليهم،وأمر بإطلاقهم، وزاد أرزاقهم عليهم، فانتشرت الحكاية، وزالت عنهم التهمة.

* * *

الحكاية الخامسة بعد الخمسمائة

مشهد أحمد بن حضرويه عند الاحتضار

حدثنا محمد بن حاتم الترمذى قال: كنت جالساً عند أحمد بن حضرويه، وهو فى النزع[2]، وكان قد أتى عليه خمس وتسعون سنة، فسأله بعض أصحابه عن مسألة، فدمعت عيناه، وقال: يا بنى، باب كنت أدقه منذ خمس وتسعين سنة هو ذا يُفتَح لى الساعة، لا يُدْرَى أَيُفتَح لى بالسعادة أم بالشقاوة، أَنَّى أوان الجواب!.

قال: وكان عليه دَيْنًا تسعمائة دينار، وغرماؤه عنده، فنظر إليهم، وقال: اللهم إنك

(١) هذا مخالف لما ورد فى الشرع من النهى عن الحلف بغير الله.

(٢) الاحتضار.

جعلت الرهون وثيقة لأرباب الأموال، وأنت تأخذ عنهم وثيقتهم، فأدِّ لهم. قال: فدق داق الباب، وقال: أهذه دار أحمد بن حضرويه؟ قالوا: نعم. قال: أين غرماؤه؟ قال: فخرجوا، فقضاهم، ثم خَرَجَتْ روحه رحمه الله.

* * *

الحكاية السادسة بعد الخمسمائة
حكاية سَرِيٍّ السَّقْطي مع الجُنَيِّد

قال الجنيد: بت ليلة عند سَرِيٍّ السَقطى، فلما كان بعض الليل قال لى: يا جنيد، أنت نائم؟ قلت: لا. فقال: الساعة وقفنى الحق بين يديه، وقال: يا سَرِيُّ، تدرى لم خَلَقْتُ الخَلْق؟ قلت: لا. قال: خلقت الخَلْقَ كلهم، فادَّعُوا محبتى، فخلقت الدنيا، فاشتغل بها من عشرة آلاف تسعة ألف عنى بالدنيا، وبقى ألف، فخلقت الجنة، فاشتغل من الألف تسعمائة بالجنة عنى، وبقى مائة، فسَلَّطْتُ عليهم شيئاً من البلاء، فاشتغل عنى بالبلاء من المائة تسعون، وبقى عشرة، فقلت لهم: مَنْ أنتم؟ لا للدنيا أردتم، ولا فى الجنة رغبتم، ولا من البلاء هربتم؟! فماذا تريدون؟! قالوا: إنك لتعلم ما نريد. فقلت: إنى أُنزِلُ عليكم من البلاء ما لا تطيقه الجبال الرواسى، أفتثبتون لذلك؟ فقالوا: أليس أنت الفاعل بنا، قد رضينا. قلت: فأنتم عبيدى حَقّاً[١].

* * *

الحكاية السابعة بعد الخمسمائة
اطلب حاجتك من الله

حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم الفهرى قال: أتى رجل بعض الأمراء فى طلب حاجةٍ، فوجده ساجداً يدعو ربه عز وجل، فقال: هذا يحتاج إلى غيره، فكيف أحتاج أنا إليه؟ لِمَ لا أرفع حاجتى إلى مَنْ لا تختلج الحوائج دونه.

قال: فسمعه الأمير، فلما رفع رأسه قال: علىَّ بالرجل، فأتى به، فقال أَعْطُوه عشرة آلاف، وقال: إنما أعطاك هذا مَنْ كنتُ أدعوه، وأنا ساجد، ومَنْ رجعت إليه.

قال الربعى: وحدثنى سليمان بن أيوب قال: سقط رجل فى بئر، ولم يره أحد، فانقطعت عنه الحِيَل، فرفع رأسه إلى السماء، فقال: يا مَنْ ليس من باطن عرشه إلى قرار الأرض السفلى إلى اليم الأكبر إله غيره، قد ترى ما نزل بى، فاجعل لى من أمرى مخرجاً، فإذا هو على الأرض.

* * *

---

(١) سبق التعليق على مثل هذه الأخبار التي لا تصح، وأكثرها من حكايات الصوفية والقصاص.

الحكاية الثامنة بعد الخمسمائة

حكاية أنطونس السائح

أخبرنا عبيد الله بن محمد القرشي قال: وحُدِّثْنَا فيما وضع الأولون من حِكَمِهِم، وضربوا من أمثالهم كتاباً فيه حِكَمٌ وأمثال، يحدوا ذا اللب على رفض العاجلة، ويحث على الأخذ بالوثيقة فى العمل للآجلة، وهو الكتاب الذى ينسب إلى أنطونس السائح(١).

قالوا فيما يذكرون: كان ملك بعد زمان المسيح يقال له أنطونس، عاش ثلاثمائة سنة وعشرين سنة، فلما حضرته الوفاة بعث إلى ثلاث نفر من عظماء أهل مملكته وأفاضلهم، فقال لهم: قد نزل بى ما ترون وأنتم رءوس أهل مملكتكم وأفاضلهم، ولا أعرف أحداً أولى بتدبير رغبتكم منكم، وقد كتبت عهداً جعلته إلى ستة نفر منكم من أخياركم، لتختاروا رجلاً منكم لتدبير مملكتكم، فسَلِّمُوا ذلك لمن جمع عليه ملؤكم، وإياكم والاختلاف فتُهْلِكُون أنفسكم ورعيتكم، فقالوا: بل الله يَمُنُّ علينا بطول مُدَّتِك، فقال: دعوا هذه المقالة، وأقبلوا على ما وصفت لكم من هذا العهد الذى فيه قوام أمركم، فإن الموت لا بد منه.

فلم تمر بهم ليلة حتى هلك، فدب أولئك الثلاثة إلى الستة الذين جُعِلَ إليهم اختيار المَلِكِ، فصار كل رجلين من الستة يدعوان إلى رجل من الثلاثة، فلما رأى ذلك حُكَمَاؤهم وأهل الرأى منهم قالوا يا معشر الستة الذين جعل إليهم الاختيار، قد افترقت كلمتكم واختلف رأيكم، ويحضرنكم اليوم رجل من أفضل أهل زمانكم ممن لا يُتَّهَمُ فى حُكْمِه، وممن يُرَجَّى اليُمْن والبركة فى اختياره، فمن أشار إليه منكم سلمتم هذا الأمر له، وكان فى جبل بحضرتهم رجل سائح يقال له: أنطونس فى غار معروف قد تَخَلَّى عن الدنيا وأهلها، فاجتمعت كلمتهم على أن الرضا بمن أشار إليه السائح من الثلاثة نفر، فوكلوا بالمملكة رجلاً من الستة، وانطلق الثلاثة نفر إلى السائح، فاقتصوا عليه قصتهم، وأعلموه رضاهم بمن أشار إليه منهم.

فقال لهم السائح: ما أرانى انتفعت باعتزالى عن الناس، وإنى وإياهم كمثل رجل

---

(١) يقال إن أنطونيو السائح هو القديس أنطونيوس (٢٥١- ٣٥٠) ناسك ولد بكوم العروس فى صعيد مصر من أسرة كريمة. وفى سن العشرين أعرض عن الدنيا وكرَّس حياته للزهد والصلاة، وفى الخامسة والثلاثين هجر المدن وعاش على انفراد فى حوف الصحراء، واجتذب تلاميذًا له تعبدوا على طريقته، ويعتبر هو منشئ الرهبنة المسيحية، وله عدة رسائل كتبها باللغة المصرية. انظر: الموسوعة العربية الميسرة ١/٢٤٦. ودائرة المعارف ٤/٥١٥.

كان فى منزل غشيه فيه الذئاب، فتحوَّل منه إلى منزل يرجو فيه السلامة، فغشيه فيه الأسد، فقالوا: هذا أمر قد دعا إليه أفاضل أهلِ مملكتك رجاء البركة واليمن فى رأيك، وما عليك أن تشير إلى أفضلنا فى نفسك، فتُوَلِّيه هذا الأمر.

قال: وما علمى بأفضلكم، وأنتم جميعاً تطلبون أمراً واحداً أنتم فيه سواء، فطمع بعضهم إن هو أظهر الكراهة للمُلْكِ أن يُشِيرَ به إليه، فقال: أما أنا فغير مُشَاحٍّ[1] صاحبيَّ هذين، وإن السلامة لدى لفى اعتزال هذا الأمر، قال السائح: ما أظن صاحبيك يكرهان اعتزالك عنهما، فأسر إلىَّ بإحدهما، وأَتْرُكك.

قال: بل تختار ما بدا لك. قال السائح: ما أراك إلا قد ترغب عن قولك، وصرتم الآن عندى بمنزلة واحدة غير أنى سأعظكم وأضرب لكم أمثال الدنيا وأمثالكم فيها، وأنتم أعلم، والخيار لأنفسكم، فأخبرونى: هل عرفتم مَدَاكم من المُلْكِ وغايتكم من العمر؟ قالوا: لا ندرى لعل ذلك لا يكون إلا طرفة عين! قال: فلم تخاطرون بهذه الغِرَّة[2]؟ قالوا: رجاء طول المُدَّةِ.

قال: كم أَتَتْ عليكم من سنة؟ قالوا: أصغرنا ابن خمس وثلاثين سنة، وأكبرنا ابن أربعين. قال: فاجعلوا أطول ما ترجون من العُمْر مثل سِنِيِّكم التى عَمَّرْتُم؟ قالوا: لسنا نطمع فى أكثر من ذلك، ولا خير فى العمر بعد ذلك، قال: أفلا تبتغون فيما بقى من أعماركم ما ترجون من مُلْكٍ لا يبلى، ونعيم لا يتغير، ولذة لا تنقطع، وحياة لا يُكَدِّرُها الموت، ولا تُنَغِّصُها الأحزان ولا الهموم والأسقام؟

قالوا: إنا لنرجو أن نصيب ذلك بمغفرة الله ورحمته. قال: قد كان من أصابه العذاب من القرون الأولى يرجون من الله ما ترجون، ويُؤَمِّلُون ما تُؤَمِّلُون، ويُضَيِّعون العمل حتى نزلت بهم العقوبة ما قد بلغكم، فليس ينبغى لمن صدَّق بما أصاب القرون الأولى أن يطمع فى رجاء بغير عمل، يوشك من سَلَكَ المفازة[3] بغير ماء أن يهلك عَطَشًا، أراكم تتكلون على الرجاء فى هلاك أبدانكم، ولا تتكلون عليه فى صلاح معايشكم، آمنون لدار قد علمتم مزايلتها، وتتركون الثابت لدار مقامكم، أرأيتم مدائنكم التى بنيتموها، واعتدتم فيها الأثاث والرباع[4] لو قيل لكم: إنه سينزل عليكم مَلِك بجيوشه وجنوده، فيعم أهلها بالقتل وبنيانها بالهدم، فهل كنتم تطيبون نَفْسًا بالمقام فيها والبنيان بها؟

---

(١) منازع.

(٢) الغفلة وعدم اليقظة.

(٣) الصحراء.

(٤) جمع رَبْع، وهو الدار والمنزل.

قالوا: لا. قال: فوالله إن أمر هؤلاء الآدميين لصائر إلى هذا، ولكنى أدلكم على مدينة أمينة سليمة لا يؤذيكم فيها جار، ولا يغشمكم[١] فيها وال، ولا يعدمكم فيها الثمار؟ قالوا: قد عرفنا الذى أردت، وكيف؟ وقد اشرأبت أنفسنا حب الدنيا؟ قال: مع الأسفار البعيدة تكون الأرباح الكثيرة، فيا عَجَبًا للجاهل والعالم كيف استويا فى هلاك أنفسهما! إلا أن الذى يسرق ولا يعرف عقوبة السارق أعذر من السارق الذى يعرف عقوبته! ويا عَجَبًا للحازم كيف لا يبذل ماله دون نفسه ؛ فينجو بها، فإنى أرى هذا العالم يبذلون أنفسهم دون أموالهم، كأنهم لا يصدقون بما يأتيهم به أنبياؤهم!

قالوا: ما سمعنا أحداً من أهل هذه المِلَّة يُكَذِّب بشىء مما جاءت به الأنبياء. قال: مِنْ ذلك اشتد عجبى! مِن اجتماعهم على التصديق، ومخالفتهم فى الفعل! كأنهم يرجون الثواب بغير أعمال!. قالوا: أخبرنا كيف أول معرفتك للأمور من قبل التفكر؟ قال: تفكرت في هلاك العالم، فإذا ذاك من قِبَل أربعة أشياء جُعِلَتْ فيهن اللذات: وهى أربعة أبواب مُرَكَّبة فى الجسد، منها ثلاثة فى الرأس، وواحدة فى البطن، فأما أبواب الرأس: فالعينان، والمنخران، والحنك، وأما باب البطن فالفرج، فالتمست خفه المئونة علىَّ فى هذه الأبواب التى من قِبَلِها دخل البلاء على العالم، فوجدت أيسرها مئونه باب المنخرين، إنها يسيرة موجودة فى الزَّهْرِ والنَّوْر والرَّيْحان، ثم التمست الخفة لمئونة باب الحَنَك، فإذا هو طريق للجسد، وغذاء لا قوام له إلا بما يُلْقَى فيه، فإذا تلك المئونة إذا صارت فى الوعاء استوت، فتناولت منها ما تيسر من المطعم والمشرب، ورفضت ما عَسُرَ - قَصَّرْتُ فيما قطعت على نفسى، مئونة الوعاء ولذة الحنك بمنزلة رجل كان يتخذ الرماد من الخلنج[٢] والصندل والعيدان المرتفعة، فلما ثَقُلَتْ عليه مئونة ذلك اتخذ الرماد من الزبل والحطب الرخيص، فرحى[٣] ذلك عنه، ونظرت فى مئونة الفرج فإذا هو والعينان موصولان بالقلب، وإذا باب العين يسقى للشهوة وهما معينان على هلاك الجسد، ثم تنقطع تلك اللذة على طول العمر، فهممت بإلقائهما عنى، وقلتُ: هلاكهما وإطراحهما أيسر علىَّ من هلاك الجسد، فزويت وفكرت، فلم أجد لهما سبباً أفضل من العزلة عن الناس، وكان ما بَغَّضَ إلىَّ منزلى الذى كنت فيه فكرتى فى مقامى مع مَنْ لا يعقل إلا أمر دنياه، فاستوحشت من المقام بين ظهرانيهم، فتنحيت عنهم إلى هذا المنزل، فقطعت عنى أبواب الخطيئة، وحسمت فى نفسى لذات أربع، وقطعتهن بخصال أربع. قالوا: وما اللذات؟ وبماذا قطعتهن؟

---

(١) يظلمكم.

(٢) شجر خشبه طيب الرائحة.

(٣) عَظُمَ.

قال: اللذات: المال، والبنون، والأزواج، والسلطان، قطعتهن بالهموم والأحزان والخوف وبذِكْر الموت المُنَغِّصِ لِلّذّات، وقطعت ذلك أجمع بالعزلة، وترك الاهتمام بأمور الدنيا، وما خيرٌ فى لذة، وهذا الموت يقفوها!، وأى دار أشر من دار الفجائع جواراً؟! كونوا كرجل خرج مسافراً يلتمس الفضل، فغشى مدينته التى خرج منها العدو، فأصابوا أهلها بالبلاء فى أموالهم وأنفسهم، فسَلِمَ ذلك الرجل من مَخْرَجه، وحَمِدَ الله عز وجل على ما صَرَفَ عنه، ولقد عجبت لأهل الدنيا كيف ينتفعون بلذتها مع همومها وأحزانها وما تجرعهم من مرارتها بعد حلاوتها، واشتد عجبى من أهل العقول ما يمنعهم من النظر فى سلامة أبدانهم كأنهم يرون أن يهلكوا أنفسهم كما هلك صاحب الحَيَّة!

قالوا: أخبرنا كيف كان صاحب الحية؟ قال: زعموا أنه كان فى دار رجل حية، وقد عرفوا مكانها، وكانت تلك الحية تبيض كل يوم بيضة من ذهب، وزنها مثقال، فصاحب المنزل مغتبط مسرور بمكان تلك الحية، يأخذ كل يوم من جحرها بيضة من ذهب، وقد تقدم إلى أهله أن يكتموا أمرها، وكانت كذلك أشهرًا، ثم أن الحية خرجت، فأتت عَنْزاً لأهل الدار حلوباً ينتفعون بها، فنهشتها، فهلكت العنزة، فجزع لذلك الرجل وأهله، وقال: الذى نُصيب من الحية أفضل من ثمن العنزة، فلما أن كان رأس الحَوْل عَدَتْ على حمار له كان يركبه، فنهشته، فقتلته، فجزع لذلك الرجل، وقال: أرى هذه الحية لا تزال تُدْخِلُ علينا آفة، وسنصبر لهذه الآفات ما لم تعدو البهائم.

ثم مر بهم عامان لا تؤذيهم، وهم مسرورون بجوارها مغتبطون بمكانها، إذ عدت على عبد كان للرجل لم يكن له خادم غيره، فنهشته، وهو نائم، فاستغاث العبد بمولاه، فلم يُغْنِ عنه شيئاً حتى تَفَسَّخَ لحمه، فخرج الرجل، وقال: أرى سُمَّ هذه الحية قاتلاً لمن لَسِعَتْه، ما آمن أن تلسع بعض أهلى، فمكث حزيناً خائفاً أياماً، ثم قال: إنما سم هذه الحية فى مالى، وأنا أصيب منها أفضل مما رُزِيتُ به، فتعزى بذلك على خوفٍ ووَجَلٍ من جوارها.

ثم لم تلبث إلا أياماً حتى نهشت ابن الرجل، فارتاع لذلك، ودعا بالترياق وغيره، فلم يُغْنِ عنه شيئاً، وهلك الغلام، فاشتد جزع والديه، ودخل عليهما ما أنساهما كل لذةٍ أصاباها من الحية، فقالا: لا خير لنا فى جوار هذه الحية، وإن الرأى لفى قتلها واعتزالها، فلما سمعت ذلك تَغَيَّبَتْ عنهم أياماً لا يرونها، ولا يصيبون من بيضها، فلما طال ذلك عليها تاقت أنفسهما إلى ما كانا يصيبان منها، فأقبلا على جحرها بالبخور،

وجعلا يقولان: ارجعى إلى ما كنتِ عليه، ولا تضرينا ولا نضرك، فلما سمعت الحية ذلك من مقالتهما رجعت، فتجدد لهما سرور على غُصَّتِهِمَا بولدهما، فكانت بذلك لا ينكران منها شيئاً، ثم دنت الحية إلى امرأة الرجل، وهى نائمة معه، فنهشتها، فصاحت المرأة، فبادر زوجها يعالجها بالترياق وغيره، فلم يُغْنِ شيئاً، وهلكت المرأة.

فبقى الرجل فريداً وحيداً كتيباً، وأظهر أمر الحية لإخوانه وأهل وده، فأشاروا عليه بقتلها، وقالوا: لقد فَرَّطْتَ فى أمرها حتى تَبَيَّنَ لك غدرها وسوء جوارها، ولقد كنت مخاطراً بنفسك، فولّى الرجل، وقد أزمع على قتلها، لا يرى غير ذلك، فبينا هو يرصدها اطَّلَعَ فى جحرها، فوجد فيه دُرَّة صافية، وزنها مثقال، فلزمه الطمع، وأتاه الشيطان، فغَرَّه حتى عاد له سرور أشد من سروره الأول، فقال لقد غَيَّرَ الدهر طبيعة هذه الحية، ولا أحسب سُمَّها إلا قد تَغَيَّر كما تَغَيَّر بيضها، فجعل الرجل يتعاهد جحرها بالكنس والبخور ورش الماء والريحان، فكرمت عليه الحية، والتَذَّ الرجل التذاذاً شديداً بذلك الدُّر، ونسى ما كان من أمر الحية فيما مضى، وعمد إلى ما كان عنده من الذهب، فعمل منه حُقًّا[1]، فجعل فيه ذلك الدر، وجعل موضع ذلك الحق تحت رأسه، فبينا هو ذات ليلة نائم دَبَّتْ إليه الحية، فنهشته، فجعل يغوث بصوتٍ عال، فأقبل إليه جيرانه وأقاربه وأهل وده، وأقبلوا عليه باللوم فيما فَرَّطَ من قتل الحية، فأخرج إليهم الحق، فأراهم ما فيه، واعتذر مما عَجَّزُوا فيه رأيه، فقالوا: ما أقل غناء هذا عنك اليوم إذ صار لغيرك، وهَلَكَ الرجل، فقال إخوته الذين أشاروا عليه بقتل الحية: أبعده الله! هو قتل نفسه، قد أشرنا عليه بقتل الحية، قال: ولقد عجبت لأهل العقول يعرفون الأمر الذى ضُرِبَتْ هذه الأمثال له، ولا ينتفعون بالمعرفة كأنهم يرجون الثواب على المعرفة بالقول والمخالفة بالعمل، ويل لأصحاب المعرفة الذين لو قَصُرَتْ عنها عقولهم لكان أَعْذَرَ لهم، ويل لهم لو قد أصابهم ما أصاب صاحب الكَرْمِ[2]!

قالوا: وكيف كان مَثَل صاحب الكَرْم؟ قال أنطونس: زعموا أنه كان رجل له كَرْمٌ واسع كثير العنب متصل الشجر مثمر، فاستأجر لِكَسْحِ الكرم وحفظه ثلاثة نفر، ووكّل كل رجل منهم بناحية معلومة، وقال لهم: كلوا من العنب ما شئتم، وكُفُّوا عن هذه الثمار، ولا تقربوها، فتَحِلَّ بكم عقوبتى، واعلموا إنى متفقد عملكم وناظر فيه، وإياكم والتعدى لما أمرتكم به، فتُوجِبُوا على أنفسكم العقوبة، فأقبل أحدهم على حفظ ما أمر به، وقنع بأكل العنب، وكف عن أكل الثمار التى نهى عنها، وأقبل الثانى على مثل ما

---

(١) وعاء.

(٢) شجر العنب.

صنع صاحبه حيناً، ثم تاقت نفسه إلى أكل الثمار، فتناولها، وأقبل الثالث على أكل الثمار، وتزل العمل فضاعت ناحيته، وفسدت، وقَدِمَ صاحب الكَرْم لينظر إلى كَرْمه، ويتفقد ما عمل أُجَرَاؤُه، فبدا بالنظر فى عمل الأول، فرأى عملاً حسناً وتوفيراً وكفاً عمَّا نهاه عنه، فحمده وأعطاه فوق أجره، فانقلب راضياً مغتبطاً مسروراً، ونظر فى عمل الثانى فرأى عملاً حسناً، ورأى فى الثمار فساداً قبيحاً، فقال: ما هذا الفساد الذى أرى؟ قال: أَكَلْتُ من هذه الثمار. قال: أو لم أنهك عن ذلك؟ قال: بلى، ولكن رجوت عفوك وإحسانك! قال: ذاك لو لم أكن تَقَدَّمْتُ إليك فى الكف عن أكل الثمار، ولكنى لست أعتدى عليك فى العقوبة إلا بما آذيت، ونظر فى عمل الثالث، فإذا هو قد أضاع الكرم وأكل الثمار، فقال له: ويحك! ما هذا؟ قال: هو ما ترى. قال: أرى عملاً قبيحاً وفساداً كثيراً، وسَأَبْلُغ مِنْ عقوبتك ما أنت أهله.

فلما عرض أمر هؤلاء الأجراء على الناس، قالوا للأول: نِعْمَ الأجير كان، وقد أحسن إليه صاحب الكرم، وأعطاه أفضل من أَجْره، وقالوا للثانى: عَمِلَ الأحمق، ولم يتم عمله، ولو صبر عما نهى عنه من أكل الثمار لأصاب من صاحب الكرم مثل ما أصاب صاحبه، وقالوا للثالث: بئس الأجير! ضَيَّعَ ما أُمِرَ به، ثم أكل ما نهى عنه فهو أهل المآقى من شر، فهكذا أعمالكم فى الدنيا تصير إلى ما صار إليه هؤلاء الأجراء، فى اليوم الذى تجزى فيه كل نفس بما عملت.

قال أنطونس: ولقد عجبت لأهل الأمل وطمعهم في طول العمر، فوجدت أعدى الناس للناس الأولاد لأبائهم ؛ عمل آباؤهم فى الاستكثار لهم، وأتعبوا أبدانهم فى صلاح معايش غيرهم بهلاك أنفسهم، وشاركهم فى اللذة غيرهم، فأُفْرِدُوا بالسؤال عما كدحوا كصاحب السفينة!

قالوا: وكيف كان مثل صاحب السفينة؟ قال: زعموا أنه كان رجل نجار يعمل بيده فيُصِيب كل يوم درهماً ينفق نصفه على أب له شيخ كبير وامرأة له وابن وابنة، ويَدَّخِرُ نصف درهم، فعمل زماناً عائشاً بخير، فنظر يوماً فيما عمل وفيما كسب، فإذا هو قد استفضل مائة دينار، فقال: والله إنى لفى باطلٍ من عملى هذا، ولو عملت سفينة، واستقبلت تجارة البحر، رجوت أن أتمول، فهو خير من عمل القَدُوم، فلما عرض ذلك من رأيه على أبيه قال: يا بنى لا تفعل، فإن رجلاً من المُنَجِّمِين أخبرنى أيام ولدت أنك تموت غَرَقًا. قال: فما أخبرك أنى أصيب مالاً؟ قال: بلى، ولذلك نهيتك عن التجارة، والتمست لك عملا تعيش فيه يومًا بيوم، قال: أما إذا كان فى قوله إنى أصيب مالا، فوالله ما جُلَّ المال إلا فى التجارة فى البحر. قال: يا بنى، لا تفعل ؛ فإنى أخاف عليك

الهلاك! قال: أليس يكون لى مـال، إن عشـتُ عشـتُ بخير، وإن مـت تركـت أولادى بخير. قال: يا بنى، لا تكونن بولدك آثر عندك من نفسك! قال: لا والله، مـا أنـا بنـازع عن رأيى، فعمل سفينة، وأجاد عملها، ثم حَمَّلَهـا مـن صنـوف التجـارات، ثـم ركـب فيها، فغاب عن أهله سنة، ثم قَدِمَ عند تمام الحَوْل بقيمة مائة قنطار ذهـب، فحمـد اللـه تعالى والده، وأثنى عليه، وكنز له ما أصاب من المال، وقال له: يا بنى، إنى كنتُ نذرت لله تعالى إن رَدَّكَ سالماً أن أحرق سـفينتك. قـال: يـا أبـة، لقـد أردتَ هلاكـى وخـراب بيتى!

قال: يا بنى، إنما أردتُ بذلك حياتك وقوام بيتك، وأنا أعلم بالأمور منك، وأراك قد وسَّع الله عليك، فأقبل على العمل برضـوان اللـه والشـكر لـه، فـإنك قـد أصبـت غنـى الدهر، وأمنت بإذن الله من الفقر، وإنما أردتُ بمـا جعلـتَ علـىَّ السـلامة لبدنـك [فـلا تفجعنى يابنى بنفسك، قال: أليس الحق أحب إليك من البـاطل؟ قـال: بلـى. قـال: فمـا أريد أن أقيم إلا ايامًا حتى أرجع فأجول جولة أصيب فيها أضعاف ما قد ترى!

فخرج، فغاب سنة وبعض أخرى، ثم قدم بأضعاف ما قدم به أول مرة من الأمـوال. ثم قال لأبيه: كيف ترى لو أنى أطعتك لم أُصِبْ من هذا المال شيئًا؟ قـال أبـوه: يـابنى، أراك تعمل لغيرك، ولوددت أن هذا صُرِفَ عنك فى سلامة بدنك، وسيجرعك ما تـرى غصةً، فتتمنى لو كان بينك وبين هذه اللّذة جبال المشرق!

قال: يا أبه، إنما دعاك إلى هذا قول المُنَجِّم، وأنا أرجو أن يكون قد أصاب فى الغنـى وأخطأ فى الغرق! ثم أمر بصنعة سفينة أخرى، فلم يَقُـمْ إلا أربعـين ليلـة حتـى أجمـع أن يركب البحر. فقال له أبوه: أما إنه ليس يمنعنى من الإلحاح عليك فى هذه المرة إلا ما قد يكون من معصيتك فى المرة الأولى، فقد رأيت أشياء صدَّقت عندى قول المُنَجِّم.

وانسكبت عيناه بالدموع، فرقَّ لذلك ابنه، وقال: يا أبه، جعلنى الله فداك، اصبر لـي مرتك هذه، فوالله لئن ردَّنى الله سالمًا لا ركبت بحرًا ما عشت.

قال الشيخ: يا بنى، اليوم والله أيقنت بفقدك، والله لا ترجـع مـن هـذا الوجـه حتـى ترجع الشمس من مغربها!

ثم تلهَّف عليه، وبكى إليه، وناشده الله، فلم يسمع مقالة أبيـه، ولـم يمنعـه أن خـرج فى سفينتين قد شحنهما تجارة.

فلما توسط البحر أصابه موج شديد، فأصابت إحدى سفينتيه الأخـرى، فانصدعتـا، فغرقتا!

فذكر التاجر – وهو يَسْبَح – مقالة المُنَجِّم، وتلهَّف على عصيانه والده، وهلـك هـو

وجميع أصحابه، فلم تمر بهم أيام حتى وصل على الشيخ الخبر، فصبر واحتسب، ونَحِلَ وكمد، حتى هلك أيضًا.

وقُسِّم الميراث على امرأة التاجر وابنه وابنته، فتزوَّج ابنه، وتزوَّجت امرأته وابنته، فصار ما جمع إلى زوج امرأته وزوج ابنته وامرأة ابنه.

وكل ما يجمع الأشقياء إلى ذلك يصير.

ولقد عجبت للمدَّخِر عن نفسه[(١)] والمُؤثر لغيره! فويحك قابل همومك بخفة المال، وتَبَلَّغ بالكفاف تَبْلُغ المنزل، وادَّخر الفضل لنفسك، ولا تُؤثر غيرك فتلقى ما لقي صاحب الحوت!.

قالوا: وما الذى لقي صاحب الحوت][(٢)]؟ قال أنطونس: زعموا أن صياد سمك أصاب في صيده حوتاً عظيماً، فقال: ما أحد أحق بأَكْلِه منى، فانقلب به إلى منزله، ثم بدا له أن يُهْدِيه إلى جار له من الحكماء، فلما أتاه به دعا للصياد بعِوَضٍ منه، فأبى الصياد أن يَقْبَلَه، فقال له الحكيم: فما دعاك إلى هذا العمل؟ ألك حاجة تحب قضاءها؟ قال: لا، ولكن أحببت أن أوثرك به! قال: قد قَبِلْتُه، ثم أمر خادماً له، فقال: اذهب بهذا الحوت إلى جارنا هذا المُقْعَد المسكين، فلما رأى ذلك الصياد ضرب جبهته، وقال: يا ويله! ما حَرَمَ نفسه من أكل هذا الحوت، ثم صار إلى أعدى الناس له، فقال الحكيم: إن هذه الأثرة التى آثرت بها المقعد إنما هى ذخيرة لى وضعتها عنده ليوم حاجتى!

قال: ومتى ذاك؟ قال: يومَ يحتاج الناس فيه إلى ذخائرهم فى الآخرة، فتعجب الصياد لذلك.

ولقد عجبتُ لهذا الشغل الذى غَرَّ أهل العقل والجهل حتى هلكوا بالرجاء والطمع، كما هلك اليهودى والنصرانى جميعًا، قالوا: أخبرنا كيف كان ذلك؟

قال أنطونس: اصطحب رجلان يهودى ونصرانى إلى أرض فسارا فى عمران واتصال من المياه حتى انتهيا بئر و، ءها مفازة[(٣)] مسيرتها أربعة أيام، ومع كل واحد منهما قِرْبة، فملأ اليهودى قِرْبته، وأراد النصرانى أن يملأ قربته، فقال اليهودى له: تكفينا قربتنا هذه، ولا تُثْقِلْ دوابنا، فقال له النصرانى: أنا أعلم بالطريق! فقال له اليهودى:

---

(١) يعنى البخيل.

(٢) ما بين المعكوفتين مطموس من المخطوط، وقد أكملناه من كتاب ابن أبى الدنيا: الوجل والتوثق بالعمل، ص: ٤٢- ٤٤.

(٣) صحراء.

تريد إلا أن تشرب الماء كلما عطشت! قال: نعم، فترك النصرانى قربته فارغة، وسار وهو يعلم أنه سيحتاج إلى الماء، فلما توسطا المفازة أصابهما سَمُوم[١]، فنفد ما كان فى القربة، فقعدا فى الطريق يتلاومان، ويقول النصرانى لليهودى: ما أهلكنا إلا رأيك القبيح! وما صنعتَ ذلك إلا لعداوة ما بيننا فى أمر المسيح! فقال اليهودى: أتراني كنتُ أريد أن أقتلك وأقتل نفسى؟! قال النصراني: أبعدك الله كما لم ترحمني! قال اليهودى: ويحك! إنما نهيتك عن حمل الماء لضعف حمارك، فكرهت لك المشى! قال النصرانى: لعمرى للمشى أهون عليَّ من الموت، وما فعلتَ هذا إلا لعداوتك القديمة، وإنما يحزننى أن نموت، فندفن جميعاً فى قبر واحد، فيمر بنا من القسيسين مَنْ يُصَلّى علينا! قال اليهودى: ويحك! ولِمَ شَقَّ عليك أن نُدْفَنَ جميعاً، ويُصَلّى علينا؟ قال النصرانى: لأنك قتلت نفسك وصاحبك، فليس ينبغى أن يُصَلَّى عليك، فبينما تخرج أَنْفُسُهُمَا مَرَّ بهما رجل ماشٍ يسوق حماراً عليه قربتان، فلما رأياه ابتدرا، فقالا: احتسب علينا بشربة من ماء عافاكَ الله! قال: هذا طريق ليس فيه حِسْبَة! قالا له: أخبرنا ما دِينك؟ قال: دِينى دِينُكما. قالا: فإن أحدنا يهودى، والآخر نصراني. قال: اليهودى والنصرانى والمسلم إذا لم يعمل بما فى كتابه، واتَّكَلَ على الغِرَّة فى الرجاء والطمع لقى ما لاقيتما، وولّى عنهما، ولم يسقهما[٢]!.

فينبغى للعامل أن يأخذ بالجزم فى آخرته كما يأخذ بالجزم فى أمر دنياه، ولا يَتّكِل على الرجاء والطمع فى المغفرة والرحمة بغير اتباع لما أُمِرَ به وتَرْكِ ما نُهِىَ عنه، ولقد عجبتُ لأهل الأعمال السيئة واستتارهم من العِباد بقُبْحِ أعمالهم، ولا يستترون مِمَّنْ يلى عقوبتهم، ولا يراقبونه، وهو الذى يثيب ويجزى، كيف آمنوا أن يصيبهم ما أصاب صاحب الدِّير؟

قالوا: وما الذى أصاب صاحب الدير؟ قال أنطونس: زعموا أن رجلاً كان يبيع العسل والسمن والزيت والخمر، فكان يشتريه طَيِّبا نَقِيًّا، ويبيعه غالياً مغشوشاً، وكان ذا لحية عظيمة جميلة، وكان أكثر مَنْ يراه يقول: لو كنتَ أُسْقُفًا فما صلحت لحيتك إلا لأساقفة، فلما كثر قولهم ذلك له وقعتْ فى نفسه الرهبانية لرجاء منزلة يُصِيبها، فقال لامرأته: إن الناس قد أكثروا فى لحيتى، ولا يعلمون عملى، فلو أنى تَرَهَّبْتُ رجوتُ أنى أُصِيبُ مالاً ومنزلة، فجزعت امرأته لذلك، وقالت: أردتَ أن تُؤَيِّمنى[٣] وتُيَتِّم أولادى!

---

(١) ريح شديدة الحرارة.

(٢) هذا بالطبع يخالف ما يدعو إليه الإسلام وكل الشرائع من إغاثة الملهوف ونجدة المحتاج وإحياء النفس، وهو أيضًا يتنافى مع فطرة الإنسان النقية المجبولة على النجدة والشهامة.

(٣) أي تجعلنى بلا زوج.

قال: ويحك لم أرد ذلك لنيَّة في العبادة، ولكن رجوت أن يكون لي منزلة، وأنال فضيلة في أهل ملتي. قالت: أخاف أن تُدَاخِلَك حلاوة العبادة إذا صرتَ مع الرهبان، فتلج وتتركني!

فحلف لها، وأقبل على تعلم الإنجيل والمزامير وأشياء من كتب الأنبياء، وحَلَقَ رأسه، ثم انطلق إلى دِير عظيم فيه جماعة من الرهبان، فنزله، فلم يَقُمْ فيه إلا قليلاً حتى أَعْجَبَ الرهبان ما رأوا من جماله ونُبْل لحيته، فأجمعوا على رئاسته، وولَّوه أمرهم، فلما بلغ نُهْمَتَه، وأَمْكَنَتْه الأمور من أموال الدير وخزائنه لاطف عظماء الناس وأشرافهم، فعظمت منزلته في أعينهم، وصغرت منزلة الرهبان في عينه، فأذلَّهم، ونَقَّصَ أرزاقهم، وغَيَّر مراتبهم، وعمد إلى أهل العبادة منهم، فولاَّهم غَلاَّت الدير، وتفرَّغ لنعمة نفسه، والتَذَّ بالنساء وشرب الخمر وأكل الطيب ولبس اللين.

فلما رأى ذلك الرهبان غاظهم وفيهم رجل سُنَاط[1] كان يحسده على نُبْل لحيته، فقال لأصحابه: إن هذا الفاسق يُذِلُّكم، ويستعين بكم على فِسْقِه، فاتقوا الله في أنفسكم! قالوا: قد اعتزلنا الدنيا وما فيها، وتفرَّغْنا للعبادة، فابْتُلِينا من هذا الرجل بالشُّغْل والهم والحزن، قال السُّناط: هذا ما عمل بكم سوء رأيكم وحسن نظركم في طول اللحية، ومَنْ قَلَّدَ أَمْرَه أهل اللِّحى والرياء، وترك أهل العفاف والدين والورع، فليصبر لما جنى على نفسه، فاجتمع رأيهم على أن يعظوه، فأتاه السناط في جماعة منهم، فقال له: إنك قد أسرفت على نفسك، وقد ظهر لأصحابك ما تظن أنه قد خفي عليهم من أمرك، فاحذر عقوبة الله؛ فإنه ربما عَجَّلَها في الدنيا للعبد قبل الآخرة!

فقال لهم: أليس قد أحاطت الخطيئة ببني آدم حتى نالت الأنبياء، فقد أخطأ داود وسليمان ويحيى؟ فقال السناط: أراك عالماً بخطايا الأنبياء جاهلاً بالتوبة التي كانت منهم؟ إنما كانت خطيئة داود[2] واحدة، فخَرَّ ساجداً أربعين ليلة، وإنما سها سليمان عن صلاة واحدة أخَرَّ وقتها، فتاب واستغفر، وضرب أعناق الخيل وعراقيبها، وإنما ترك يحيى صلاة من نوافل الليل اتَّهم بذلك كثرة طعامه فما ملأ بطنه من الطعام حتى قبضه الله عز وجل، وكان ذلك كله فَرَقًا[3] من الله تعالى وخوفًا من عذابه ورجاءً لثوابه.

---

(١) السناط بضم السين وكسرها، والسنوط: الخفيف العارض، أو الكوسج الذى لا لحية له أصلا.

(٢) يعنى نظرته إلى المرأة فى البستان وهى تغتسل، وهى قصة لا تصح كما قال الحافظ ابن كثير فى قصص الأنبياء: «وقد ذكر كثير من المفسرين من السلف والخلف ها هنا قصصًا وأخبارًا أكثرها إسرائيليات، ومنها ما هو مكذوب لا محالة».

(٣) خوفًا.

قال صاحب الدير: أرجو التوبة! قال السناط: ربما عاجل الموت صاحب الخطيئة، فأقام صاحب الدير على خطيئته حتى أذن الله تعالى فى هلاكه على يدى رجل من اللصوص بعث أصحابه، فبيَّتوا[١] القرية التى فيها هذا الراهب، فوجدوه مع امرأته فى لحافٍ، فأتوا به رأسهم، فقالوا: لو لم يكن راهباً عَذَرْنَاه، ولكنا نقيم فيه حكم الله فيمن حَرَّمَ النساء، ثم ركبهن، فسأل عن عقوبته أهل العلم، فقيل: عقوبته أن يُحْرَق بالنار، فألقى فى تَنُّور مَسْجُور، وكفى الله عز وجل الرهبان موتته، وعَجَّلَه للنار فى الدنيا لعبادته التى نواها للدنيا.

ولقد عجبت لأهل المصائب كيف لا يستعينون على مصائبهم بالصبر، ويذكرون ما يُؤَمِّلُون من الثواب، فإنه سيأتى على صاحب المصيبة يوم يتمنى فيه مثل ما تَمَنَّى الأعمى فى مصيبته!

قالوا: وما تَمَنِّى الأعمى؟ قال: زعموا أن تاجرًا دفن مائة دينار فى موضع، فبصر بها جار له، فأخرجها، فلما فقدها التاجر جزع جزعاً شديداً، ثم طال به العمر حتى عَمِيَ، واحتاج حاجةً شديدةً، فلما حضرت جاره الوفاة تَخَوَّفَ الحساب، فأوصى أن يَرُدَّ المائة دينار إلى الأعمى، فرُدَّتْ عليه، وأخبره بالقصة، فسُرَّ الأعمى سروراً لم يُسَر بمثله قط! وقال: الحمد لله الذى رَدَّها علىَّ أحوج ما كنت إليها، فيا ليت كل مالٍ كان لى يومئذ قُبِضَ عنى، ثم رُدَّ إلىَّ اليوم.

فينبغى لمن عرف أن له عملاً صالحاً أن يوقن أنه سيلقاه يوم يحتاج إليه، ولقد عجبت لنفاذ عقولهم كيف لا يعملون بما يعلمون؟ كأنهم يريدون أن يهلكوا كما هلك صاحب المسيل[٢].

قالوا: وكيف كان ذلك؟ قال: زعموا أن رجلاً نزل بطن مسيل، فقيل له: تَحَوَّلْ عن هذا المنزل ؛ فإنه منزل خطر؟ قال: قد علمتُ، ولكن يعجبنى نزهته ومرافقه! فقيل: إنما تطلب الرفق لصلاح نفسك، فلا تخاطر بها! قال: ما أريد التحول عن منزلى؟ فغشيه السيل وهو نائم، فذهب به، فقال الناس: أبعده الله! وهم على مثل حاله كأنهم يعملون على قول أصحاب الدهر الذين قالوا: ننشأ ونبيد، والهالك منا لا يعود!

قال أنطونس: فلو أخذنا بالحزم كنا كأصحاب أفروليه! قيل: وكيف كان ذلك؟ قال: بعث مَلِك أسقولية بعثًا[٣] إلى أفرولية، وكان المسير إليها فى البحر ستين ليلةً لا

---

(١) أغاروا عليهم ليلاً.

(٢) مكان نزول السيل.

(٣) البعث: الجيش.

يجدون من الزاد والماء إلا ما حملوه معهم، وكان مع صاحب أسقولية كاهنان، فقال أحدهما: أمَّا إن هذا الجيش سيقومون على أفرولية سبعة أيام يرمونها بالمنجنيق، وتُفتَح في اليوم الثامن. قال الآخر: لا بل يقيمون سبعة أيام وينصرفون في اليوم الثامن، فلما سمع أصحاب البعث قولهما قالوا: ما ندري للبدأة نحمل الزاد، أم للبدأة والرجعة؟ فقال قوم منهم: نقبل قول الكاهن الذي قال نفتحها في اليوم الثامن، ولا نُعَنِّي أنفسنا بحمل ثقيل الزاد. وقال الفوج الآخر: إنما هي أنفسنا لا نخاطر بها، فحملوا الزاد للبدأة والرجعة، ثم ساروا حتى انتهوا إلى أفرولية، وقد تَحَرَّزُوا بحِصْنٍ دون حِصْنَ، فأقاموا سبعة أيام بالمجانيق، ففتحوا حائطها الظاهر، فإذا حصن آخر، فلم ينتفعوا بدخول الحائط الأول، وجاءهم بريدٌ أن مَلِكَهم قد مات، فانصرفوا راجعين، فهلك مِمَّنْ فَرَّط في حَمْل الزاد سبعون ألفاً، فصاروا مَثِلاً.

وكذلك يهلك مَنْ فَرَّط في عمل الآخرة، وينجو مَنْ تَزَوَّد لها، وتَحَرَّزَ من بوائقها كما تَحَرَّزَ أهل أفرولية، وكما نجا مَنْ تَزَوَّدَ من أهل أسقولية لرجعته.

فقال النفر لأنطونس: ما أحسن قولك! وأبلغ موعظتك! فقال: أما إن حلاوة عظتي لا تجاوز آذانكم، ألم تعلموا أن فيما جاء به موسى وداود والمسيح وفي جميع كتب الأنبياء: إنما تجزون ما كنتم تعملون، فانظروا في أعمالكم، واقضوا على أنفسكم، وانصرفوا عني راشدين، فانصرفوا، واقترعوا بينهم، ومَلَّكُوا أحدهم، ورضوا به.

* * *

آخر كتاب عيون الحكايات، والحمد لله رب العالمين.

وصلواته على أشرف المرسلين محمد وآله وصحبه أجمعين

* * *

فهرس الأحاديث النبوية

حرف الميم

حرف الام والألف

حرف الياء

* * *

فهرس مراجع التحقيق

أولاً: القرآن الكريم.

ثانيًا: كتب الحديث:

١ - أبو بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقى: كتاب السنن الكبرى، دار المعرفة - بيروت،١٣٤٧هـ.

٢ - أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيبانى:المسند،مؤسسة التاريخ العربى، دار إحياء التراث العربى - بيروت،١٤١٢هـ ١٩٩١م.

٣ - أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائى: سنن النسائى، المكتبة العلمية - بيروت، د.ت.

٤ - أحمد بن على بن حجر العسقلانى: فتح البارى بشرح صحيح البخارى،ترقيم وتصحيح ومراجعة: محمد فؤاد عبد الباقى وآخران،دار الريان للتراث - القاهرة،١٤٠٧هـ،١م.

٥ - أى.ونسنج، وى.ب منسج وآخرون: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى(عن الكتب الستة وعن مسند الدارمى وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل).دار الدعوة - استانبول، ١٩٨٨م.

٦ - أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى: المعجم الكبير، حققه وخرج أحاديثه: أحمد عبد المجيد السلفى، د.د، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ ١٩٨٣م.

٧ - أبو داود سليمان بن الأشعث السجستانى: سنن أبى داود، دار الحديث - القاهرة، دار الريان للتراث - القاهرة، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

٨ - جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى: الجامع الصغير فى أحاديث البشير النذير، دار القلم للتراث - القاهرة، د.ت.

٩ - عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى السمرقندى: سنن الدارمى، حقق نصه وخرج أحاديثه وفهرسه: فؤاد أحمد زمرلى، خالد السبع العليمى، دار الريان للتراث - القاهرة، دار الكتاب العربى - بيروت، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

١٠ - أبو عبد الرحمن عصام الدين الصبابطى: جامع الأحاديث القدسية، دار الريان للتراث - القاهرة، ١٩٩١م.

١١ - مالك بن أنس: كتاب الموطأ، دار الريان للتراث - القاهرة، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

١٢ - أبو هاجر محمد السعيد بن بسيونى زغلول: موسوعة أطراف الحديث النبوى، عالم التراث - بيروت، ١٩٨٩م.

١٣ - أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى: الجامع الصحيح أو سنن الترمذى، دار الحديث - القاهرة، د.ت.

١٤ - محمد ناصر الدين الألباني: صحيح الترغيب والترهيب للحافظ المنذرى، المكتب الإسلامى - بيروت، دمشق، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

١٥ - ,, ,, ,, ,,: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، المكتب الإسلامى - بيروت، دمشق، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

١٦ - ,, ,, ,, ,,: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيىء فى الأمة، المكتب الإسلامى - بيروت، دمشق، الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

١٧ - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزوينى (ابن ماجة): سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقى، دار الحديث - القاهرة، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

١٨ - أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى: صحيح مسلم بشرح النووى، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية - القاهرة، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

١٩ - أبو زكريا يحيى بن شرف النووى: رياض الصالحين، مكتبة الغزالى - دمشق، بيروت، د.ت.

ثالثاً: كتب ابن الجوزى المطبوعة:

٢٠ - بستان الواعظين ورياض السامعين: تحقيق وتعليق: مجدى محمد الشهاوى، مكتبة الإيمان - المنصورة ١٩٩٤م.

٢١ - التبصرة: تحقيق: د. مصطفى عبد الواحد، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م.

٢٢ - تلبيس إبليس: تحقيق: السيد العربى، مكتبة الإيمان - المنصورة، د.ت.

٢٣ - تلقيح فهوم أهل الأثر فى عيون التاريخ والسير: مكتبة الآداب - القاهرة، ١٩٧٥م.

٢٤ - تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر: تقديم وتحقيق وتعليق: عرفه حلمى عباس، دار الحديث - القاهرة، ١٩٩٢م.

٢٥ - الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ: تحقيق المستشار الدكتور: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الدعوة - الأسكندرية، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

٢٦ - الحسن البصرى: تقديم: حسن السندوبى، مكتبة الخانجى - القاهرة، ١٣٥٠هـ ١٩٣١م.

٢٧ - دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه: تحقيق الشيخ: محمد زاهد الكوثرى، مراجعة: د. أحمد حجازى السقا، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة، ١٩٩١م.

٢٨ - زاد المسير فى علم التفسير: المكتب الإسلامى - سوريا، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧ .

٢٩ - الشفاء فى مواعظ الملوك والخلفاء: تحقيق المستشار الدكتور: فؤاد عبد المنعم

أحمد، دار الدعوة - الأسكندرية، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.
٣٠ - صبا نجد فى المواعظ والرقائق وأشعار الزهد: دار الصحابة للتراث - طنطا، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.
٣١ - صفة الصفوة: ضبطه وكتب هوامشه: إبراهيم رمضان، سعيد اللحام، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.
٣٢ - صيد الخاطر: تحقيق: د. عبد الرحمن البر، دار اليقين للنشر والتوزيع - المنصورة، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.
٣٣ - الطب الروحانى: تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيونى زغلول، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.
٣٤ - القرامطة: تحقيق: محمد الصباغ، المكتب الإسلامى - دمشق - بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.
٣٥ - القصاص والمذكرين: تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيونى زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.
٣٦ - كتاب الأذكياء: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.
٣٧ - مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن: قدم له وحققه وفهرسه: د. مصطفى محمد حسين الذهبى دار الحديث - القاهرة، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.
٣٨ - مشيخة ابن الجوزى: تقديم وتحقيق: محمد محفوظ، طبع الشركة التونسية للتوزيع - تونس، ١٩٧٧م.
٣٩ - مناقب الإمام أحمد بن حنبل: مكتبة الخانجى - القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٤٩هـ.
٤٠ - المنتظم فى تاريخ الأمم والملوك: دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه: نعيم زر زور، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

رابعاً: مراجع عربية:

٤١ - إبراهيم زكى خورشيد، وآخران: دائرة المعارف الإسلامية، كتاب الشعب، ١٩٣٣م.
٤٢ - أبو العباس أحمد بن حسن بن على بن الخطيب، الشهير بابن قنفذ القسنطينى: الوفيات، حققه وعلق عليه: عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت - لبنان، ١٣٩٠هـ ١٩٧١م.
٤٣ - أحمد شلبى (دكتور): موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة - القاهرة، الطبعة السادسة، ١٩٧٨م.

٤٤ - أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهانى: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الفكر، دت.
٤٥ - أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حققه: د. إحسان عباس، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ١٩٧٠م.
٤٦ - أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسى: مختصر منهاج القاصدين، مطبعة ابن زيدون - دمشق، ١٣٤٧هـ.
٤٧ - عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى: البداية والنهاية، دقق أصوله وحققه: د. أحمد أبو ملحم، وآخرون، دار الكتب العلمية - بيروت، دار الريان للتراث - القاهرة، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.
٤٨ - عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى: تفسير القرآن العظيم، مكتبة مصر - القاهرة، ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م.
٤٩ - حسن إبراهيم حسن (دكتور): تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى، دار الجيل - بيروت، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة، الطبعة الثالثة عشر، ١٤١١هـ ١٩٩١م.
٥٠ - حسين نصار (دكتور): رحلة ابن جبير، تحقيق د. حسين صار، مكتبة مصر - القاهرة، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.
٥١ - خير الدين الزركلى: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين - بيروت - لبنان، الطبعة التاسعة، ١٩٩٠م.
٥٢ - صديق بن حسن القنوجى: التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، تصحيح وتعليق: د. عبد الحكيم شرف الدين، المطبعة الهندية العربية - بمباى - الهند، ١٣٨٢هـ ١٩٦٣م.
٥٣ - عبد الحميد العلوجى (دكتور): مؤلفات ابن الجوزى، وزارة الثقافة والإرشاد، مديرية الثقافة العامة، شركة دار الجمهورية للنشر والطبع - بغداد، ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م.
٥٤ - أبو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى: شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، دار الفكر - بيروت - لبنان، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
٥٥ - عبد المتعال الصعيدى (دكتور): المجددون فى الإسلام من القرن الأول إلى الرابع عشر، مكتبة الآداب - القاهرة، د.ت.
٥٦ - أبو محمد عبد الله بن أسعد بن على بن سليمان اليافعى: مرآة الجنان وعبرة

اليقظان فى معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، منشورات مؤسسة الأعلمى للمطبوعات - بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م.

٥٧ - أبو طالب على بن أنجب تاج الدين المعروف بابن الساعى الخازن: الجامع المختصر فى عنوان التواريخ وعيون السير، تصحيح وتعليق وفهرسة: مصطفى جواد، المطبعة السريانية الكاثوليكية ـ بغداد، ١٣٥٣هـ ١٩٣٤م.

٥٨ - على جميل مهنا: ابن الجوزى ومقاماته المخطوطة، مجلة معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المجلد ٢٨، جـ٢ ربيع الآخر/ رمضان ١٤٠٤هـ يناير / يونيو ١٩٨٤م.

٥٩ - على بن محمد بن على الجرجانى: التعريفات، مطبعة مصطفى البابى الحلبى - القاهرة، ١٣٥٧هـ ١٩٣٨م.

٦٠ - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ـ القاهرة - الطبعة الثالثة ١٩٨٥م، ١٤٠٥هـ.

٦١ - محمد بن إبراهيم الشيبانى: وصايا ونصائح لطلاب العلم لابن الجوزى، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق - الكويت، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

٦٢ - شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى: تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ١٣٧٤هـ.

٦٣ - ,, ,, ,, ,, ,, ,, ,,: ذيل تاريخ بغداد المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ أبى عبد الله محمد بن سعيد بن محمد الدبيثى، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

٦٤ - ,, ,, ,, ,, ,, ,, ,,: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان، الطبعة الثامنة، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

٦٥ - أبو عبد الله محمد بن سعيد بن محمد بن الدبيثى: ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد، حققه وعلق عليه: بشار عواد معروف، بغداد، ١٩٧٤م.

٦٦ - شمس الدين محمد بن على بن أحمد الداودى: طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية - بيروت ـ لبنان، د.ت.

٦٧ - محمد فؤاد عبد الباقى: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث - القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ ١٩٩١م.

٦٨ - محب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن المعروف بابن النجار البغدادى: المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، انتقاه كاتبه أحمد بن أيبك بن عبد الله الحسينى المعروف بابن الدمياطى، حققه وعلق عليه وقدم له: د. قيصر أبو فرح، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان، د.ت.

٦٩ - أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظـور الإفريقـي: لسـان العـرب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٧٠ - محـمود شـاكـر: التـاريخ الإسـلامي، المكتـب الإسـلامي - سـوريا، الطبعـة الخامسة، ١٤١١هـ ١٩٩١م.

٧١ - مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنـون، وكالة المعارف - تركيا، ١٣٦٠هـ١٩٤١م .

٧٢ - جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بـردى الأتـابكي: النجـوم الزاهـرة فـي ملوك مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه: محمـد حسـين شـمس الديـن دار الكتـب العلمية - بيروت، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

٧٣ - شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزأوغلـي: مـرآة الزمـان فـي تـاريخ الأعيـان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد - الهند، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.

فهرس المحتويات

